

مِفْتَاحُ الزَّهْنِ

ومعادن الجواهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والتورخ الجليل
أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السمرقاني
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

بتحقيق

محمد بن الحسين بن عبد الجبار

هذا الله تعالى عنه

٢-١

دار الكتب

ببغداد ص ١٠٦١

مروج الذهب

ومعادن الجواهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل
أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

المجلد الأول

بتحقيق
محمد بن عبد الله بن عبد الحميد
عفا الله تعالى عنه

دار الفكر

الطبعة الخامسة: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢ م
تمتاز بدقة الضبط ، والزيادة في الشرح والتفصيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تَفْشِيرُهُ مِنْهُ
جلود الذين يحشون رجبهم ، ثم ما بين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك
هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد رسول الله إلى الناس كافة الذي قص الله تعالى عليه
من أسماء الأمم السامية ما لم يمان بهامه هو ولا قومه ، وجعل ذلك موعظة
للناس بعبادها من كان له قاب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،
وهو به من حلقه ، ونخبته من بين العالمين .

أما بعد ، فهذا كتاب جمع فيه مؤلفه من علوم الأوائل ومعارفهم عيون
المسائل وأمماتها ، ولم يفصل القول فيه تفصيلاً يعطيل به على فارئه ، ولا أحاط
بأطراف ما يرمض له من المسائل ، مكنتياً بأن ينتقى من كل عقد ذرة هي
أتم درره وأغلاها عنده ، وأن يغترف من كل بحر قطرة هي أهنأ قطراته
وأمرؤها ، وأن يصفى من كل روض زهرته هي أرجأ أزاهيره وأضرها ،
وقد مرض لاسلاف العلماء في أكثر ما بحث من مسائله ، وبين أفاويلهم ،
وأشار إلى بعض من جمعهم باركا بمسيل ما أخذ فيه من القول إلى كتبه
التي صنفها قبل هذا الكتاب ، وقد أخذ عامه الذي أودعه كتابه هذا
وكتبه الساعة عايه من مصدرين : أحدهما جملة من كتب العلماء الذين
سبقوه بالتدوين ، وقد أشار إلى أكثر هذه الكتب ، مطاع هذا الكتاب ،
وبين مقدار أهميتها في نظره ، والمصدر الثاني - وهو في الأكثر عندما يريد
أن يحدك عن عادات بعض البلدان أو حاصلاتها - أحاديث الناس التي
يقنأونها كابرأ عن كابر ؛ فهو يقول لك : « وقد رأيت صاحب هذا الرجل

المقيم بالوحدات بباب الإخشيد محمد بن طفج ، وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة ،
وسألته عن كثير من أخبار بلادهم ، وما احتجت أن أعلمه من خواص
أرضهم ، وكذلك كان فِعلي مع غيره في سائر الأوقات ممن لم أُصِلْ إلى
بلادهم ، وأخبرني هذا الرجل عما بأرضهم من الشب وأنواع الزاج ،
وما يحمل من بلادهم ، وما بأرضهم من أنواع العيون الحامضة ، وغير ذلك
من المياه المختلفة الطعوم « ١ هـ ، وانظر ^(١) (ج ١ ص ٣٤١ و ٣٤٢) .

وقد أجصيت كتبه التي اختار منها لمعاً أو دَعَها في هذا الكتاب فوجدتها
كثيرة العدد ، وأنا ذاكر لك منها جملة ، ومشير لك إلى بعض مواضع التنبيه
عليها في الكتاب الذي بين يديك ، وكل هذه الكتب مفيد نافع جليل
الموضوع ، ولكن أكثرها - مع الأسف - قد أصابته يد الضياع :

(١) كتاب أخبار الزمان ، يشير إليه في نهاية كل موضوع يطرقه
تقريباً ، وكذلك الكتاب الأوسط .

(٢) كتاب المبادئ والتراكيب (انظر ^(١) ج ١ ص ١١٧)

(٣) « الرؤوس السبعة (انظر ج ١ ص ٨٢ و ١٢١)

(٤) « الزلف (انظر ج ٢ ص ١١٧ و ١٢١)

(٥) « الصفوة في الإمامة (انظر ج ٢ ص ٥٠ و ١٧٣ ، ثم ج ٣
ص ٢٨) .

(٦) كتاب الاستبصار (انظر ج ٢ ص ٥٠ و ١٧٣ ، ثم ج ٣ ص ٢٨) .

(٧) « الزاهي (انظر ج ٢ ص ١٧٣) .

(٨) « المقالات في أصول الديانات (٢ : ٥٠ و ٧٣ - ٣ : ٢٥) .

(٩) « سر الحياة (٢ : ٦٩ و ٨١) .

(١٠) « الدعاوى (٢ : ٦٩) .

(١١) « الاسترجاع (٢ : ٧٩) .

(١) هذه أرقام الطبعة الأولى ، وأرقام هذه الطبعة قريية منها .

- (١٢) كتاب مناهج الأخبار ، وظرائف الآثار (٢ : ٢٦٤ و ٣٠١) .
 (١٣) » الرؤيا والكمال (٢ : ٨٧) .
 (١٤) » طب النفوس (٢ : ٨٧) .
 (١٥) » حقائق الأذهان في أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام
 (٢ : ٣٠١ — ٣ : ٢٤) .

(١٦) كتاب القضايا والتجارب (٢ : ١٠٣) .

(١٧) الواجب في الفروض واللوازم (٣ : ٢٨) .

ولست هذه كل كتبه التي أشار إليها ، وحكي أنه اقتطف منها في كتابه هذا لُعمًا تدل عليها وتشير إليها ، بل هي أكثر مما تتسع له هذه العجالة اليسيرة التي أكتبها على عجل ، وأحب ألا أثقل فيها على نفسي وعلى القراء بإحصاء ذخائر قد يكون في إحصائها من إيلاام النفس وتعذيب الروح على فقدها وعبث المقادير بها أكبر مما في ذلك من التفتي بمجد الأسلاف والإشادة بما رُفُوا إليه من معارج البحث والتحقيق .

وقد قت لهذا الكتاب بعمل أرجو أن يكون مقبولا مرضيا عنه ، وسيعرف كل قارئ قيمة هذا العمل إذا رجع إلى هذه المطبوعة وقارنها بما طبع قبل ذلك ، وأكلُ إليه وحده تقدير هذا المجهود الضئلي ، وعند الله سبحانه في ذلك الجزاء الأوفى .

وحين نفذت جميع نسخ الطبعة الأولى رجعت إلى الكتاب ، وأطلتُ النظر فيه ، وراجعته مراجعة أدق ، وحرصت أن أراجعته على نسخ لم تكن تيسرت لي في المرة السابقة ، فجاء أدق وأصح ، والله سبحانه ولي التوفيق .

كتبه

عبدالمجيد بن عبدالحق

مصر الجديدة { بولية سنة ١٩٤٨ م
رمضان المعظم سنة ١٣٦٨ هـ

ترجمة المؤلف

(١) قال ابن شاکر فی فوات الوفيات (٩٤/٢ بتحقیقنا) ما نصه :
 علی بن الحسین بن علی ، أبو الحسن ^(١) ، المسعودی ، المؤرخ ، من ذریة
 عبد الله بن مسعود رضی الله عنه ، قال الشیخ شمس الدین : عِدَادُهُ
 فی البغدادیین ، وأقام بمصر مدة ، وكان أخبارياً علامة صاحب غرائب
 ومناجح ونوادر ، مات سنة ست وأربعین وثلثمائة ، وله من التصنيفات :
 کتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر فی تحف الأشراف والملوک ، وکتاب
 ذخائر العلوم وما کان فی سالف الدهور ، وکتاب الرسائل ، والاستذکار
 بما مر فی سالف الأعصار ، وکتاب التاریخ فی أخبار الأمم من العرب والمعجم ،
 وکتاب التنبيه والإشراف ، وکتاب خزائن الملوک وسر العالمین ، وکتاب
 المقالات فی أصول الديانات ، وکتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدیثان ،
 وکتاب البیان فی أسماء الأئمة ، وکتاب الخوارج ، والله أعلم . ١٠٠ بحروفه .

(٢) وقال ابن النديم فی الفهرست (ص ٢١٩ طبع مصر) :
 المسعودی : هذا الرجل من أهل المغرب ، يعرف بأبي الحسن علی بن
 الحسين بن علی المسعودی ، من ولد عبد الله بن مسعود ، مصنف لکتاب
 التواريخ وأخبار الملوک ، وله من الکتاب : کتاب يعرف بمروج الذهب
 ومعادن الجواهر فی تحف الأشراف والملوک ، وکتاب ذخائر العلوم وما کان
 فی سائر الدهور ، وکتاب الاستذکار لما مر فی سالف الأعمار ، کتاب
 التاریخ فی أخبار الأمم من العرب والمعجم ، وکتاب رسائل . ١٠٠

(٣) وقال جورجی زیدان فی کتاب تاریخ اللغة العربية (ج ٢ ص ٣١٣)
 (١) وقع فی أصل الفوات « أبي الحسين » والمحموط « أبو الحسن » كما نبهنا
 علیه هناك . وانظر — مع ما ذكرناه — شذرات الذهب لابن العماد ٣٧١/٢
 والنجوم الزاهرة ٣١٥/٣ وكشف الظنون ٤٩/١ بولاق .

هو علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، ولذلك قيل له المسعودي ، نشأ في بغداد وجاء مصر ، ورحل في طلب العلم إلى أقصى البلاد ، فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في إصطخر ، وفي السنة التالية قصد الهند إلى ملتان والمنصورة ، ثم عطف إلى كنباية فصي مور فسر نديب «سيلان» ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين ، وطاف البحر الهندي إلى مداغسكار وعاد إلى عمان ، ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ثم إلى الشام وفلسطين ، وفي سنة ٣٣٢ جاء أنطاكية والثغور الشامية إلى دمشق واستقر أخيراً بمصر ، ونزل القسطنطية سنة ٣٤٥ ، وتوفي في السنة التالية ، ولم يفتر في أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضعها ؛ فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد ، وألف كثير من الكتب المفيدة في مواضع شتى ، وأهمها في التاريخ ، وهالك أشهر مؤلفاته : (١) مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو أشهر من أن يعرف لشيوعه ، وقد طبع مراراً في جزئين ، وصَفَ في الأول منهما الخليقة وقصص الأنبياء مختصراً ، ثم وصف البحار والأرضين وما فيهما من العجائب ، ويدخل في ذلك تواريخ الأمم القديمة من الفرس والسراني واليونان والرومان والإفرنج والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها ، ثم عطف على تاريخ الرسالة الإسلامية من ظهور النبي إلى مقتل عثمان ، وذكر في المجلد الثاني تاريخ الإسلام من خلافة علي إلى أيام المطيع لله العباسي «توفي سنة ٣١٣» (١) .

ويظهر مما جاء في مقدمته أنه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في أيامه لم يصلنا منها إلا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري ، وأما الباقي فقد ضاع ، وفيه عشرات من

(١) أي أن وفاة المطيع كانت بعد وفاة المؤلف بسبعة عشر عاماً تقريباً .

كتب التاريخ والسياسة والاجتماع ، وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها في سواه ، ولذلك فقد عني المستشرق باريه دي مينار بنقله إلى اللغة الفرنسية ، وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في تسع مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراكشي في مجلة الضياء « سنة ٢ » ونقله إلى الإنجليزية الأستاذ سيرنجر ، وطبع الجزء الأول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١ .

(ب) كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الغابرة والممالك الدائرة ، وهو كبير طويل مثل اسمه ، يدخل في ٣٠ مجلدا ، وقد أكثر المسعودي من الإشارة إليه في مروج الذهب إذا اختصر الكلام في ناب قال : « وقد فصلنا ذلك في كتابنا أخبار الزمان » - لكن هذا الكتاب ضائع الآن ، وليس منه إلا الجزء الأول في مكتبة فينا .

(ح) الكتاب الأوسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين ، وقد ضاع أيضاً ، ولكن في مكتبة أكسفورد نسخة يظنون أنها هو ، ويظن بعض الباحثين أنه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق .

(د) كتاب التنبيه والإشراف : أودعه لمعا من ذكر الأفلاك وهيئاتها ، والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها ، وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والأرض وشكلها ومساحتها ، والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان ، وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصائب الأنهار ، وذكر الأمم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ، ثم ملوك الفرس على طبقاتهم ، والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والأنبياء ، ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبي وظهور الإسلام ، وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم إلى سنة ٣٤٥هـ ، وفيه أشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ ، وقد طبع في لندن سنة ١٨٩٤ في مجلة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة^(١) . اهـ بحروفه .

(١) وطبع بعد ذلك في مصر مرتين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل الحمد ، ومُسْتَوْجِبُ الثناء والمجد ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وسلّم تسليماً إلى يوم الدين .

باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب

أما بعد ، فإننا صَنَفْنَا كتابنا في أخبار الزمان ، وقَدَّمْنَا القول فيه في هيئة المؤلف كتابان اختصرهما في هذا الكتاب الأرض ، ومدُنُها ، وعجائبها ، وبحارها ، وأغوارها ، وجبالها ، وأنهارها ، وبدائع معادنها ، وأصناف مَنَآهلها ، وأخبار غِيَاضِها ، وجزائر البحار ، والبَحِيرَاتِ الصغار ، وأخبار الأبنية المُعظَّمة ، والمساكن المشرقة ، وذكر شأن المبدأ ، وأصل النسل ، وتبَايُنِ الأوطان ، وما كان نهراً فصار بحراً ، وما كان بحراً فصار بَرّاً ، وما كان بَرّاً فصار بحراً ، على مرور الأيام ، وكُرُورِ الدهور ، وعلة ذلك ، وسببه الفلكي والطبيعي ، وانقسام الأقاليم بخواص الكواكب ، ومعاطف الأوتاد ، ومقادير النواحي والآفاق ، وتباين الناس في التاريخ القديم ، واختلافهم في بَدْيِهِ وأُولِيَّتِهِ ، من الهند وأصناف الماحدين ، وماورد في ذلك عن الشرعيين ، وما نطقت به الكتب وورد على الديّانيين .

ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة ، والأمم الدائرة ، وَالْقُرُونِ الخالية ، والطوائف البائدة ^(١) [على مَرِّ سيرهم ، في تغير أوقاتهم وتضيف أعصارهم ، من الملوك والقرعنة العادية والأكاسرة واليونانية ، وما ظهر من حكمهم]

(١) في ابدل ما بين المعوقين ما نصه « على اختلاف أجناسهم ، وتغاير أنواعهم ، واختلاف أديانهم ، وما مضى في أكناف الزمان من حكمهم — إلخ »

ومقاتل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم ، وأخبار العناصر ، إلى ما في تَضَاعِيفِ ذلك من أخبار الأنبياء والرسل والأتقياء ، إلى أن أَفْضَى اللهُ بكرامته وشرف برسالاته محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا مولده ، ومنشأه ، وبعثه ، وهجرته ، ومعازيه ، وسراياه ، إلى أوان وفاته ، وانصال الخلافة ، وآساق المملكة بزمان زمن ، ومقاتل من ظهر من الطالبين ، إلى الوقت الذي شرعنا فيه في تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله أمير المؤمنين ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ وما اندرج في السنين الماضية ، من لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط .

ورأينا إيجاز ما بسطناه ، واختصار ما وسطناه ، في كتاب لطيف نُودِعُهُ لُجْعَ ما في ذِينِكَ الكتّابين مما ضَمِنَتْهُمَا ، وغير ذلك من أنواع العلوم ، وأخبار الأمم الماضية ، والأعصار الخالية ، مما لم يتقدم ذكره فيهما .

على أنا نعتذر من تقصير إن كان ، وَتَنْصَلُّ من إغفالٍ إن عَرَضَ ؛ لما قد شَابَ حَوَاطِرُنَا ، وَغَمَّرَ قُلُوبُنَا ، مِنْ تَقَاذُفِ الْأَسْفَارِ ، وَقَطْعِ الْغِفَارِ ، تَارَةً عَلَى مَتْنِ الْبَحْرِ ، وَتَارَةً عَلَى ظَهْرِ الْبَرِّ ، مُسْتَعْلِمِينَ بِدَائِعِ الْأُمَمِ بِالْمُشَاهَدَةِ ، طَارِفِينَ خَوَاصِّ الْأَقَالِمِ بِالْمُعَابَنَةِ ، كَقَطْعِنَا بِلَادَ السُّنْدِ وَالزَّمْجِ وَالصَّنْفِ وَالصِّينِ وَالزَّابِجِ ، وَتَقَحُّنَا الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، فَتَارَةً بِأَقْصَى خُرَّاسَانَ ، وَتَارَةً بِوَسَائِطِ إِرْمِينِيَّةٍ وَأَذَرَبَيْجَانَ وَالرَّانَ وَالْبِيلِقَانَ ، وَطَوْرًا بِالْعِرَاقِ ، وَطَوْرًا بِالشَّامِ ؛ فَسَيَرَى فِي الْأَفَاقِ ، مُرَى الشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَيَمَّمْ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ؛ فَتَارَةً

لَدَى شَرْقِهَا الْأَقْصَى وَطَوْرًا إِلَى الْغَرْبِ

سُرَى الشَّمْسِ ، لَا يَنْفِكُ تَقْدِفُهُ النَّوَى
إِلَى أَفْقٍ نَاءٍ يُقَصِّرُ بِالرَّكْبِ

قال المصنف : سم مفاوضتنا أصناف الملوك على تنابر أخلاقهم ، وتباين همهم ، وتباعد ديارهم ، وأخذنا بمسلك مسلك من موافقتهم^(١) ، على أن العلم قد بادت آثاره ، وطمس مناره ، وكثر فيه العناء ، وقلّ الفهماء ؛ فلتأين إلا مموها جاهلا ، ومتعاطيا ناقصا ، قد قنع بالظنون ، وعي عن اليقين ، لم نر الاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ لهذا الفن من الآداب ، حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات ، وأنواع الديانات ، ككتاب « الإبانة عن أصول الديانة » وكتاب « للقاتل في أصول الديانات » وكتاب « سر الحياة » وكتاب « نظم الأدلة » ، في أصول الملة « وما اشتمل عليه من أصول الفتوى وقوانين الأحكام : كتيقن القياس ، والاجتهاد في الأحكام ، ووقع الرأي والاستحسان ، ومعرفة الناسخ من المنسوخ ، وكيفية الإجماع وماهيته ، ومعرفة الخصاص والعلم ، والأوامر والنواهي ، والحظر والإباحة ، وما أتت به الأخبار من الاستفاضة والآحاد ، وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ، وما ألحق بذلك من أصول الفتوى ، ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه ، وموافقتهم في شيء منه ، وكتاب « الاستبصار » في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والاختيار ، وحيجاج كل فريق منهم ، وكتاب « الصفوة في الإمامة » وما احتواه ذلك ، مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والجلي والخفي والدائر والوافر ، وإيقاظنا على ما يرتبه المرتقيون ، ويتوقعه المحدثون ، وما ذكره من نور يلمع في الأرض وينبسط في الجذب والخصب ، وما في عقب الملاحم الكائنة ، الظاهر أنباؤها المتجلى أوائلها ، إلى سائر كتبنا في السياسة ، كالسياسة

المدينة وأجزاء المدينة ، ومثلها الطبيعية^(١) ، وانقسام أجزاء الملة ، والإبانة عن المواد^(٢) ، وكيفية تركيب العوالم ، والأجسام المساوية ، وما هو محسوس وغير محسوس ، من الكثيف واللطيف ، وما قال أهل النحلة في ذلك .

الباعث له على
التأليف

وكان مادعاني إلى تأليف كتابي هذا في التاريخ ، وأخبار العالم ، وماضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التي قصدتها العلماء ، وقفاها الحكماء ، وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً ، وعلماً منظوماً عتيداً ؛ فإننا وجدنا مصنفى الكتب في ذلك مجيداً ومقتصراً ، ومُسهباً ومختصراً ، ووجدنا الأخبار زائدة مع زيادة الأيام ، حادثة مع حدوث الأزمان ، وربما غاب البارخ منها على الفغان الذكي ، ولكل واحد قسطاً يخصه بمقدار عنايته ، ولكل إقليم عجائب يقتدر على علمها أهله ، وليس من لزم جهة وطنه^(٣) وقنع بما نبئ إليه من الأخبار عن إقليمه كن قسم عمره على قطع الأقطار ، ووزع أيامه بين نقاذف الأسفار ، واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مستكنه .

وقد ألفت الناس كتباً في التاريخ والأخبار بمن سلف وخلف ، فأنصاب البعض وأخطأ البعض ، وكل قد اجتهد بنائية إمكانه ، وأنهر مكنون جوهري فطنته : كوثب بن منبه ، وأبي مخنف لوط بن يحيى العامري ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي ، وابن السكبي ، وأبي سعيدة ميمون بن المثنى ، وأبي العباس الهمداني^(٤) ، والنهشتم بن عدى الطائي ، والشرقي بن القعقعي ، وسجاد الراوية ، والأصمعي ، وسهل بن هرون ، وعبد الله بن المقفع .

(١) هنا في ب زيادة نصها « وانقسام أجزاء تسكور المدينة ومثلها الطبيعية منه » ولا يستقيم لها معنى .
(٢) في ١ « عن المبادئ »
(٣) في ١ « لزج جرات وطنه »
(٤) في ١ « وابن عياش »

واليزيدى ، ومحمد بن عبد الله العُتبي ، والأموي^(١) ، وأبي زيد سعيد بن
أوس الأنصاري ، والنضر بن شميل ، وعبد الله بن عائشة^(٢) ، وأبي عبيد
القاسم بن سلام ، وعلي بن محمد المدائني ، ودماذ بن رفيع بن سلمة^(٣) ، ومحمد
ابن سلام الجُمحي ، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبي زيد عمر بن
شعبة النميري ، والزرقاني الأنصاري ، وأبي السائب الخزومي ، وعلي بن محمد
ابن سليمان النوفلي ، والزبير بن بكار ، والإنجلي ، والرياشي ، وابن عابد^(٤) ،
وعمار بن وسيمة المصري ، وعيسى بن لهيعة المصري ، وعبد الرحمن بن عبد
الله بن عبد الحكم المصري ، وأبي حسان الزياتي ، ومحمد بن موسى^(٥)
الخوارزمي ، وأبي جعفر محمد بن أبي السري ، ومحمد بن الهيثم بن شبابة
الخراساني صاحب كتاب الدولة ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب
كتاب الأغاني وغيره من الكتب ، والخليل بن الهيثم الحرثي^(٦) صاحب
كتاب الحيل والمكايد في الحروب وغيره ، ومحمد بن يزيد المبرّد الأزدی ،
ومحمد بن سليمان المنقري الجوهري ، ومحمد بن زكريا القلابي [المصري]
المصنف للكتاب المترجم بكتاب الأجواد وغيره ، وابن أبي الدنيا^(٧) مؤدب
للكوفي بالله ، وأحمد بن محمد الخراساني المعروف بالحقاني الأنطاكي ، وعبد الله
ابن محمد بن محفوظ البلوي الأنصاري صاحب أبي يزيد عمار بن زيد
المديني^(٨) ، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان ، وأحمد
ابن أبي طاهر صاحب الكتاب المعروف بأخبار بغداد وغيره ، وابن الوشاء ،
وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين وغيره ، ومحمد بن
صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ، ويوسف بن إبراهيم

- (١) في ب « وآمدي » (٢) في ب « وعبد الله بن عائشة »
(٣) في ب « ابن ربيع بن سلمة » (٤) في ب « وابن عائدة »
(٥) في ب « ومحمد بن عيسى الخوارزمي » (٦) في ب « الحرثي »
(٧) في ب « وابن أبي الزبي » (٨) في ب « الهيثمي »

صاحب أخبار إبراهيم بن المهدي وغيرها ، ومحمد بن الحارث الثعالبي^(١) صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره ، وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب ، وعبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة ؛ فإنه كان إماماً في التأليف متبرعاً في ملاحاة التصنيف ، أنبأه من يُعتمد ، وأخذ منه ، ووطئ على عقبه ، وفقاً أثره . وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير في التاريخ فإنه أجمع هذه الكتب جداً ، وأبرعها نظماً ، وأكثرها علماً ، وأخوياً لأخبار الأمم وملوكهم وسيرها من الأعاجم وغيرها ، ومن كتبه النفيسة كتابه في المسالك والممالك وغير ذلك مما إذا طلبته وجدته ، وإذا تفقدته حمدته ، وكتاب التاريخ المولد إلى الوفاة ، ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك إلى خلافة المعتضد بالله ، وما كان من الأحداث والسكوات في ألامهم وأخبارهم ، تأليف محمد بن علي الحسيني العلوي الدينوري ، وكتاب التاريخ لأحمد بن يحيى البلاذري ، وكتاباه أيضاً في البلدان وفتوحها صامحاً وعثوة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما فتح في أيامه وعلى يد الخلفاء بعده ، وما كان من الأخبار في ذلك ، ووصف البلدان في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه ، وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم ، وهو جد الوزير علي ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الأخبار والسكوات في الأعصار قبل الإسلام وبعده ، تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسين^(٢) ابن سوار المعروف بابن أخت عيسى بن فرخان شاه ، بلغ في تصنيفه إلى سنة عشرين وثلاثمائة ، وتاريخ أبي عيسى بن المنجم على ما أنبأت به التواريخ وغير ذلك من أخبار الأنبياء والملوك وكتاب التاريخ ، وأخبار الأمويين ومنابعهم ، وذكر

(١) في « الثعالبي »

(٢) في ب « محمد بن الحسن »

فضائلهم ، وما أتوا^(١) به عن غيرهم ، وما أحدثوه من السير في أيامهم ، تأليف أبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي ، وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ ، والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف ابن وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الأخبار ، وكتاب السير والأخبار لمحمد بن خالد الهاشمي ، وكتاب التاريخ والسير لأبي إسحاق بن سليمان الهاشمي ، وكتاب سير الخلفاء لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره ، فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ، ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته ، وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على ثناؤه على ابن جرير الطبري المؤلفات ، والزائد على الكتب [المصنفات] ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته ، وتنفع طائفته ، وكيف لا يكون كذلك ؟ ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحجّة السنن^(٢) والآثار ، وكذلك تاريخ أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بـ *بَيْفُطَوَيْهِ* فحشو من ملاحاة كتب الخاصة ، ملوء من فوائد السادة ، وكان أحسن أهل عصره تأليفاً ، وأملحهم تصنيفاً ، وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الأوراق في أخبار الخلفاء من بني العباس [وبني أمية]^(٣) ، وشعرائهم ، ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرّد بها لأنه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظاً من العلم ، ممدوداً من المعرفة^(٤) مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف ، وكذلك كتاب الوزراء وأخبارهم لأبي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة ؛ فإنه بلغ في

(١) في ب « وما أتوا به » (٢) في ا « وحلة السير والآثار »

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ا (٤) في ا « ممدوداً من المعرفة »

تناؤه على قدامة تصنيفه إلى آخر أيام الراضى بالله ، وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر ابن جعفر الكاتب ؛ فإنه كان حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزاً للألفاظ ، مقرباً للمعاني ، وإذا أردت علم ذلك فانظر في كتابه في الأخبار المعروف بكتاب زهر الربيع ، وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج ؛ فإنك تشاهد بهما حقيقة ما قد ذكرنا ، وصدق ما وصفنا ، وما صنفه أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه في كتابه في الأخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة للمبرد ولقبه بالباهر ، وكتاب إبراهيم بن ماهويه الفارسي الذى عارض فيه للمبرد في كتابه المللق بالكمال ، وكتاب إبراهيم بن موسى الواسطى الكاتب في أخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود ابن الجراح في الوزراء ؛ وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالطوق في أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله ، وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى ، وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق المعروف بالجوزجاني السعدى^(١) ، وكتاب التاريخ وأخبار الموصل تأليف أبي ذكرة الموصلى ، وكتاب التاريخ تأليف أحمد بن يعقوب المصرى في أخبار العباسيين وغيرهم ، وكتاب التاريخ في أخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبد الله ابن الحسين بن سعد الكاتب ، وكتاب محمد [بن مزيد] بن أبي الأزهر في التاريخ وغيره ، وكتاب المترجم بكتاب المهرج والأحداث .

تقد المؤلف
لثابت بن قرة
ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحراني^(٢) - حين انتحل ما ليس من
صناعته ، واستهجن ما ليس من طريقته قد ألف كتاباً جعله رسالة إلى بعض
إخوانه من الكتاب ، واستفتحته بمجموع من الكلام في أخلاق النفس وأقسامها
من الناطقة والغضبية والشهوانية ، وذكر كُمعاً من السياسات المدنية مما ذكره
أفلاطون في كتابه في السياسة المدنية ، وهو عشر مقالات ، ولعمراً ما يجب على
الملوك والوزراء ، ثم خرج إلى أخبار يزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ،

(١) في « المعروف بالجرجاني السعدى » . (٢) في ب « الجرجاني »

ووصل ذلك بأخبار المعتضد بالله ، وذكر صحبته إياه ، وأيامه السالفة [معه]
ثم ترقى إلى خليفة خليفة في التصنيف ، مضادة لرسم الأخبار [والتواريخ]
وخروجاً عن جملة أهل التأليف ، وهو وإن أحسن فيه ، ولم يخرج عن
معانيه ، فإنما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته ، وتكلف ما ليس من مهنته ،
ولو أقبل على عامه الذي انفرد به من علم إقائيدس والمقطعات ^(١) والمجسطي
والمدورات ، ولو استفتح آراء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، فأخبر عن
الأشياء الفلكية ، والآثار العلوية ، والمزاجات الطبيعية ، والنسب والتأليفات ،
والنتائج والمقدمات ، والصنائع المركبات ، ومعرفة الطبيعيات : من الإلهيات ،
والجواهر والهيآت ، ومقادير الأشكال ، وغير ذلك من أنواع الفلسفة —
لكان قد سلم بما تكلفه ، وأتى بما هو أليق بصنعتة ، ولكن العارف بقدره
مُعَوِّز ، والعالم بمواضع الخلطة مفقود ، وقد قال عبد الله بن المقفع : مَنْ وضع
كتاباً فقد استهدف ، فإن أجاد فقد استشرف ، وإن أساء فقد استغذف ^(٢)

قال أبو الحسن [علي بن الحسين بن علي] المسعودي : ولم نذكر من كتب
التواريخ والأخبار والسير والآثار إلا ما اشتهر مصنفوها ، وعرف مؤلفوها
ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال
وأعصارهم وطبقاتهم ؛ إذ كان ذلك [كله] أكثر من أن نأتي على ذكره في
هذا الكتاب ، إذ كنا قد أتيننا على جميع تسمية أهل الأعصار من حملة الآثار ،
وقلة السير والأخبار ، وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ، ثم مَنْ تلاهم من
التابعين ، وأهل كل عصر على اختلاف أنواعهم ، وتنازعهم في آرائهم : من قهاء
الأمصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل ، إلى سنة اثنتين وثلاثين
وثمناثة ، في كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان ، وفي الكتاب الأوسط .

(١) في ب « والعظمت » .

(٢) في ا « قد استترف » ولعلها « قد استهدف » .

المؤلف يذكر
أنه أودع كتابه
أجزل الفوائد
وقد سمت كتابي^(١) هذا بكتاب «مروج الذهب ، ومعادى الجوهر» ؛
لنفاسه ما حواه ، وعظم خطره ما استولى عليه : من طوابع بوارع ما تضمنته^(٢)
كتبنا السالفة في معناه ، وغرر مؤلفاتنا في مغزاه ، وجعلته تحفة للأشراف

من الملوك وأهل الدرايات ؛ لما قد ضمنت من جمل ما تدعو الحاجة إليه ،
وتنزع النفوس إلى علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان ، وجعلته منبهاً
على أغراض ماسلف من كتبنا ، ومشتملاً على جوامع يحسن بالأديب العاقل
معرفتها ، ولا يُعذر في التغافل عنها ، ولم تترك نوعاً من العلوم ، ولأفنا من
الأخبار ، ولا طريقة من الآثار ، إلا وأوردناه في هذا الكتاب مفصلاً ، وأذكرناه
بجلا ، وأبشرنا إليه بضرب من الإشارات ، أولو حنا إليه بفحوى من العبارات .

المؤلف ينهى
عن التصرف
في الكتاب
ويخوف من
ذلك
فن حرّف شيئاً من معناه ، أو أزال ركناً من مبناه ، أو طمس واضحة
من معالمه ، أو لبس شهادة^(٣) من تراجمه ، أو غيره ، أو بدّله ، أو أشأه^(٤) ،
أو اختصره ، أو نسبه إلى غيرنا ، أو أضافه إلى سوانا ، فوفاه من غضب
الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ، ويحار له فكره ،
وجعله الله مثلاً للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبة الله
ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه : من قوة ونعمة مُبدع
السموات والأرض ، من أى الملل كان والآراء ، إنه على كل شيء قدير .

وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي هذا وآخره ، ليكون رادعاً لمن
ميله هوى ، أو غلبه شقاء ، فليراقب الله ربه ، وليحاذر مُنقلبه ، فالدة
يسيرة ، والمسافة قصيرة ، وإلى الله المصير .

وهذا حين نبداً بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الأبواب ،
وما حوى كل باب منها من أنواع الأخبار ، وبالله التوفيق .

(١) في « وقد رسمت كتابي » (٢) في « من طوابع ما ضمنت تواريج »

(٣) في « شاهرة » . (٤) في « أو انتخبه » وأشأه : أفسده .

الباب الثاني

ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب

مباحث
الكتاب

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكر ما لأغراضه ، فانذكر الآن
جلاً من كمية أبوابه على حسب مراتبها فيه ، واستحقاقها منه ، لكي يقرب
نناولها على مریدها .

فأول ذلك ذكر المبدأ ، وشأن الخليفة ، وذو الدبرية من آدم إلى إبراهيم
عليهما الصلاة والسلام .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ومن نلا عصره من الأنبياء والملوك من
بنى إسرائيل .

ذكر ملك أرخمص بن سليمان بن داود ، ومن نلا عصره من ملوك بنى
إسرائيل ، وجل من أخبار الأنبياء والملوك من بنى إسرائيل .

ذكر أهل الفترة ، ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم .
ذكر جل من أخبار الهند وأربابها ، ومدد بمالكها ، وسيرها وآرائها
في عبادتها^(١) .

ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ، والأقاليم السبعة
وما والاها من السكواكب وغير ذلك .

ذكر جل من الأخبار عن أسقال البحار ، وجل من أخبار الأنهار الكبار .

ذكر الأخبار عن البحر الحبيشى ، وما قبل في مقداره وتشعبه وخليجانه .

ذكر منازع الناس في المد والجزر ، وجوامع ما قيل في ذلك .

ذكر البحر الرومى ، ووصف ما قيل في ملوله وعرضه وابتدائه واتبائه .

ذكر بحر نيطس ، وبحر مايطس ، وخليج القسطنطينية .

(١) في « أخبار الهند وآرائها وبدء بمالكها وسيرها وآدابها في عبادتها »

ذكر بحر الباب والأبواب والْخَزَرِ وَجُرْجَانِ ، وجملة من الأخبار عن ترتيب جميع البحار .

ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عامور ، وأخبار الصين وملوكهم ، وجوامع من سيرهم وسياساتهم [وغير ذلك] .

ذكر جل من الأخبار عن البحار ، وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ، ومراتب الملوك ، وغير ذلك .

ذكر جبل القبيج^(١) ، وأخبار الأمم من اللان والسيرير [والْخَزَرِ] ، وأنواع من الترك والبلقر ، وأخبار الباب والأبواب ، ومن حولهم من الملوك والأمم .

ذكر ملوك السريانيين .

ذكر ملوك الموصل وِئِنَوَى ، وهم الصوريون^(٢) .

ذكر ملوك بابل^(٣) من النبط وغيرهم ، وهم الكلدانيون .

ذكر ملوك الفرس الأولى وسيرها ، وجوامع من أخبارها .

ذكر ملوك الطوائف الأشعانيين^(٤) ، وهم بين الفرس الأولى والثانية .

ذكر أنساب فارس ، وما قاله الناس في ذلك .

ذكر ملوك الساسانية ، وهم الفرس الثانية ، وسيرهم ، وجوامع من أخبارهم

ذكر ملوك اليونانيين وأخبارهم ، وما قال الناس في بدء أنسابهم .

ذكر جوامع من أخبار حرب الإسكندر بأرض الهند^(٥) .

ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر .

ذكر الروم وما للناس في بدء أنسابهم ، وعدد ملوكهم ، وتاريخ سنيهم ،

وجوامع من سيرهم .

(١) في ١ « جبل القبيج » وفي ب « جبل الفتح » .

(٢) في ١ « الأثوريون » . (٣) في ب « ملوك قبائل من النبط » .

(٤) في ١ « والأشغان » . (٥) في ١ « من أخبار جرت للإسكندر » .

ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وهم ملوك القسطنطينية ، ولمع مما كان في أعصارهم .
ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ، إلى أرمنوس ، وهو الملك في
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

ذكر مصر ، ونيلا ، وأخبارها ، وبنائها ، ومجائبها ، وأخبار ملوكها .
ذكر أخبار الإسكندرية ، وبنائها ، وملوكها [ومجائبها ، وما لحق بهذا
الباب] .

ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم وأنواعهم ، وتباينهم
في ديارهم ، وأخبار ملوكهم .
ذكر الصقالة ، ومساكنهم ، وأخبار ملوكهم ، ونفرق أجناسهم .
ذكر الإفريقية والجلالقة وملوكهما ، وجوامع من أخبارهما [وسيرهما]
وحروبهما مع أهل الأندلس .

ذكر النوكرد وملوكها ، والأخبار عن مساكنها^(١) .
ذكر عاد وملوكها ، ولُمع من أخبارها ، وما قيل في طول أعمارهم .
ذكر ثمود وملوكها ، وصالح نبيها عليه السلام ، ولمع من أخبارها .
ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ، ومن تداوله من جرهم وغيرهم ،
وما لحق بهذا الباب .

ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان ، وحنين النفوس
إلى الأوطان .

ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنًا ، والشام شاما ،
والعراق ، والحجاز .

ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله الناس في ذلك .
ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها ، وسيرها ، ومقادير سنيها .

(١) في « مسالكها » .

ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم ، وأخبارهم .
 ذكر ملوك الشام من اليمن [من غسان] وغيرهم ، و [ما كان من] أخبارهم .
 ذكر البوادي من العرب ، وغيرهم من الأمم ، وعلة سُكناها البدو ،
 وأكراد الجبال ، وأنسابهم ، وجمل من أخبارهم ، وغير ذلك مما اتصل
 بهذا الباب .

ذكر دِيانات العرب ، وآرائها في الجاهلية ، وتفرقها في البلاد ، وأخبار
 أصحاب الفيل ، وأمر الأحابيش ، وغيرهم ، وعبد المطلب ، وغير ذلك مما
 يلحق بهذا الباب .

ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهَام والصَّفر ، وأخبارها في ذلك
 ذكر أقاويل العرب في التَّغُولِ والغِيلان ، وما قاله غيرهم من الناس
 في ذلك ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني .
 ذكر أقاويل الناس في المَوَاتِفِ والجَانِّ ، من العرب وغيرهم ممن أثبت
 ذلك ونفاه .

ذكر ما ذهب إليه العرب من القِيَافَةِ والعِيَافَةِ والزَّجَرِ والسَّامِخِ والبارح ،
 وغير ذلك .

ذكر الكَهَانَةِ وصفتها ، وما قاله الناس في ذلك من أخبارها ، وحدِّ
 الناطقة وغيرها من النفوس ، وما قيل فيما يراه النَّاسُ ، وما اتصل بهذا الباب .
 ذكر جمل من أخبار الكهّان ، وسيل العَرَمِ بأرض سبأ ومأرب ،
 وتفرق الأزد في البلدان وسكنهم في البلاد .

ذكر سني العرب والعجم ، وشهورها ، وما اتفق منها وما اختلف .
 ذكر شهور القبط والسريانيين ، والخلاف في أسمائها ، وجمل من
 التاريخ ، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى .

ذكر شهور السريانيين ، ووصف موافقتها لشهور الروم ، وعدد أيام
 السنة ، ومعرفة الأنواء .

ذكر شهور الفرس ، وما اتصل بذلك .

ذكر أيام الفرس ، وما اتصل بذلك .

ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها .

ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية ، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى .

ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم ، وجمل مما قيل في ذلك مما

اتصل بهذا الباب .

ذكر أرباع العالم^(١) [والطبائع والأهوية] ، وماخص به كل جزء منه ،

من الشرق والغربي واليمنى والجنوبى ، وغير ذلك من سلطان الكواكب .

ذكر البيوت للعظمة ، والهياكل المشرفة ، وبيوت النيران والأصنام ،

وعبادات الهند ، وذكر الكواكب ، وغير ذلك من عجائب العالم .

ذكر البيوت للعظمة عند اليونانيين ، ووصفها .

ذكر البيوت للعظمة عند الصقالية ، ووصفها .

ذكر البيوت للعظمة عند أوائل الروم ، ووصفها .

ذكر بيوت معظمة وهياكل مشرفة للصابئة من الحرانيين ، وغيرها ،

وما فيها من العجائب والأخبار وغيرها^(٢) .

ذكر الأخبار عن بيوت النيران ، وكيفية بنائها ، وأخبار الجوس فيها ،

وما لحق بينها .

ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ،

وما اتصل بهذا الباب [من العلوم] .

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب .

ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام ، وما كان في ذلك إلى هجرته صلى الله

عليه وسلم .

(١) في ب « ذكر أنواع العالم » وما بين الحاصرتين ساقط من ب .

(٢) في ا « والأخبار عنها » .

ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .
ذكر الأخبار عن أمور وأحوال كانت من مولده إلى حين وفاته
صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما بدىء به عليه الصلاة والسلام من الكلام ، مما لم يحفظ قبله
عن أحد من الأنام .

ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونسبه ، وابع من أخباره وسيره .
ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونسبه ، وابع من أخباره وسيره .
ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ونسبه ، وابع من أخباره وسيره .
ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونسبه ، وابع من أخباره وسيره .
ونسب إخوته وأخواته .

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه ، وما كان فيه من الحروب ، وغير ذلك .
ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بعضين .

ذكر الحكمين ، وبدء التعكيم .
ذكر حروبه رضي الله عنه مع أهل التَّهْرَوان ، وهم الشُّرَاقَة ، وما لحق
بهذا الباب .

ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
ذكر لمع من كلامه ، وزهده ، وما لحق بهذا المعنى من أخباره .
ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابع من
أخباره وسيره .

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان ، وابع من أخباره وسيره ، ونواذر من
بعض أخباره .

ذكر جل من أخلاق معاوية وسياسته ، وطرف من عيون أخباره .
ذكر الصحابة ومدحهم ، وعلي بن أبي طالب والعباس رضي الله عنهم ، وفضلهم .
ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، ومن قتل من أهل بيته وشيعته .

ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

ذكر لمع من أخبار يزيد بن معاوية وسيره ، ونوادير من بعض أفعاله ، وما كان منه في الحرّة وغيرها .

ذكر أيام معاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، والمختار بن أبي عبيد ، وعبد الله بن الزبير ، ولمع من أخبارهم وسيرهم ، وبعض ما كان في أيامهم .

ذكر أيام عبد الملك بن مروان ، ولمع من أخباره وسيره ، والحجاج بن يوسف ، وأفعاله ، ونوادير من أخباره .

ذكر لمع من أخبار الحجاج بن يوسف وخطبه ، وما كان منه في بعض أفعاله .

ذكر أيام الوليد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره [وما كان من الحجاج في أيامه] .

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضى الله عنه . ولمع من أخباره وسيره وزُهدِهِ .

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر أيام هشام بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر أيام الوليد بن يزيد عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ولمع من أخبارهما .

ذكر السبب في العصية بين اليمانية والنزارية ، وما ولد ذلك على بني أمية من الفتنة .

ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وحروبه ، ومقتله .

ذكر مقدار المدة من الزمان ، وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام .
 ذكر الدولة العباسية ، ولع من أخبار مروان ، ومقتله ، وجوامع من
 حروبه وسيره .

ذكر خلافة السفاح ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة أبي جعفر المنصور ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المهدي ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الهادي ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الرشيد ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر البرامكة وأخبارهم ، وما كان منهم في أيامهم .
 ذكر خلافة الأمين ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المأمون ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتصم ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الواثق ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المتوكل ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المنتصر ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المستعين ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتز ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المهتدي ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتمد ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتضد ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المستنفي ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة القادر ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الرازي ، وجل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .

ذكر خلافة المتقي لله ، وجل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المستكني ، وجل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المطيع ، وجل من أخباره وسيره ، ولمع كان قد جرى في أيامه .
 ذكر جامع التاريخ الثاني : من الهجرة إلى هذا الوقت ، وهو جمادى
 الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقد انتهينا فيه إلى الفراغ من هذا
 الكتاب .

ذكر مَنْ حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ،
 وهو آخر الكتاب .

[ذكر جمل ألقابهم وما ورد عن ذوى الدراية في أعدادهم]^(١) .
 قال المسعودي : فهذه جوامع^(٢) ما حوى هذا الكتاب من الأبواب ،
 على أنه [قد] يأتي في كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الأخبار
 والآثار ما لم تأت عليه تراجم الأبواب ، وهو مرتب على حسب ما قدمناه
 من أبوابه على تفصيل منا لتاريخ الخلفاء ومقادير أعمارهم^(٣) بأبواب نُفِردَها
 عن سيرهم وأخبارهم ، ثم نعقب بعد ذلك بالغرر من أخبارهم ، والعيون
 من سيرهم ، والجوامع مما كان في أعصارهم ، وأخبار وزراءهم ، وما جرى
 من أنواع العلوم في مجالسهم ، مُؤَوِّجين [بذلك] إلى ما سلف من تصنيفنا ،
 وتقدم من تأليفنا ، في هذه المعاني والفنون .

وعدد [ما اجتمع من جميع] ما اشتمل [عليه] هذا الكتاب من الأبواب
 مائة [باب] واثان وثلاثون بابا ، أولها ذكر جميع أغراض هذا الكتاب ،
 والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب ، وآخرها ذكر
 مَنْ حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة [وذكر
 جمل ألقابهم]^(١) .

(١) ما بين الحاصرتين نقاط من . . . (٢) في ١ « فهذا جوامع » .
 (٣) في ١ « ومقدار أعمارهم » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقى إلا بالله

الباب الثالث

ذكر المبدأ، وشأن الخليقة

وَذَرَاءَ التَّبَرِّيَّةِ

اتفق أهل العلم^(١) جميعاً من أهل الإسلام أن الله عز وجل خلق الأشياء على غير مثالٍ، وابتدعها من غير أصل، ثم روى عن ابن عباس وغيره: «أن أول ما خلق الله عز وجل الماء، وكان عرشه عليه، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَانًا، فارتفع [الدخان] فوق الماء فسمَّاهُ سماء، ثم أَيْبَسَ الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فَتَّقَهَا فجعلها سَبْعَ أَرْضِينَ، في يومين الأحدي والاثنين، وخلق الأرض على حوت^(٢)، والحوت هو الذى ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) والحوت في الماء، والماء على الصفا، والصفا على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح، وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه: (يا بُنَيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير) فاضطرب الحوت، فزلزلات الأرض، فأرْسَى الله عليها الجبال فقَرَّتْ الأرض، وذلك قوله تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) وخلق الجبال فيها، وخلق أقوات أهلها، وسخرها^(٣). وما ينبغى لها، في يومين [في] يوم الثلاثاء

(١) في ١ «أهل الله» .

(٢) ليس في ذلك سنة صحيحة ولا دليل من العقل الواعى .

(٣) في ١ «وشجرها وما ينبغى لها» .

والأرباء ، وذلك قوله تعالى: (قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين) فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبعة في يومين في يوم الخميس والجمعة ، وإنما سمي الجمعة لأن الله جمع فيه خلق السموات والأرض، ثم قال: (وأوحى في كل سماء أمرها) يقول: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد ، وأن سماء الدنيا من زمردة خضراء ، والسماء الثانية من فضة بيضاء ، والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء ، والسماء الرابعة من درة بيضاء، والسماء الخامسة من ذهب أحمر ، والسماء السادسة من ياقوتة صفراء، والسماء السابعة من نور ، قد طلبها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيماً لله لتقربهم منه، قد خرقت أرجأهم الأرض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت الأرض السابعة ، ورءوسهم تحت العرش من غير أن تبلغ العرش، وهم يقولون: لا إله إلا الله ذو العرش المجيد ، فهم على ذلك منذ خلقوا إلى أن تقوم الساعة، وتحت العرش بحر تنزل منه أرزاق الحيوان ، يوحى الله تعالى إليه فيمطر ما شاء الله من سماء إلى سماء ، حتى ينتهي إلى موضع يقال له الأبرم، فيوحى الله إلى الريح فتحمله إلى السحاب فتغربه ، وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يطفح فيه من الدواب مثل ما في بحور الأرض مستمسك بالقدرة ، وأن الله تعالى أسكن ظهر الأرض - لما فرغ من خلقها - الجن ، قبل آدم ، فجعلهم من مارج من نار ، وإبليس فيهم ، ففهم الله أن يفسكو أدم البهائم ، وأن يظهر والعصية بينهم، ففسكوا وعدا بعضهم على بعض، فلما رأهم إبليس لا يقرعون عن ذلك سأل الله تعالى أن يرفعه إلى السماء ؛ فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة، وأرسل الله إلى الجن - وهم حزب إبليس - قبيلة من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحار

وقتلوا مَنْ شاء الله منهم ، وجعل الله إبليس على سما الدنيا خازنا ، فوقع في صدره كبر^(١) .

ثم شاء الله عز وجل أن يخلق آدم فقال الله للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة) فقالوا : ربنا وما يكون^(٢) ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذرية ، ويُفسدون في الأرض ، ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضا ، فقالوا : ربنا (أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون) .

ثم بعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت له الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقصني ! فرجع ولم يأخذ منها شيئا [وقال : يارب ، إنها عاذت بك] ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك ، فرجع ولم يأخذ منها شيئا ، فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ الأمر ، فأخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء ؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين في الألوان ، وسمى آدم ، لأنه أخذ من أديم الأرض ، وقيل غير ذلك . ووكّل الله ملك الموت بالموت ، وجبّله الله تعالى ، [وتركه] حتى صار طينا لا زبا يلزق بعضه ببعض ، أربعين سنة ، ثم تركه حتى آتت وتغير أربعين سنة ، وذلك قوله تعالى : (من سحاً مَسْنُون) أي : متغير منتن ، ثم صوّره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وهو قوله تعالى : (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) فكانت الملائكة تمرّ به فيفزعون منه ، وكان أشدهم فزعاً إبليس ، كان يمر به فيضربه برجله ، فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة ، وذلك

(١) في ١ « فوقع في صدره الكبر » .

(٢) في ١ « ومن يكون ذلك الخليفة » .

الجزء الأول: ذكر المبدأ وشأن الخليقة ٣١

قوله تعالى : (من صلصال كالفخار) وقد قيل : إن الصلصال غير ما ذكرناه ، وكان إبليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ، ويقول : لأمر ما خلقت ، فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس (أبى واستكبر) وقال : يا رب (أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين ، وأنا الذي كنت مستخلفاً في الأرض ، وأنا الملبس بالريش والوشح بالنور ، والمتوج بالكرامة ، وأنا الذي عبدتك في سماءك وأرضك ، فقال الله تعالى : (فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) فسأل الله المهلة إلى يوم يُبعثون ، فأنظره الله إلى يوم الوقت المعلوم ، وذهب على إبليس المعنى الذي له ومن أجله أمر آدم بالسجود : فمن الناس من رأى أن آدم كان محرراً للمأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل ، وموافقة الأمر والطاعة على سبيل البلوى والاختبار والحنة الواقعة بالكافرين ، ومنهم من رأى غير ذلك ، ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه ؛ فكان كلما دخل في بعضه الروح ^(١) يذهب ليجلس فقال الله تعالى : (وكان الإنسان عجولاً) ولما تتابع ^(٢) فيه الروح عطس ، فقال الله له : قل الحمد لله ، يرحمك الله يا آدم .

قال المسعودي : وما ذكرناه من الأخبار في مبدأ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ^(٣) ، وقوله الخلف عن السلف ، والباقي عن الماضي ، فعبرنا عنهم على حسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم ، مع شهادة الدلائل بحديث العالم واتصاحها بكونه ، ولم نتعرض لوصف قول من وافق ذلك واتقاد إليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ، ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالتقدم ؛ لذا ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وقد ذكرنا في مواضع كثيرة

(١) في ١ « فكان كلما حلت في بعضه الروح ذهب ليجلس » .

(٢) في ١ « فلما تبالع فيه الروح عطس » .

(٣) أغلب هذا التفصيل إسرائيلي ولا يثبت وكل ما ليس في القرآن نصاً لا يوثق به .

من كتابنا هذا جُملاً من علوم النظر والبراهين والجدل تتعاقب بكثير من الآراء والنحل [وذلك] على طريق الخبر .

وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : إن الله حين شاء تقدير الخليفة وذرة البرية وإبداع المبدعات نصّب الخلق في صور كالمهباء قبل دخو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح^(١) نوراً من نوره فلمع، وإنزع أقبساً من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقال الله عز من قائل : أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأمرج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكك عليهم دقيق ولا يُعيبهم خفي^(٢)، وأجعلهم حجتي على بريتي، والمنهين على قدرتي ووحدانيتي، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص والوحدانية فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب ببصائر الخلق انتخاب محمد وآله^(٣)، وأراهم أن الهداية معه والنور له والإمامة في آله؛ تقديماً لبسنة العدل، وليكون الإغذار متقدماً، ثم أخفى الله الخليفة في غيبه، وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوامل وبسط الزمان، ومرّج الماء، وأثار الزبد، وأهاج الدخان، فطفأ عرشه على الماء، فسطح الأرض على ظهر الماء، وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء ثم استجلبهما إلى الطاعة فأذعننا بالاستجابة، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

(١) في ١ « فأساح » .

(٢) في ١ « لا يخفى عليهم دقيق، ولا يغيّب عنهم خفي » .

(٣) في ب « قبل أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخاب محمد وآله »

فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض ، فلما خلق آدم أبان فضله للملائكة ، وأراهم ماخصه به من سابق العلم من حيث عرقه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء ؛ فجعل الله آدم محرأوا وكعبة وبابا وقبلة أسجد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار ، ثم كتبه آدم على مستودعه ، وكشف له [عن] خطر ما ائتمنه عليه ، بعد ما سماه إماما عند الملائكة ، فكان حظ آدم من الخير ما أراه^(١) من مستودع نورنا ، ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان إلى أن فضل محمدا صلى الله عليه وسلم في ظاهر الفترات ، فدعا الناس ظاهراً وباطناً ، وندبهم سرّاً وإعلاناً ، واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّ قبل النسل ؛ فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدى إلى سره ، واستبان واضح أمره ، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط ، ثم انتقل النور إلى غرائزنا ، وابع في أئمتنا ؛ فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض ، فبنا النجاة ، ومنا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأمور ، وبمهديتنا تنقطع الحجج ، خاتمة الأئمة ، ومنقذ الأمة ، وغاية النور ، ومصدر الأمور ، فنحن أفضل المخلوقين ، وأشرف الموحدين ، وحجج رب العالمين ؛ فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا ، وقبض على غرورتنا ، فهذا ما روى عن أبي عبد الله جعفر ابن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولم تتعرض لكثير من أسانيد هذه الأخبار وطرقها ؛ لأننا قد أتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل بمن ذكرناها عنه وعزّوناها إليه فيما سلف من كتبنا خوف الإكثار والتطويل في هذا الكتاب .

وأما ما وجد في التوراة فهو أن الله تعالى ابتداء الخلق في يوم الاثنين ، وكان انتهاء الفراغ يوم السبت ، فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيداً ، وزعم

(١) في « ثبأوه بمستودع » .

أهل الإنجيل أن المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الأحد؛ فاتخذوا ذلك اليوم عيداً. أما مذهب إليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو أن الابتداء كان يوم الأحد والفراغ يوم الجمعة، وفيه نُفِخَ في آدم الروح، وهو اليوم السادس من نيسان، ثم خلقت حواء من آدم، وأسكننا الجنة لثلاث ساعات مَبَضَّتْ منه، فمكثنا ثلاث ساعات، وهو ربيع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا، وأهبط الله آدم بسرنديب، وحواء بمجدة، وإبليس ببيسان، والحية بأصبهان، فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب، على جبل الراهون وعليه الورق الذي خَصَفَهُ من ورق الجنة، فبِيس، فذَرَتْهُ الرياح، فانتثر في بلاد الهند، فيقال والله أعلم: إن علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب، وكذلك الجبل، لمعت عليه اليواقيت، وكان من المساس، وفي جزائر بحره السبازج، وفي قعره مغائص اللؤلؤ، وإن آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها ومعه صرة من الخنطة وثلاثون قضيباً من شَجَرَات الجنة مُودَعَةً أصناف الثمار: منها عشرة مما له قَشْرٌ، وهي: الجوز، واللوز، والجوز، وهو البندق، والفستق، والخشخاش، والشاهبلوط، والرائج، والرمان، والموز، والبلوط، ومنها عشرة ذات نوى، وهي: الخوخ، والمشمش، والإجاص، والرطب، والغبيراء، والنبق، والزعرور، والعناب، والمقل، والشاهلوج^(١) [وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الإجاص] ومنها عشرة مما لا قشر لها ولا حجاب دون مطعمها^(٢) ولانوى داخلها، وهي: التفاح، والسفرجل، والعنب، والكثري، والتين، والتوت، والأتريج، والقثاء، والخيار، والخروب^(٣)، ويقال: إن آدم لما أهبط من الجنة هو وحواء هَبَطَا

(١) في « والقراصيا » وسقط منها ما بين الحاصرتين .

(٢) نقل ذلك ابن جرير أيضاً (ج ١ ص ٦٤) ولكنه قال: « وأما التي لافشور لها ولا نوى » .

(٣) في « والبطيخ » بدل « والخروب » وليس البطيخ بما لا حجاب دون، طعمه

متفارقين ؛ فتعارفا بالموضع الذى يسمى عَرَقة ، وبتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية ، وقيل غير ذلك ، وإن آدم عليه السلام نَاقَ إلى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وأُنثى ؛ فسمى الذكر قايِن والأُنثى لويذاء^(١) ، ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضاً على ذكر وأُنثى ؛ فسمى الذكر هايل والأُنثى أقليمياء ، وقد تنوزع فى اسم الولد الأول منهما : فذهب الأكثر من أهل الكتاب وغيرهم أن اسمه قايِن على ما ذكرنا ، ومنهم من رأى أن اسمه قايل وهو قول فريق من الناس ، والأغلب ما قدَّمناه^(٢) ، وقد ذكر على بن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذُرِّ ذلك ، فقال :

واقْتَنيا الابنَ فسمى قايِنا وعَايِنا مِنْ نَشْتِهِ ما عَايِنا
فَسَبَّ هايلُ وشَبَّ قايِنُ ولم يكن بينهما تبايُنُ

وذكر أهل الكتاب أن آدم زَوَّجَ أخت هايل لقايِن ، وأخت قايِن لهايل ، وفرق فى النكاح بين البطنين ، وهذه [كانت] سُنَّةَ آدم عليه السلام احتياطاً لأقصى ما يمكنه فى ذوى المحارم اوضاع الاضطراب ومجزئ النسل عن التباين والاعتراب . وقد زعمت الجوس أن آدم لم يخالف فى النكاح بين البطنين ولم يتَّخَرَّ المخالفة ، ولهم فى هذا المعنى سر يدعون فيه الفضل فى صلاح الحال بتزويج الأخ من أخته والأم من ابنها ، وقد أتينا به فى الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم بـ « أخبار الزمان ، ومنْ أبادَه الحدَثان » ، من الأسم الماضية ، والأجيال الخالية ، والماليك الدائرة » وإن هايل وقايِن قرَّبَا قرَّباً فَتَحَرَّسَى هايل أجود غنمه وأجود طعامه ققره ، وتحرى قايِن شر ماله وققره ، فسكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى فى كتابه العزيز

(١) فى ١ « لبيداء » .

(٢) هذا الذى لم يرق صاحب الكتاب قدحكه كثير من المؤرخين منهم شيخهم ابن جرير الطبرى . والاختلاف فى هذه الأسماء على كل حال مما لا طائل تحته ، ولا يصح فيه شيء .

من قتل قايّن هابيل ، ويقال : إنه اغتاله في بركة قاع ، ويقال : إن ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام ، وكان قتله شديداً بجحر ، فيقال : إن الوحوش هنالك استوحشت من الإنسان ، وذلك أنه بدأ [فبلغ الغرض] بالشر والقتل ، فلما قتله تحير في توريته ، وحمله يطوف به الأرض ، فبعث الله غراباً إلى غراب فقتله ودفنه ، فأسف قايّن ثم قال ما حكاها القرآن عنه : (يا ويلتنا أعمزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) فدفنه عند ذلك ، فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع .

قال المسعودي : وقد استفاض في الناس شعر يعزونه إلى آدم ، أنه قال حين حزن على ولده وأسف على فقدته ، وهو :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا	فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبَرَّ قَبِيحٍ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ	وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الصَّبِيحُ ^(١)
وَبُدِّلَ أَهْلُهَا سَخَطًا وَأَثَلًا	بِجَنَاتٍ مِنَ الْفَرْدَوْسِ فَيَحِ
وَجَاوَرَنَا عَدُوٌّ لَيْسَ يَنْلَسَى	لَعَيْنٌ لَا يَمُوتُ فَتَسْتَرِيحُ
وَقَتَّلَ قَايِنٌ هَابِيلَ ظُلْمًا	فَوَا أَسْفًا عَلَى الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
فَمَا لِي لَا أَجُودُ بِسَكْبٍ دَمَعٍ	وَهَابِيلَ تَضْمَنَهُ الضَّرِيحُ
أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ عَلَى غَمَا	وَمَا أَنَا مِنْ حَيَاتِي مُسْتَرِيحُ

ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والأنساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه إبليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه ، وهو يقول :

(١) من الناس من يروي هذا البيت بنصب بشاشة من غير تنوين ورفع الوجه الصبيح على أنه فاعل قل ، وذلك ليسم الشعر من الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي . ومنهم من يرفع بشاشة على الفاعلية ويضيفها إلى ما بعدها فيكون في البيت إقواء ، والخطب يسير ، فإن هذا الشعر مصنوع قد تكلف صانعه فيه هذا ليدل فيما ظن على أنه متقدم العهد حتى ليرقى إلى آدم أبي البشر . وهو مالا نكاد نصدقه أصلاً .

تَنَحَّ عَنْ الْبِلَادِ وَسَاكِنِيهَا فَقَدْ فِي الْأَرْضِ ضَاقَ بِكَ النَّسِيحُ
وَكُنْتَ وَزَوْجَكَ الْحَوَاءَ فِيهَا أَدَمُ مِنْ أَدَى الدُّنْيَا مَرِيحُ
فَا زَالَتْ مَكَائِدِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّيِّحُ
فَلَوْلَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ أَضَحَّتْ بِكَفِّكَ مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ رِيحُ^(١)

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتاً ولا يرى شخصاً وهو يقول
ييتا آخر مفرداً دون ما ذكرنا من هذا الشعر ، وهو هذا البيت :

أبا هابيلَ قد قُتِلَ جميعاً وصارَ الحَيُّ بالْمَيْتِ الذَّيِّبِ

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزناً وجزعاً على الماضي والباقي ، وعلم أن
القاتل مقتول ؛ فأوحى الله إليه إني مخرج منك نوري الذي به السلوك في
القنوات الطاهرة والأرومات الشريفة ، وأباهي به الأنوار ، وأجعله خاتم
الأنبياء ، وأجعل آله خيار الأئمة الخلفاء ، وأختم الزمان بمدتهم ، وأغص
الأرض بدعوتهم ، وأنشرها بشيعتهم^(٢) ، فشر وتطهر ، وقُدِّس ، وسُبِّح ،
واغش زوجتك على طهارة منها ، فإن وديعتي تنتقل منك إلى الولد الكائن
منك ، فواقع آدم حواء ، فحملت لوقتها ، وأشرق جبينها ، وتلألأ النور في
تحايلها ، وبلغ من محارها ، حتى إذا انتهى جملها وضعت نَسَمَةً كَأَسْر
ما يكون من الذُّكْرَانِ ، وأتمهم وقاراً ، وأحسنهم صورة ، وأكلهم
هيئة ، وأعد لهم خلقاً ، مجللاً بالنور والهيبة ، موشحاً بالجلالة والأبهة ، فانتقل
النور من حواء إليه حتى لمع في أسارير جبهته ، وبسقى في غُرَّةِ طلعه ، فسماه
آدم شيئاً ، وقيل شيث هبة الله ، حتى إذا ترعرع وأينع وكل واستبصر
أوعزَ إليه آدم وصيته ، وعرفه محل ما استودعه ، وأعلمه أنه حجة الله

حواء تحمل
بشيث

(١) في « ا فلولا رحمة الجبار » .

(٢) في « ا وأنشرها بشيعتهم » .

بعده ، وخليفته في الأرض ، والمؤدّي حق الله إلى أوّصيّائه ، وأنه ثانی انتقال الذرّة الطاهرة ، والجُرثومة الزاهرة .

وصية آدم
لشيث ثم وفاته
ثم إن آدم حين أدى الوصية إلى شيث احتجّ بها ، واحتفظ بمكنونها ، وأتت وفاة آدم عليه السلام ، وقرب انتقاله ، فتوفى يوم الجمعة لست خلّون من نيسان ، في الساعة التي كان فيها خلقه ، وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان قد وصى ابنه شيثاً عليه السلام على ولده ، ويقال: إن آدم مات عن أربعين ألفاً من ولده وولد ولده .

وتنازع الناس في قبره ؛ فمنهم من زعم أن قبره بمي في مسجد الخيف ، ومنهم من رأى أنه في كهف في جبل أبي قبيس ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وإن شيثاً حكم في الناس ، واستشرع بحكم آييه وما أنزل عليه في خاصته من الأسفار والأشراع ، وإن شيثاً واقع امرأته فحملت بأنوش ، فانتقل النور إليها ، حتى إذا وضعت لآح النور عليه ، فلما بلغ الوضاعة أو عز إليه سيث في شأن الوديعة وعرفه شأنها / وأنها شرفهم / وكرمهم / وأوعز إليه أن يثبّه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله ، وأن ينجبوا أولادهم عليه ، ويجعل ذلك / فيهم / وصية منتقلة ما دام النسل .

حكم شيث
ابن آدم

فكانت الوصية جارية تنتقل من قرّن إلى قرّن ، إلى أن أدى الله النور إلى عبدالمطلب وولده عبدالله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا وضع تنازع بين الناس من أهل الملة ، ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار ، والقائلون بالنص هم الإباضية أهل الإمامة من شيعة على بن أبي طالب رضي الله عنه والظاهرين من ولده الذين زعموا أن الله لم يخلّ عصرًا من الأعصار من قائم بحق الله: إما أنبياء، وإما أوصياء منصوب على أسمائهم وأعيانهم من الله ورسوله ، وأصحاب الاختيار هم فقهاء الأمصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير

الجزء الأول : ذكر المبدأ وشأن الخليقة

٣٩

من أصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية ؛ فزعم هؤلاء أن الله ورسوله فوّض إلى الأمة أن تختار رجلاً منها فتنتصبه لها إماماً ، وأن بعض الأعصار قد يخلو من حجة الله ، وهو الإمام المعصوم عند الشيعة ، وسند ذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعاً من إيضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتباين المختلفين .

وإن أنوش قد لبث في الأرض يعمرها ، وقد قيل - والله أعلم - إن أنوش بن شيث ولود شيئاً أصل النسل من آدم دون سائر ولده ، وقيل غير ذلك ، [وكانت وفاة شيث وقد مضت له تسعمائة سنة واثنان عشرة سنة] وفي زمن أنوش قُتل قايْنُ ابنُ آدم قاتلُ أخيه هابيل ، وامقتله خبر عجيب قد أوردناه في « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الأول ، فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة ، وكان قد ولد له قينان ، ولاج النور في جبينه ، وأخذ عليه العهد ، فعمر البلاد حتى مات ، فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة ، وقد قيل : إن موته كان في تموز بعد ما ولد له مهلائيل ، فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة ، وقد ولد له لود ، والنور متوارث ، والعهد مأخوذ ، والحق قائم ، ويقال : إن كثيراً من الملاحى أحدثت في أيامه ، أحدثها ولد قايْن قاتل أخيه ، ولود قايْن مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » ووقع التجارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قايْن ، فنوع من الهند من يقر بأدم ينتسبون إلى هذا الشعب من ولد قايْن أو أكثر هذا النوع بأرض قار من أرض الهند ، وإلى بلدهم أضيف العود القهاري ؛ فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنين وثلاثين^(١) سنة ، وكانت وفاته في آذار .

وقام بعده ولده أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ، ^{أخنوخ} والصابئة تزعم أنه هو هرمس ، ومعنى هرمس عطارد ، وهو الذي أخبر الله ^{(١) في ا « تسعمائة واثنين وستين سنة » .}

عز وجل في كتابه أنه رفعه مكاناً عالياً [وكانت حياته في الأرض ثلاثاً سنة ، وقيل أكثر من ذلك] ، وهو أول من درز الدروز ، وخاط بالإبرة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وكان قد نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة ، وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح .

متوشلح وقام بعده متوشلح بن أخنوخ ، فعمر البلاد والنور في جبينه ، وولده أولاد ، وقد تكلم الناس في كثير من ولده ، وإن البلغر والروس والعقالبة من ولده ، وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ، ومات في أيلول .
ملك وقام بعده ملك ، وكان في أيامه كواثن واختلاط في النسل ، وتوفي ، وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة^(١) .

نوح وقام بعده نوح بن ملك عليه السلام ، وقد كثر الفساد في الأرض ؛ فاشتدت دياجي الظلم ، فقام في الأرض داعياً إلى الله ، فأبوا إلا طغياناً وكفراً ، فدعا الله عليهم ، فأوحى الله إليه أن اصنع الفلك ، فلما فرغ من السفينة أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رتمته ، وكان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار ، فأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء - وقد غرق جميع الأرض - خمسة أشهر ، ثم أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع الماء والسماء أن تقلع ، واستوت السفينة على الجودي ، والجودي : جبل ببلاد بامسوري ، وجزيرة ابن عمر ببلاد الموصل ، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ ، وموضع جنوح السفينة على رأس هذا الجبل إلى هذه الغاية .

وذكر أن بعض الأرض لم يُسرع إلى تبلع الماء ، ومنها ما أسرع إلى بلعه عندما أمرت ، فما أطاع كان مأوه عذاباً إذا احتقر ، وما تأخر عن القبول أعقبا الله بماء ملح [إذا احتقر ، وسبخ / وملاحات ، ورمال ،
(١) في « تسعمائة وتسع وتسعين سنة » .

الجزء الأول : ذكر المبدأ وشأن الخليقة ٤١

وما تخلف من الماء الذى امتنعت الأرض من يبلّغه انحدر إلى قعور مواضع من الأرض ، فمن ذلك البحار ، وهى بقية الماء الذى عصت أرضه أهلك به أم ، وسنذكر بعد هذا الموضوع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها .

ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة ، وهم : سام ، وحام ، أولاد نوح ويافث ، وكَنَانَةُ^(١) الثلاث أزواج أولاده ، وأربعون رجلا ، وأربعون امرأة ، وصاروا إلى سفح الجبل ؛ فابتنوا هناك مدينة وسموها ثمانين ، وهو اسمها إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ودَثَرَ عقب هؤلاء الثمانين نفساً ، وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك بقوله : (وجعلنا ذريته هم الباقين) والله أعلم بهذا التأويل .

والتخلف عنه من ولده الذى قال له : (يا بنى اركب معنا) هو يام .

وقسم نوح الأرض بين أولاده أقساما ، وخص كل واحد بموضع ، ودعا على ولده حام لأمر كان منه مع أبيه قد اشترى ، فقال : ماعون حام ، عبد [عنيد] يكون لإخوته ، ثم قال : مبارك سام ، ويكثر الله يافث ، ويحل يافث في مسكن سام .

ووجدت في التوراة أن نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين سنة ؛ فجميع عمر نوح تسعمائة وخمسون سنة [وقد قيل غير ذلك] .

فانطلق حام وأتبعه ولده ، فنزلوا مساكنهم في البر والبحر على حسب مساكن ما نذكره بعد هذا الموضوع من هذا الكتاب ؛ وسنذكر تفرق النسل في الأرض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام .

فأما سام فسكن وسط الأرض من بلاد الحرم إلى حضرموت إلى عمان مساكن سام إلى عالج ، فمن ولده إرم بن سام ، وإرفخشذ بن سام [بن نوح] .

ومن ولد إرم بن سام عاد بن عوص بن إرم [بن سام] وكانوا ينزلون إرم بن سام الأحقاف من الرمل ، فأرسل إليهم هود .

(١) الكنات : جمع كنة — بفتح الكاف وتشديد النون — وتجمع أيضا على كنان ، على غير قياس ، وقد ورد في بعض الأصول « كنانة » والكنبة : امرأة الابن

نمود وشمود بن عابر^(١) بن إرم بن سام ، وكانوا ينزلون الحِجْرَ بين الشام من ولد سام والحجاز ، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحا ، وكان من أمرهم مع صالح ما قد اتضح أمره ، واشتهر خبره ، وسند ذكر بعد هذا الوضع من هذا الكتاب لما من أخباره وأخبار غيره من الأنبياء عليهم السلام .

طسم وجديس وعمليق وطسم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين ، وأخوهما عمليق بن لاوذ بن إرم ، نزل بعضهم الحرم ، وبعضهم الشام ، ومنهم العماليق ، تفرقوا في البلاد ، وأخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس ، وسند ذكر في باب تنازع الناس في أنساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرت بأميم ، وقيل : إن أميا نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الأخباريون من العرب .

ونزل ينو عييل بن عوص أخى عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام . وولد سام بن نوح ماش بن إرم بن سام ، ونزل بابل على شاطيء الفرات [فولد نمرود بن ماش ، وهو الذي بنى الصَّرْحَ ببابل ، وجَسَرَ جِسْرًا ببابل على شاطيء الفرات ، وملك خمسمائة سنة ، وهو ملك النبط] ، وفي زمانه فرق الله الألسن : فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانًا ، وفي ولد حام سبعة عشر لسانًا ، وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانًا ، وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرقت الألسن ، وسند ذكر هذا في موضعه الذي يوجد في كتابنا هذا ، وتفرق الناس في البلاد ، وما قالوا في ذلك من الأشعار عند تفرقهم في البلاد بأرض بابل ، ويقال : إن فالغ هو الذي قسم الأرض بين الأمم ، ولذلك سمي فالغ ، وهو فالخ : أى قاسم .

فالف بن شالخ وأولاده وولد إرنغشذ بن سام بن نوح شالخ ، فولد شالخ فالغ بن شالخ الذي قسم الأرض وهو جد إبراهيم عليه السلام ، وعابر بن شالخ ، وابنه قحطان بن عابر ، وابنه يعرُب بن قحطان ، وهو أول من حيّاه ولده تجمية الملك « أنسيم »

(١) في الطبرى « جائر بن إرم بن سام » (ج ١ ص ١١٥)

الجزء الأول : ذكر المبدأ وشأن الخليقة ٤٣

ضباحاً » و « أَيْنِيتَ اللَّعْنِ » وقيل : إن غيره حَيَّ بهذه التحية من ملوك
الخيرة ، وقحطان أبو اليمين كلها على حسب ما نذكر إن شاء الله تعالى في
باب ننازع الناس في أنساب اليمين من هذا الكتاب ، وهو أول من تكلم
بالربية لإعرابه عن المعاني وإبانته عنها ، ويقطن بن عابر بن شالح هو أبو جرم
وجرم بنوعم يعرب ، وكانت جُرْمُهم من سكن اليمين وتكلموا بالربية ،
ثم نزلوا إلى مكة فكانوا بها ، على حسب ما نورد من أخبارهم ، وقطورا بنوعم لم ،
ثم أسكنها الله إسماعيل عليه السلام ، ونكح في جرم ؛ فهم أخوال ولده .
وذكر أهل الكتاب أن ملك بن سام بن نوح حي ؛ لأن الله عز وجل
أوحى إلى سام : إن الذي وكلته بجسد آدم أبقيته إلى آخر الأبد ، وذلك أن سام
ابن نوح دفن بابوت آدم في وسط الأرض ، وكلّ لمكاً بقبره ، وكانت
وفاة سام يوم الجمعة ؛ وذلك في أيلول ، وكان عمره إلى أن قبضه الله
عز وجل ستائة سنة .

وكان القيم بعد سام في الأرض ولده إرنغشذ ، وكان عمره إلى أن قبضه إرنغشذ بن سام
الله عز وجل أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة ، وكانت وفاته في نيسان .
ولما قبض الله إرنغشذ قام بعده ولده شالح بن إرنغشذ ، وكان عمره إلى
أن قبضه الله عز وجل أربعمائة سنة وثلاثين سنة .
ولما قبض الله شالح قام بعده ولده عابر ؛ فعمر البلاد ، وكانت في أيامه
تكوين وتنزع في مواضع من الأرض ، وكان عمره إلى أن قبضه الله
عز وجل إليه ثلثمائة سنة وأربعين سنة .

ولما قبض الله عابر قام بعده ولده فالغ على نهج من سلفت من آباءه ، فالغ بن عابر
وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل مائتي سنة وثلاثين سنة^(١) ، وقد قدمنا
ذكره في هذا الكتاب فيما سلف ، وما كان بأرض بابل عند تبديل الألسن .
ولما قبض الله فالغ قام بعده ولده رعو^(٢) بن فالغ ، وقيل : إن في زمنه كان مولد رعو بن فالغ

(١) في « مائتي سنة وتسعا وثلاثين سنة » .

(٢) في « أروع بن فالغ » .

نمرود الجبار ، وكان عمره إلى أن قبضه الله مائتي سنة ، وكانت وفاته في نيسان .
 ساروغ بن رعو ولما قبض الله رعو قام بعده ساروغ بن رعو ، وقيل : إنه في أيامه
 ظهرت عبادة الأصنام والصُّور ، لضروب من العلل أحدثت في الأرض
 [وشبه ذلك] ، وكان عمره إلى أن قبضه الله إليه مائتي سنة وثلاثين سنة .
 ناحور بن ساروغ ولما قبض الله ساروغ قام بعده ناحور بن ساروغ^(١) مقتدياً بمن سلف من
 آباءه ، وحدث في أيامه رجف وزلازل لم تهدفها سلف من الأيام قبله ، وأحدثت في أيامه
 ضروب من المهن والآلات ، وكانت في أيامه حروب وتخريب الأحزاب من
 الهند وغيرها ، وكان عمره إلى أن قبضه الله إليه مائة سنة وستاً وأربعين سنة .
 تارح بن ناحور ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده تارح^(٢) ، وهو آزر أبو إبراهيم
 الخليل ، وفي عصره كان نمرود بن كنعان ، وفي أيام نمرود أحدثت في الأرض
 عبادة النيران والأنوار ، وجعل لها مراتب في العبادات ، وكان في الأرض
 هرج عظيم من حروب وإحداث كور وممالك بالشرق والغرب ، وغير
 ذلك ، وظهر القول بأحكام نجوم وصور الأفلاك^(٣) ، وعملت لها الآلات ،
 وقُرِّبَ فهم ذلك إلى قلوب الناس ، فنظر أصحاب النجوم إلى طالع البسنة
 التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام وماذا يوجب ، فأخبروا النمرود أن مولوداً
 يولد يُسَمَّى أحلامهم ، ويزيل عبادتهم ، فأمر النمرود بقتل الولدان ، وأخفى
 إبراهيم عليه السلام [في مغارة] ، ومات آزر ، وهو تارح ، وكان عمره
 إلى أن قبضه الله عز وجل مائتين وسين سنة ، والله الموفق للصواب .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ومن تلامذته

من الأنبياء والملوك ، من بني إسرائيل وغيرهم

ولما نشأ إبراهيم عليه السلام ، وخرج من المغارة التي كان بها ، وتأمل آفاق
 [الأرض] العالم ، وما فيه من دلائل الحوادث والتأثير ، نظر إلى الزهرة وإشراقها

(١) في ١ « ناحور بن ساروغ » (٢) في ١ « تارح » .

(٣) في ١ « وكورت الأفلاك » .

فقال : هذا ربى ، فلما رأى القمر أنور منها قال : هذا ربى ، فلما رأى الشمس أبهرَ مما رأى قال : هذا ربى هذا أكبر ، وقد تنازع الناس فى قول إبراهيم « هذا ربى » ، فمنهم من رأى أن ذلك كان منه على طريق الاستدلال والاستنبهار ، ومنهم من رأى أن ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ، ومنهم من رأى غير ذلك ، فأناه جبريل فعله دينه ، واصطفاه الله نبياً وخليلاً . وكان قد أوتى رُشدَه من قبل ، ومن أوتى رُشدَه فقد عصم من الخطأ والزلل وعبادة غير الواحد الصمد ، فعاب إبراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم الجوّفَاتِ^(١) آلهة لهم ، فلما كثر عليهم ذم إبراهيم لأهلهم ، واستفاض ذلك فيهم اتخذ النمرود النار وألقاه فيها ، فجعلها الله برزخاً وسلاماً ، وخذت النار فى سائر بقاع الأرض فى ذلك اليوم .

مولد إسماعيل
ابن إبراهيم

وولد لإبراهيم إسماعيلُ عليهما السلام ، وذلك بعد أن مضى من عمره ست وثمانون سنة [أو سبع وثمانون سنة] وقيل : تسعون سنة^(٢) من هاجرَ جارية كانت لِسَارَةَ ، وكانت سَارَةُ أول من آمن بإبراهيم عليه السلام ، وهى ابنة بتوايل بن ناحور ، وهى ابنة عم إبراهيم ، وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع ، وآمنَ به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور ، وهو ابن أخى إبراهيم عليه السلام .

وأرسل الله لوطاً إلى اللدائن الخمس ، وهى : سدُوم ، وعمورا ، وأدموتا ، أصحاب المؤتفكة وصاعورا ، وصابورا ، وإن قوم لوط هم أصحاب المؤتفكة . وهذا الاسم مشتق من الإفك ، وهو الكذب على رأى من ذهب إلى الاشتقاق ، وقد ذكرهم الله فى كتابه بقوله : (وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى) وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما بلى الأردن وبلاد فلسطين ، إلا أن ذلك فى حيز الشام ، وهى مُبَقَّاة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خراباً

(١) فى ١ « المنحوتات » . (٢) فى ب « وقيل سبعون » .

لا أحد بها^(١)، والحجارة المسوّمة موجودة فيها يراها الناس الشّفار سَوْدَاءَ بَرَاقَةٍ ، فأقام فيهم لوط بضعاً وعشرين سنة يدعّوهم إلى الله فلم يؤمنوا ، فأخذهم العذاب على حسب ما أخبر الله من شأنهم .

ولما ولد إسماعيل لإبراهيم من هاجر غارت سارة فحمل إبراهيم إسماعيل وهاجر إلى مكة فأسكنها بها ، وذلك قوله عز وجل يخبر عن إبراهيم (رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) فأجاب الله دعوته ، وآنس وحشّتهم ، بجرّهم^(٢) والعاليق ، وجعل أئيدةً من الناس تهوّو إليهم .

وأهلك الله قوم لوط في عهد إبراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم . ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ، فبادر إلى طاعة ربه ، وتلّه^(٣) للجبين ؛ ففداه الله بذبح عظيم ، ورفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل . ثم ولد لإبراهيم من سارة إسحاق عليه السلام ، وذلك بعد مضي

مولد إسحاق

عشرين ومائة سنة من عمره .

وقد تنازع الناس في الذبيح ، فمنهم من ذهب إلى أنه إسحاق ، ومنهم من رأى أنه إسماعيل ، فإن كان الأمر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح إسماعيل ، لأن إسحاق لم يدخل الحجاز ، وإن كان الأمر بالذبح وقع بالشام فالذبيح إسحاق ، لأن إسماعيل لم يدخل الشام بعد أن حل منه .

الذبيح من ولد إبراهيم

وتوفيت سارة وتزوج إبراهيم بعد ذلك بقنطوراء^(٤) ، فولد منها ستة ذكور ، وهم : مرق^(٥) ، ونفس ، ومدان ، ومدين ، وسانان ، وسرح ، وتوفى إبراهيم بالشام ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين^(٦) سنة ، وأنزل الله عليه عشراً من الصحف .

أولاد إسحاق ابن إبراهيم الخليل

وتزوج إسحاق بعد إبراهيم برفقا ابنة بتوايل ؛ فولدت له العيص ويعقوب

(١) في ١ « لا أنيس بها » . (٢) في ١ « بقيطوراه » .

(٣) في ١ « وهم مرن ، ويقس ، ومدان ، ومدين ، وسانان ، وسوح » والخلط

في هذه الأسماء كثير . (٤) في ١ « مائة سنة وخمسا وسبعين سنة » .

الجزء الأول : ذكر المبدأ وشأن الخليقة ٤٧

في بطن واحد ، وكان البادئ منهما إلى الفصل عيص ، ثم يعقوب ، وكان لإسحاق في وقت مولدهما ستون سنة ، وذهب بصّر إسحاق ؛ فدعا ليعقوب بالرياسة على إخوته والنوبة في ولده ، ودعا لعيص بالملك في ولده ، وكان عمر إسحاق إلى أن قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ، ودفن مع أبيه الخليل ، ومواضع قبورهم مشهورة ، وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم ومراعيه .

وقد كان إسحاق أمر ولده يعقوب بالسير إلى أرض الشام وبشّره بالنبوة ^{يعقوب بن إسحاق وأخوه العيص} ونبوة أولاده الاثني عشر ، وهم : لاوى ، ويهوذا ، ويساخر ^(١) ، وزبولون ، ويوسف ، وبنيامين ، ودان ، ونفتالي ^(٢) ، وكان ، وإشار ، وشمعون ، وروبييل ، هؤلاء الأسباط الاثنا عشر ، والنوبة والملك في عقب أربعة منهم : لاوى ، ويهوذا ، ويوسف ، وبنيامين ، وكثر جَزَعُ يعقوب من أخيه العيص ، فأمنه الله من ذلك ، وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم ؛ فأعطى يعقوب لأخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفاً من سَطْوَتِهِ ، من بعد أن آمنه الله عز وجل من خوفه ، وأن لا سبيل له عليه ، فعاقبه الله في ولده لخالفته لوعده ، فأوحى الله تعالى إليه : ألم تطمئن إلى قولى ؟ فلا تجعل ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاماً ، وكانت المدة منذ أُخْرِبَتِ الروم بيت المقدس ، واستعبدت بنى إسرائيل إلى أن فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس .

وكان أحب ولد يعقوب إليه يوسف ؛ فحسده إخوته على ذلك ، وكان من أمره مع إخوته ما قصَّ الله عز وجل في كتابه ، وأخبر به على لسان نبيه ، واشتهر ذلك في أمته .

وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر ، وهو ابن مائة وأربعين سنة ، ^{وفاته يعقوب ويوسف} فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين ، عند تربة إبراهيم وإسحاق ، وقبض الله ^{(١) في « ويشسخر » . (٢) في « وزان وتقتال وقاز وأشروما » .}

يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة^(٣) ، وجعل في تابوت من الرخام ، وسد بالرصاص ، وطلّى بالأطليّة الدافعة للهواء والماء ، وطرح في نيل مصر نحو مدينة مَنَفَ ، وهناك مسجده ، وقيل : إن يوسف أوصى أن يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب في مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكان في عصره أيوب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أيوب بن موص بن زراح ابن رعوائل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وذلك في بلاد الشام من أرض حورانَ والبثنية من بلاد [الأردن من بين] دمشق والجاوية ، وكان كثير المال والولد ، فابتلاه الله في نفسه وماله وولده ، فصَبَرَ ، ورد الله عليه ذلك ، وأقاله عثرته ، واقتص ما اقتص من أخباره في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومسجده والعين التي اغتسل منها في وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الأردن ، وهذا المسجد والعين على ثلاثة أميال من مدينة نوى ، أو نحو ذلك ، والحجر الذي كان يأوى إليه في حال بَلَائِهِ هو وزوجته — واسمها رحمة — في ذلك المسجد إلى هذا الوقت .

وذكر أهل التوراة والكتب الأولى أن موسى بن ميثاء بن يوسف بن يعقوب نبي قبل موسى بن عمران ، وأنه هو الذي طلب الخضر بن ملكان ابن فالغ بن عابور بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، وذكر بعض أهل الكتاب أن الخضر هو خضرون بن عميائيل بن النفر بن العيص بن إسحاق ابن إبراهيم ، وأنه أرسل إلى قومه فاستجابوا له .

فكان موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر في زمن فرعون الجبار ، وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نعيم بن أبي الهلوان ابن ليث بن هيران بن عمرو بن عملاق ، وهو الرابع من فراعنة مصر ، وقد كان طال عمره وعظم جسمه ، وكان بنو إسرائيل قد استرقوا بعد مضى يوسف ، واشتد عليهم البلاء ، وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون

أن مولوداً سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً عظيمة ، فنجزع لذلك فرعون ، وأمر بذبح الأطفال ، وكان من أمر موسى ما أوحى الله عز وجل إلى أمته في أمره : أن اقذفه في اليم ، فقذفته ، إلى آخر ما اقتص من خبره ، وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان في ذلك الزمان شعيب^١ النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو شعيب بن نويت^(١) بن رعوايل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم ، وكان لسانه عربياً ، وكان مبعوثاً إلى أهل مدين ، ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من فرعون مرت بشعيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من أمره معه وترويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل .

وكلم الله موسى تكليماً ، وشد عضده بأخيه هارون ، وبشهما إلى فرعون ، فغرق الله عز وجل فرعون ، وأمره الله عز وجل بالخروج ببني إسرائيل إلى التيه ، وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ ، وكانت الألواح التي أنزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابة بالذهب ، فلما نزل من الجبل رأى قوماً من بني إسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم ، فارتعد ، فسقطت الألواح من يده ، فتكسرت ، فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعلها في الهيكل ، وكان هارون كاهناً ؛ وهو قيم الهيكل^(٢) وأتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التيه ، وقبض الله هارون في التيه فدفن في جبل وموات^(٣) من نحو جبل الشراة مما يلي الطور ، وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دوى عظيم يجزع منه كل ذى روح ، وقيل : إنه غير مدفون ، بل هو موضوع في تلك

(١) في ١ « ابن نويت » .

(٢) في ١ « وكان هرون كاهن الهيكل ، وهو قيم الزمان » .

(٣) في ب « في جبل مران من نحو جبل الشراة » .

المغارة ، ولهذا الموضع خبر عجيب [قد ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان عن الأمم الماضية والممالك الدائرة »] ومن وصل إلى هذا الموضع علم ما وصفنا ، وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر ، وقبض الله هرون وهو [ابن مائة وثلاث وعشرين سنة ، وقيل : إنه قبض وهو [ابن مائة وعشرين ، وقيل : إن موسى قبض بعد وفاة هارون بثلاث سنين ، وإنه خرج إلى الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر إلى المالحق والقربانيين والمدنيين وغيرهم] ممن كانوا بالشام وغيرهم من الطوائف [على حسب ما في التوراة ، وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف ، فاستتم مائة صحيفة ، ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والأحكام ، وذلك في خمسة أسفار ، والسفر يريدون به يوشع بن نون الكاهن من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة وخسين مثقالا ، فصار ^(١) الكاهن بعد هارون يوشع بن نون من سبط يوسف ، وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ، ولم يحدث لموسى ولا لهارون شيء من الشيب ، ولا حالا عن صفة الشباب .

ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببني إسرائيل إلى بلاد الشام ، وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك المالحق وغيرهم من ملوك الشام ، فأسرى إليهم يوشع بن نون سرايا ، وكانت له معهم وقائع ، فافتتح بلاد أريحاء [وزغر] من أرض النور ، وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الفرقى ، ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره ، وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره ، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية ، وهو الأردن ، وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كفرلى والقرعون ^(٢) من أرض دمشق ، فإذا

(١) في ١ « فصار الكافل » . (٢) في ب « كقولى وفرعون » .

اتتهى مَصَبُ نهر الأردن إلى البحيرة المنتنة خَرَقَهَا واتتهى إلى وسطها متميزاً عن مائها فيغوص في وسطها ، وهو نهر عظيم ، فلا يدرى أين غاص من غير أن يزيد في البحيرة ولا ينقص منها ، ولهذا البحيرة — أعنى المنتنة — أخبار عجيبة وأقاصيص طويلة ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان عن الأمم الماضية والملوك الدائرة » وذكرنا أخبار الأحجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ، ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودي ، وذكرته الفلاسفة ، واستعمله أهل الطب لمن به وجع الحَصَاة في المثانة ، وهو نوعان : ذكر ، وأنثى ؛ فالذكر للرجال ، والأنثى للنساء ، ومن هذه البحيرة يخرج الغبار ^(١) المعروف بالحجرة ، وليس في الدنيا والله أعلم بحيرة لا يتكون فيها ذوروح من سمك وغيره إلا هذه البحيرة ، وبحيرة رَكْبَتُهَا ببلاد أذربيجان بين مدينة إرمينية والمرافة ^(٢) ، وهي المعروفة هنا بكبودان ^(٣) ، وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان في البحيرة المنتنة ، ولم يتعرضوا لبحيرة كبودان ^(٣) ، وينبغي على قياس قولهم أن تكون عاتهما واحدة .

وسار ملك الشام — وهو السמידع بن هوير بن مالك — إلى يوشع ابن نون ؛ فكانت بينهم حروب إلى أن قتله يوشع ، واحتوى على جميع ملكه ، وألحق به غيره من الجبابرة والماليق ، وشَنَّ الغارات بأرض الشام ، وكانت مدة يوشع بن نون في بني إسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة ، وهو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وقيل : إن يوشع بن نون كان بدء محاربتة لملك المالق — وهو السמידع — ببلاد أَيْلَةَ نَحْو مدين ؛ ففي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي :

(١) في ١ « يخرج العكار » . (٢) في ب « بين أرمينية ومنارة » .
(٣) في ب « كنبودان » .

ألم تر أن العُمَلَقِيَّ ابن هوبر
بأيلة أمسى لَحْمُهُ قد تَمَزَّعاً^(١)
تداعب عليه من يهود حَجَّافِلْ ثمانين ألفاً حاسرين ودُرْعاً
فأمست عداداً للعالميق بعده على الأرض مشياً مصعدين وفُرْعاً
كأن لم يكونوا بين أجبال مكة ولم يرَ راء قبل ذلك السَّمِيدَعَا

بلعم بن باعوراء وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط^(٢) بن هاران ، وكان مستجاب الدعوة ، فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون ، فلم يتأت له ذلك ، وعجز عنه ، فأشار على بعض ملوك العالميق أن يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا ، فقتلوا إلى النساء فوق فيهم الطاعون ، فهلك منهم سبعون ألفاً^(٣) ، وقيل أكثر من ذلك [وبلعم هو الذي أخبر الله عنه أنه آتاه الآيات فانسلخ منها]^(٤) وقيل : إن يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة^(٥) .

كالب بن يوقنا وقام في بني إسرائيل بعد يوشع بن نون كالب بن يوقنا^(٦) بن بارض ابن يهوذا ، ويوشع وكالب الرجلان اللذان أنعم الله عليهما . قال المسعودي : ووجدت في نسخة أن القائم في بني إسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون كوشان الكفري^(٧) ، وأنه أقام فيهم ثمانين سنة^(٨) ، وهلك ، وملك عميائيل بن قاييل^(٩) من سبط يهوذا أربعين سنة ، وقيل : كوش جبار كان في آب^(١٠) من أرض البلقاء ، وإن بني إسرائيل كفرت

(١) في ب « العلقمي » .

(٢) في ا « بلعم بن باعوراء بن سموم بن فرستم بن ماب بن لوط بن هاران »

(٣) في ا « فهلك منهم تسعون ألفاً » (٤) مابين الحاصرتين ساقط من ب

(٥) في ا « ابن مائة وعشرين سنين » . (٦) عن ا « كالب بن يوقنا » .

(٧) في ب « وشان الكفري » (٨) في ا « ثمان سنين » .

(٩) في ب « عميائيل بن قائم » .

(١٠) في ا « وقتل كوش جبارا وكان بأرض البلقاء بماب » .

بعد ذلك فلما عاينهم كنعان عشرين سنة ، وهلك ، فكان على بنى إسرائيل عملاّل الأخبارى^(١) أربعين سنة ، ثم قام شمويل^(٢) إلى أن وليهم طالوت ، وخرج عاينهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين .

قال السعوى : فأما على الرواية الأولى التى قدمنا ذكرها أن القيم بعد يوشع فى بنى إسرائيل كالب بن يوقنا وأن القأم بعده فى بنى إسرائيل والمدير لهم فتخاص بن العازر بن هارون بن عمران ثلاثين سنة ، وكان عمداً إلى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خاية نحاس ورصص رأسها ، وأتى بها صخرة بيت المقدس ، وذلك قبل بنائه ، فانفجرت ، فإذا مغارة فيها صخرة ثانية ، فوضع الخافية فيها ، وانضمت الصخرة على ذلك ككونها أولاً .

ولما هلك فتخاص بن العازر دبر أمرهم كوشان الأثيم^(٣) ملك الجزيرة ، فتعبد بنى إسرائيل ، وأخذهم البلاء ثمان سنين ، ثم دبرهم عنيائيل بن يوقنا أخو كالب من سبط يهوذا أربعين سنة ، ثم دبرهم أعلن ملك مواب بجهد شديد ثمان عشرة سنة ، ثم دبرهم أهوذ من ولد إفرايم خمسا وخمسين سنة ، وخمس وثلاثين سنة خلت من أيامه تم للعالم أربعة آلاف سنة ، وقيل غير ذلك من التاريخ ، ثم دبرهم شاطن بن أهوذ خمسا وعشرين سنة ، ثم دبرهم يابين الكنعانى^(٤) ملك الشام عشرين سنة ، ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا ، وقيل : إنها ابنته ، وضمت إليها رجلا من سبط نفتالى يقال له باراق أربعين سنة ، ثم تداولتهم رؤوس من بنى مدين وهم عريب وريب وبرسونا ودارع وصلنا تسع سنين^(٥) وثلاثة أشهر ، ثم دبرهم كدعون من آل منشا أربعين سنة ، وقتل ملوك مدين ، ثم ابنه أيبالح ثلاث سنين

(١) فى ب « علان الأخبارى » (٢) فى ب « سمويه » .

(٣) فى ب « كوشان بن لاسم » . (٤) « فيلش الكنعان » .

(٥) فى ا « وهم عريب وزريب وبنور يادار ووصلنا سبع سنين وثلاثة أشهر » .

وثلاثة أشهر ، ثم دبرهم تولع من آل إفران ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم يامين من آل منشا اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملوك عمان ثمانى عشرة سنة [وثلاثة أشهر] ، ثم نحشون من بيت لحم سبع سنين ، [ثم شنشون عشرين سنة ، ثم أملج عشر سنين ، ثم عجران ثمانى سنين] ، ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ، ثم عيلان الكاهن بعد ذلك أربعين سنة ، وفي زمانه ظفر البابليُّون بني إسرائيل وغنموا التابوت ، وكان بنو إسرائيل يستفتحون به ، فحملوه إلى بابل ، وأخرجوهم من ديارهم وأبناءهم ، وكان ما كان من أمر قوم حزقيل ، وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وكان قد أصابهم الطاعون ، فبقي منهم ثلاثة أسباط ، فلحقت فرقة بالرمل ، وفرقة بشواحق الجبال ، وفرقة بجزيرة من جزائر البحر ، وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا إلى ديارهم ، فقالوا لحزقيل : هل رأيت قوماً أصابهم ما أصابنا ؟ قال : لا ، ولا سمعتُ بقوم فروا من الله فراركم ، فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام ، فماتوا عن آخرهم ، ودبر بنو إسرائيل بعد عيلان الكاهن شمويل بن بروحان ابن ناحورا ، ونبي فكث فيهم عشرين سنة ، ووضع الله عز وجل عنهم القتال ، وصاح أمرهم ، فخلطوا بعد ذلك ، فقالوا لشمويل : ابعث لنا ملكا يقاتل معنا في سبيل الله ، فأمر بتمليك طالوت ، وهو ساود^(١) بن بشر بن إينال بن طرون بن بحرون بن أفيح بن سميداح بن قالح ابن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، فملكه الله عليهم ، ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت ، وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر إلى أن ملك على بني إسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنان وسبعون سنة وثلاثة أشهر ، وكان طالوت دَبَّاعاً يعمل الأدم

طالوت
وجالوت

(١) في ١ « وهو شاول بن قيس بن أنيال بن صارون بن نحورب بن أفيح ابن بنيامين » .

فأخبرهم نبيهم شمويل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ، فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه : (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم) وأخبرهم نبيهم أن (آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيّة بما ترك آل موسى وآل هارون تحمله للملائكة) وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين ، فسمعوا عند الفجر خفيف الملائكة تحمل التابوت ، واشتد سلطان جالوت ، وكثرت عساكره وقوّادُهُ ، وبلغه انقياد بنى إسرائيل إلى طالوت ، فصار جالوت من فلسطين بأجناس من البربر - وهو جالوت^(١) بن يايول بن ريال بن حطان بن فارس - فزل بساحة بنى إسرائيل ، فأمر شمويل طالوت بالسير بينى إسرائيل إلى حرب جالوت ، فابتلاه الله عز وجل بنهر بين الأردن وفلسطين ، وسلط الله عليهم العطش ، وقد قص الله ذلك في كتابه ، وأمروا كيف يشربون من النهر ، فولغه أهل الرية ولوغ السكّاب ، فقتلهم طالوت عن آخرهم ، ثم فصل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم إخوة داود عليه السلام ، ولحق داود بإخوته ، فتوافق الجيشان جميعاً ، وكانت الحروب بينهما سجالاً ، وندب طالوت الناس ، وجعل لمن يخرج إلى جالوت ثلث ملكة ويتزوج ابنته ، فبرز داود فقتله بحجر كان في مخلاته ، رماه بمقلع نحر جالوت ميتاً ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله : (وقتل داود جالوت) وقد ذكر أن الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة أحجار ، فاجتمعت وصارت حجراً واحداً ، ولها أخبار قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وهي التي قتل بها جالوت ، وإن القوم الذين ولغوا في الماء وخالفوا ما أمروا به كان القاتل لهم طالوت . وقد أتينا على خبر الدرع التي كان أخبرهم نبيهم أنه لا يقتل جالوت إلا من صلحت عليه تلك الدرع إذا لبسها ، وأنها صلحت على داود ، وما كان من

· (١) في ١ « وهو جالوت بن مالود بن دبال بن حطان بن فارس » ·

هذه الحروب ، وخبر النهر الذى نَشَّ على رأسه ، وخبر تملك طالوت ، وأخبار البربر وبدء شأنهم ؛ فى كتابنا فى أخبار الزمان ، وسنورد بعد هذا جُملاً من أخبار البربر وتفرقهم فى البلاد فى الموضع اللائق بها من هذا الكتاب .

داود

ورفع الله ذكر داود ، وأُخِّل ذكر طالوت ، وأبى طالوت أن يفي لداود بما تقدم من شرطه ، فلما رأى ميل الناس إليه زَوَّجَه ابنته ، وسَلَّم إليه ثلث الجباية ، وثلث الحكم ، وثلث الناس . ثم حسده بعد ذلك وأراد اغتياله ، فمنعه الله عز وجل من ذلك ، فأبى داود أن ينافسه فى ملكه ، ونما أمر داود ، فبات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كدأ ، واثقلت بنو إسرائيل إلى داود عليه السلام ، وكانت مدة ملك طالوت عشرين سنة ، وذكر أن الموضع الذى قتل فيه جالوت كان ببيسان من أرض انغور من بلاد الأردن ، وَالْآنَ الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع ، وسَخَّرَ له الجبال والطير يُسَبِّحُنَ معه ، وحارب داود أهل مواب من أرض البلقاء ، وأنزل الله عز وجل عليه الزَّبُورَ بالعبرانية خمسين ومائة سورة ، وجعله ثلاثة أثلاث : فثلث ما يلقون من بُحْتِ نَصَرَ وما يكون من أمره فى المستقبل ، وثلث ما ياتون من أهل أثور ، وثلث موعظة وترغيب وتمجيد وترهيب ، وليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم ، واستقامت الأمور لداود ، ولحقَّت الخوارج من الكفار ^(١) بأطراف الأرض لهيبة داود ، وبنى داود بيتاً للعبادة بأورشليم ، وهو بيت المقدس ، وهو البيت الباقى لوقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ويدعى بحراب داود عليه السلام ، وليس فى بيت المقدس بناء هو أعلى منه فى هذا الوقت ، وقد يرى فى أعلاه البحيرة المنقنة ونهر الأردن المقدم ذكره ، وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل فى كتابه من خبره ، وقوله لأحدهما قبل استماعه من الآخر : (لَقَدْ ظَلَمَكَ) الآية ، وقد تنازع الناس

(١) فى ب « من الأكراد » .

في خطيئة داود : ففهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الأنبياء المعاصي وتعمد الفسق وأنهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا ، وذلك قوله عز وجل : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق) ومنهم من رأى أن ذلك كان من قصة أروياء بن حيان^(١) ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدأ وغيره ، وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوماً كان فيها صائماً باكياً ، وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة .

نشأة سليمان
ابن داود

ونشأ سليمان بن داود عليه السلام ، وبرع ، ودأخل أباه في قضائه ، فاتاه الله فصل الخطاب والحكم ، على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله (وكلا آتينا حكماً وعلماً) .

ولما حضرت داود الوفاة أوصى إلى ولده سليمان ، وقبض ، فكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والأردن ، وكان عسكره ستين ألفاً أصحاب سيوف جُرُداً مَرْدَاً أصحاب بأس ونجدة .

وكان ببلاد مَدْيَنَ وأَيْلَةَ في عصر داود عليه السلام لَقَمَانُ الحكيم ، لقمان الحكيم وهو لقمان بن عنقاء بن مرشد بن صاوون^(٢) ، وكان نوبيا مولى للقَيْن بن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك دود عليه السلام ، وكان عبداً صالحاً ؛ فَمَنَّ الله عز وجل عليه بالحكمة ، ولم يزل بافيا في الأرض مُظْهِراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بن مَتَّى حين أرسل إلى أرض يَنْبُوتَى من بلاد الموصل .

ولما قبض الله دود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم ، ملك سليمان وغمر عدله رعيته ، واستقامت له الأمور ، وانقادت له الجيوش ، وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس ، وهو المسجد الأقصى الذي برك الله عز وجل حَوَلَهُ ، فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتاً ، وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا (١) في « أوريا بن حيان » .

(٢) في « وهو لقمان بن عنقا بن مزيد بن صارون » .

هذا كنيسة القمامة ، وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ، ولهم كنائس غيرها معقمة ببيت المقدس ، منها كنيسة صهيون ، وقد ذكرها داود عليه السلام ، والكنيسة المعروفة بالجسمانية يزعمون أن فيها قبر داود عليه السلام ، وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لأحد من خلقه ، وسخر له الجن والإنس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه ، وكان ملك سليمان بن داود على بني إسرائيل أربعين سنة ، وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة ، والله ولي التوفيق .

ذكر ملك أرخبم^(١) بن سليمان بن داود عليهما السلام

ومن تلاه من ملوك بني إسرائيل ، وجل من أخبار الأنبياء

وملك على بني إسرائيل بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام أرخبم بن سليمان ، واجتمعت عليه الأسباط ، ثم افترقوا عنه ، إلى اسبط يهوذا وسبط بنيامين ، وكان ملكه إلى أن هلك سبع عشرة سنة ، وملك على العشرة الأسباط يوريم^(٢) ، وكانت له كوائن وحروب ، واتخذ له عجلاً من الذهب والجوهر ، واعتكف على عبادته ؛ فأهلكه الله عز وجل ، فكان ملكه عشرين سنة ، [وملك بعده أيبان أرخبم بن سليمان ثلاث سنين ، ثم ملك بعده أحاب أربعين سنة] وملك بعده يورام^(٣) ، فأظهر عبادة الأصنام والتمائيل [والصور] ، وكان ملكه سنة ، ثم ملكت بعده امرأة يقال لها عيلان ؛ فوضعت السيف في ولد داود عليه السلام ، فلم ينج منهم إلا غلام ، فأنكرت بنو إسرائيل ذلك من فعلها ، فقتلوا ، وكان ملكها سبع سنين ، وقيل غير ذلك ، وملكوا

ملوك
بني إسرائيل
بعد وفاة سليمان

(١) في ب « ملك بن رجيم بن سليمان » . (٢) في ب « يورم » .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ، وفيها « وملك بعده لودم » .

عليهم الغلام الذي بقي من نسل دلود ، فملك وله سبع سنين ، فأقام ملكاً أربعين سنة ، وقيل دون ذلك ، وملك بعده مليصا^(١) ، وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة ، وكان في عصره شعيب النبي^(٢) ، ولشعيب معه أخبار ، وكانت له حروب قد أتينا على ذكرها في كتاب « أخبار الزمان » وملك بعده نوقا بن عدل^(٣) عشر سنين ، وقيل : ست عشرة سنة ، وملك بعده أجام^(٤) ، فأظهر عبادة الأصنام ، وطنى وأظهر البغى ، فصار إليه بعض ملوك بابل ، وكان يقال له فلميعس^(٥) ، وكان من عظماء ملوك بابل ، وكان للاسرائيل مع حروب إلى أن أسره البابلي ، وخرّب مدن الأسباط ومساكنهم ، وكان في أيامه تنازع بين اليهود في الديانة ، فشد منهم الأسامرة وأنكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الأنبياء ، وأبوا أن يكون بعد موسى نبي ، وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران ، والأسامرة في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — ببلاد فلسطين والأردن ، وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعارا ، وهي بين الرملة وطبرية ، وغيرها من القرى إلى مدينة نابلس ، وأكثرهم في هذه المدينة — أعنى نابلس — ولهم جبل يقال له طوريك^(٦) ، وللأسامرة عليه صلوات في أوقاتها ، ولهم بوقات من فضة يُنفخ فيها عند أوقات الصلاة ، وهم الذين يقولون « لاميّاس » ويؤمنون أن نابلس هي بيت المقدس ، وهي مدينة يعقوب النبي عليه السلام ، وهناك مرعاه ، وهما صنفان متباينان كتبائهم لسائر اليهود ، وأحد الصنفين يقال له الكوسان ، والآخر الذروسان^(٧) ، أحد

(١) في ١ « أضيّا » . (٢) في ١ « أشعيا النبي »

(٣) في ١ « يوقام بن عزيا » . (٤) في ١ « أحرار »

(٥) في ١ « فلميعس » . (٦) في ١ « طور بريد » .

(٧) في ١ « الدوستان » .

الصنفين يقول العالم ومعان غير ذلك أعرضنا عن ذكرها بحافة التعلويل ،
وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونبل .

وكان ملك أجام^(١) إلى أن أسره الملك البابلي سبع عشرة سنة ، ولما أسر
الملك أجام^(١) ملك ولد له يقال له حزقيل ابن أجام^(١) ، فأظهر عبادة الرحمن ،
وأمر بتكسير التماثيل والأصنام ، وفي ملكه سار سنجارب^(٢) ملك بابل
إلى بيت المقدس ، وكانت له حروب كثيرة مع بني إسرائيل ، وقتل من
أصحابه خلق كثير ، وسبي من الأسباط عدداً كثيراً ، وكان ملك
حزقيل إلى أن هلك سبعا وعشرين سنة^(٣) .

ثم ملك بعد حزقيل ولد له يقال له ميشا ؛ فمصر نمره سائر مملكته ،
وهو الذي قتل شعبا النبي ، فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار إليه في
الجيش فهزم جيشه وأسرهم فأقام في أرض الروم عشرين سنة ، وأقام عما
كان عليه ، وعاد إلى ملكه ؛ فكان ملكه إلى أن هلك خمسا وعشرين
سنة ، وقيل : ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده ولد له يقال له أمور بن ميشا^(٤) ، فأظهر الطغيان ، وكفر
بالرحمن ، وعبد التماثيل والأصنام ، ولما اشتد بغيه سار إليه فرعون الأعرج
من بلاد مصر في الجيش ، فأمن في القتل ، وأسرهم ومضى به إلى مصر ،
فأت هناك ، وكان ملكه خمس سنين ، وقيل غير ذلك .

وذلك بعده أخ له يقال له | يوفين^(٥) ، وهو أبو داوود النبي عليه
السلام ، وفي عصر هذا الملك سار البخت نصر ، وهو مزيّر بن المرافي
والعرب من قبل ملك فارس ، وكان يومئذ يتبع ، وكانت قصبة الملك ،
فأمن البخت نصر في القتل لبني إسرائيل والأسر ، وسملهم إلى أرض

(١) في « أحوار » . (٢) في « سيجارك » .

(٣) في « تسع وعشرين سنة » . (٤) في « أمور بن ميشا » .

(٥) في « يومهم » .

المراق ، وأخذ التوراة وما كان في هيكل بيت المقدس من كتب الملوك وطُرَحَ في بئر ، وعمد إلى تابوت السكينة فأودعه بعض المواضع من الأرض فيقال : إنه كان عدته من سبي من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً .

وفي هذا العصر كان أرميا^(١) النبي عليه السلام ، وسار بخت نبثر إلى مصر : فقتل فرعون الأعرج ، وكان يومئذ ملك مصر ، وسار نحو المغرب فقتل بها ملوكا ، وافتتح مدائن .

وكان ملك فارس تزوج جارية من سبلا بني إسرائيل ، فأولدها ولداً ، فردَّ بني إسرائيل إلى ديارهم ، وكان ذلك بعد سنين .

ولما رجعت بنو إسرائيل إلى بلادهم ملكت عليها زربابل بن سلسان^(٢) ، فأبقي مدينة بيت المقدس ، وغمر ما كان خرب ، وأخرجت بنو إسرائيل التوراة من البئر ، واستقامت لهم الأمور ، فأقام هذا الملك على عمارة أرضهم ستاً وأربعين سنة ، وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تلف منهم في حال السبي ، والأسيرة تزعم أن التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أوردتها موسى بن عمران عليه السلام ، وأن تلك حُرِفَتْ وبُذِلَتْ وَغَيِّرَتْ ، وأن المحدث لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور ؛ لأنه جمعها ممن كان يحفظها من بني إسرائيل ، وأن التوراة الصحيحة هي التي في أيدي الأسيرة دون غيرهم ، وكان ملك هذا الملك ستاً وأربعين سنة ، ووجدت في نسخة أخرى أن المتزوج في بني إسرائيل هو بخت نصر نفسه ، وهو الذي ردَّهم ، ومنَّ عليهم [وفيه نظر] .

ودبرَّ إسماعيل بن إبراهيم أمرَ البيت بعد إبراهيم عليه السلام ، ونبأه
إسماعيل
ابن إبراهيم
وأولاده

(١) في ب « أدميا » .

(٢) في ١ « زربابل بن سلسال » .

الله عز وجل ، وأرسله إلى العماليق وقيائل اليمن ، ففهم عن عبادة الأوثان ، فأمن طائفة منهم وكفر أ كثرهم ، وولد لإسماعيل اثنا عشر ذكراً . وهم : فاث ، وقيدار ، وأربل ، وميم ، ومسمع ، ودوما ، ودوام ، وميشا ، وحداد ، وحيم ، وقطورا ، وماس^(١) ، وكانت وصية إبراهيم إلى ابنه إسماعيل عليه السلام ، ووصى إسماعيل إلى أخيه إسحاق عليهما السلام ، وقد قيل : إلى ولده قيدار بن إسماعيل ، وكان عمر إسماعيل إلى أن قبضه الله مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ، ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الأسود .

ودبر أمر البيت بعده فاث^(٢) بن إسماعيل عليه السلام ، على منهج إسماعيل ومثلته ، وقيل أيضا : إنه كان وصي أبيه إسماعيل عليه السلام .

وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهما السلام أنبياء وعباد وصالحون منهم : أرمنييا^(٣) ، ودانيال ، وعزير ، وقد تنازع الناس في نبوته ، وأيوب ، وأشعيا ، وحزقيال ، والياس ، واليسع ، ويونس ، وذو الكفل ، والخضر ، وروى عن ابن إسحاق أنه أرمنييا^(٣) ، وقيل : بل كان عبداً صالحاً ، وزكريا [وهو زكريا بن أدب] وهو من ولد داود من سبط يهوذا ، وكان تزوج أشباع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام ، وهو عمران بن ماثان بن يعاقم^(٤) ، من ولد داود أيضاً ، واسم أم أشباع ومريم حنة ، وولدت لزكريا يحيى ، وكان يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام ، وكان زكريا نجاراً ، فأشاعت اليهود أنه ركب من

أنبياء
بين سليمان
والمسيح

(١) في ١ « وهم : نابت ، وقيدار ، وأربل ، وميم ، ومسمع ، ودوما ، وهسا ، وحداد ، وأسيا ، ويطور ، وناقش ، وبقادما » .

(٢) في ١ « نابت بن إسماعيل » .

(٣) في ١ « أرمنييا » .

(٤) في ١ « هو عمران بن ماثان بن يعاقم » .

مريم الفاحشة فقتلوه ، وكان لما أحس بهم جأ إلى شجرة فدخل في جوفها فدلهم عليه إبليس لعنه الله عز وجل ، فشرخوا الشجرة وهو فيها ، فقطعوه وقطعوها ، ولما ولدت أشباعُ ابنةُ عمران أختُ مريمَ أمَّ المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت بهن بعض الملوك إلى مصر ، فلما صار رجلاً بعته الله عز وجل إلى بني إسرائيل ، فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه ، وكثرت الأحداث في بني إسرائيل ، فبعث الله عليهم ملكاً من ناحية المشرق يقال له حردوس^(١) ، فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا ألوفاً من الناس [وهو بفور] إلى أن هدا الدم بعد خطب طويل .

ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل إليها جبريل ، فنفخ فيها الروح ، فحملت بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وولدت بقرية يقال لها « بيت لحم » على أميال من بيت المقدس ، ولدت في يوم الأربعاء لأربع وعشرين ليلة خلت من كانون الأول ، وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل في كتابه ، واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعمت النصارى أن أشيوع الناصري^(٢) أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الأردن في كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة ، وقيل : تسعاً وعشرين سنة ، وأنه في بعض الأيام كان يقرأ في سفر أشعياء إذ نظر في السفر إلى كتاب من نور فيه « أنت نبي ، وخالصتي ، اصطفتك لنفسى » فأطبق السفر ودفعه إلى خادم الكنيسة ، وخرج وهو يقول : الآن تمت المشيئة لله في ابن البشر ، وقد قيل : إن المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها « ناصرة » من بلاد اللجون من أعمال الأردن ، وبذلك سميت النصرانية ، ورأيت في

(١) في أ « خردوش » .

(٢) في أ « أشيوع الناصري أى المسيح » .

هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى وفيها توايت من حجارة فيها عظام
الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرُّب تتبرك به النصارى ، وأن المسيح مر
ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين [وهم بنو زبدا ، واثناعشر من
القصارين ، فدعاهم إلى الله وقال : اتبعوني تصيدوا البشر ، فاتبعه ثلاثة من
الصيادين ، وهم بنو زبدا واثناعشر من [القصارين ، وقد ذكر أن
ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا^(١) هم الحواريون الأربعة الذين تلقوا^(٢)
الإنجيل ، فألقوا خبر عيسى عليه السلام ، وما كان من أمره ، وخبر
مولده ، وكيف عمده يحيى بن زكريا ، وهو يحيى المعمدانى ، فى بحيرة
طبرية ، وقيل : فى بحر الأردن الذى يخرج من بحيرة طبرية ويمجرى إلى
البحيرة المنقنة ، وما فعل من الأعاجيب وأتى من المعجزات ، وما قالت
اليهود إلى أن رفعه الله عز وجل إليه ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .
وفى الإنجيل خطب طويل فى أمر المسيح ورمم عليهما السلام ويوسف
النجار ، أعرضنا عن ذلك ، لأن الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك فى
كتابه ، ولا أخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم .

(١) فى ١ « أن متى ويوحنا ومرقس ولوقا » .

(٢) فى ١ « تلقوا الإنجيل ، وألقوا فيه خبر المسيح » .

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد

صلى الله عليهما وسلم

وقد كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من أهل التوحيد ، ممن يُقَرَّبُ بالبعث ، وقد اختلف [الناس] فيهم : فمن الناس من رأى أنهم أنبياء ، ومنهم من رأى غير ذلك .

حنظلة بن صفوان

فمن ذكر أنه نبي حنظلة بن صفوان ، وكان من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، صلى الله عليهما وسلم ، وأرسل إلى أصحاب الرِّسِّ ، وكانوا من ولد إسماعيل بن إبراهيم - وهم قبياتان يقال لإخداهما أدمان^(١) ، وللاخرى يامن ، وقيل : رعويل - وذلك باليمن ، فقام فيهم حنظلة بأمر الله عز وجل فقتلوه ، فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل من سبط يهوذا أن يأمر بخت نصر [بأن] يسير إليهم ، فسار إليهم ، فأتى عليهم ، فذلك قوله عز وجل : (فلما أحسوا بأسنا) إلى قوله (حصيداً خامدين) وقيل : إن القوم كانوا من حمير ، وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مراثية له ، فقال :

بكت عيني لأهل الرِّسِّ رعويل وقد مان
وأسلم من أبي زرع نكال الحلي قحطان

وقد حكى عن وهب بن منبه أن ذا القرنين - وهو الإسكندر - كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة ، وأنه كان حلم حلاً رأى فيه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شريقيها وغريها ، فقص رؤياه على قومه ، فسموه بذى القرنين ، وللناس في ذى القرنين تنازع كبير [و] قد أتينا على ذلك في كتاب « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وسند كرماع من خبره عند ذكر نالملك اليونانيين الروم^(٢) .

وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الأعصار كانوا ؛ فمنهم من أهل الكهف زعم أنهم كانوا في زمن الفترة ، ومنهم من رأى غير ذلك ، وسنأتي ببلع من خبرهم

(١) في « قدمان » وهو المذكور في الشعر (٢) في « اليونانيين والروم »

في ذكر [نا] ملوك الروم في هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط ، وفيما ساف قبله من كتاب « أخبار الزمان » .

وجرجيس
ومن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام : جرجيس ، وقد أدرك بعض
الحواريين ، فأرسله إلى بعض ملوك اللوصل ، فدعاه إلى الله عز وجل ، فقتله ،
فأحياه الله وبعثه إليه ثانية ، فقتله ، فأحياه الله ، فأمر بنشره ثالثة^(١) وإحراقه
وإذرائه في دجلة ، فأهلك الله عز وجل [ذلك] الملك وجميع أهل مملكته
ممن اتبعه ، على حسب ما وردت به الأخبار عن أهل الكتاب ممن آمن ،
وذلك موجود في كتاب المبتدأ والسير لوهب بن منبته وغيره :

حييب النجار
ومن كان في الفترة : حبيب النجار ، وكان يسكن أنطاكية من أرض الشام
وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور ، فسار إليه اثنان من تلاميذ المسيح ،
فدعواه إلى الله عز وجل ، فحبسهما وضربهما ، فعزهما الله بثالث ، وقد تنوزع
فيه ؛ فذهب كثير من الناس إلى أنه بطرس ، وهذا اسمه بالرومية ، واسمه بالعربية
سيمان ، وبالسريانية شمعون [وهو شمعون] الصفاء ، وذكر كثير من الناس - وإليه
ذهب سائر فرق النصرانية - أن الثالث المعز به هو بولس ، وأن الاثنين المتقدمين
الذين أودعا الحبس توما وبطرس ، فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل
فما أظهروا من الإعجاز [والأعاجيب] والبزاهين : من إبراء الأكهم والأبرص ،
وإحياء الميت ، وحيلة بولس عليه بمداخلته إياه وتلطفه له ، واستنقاذ صاحبيه من
الحبس ، فجاء حبيب النجار فصدقهم ، لما رأى من آيات الله عز وجل ، وقد أخبر
الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله : (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) إلى قوله
(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية ،
وصلياً منكسين ، وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ، ومع سيميا^(٢) الساحر ، ثم جعلوا
بعد ذلك في خزانة من البلور ، وذلك بعد ظهور دين النصرانية ، وحرهما^(٣)

(١) في ١ « بنشره في الثالثة » (٢) في ب « سليمان الساحر »

(٣) في ١ « وخزنتهما في كنيسة - إلخ »

في كنيسة هتاك قد ذكرناها في الكتاب الأوسط عند ذكرنا لمعجائب رومية ، وأخبار تلاميذ المسيح عليه السلام ، وتفرقهم في البلاد ، وسنورد في هذا الكتاب لمعاً من أخبارهم ، إن شاء الله تعالى .

أصحاب
الأخدود

فأما أصحاب الأخدود فإنهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن ، في ملك ذي نواس ، وهو القاتل لذي شنأتر^(١) ، وكان على دين اليهودية ، فبلغ ذانواس أن قوماً بنجران على دين المسيح عليه السلام ؛ فسار إليهم بنفسه ، واحترقهم أحاديدي في الأرض ، وملأها جحراً ، وأضر بها ناراً ، ثم عرضهم على اليهودية ؛ فمن تبعه تركه ، ومن أبى قذفه في النار ، فأتى بامرأة معها طفلان سبعة أشهر ، فأبت أن تتخلي عن دينها ، فأذنت من النار ، فجزعت ، فأنطق الله عز وجل الطفل فقال : يا أمة أمض على دينك فلا نار بعد هذه ، فألقاهما في النار ، وكانوا^(٢) مؤمنين موحدين ، لا على رأى النصرانية في هذا الوقت ، فمضى رجل منهم يقال له ذو ثعلبان^(٣) إلى قيصر ملك الروم يستنجد به ، فكتب له إلى النجاشي لأنه كان أقرب إليهم داراً ، فكان من أمر الحبشة وعبرهم إلى أرض اليمن وتغابهم عليها إلى أن كان من أمر سيف ذي يزن واستنجاهه للملوك إلى أن أنجدوا نوسروان ما قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان ، وفي الكتاب الأوسط ، وسند ذكر لمعاً من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الأدواء وملوك اليمن ، - وقد ذكر الله عز وجل في كتابه قصة أصحاب الأخدود بقوله عز وجل : (قتل أصحاب الأخدود) إلى قوله (وما نَقَمُوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

خالد بن سنان
العبيسي

ومن كان في الفترة : خالد بن سنان العبيسي ، وهو خالد بن سنان بن غيث^(٤) ابن عبيس ، وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذلك نبي أضاعه قومه » وذلك أن ناراً ظهرت في العرب ، فافتتنوا بها ، وكانت تنتقل ، وكادت العرب

(٢) في « قاتلها في النار وكانا »

(١) في ب « لدى سار »

(٤) في ب « بن عتب »

(٣) في ب « دمعيلان »

تتمجس وتقلب عليها الجوسية ، فأخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول : بدا بدا ، كل هدى ، مؤد إلى الله الأعلى ، لأدخلها وهي تتلظى ، ولأخرجن منها وثيابي تتندى ، فأطفأها ، فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لإخوته : إذا أنا دفنت فإنه ستجي عانة من حجر يقدمها غير أتر ، فيضرب قبري بحافره ؛ فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخرج إليكم فأخبركم بجميع ما هو كائن ، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال ، فأرادوا أن يخرجوه ، ففكره ذلك بعضهم وقالوا : نخاف أن تنسبنا العرب إلى نبشنا عن ميت لنا^(١) ، وأتت ابنته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقرأ : (قل هو الله أحد ، الله الصمد) فقالت : كان أبي يقول هذا ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخباره بما تدعو الحاجة إلى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

رثاب الشني
أحد بني
عبد القيس
قال السعدي : ومن كان في الفترة : رثاب الشني ، وكان من عبد القيس ، ثم من شن ، وكان على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، [فسمعوا منادياً ينادي من السماء قبل مبعث النبي : خير أهل الأرض ثلاثة : رثاب الشني ، وبحير الراهب ، ورجل آخر لم يأت بعد ، يعني النبي عليه السلام] وكان لا يموت أحد من ولد رثاب فيدفن إلا رأوا واسطاعلى قبره .

أسعد أبو كرب
الحميري
ومنهم أسعد أبو كرب الحميري ، وكان مؤمناً ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعائة سنة ، وقال :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مدد عمرى إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
[وألزم طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم]

(١) في « نخاف أن تنسبنا العرب بأننا نبشنا ميتاً لنا »

الجزء الأول : ذكر أهل الفترة . ٦٩

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبُرود ؛ فلذلك يقول بعض حِجَرٍ :
وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُقَصَّابًا وَبُرُودًا
ومنها : قس بن ساعدة الإيادي من إياد بن أد بن معد ، وكان حكيماً
العرب ، وكان مقراً بالبعث ، وهو الذي يقول : من عاش مات ، ومن
مات فات ، وكل ما هو آت آت ، وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الأمثال ،
قال الأعشى :

وَأَحْكَمُ مِنْ قُسٍّ ، وَأَجْرًا مِنَ الَّذِي
بَذَى الْغِيلَ مِنْ خَفَانٍ أَصْبَحَ خَادِرًا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من إياد ، فسألهم عنه ، فقالوا :
هالك ، فقال : رزقه الله ؛ ثأنتي أنظر إليه بسوق عكاظ على جبل له
أحمر ، وهو يقول : أيها الناس ، اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ،
ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد فإن في السماء لخبراً ، وإن
في الأرض لعبراً ، نجوم تمور ، وبحار تغور ^(١) ، وسقف مرفوع ، ومهاد
موضوع ، أقسم قس بالله قسماً لا حائثاً فيه ولا آئماً ، إن الله لدينا هو أَرْضِي
من دين أتم عليه ، مالى أرام ^(٢) يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا
أم تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف . وقال أبياتا لا أحفظها ،
فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : أنا أحفظها يا رسول الله ، فقال : هاها ، فقال :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمُتُّ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ ^(٣)
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ

(٢) في ١ « ما بال الناس »

(١) في ١ « بحور تمور ، ونجوم تغور »

(٣) في ١ « يمضي الأصغر والأكابر »

أَبْقَنْتُ أَنِي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللَّهُ قَسَا ، إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ
يَبْعَثَهُ اللَّهُ أُمَّةً وَاحِدَةً » .

قال المسعودي : ولقد أشعار كثيرة وحِكَمٌ ، وأخبار تُبَصَّرُ^(١) في الطلب
والزجر والفأل وأنواع الحكم ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب « أخبار الزمان »
وفي الكتاب الأوسط .

زيد بن عمرو . وعن كان في الفترة : زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، أبو سعيد بن زيد أحد
ابن نفيل العشرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب [لَيْحًا] ، وكان زيد يرغب عن
عبادة الأصنام ، وعابها فأولع به عمه الخطابُ سُفْهَاءَ مَكَّةَ ، وسلطهم عليه ،
فأَذَوْهُ ، فسكن كهفًا بجراء ، وكان يدخل مكة سرًا ، وسار إلى الشام
يبحث عن الدين ، فسمته [النصاري ، ومات بالشام ، وله خبر طويل
مع الملك والترجمان ، ومع] بعض ملوك غسان بدمشق ، وقد أتينا عليه
فيما سلف من كتبنا .

أمية بن أبي الصلت الثقفي . ومنهم : أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وكان شاعرًا عاقلًا ، وكان يتجبر
إلى الشام ، فتلقيه أهل الكنائس من اليهود والنصارى ، وقرأ الكتب ،
وكان قد علم أن نبيًا يبعث من العرب ، وكان يقول أشعارًا على آراء
أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة ،
وذكر الأنبياء والبعث [والنشور] والجنة والنار ، ويعظم الله عز وجل
ويوحده ، من ذلك قوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ مِنْ لَمَ يَقْلُنَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا
ووصف أهل الجنة [في بعض كلماته] فقال :

فَلَا لَقَوْمَ وَلَا تَأْنِيَمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمٌ^(٢)
ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ [لذلك] وتأسف ،

(١) في ب « وأخبار مع قيص » (٢) في كتب الشواهد « أبدًا مقيم » .

وجاء المدينة ليسلم فردّه الحسد ، فرجع إلى الطائف ، فبينما هو ذات يوم في فنية يشرب إذ وقع غراب فنعَبَ ثلاثة أصوات وطار ، فقال أمية : أتدرون ما قال ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه يقول لكم : إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت ، فقال القوم : لتكذِّبَنَّ قوله ، ثم قال : احسُّوا كأسكم ، فحَسَّوْها ، فلما انتهت النوبة^(١) إليه أغمى عليه ، فسكت طويلا ، ثم أفاق وهو يقول :

كَبَيْكُمَا كَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

أنا من حفت به النعمة ، والحمد والشكر^(٢) .

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

أو قال : أنا من حفت به النعمة [والحمد] ولم يجهد في الشكر ، ثم أنشأ يقول :

إِنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ شَابَ فِيهِ الصَّغِيرُ يَوْمًا طَوِيلًا^(٣)

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَأَ فِي رُمُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ حِينًا فَقُصَّارَى أَيَّامِهِ أَنْ يَزُولَا^(٤)

ثم شهق شهقة ؛ فكانت فيها نفسه .

قال المسعودي : وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس ، وأخبار من سلف - كابن دأب ، والهيثم بن عدي ، وأبي مخنفٍ لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلابي - أن السبب في كتابة قريش ، واستفتاحها في أوائل كتبها « باسمك اللهم » هو أن أمية بن أبي الصلت الثقفي خرج إلى الشام في نفر من ثقيف وقريش في غير لهم ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا ، واجتمعوا لعشائهم ؛ إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم ، فحَصَّبَهَا بعضهم بشيء في وجهها ، فرجعت ، فشَدُّوا [سفرتهم ثم قاموا

(١) في ١ « فلما انتهت الكأس الثالثة إلى أمية »

(٢) في ١ « ولم يحمد الشكر » وهي أوفق لما بعده (٣) في ١ « شيئا طويلا »

(٤) في ١ « صائر مدة إلى أن يزولا »

فَشَدَّوا[على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم
 عجوز من كتيب رمل متوكئة على عصا لها ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا
 رحيمة ، الجارية اليتيمة ، التي جاءكم عشيّة ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قالت :
 أم العوام ، أو تمت^(١) منذ أعوام ، أما ورب العباد ، لتفترقن في البلاد ،
 ثم ضربت بعصاها الأرض ، فأثارت بها الرمل ، وقالت : أطيل إياهم ،
 وأنقري ركابهم ، فوثبت الإبل فسكان على ذرّة كل بعير منها شيطاناً ،
 ما تملك منها شيئاً ، حتى افترقت في البوادي ، فجمعناها من آخر النهار إلى غد ،
 ولم نكد ، فلما أنجناها [لنرحلها طلعت علينا العجوز فعادت بالعصا كفعاها أولاً ،
 وعادت إلى مقالاتها الأولى : ما منعكم أن تطعموا رحيمة ، الجارية اليتيمة ؟ أطيل
 إياهم وأنقري ركابهم ، فخرجت الإبل ما تملك منها شيئاً ، فجمعناها من [آخر
 النهار إلى] غد ، ولم نكد ، فلما أنجناها [لنرحلها طلعت علينا العجوز ، فافعلت
 مثل فعلتها الأولى والثانية ، ففترقت الإبل وأمسينا في ليلة مُمَرَّة ، وقد يئسنا
 من ظهورنا ، فقلنا لأمية بن أبي الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك ؟
 فتوجّه إلى ذلك الكتيب الذي كانت تأتي منه العجوز ، حتى هبط من
 ناحية أخرى ، ثم صعد كثيراً آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنيسة فيها
 قناديل ، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية ، قال أمية : فلما وقفت
 عليه رفع رأسه إلى وقال : إنك لمتبوع^(٢) ، قلت : أجل ، قال : فمن أين
 يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذن اليسرى ، قال : فبأي الثياب يأمرك ؟
 قلت : بالسواد ، قال : هذا خطب الجن ، كدت ولم تفعل ، ولكن صاحب
 هذا الأمر يكلمه في أذنه اليمنى ، وأحبّ الثياب إليه البياض ، فما جله بك ؟
 وما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز ، قال : صدقت ، وليست بصادقة ،

(١) ربما كان الأصل « إمت منذ أعوام » أو « أو يمت منذ أعوام » وتقول :

أمّ المرأة تميم - مثل باعت تبيع - إذا صارت أيما .

(٢) يريد أن له رثياً محدثه .

هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت ، قال أمية : فما الحيلة ؟ قال : اجتمعوا ظهوركم فإذا جاءكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها : سبعاً من فوق ، وسبعاً من أسفل ، باسمك اللهم ، فإنها لا تضركم ، فرجع أمية إلى أصحابه ، فأخبرهم بما قيل له ، فجاءتهم ، ففعلت كما كانت تفعل ، فقالوا : سبعاً من فوق ، وسبعاً من أسفل ، باسمك اللهم ، فلم تضرهم ، فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت : عرفت صاحبكم ، كَيْبَيْضُنْ أعلاه ، وَيَسُودُنْ أسفله ، وَسِرْنَا ، فلما أدركنا الصبح نظرنا إلى أمية قد برّص في عذاريه ورقبته وصدره ، واسود أسفله ، فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث .

وكان أمية أول من كتب « باسمك اللهم » إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام فزفع ذلك وكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها في «أخبار الزمان» وغيره مما سلف من كتبنا .

ومنهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي بن قصي ، وهو ابن عم ورقة بن نوفل خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم لَحْجًا ، وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ، ورغب عن عبادة الأصنام ، وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي هذه الأمة ، وأنه سُبُؤْدَى وَيَكْذَبُ ، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بن أخي ، أثبت على ما أنت عليه ، فوالذي نفس ورقة بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولتؤذنين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ، ولئن أدركت يومك لأنصرن الله نصرًا يعلمه ، وقد اختلف فيه : فمنهم من زعم أنه مات نصرانيا ، ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتيسر له أمره ، ومنهم من رأى أنه مات مسلما وأنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يَقْفُو وَيَصْفَحُ لَا يَجْزِي بِسَيِّئَةٍ وَيَكْظُمُ الْغَيْظَ عِنْدَ الشَّمِّ وَالْفَضَبِ

عداس مولى ومنهم: عَدَّاسٌ^(١) مولى عُتْبَةَ بن ربيعة ، وكان من أهل نَيْنَوَى ، ولقى
عتبة بن ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم إلى الله عز وجل ،
وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خُطْبٌ في الحديقة ، وقتل يوم بدر على
النصرانية ، وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم .

أبوقيس صرمة ومنهم: أبو قيس صِرْمَةَ بن أبي أنس من الأنصار من بني النجار، وكان
ابن أبي أنس ترهب ، ولبس المسوح، وهجر الأوثان، ودخل بيتاً، واتخذ مسجداً لا تدخله
طامث ولا جُنُب ، وقال : أعبد ربَّ إبراهيم ، فلما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة أسلم وحسن إسلامه ، وفيه نزلت آية السحور : (وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)
وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ثَوَى فِي قُرْبَشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً بِمَكَّةَ لَا يَلْقَى صَدِيقاً مُؤَاتِياً^(٢)

ومنهم: أبو عامر الأوسى [واسمه عبد عمرو بن صَيْفِي بن النعمان ، من
بني عمرو بن عوف ، من الأوس] وهو أبو حفظة غَسِيلٍ لللائكة ،
وكان سيداً قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، فلما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة كان له معه خطب طويل ، فخرج في خمسين غلاماً ، فأت
على النصرانية بالشام .

أبو عامر
الأوسى

ومنهم: عبد الله بن جَحْشٍ الأسدي، من بني أسد بن خُزَيْمَةَ ، وكانت عنده
أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكان قد قرأ الكتب فمال إلى النصرانية ، فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم هاجر إلى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومنعه زوجته أم حبيبة
فنت أبي سفيان بن حرب ، ثم إنه ارتدَّ عن الإسلام هنالك وتنصر ، ومات

عبد الله
ابن جحش
الأسدي

(١) في ١ « عداسة » ومثل ما هنا عن ب ثابت في سيرة ابن هشام

(٢) في ١ « لو يلقى صديقاً مواسياً » .

بأرض الحبشة ، وكان يقول للمسلمين : إنا فَقَحْنَا وصَأَصَأْتُمْ ، يريد أبصرنا وأتَمَّ تلبسون البصر ، وهذا مَثَلٌ ضربته لهم ، وذلك أنه يقال للكلب إذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو جَرَوٌ : قد فَتَحَ ، وإذا كان يريد أن يفتحهما ولم يفتحهما بعد قيل : صَأَصَأَ ، ولما مات عبد الله بن جَحْش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ، زَوَّجَهَا إياه النجاشي ، وأمهرها عنه أربعمئة دينار .

ومنهم : بَحِيرَا الراهب ، وكان مؤمناً على دين المسيح عيسى بن مريم عليه بَحِيرَا الراهب السلام ، واسم بَحِيرَا في النصارى سرجس^(١) ، وكان من عبد القيس ، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهما أبوبكر وبلال مرثوا ببَحِيرَا وهو في صومعته ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه ونظار إلى الغمام تظله حيث ما جلس ، فَأَنزَلَهُمْ بَحِيرَا ، وأكرمهم ، واصطنع لهم طعاماً ، ونزل من صومعته حتى نظر إلى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع يده على موضعه ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعلم أبوبكر وبلالاً بقصته ، وما يكون من أمره ، وسأل أبا طالب أن يرجع به من وجهه ذلك ، وحذَّره عليه من أهل الكتاب ، وأخبر عمه أبا طالب بذلك ، فرجع به ، فلما رجع من سفره ذلك ، كان بدء قصته مع خديجة وما أظهر الله لها من دلائل نبوته ، وما أخبرت به مما كان منه في طريقه .

قال المسعودي : فهذه جل مبدأ الخليفة إلى حيث انتهينا [من هذا الموضع] ولم نُشَبِّهْ بشيء غير ما جاءت به الشرائع ، ونطقت به الكتب ، وأوضحت عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ولندكر الآن بدء ممالك الهند ، ولما من آرائها ، وتُتَبَّع ذلك بذكر سائر الممالك ؛ إذ كنا قد منّا جملاً من ذكر ملوك الإسرائيليين على حسب ما وجدنا في كتب الشرعيين ، والله أعلم .

ذكر جل من أخبار الهند، وآرائها

وبدء ممالكها [وملكها]

ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن هذا العالم وبدئه أن الهند كانت في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة ؛ فإنه لما تجملت الأجيال ، وتمحزت الأحزاب ، حاولت الهند أن تضم المملكة ، وتستولى على الخوذة ، وتكون الرياسة فيهم ، فقال كبارهم : نحن [كنا] أهل البدء ، وفيما التناهى ، ولنا الغاية والصدر والانهاء ، ومناسرى الأب إلى الأرض ، فلا ندع أحداً شاققنا ولا عاندنا وأراد بنا الإغماض إلا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع إلى طاعتنا ، فأزمت على ذلك ، ونصبت لها ملكا ، وهو البرهمن الأكبر ، والملك الأعظم ، والإمام فيها المقدم ، وظهرت في أيامه الحكمة ، وتقدمت العلماء ، واستخرجوا الحديد من المعادن ، وضربت في أيامه السيوف والخنجر ، وكثير من أنواع القتال ، وشيد الهياكل ، ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة ، وصوّر فيها الأفلاك والنجوم الأثني عشر والكواكب ، وبين بالصورة كيفية العالم ، وأرى بالصورة أيضاً أفعال الكواكب في هذا العالم وأحداثها للأشخاص الحيوانية : من الناطقة وغيرها ، وبين حال المدبر الأعظم الذي هو الشمس ، وأثبت في كتابه براهين جميع ذلك ، وقرب إلى عقول العوام فهم ذلك ، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك ، وأشار إلى المبدأ الأول المعطى سائر الموجودات وجودها الفائض عليها بمجوده ، وانتاده الهند ، وأخصبت بلادها ، وأراهم وجه مصالح الدنيا ، وجمع الحكماء فأحدثوا في أيامه كتاب السندهند وتفسيره دهر الدهور ، ومنه فرعت الكتب : كتاب الأريجيد^(١) والجسطنى ، وفرع من الأريجيد^(١) الأركند ، ومن الجسطنى كتاب بطليموس ، ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات ، وأحدثوا التسعة الأحرف

البرهمن

الحديقة بالحساب الهندي ، وكان أول من تكلم في أوج الشمس ، وذكر أنه يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ، ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة ، والأوج الآن على رأى البرهن في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في برج الثور^(١) وأنه إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة ؛ فصار العام خراباً ، والحارب عامراً ، والشمال جنوباً ، والجنوب شمالاً ، ورتب في بيت الذهب حساب الدور^(٢) الأول والتاريخ الأقدم الذي عاينه عملت الهند في تواريخ البدنة ، وظهورها في أرض الهند دون سائر الممالك ، ولهم في البدء خطب طويل أعرضنا عن ذكره ؛ إذ كان كتابنا كتاب خبر ، لا كتاب بحث ونظر ، وقد أتينا على جهل من ذلك في الكتاب الأوسط ، ومن الهند من يذكر أن ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان ، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون ؛ فظهر النسل ، ومرحت^(٣) البهائم ، وتغلغل الماء ، وذبح الحيوان ، وبقل العشب ، وخرق النسيم الهواء ، فأما أكثر أهل الهند فإنهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبثدى القوى متلاشية [شبيهة] الشخص ، موجودة القوة ، منتصبة الذات ، وحدوا لذلك أجلا ضربه ، ووقتاً نصبوه ، وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ، وسموا ذلك بعمر العالم ، وجعلوا للسافة بين البدء والانهاء مدة ست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثني عشر ألف عام ، وهذا عندهم الهازروان الضابط لقوى الأشياء والمدير لها ، وأن الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها ، وأن الأعمار تطول في أول الكر لانفساخ البوائ ، وتمكن القوى من المجال ، وتقصّر الأعمار في آخر الكر لضيق الدوائر ، وكثرة ما يعرض فيها من الأكدار البائرة للأعمار ، وذلك أن قوى الأجسام وصقوها في أول الكر تظهر وتسرح ، وأن الصفو سابق الكدر ، والصفاء يباذر الثفل ، والأعمار تطول بحسب صفاء المزاج ،

(١) في « برج الثور » (٢) في « البدء الأول » (٣) في « ا » وسرحت .

وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط^(١) الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات ، وأن آخر الكر الأعظم وغاية البدء الأكبر تظهر الصورة متشوهة ، والنفوس ضعيفة ، والأمزجة مختلطة ، وتتناقض القوى ، وتبديد المواضع^(٢) ، وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدوجة ، فلا يحظى ذوو الأعصار بتمام الأعمار ، ولا يهند فيما ذكرناه علل وبراهين في المبادئ الأول ، وفيما بسطناه من تفرعهم في الدوائر والهازروانات ، ورموز وأسرار في النفوس في اتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى إلى أسفل ، وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان ، وكان ملك البرهمن إلى أن هلك ثلثمائة سنة وستين سنة^(٣) .

البراهمة

وولده يعرفون بالبراهمة إلى وقتنا ، والهند تعظمهم ، وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ، ولا يقتدون بشيء من الحيوان ، وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صغرى يتقلدون بها كخاتل السيوف ، فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند . وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور إليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض : اجلسوا حتى ننظر ؛ فننظر ما قصة العالم ؟ وما سره ؟ ومن أين أقبلنا ؟ وإلى أين نمر ؟ وهل خروجننا من عدم إلى وجود حكمة أو ضد ذلك ؟ وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لأجسامنا يحتلب بخلقنا منفعة ، أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة ، أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا ؟ أم هل هو غنى من كل وجه فما وجه إفنائنا وإيانا وإعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا ؟ فقال الحكيم المنظور إليهم منهم : أترى أحداً من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الإدراك ؛ فظفر بالبغيه واستراح إلى الثقة ؟ قال الحكيم الثاني : لو تناهت حكمة الباري عز وجل في أحد

(١) في ١ « وتكامل القوى المؤدية للعناصر إلى الأخلاط الكائنات - إلخ »

(٢) في ب « المواضع »

(٣) في ١ « ثلثمائة سنة وستين سنة »

العقول كان ذلك نقصاً من حكمته، وكان الغرض غير مدرك، وكان التقصير مانعاً من الإدراك، قال الحكيم الثالث : الواجب علينا أن نتبدى بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا، من قبل أن نتفرغ إلى علم ما بعد منا، قال الحكيم الرابع : لقد ساء وقوع من وقع موقعاً احتاج فيه إلى معرفة نفسه، قال الحكيم الخامس : من ههنا وجب الاتصال بالعلماء المدودين بالحكمة، قال الحكيم السادس : الواجب على المرء الحب لسعادة نفسه أن لا يفغل عن ذلك، لاسيما إذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعاً، والخروج منها واجباً، قال الحكيم السابع : أنا لا أدرى ما تقولون، غير أنني أخرجتُ إلى هذه الدنيا مضطراً، وعشت فيها حائراً، وأخرجتُ منها مكرها.

فاختلف الهند بمن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة، وكل قد اقتدى بهم، ويمم مذهبهم، ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم، وتنازعوا في آرائهم، والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة.

قال المسعودي : وقد رأيت أبا القاسم البلخي ذكر في كتاب « عيون المسائل والجوابات » وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بكتاب « الآراء والديانات » مذاهب الهند وآراءهم، والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران، وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب، فما تعرضا لشيء مما ذكرنا، ولا يمتا نحو ما وصفنا.

وقد تنوزع في البرهمن : فمنهم من زعم أنه آدم عليه السلام، وأنه رسول حقيقة البرهمن الله عز وجل إلى الهند، ومنهم من يقول : إنه كان ملكاً على حسب ما ذكرنا، وهذا أشهر.

ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعاً شديداً، وفزعبت إلى نصب الباهبود بن البرهمن ملك عليها من أكبر ولده؛ فكان ولي عهد الموصى له من ولده ابنه الباهبود^(١).

فسار فبهم سيرة أبيه ، وأحسن النظر إليهم ، وزاد في بناء الهياكل ، وقَدَّم
الحكام ، وزاد في مراثيهم ، وحَثَّهم على تعليم الناس الحكمة ، وبَقَّتهم
على طلبها ، فكان ملكه إلى أن هلك مائة سنة .

صنع النرد
وحكته

وفي أيامه عمل النرد ، وأحدث اللعب بها ، وجعل ذلك مثالا للمكاسب ،
وأنها لا تُنال بالكَيْس ، ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى
فيها بالحذق ، وقد ذكر أن أردشير بن بابك أول من صنع النرد ، ولعب بها ،
وأرى تقاب الدنيا بأهائها ، واختلاف أمورها ، وجعل ييوتها اثني عشر بيتاً
بعدد الشهور ، وجعل كلابها ثلاثين كلباً بعدد أيام الشهر ، وجعل الفصين
مثلاً للقدير ، وتقلبه بأهل الدنيا ، وأن الإنسان يلعب بها فيبلغ بإسعاد
القدر إياه في مراده باللعب بها ما يريد ، وأن الحازم الفطن لا يتأتى له
ما تاتى لغيره ، إلا إذا أسعده القدر ، وأن الأرزاق والحظوظ في هذه
الدنيا لا تُنال إلا بالجدود .

زمان بعد
الباهبود

ثم ملك زمان بعد الباهبود ، فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة
سنة ، وزمان سيرته وأخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد
أتينا على الفرر منها فيما سلف من كتبنا .

ملك فور

ثم ملك فور ، وهو الذي واقعهُ الإسكندر ، قتلته [الإسكندر] مبارزة ،
وكان ملك فور إلى أن هلك أربعين ومائة سنة .

ملك دبشليم

ثم ملك بعده دبشليم ، وهو الواضع لكتاب « كلیلة ودمنة » الذي
ينسب لابن المقفع ، وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لأمير المؤمنين المأمون
كتاباً ترجمه ثعلبة وعفرة يعارض به كتاب كلیلة ودمنة في أبوابه وأمثاله ، ويزيد
عليه في حسن نظمه ، وكان ملكه مائة وعشرين سنة ^(١) ، وقيل غير ذلك .

ملك بلهيت
وصنع
الشطرنج

ثم ملك بعده بلهيت ، وصنعت في أيامه الشطرنج ؛ فقصى بلعبها على النرد ،
وبَيَّن الظفر الذي يناله الحازم ، والبلية التي تلحق الجاهل ، وحسب حسابها ، ورتَّب

لذلك كتابا للهند يعرف بطرق جنكا يتداولونه بينهم ، ولعب بالشطرنج مع حكمائه ، وجعلها مصورةً تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بنطاق ، وجعلهم درجات ومراتب ، ومثّل الشاه بالمدير الرئيس ، وكذلك ما يليه من القطع ، وأقام ذلك مثالاً لأجساد العلوية التي هي الأجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر ، وأفرد كل قطعة منها بكوكب ، وجعلها ضابطة للملكة ، وإذا كان عدو من أعدائه ، فوَقعت منه حيلة في الحروب نظروا من أين يؤتُون ، في عاجل وآجل ، وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ، ويتغلغلون بذلك إلى ما علّا من الأفلاك ، وما إليه منتهى العلة الأولى ، وأعداد أضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف [وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبعائة وأربعون] ألف ألف ألف ألف ، وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف ، وسبعائة ألف ألف ، وسبعة آلاف ألف وخمسمائة ألف وأحد وخمسون ألف وستمائة وخمسة عشر ، ومراتب هذه الألوف الستة الأولى ، ثم الخمسة التي هي ألف ألف خمس مرات ، ثم الأربع ، ثم الثلاث ، ثم الاثنى عشر ، ثم الواحدة ؛ لها عندهم معاني ، يذكرونها في الدهور والأعصار ، وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم ؛ لارتباط نفوس الناطقين بها ، والليونانيين والروم وغيرهم من الأمم في الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها . وقد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ، ممن تقدم منهم إلى الصولي والعدلي ، وإليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر .

وكان مُلكُ بلهيت ملك الهند إلى أن هلك ثمانين سنة ، وفي بعض النسخ أنه ملك ثلاثين ومائة سنة .

ثم ملك بعده كورش ، فأحدث للهند آراء في الديانات ، على حسب ملك كورش ما رأى من صلاح الوقت ، وما يحتمله من التكليف أهلُ العصر ، وخرج

عن مذاهب من سَلَفَ ، وكان في مملكته وعصره سندباد ، دَوَّنَ له كتاب
الوزراء السبعة والعلم والفلام وامرأة الملك ، وهو الكتاب المترجم بالسندباد
وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء
والعلاجات ، وتشكلت الحشائش ، وصورت ، وكان مدة ملك الهند هذا
إلى أن مات عشرين ومائة سنة .

ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها ، فتنجزت الأحزاب ،
وتجملت الأجيال ، وانفرد كل رئيس بناحية ، فملك على أرض السند ملك ،
وملك على أرض القنوج ملك ، وتملك على أرض قشمير ملك ، وتملك على
مدينة السانكير - وهي الحوزة الكبرى - ملك يسمى بالبلهري ، وهذا
أول ملك سمي من ملوكهم بالبلهري ؛ فصارت سمة لمن طرأ بعده من الملوك
لهذه الحوزة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

اختلاف أهل
الهند وتعدد
ملوكهم

وأرض الهند أرض واسعة في البر والبحر والجبال ، وملوكهم متصل
بملك الزابج ، وهي دار مملكة المهرج ملك الجزائر ، وهذه المملكة
قدر^(١) بين مملكة الهند والصين ، وتضاف إلى الهند ، والهند متصلة بما يلي
الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت ، وبين هذه الممالك تباين
وحروب ، ولغاتهم مختلفة ، وآراؤهم غير متفقة ، والأكثر منهم يقول
بالتناسخ ، وتنقل الأرواح على حسب ما قدمناه آنفاً ، والهند في عقولهم
وسياساتهم وحكمتهم [وألوانهم وصفاتهم] وصحة أمرجتههم وصفاء أذهانهم
[ودقة نظرهم] بخلاف سائر السودان من الزنج والدامم وسائر الأجناس .
وقد ذكر جالينوس في الأسود عشر خصال اجتمعت فيه ، ولم توجد في
غيره : تغلب الشعر ، وخفة الحاجبين ، وانتشار المنخرين ، وغلظ الشفتين ،

صفة
أرض الهند

(١) في « فرز بين مملكة الهند والصين » .

وتحديد الأسنان، وتنن الجلد، وسواد الخدق^(١)، وتشقق اليدين والرجلين ، بعض طبائع
الهند وطول الذكر ، وكثرة الطرب ، قال جالينوس : وإنما غلب على الأسود
الطرب لفساد دماغه ، فضعف لذلك عقله .

وقد ذكر [غير] جالينوس في طرب السودان ، وغلبة الفرح عليهم ،
وما خص به الزنج من ذلك دون سائر السودان في الإكثار من الطرب
أموراً قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة
الزنجي ، ويقول : إنه عبد مشوه الخلقة .

وباغنا أن أبا العباس الراضي بالله ابن المقتدر بالله كان لا يتناول شيئاً من
أسود ، ويقول : إنه عبد مشوه خلقه ؛ فلست أدرى أفلد طاوساً في مذهبه
أم لضرب من الآراء والنحل .

وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتاباً في نحر السودان ومناظرتهم مع البيضان . من عادات
الهنود والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ، ولا تسكد
ملوكهم تظهر لمواهم إلا في كل برهة من الزمان معلومة ، ويكون ظهرها
للنظر في أمور الرعية ؛ لأن في نظر العوام عندها إلى ملوكها خرقاً لهيتها ،
واستخفافاً بحقها ، والرياسات عند هؤلاء لا تجوز إلا بالتخير ، ووضع الأشياء
مواضعها من مراتب السياسة .

قال المسعودي : ورأيت في بلاد سرنديبوهي جزيرة من جزائر البحر -
أن الملك من ملوكهم إذا مات صير على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكرة
معدّة لهذا المعنى ، وشعره ينجر على الأرض ، وامرأة بيدها مكنته تحثو التراب
على رأسه ، وتنادي : أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس قد ملككم
وجاز فيكم حكمه ، وقد صار أمره إلى ماترون من ترك الدنيا ، وقبض

(١) في «سواد الخلق» .

روحه مَلَكُ الموت ، والحي القديم^(١) الذي لا يموت ، فلا تَفْتَرُّوا بالحياة بعده ، وتقول كلاماً هذا معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم ، ويطاف به [كذلك في جميع] شوارع المدينة ، ثم يفصل أربع قطع ، وقد هيء له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ، فيحرق بالنار ، ويُذَرُّ رماده في الرياح ، وكذا فَعِلُ أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم ؛ لغرض يذكرونه ، ونهج يقيمونه في المستقبل من الزمان ، والملك مقصور على أهل بيتٍ لا ينتقل عنهم إلى غيرهم ، وكذلك بيت الوزراء والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل .

والهند تمنع من شرب الشراب ، ويعتفون شاربته ؛ لا على طريق التدبير ، ولكن تنزهاً [عن] أن يوردوا على عقولهم ما يفسدها ، ويزيلها عما وضعت له فيهم ، وإذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحقَّ الخلع عن ملكه ؛ إذ كان لا يتأق له التدبير والسياسة مع الاختلاط ، [وربما يسمعون السماع والملاهي ، ولم يضرهم من الآلات مطربة تفعل في الناس أفعالا مرتبة من ضحك وبكاء .] وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم ، فتطرب الرجال لطرب الجوارى .

واللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً .

وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهري صاحب مدينة المانكير^(٢) ، وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه ، وتصلي لرسله إذا وردوا عليهم ، وتلى مملكة البلهري ممالك كثيرة للهند . ومنهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القشмир وملك الطافن وغير ذلك من ملوكهم - أعني

(١) في « ملك الملوك والحي القيوم الذي لا يموت » .

(٢) في ب « البلهزا صاحب مدينة الماملير » .

ملوك الهند - ومنهم من يملكه بر وبحر ؛ فأما البلهرى فإن بين ديار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخاً سنديّة ، والفرسخ ثمانية أميال ، وله جيوش وفيلة لا تدرك كثرتها ، وأكثريوشه رجالة ؛ لأن دار ملكه بين الجبال ، ويساويه ^(١) من ملوك الهند من لا بحر له يؤذرة ^(٢) صاحب مدينة القنوج ، وهذا الاسم [سمة لكل ملك على هذه المملكة ، وله جيوش مرتبة] على الشمال والجنوب والصبا والدبور ؛ لأنه فى كل وجه من هذه الوجوه يلتقى ملكا محاربا له .

وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الأرض فيما يرد من هذا الكتاب ، عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك وغير ذلك ، وإن كنا قد أسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا ، والله أعلم .

(١) فى « ويناويه » . (٢) فى ب « يزورة » .

ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال

والأقاليم السبعة ، وما والاها من الكواكب
وترتيب الأفلاك ، وغير ذلك

وصف الأرض قسّمت الجكماء الأرض إلى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، وقسّموا ذلك إلى قسمين : مسكون ، وغير مسكون ، وعامر ، وغير عامر ، وذكروا أن الأرض مستديرة ، ومركزها في وسط الفلك ، والهواء محيط بهما من كل الجهات ، وأنها عند فلك البروج بمنزلة النقطة [قلة] ، وأخذوا عمراتها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي ، وهي ستة أجزاء عامرة إلى أقصى عمران الصين ، فوجدوا ذلك اثني عشر ساعة ؛ فعلموا أن الشمس إذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التي في بحر أوقيانوس الغربي ، وإذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين ، وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الأميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الأميال التي عملوا عليها في مساحة دور الأرض ، ثم نظروا إلى العروض ؛ فوجدوا العمران من موضع خط الاستواء إلى ناحية الشمال ينتهي إلى جزيرة تولى التي في بريطانيا حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة ، وذكروا أن موضع خط الاستواء من الأرض يقطع فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة بين الهند والحبش من ناحية الجنوب ، فيعرض ما بين الشمال والجنوب في النصف مما بين الجزائر العامرة وأقصى عمران الصين وهو قبة الأرض المعروفة بما ذكرنا ، ويكون العرض من خط الاستواء إلى جزيرة تولى قريباً من ستين جزءاً ، وذلك سدس دائرة الأرض ، وإذا ضرب هذا السدس الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول كان مقدار ما يظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة الأرض .

الجزء الأول : ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ٨٧

وأما الأقاليم السبعة فأولها أرض بابل منهخراسان وفارس والأهواز والموصل الأقاليم السبعة وأرض الجبال ؛ وله من البروج الحمل والقوس ، ومن الأنجم السبعة المشتري ، والإقليم الثاني الهند والسند والسودان ، وله من البروج الجدي ، ومن الأنجم السبعة زحل ، والإقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها ، وله من البروج العقرب ، ومن الأنجم السبعة الزهرة ، وهي سعد الفلك ، والإقليم الرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس وما بينها ، له من البروج الجوزاء ، ومن الأنجم السبعة عطارد ، والإقليم الخامس الشام والروم والجزيرة ، له من البروج الدلو ، ومن الأنجم السبعة القمر ، والإقليم السادس الترك والخزر والدليم والصقالبة ، له من البروج السرطان ، ومن الأنجم السبعة المريخ ، والإقليم السابع الديبل^(١) والصين ، له من البروج الميزان ، ومن الأنجم السبعة الشمس .

ذكر حسين^(٢) المنجم صاحب كتاب الزيج في النجوم ، عن خالد بن عبد الملك^(٣) المروزي وغيره - وقد كانوا رصدوا الشمس لأمر المؤمنين المؤمنين في برية سنجان من بلاد ديار ربيعة - أن مقدار درجة واحدة من وجه الأرض ستة وخمسون ميلاً ؛ فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور كرة الأرض المحيط بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلاً ، ثم ضربوا دور الأرض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلاً ؛ فقسموا ذلك على اثنين وعشرين ميلاً ، وخرج للقسم الذي هو مقدار قطر الأرض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلاً [ونصفاً] ونصف عشر ميل بالتقريب ، ونصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة

(١) في ا ا الديبل (٢) في ب «جلس المنجم» (٣) في ب «خالد بن عبد الله»

وثلاثاً ثانية^(١)، يكون ربع ميل وربع عشر ميل ، والميل أربعة آلاف ذراع بالأسود ، وهي الذراع التي وضعها أمير المؤمنين المأمون لذرع الثياب ومساحة البناء ، وقسمة المنازل ، والذراع مائة وعشرون إصبعا^(٢) .

قال السعدي : وقد ذكر بطليموس^(٣) في الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الأرض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والأنهار والعيون ووصف المدن المسكونة والمواقع العامرة، وأن عددها أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره ، وسماها مدينة مدينة في إقليم إقليم ، وذكر في هذا الكتاب ألوان جبال الدنيا من الحررة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الألوان، وأن عددها مائتا جبل ونيف ، وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر . وذكر هذا الفيلسوف أن عدد البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر ؛ وذكر ما فيها من الجزائر ، والعامر منها وغير العامر ، وما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر ، وذكر أن في البحر الحبشي جزائر متصلة نحواً من ألف جزيرة يقال لها الدييحات^(٤) عامرة كلها [من الجزيرة إلى الجزيرة الميلاز والثلاثة وأكثر من ذلك ، دون ما في هذا البحر] من الجزائر .

جغرافية
بطليموس

وذكر بطليموس في جغرافيا أن ابتداء بحر مصر من الروم إلى بحر الأصنام النحاس ، وأن جميع العيون الكبار [التي تتبع من الأرض] مائتا عين وثلثون عيناً ، دون ما عداها من الصغار ، وأن عدد الأنهار الكبار الجارية في الأقاليم السبعة على [دوام الأوقات مائتان وتسعون نهراً ، وأن الأقاليم على] حسب ما قدمناه [في عدة الأقاليم ، و] كل إقليم سبعة تسعمائة فرسخ في مثلها ، وفي البحار ما هو معمور بالحيوان ، ومنها ما ليس بمعمور ، وهو أوقيانوس البحر المحيط ، وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جل في تفصيل البحار ووصفها ، وهذه

(١) في ١ « وثلاثين ثانية » (٢) في ١ « أربعة وعشرون أصبعا »

(٣) في ١ « وقد ذكر الفيلسوف » (٤) في ب « الدييحات »

الجزء الأول : ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ٨٩

البحار كلها معصورة في كتاب جغرافياً بأنواع من الأصباغ مختلفة المقادير في الصورة ، فمنها ما هو على صورة العليسان ، ومنها ما هو على صورة الشابورة ، ومنها مصراني الشكل | ومنها مدور | ومنها مثلث ، إلا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متميزة فهمها ، وأن قطر الأرض ألفان ومائة فرسخ | يكون ذلك على التصحيح ستة آلاف وستمائة فرسخ [تقدير كل فرسخ سنة عشر ألف ذراع ، والذي يحيط بأسفل دائرة النجوم — وهو فلك القمر — مائة ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفاً وستمائة وستون فرسخاً ، وأن قطار الفلك من حد رأس الحمل إلى حد رأس الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ ، وعدد هذه الأفلاك تسعة ؛ فأولها وهو أصغرهما وأقربها إلى الأرض للقمر ، والثاني لمطارد ، والثالث للزهرة ، والرابع للشمس ، والخامس المريخ ، والسادس المشتري ، والسابع لزحل ، والثامن للكواكب الثابتة ، والتاسع للبروج ، وهيئة هذه الأفلاك هيئة الأكرز بعضها في جوف بعض ؛ ففلك البروج يسمى الفلك الكلي ، وبه يكون الليل والنهار ؛ لأنه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة ، على قطبين ثابتين : أحدهما على الشمال وهو قطب بنات نعل ، والآخر على الجنوب وهو قطب سهيل ، وإس البروج غير الفلك ، وإنما هي مواضع لقبت بهذه الأسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي ؛ فيجب أن تكون البروج تضيق من ناحية القطبين وتوسع في وسط الكرة ، وانحط القاطع للكرة نصفين الآخذ من المشرق إلى المغرب يسمى دائرة ممدل النهار ؛ لأن الشمس إذا صارت على استوى الليل والنهار في جميع البادان ، فما كان من الفلك آخفاً من الجنوب إلى الشمال يسمى العرض ، وما كان آخذاً من الشرق إلى الغرب يسمى الطول ، والأفلاك مستديرة محيطة بالعالم ، وهي تدور على مركز الأرض ، والأرض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة ، وهي تسعة أفلاك ؛

فأقربها من الأرض فلك القمر ، وفوقه فلك عطارد ، وفوق ذلك فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، والشمس متوسطة الأفلاك السبعة ، وفوقها فلك المريخ ، وفوقه فلك المشتري ، وفوق ذلك فلك زحل ، وفي كل فلك من هذه الأفلاك السبعة كوكب واحد فقط ، وفوق فلك زحل الفلك الثامن [الذي فيه البروج الاثنا عشر ، وسائر الكواكب في الفلك الثامن] ، والفلك التاسع — وهو أرفع وأعظم جسماً ، وهو الفلك الأعظم — يحيط بالأفلاك التي دونه مما سمينا ، وبالطبائع الأربع ، وبجميع الخليقة ، وليس فيه كوكب ، ودوره من المشرق إلى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ، ويدور بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها ، وأما الأفلاك السبعة التي قدمنا ذكرها فإنها تدور من المغرب إلى المشرق ، وللاوائل فيما ذكرنا حجج يطول الخطب بها ، والكواكب المرئية^(١) التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن ، وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم المتقدم ذكره ، وزعموا أن الدليل على أن حركة هذه البروج غير حركة الأفلاك هو أن البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضاً في مسيرها ، ولا تنتقل عن أماكنها ، ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها ، وأن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، ولها تفاوت في حركاتها ؛ فربما أسرع الكوكب في حركته ومسيره ، وربما أخذ في الجنوب ، وربما أخذ في الشمال ، وحدّ الفلك عندهم أنه نهاية لما^(٢) . تصير إليه الطبائع علواً وسفلاً ، وحدّه من جهة الطبائع أنه شكل مستدير ، وهو أوسع الأشكال ، وهو يحيط بالأشكال كلها ، وأن مقادير حركة هذه الكواكب في أفلاكها مختلفة ؛ فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ، ويقطع الفلك في شهر ، ومقام الشمس في كل برج شهر ، ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوماً ، ومقام الزهرة في كل برج خمسة وعشرون يوماً ، ومقام المريخ في كل برج

الجزء الأول : ذكر الأرض والبحار، ومبادئ الأنهار والجبال ٩١

خمس وأربعون يوماً ، ومقام المشتري في كل برج سنة ، ومقام زحل في كل برج ثلاثون شهراً .

وقد زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطى أن استدارة الأرض كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل ؛ وأن قطرها — وهو عرضها وعمقها — سبعة آلاف ^(١) وستائة وستة وثلاثون ميلاً ، وأنهم إنما استذكروا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالى في مدينتين وهما على خط واحد من خط الاستواء ، مثل مدينة تدُمُر التي في البرية بين العراق والشام ، ومثل مدينة الرقة ؛ فوجدوا ارتفاع القطب في مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزءاً وثلاثاً ؛ ووجدوا ارتفاع القطب في مدينة تدُمُر أربعة وثلاثين ^(٢) . جزءاً ، بينهما زيادة جزء وثلث جزء ، ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وستين ميلاً ^(٣) ؛ فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلاً من الأرض ، والفلك ثمانمائة وستون جزءاً ؛ لعل ذكرها يبعد علينا إيرادها في هذا الموضع ، وهذه قسمة صحيحة عندهم ؛ لأنهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا عشر ، وأن الشمس تقطع كل برج في شهر ، وتقطع البروج كلها في ثمانية وستين يوماً ، وأن الفلك مستدير يدور بمحورين أو قطبين ، وأنهما بمنزلة محورى النجار والخرائط الذى يخرط الأكرّ والقصاص وغيرهما من الآلات الخشب ، وأن من كان مسكنه وسط الأرض وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره سائر الدهور ، ورأى هذين المحورين أعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى جميعاً ، فأما أهل البلدان التى مالت إلى ناحية الشمال فإنهم يرون القطب الشمالى وبنات نعش ، ولا يرون القطب الجنوبى ولا الكواكب التى هي قريبة منه ، وكذلك لا يرى الكوكب

(١) في ب « تسعة آلاف » (٢) في ب « أربعة وثمانين جزءاً »

(٣) في ب « سبعة وثلاثين ميلاً »

المعروف بسُهَيْلٍ بناحية خراسان ، ويرى في العراق في السنة أياماً ، ولا تقع عين جمل من الجمال عليه إلا هلك ، على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان خاصة ، وأما في البلدان الجنوبية فإنه يُرى في السنة كلها .

وقد تنازع طوائف الفلكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك في دوره : أساكنان هما أم متحركان ؟ فذهب الأكثر منهم إلى أنهما غير متحركين ؛ وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين ^(١) : أمن جنس الأفلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا .

شكل البحار وقد تنوزع في شكل البحار ؛ فذهب الأكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين — إلا من خالفهم وذهب إلى قول الشرعيين — أن البحر مستدير على مواضع الأرض ، واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة ، منها أنك إذا لججت فيه غابت عنك الأرض والجبال شيئاً بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ، ولا ترى شيئاً من شواطئ الجبال ، وإذا أقبلت أيضاً نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيئاً بعد شيء ، و [إذا قربت من الساحل] ظهرت الأشجار والأرض .

وهذا جبل دُنْبَاوَنَدَ بين بلاد الزى وطبرستان يرى من مائة فرسخ ؛ لعلوه وذهابه في الجو ، ويرتفع في أعاليه الدخان ، والثلوج مترادفة عليه غير خالية من أعاليه ، ويخرج من أسفله نهر كثير الماء أصفر كبريتي ذهبي اللون ، مسافة الصعود إليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها ، وإن من علّاه وصار في قُلَّتِهِ وجد مساحة رأس القلّة نحو ألف ذراع في مثل ذلك ، وهي ترى في رأى العين من أسفل نحو القبة المنخرطة ، وإن في هذه المساحة في أعاليه

(١) في ا « بقاء هذين المحورين » .

الجزء الأول: ذكر الأرض والبحار، ومبادئ الأنهار والجبال ٩٣

رملا أحمر تنفوس فيه الأقدام ، وإن هذه القبة لا يلجقها شيء من الوحش ولا من الطير ؛ لشدة الرياح وسموها في الهواء ، وشدة البرد ، وإن في أعاليه نحواً من ثلاثين ثقباً^(١) يخرج منها الدخان الكبيرتي العظيم ، ويخرج مع ذلك من هذه المخارق مع الدخان دوى عظيم تأشد ما يكون من الرعد ، وذلك صوت تأهب النيران ، وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد إلى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتاً أصفر كأنه الذهب يقع في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه ، وإن من علاه يرى ما حوله من الجبال الشاخنة كأنها روابٍ وتلالٍ لعلوه عليها ، وبين هذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخاً ، والمراكب إذا كجّت في هذا البحر غاب عنها جبل دُنْبَاوَنَدَ فلم يره أحد ، فإذا صاروا في هذا البحر على نحو من مائة فرسخ ، ودنّوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعلى هذا الجبل ، فكلموا قربوا من هذا الساحل ظهر لهم ، وهذا دليل على ما ذهبوا إليه من كرية ماء البحر ، وأنه مستدير الشكل .

وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام ومصر يرى الجبل الأقرع ، وهو جبل عال لا يدرك علوه ، مُطَّل على بلاد أنطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرص وغيرها من بلاد الروم ، فينبى عن أبصار من في المراكب لانخفاضهم في المسير في البحر عن المواضع التي يرى منها .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل دُنْبَاوَنَدَ وما قال الفرس في ذلك ، وأن الضحاك ذا الأفواه موقن في أعاليه بالحديد ، وهذه القبة التي في أعلى هذا الجبل أطم عظيمة من أطام الأرض ومجائبها .

وقد تكلم الناس في بعد الأرض ؛ فذكر الأكثر أن من مركز الأرض مساحة الأرض والكواكب

إلى ما ينتهى إليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر^(١) ألف ميل ،
وأما القمر فإن الأرض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة^(٢) ، والأرض أعظم
من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة ، والأرض أعظم من الزهرة بأربع
وعشرين ألف مرة ، والشمس أعظم من الأرض بمائة وسبعين مرة وربع
وثمن^(٣) ، وأعظم من القمر بألف وستائة وأربع وأربعين مرة^(٤) ،
والأرض كلها نصف عشر ثمن [جزء] من الشمس ، وقطر الشمس اثنان
وأربعون ألف ميل ، والريخ مثل الأرض وزيادة ثلاثة وستين مرة ، وقطره
ثمانية آلاف وسبعائة ميل ونصف ميل ، والمشتري مثل الأرض إحدى
وثمانين مرة ونصف وربع ، وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر
ميلا^(٥) ، وزحل أعظم من الأرض تسعاً وتسعين مرة ونصفاً ، وقطره اثنان
وثلاثون ألف ميل وسبعائة وستة وثلاثون ميلا^(٦) ، وأما أجرام الكواكب
الثابتة التي في المشرق الأول - وهي خمسة عشر كوكباً - فكل كوكب
منها أعظم من الأرض بأربع وتسعين مرة ونصف مرة ، وأما بعدها من
الأرض فإن أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل ، وأبعد
بعده من الأرض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل ، وأبعد عطارد من
الأرض سبعمائة ألف ألف وسبعائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل^(٧) ، وأبعد بعد
الزهرة من الأرض أربعة آلاف ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستائة
ميل^(٨) ، وأبعد بعد الشمس من الأرض أربعة آلاف ألف [ألف] وثمانمائة

(١) في « مائة ألف وثمانية وستون ألف ميل »

(٢) في « سبعة وثلاثين مرة وشئ »

(٣) في « مائة وستا وستين مرة وربعا وثمان »

(٤) في « ألفا وستائة وأربعين مرة » (٥) في « مائتان وستة عشر ميلا »

(٦) في « وسبعائة وستة وثمانون ميلا »

(٧) في « تسعمائة ألف وسبعائة وثلاثون ألف ميل »

(٨) في « أربعة آلاف ألف وتسعة عشر ألفا وستائة ميل » وهو الموافق لما بعده

الجزء الأول : ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ٩٥

ألف وعشرون ألفاً ونصف ميل ، وأبعد بعد الريح من الأرض ثلاثة وثلاثون ألف [ألف] ميل وستمائة [ألف] ميل وشيء ، وأبعد بعد المشتري من الأرض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف [وستة] وستون ألف ميل إلا شيئاً ، وأبعد بعد زحل من الأرض سبعة وسبعون ألف ألف ميل إلا شيئاً ، وأبعد الكواكب الثابتة من مركز الأرض نحو ذلك .

وفيما ذكرنا من القسمة والأجزاء والمقاييس استدرك القوم علم الساعات [والكسوفات] وبها استخراج الآلات والإسطرلابات ، وعليها صنفوا كتبهم كلها ، وهذا باب إن شرعنا في إيراد البعض منه كثير ، واتسع الكلام فيه ، وإنما ذكرنا لمعاً من هذه الفنون لندل بها على ما لم نورد .

وقد رتبت الصابئة من الحرائين - وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين - الكهنة في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الأفلاك السبعة ، فأعلى كهانهم يسمى رأس كمرى^(١) ، ثم وزدت بعدهم النصارى فرتبت الكهنة في كهانتها ، على ما تقدمت فيه الصابئة في مذهبها .

وسميت النصارى هذه المراتب العظا^(٢) : فأولها الساطع ، والثاني اغسط ، والثالث يودنا ، والرابع شماس ، والخامس قسيس ، والسادس يودوط ، والسابع حور الفينطس ، وهو الذي يخلف الأسقف ، والثامن أسقف ، والتاسع مطران^(٣) ، وتفسير مطران رئيس المدينة ، والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرك ، وتفسيره أبو الآباء ؛ فن تقدم ذكرهم من أصحاب المراتب وغيرهم من الأداني وعوامهم ، هذا عند خواص النصارى ؛

(١) في ب « كمروردين » (٢) في ا « الطاعات » (٣) هكذا وقعت هذه الأسماء في ب ، وفي ا « فأولها الصلط ، والثاني اغسط ، والثالث يوداقتن ، والرابع شماس ، والخامس قسيس ، والسادس بردوت ، والسابع حوار اسفطس ، وهو الذي يخلف الأسقف ، والثامن الأسقف ، والتاسع مطران »

فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرنا ، وهو أن ملكاً ظهر لهم ، وأظهر أموراً يذكرونها لا حاجة بنا إلى وصفها ، وهذا ترتيب الملكية ، وهم عهدُ النصرانية وقُطِبها ؛ لأن المشاركة - وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة - عن هؤلاء تفرعوا ، ومنهم تبددوا^(١) ، وإنما أخذت النصراني جملاً من هذه المراتب على ما ذكرنا من الصابئة ، وأما القسيس والشماس وغير ذلك فعن المآنية ، إلا التصدوس والسماع^(٢) ، وإن كان ماني حدث بعد مضي السيد عيسى بن مريم عليه السلام ، وكذلك ابن ديصان ومريقون ، وإلى ماني أضيفت المانية ، وإلى مريقون أضيفت المريقونية ، وإلى ابن ديصان أضيفت الديصانية ، ثم تفرعت بعد ذلك المزدقية وغيرها من سلك طريقة صاحب الاثنيين .

وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط على جمل من نواذر هذه المذاهب ، وما أوردوه من الخرافات المزخرفة ، والشبه الموضوع ، وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وما ذكرناه في كسر هذه الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب « الإبانة في أصول الديانة » وإنما نذكر في هذه الأبواب ما يتشعب الكلام إليه ، ويتغلغل الوصف نحوه ، فنورد منه لمعاً على طريق الخبر والحكاية للذهب ، لا على طريق النظر والجدل ؛ لتلايخو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة إلى ذكره ، والله أعلم .

(١) في « ومنهم شذوا »

(٢) في « إلا الصدوقون والسماع »

ذكر الأخبار عن انتقال البحار

وجمل من أخبار الأنهار الكبرى

ذكر صاحب المنطق أن البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر^(١)، حتى تصير في مواضع مختلفة ، وأن جملة البحار متحركة ، إلا أن تلك الحركة إذا أضيفت إلى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعدها قعورها صارت كأنها ساكنة ، وليست مواضع الأرض الرطبة أبداً رطبة ، ولا مواضع الأرض اليابسة أبداً يابسة ، لكنها تتغير وتستحيل ، لصب الأنهار إليها^(٢) ، واقطاعها عنها ، ولهذا العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر ؛ فليس موضع البر أبداً براً ، ولا موضع البحر أبداً بحراً ، بل قد يكون براً حيث كان مرة بحراً ، ويكون بحراً حيث كان مرة براً ، وعلة ذلك الأنهار وبدؤها^(٣) ؛ فإن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً ، وحياة وموتاً ، [ونشأ] ونشوراً ، كما يكون ذلك في الحيوان والنبات ، غير أن الشباب والكبر في الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء ، لكنها تشب وتكبر أجزاؤها [كلها] معاً ، وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد ، فأما الأرض فإنها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء ، وذلك بدوران الشمس . وقد اختلف الناس في الأنهار والأعين من أين بدؤها .

فذهبت طائفة إلى أن مجراها كلها — أعنى البحار —^(٤) واحد ، وهو البحر الأعظم ، وأن ذلك بحر عذب ليس هو بحر أقيانوس . وزعمت طائفة أن البحار^(٤) في الأرضين كالعروق في البدن .

(١) في ١ « وطول الدهور » .

(٢) في ١ « بصب الأنهار فيها » .

(٣) في ١ « وجريها » .

(٤) هذه الكلمة ليست في ١ ، وللمراد الأنهار .

وقال آخرون : حق الماء أن يكون على سطح ، فلما اختلفت الأرض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء إلى أعماق الأرض ، فإذا انحصرت المياه في أعماق الأرض وقُومَورها طلبت التنفس حينئذٍ ؛ لفظ الأرض وضغطها إياها من أسفل ، فتنبثق من ذلك العيون والأنهار ، وربما تتولد في باطن الأرضين من الهواء الكائن هناك ، وأن الماء ليس بأسطقس ، وإنما هو متولد من عُفُونات الأرض وبخارها ، وقالوا في ذلك كلاما كثيراً أعرضنا عن ذكره طلباً للإيجاز وميلاً للاختصار ، وقد بسطنا ذلك في غير هذا الكتاب من كتبنا .

وأما مبادئ الأنهار الكبار ، ومطارجها ، ومقادير جريانها على وجه الأرض كالنيل والفرات والدجلة ونهر بلخ ، وهو جيحون ، ومهران السند وجنحس^(١) ، وهو نهر عظيم بأرض الهند ، ونهر^(٢) سابط وهو نهر عظيم ، ونهر طنباس^(٣) الذي يصب إلى بحر نيّطس ، وغيرها مما كبر من الأنهار فقد تكلم الناس في مقدار جريانها على وجه الأرض .

النيل

فرايت في جغرافيا النيل مصوراً ظاهراً من تحت جبل القمر ، ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا ، فتصب تلك المياه إلى بحرين^(٤) هناك كالبطائح ، ثم يجتمع الماء جارياً فيمر برمال هناك وجبال ، ويحترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج ؛ فيتشعب منه خليج ينصب إلى بحر الزنج ، وهو بحر جزيرة قنبلو ، وهي جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين ، إلا أن لغتهم زنجية : غلبوا على هذه الجزيرة ، وسبوا من كان فيها من الزنج ، كغلبة المسلمين على جزيرة إفريطش في البحر الرومي ، وذلك في مبدأ الدولة العباسية وتَقَضَّى الأموية ، ومنها إلى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحرِيُّونَ حَزْراً منهم لذلك ، لا على طريق التحصيل

(١) في ب « وحيحس » .

(٢) في ب « سابط » .

(٣) في ب « أطفاس » .

(٤) في أ « بحيرتين » .

الجزء الأول : ذكر الأخبار عن انتقال البحار ٩٩

والمساحة ، وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين وهم أرباب المراكب أنهم يشاهدون في هذا البحر — في الوقت الذي تكثر فيه زيادة النيل بمصر ، أو قبل الأوان بمدة يسيرة — ماء يخترق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه ، يخرج من جبال الزنج ، عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا ، يتكدر في إبان الزيادة بمصر وصعيدها ، فيها الشوهان ^(١) ، وهو التماسح الكائن في نيل مصر ، ويسمى أيضاً الورل .

وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذي هو نهر السند من نيل مصر ، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فاست أدري كيف وقع له هذا الدليل ، وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الأمصار ومجائب البلدان ، وهو كتاب في نهاية الغثاثة ^(٢) ؛ لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولا أكثر الأسفار ، ولا تفرغ المسالك والأمصار [وإنما كان حاطب ليل ، ينقل من كتب الوراقين] أو لم يعلم أن نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعلى بلاد السند من أرض القنوج من مملكة بؤورة وأرض قشمير والقنفدار ^(٣) والطافر حتى ينتهي إلى بلاد المولتان ، ومن هناك يسمى مهران الذهب ، وتفسير المولتان فرج الذهب ، وصاحب مملكة بلاد المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤي بن غالب ، والقوافل منه إلى خراسان متصلة ، وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبّار بن الأسود ، والملك في هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديما من صدر الإسلام ، ثم ينتهي نهر مهران إلى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل في بحر الهند ، والتماسيح كثيرة

(١) في ب « فيه السموسار » .

(٢) في ا « في نهاية الحسن وإن كان الرجل » .

(٣) في ا « والقنفدار والطافن » .

في أجواف هذا البحر^(١) ، وفي خليج ميديون من مملكة ياغرمين أرض الهند^(٢) وخليجان الزابج من بحر مملكة المهرج ، وكذلك في خليجان الأغنياب ، وهي أغنياب تلي جزيرة سرنديب ، والأغلب على التماسيح كونها في الباء العذب ، وما ذكرنا من خليجانات الهند فالأغلب من أمواها أن تكون عذبة لصب مياه الأمطار إليها .

عود إلى
ذكر النيل

فلنرجع الآن إلى الأخبار عن نيل مصر ، فنقول : إن الذي ذكرته الحكماء أنه يجري على وجه الأرض تسعمائة فرسخ ، وقيل : ألف فرسخ ، في عامر وغير عامر ، حتى يأتي أسوان من صعيد مصر ، وإلى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر ، وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجري النيل في وسطها ، ولا سبيل إلى جريان السفن فيه هناك ، وهذه الجبال والمواقع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين ، ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ، ثم يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر يجبل الطيلمون وحجر اللاهون من بلاد الفيوم ، وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطنًا ، فيقطعه ، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر [والفيوم] وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في ما^(٣)ها ، ثم يمضي جازيا فينقسم خليجانات إلى بلاد تنيس وديماط ورشيد والإسكندرية ، [كل] يصب إلى البحر الرومي ، وقد أحدث فيه^(٤) بحيرات في هذه المواضع ، وقد كان النيل انقطع عن بلاد الإسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادها في هذه السنة . وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة . ونمى إلى وأنا بمدينة أنطاكية والشعر الشامي أن النيل زاد في هذه السنة ثمانية عشر ذراعا ؛ فليست أدري أي هذه الزيادة

(١) في أ « في أجواف هذا البحر ، وهي الخليجانات كخليج صندابورة من مملكة باغرة » . (٢) في أ « في بليانها » . (٣) في أ « وأخذت منه » .

الجزء الأول : ذكر الأخبار عن انتقال البحار ١٠١

دخل خليج الإسكندرية أم لا ، وقد كان الإسكندر بن فيلبس^(١) المقدوني بنى الإسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجر إليه معظم ماء النيل ، ويسقى [بلاد] الإسكندرية وبلاد مَرْيُوط ، وكان بلاد مَرْيُوط هذا في نهاية العمارة ، والجنان متصلة بأرض بَرْقَة من بلاد المغرب ، وكانت السفن تجرى في النيل فتصل بأسواق الإسكندرية ، وقد بلط أرض نيلها في المدينة بالرّخام والمرمر ، فاقطع الماء عنها لعوارض سدّت خُلجانها ومنعت الماء من دخوله ، وقيل : لِعَلَّ غير ذلك منعت من نفسه^(٢) وردت الماء إلى كنانها ، لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيه الاختصار ، فصار شربهم من الآبار ، وصار النيل على نحو يوم منهم ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في باب ذكر نال أخبار الإسكندرية جملا من أخبارها وأخبار بنائها ، وما ذكرنا من الماء الجارى إلى بحر الزنج فإِنما هو [خليج] آخذ من أعالي مصب الزنج ، وفارق بين بلاد الزنج وبين أقاصى بلاد أجناس الأحابيش ، ولولا ذلك لخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للحبشة مقام في ديارهم من أنواع الزنج لكثرتها وبطشها .

جيحون
نهر بلخ

وأما نهر بَلخ الذى يسمى جَيْحُون فإنه يخرج من عيون تجرى حتى تأتى بلاد خَوَارَزْم ، وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الترمذ وإسفرائين وغيرهما من بلاد خراسان فإذا ورد إلى بلاد خوارزم تفرق في مواضع هناك ، ويمضى باقية فيصب في البحيرة التى عليها القرية المعروفة بالجرّجانية أسفل خوارزم ، وليس في ذلك الصقع أكبر من هذه البحيرة ، ويقال : إنه ليس في العمران بحيرة أكبر منها ؛ لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ، تجرى فيها السفن ، وإليها يصب نهر فرغانة والشاش ويمر ببلاد الفاراب في مدينة جديس^(٣) ، وتجرى فيه السفن إلى هذه

(١) في ب « بن الفيلفوس » .

(٢) في ا « من تنقيته ورد الماء إلى كنانه » .

(٣) في ب « المعادات وبمدينة حيسة » .

البحيرة ، وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة ، وفيها المسلمون ، والأغلب من الأتراك في هذا الموضع الغزنية ، وهم بَوَادٍ وَحَضَرٌ ، وهذا الجنس من الأتراك هم أصناف ثلاثة : الأسافل ، والأعلى ، والأواسط ، وهم أشد الترك بأساً ، وأقصرهم ، وأصغرهم أعيناً ، وفي الترك مَنْ هو أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحبُ المنطق في كتاب الحيوان في المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغَرَانيق ، وسند كراهما من أخبار أجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعاً ومفترقاً ، وبمدينة بلخرباط يقال له الأخشبان^(١) على نحو من عشرين يوماً منها ، وهو في آخر أعمالها ، وبلزائهم أنواع من الكفار يقال لهم أَوْخَانٌ وَتَبَت^(٢) ، وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم إِيغان^(٣) ، ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر إِيغان ، وزعم قوم من أهل الخبرة أنه مبتدأ نهر جيحون ، وهو نهر بَلَخَ ، ومقدار جريانه على وجه الأرض نحو من خمسين ومائة فرسخ ، من مبدأ نهر الترك ، وهو إِيغان ، وقيل : أربعمائة فرسخ ، وقد غلط قوم من مصنفى الكتب في هذا المعنى ، وزعموا أن جيحون يصب إلى نهر مُهَرَّانَ السند ، ولم يذكروا نهر رست^(٤) الأسود ، ولا نهر رست^(٥) الأبيض الذي تكون عليه مملكة كِيَاكْ يَغُور^(٦) ، وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ ، وهو جيحون ، وعلى هذين النهرين الغورية من الترك ، ولهذين النهرين أخبار لم نخط بمقدار مسافتها على وجه الأرض فنذكر ذلك .

وكذلك جنس نهر الهند ، فيبدؤه في جبل من أقاصى أرض الهند مما يلي الصين من نحو بلاد الطغرغز^(٧) من الترك ، ومقدار جريانه إلى أن يصب في البحر الخيشى مما يلي ساحل الهند أربعمائة فرسخ .

نهر جنجس
بالهند

- (١) في ب « الإحسان » . (٢) في ب « يقال لهم أوحاريت » .
(٣) في ب « العاركم » . (٤) في أ « أرشت » في الموضعين .
(٥) في ب « مملكة كيان » . (٦) في أ « الطغرغز » .

الجزء الأول : ذكر الأخبار عن انتقال البحار ١٠٣

وأما الفرات فمبدؤه من بلاد قَالِقْلَا من ثغور إرمينية من جبل هناك يدعى
إفردحس ، على نحو يوم من قَالِقْلَا ، ومقدار جريانه من بلاد الروم إلى أن يأتي
بلاد ملطية مائة فرسخ^(١) ، وأخبرني بعض إخواننا من المسلمين ممن كان أسيرا
في أرض بلاد النصرانية أن الفرات إذا توسط أرض الروم تحلبت إليه مياه كثيرة
منها نهر يخرج مما يلي بحيرة الماذرمون^(٢) ، وليس في أرض الروم بحيرة أكبر
منها ، وهي نحو من شهر ، وقيل : أكثر من ذلك طولاً وعرضاً ، تجري فيها
السفن ، وينتهي الفرات إلى جسر منبج ، وقد اجتاز تحت قلعة سَمَيْسَاط ،
وهي قلعة الطين ، ثم ينتهي إلى بالس ويمر بصفين موضع حرب أهل العراق
وأهل الشام ، ثم ينتهي إلى الرقة وإلى الرحبة وهيت والأنبار ، ويأخذ منه هناك
أنهار مثل نهر عيسى وغيره ، مما ينتهي إلى مدينة السلام ، فيصب في دجلة ،
وينتهي الفرات إلى بلاد سوري وقصر ابن هُبَيْرَة والكوفة والجامعين وأحمد
أباد والفرس^(٣) والطفوف ، ثم تنتهي غايته إلى البَطِيحَة التي بين البصرة
وواسط ، فيكون مقدار جريانه على وجه الأرض [نحو] مائة فرسخ ، وقد
قيل أكثر من ذلك ، وقد كان الفرات أكثر من مائة ينتهي إلى بلاد الحيرة
ونهرها بين إلى هذا الوقت وهو يعرف بالعتيق ، وعليه كانت وقعة المسلمين مع
رُسْتَم ، وهي وقعة القادسية ، فيصب في البحر الحبشي ، وكان البحر حينئذ في
الموضع المعروف بالنَّجَف^(٤) في هذا الوقت ، وكانت تقدم هناك سفن الصين
والهند ترد إلى ملوك الحيرة ، وقد ذكر ما قلنا^(٥) عبد المسيح بن عمرو بن بقلبة
الفسائي حين خاطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر بن أبي تحافة رضي الله عنه
حين قال له : ما تذكر ؟ قال : أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون ، فلما

(١) لم يبين المقدار في ب . (٢) في أ « الرزبون » .

(٣) في أ « والرس » . (٤) في ب « بالحف » .

(٥) في أ ذكر قصة عبد المسيح بطولها .

انقطع الماء عن مصبه في ذلك الموضع انتقل البحر براً؛ فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة، ومن رأى النَّجَفَ وأشرف عليه تبين له ما وصفنا، وكتنقل الدجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة، وصارت تدعى ببطن جوخي^(١)، وذلك من جهة مدينة فارس^(٢) من أعمال واسط إلى دنوقاء إلى نحو بلاد السوس^(٣)، وكذلك ما حدث في الجانب الشرقي ببغداد من الموضع المعروف بركة الشماسية وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بين قُطْرُبُلَ ومدينة السلام، كالقرية المعروفة بالقب والموضع المعروف بالبشرى والموضع المعروف بالعين^(٤)، وغير ذلك من ضياع قُطْرُبُلَ، وقد كان لأهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي من ملك بركة الشماسية [في أيام المنقذر]، بحضرة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى، وما أجاب به أهل العلم في ذلك، وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام، فإذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من^(٥) سبع ميل، فإنه يسير ميلاً في قدر مائتي سنة، فإذا تباعد النهر أربعة آلاف ذراع من موضعه الأول خربت بذلك السبب مواضع وعمرت مواضع، وإذا وجد الماء سيلاً منخفضاً وانصباباً وسَّع بالحركة وشدة الجَرَّةِ لنفسه، فاقتلع المواضع من الأرض من أبعادها، وكلما وجد موضعاً متسعاً من الوهاد ملأه في طريقه من شدة جَرِّته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات، وتخرب بذلك بلاد، وتعمر بذلك بلاد، ولا يغيب فهم ما وصفنا على من له أدنى فكر.

(١) في ب « بطن حرجي » .

(٢) في أ « باديين من أعمال واسط العراق إلى بلاد دور الراسي إلى نحو بلاد السوس من بلاد خوزستان » .

(٣) في ب « كالقرية المعروفة بالبشرى والموضع المعروف بالعمر » .

(٤) في ب « يذهب بنحو من تسعمائة سنة فإنه يسير ميلاً في قدره في سنة »

الجزء الأول : ذكر الأخبار عن انتقال البحار ١٠٥

دجلة

ولنبداً بذكر دجلة ومبدأ جريانها ومصبها ، فنقول : دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر ، وهي أعين ببلاد خلاط من أرمينية ، ويصب إليها نهر اسرط وساتيدما يخرج من بلاد أرزن وميافارقين وغيرها من الأنهار كنهر دوشا والخابور الخارج من بلاد أرمينية ، ومصبه في دجلة بين مدينة باسورين وقبر سابور ، من بلاد بقردي وبازبدى [وباهمداء] من بلاد الموصل ، وهذه الديار ديار بني حمدان ، وفي بقردي وبازبدى يقول الشاعر :

بقردي وبازبدى مصيف ومرجع وعذب يحاكي السلسيل برود
وبغداد ، ما بغداد ؟ أما تراها فجر ، وأما حرها فشديد
وليس هذا الخابور خابور النهر الذي يخرج من مدينة رأس العين من أعينها
ويصب في الفرات أسفل مدينة قرقيسيا ، ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ، ويصب
إليها نهر الزاب ، وهو من بلاد أرمينية وهو الزاب الأكبر بعد الموصل ، وفوق
الحديث [مدينة الموصل] ، ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السن ^(١) يأتي من
بلاد أرمينية وأذر بيجان ، ثم ينتهي إلى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة
السلام ، فيصب إليها الخندق والصراة ونهر عيسى ، وهي الأنهار التي ذكرنا أنها
تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ، ثم تخرج دجلة من مدينة السلام فيصب فيها
أنهار كثيرة ، مثل النهر المعروف بدالى ^(٢) ونهر بين ونهر الروان مما يلي بلاد
جرّ جرایا والسبب وتلى النعمانية ، فإذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار
هناك آخر إلى بطيحة البصرة ^(٣) ، مثل بردود اليهودى ومسامى ^(٤) والمصب
الذى ينتهى إلى القطر ، وفيه تجرى أكثر سفن البصرة وبغداد وواسط ،
فقدار مسافة جريان دجلة على وجه الأرض نحو من ثلثمائة فرسخ ،
وقيل : أربعمائة .

(١) في ب « السعرة » . (٢) في ا « المعروف بذيلة » .

(٣) في ا « مثل نهر سابس واليهودى والشامى » .

وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأنهار إلا ما كبر واشتهر ؛ إذ كنا قد أتينا على ذكر ذلك على الإشباع في الكتاب المترجم بأخبار الزمان ، وكذلك في الكتاب الأوسط ، ونذكر في هذا الكتاب لمعاً مما سميناه من الأنهار ، وما لم نُسمّه .

وللبصرة أنهار كبار : مثل نهر شيرين ، ونهر الرس^(١) ، ونهر ابن عمر ، وكذلك ببلاد الأهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة ، أعرضنا عن ذكر ذلك ؛ إذ كنا قد تفصّلنا الأخبار عنها وأخبار منتهى بحر فارس إلى بلاد البصرة والأبلة وخبر الموضع المعروف بالجرارة^(٢) — وهي دخلة من البحر إلى البر تقرب من نحو بلاد الأبلة ، ومن أجائها ما يح الأكثر من أنهار البصرة — ولهذه الجرارة اتخذت^(٣) الخشبات في فم البحر مما يلي الأبلة وعبادان ، عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل^(٤) خوفاً على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرها أن تقع في تلك الجرارة [وغيرها ، فتعطب] ، فلا يكون لها خلاص ، وقد ذكرنا ذلك فيما ساف من كتبنا ، وهذه الديار مجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها ، والله أعلم .

(١) في ا « الدير » .

(٢) في ب « بالحدارة » .

(٣) في ب « انحدرت الأخشاب »

(٤) في ا « في جوف البحر » .

ذكر جبل من الأخبار عن البحر الحبشى

وما قيل فى [ذلك من] مقداره و [سعة] خُلقانه

قَدَرُوا بحر الهند ، وهو الحبشى ، وأنه يمتدُّ طوله من المغرب إلى المشرق من أقصى الحبش إلى أقصى الهند والصين ، ثمانية آلاف ميل ، وعرضه ألفان وسبعمائة^(١) ميل ، وعرضه فى موضع آخر ألف وتسعمائة ميل ، وقد يتقارب^(٢) فى قلة العرض فى موضع دون موضع ، ويكثر كذلك ، وقد قيل فى طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة ، وأعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة ، وليس فى المعبور أعظم من هذا البحر ، وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد إلى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ، ويسمى الخليج البربرى ، طوله خمسمائة ميل ، وعرض طرفيه مائة ميل ، وليست هذه بربرى التى ينسب إليها البرابرة الذى ببلاد المغرب من أرض إفريقية ؛ لأن هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم ، وأهل المراكب من المانين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قبلو من بحر الزنج ، وفى هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج ، والمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربرى — وهم يعرفونه ببحر بربرى ، وبلاد جفونى — أكثر مسافة مما ذكرنا ، وموجه عظيم كالجبال الشواحق ؛ فإنه موج أعشى ، يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال ، وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية ، لا ينكسر موجه ، ولا يظهر من ذلك زبدٌ ، كتكسر أمواج سائر البحار ، يزعمون أنه موج مجنون ، وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عَرَبٌ من الأزد ، فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرناه من الأمواج ترفعهم وتحفضهم فيرتجزون ويقولون :

(١) فى ب « وتسعمائة ميل » .
(٢) فى ا « وقد يتفاوت » .

بربرى وجفونى وَمَوْجُكَ الْمَجْنُونِ

جفونى وبربرى وَمَوْجُهَا كَمَا تَرَى

وينتهى هؤلاء فى بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا ، وإلى بلاد سفالة والواق واق من أقاصى أرض الزنج ، والأسافل من بحرهم^(١) ، ويقطع هذا البحر السيرافيون ، وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ، من بلاد عمان (وسنجانر قصبه بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين ، وهم أرباب المراكب ، مثل محمد بن الريدوم^(٢) السيرافى ، وجوهر بن أحمد ، وهو المعروف بابن سيرة^(٣) ، وفى هذا البحر تَلَفَ ومن كان معه فى مركبه ، وآخر مرة ركبت فيه فى سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان ، وذلك فى مركب أحمد وعبد الصمد أخوى عبد الرحيم بن جعفر السيرافى ، بمكان [وهى محلة من سيرا ف] وفيه غرقا فى مركبهما وجميع من كان معها ، وكان ركوبى فيه أخيراً والأمير على عمان أحمد بن هلال بن أخت القتيل ، وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقزم واليمن ، وأصابنى فيها من الأهوال مالا أحصيه كثرة ، فلم أشاهد أهول من سمك الأولال^(٤) الذى قدمنا ذكره ، وفيه السمك المعروف بأفال^(٥) طول السمكة نحو من أربعمئة ذراع إلى خمسمئة ذراع بالذراع العمرية ، وهى ذراع ذلك البحر ، والأغلب من هذا السمك طوله مائة ذراع ، وربما يهز البحر فيظهر شيئاً من جناحه ، فيكون كالقلع العظيم ، وهو الشراع ، وربما يظهر رأسه ، وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجوأكثر من عمر السهم ، والمراكب تفزع منه فى الليل والنهار ، وتضرب له بالبادب والخشب لينفر من ذلك ، ويحشر بأجنحته وذنبه السمك إلى فمه ، وقد فترقأه ، وذلك السمك يهوى إلى جوفه جريا ، فإذا بفت هذه السمكة بمث الله عليها سمكة

(١) فى ب « من نحوهم » . (٢) فى ا « محمد بن الريدوم » .

(٣) فى ب « المعروف بابن سيرة » (٤) فى ب « بحر السند » .

(٥) فى ا « المعروف بالأوال » .

نحو الذراع تدعى الشك^(١) فتلتصق بأصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص ، فتطلب قعر البحر ، وتضرب بنفسها حتى تموت ، فتطفو فوق الماء ، فتكون كالجلبل العظيم ، وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالشك بالركب فلا يدنو الأقال مع عظمتها من المركب ، ويهرب إذا رأى السمكة الصغيرة ، إذ كانت آفة له وقتلته .

وكذلك التماسح يموت من دويبة تكون في ساحل النيل وجزأره ، آفة التماسح وذلك أن التماسح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دوداً ، وإذا آذاه ذلك الدود خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فاغراً فاه ، فيقيض الله إليه طير الماء كالطيظوي والحصافي^(٢) وغير ذلك من أنواع الطيور وقد اعتادوا ذلك منه ، فيأكل ما ظهر في جوفه من ذلك الدود ، وتكون تلك الدويبة قد كنت في الرمل تراعيه ، فتدب إلى حلقه ، وتصير في جوفه ، فيخبط بنفسه في الأرض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج ، وربما يقتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته ، وهذه الدويبة تكون نحواً من ذراع على صورة ابن عرس ، ولها قوائم [شتى] وتحالب .

وفي بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ، ولولا أن النفوس تُفكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه ، لأخبرنا عن عجائب هذه البحار ، وما فيها من الحيتان^(٣) والدواب ، وغير ذلك من عجائب المياه [والجماد] .

فلنرجع الآن إلى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخُلجانه ، ودخوله في البر عود إلى البحر الحبشي ودخول البر فيه ، فنقول : إن خليجاً آخر يمتد من هذا البحر الحبشي فينتهي إلى مدينة القلزم من أعمال مصر ، وبين قسْطَاط مصر ثلاثة أيام ، وعليه

(١) في ب « تدعى السل » .

(٢) في ا « والحصاني والشامرك وغير ذلك » .

(٣) في ب « من الحيات » .

مدينة أَيْلَة والحجاز وجُدَّة واليمن ، وطوله ألف وأربعمائة ميل ، وعرض
 طرفيه مائتا ميل ، وهو أقرب المواضع من عرضه ، وعرضه في الوسط سبعمائة
 ميل ، وهو أكثر العرض فيه . ، ويلاقى ما ذكرناه من الحجاز وبلاد أَيْلَة
 من غربيه من الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العيذاب
 من أرض مصر وأرض البجة ، ثم أرض الحبشة والأحباش والسودان إلى
 أن يتصل ذلك بأقصى أرض الزنج وأسافلها ، فيتصل إلى بلاد سفالة من
 أرض الزنج ، ويتشعب من هذا البحر خليج آخر ، وهو بحر فارس ، وينتهي
 إلى بلاد الأبله والخشببات وعبادان من أرض البصرة ، وعرضه في الأصل
 خمسمائة ميل ، وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل ، وربما يصير عرض
 طرفيه مائة وخمسين ميلا ، وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه إلى
 بلاد الأبله ، وعايه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس
 وماهر بان ومدينة حسان^(١) ، وإليها تضاف الثياب الحسانية^(٢) ومدينة
 نجيرم ببلاد سيراف ، ثم بلاد ابن عمارة ، ثم ساحل كرمان ، [وهي بلاد
 هرموز ، وهرموز مقابلة لمدينة سنجان من بلاد عمان ، ثم يلي ساحل كرمان
 ويتصل به على ساحل هذا البحر بلاد مكران ، وهي أرض الخوارج الشرارة ، وهذه
 كلها أرض نخل ، ثم ساحل السند ، وفيه مصب نهر مهران ، وهناك مدينة الديبل ،
 ثم يكون ماراً متصلاً بساحل الهند إلى بلاد بروض ، وإليها يضاف القنأ البروضي ،
 برأ متصلاً إلى أرض الصين ساحلاً واحداً ، ويقابل ما ذكرنا من مبدأ ساحل فارس
 ومكران والسند بلاد البحرين وجزائر قطار وشط بنى جذيمة وبلاد عمان وأرض مهرة
 إلى رأس الجحمة إلى أرض الشجر والأحقاف ، وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة
 خارك ، وهي بلاد جنابة ؛ لأن خارك مضافة إلى جنابة ، وينها وبين البر فراسخ وفيها
 مغاص للؤلؤ المعروف بالخاركي ، وجزيرة أوال فيها بنو مئمن وبنو مسمار وخالق

(١) في « مدينة سينز » ، وإليها تضاف الثياب السينيزية ، وفيها تصنع ،
 ومدينة جنابة ، وإليهم تضاف الثياب الجنابية .

كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو يوم ، بل أقل من ذلك ، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة [والعقل] والقطيف من ساحل حجر ، ثم بعد جزيرة أوال جزائر كثيرة ، منها جزيرة لاف ، وتدعى جزيرة بنى كلاوان ، وقد كان افتتاحها عمرو بن العاص ، وفيها مسجده إلى هذه الغاية ، وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة ، وتقرب هذه الجزيرة إلى جزيرة هنجام ، ومنها يستقى أرباب المراكب الماء ، ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه خير ، ثم الدردور المعروف بدردور مسندم ، ويكنيه البحرىون بأبى جهرة^(١) ، وهذه مواضع من البحر ، وجبال سود ذاهبة في الهواء لا نبات عليها ولا حيوان ، يحيط بها مياه من البحر عظم قعرها وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس إذا أشرفت عليها ، وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من الجواز عليها والدخول في وسطها ، فتخطئ وتصيب ، وهذا البحر هو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسى ، عليه ما وصفنا من البحرين وفارس والبصرة وكرمان وعمان إلى رأس الجمجمة ، وبين هذا الخليج وخليج القلزم أيلة والحجاز واليمن ، ويكون بين الخليجين من المسافة ألف وخمسمائة ميل ، وهى داخلة من البر في البحر ، والبحر يعطيف بها من أكثر جهاتها على ما وصفنا .

فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحبشة والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد أحاط به من الأمم الكثيرة التى لا يعلم وصفهم ولا عددهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى ، ولكل قطعة منه اسم يُفردُها من غيرها ، والماء واحد متصل غير منفصل .

وفي هذا البحر مغاصات الدر واللؤلؤ ، وفيه العقيق والبادبيج^(٢) ،

(١) فى ا « بأبى حمير » .

(٢) فى ا « والمادنج ، وهو نوع من البرازى » .

وهو نوع من البجادي ، وأنواع الياقوت والماس والسنباذج ، وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة ، وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان ، ونحاس بأرض عمان ، وفيه أنواع الطيب والأفاويه والعنبر [وأنواع الأدوية والعقاقير] والساج والخشب المعروف بالدارزنجي والقنا والخيزران ، وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه أدركنها ، وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات فقيه وحوله ، وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ، ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحراً - كقولنا : بحر فارس ، وبحر اليمن ، وبحر القازم ، وبحر الحبش ، وبحر الزنج ، وبحر السند ، وبحر الهند ، وبحر كلة ، وبحر الزابج ، وبحر الصين - فمختلفة ، فمنها ما يريحه من قعر البحر يظهر فتغليه^(١) ويعظم موجهه كالقدر تغور مما يلحقها من مواد حرارة النار ، ومنها ما يريحه والآفة فيه من قعره والنسيم ، ومنها ما يكون مهبطاً من النسيم دون ما يظهر من قعره ، وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح فذلك تنفسات^(٢) من الأرض تظهر إلى قعره ثم تظهر في سطحه^(٣) ، والله عز وجل أعلم بكيفية ذلك ، ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهابها ، قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب ، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ، ولم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبان هيئاته وأحوال ركوده وثورانه ، [هذا فيما سمينا من البحر الحبشي] والروم ، والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك ، وكذلك من يركب بحر الخزر إلى بلاد جرجان وطبرستان والديلم ، وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار ، وبحائب أوصافها وأخبارها ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ب « فيقله » .

(٢) في ا « متنفسات » .

(٣) في ا « ثم تظهر إلى سطحه » .

ذكر تنازع الناس في المد والجزر

وجوامع مما قيل في ذلك

المد : مضي الماء في فيجته وسيجته^(١) وسنن جريته ، والجزر : رجوع الماء على ضد سنن ، خبيته وانكشاف ما مضى عليه في هيجته^(٢) ، وذلك كبحر الحبش الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس للقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك أن البحار على ثلاثة أنواع : منها ما يتأني فيه الجزر والمد ويظهر ظهوراً بيناً ، ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون خفياً مستتراً ، ومنها ما لا يجزر ولا يمد .

فالبهار التي لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعل ثلاث ، وهي على ثلاثة أصناف : فأولها ما يمدف الماء فيه زماناً فينلظ وتنفوس ملوحتة ، وتنكف في الأرياح ؛ لأنه ربما صار الماء إلى بعض المواضع ببعض الأسباب فيصير كالبحيرة وينقص في الصيف ويزيد في الشتاء ، ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الأنهار والعيون ، والصنف الثاني البحار التي تبعد عن مدار القمر ومسافته بعداً كثيراً ، فيمتنع منه المد والجزر ، والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على أرضها التخلخل ؛ لأنه إذا كانت أرضها مغلخلة نفذ الماء منها إلى غيرها من البحار وتخلخل ، وأنشبت^(٣) الرياح الكائنة في أرضها أو لا [فأولاً] ، وغلبت الرياح عابها ، وأكثر ما يكون هذا في ساحل البحار^(٤) والجزائر .

وقد تنازع الناس في علة المد والجزر ؛ فمنهم من ذهب إلى أن ذلك من القمر لأنه يجانس لهاء ، وهو يسخنه ، فينبسط ، وشبهوا ذلك بالنار إذا أسخنت ما في القدر وأغلخته ، وإن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين ، فإذا غل الماء

(١) في « المد هو مضي الماء بسجيته وسنن جريته » .

(٢) في « وانكشاف ما مضى عليه في هيجته » .

(٣) في « وأنشبت » .

(٤) في « في أرجاء البحار والجزائر » .

انبسط في القدر وارتفع وتدافع حتى يفور فتتضاعف كميته في الحس ، وينقص في الوزن ؛ لأن من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ، ومن شرط البرودة أن تضغطها ، وذلك أن قعور البحار تحمى فتتولد في أرضها عذوبة وتستحيل وتحمى كما [يعرض ذلك] في البلايع والآبار ، فإذا حمى ذلك الماء انبسط ، وإذا انبسط زاد ، وإذا زاد ارتفع ، فذفع كل جزء منه صاحبه ، فطفأ على سطحه وبان عن قعره ، فاحتاج إلى أكثر من وهدته^(١) ، وإن القعر إذا امتلأ حمى الجو حمياً شديداً فظهرت زيادة الماء ، فسمى ذلك المد الشهري ، وإن هذا البحر تحت معدل النهار آخذاً من جهة المشرق إلى المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع ما يساميه من الكواكب الثابتة إذا كانت المتحيرة في القدر مثل الميل على تجاوزته^(٢) ، وإذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعلة فيه من أوله إلى آخره في كل يوم وليلة ، وهي مع ذلك في الموضع المقابل الحمى ، فقليل ما يعرض فيه من الزيادة^(٣) ويكون في النهر الذي يعرض فيه المد يننا من أطرافه وما يصب إليه من سائر المياه .

وقالت طائفة أخرى : لو كان الجزر والمد بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الذي في القدر وبسطته فيطاب أو سعه منها فيفيض حتى إذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منه عمق الأرض بطبعه فيرجع اضطراباً بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والقمم إذا فاض وتتابعت أجزاء النار عليه بالحمى ، لكان في الشمس أشد سخونة ، ولو كانت الشمس علة مدّه لكان يمدنع بدء طلوع الشمس ، ويجزر مع غيبتها ؛ فزعم هؤلاء أن علة الجزر والمد في الأبحر تتولد من الأبخرة التي تتولد من بطن الأرض ؛ فإنها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها ؛ فلا تزال كذلك حتى تنقص موادها من أسفل ، فإذا

(١) في ب « أكثر من هدية » .

(٢) في أ « إذا كانت المتحيرة في القدر من الليل على ما يجاوزه » .

(٣) في أ « ومع ذلك فالموضع المقابل للجهة قلما يعرض فيه من الزيادة » .

الجزء الأول : ذكر تنازع الناس في المد والجزر ١١٥

انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ إلى قعر البحر ، وكان الجزر من أجل ذلك ، والمد : ليلاً ونهاراً ، وشتاءً وصيفاً ، وفي غيبة القمر وفي طلوعه ، وكذلك في غيبة الشمس وظلها ، قالوا : وهذا يدرك بالحس ؛ لأنه ليس يستكمل الجزر آنفزه حتى يبدأ أول المد ، ولا ينقضي آخر المد حتى ينتهي أول الجزر ؛ لأنه لا يثقل تولد تلك البخارات ، حتى إذا خرجت تولد غيرها مكانها ، وبذلك أن للبحر إذا غارت مياهه ورجمت إلى قعره تولدت تلك الأميرة لمكان ما يتصل منها من الأرض بمائه ، وكلما عاد تولدت ، وكلما فاض نقصت .
 وذهب آخرون من أهل الديانات أن كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى فلا يوجد له فيها قياس فمن فعل الإله ، يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته ؛ فليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ، ولا قياس .
 وقال آخرون : ما هيجان ماء البحر إلا كهيجان بعض الطباع ؛ فإنك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرها تحتاج طبيعته [ثم تسكن ، وكذلك مواد تمدها حالاً بعد حال ، فإذا قويت هاجت] ، ثم تسكن قليلاً قليلاً حتى تعود .

وذهبت طائفة أخرى إلى إبطال سائر ما وصفنا من القول ، وزعموا أن الهواء المبلل على البحر يستحيل دائماً ، فإذا استحال عظام ماء البحر وفاض عند ذلك ، وإذا فاض البحر فهو المد ، فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود إلى ما كان عليه ، وهو الجزر ، وهو دائماً [لا يفتقر ، متصل] مترادف متعاقب ؛ لأن الماء يستحيل هواء ، والهواء يستحيل ماء ، قالوا : وقد يجوز أن يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر ؛ لأن القمر إذا امتلأ استحال الهواء أكثر مما كان يستحيل ، وإنما القمر علة لكثرة المد ، لا لمد نفسه ؛ لأنه قد يكون [والقمر] في محاقه ، والمد والجزر في بحر فارس يكونان على مطالع الفجر في الأغلب من الأوقات .

وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر - وهم أرباب المراكب ، من

السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون إلى عمارته من الأمم التي في جزأه وحوله — إلى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة : مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر ، فإذا كان ذلك طغى الماء في مشارق الأرض وبالصين بالصين وما وراء ذلك الصقع [وانحسر بالصين من مغارب البحر] ، ومرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر ، فإذا كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين ، وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح ، وإن الشمس إذا كانت في الجهة الشمالية تحرك الهواء إلى الجهة الجنوبية لعل ذكروها ، فيسيل ماء البحر بحركة الهواء إلى الجهة الجنوبية ، فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية ، وتقل المياه في جهة البحار الشمالية ، وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب إلى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية ، فقلت المياه في الجهة الجنوبية منه ، وينقل ماء البحر في هذين الميادين — أعنى في جهتي الشمال والجنوب — فيسمى جزراً ومداً ، وذلك أن مدّ الجنوب جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب ، فإن وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميادين تزايدت الفعلان وقوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة التي [ليس] فيها الشمس .

قال المسعودي : فهذا رأى يعقوب بن إسحاق الكندي وأحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ^(١) : أن البحر يتحرك بالرياح ، ورأيت مثل ذلك ببلاد كنيابة من أرض الهند ، وهي المدينة التي تضاف إليها النعال الكنبائية الصرارة وفيها تعمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسريارة ^(٢) ، وكان دخولي إليها في سنة

(١) في ١ « حكيناها عنهما » .

(٢) في ١ « سندان وصوفارة » .

الجزء الأول : ذكر تنازع الناس في المد والجزر ١١٧

ثلاث وثلاثمائة ، والملك يومئذ بانيا ، وكان برهمانيا من قبل الباهرى صاحب
السانكير، وكان لبانيا هذا عناية بالمناظرة مع مَنْ يرد إلى بلاده من المسلمين
وغيرهم من أهل المال ، وهذه المدينة على خور من أخوار البحر ، وهو
الخليج ، أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات ، عليه المدن والضياع والعمائر
[والجنائن] والنخل والتارجيل^(١) والطواويس والبيضاء وغير ذلك من
أنواع طيور الهند ، بين تلك الجنان والمياه ، وبين مدينة كنباية وبين البحر
الذى يأخذ منه هذا الخليج يومان ، أو أقل من ذلك ؛ فيجزر الماء عن
هذا الخليج حتى يبدو الرمل [فى قعر الخليج ويبقى فى وسطه القليل من الماء
فرايت الكلب على هذا الرمل] الذى ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار
كالصحراء ، وقد أقبل المد من نهاية الخور كالخيل فى الحُلَّة ، فربما أحس
الكلب بذلك فأقبل يُحْضِرُ ما استطاع خَوْفًا من الماء ، فيطلب البر الذى
لا يصل إليه الماء ، فيلحقه الماء بسرعه فيغرقه ، وكذلك المد يَرُدُّ بين
البصرة والأهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد القندر^(٢) ، ويسمى
هنالك الذئب^(٣) له ضجيج ودَوَىٌّ وغليان عظيم يَفْزَعُ منه أصحاب السفن
وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك إلى بلاد مورق من أرض فارس^(٤) ،
والله أعلم .

(١) فى « ونخل التارجيل » .

(٢) فى ب « وبلاد الهند » .

(٣) فى ب « أذيب » .

(٤) فى ا « بلاد دورق وأرض فارس » .

ذكر بحر الروم

ووصف ما قيل في طوله [وعرضه] وابتدائه وانهائه

أما بحر الروم وطرسوس وأذنة^(١) والمصيصة وأطاكية واللاذقية وطرابلس وصيداء وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والإسكندرية وساحل المغرب ، فذكر جماعة من أصحاب الزيجات في كتبهم ، منهم محمد بن جابر النسائي^(٢) وغيره ، أن طوله خمسة آلاف ميل ، وعرضه مختلف : فمنه ثمانمائة ميل ، ومنه سبعمائة ميل ، ومنه ستائة ميل ، وأقل من ذلك ، على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ، ومبدأ هذا البحر من خليج يخرج [جاريًا] من بحر أقيانوس ، وأضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة [وسبتة] من بلاد الغرب وبين ساحل الأندلس ، وهذا الموضع المعروف بسيطاء^(٣) ، وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال ، وهذا الموضع هو المَعْبَرُ لمن أراد العبور من الغرب إلى الأندلس ومن الأندلس إلى الغرب [ويعرف بالزقاق ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار مصر القنطرة التي كانت بين هذين الساحلين ، وما ركبها من ماء هذا البحر ، والطريق المتصل بين جزيرة قبرص وأرض العريش وسلوك القوافل إياه] وعلى الحد بين البحرين - أعنى بحر الروم وبحر أوقيانوس - المنارة النحاس ، والحجارة التي بناها هرقل الجبار ، على أعلاها الكناية والتمايل مشيرة بأيديها أن لا طريق ورأى لجميع الداخلين إلى ذلك البحر بحر الروم ؛ إذ كان بحر لا تجري فيه جارية ولا عمارة فيه ؛ ولا حيوان ناطق يسكنه ، ولا يحاط بمقداره ، ولا تُدرى^(٤) غايته ، ولا يعلم منتهاه ، وهو بحر الظلمات والأخضر والمحيط [وقد قيل : إن المنارة على غير هذا الزقاق ، بل في جزيرة من جزائر بحر أوقيانوس المحيط وسواحلها]

(١) في ب « وأدرنة » . (٢) في ا « البتاني » .

(٣) في ب « بنيطاء » . (٤) في ا « ولا تدرك » .

وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار ، وله أخبار عجبية قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » في أخبار من غرر وخاطر نفسه في ركوبه ، ومن نجا منهم ، ومن تلف ، وما شاهدوا منه ، وما رأوا ، [وأن منهم رجلا من أهل الأندلس يقال له خشخاش ، وكان من فتيان قرطبة وأحداثها فجمع جماعة من أحداثها ، وركب بهم مراكب استعدادها في هذا البحر المحيط ، فغاب فيه مدة ثم اتنى بفنائم واسعة ، وخبره مشهور عند أهل الأندلس] وبين هذه المنارة المنصوبة ، وبين موضع الأحجار ^(١) مسافة [طويلة] في طول مصب هذا الخليج وجريانه ، وذلك أن ماء يجرى [من بحر أوقيانوس إلى البحر الرومي يحس بجريانه ويعلم بحر كته ، ويقشع من] بحر الروم والشام ومصر ، خليج من نحو خمسمائة ميل يتصل بمدينة رومية تسمى بالرومية ادرس [وعلى هذا الخليج جانب المغرب قرية يقال لها سبتة ، وهي وطنجة من ساحل واحد ، ويقابل سبتة هذه من ناحية الأندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ، ويعبر الناس من سبتة إلى ساحل الأندلس من غدوة إلى الظهر ، وفي هذا الخليج موج عظيم ، والماء من هناك يخرج من بحر أوقيانوس ، ويصب إلى البحر الرومي ، وفي هذا الخليج مواضع تلو أمواجها ، ويعلو الماء من غير ريح ، وهذا الخليج يسميه أهل المغرب وأهل الأندلس الزقاق ؛ إذ كان على هيئة ذلك] ^(٢) ، وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرص بين ساحل الشام والروم ، وجزيرة رودس في مقابلة الإسكندرية ، وجزيرة إقريطش ، وجزيرة صقلية ، وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا لجبل البركان الذي تظهر منه النار ، وفيها أجسام وجث وعظام .

(١) في ١ « البحار » .

(٢) هذه الزيادة عن ب ، ولا توجد في ١ ، وما عداها من الزيادات هنا عن ١

وليست في ب .

وقد ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي ، وتليذه أحمد بن الطيب
السرخسي في طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا .
وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على
نظم من التأليف ، وترتيب من التصنيف ، إن شاء الله تعالى .

ذكر بحر نيطش

وبحر مانطش^(١) ، وخليج القسطنطينية

نيطش فأما بحر نيطش فإنه يمد من بلاد لاذقة إلى القسطنطينية [وطوله ألف
ومائة ميل ، وعرضه في الأصل ثلثمائة ميل ، وفيه يصب [النهر العظيم
المعروف بأطنابس ، وقد قدمنا ذكره ، ومبدأ هذا البحر من الشمال ، وعليه
كثير من ولد يافث [بن نوح] ، وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من
أعين وجبال ، ويكون متدار جريانه على وحه الأرض نحو ثلثمائة فرسخ
عمائر متصلة لولد يافث ، ويسير بحر مانطش - فيما زعم قوم من أهل العناية
بهذا الشأن - حتى يصب في بحر نيطش ، وهذا البحر عظيم فيه أنواع من
الأحجار والحشائش والعقاقير ، وقد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ،
ومن الناس من يسمى بحر مانطش بحيرة ، ويجعل طوله ثلثمائة ميل ، وعرضه
مائة ميل ، ومنه ينبع خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم ، وطوله
ثلثمائة ميل ، وعرضه نحو من خمسين ميلا ، وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله
إلى آخره ، والقسطنطينية من الجانب الغربي من هذا الخليج ، متصلة ببر رومية
والأندلس وغيرها ؛ فيجب - والله أعلم - على قول المنجمين من أصحاب الزيجات
وغيرهم ممن تقدم ، أن بحر البلعور والروس ، [ويحني ويحنك وبغرد ، وهم ثلاثة
أنواع من الترك] هو بحر بيطش ، وسيأتي ذكر هؤلاء الأمم فيما يرد من هذا
الكتاب إن شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم ، واتصال عمائرهم ،
ومن يركب هذا البحر [منهم] ومن لا يركبه ، والله أعلم .

(١) في ١ « بحر نيطش ومايطس » وهكذا في كل ما يلي .

ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان

وجمل من الأخبار على ترتيب البحار

فأما بحر الأعاجم الذى عليه ذورُها ومساكنها فهو معمور بالناس من بحر الأعاجم جميع جهاته ، وهو المعروف ببحر الباب والأبواب والخزر والجبل [والدلم] وجرجان وطبرستان ، وعليه أنواع من الترك ، وينتهى فى إحدى جهاته نحو بلاد خوارزم ، وطوله ثمانمائة ميل ، وعرضه ستائة ميل ، وهو مدور الشكل إلى الطول ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الأمم المحيطة بهذه البحار المعمورة ، وهذا البحر الذى هو بحر الأعاجم كثير التناين ، وكذلك بحر الروم ؛ فالتناين فيهما كثيرة ، وكثيراً ما نكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ، ويسمى عجز البحر ، وغايته إلى ساحل أنطاكية ورشيد^(١) والإسكندرية وحصن المثقب [وذلك فى سفح جبل اللكام] وساحل المصيصة ، وفيه مصب نهر جيحان ، وساحل أذنة ، وفيه مصب سيحان ، وساحل طرسوس ، وفيه مصب نهر بردان ، وهو نهر طرسوس ، ثم البلد الخالى من المارات الخراب بين الروم والمسلمين مما يلى مدينة قلدية^(٢) إلى قبرص وقريطس وقراسيا ، ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ، ثم حصون الروم إلى خليج القسطنطينية .

وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم وما يصب إلى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرها من الأنهار .

والمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره ، وهو الخليج الذى

(١) فى ١ « وروسيى » .

(٢) فى ب « تكنة إلى قرش وقراشيا » .

عليه طنجة ، متصلةً بساحل المغرب وبلاد إفريقية والسوس [وطرابلس المغرب والقيروان وساحل برقة والرافدة وبلاد الإسكندرية] ورشيد وتنيس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم ماراً متصلاً إلى بلاد رومية إلى أن يتصل بساحل الأندلس ، إلى أن ينتهي إلى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ما ذكرنا ؛ لا تنقطع من هذا البركة العمار التي وصفناها من الإسلام والروم إلا الأنهار الجارية إلى البحر وخليج القسطنطينية ، وعرضه نحو من ميل ، وخلجانا آخر داخلة في البر لا منفذ لها ؛ فجميع ما ذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومي متصلو الديار غير منفصاين بما يقطعهم أو يمنعهم إلا ما ذكرنا من الأنهار وخليج القسطنطينية ، ومثال هذا البحر الرومي ، ومثال ما ذكرنا من العمار عليه إلى أن ينتهي إلى مبدأ الخليج الضيق الآخذ من أوقيانوس الذي عليه المنارة النحاس ، وبلى الأعلى من طنجة ، وساحل الأندلس : مثل الكرنيب ، في قبضة الخليج^(١) ، والكرنيب على ضفة البحر ، إلا أنه ليس بمدور الشكل ؛ لما ذكرنا من طوله .

وليس تعرف التنانين في البحر الحبشي ، ولا في شيء من خلجانه من حيث وصفنا في نهاياته ، وأكثرها بظهر مما يلي بحر أوقيانوس .

وقد اختلف الناس في التنين : فمنهم من رأى أنه ربح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى النسيم ، وهو الجو ، فتخلق السحب كالزوبعة^(٢) ، فإذا صارت من الأرض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبةً الصعداء نوحهم الناس أنها حيات سود [قد ظهرت من البحر لسواد السحاب ، وذهاب الضوء وترادف الرياح] .

ومنهم من رأى أنها دواب تتكون في قعر البحر ، فتعظم وتؤذى

(١) هكذا في ١ ، وفي ب « وبلى الأعلام طنجة ، فساحل الأندلس ، شمالي

الكرنيب ، فقصية الخليج — إلخ » .

(٢) في ١ « فتخلق بالسحاب كالزوبعة » .

الجزء الأول : ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجران ١٢٣

دواب البحر ، فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها ،
وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص ، لا تمر بمدينة إلا أتت
على ما لا يقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل^(١) ، وربما تنتفس فتحرق
الشجرة الكبيرة فيلقيه السحاب في بلد يأجوج ومأجوج ، ويمطر السحاب
عليهم ، فيقتل التنين ، فمذه يتغذى يأجوج ومأجوج ، وهذا القول يُعزى
إلى ابن عباس .

وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا ، وكذلك حكى قوم من أهل
السبر وأصحاب القصص أموراً فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها ، منها خبر
عمران [بن جابر] الذي صعد في النيل ، فأدرك عاينه ، وعبر البحر على ظهر
دابة تعلق بشعرها وهي دابة ينجر منها على الأرض شبر من قوائمها تُغَادِي
قرن الشمس من مبدأ طلوعها إلى حال غروبها [فاعرة فاهها نحوها لتبتلع
— عند نفسها — الشمس] فَعَبَرَ — على ما وصفنا من تعاقبه بشعرها —
البحر ، ودار بدورانها طلباً لعين الشمس ، حتى صار إلى ذلك الجانب ،
فرأى النيل منحدراً من قصور الذهب من الجنة ، وأعطاه الملكُ العنقود
العنب ، وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ، ووصف له كيف يفعل في
وُصُوله إلى مبدأ النيل ، فوجده ميتاً ، وخبر إبليس معه والعنقود العنب ،
وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ، ومنها ما روى أن قبة
من الذهب وأنواع الجوهر في وسط البحر الأخضر على أربعة أركان من الياقوت
الأحمر ينحدر من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحته تقسم إلى جهات
أربع في ذلك البحر الأخضر غير مختلط له ، ولا متماس به ، ثم تنتهي إلى جهات
من البر من سواحل ذلك البحر ، أحدها النيل ، والثاني سيحان ، والثالث
جيجان ، والرابع الفرات ، ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى
بحر الصين فيفور منه البحر ، فيكون منه المد ، ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع
(١) في « لا يمر ذنبه بشيء إلا أنى عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل » .

الماء إلى مركزه ، ويطلب قعره ، فيكون الجزر ، ومثلوا ذلك بإناء فيه ماء في مقدار النصف منه ، فيضع الإنسان يده أو رجله فيملاً الماء الإناء ، فإذا رفعها رجع الماء إلى حده ، وانهى إلى غايته ، ومنهم من رأى أن الملك يضع إبهامه من كفه اليمنى في البحر فيكون منه المد ، ثم يرفعها فيكون الجزر ؛ وما ذكرنا فقير ممتنع كونه ، ولا واجب ، وهو داخل في حيز الممكن والجائز ؛ لأن طريقه في النقل طريق الأفراد والآحاد ، ولم يرذ مورد التواتر والاستفاضة كالأخبار الموجبة للعلم ، والعلل القاطعة للنظر في النقل ، فإن قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها ، والاعتقاد إلى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها ؛ لقوله عز وجل : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وإن لم يصح ما ذكرنا فقد وصفنا آتافاً ما قال الناس في ذلك ، [وإنما ذكرنا هذا] ليعلم من قرأ هذا الكتاب أننا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ، ولم يغزُبْ عنا فهم ما قاله الناس في سائر ما ذكرنا ، وبالله التوفيق .

جملة البحار

فهذه جملة البحار ، وعند أكثر الناس أنها أربعة في المعمور من الأرض ، ومنهم من يعلها خمسة ، ومنهم من يجعلها ستة ، ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة ، وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشي ، ثم الرومي ، ثم نبطش ، ثم ما نطش^(١) ، ثم الخزري ، ثم أوقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته ، وهو الأخضر المظلم المحيط ، وبحر نبطش متصل ببحر ما نطش ، ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم ويتصل به ، على حسب ما ذكرنا ، والرومي يبدؤه من بحر أوقيانوس الأخضر ؛ فيجب على هذا القياس أن يكون ما وصفنا بحراً واحداً لاتصال مياهها ، وليست هذه المياه ولا شيء منها — والله أعلم — متصلة بشيء من بحر الحبش ، فبحر

(١) في « نبطش ثم ما نطش » وكذلك فيما يذكر بعده .

الجزء الأول : ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان ١٢٥

نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضاً بحراً واحداً ، وإن تضايق البحر في بعض المواضع بينهما ، أو صار بين الماءين كالخليج^(١) ، وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش ، وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ، يمنع من أن تجمعهما في اسم ما نطش أو نيطش ، فإذا عبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا ما نطش أو نيطش ، فإنما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق .

قال المسعودي : وقد غلط قوم زعموا أن البحر الخزرى يتصل ببحر مايطس ، ولم أرفين دخل بلاد الخزر [من التجار ومن ركب منهم في بحر مايطس ونيطس إلى بلاد الروس والبلغر أحداً يزعم أن بحر الخزر يتصل] ببحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أو من خلجانها إلا من نهر الخزر ، وسنذكر ذلك عند ذكرنا لجبل القبق^(٢) ومدينة الباب والأبواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس في المراكب إلى بحر الخزر ، وذلك بعد الثمائية ، ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار من تقدم وتأخريذكرون في كتبهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ، ولست أدري كيف ذلك ، ومن أين قالوه ؟ أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس ؟ [أو توهموا أن الروس ومن جاورهم على هذا البحر هو الخزر] وقد ركبت فيه من أبسكون ، وهو ساحل جرجان ، إلى بلاد طبرستان ، وغيرها ، ولم أترك من شاهدت من التجار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب إلا سأله عن ذلك ، وكلُّ من يخبرني أن لا طريق له إليها إلا من بحر الخزر حيث دخلت إليهم المراكب الروس ، ونفر من أهل أذربيجان والباب والأبواب^(٣) وبردعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان إليها لأنهم لم يمهّدوا عدواً

(١) في « ١ » وإن ضايقهما البر بعض المواضع ، وصار ذلك بين الماءين كالخليج .
(٢) في ب « الفتح » .

(٣) في « ١ » أذربيجان والران واليلقان ومن بلاد بردعة .

يطراً عليهم ، ولا عرف ذلك فيما سلف ، وما ذكرنا فمشهور فيما سمينا من
الأمصار والأمم والبلدان ، سالك مسلك الاستفاضة فيهم .
ورأيت في بعض الكتب المضافة إلى الكندي وتلميذه — وهو أحمد
ابن الطيب السرخسي ، صاحب المعتمد بالله — أن في طرف العاوة من
الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطب الشمال ، وأن بقرها مدينة ليس بعدها
عمارة ، يقال لها تولية ، ولقد رأيت لبني المنجم في بعض رسائلهم ذكر هذه
البحيرة ، وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن
الكندي أن بحر الروم طوله سنة آلاف ميل من بلاد ضور وطرابلس
وأنطاكية واللاذقية والمثقب وساحل المصيصة وطرشوس وقلية إلى منار
هزل ، وأن أغرض موضع فيه أربع مائة ميل ، هذا قول الكندي وابن الطيب
وقد أتينا على قول الفريقين جميعاً وما بينهما من الخلاف في ذلك من أصحاب
الزيجات وما وجدناه في كتبهم وسمعناه من أتباعهم ، ولم نذكر ما ذكره
من البراهين المؤيدة لما وصفوا ؛ لا شراطينا في هذا الكتاب على أنفسنا
الاختصار والإيجاز .

مبادئ
تكوين البحار
وأما ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكماء المتقدمين في
مبادئ كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه في كتابنا «أخبار الزمان» في
الفن الثاني من جملة الثلاثين فناً ، وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا
كل قول من ذلك إلى قائلة ، ولم نُخل هذا الكتاب من إيراد ما من قولهم .
وذهبت طائفة منهم إلى أن البحر بقية من الرطوبة الأولى التي جفَّتْ
أكثرها جوهر النار ، وما بقي منها استحالة لاحتراقه .

ومنهم من قال : إن الرطوبة الأولى المجتمعمة لما احترقت بدوران
الشمس وانعصر الصّفوف منها استحالة الباقي إلى ملوحة ومرارة .
ومنهم من رأى أن البحار عرق تعرقه الأرض لما ينالها من اختراق
الشمس لاتصال دورها .

الجزء الأول : ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان ١٢٧

ومنهم من رأى أن البحر هو ما بقى مما صَفَتْهُ الأرض من الرطوبة
للأثنية لغلظ جسمها ، كما يعرض في الماء العذب إذا مزج بالرماد ، فإنه إذا صفا
من الرماد وجد مالحاً بعد أن كان عَذْباً .
وذهب آخرون أن الماء عذبه ومالحه كانا متمزجين ، فالشمس ترفع
لطيفه وعذبه خلفه .

وبعضهم قال : ترفعه الشمس لتفتدى به ، وقال بعضهم : بل يعود
بالاستحالة ماء إذا صار بارتفاعه إلى الموضع الذي يحصره البرد فيه ، وبكيفية .
ومنهم من ذكر أن الماء الذي هو أَسْطَقُصٌ : ما كان منه عن الهواء
وما يعرض منه من البرد يكون حلواً ، وما كان منه في الأرض لما يناله من
الاحتراق والحرارة يكون مرراً .

ومن أهل البحث من قال : إن جميع الماء الذي يفيض إلى البحر من
جميع ظهور الأرض وبطونها إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة فهو مُضَاضٌ ^(١) من
مُضَاضٍ ، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة ، والذي في الماء من أجزاء
النار التي تخرج إليهم من بطون الأرض ومن أجزاء النيران المختلطة برفعان لطائف الماء
بارتفاعهما وتبخرهما ، فإذا رفع اللطائف صار منها ما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبهما
وعادتهما ، ثم يعود ذلك الماء مالحاً ؛ لأن الأرض إذا كانت تعطيه الملوحة ، [والنيران
تخرج منها العذوبة واللطافة ، كان واجباً أن يعود إلى الملوحة] وكذلك يكون
ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد ؛ لأن الحر يرفع اللطيف فيصير طلاءً وماءً ،
ثم تعود تلك الأندية سيولاً ، وتطلب الحدود والقرار ^(٢) ، وتجرى في أعماق
الأرض حتى يصير إلى ذلك المهور ، فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطل
منه شيء ، والأعيان قائمة كمنجنون غَرَفَ من نهرو صب إلى حفرة تفيض إلى ذلك
النهر ، وقد شبه ذلك قوم بأعضاء الحيوان إذا اغتذت وعملت الحرارة في غذائه

(١) المضاض - بزنة غراب - الماء لا يطاق ملوحة ، وفي «الماء عساس» صاص»

(٢) في « قطلب الجدول والغيران » .

فاجتذبت منه ماء عذب إلى الأعضاء المعتذبة به ، وخلفت مائقل منه ، وهو المالح والمر ، فمن ذلك البول والعرق ، وهذه فضول الأغذية^(١) فيها ، ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة إلى المرارة والمالحة ، وإن الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصار الفضل مرأاً زائداً على ما يوجد من العرق والبول ؛ لوجودنا كل محترق مرأاً .

هذا قول جماعة ممن تقدم ، وأما ما يوجد بالعيان وإيقاع الحمة عند الباشرة فإن كل الرطوبات ذوات الطعوم إذا صعدت بالقرع والأنابيب بقيت روائحها وطعومها فبايرنفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل ، إلا المالح فإنها تختاف طعومها وروائحها ، ولا سيما إن صعدت مرتين وأسخنت مرة بعد أخرى . وقد ذكر صاحب المنطق في هذا المعنى كلاماً كثيراً : من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب ، وجعل الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صافٍ رقيق ، وأنه إذا أخذ شيء من الشمع فعمل منه إناء ثم سد رأسه وصير في ماء مالح وجد ذلك الماء الذى وصل إلى داخل الإناء عذبا في الطعم خفيفاً في الوزن ، ووجد الماء المحيط به على خلاف ذلك ، وكل ماء يجرى فهو نهر ، وحيث ينبع فهو عين ، وحيث يكون معظم الماء فهو بحر . قال السعوى : وقد تكلم الناس في المياه وأسبابها ، وأكثروا ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » في الفن الثانى من جملة الثلاثين فناً ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها ، وانفعة في ملوحة مائها ، واتصال بعضها ببعض وانفصالها ، وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ، ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشى أظهر من دون سائر البحار ، ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقزم والحبشة من السيرافيين والعلمانيين يخبرون عن البحر الحبشى في أغلب الأمور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم

(١) في ١ « لا عذب فيها » .

الجزء الأول : ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان ١٢٩

من حكينا عنهم المقادير والمساحة ، وإن ذلك لا غاية له ، وفي مواضع منه شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحرية والعمالة وهم النواتي^(١) وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلي ندير المراكب والحرب فيهم ، مثل لاوي المكشي بأبي الحرب^(٢) غلام زراقة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق ، وذلك بعد الثمئة - يُعْطَمُونَ طول البحر الرومي وعرضه ، وكثرة خبائمه وتشعبه ، وعلى هذا وجدت عبدالله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص [من أرض الشام] ، ولم يبق في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أبصر منه في البحر الرومي ، ولا أسن منه ، وليس فيمن يركبه من أصحاب المراكب من الحرية والعمالة إلا وهو منقاد إلى قوله ، ويُقر له بالبصر والحذق ، مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها ، وقد ذكرنا مجائب هذه البحار وما سمعناه من ذكرنا من أخبارها وآفاتنا ، وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد بعد هذا الموضع جملاً من أخبارها .

وقد ذهب قوم في علامات المياه ومستقرها من الأرض مذهباً ، وهو أن يرى علامات لمعرفة في المواضع التي يكون فيها الماء منابتُ التَّصَبِّ والخلفاء واللين من الحشيش ؛ وجود المياه فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر ، وأن ما عدا ذلك فعلى البعد .

ووجدت في كتاب الفلاحة أن مَنْ أراد أن يعلم قرب الماء وبُعْده فليحفر في الأرض قدر ثلاثة أذرع أو أربعة ، ثم يأخذ قِدْرًا من نحاس أو إِجَانَةً خَرَفَ ، فيدهنها بالشحم من داخلها مستويا ، ولتكن القدر واسعة الفم ، فإذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منقوشة مفسولة ، وخذ حجرًا قدر بيضة ، فامسك ذلك الصوف عليه مثل الكرة ، ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب وأصقها في أسفل ذلك

(١) في ١ « وهم النواتية ، وأصحاب الأرحل » .

(٢) في ١ « بأبي الحارث غلام زراقة » .

القَدْرُ الذي قد دهنته بدهن أوتسحم ثم ألقيها في أسفل الحفيرة؛ فإن الصوف يصير معلقاً والموم يمسكه^(١)، ويصير إلى مكان الحجر معلقاً، ثم احْتُ على الإناء التراب قدر ذراعين أو ذراع، ودَعَه ليلتك كلها، فإذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكس التراب عنه، وارفع الإناء، فإن رأيت الماء ملزقاً بالإناء من داخل قطراً كثيراً بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فإن في ذلك المكان ماء، وهو قريب، وإن كان القطر متفرقاً لا بالاجتماع ولا بالمقارب والصوفة مأوها وسط فإن الماء لبس بالبعيد ولا بالقرب، وإن كان القطر ملتزقاً متباعداً بعضه عن بعض والماء في الصوفة قليل، فإن الماء بعيد، وإن لم نر على الإناء قطراً قليلاً ولا كثيراً ولا على الصوفة ماء فإنه ليس في ذلك الموضع ماء، فلا تتعنَّ في حفره.

ووجدت في بعض النسخ من كتاب الفلاحة في هذا المعنى أن مَنْ أراد علم ذلك فليُنظر إلى قري النمل؛ فإن وجد النمل غلاظاً سوداً ثقيلة المشى [فليُنظر] فعلى قدر ثقل مشيهم الماء قريب منهم، وإن وجد النمل صريع المشى لا يكاد يُلْحَقُ فالماء على أربعين ذراعاً، والماء الأول يكون عذباً طيباً والثاني [يكون] ثقيلاً مالحاً.

فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء، وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » وإنما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة إلى ذكره بالإشارة إليه دون بسطه وإيضاحه.

وإذ قد ذكرنا جملاً من أخبار البحار وغيرها، فلننقل في أخبار ملوك الصين وغيرها وأهلها، وغير ذلك مما لحق به، إن شاء الله تعالى.

(١) في « يملكه ويصير لمكان الحجر معلقاً ».

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ١٣١

ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور^(١)

وأخبار الصين

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبندهم : فذكر كثير منهم أن ولد عابور^(١) بن سويل^(٢) بن ياقث بن نوح المقتسم فالن بن عابور بن إرفخشذ بن سام ابن نوح الأرض بين ولد نوح ساروا يسرة في الشرق، فسارقوم منهم من ولد أرعو على سمت الشمال، وانتشروا في الأرض فصاروا عدة ممالك : منهم الدليم، والجيل، والطيلسان، والتتر، وفرغان^(٣) فأهل جبل القبق^(٤) من أنواع الكرك ثم اللان والخزرو الأنجاد^(٥) والسرير وكشك، وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع، إلى بلاد طوا بريدة^(٦) إلى بحر ما نطش ونيطش وبحر الخزر إلى البرغر ومن انصل بهم من الأمم، وعبر ولد عابور^(١) نهر بلخ، ويم بلاد الصين الأكثر منهم، وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار، فمنهم الجيل، وهم سكان^(٧) جيلان، والأشروسنة والصفد، وهم بين بخارى وسمرقند، ثم الفراغنة والشاش واستيجاب وأهل بلاد الفاراب؛ فبنوا المذن والضياغ، وانفرد منهم أناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي ففتحهم الترك والخزرج والطفرغر، ومنهم أصحاب مدينة كوشان، وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين، وليس في أجناس

(١) في ١ « عامور » . (٢) في ب « بن بتويل » .

(٣) في ١ « والبر وموقان » (٤) في ب « جبل الفصح » .

(٥) في ١ « الأبخاز » .

(٦) في ١ « إلى طراز زيدة إلى بحر ما يبطس ويطس » .

(٧) في ١ « منهم الختل، ومنهم سكان ختلان وروسان » .

الترك وأنواعهم في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - أشد منهم بأساً ، ولأكثر منهم شوكة ، ولا أضبط ملكاً ، وملكهم أيرخان ، ومذهبهم مذهب المانية ، وليس في الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ، ومن الترك الكيمائية والبرسخانية والبديعة والجعرية ، وأشدهم بأساً الغزية ، وأحسنهم صورة ، وأطولهم فامة ، وأصبحهم وجوهاً : الخزجية ، وهم أهل بلاد فرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع ، وفيهم كان الملك ، ومنهم خاقان الخواقين ، وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك ، وتنقاد إليه ملوكها ، ومن هؤلاء الخواقين كان فراسياب التركي الغالب على بلاد فارس ، ومنهم سانة ، ولخاقان الترك في وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمان^(١) ، وهي في مفاوز سمرقند ، وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة : والسبب في ذلك في كتابنا المتراجم بالكتاب الأوسط ، ولحق فريق من ولد عابور^(٢) بتخوم الهند ، فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ، ولحقوا بألوان الهند ، ولهم حصن وبوادٍ ، وسكن فريق منهم ببلاد التبت ، وملكوا عليهم ملكاً وكان ينقاد إلى ملك خاقان ، فلما زال ملك خاقان على ما قدمنا ، وسَمَّى أهل التبت ملكهم بخاقان تشبهاً بمن تقدم من ملوك الترك وهو خاقان الخواقين .

وسار الجمهور من ولد عابور^(٣) على ساحل البحر حتى اتهموا إلى أقاصيه من بلاد الصين ، فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد ، وقطنوا الديار ، وگوروا الكور ، ومصرّوا [الأمصار ومدن] المدن ، واتخذوا لملكهم مدينة عظيمة ، وسمّوها انموا ، وبينها وبين ساحل البحر الحبشي - وهو بحر الصين - مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمار متصلة .

وكان أول ملك تملك عليهم في هذه الديار وهي انموا « نبطرطاس »^(٣) بن باعور بن مدّيج بن عابور بن يافث بن نوح ، فكان ملكه ثلاثمائة سنة ونيفاً ،

ملك
نبطرطاس

(١) في ب « المدينة المعروفة بعمان » . (٢) في ا « عامور » .

(٣) في ب « اسطر ماس بن فاعور بن بريح » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ١٣٣

وفرق أهله في تلك الديار ، وشَقَّق الأنهار ، وقتل السباع ، وغرس الأشجار وأطعم الثمار ، وهلك .

فملك ولد له يقال له « عوون » فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ملك عوون الأحمر جزعاً عليه ، وتعظيماً له ، وأجاسه على سرير من الذهب [الأحمر مُرَصَّع بالجواهر وجعل مجلسه دونه ، وأقبل يسجد لأبيه وهو في جوف تلك الصورة ، هو وأهل مملكته ، في طرفي النهار إجلالاً له ، وعاش [بعد أبيه] مائتي سنة وخمسين سنة ، وهلك .

فملك ولد له يقال له « عيئدون ^(١) » فجعل جسد أبيه مخزوناً في تمثال من الذهب [الأحمر] ، وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب [ورَصَّعهُ بأنواع الجواهر] وكان يسجد له ، ويبدأ بحجده الأول ثم بأبيه ، وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية ، وسوّاهم في جميع أمورهم ، وشملهم بالعدل ، فكثر النسل وأخصبت الأرض ^(٢) ، فكان ملكه إلى أن هلك نحواً من مائتي سنة .

ثم ملك بعده ولده « عيئنان ^(٣) » فجعل أباه في تمثال من الذهب [الأحمر] ملك عيئنان وحرى [فيه] على ما سلف من أفعالهم من السجود والتعظيم ، وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه ، فعاش أربعائة سنة ، واتخذ في أيامه كثيراً من المهن مما لطف في الدور ^(٤) من الصنائع .

وملك بعده ولده « حراتان ^(٥) » فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال ، وحمل ملك حراتان لطائف بلاد الصين ، وصير هانحو بلاد السند والهند إلى إقليم بابل وإلى سائر الممالك مما قرب منها وبعد في البحر ، وأهدى الهدايا العجيبة والרגائب النفيسة إلى الملوك وأمرهم أن يجابوا إليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المأكول والمشرب

(١) في ب « عبور » .

(٢) في ا « وأخصبت بلاده » .

(٣) في ب « عيئان » .

(٤) في ا « مما لطف في الرقة » .

(٥) في ب « حرامان » .

والملايس وسائر الفُرُش^(١)، وأن يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة^(٢) وشريعتها ونهجها الذى هى عليه، وأن يرغبوا الناس فيما فى بلادهم من الجواهر والطيب والآلات ؛ ففترقت المراكب فى البلاد، ووردوا الممالك! أمروا به، فلم يردوا على أهل مملكة إلا وأعجبوا بهم ، واستطرفوا ما أوردوه من أرضهم، فبنت الملوك المطيفة بالبحار المراكب ، وجهازت نحوهم السفن ، وحملوا إليهم ما ليس عندهم، وكانوا ملوكهم ، وكافأوه على ما كان من هداياه إليهم ، فعمرت بلاد الصين، واستقامت له الأمور ، فكان عمره نحواً من مائتى سنة ، فهلك ، فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا الناحية عليه شهراً .

ملك توتال ثم فرعوا إلى الأكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكاً^(٣)، فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب، وسلك طريق مَنْ كان قبله فى فعلهم مقتدياً بمن مضى من آبائه ، وكان اسم هذا الملك « توتال »^(٤) فاستقامت له الأمور، وأحدث من السنن المحمودة ما لم يحدثه أحد [من سلف] من ملوكهم ، وزعم أن الملك لا يثبت إلا بالعدل فإن العدل ميزان الرب^(٥) ، وإن من العدل الزيادة فى الإحسان مع الزيادة فى العمل وحصن^(٦)، وشرف، ونوج، ورنب الناس فى رنبهم [ووقفهم] على طرائقهم ، وخرج يرتاد موضعاً لينى فيه هيكلًا، فوافى موضعاً عامراً بالنبات حسن الاعتماد بالزهر^(٧) تخترقه المياه فخط الهيكل هناك، وجلبت له أنواع الأحجار المختلفة الألوان؛ فشيد الهيكل، وجعل على علوه قبة، وجعل لها مخارج للهواء متساوية، ونصب فيها بيوناً لمن أراد التفرد بالعبادة ؛ فلما فرغ منها نصب فى أعلاها تلك التماثيل التى فيها أجسام من سلف من آبائه ، وأمر بتعظيمها، وجمع الخواص من أهل مملكته

(١) فى ١ « وسائر الفروس » . (٢) فى ١ « وملة كل أمة » .

(٣) فى ١ « فصبوه عليهم ملكاً » . (٤) فى ب « ثوما مان »

(٥) فى ١ « لأن العدل ميزان البارى » .

(٦) فى ١ « وخص » . (٧) فى ب « الاعتماد بالنهر » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ونعرف ولد عابور ١٣٥

وأخبرهم أن من رأيه ضم الناس إلى ديانة يرجعون إليها لجمع النمل وتساوى النظام ، فإنه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ، ودخول الفساد والزلل ، فرتب لهم سياسة شرعية ، وفرائض عقلية ، وجعلها لهم رِبَاطًا ، ورتب لهم قِصَاصًا في الأنفس والأعضاء ، ومستحلات من كح يستباح بها النسوان ، وبصح بها الأنساب ، وجعلها مراتب ؛ فمنها لوازم موجبة يَحْرَجُونَ من تركها ، ومنها نوافل يتفعلون بها ، وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقرباً لعبودهم : منها إيماء لا ركوع فيها ولا سحود في أوقات من الليل والنهار معلومة ، ومنها ركوع وسحود في أوقات من السنة والتهنؤن محدودة ، ورسم لهم أعياداً ، وجعل على الزُّنَاة منهم حداً ، وعلى من أراد من نساءهم البغاء جزية مفروضة ، وأن لا يسجن^(١) النكاح إلا في وقت من الأوقات ، وإن أقلن عما كن عليه سكت الجزية عنهن ، وما يكون من أولادهن ذكوراً يكون للملك عبيداً وجُنُداً ، وما يكون من أولادهن إناثاً ، فلا مهاتهن ، ويلحقن بصنعتهن ، وأمرهم بقرايين للهياكل ودخن^(٢) ، وأبخره للكواكب ، وجعل لكل كوكب منها وقتاً يتقرب إليه فيه بدخن^(٣) معلوم من أنواع الطيب والعقافير ، وأحكم لهم جميع الأمور ، فاستقامت أيامه ، وكثر النسل ، فكانت حياته نحواً من مائة وخمسين سنة ، وهلك ، فجزعوا عليه جزعاً شديداً ، فجعلوه في تمثال من الذهب [الأحمر] ورَصَّعوه بأنواع الجواهر ، وبنوا له هيكلاً عظيماً ، وجعلوا سقفه سبعة ألوان من الجواهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها وأشكالها ، وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيداً يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل ، وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب ، وأكثر أموالهم الفلوسُ الصفر والنحاس ، فاستقرت هذه المدينة بدار ملك

(١) في ب « وأن لا يستحسن النكاح — إلخ » ويظهر أن الأصل « وألا

يستحسن النكاح » . (٢) في ب « زخر » في الموضعين .

الصين ، وهى مدينة انوا ، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر وأكثـر من ذلك على حسب ما قدمنا آنفاً ، ولهم مدينة عظيمة نحو ما يلى من أرضهم مغرب الشمس ، يقال لها مد^(١) ، ونلى بلاد التبت ، والحرب بين بلاد التبت وأهل المد^(١) سجالٌ .

فلم تزل الملوك من طراً بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة ، والخصب والعدل لهم شامل ، والجور فى بلادهم معدوم ، يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم ، وحروبهم على عدوهم فائمة ، وثغورهم مشحونة ، والرزق على الجنود دارٌ ، والتجار يخلفون إليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ، ودينهم دين من سلف ، وهى ملة تدعى السمنية ، عباداتهم نحو من عادات قريش قبل مجىء الإسلام : يعبدون الصور ، ويتوجهون نحوها بالصلوات ، واللييب منهم يتعهد بجمالاته الخالق ، ويقيم التماثيل من الأصنام والصور مقام قلة ، والجاهل منهم ومن لاعلم له يشرك الأصنام بإلهية الخالق ، ويعتقدها جميعاً ، وأن عبادتهم الأصنام تقربهم إلى الله زلتى ، وأن منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارى جلالاته وعظمته وساطاته ، وأن عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة إليه ، وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند المجاورتهم إياهم ، وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا فى أهل الصين ، ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر ، فنغيرت أحوالهم ، وبخثوا ، وناظروا ، إلا أنهم ينقادون فى جميع أحكامهم إلى ما نصب لهم من الشرائع المقدمة ، ومن حيث إن ملكهم متصل بملك الطفرغر — على حسب ما تقدم — صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية^(٢) والقول بالنور والظلمة ، وقد كانوا جاهلية سبائهم فى الاعتقاد سبيلُ الترك ، إلى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية^(٣) ، فزخرف لهم كلاماً يريهم فيه نضاد ما فى هذا العالم وتباينه : من

(١) فى ا « يقال لها مد » . (٢) فى ا « المانية » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ١٣٧

موت وحياء ، وصحة وسقم ، وضياء وظلام ، وغنى وفقير ، واجتماع وافتراق ،
وانتصال وانفصال ، وشروق وغروب ، ووجود وعدم ، وليل ونهار ، وغير
ذلك من سائر المتضادات ، وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لأجناس الحيوان
من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم ، وما يعرض للأطفال والبله
والجانين ، وأن الباري جل وعز غنى عن إبلاهم ، وأراهم أن هناك ضداً
شديداً دَخَلَ على الخير الفاضل في فعله ، وهو الله عز وجل ، فاجتذب بما وصفنا
وغيره من الشُّعْرِ عقولهم ، فدانوا بما وصفنا ، فإن كان ملك الصين ينتمى
لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك أيرخان سجّالاً ،
وإذا كان ملك الصين متنافي المذهب^(١) كان الأمر بينهم في الملك مُشاعاً ،
وملوك الصين ذوو آراء ونحل ، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين
عن قضية العقل والحق ، في نَصَب القُضاة والحكام ، واثبات الخواص
والعوام إلى ذلك .

وأهل الصين شعوب وقبائل ، كقبائل العرب وأغذاها وتشعبها في بعض عادات
الصين
أنسابها ، ولم مراعاة لذلك ، وحفظ له ، وينسب الرجل [منهم] إلى خمسين
أباً إلى أن يتصل بعابور^(٢) وأكثر من ذلك وأقل ، ولا يتزوج أهل كل
نخذ من نخذه^(٣) مثال ذلك أن يكون الرجل من مُضَر فيتزوج في ربيعة ،
أو من ربيعة فيتزوج في مضر ، أو من كهلان فيتزوج في حمير ، أو من حمير
فيتزوج من كهلان ، ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية ، وأنه
أصح للبقاء ، وأتم للعمر ، وأسباباً يذكرونها نحو ما ذكرنا .

فلم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سلف
من ملوكهم إلى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في الملك أمر زال به
النظام ، وانقضت به الأحكام والشرائع ومنع من الجهاد إلى وقتنا هذا ، وهو سنة

(١) في « مثنى الذهب » . (٢) في « عابور » .

(٣) في ب « ولا يتزوج أهل كل نخذه إلا من نخذه » وفيها فيما بعد « فلا

يتزوج » في كل المواضع .

اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وهو أن نابغاً نبع فيهم من غير بيت الملك كان فى بعض مدائن الصين يقال له يانشو^(١٦) ، وكان شريراً يطلب الفتنة ، ويجمع إليه أهل الدعارة والشر ، فالحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه ؛ لمول ذكره ، وأنه ممن لا يبألى به ، فاشتد أمره ، ونما ذكره ، وكثر عنوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه ، وعظم جيشه ، فسار من موضعه ، وشن الغارات على العمار حتى نزل مدينة خانتوا ، وهى مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين ، وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أوسع ، بدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالأمته والجهاز ، وتقرب إلى مدينة خانتوا ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس ، وغير ذلك من أهل الصين ؛ فقصدها العدو إلى هذه المدينة فحاصرها ، وأنته جيوش الملك فهرمها ، واستباح ما فيها ، فكثرت جنوده ، وافتتح مدينة خانتوا عنوة ، وقتل من أهلها خلقاً لا يحصىون كثرة ، وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس ممن قتل وغرق خوف السيف فكان مائتى ألف ، وإنما أخصى ما ذكرناه من هذا العدد لأن ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها ، وكذا من جاورها من الأمم ؛ ليصير ذمة لها فى دواوينها ، بكتاب قد وگلوأ يا حصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ما حكمهم ، وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانتوا من غابات شجر التوت ؛ إذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه ، وما يطعم منه لدود القز الذى ينتج منه الحرير ، فكان ذهاب الشجر داعياً إلى انقطاع الحرير الصينى وجهازه إلى ديار الإسلام .

وسار يانشو^(١٧) بجيوشه إلى بلد بلد فافتحه ، وانضاف إليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه ، وقصد مدينة أنموا ، وهى دار الملك ، فخرج إليه الملك فى نحو مائة ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو ويانشو^(١٨)

(١) فى ب « يقال له باسر » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ، ونفرق ولد عابور ١٣٩

وكانت الحرب بينهم سجالات نحواً من شهر ، وصبر الفريقان جميعاً ، ثم كانت على الملك فولى منهزماً ، وأمعن الخارجى فى طلبه ، فأنحاز الملك إلى مدينة فى أطراف أرضه ، واستولى الخارجى على الحوزة ، واحتوى على ديار الملك ، وملك خزائن الملوك السالفة ، وما أعدوه للنواب ، وشن الغارات فى سائر العمارات ، وافتتح المدن ، وعلم أن لا قوام له بالملك ؛ إذ كان ليس من أهله ، فأمعن فى خراب البلاد واستباحة الأموال ، وسفك الدماء ، وكاب ملك الصين من المدينة التى انحاز إليها المتأخة لبلاد التبت ، وهى مدينة مد^(١) المتقدم ذكرها ، ملك الترك ابن خاقان^(٢) ، فاستنجد به ، وأعلمه ما نزل به ، وأعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات إذا استنجدوا إخوانها من الملوك ، وأن ذلك من فرائض الملك وواجباته ، فأمنجده ابن خاقان^(٣) بولد له بنحو من أربعة آلاف فارس ورجل ، وقد استنجد أمر يانشو ، فالتقى الفريقان جميعاً ، فكانت الحرب بينهم سجالات نحواً من سنة ، وتفاانى من الفريقين خلق كثير ، ففقد يانشو ، فقيل : إنه قتل ، وقيل : إنه أحرق^(٤) ، وأسر ولده والخواص من أصحابه ، وسار ملك الصين إلى دار المملكة وعاد إلى ملكه والعامه تسميه يعبور^(٥) ، وتفسير ذلك ابن السماء ، تعظيمه ، وهو الاسم الأخص الملوك الصين ، والذى يخاطبون به جميعاً جحان^(٥) ، ولا يخاطبون بعبور^(٤) ، ونقلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته ، كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الإسكندر بن فيلبوس المقدونى دارا بن دارا ملك فارس ، وكنحو ما نحن بسبيله فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — فرضى ملك الصين منهم بالطاعة له ، ومكاتبته بالملك ، ولم يتأت له المسير إلى سائر أعماله ، ولا محاربة من تغلب على بلاده ، وقنع بما وصفت ، وامتنع من ذكرنا من حمل الأموال إليه فتاركهم مسالماً لهم ، وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه ؛ فقدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم .

(١) فى « مدينة مذ » (٢) فى « ملك الترك أيرخان » .

(٣) فى « وقيل إنه غرق » . (٤) فى « يعبور » .

(٥) « طمنجا جيان » .

وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات الملك ، واثبات العدل ،
على حسب ما توجه قضية العقل .

وحكى أن رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان^(١)
خرج من بلاده ، ومعه متاع كثير ، حتى انتهى إلى العراق ، فحمل من
جهازه ، وانحدر إلى البصرة ، وركب البحر حتى أتى إلى بلاد عمان ، وركب
إلى بلاد كلة ، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك ، وإليها تنتهى
مراكب [أهل] الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون
مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم ، وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف
ذلك ، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل
فارس وساحل البحرين والأبلة والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف
من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك ، ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان
من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعاً في هذا النصف ، ثم ركب هذا
التاجر من مدينة كلة في مراكب الصينيين إلى مدينة خاقوا ، وهي مرسى
المراكب [على حسب ما ذكرنا آنفاً ، وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها
من الجواز والأمتعة]^(٢) فشرح خصياً من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه ،
وذلك أن أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم في الخراج وغيره [من
العالمات والمهمات] وفيهم من يخصى ولده طلباً للرياسة [واعتقاد النعمة ؛
فسار الخصى] حتى أتى مدينة خاقوا ، وأحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني ،
فعرضوا عليه ما احتاج إليه من المتاع وما يصلح له ، فسأل الخراساني أن يحضر
متاعه ؛ فأحضره ، وجرت بينهم محادثة ، ودار الأمر في التثمين للمتاع ، فأمر الخصى
بسجن الخراساني وإكراهه ، وذلك أنه زاده ثقة منه بعدل الملك ، فغضى الخراساني
من قوّره حتى أتى إلى مدينة أنموا ، وهي دار الملك ، فوقف موقف المتظلم ،

(١) في ١ « من بلاد ما وراء النهر » (٢) زيادة ليست في ١

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ١٤١

وذلك أن المتظلم إذا أتى من البلد الشاسع أو غيره قمص نوعا من الحرير الأحمر ، ووقف موضعاً قد رسم للظلمة ، وقد رتب بعض ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ، ويقف ذلك الموقف ، فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ، ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ، ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه ، فأقبل عليه ، وقال : أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم ، وخاطرت بنفسك ، انظر إن كنت صادقاً فيما تخبر به ، وإلا فإننا نغلبك ونردك من حيث جئت ، وكان هذا خطابه لمن يتظلم ، فإن رآه قد جزع وضرع في القول ضربه مائة خشبة وردّه من حيث جاء ، وإن هو صبر على ما هو عليه حمل إلى حضرة الملك ، وأوقف بين يديه ، وسمع كلامه ، فصمم الخراساني في المطالبة والظلمة فرآه محقاً غير ضرع ولا متلجلج ، فحمل إلى الملك ، فوقف بين يديه وقصّ حديثه على الملك ، فلما أن أدى الترجمان إليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به إلى بعض المواضع ، وأحسن إليه ، وأحضر الوزير وصاحب المينة [وصاحب القلب] وصاحب الميسرة ، وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه ، فأمرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم إلى صاحبه بالناحية ، ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية ، فكتبوا إلى أصحابهم يخاطبوا أن يكتبوا إليهم بما كان من خبر التاجر والخدام ، وكتب الملك إلى خليفته بالناحية بمثل ذلك ، وقد كان خبر الخدام والتاجر اشتهر واستفاض ، فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر ، وذلك أن ملوك الصين لها في سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مُسرّجة محنوة الآلات للأخبار والخرائط ، فبعث الملك فاستحضر الخدام ، فلما وقف بين يديه سلبه ما كان أنعم به عليه ، ثم قال له : عمدت إلى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع ، وقطع مسالك ، واجتاز بملوك في بر وبحر ، فلم يتعرض له ، يؤمل الوصول إلى ملكتي ثقة منه بعدلى ، ففعلت به ما فعلت ، وكان ينصرف عن ملكي ، ويقبح الأحداث عن

سيرتي ، أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك ، لكن أعافيك بعقوبة إن عقلت فإنها أكبر من القتل ، وهو أن أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة ، أن عجزت عن تدبير الأحياء والقيام بما إليه تدبت ، وأحسن الملك إلى التاجر ، وحمله إلى خائقوا ، وقال له : إن سمحت نفسك أن تتبع منا ما اختير لنا من متاعك بالثمن الجزيل ، وإلا فأنت المحكّم في مالك ، أقم إذا شئت ، وبع كيف شئت ، وانصرف راشداً حيث شئت ، وصرف الخادم إلى مقابر الملوك .

قال السعودي : ومن طرائف أخبار ملوك الصين أن رجلاً من قریش من ولد هتار بن الأسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر ، خرج هذا الرجل من مدينة سيراف ، وكان من أرباب البصرة وأرباب النعم بها ، وذوى الأحوال الحسنة ، ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ، ولم يزل يتحول من مركب إلى مركب ، ومن بلد إلى بلد ، يحترق ممالك الهند ، إلى أن انتهى إلى بلاد الصين [فصار] إلى مدينة خائقوا ، ثم دعتهم همتة إلى أن صار إلى دار ملك الصين ، وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان ، وهي من كبار مدنها ، ومن عظيم أمصارهم ، فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرفاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب ، فأمر [الملك] بعد هذه المدة الطويلة بإنزاله في بعض المساكن وإزاحة العلة من أموره وجميع ما يحتاج إليه ، وكتب إلى الملك المقيم بخائقوا يأمره بالبحث عنه ، ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم ، فكتب صاحب خائقوا بصحة نسبته ، فأذن له في الوصول إليه ، ووصله بمال واسع ، وأعادته إلى العراق ، وكان شيخاً فهماً ، فأخبر أنه لما وصل إليه ، وسأله عن العرب ، وكيف أزالوا ملك العجم ، فقال له : بالله عز وجل ، وما كانت العجم عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل ، فقال له : لقد غابت العرب على أجنّ الممالك ، وأنفسها ، وأوسعها ريعاً ، وأكثرها أموالاً ، وأعقلها

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ١٤٣

رجالاً ، وأهداها صوتاً^(١) ، ثم قال له : فما منزلة سائر الملوك عنكم ؟ فقال : ما لي بهم علم ، فقال للترجمان : قل له : إنا نعدُّ الملوك خمسة ، فأوسعهم ملكاً الذي يملك العراى ، لأنه في وسط الدنيا ، والملوك مُحْرَقَةٌ به ، ونجد اسمه ملك الملوك ، وبعده ملكنا هذا ، ونجده عندنا ملك الناس ، لأنه لا أحد من الملوك أسوس منا ، ولا أضبط للملكه من صبطننا لملكنا ، ولا رعية من الرعايا أطوع للملكها من رعيتنا ، فنحن ملوك الناس ، ومن بعده ملك السباع ، وهو ملك الترك الذي يابنا ، وهم سباعُ الإنس ، ومن بعده ملك الفيلة ، وهو ملك الهند ، ونجده عندنا ملك الحكمة أبطاً ؛ لأن أصابها منهم ، ومن بعده ملك الروم ، وهو عندنا ملك الرجال ؛ لأنه ليس في الأرض أتم حاقاً من رجاله ، ولا أحسن وجوهاً منهم ، فهؤلاء أعيان الملوك ، والباقيون دونهم ، ثم قال للترجمان : قل له : أتعرف صاحبك إن رأيت ؟ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال القرشى : وكيف لي بروينه وهو عند الله عز وجل ؟ فقال : لم أرد هذا ، وإنما أردت صورته ، فقلت : أجل ، فأمر بسفطٍ فأخرج فوضع بين يديه ، فتناول منه درجاً ، وقال للترجمان : أره صاحبه ، فرأيت في الدرج صور الأنبياء ، فحركتُ شفقي بالصلاة عليهم ، ولم يكن عندهم أنى أعرفهم ، فقال للترجمان : سلّه عن تحريكه لشفتيه ، فسألني ، فقلت : أصلى على الأنبياء ، فقال : ومن أين عرفتهم ؟ فقلت : بما صوّر من أمورهم ، هذا نوح عليه السلام في السفينة [ينجو] بمن معه لما أمر الله عز وجل الماء فعمّ الماء الأرض كلها بمن فيها وسله ومن معه ، فقال : أما نوح فصدقت في تسميته ، وأما غرق الأرض كلها فلا نعرفه ، وإنما أخذ الطوفان قطعة من الأرض ولم يصل إلى أرضنا ، وإن كان خبركم صحيحاً فعن هذه القطعة ، ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والأمم لا نعرف ما ذكرتم ، ولا نقَلْ إلينا أسلافنا

(١) في ١ « وأهداها صيتاً » .

ما وصفتم ، وما ذكرت من ركوب الماء الأرض كلها فعن الكواثر العظام التي نفع النفوس إلى حفظه وتداوله الأمم ناقلة له ، قال القرشي : فهِبْتُ الرد عليه وإقامة الحجة ؛ لعلمي بدفعه ذلك ، ثم قلت : وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو إسرائيل ، فقال : نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ، ثم قلت : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حمارة والحواريون معه ، فقال : لقد كان قليل المدة ؛ إنما كان أمده يزيد على ثلاثين شهراً شيئاً يسيراً ، وعدد من سائر الأنبياء وأخبارهم ما اقتصرت على ذكر بعضه ، ويزعم هذا القرشي - وهو المعروف بابن هبار - أنه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد دون فيها ذكر أسمائهم ^(١) ، ومواقع بلدانهم ، ومقادير أعمارهم ، وأسباب نبوتهم وسيرهم ، وقال : ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل وأصحابه يُحَدِّقون به في أرجاءهم نعال عربية ^(٢) من جلود الإبل ، وفي أوساطهم الجبال ، قد علقوا فيها المساويك ، فبكيت ، فقال للترجمان : سلّه عن بكانه ، فقلت : هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : صدقت ، لقد ملك قومه أجلّ الممالك ، إلا أنه لم يعاين من الملك شيئاً ، إنما عاينته من بعده ومن تولى الأمر على أمته من خلفائه ، ورأيت صور أنبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعاً بين سبّابته وإبهامه كالخليفة ، كأنه يصف أن الخليفة في مقدار الحلقة ، ومنهم من قد أشار بسبّابته نحو السماء كالمرهب للخلقة بما فوق ، وغير ذلك ، ثم سألتني عن الخلقاء وزيهم وكثير من الشرائع ، فأجبتني على قدر ما أعلم منها ، ثم قال : كم عمر الدنيا عندكم ؟ فقلت : قد تنوزع في ذلك ، فبعض يقول : ستة آلاف سنة ، وبعض يقول : دونها ، وبعض يقول : أكثر منها ، فقال : ذلك عن نبيكم ؟ فقلت : نعم ، فضحك ضحكاً كثيراً ووزيره أيضاً ، وهو واقف [دَلَّ] على إنكار ذلك ، وقال : ما حسبت نبيكم قال هذا ، فرللت فقلت : بلى هو قال ذلك ، فرأيت الإنكار في وجهه ،

(١) في ١ ذكر أنسابهم » (٢) في ١ « نعال عدنية » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الصين والترك ونفريق ولد عابور ١٤٥

ثم قال للترجمان : قل له ميز كلامك ؛ فإن الملوك لا يكلم إلا عن تحصيل ، أما زعمت أنكم تختلفون في ذلك ، فإنكم إنما اختلفتم في قول نبيكم ، وما قالت الأنبياء لا يجب أن يخلف فيه ، بل هو مسلم لها ، فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه ، وذكر أشياء كثيرة ذهبت عني لطول المدة ، ثم قال لي : لم عدت عن ما لكك وهو أقرب إليك داراً ونسباً ؟ قلت : بما حدث على البصرة ، ووفوعي إلى سيراف ، ونزعت بي همتي إلى ملكك أيها الملك ، لما باغني من استقامة ملكك ، وحسبني سيرتك ، وكثرة جنودك [وشمول سياستك لسائر رعيك] فأحببت الوقوع إلى هذه المملكة ومساهمتها ، وأنا راجع عنها إلى بلادى ، وملك ابن عمي ، ومخبر بما شاهدت من جلالة هذا الملك ، وسعة هذه البلاد [وعموم هذا العدل ، وحسن] سيمك أيها الملك المهدود ، وسأقول بكل قول حسن وأثنى بكل جميل ، فسرّه ذلك ، وأمر لي بجائزة سنوية ، وخلع شريفة ، وأمر بحمل على البريد إلى مدينة خانقوا ، وكتب إلى ملكها يا كرامى ونقدي على بن في ناحيته من سائر خواص الناس ، وإقامة التزل إلى وقت خروجي عنه ، فكننت عنده في أخصب عيش وأنعمه ، إلى أن خرجت من بلاد الصين .

قال المسعودى : وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد^(١) السيرافى بالبصرة - وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأبو زيد هذا هو ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزدي بن ساسياد السيرافى^(٢) ، وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتميز - أنه سأل ابن هبار هذا القرشي عن مدينة حمدان التي بها الملك وصفتها ، فذكر سعتها ، وكثرة أهلها ، وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض ، فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيائه ، وجميع أسبابه في الشق الأيمن منه مما يلي المشرق لا يخاطبهم أحد من العامة ، وليس

(١) في « أبو زيد محمد بن يزيد السيرافى »

(٢) في « وهو ابن عم مزيد بن محمد بن أبرد بن بستاشة صاحب سيراف »

(١٠ - مروح الذهب ١)

فيه شيء من الأسواف ، بل أنهار في سككهم مطردة، وأشجار عليها منتظمة ،
ومنازل فسيحة ، وفي الشق الأيسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والأسواق
فإذا وضح النهار رأيت فيها قهارة الملك وعلماؤه ووزرائه ووكلائهم ما بين
راكب وراكب قد دخلوا إلى الشق الذي فيه العامة والتجار ، فأخذوا بضائعهم
وحوانجهم ، ثم انصرفوا فلا يعود واحد منهم إلى هذا الشق إلا في اليوم الثاني ، وأن
هذه البلدان فيها كل نزهة وغنيضة حسنة ، وأنهار مطردة إلا النخل فإنه معدوم عندهم .
وأما أهل الصين فمن أخذ في خلق الله كما بنقش وصنعة وكل عمل
لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم ، والرجل منهم يصنع يده ما يقدر أن غيره
يعجز عنه ؛ فيقصد به باب الملك ياتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع ، فيأمر الملك
بنصبه على بابه من وقته ذلك إلى سنة ، فإن لم يخرج أحد فيه عيباً جاز صناعته
وأدخله في جملة صناعه ، وإن أخرج أحد فيه عيباً طرحه ولم يجزه ، وأن رجلاً
منهم صور سنبله سقط عليها عصفور في ثوب حرير ، لا يشك الناظر إليها أنها سنبله
سقط عليها عصفور ، فبقى الثوب مدة ، وأنه اجتاز به رجل أحذب ، فعاب العمل ،
فأدخل إلى الملك وأحضر صاحب العمل ، فسأل الأحذب عن العيب ، فقال :
المتعارف عند الناس جميعاً أنه لا يقع عصفور على سنبله إلا أمله ، وصور هذا
المصور السنبله فنصبها قائمة لأميل فيها ، وأثبت العصفور فوقها منتصباً ، فأخطأ ،
فصدق الأحذب ، ولم يثب صاحبها بشيء ، وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن
يعمل هذه الأشياء ؛ ليضطروهم ذلك إلى شدة الاحتراز [والحذر] وإعمال
الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده .

مهارة
أهل الصين

ولأهل الصين أخبار [عظيمة] عجيبة ، ولبلادهم أخبار ظريفة سنورد فيما يرد
من هذا الكتاب جلامنها وإن كنا قد أتينا على سائر الأخبار من ذلك في كتابنا
« أخبار الزمان في الأمم الماضية والممالك الدائرة » وذكرنا في الكتاب الأوسط
جلاماً لم نتعرض لذكرها في كتاب « أخبار الزمان » [وربما] ذكرنا في هذا
الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين ، والله أعلم .

ذكر جمل من الأخبار عن البحار

وما فيها [وما حولها] من العجائب والأمم ، ومراتب الملوك
وأخبار الأندلس ، ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه ، وغير ذلك
قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة
والمنفصلة ، فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من أخبار ما اصل بنا من البحر
الحبشي والممالك والملوك ، وجملا من ترتيبها ، وغير ذلك من أنواع العجائب .
فتقول : إن بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مباحها غير منفصلة ، على
ما ذكرنا ، إلا أن هيجانها وركودها مختلف ؛ لا اختلاف مهابر ياحها وآثار
ثوراتها^(١) وغير ذلك ، فبحر فارس تكثر أمواجه ، ويصعب ركوبه ، عندلين
بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه ، ويلين بحر فارس ، وتقل أمواجه ،
ويسهل ركوبه ، عند ارتجاج بحر الهند ، واضطراب أمواجه وظلغته ، وصعوبة
مركبه ، فأول ما يتبدى بصعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء
الخرقي ، ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه إلى أن تصير الشمس إلى برج الحوت ،
فأشد [ما يكون] ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس ، ثم يلين
إلى أن تعود الشمس إلى السنبلة ، وآخر ما يكون ذلك في آخر الربيع عند كون
الشمس في الجوزاء ، وبحر الهند لا يزال كذلك إلى أن تصير الشمس إلى السنبلة
فيركب حينئذ ، وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس ، وبحر فارس يركب
في سائر السنة من عُمان إلى سيراف ، وهو ستون ومائة فرسخ ، ومن سيراف إلى
البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ، ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين
الموضعين ونحوهما ، وقد حكى أبو معشر النجم في كتابه المترجم بالمدخل الكبير إلى
علوم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوئها عند كون الشمس فيما ذكرنا

اضطراب
بحر فارس
وبحر الهند
وهوئها

من البروج ، وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند في اتبائه إلا مركب معزز ،
وحولنه بسيرة ، وتسمى هذه المركب بعمان إذا قطعت أرض الهند في هذا الوقت
التي رماهة ، وذلك أن بلاد الهند وبحر الهند يكون فيه اليسار - وهو الشتاء -
ودوام الأمطار في كانون ، وكانون وشباط عند اصيف ، وعند النساء ، كما يكون
عندنا الحر في حزيران وتموز وآب ، فشتاؤنا صيفهم ، وصيفهم شتاؤنا^(١) ،
وكذلك سائر مدن الهند وما اتصل بذلك إلى أفصى هذا البحر ،
ومن شتي في صيفنا بأرض الهند قيل : فلان يسر بأرض الهند : أي شتي
هناك ، وذلك لفرب الشمس وبعدها .

النوص
على اللؤلؤ

والنوص على اللؤلؤ في بحر فارس ، وإنما يكون في أول نيسان إلى آخر
أيلول ، وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها ، وقدأ بنافيا سلف من
كتبنا على سائر مواضع النوص في هذا البحر ؛ إذ كان ما عداه من البحار
لا لؤلؤ فيه ، وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وفطرو عمان وسرنديب
وغير ذلك من هذا البحر ، وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ ، وتنازع الناس
في نكوته ، ومن ذهب منهم إلى أن ذلك من المطر ، ومن ذهب منهم إلى أن
ذلك من غير المطر ، وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسعى بالحجار ،
 والمعروف بالبلبل ، واللحم الذي في الصدف والشحم ، وهو حيوان يفزع على مافيه
من اللؤلؤ والدر خوفا من الفأصة ، كخوف المرأة على ولدها ، وقدأ تينا على ذكر
كيفية النوص ، وأن الفأصة لا يكادون يتناولون شيئا من اللحم إلا السمك
والتمر ، وغيرهما من الأقوات ، وما يلحقهم ، وذكر شق أصول آذانهم لخروج
النفس من هناك بدلا عن المنخرين ؛ لأن المنخرين يجعل عليهما شيء من الدبل
وهو ظهور السلاحف البحرية التي تتخذ منها الأمشاط أو من القرن يضمهما

(١) في ١ « وليس ينكاد يقطع من عمان بحر الهند في تيرماه إلا مركب »

(٢) لو قال « فشتاؤنا صيفهم وشتاؤهم صيفنا » لكن خيرا

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن البحار ١٤٩

كالمشقص لا من الخشب ، وما يحمل في آذانهم من القطن فيه شيء من الدهن ، فيعصر من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره ، فيضيء لهم بذلك في البحر ضياء بينا ، وما يطلون به أقدامهم وأسواقهم من السواد خوفا من بلبع دواب البحر إياهم ولنفورها من السواد ، وصياح الغاصة في [قعر] البحر كالكلاب ، وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض ، وللغواص واللؤلؤ وحيوانه أخبار عجبية وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته وأثمانه ومقادير أوزانه فيما سلف من كتبنا .

فأول هذا البحر مما يلي البصرة والأبلة والبحرين من خشبات البصرة ، ثم بحر لا روى وعليه بلاد صيمور وسوارة وتابة وسندان وكنباية^(١) وغيرها من السند والهند ، ثم بحر هر كند^(٢) ، ثم بحر كلاه ، وهو بحر كلة والجزائر ، ثم بحر كردنج^(٣) ، ثم بحر الصنف ، وإليه يضاف العود الصنفي وإلى بلاده ، ثم بحر الصين وهو بحر صنجي^(٤) ليس بعده بحر ، فأول بحار فارس على ما ذكرنا خشبات البصرة والموضع المعروف بالكفلاء^(٥) وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مفروسة علامات للمراكب إلى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ ، وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ، ومن عمان وقصبتها تسمى سنجان^(٦) ، والفرس يسمونها مزون إلى المسقط ، وهي قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخا ، ومن المسقط إلى رأس الجمجمة خمسون فرسخا ، وهذا آخر بحر فارس ، وطوله أربعمائة فرسخ ، هذا تحديد النواية^(٧) وأرباب المراكب ، ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والأحقاف ، والرمل منه تحت البحر ، لا يدرى أين تنتهي غايته في الماء

(١) في ب ١ حمور وسر بارة وثانية وسنوار وكسانة

(٢) في ب « بحر هوكيد » (٣) في ب « كوريج »

(٤) في ب « وهو بحر صيحو » (٥) في أ « المعروف بالكفلاء »

(٦) في أ « تسمى صحر » (٧) في ب « النواي »

[أعنى الجبل المعروف برأس الججمة ، وإذا كان ما وصفنا من الجبل في البر ومنه تحت البحر سمى في البحر الرومي سفالة ، من تلك السفالة في الموضع المعروف بساحل سلوقيا من أرض الروم ، وانصالحا تحت البحر بنحو من جزيرة قبرص ، وعليها عَطَبٌ أكثر مراكب الروم وهلاكها ، وإنما عبر بلعة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم^(١) ، فمن هنالك تنطلق المراكب إلى البحر الثاني وهو المعروف بلاروبي ولا يُدْرَى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين ، وربما يقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر ، على قدر مهاب الريح والسلامة ، وليس في هذه البحار — أعنى ما احتوى عليه البحر الحبشي — أكبر من هذا البحر بحر لا روى ، ولا أشد ، وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم ، وعنبر هذا البحر قايل ، وذلك أن العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشَّحْر من أرض العرب ، وأهل للشجر أناس من قضاة وغيرهم من العرب ، وهم مهرة ، ولقبتهم بخلاف لغة العرب ، وذلك أنهم يجعلون الشين بدلا من الكاف ، مثال ذلك أن يقولوا : هل كَشٍ فيما قُلْتُ كَشٍ ، وقلت لي : أن تجعل لي الذي معي في الذي مَعَتَسٍ ، يريد هل لك فيما قلت لك ، وقلت لي أن تجعل لي الذي معي في الذي معك ، وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم ، وهم ذوو قفر وفاقة ، ولهم نُحْبٌ يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية تشبه في السرعة بالنجب البجاوية ، بل عند جماعة أنها أسرع منها ، يسرون عليها على ساحل بحرهم ، فإذا أحسَّتْ هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه ، قد رِيضَتْ لذلك واعتادته ، فيتناولوه الراكب ، وأجود العنبر ما وقع في هذه الناحية وإلى جزائر الزنج^(٢) وساحله ، وهو المدور الأزرق النادر^(٣) كبيض النعام أو دون ذلك ، ومنه ما يباعه الحوت المعروف بالأوال^(٤) المقدم ذكره ، وذلك أن البحر إذا اشتد قذف من

العنبر

(٢) في ب « وجزائر الرانج »

(٤) ب « بالأفال »

(١) زيادة ليست في ب

(٣) في ب « البارز »

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن البحار ١٥١

قمره العنبر كقطع الجبال وأصفر ، على ما وصفنا ، فإذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ، ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم ، فيطرحون فيه الكلاليب والجبال ، فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه ، فما يخرج من بطنه يكون سَهْكَاً^(١) ، ويعرفه العطارون بالعراق وفارس بالند^(٢) ، وما بقي على ظهر الحوت منه كان نقياً جيداً ، على حسب لبثه في بطن الحوت ، وبين البحر الثالث — وهو هر كند — والبحر الثاني — وهو لا روى — على ما ذكرنا جرأراً كثيرة ، وهي فرز^(٣) بين هذين البحرين ، ويقال : إنها نحو من أثنى جزيرة ، وفي قول الحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامر بالناس ، وملكة هذه الجزائر كلها امرأة ، وبذلك جرت عادتهم من قديم الزمان لا يملكهم رجل ، والعنبر يوجد في هذه الجزائر أيضاً ، يقذفه البحر ، ويوجد في بحرها ، كأ كبر ما يكون من قطع الصخر ، وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف إلى هذه الجزائر أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر ، ويتكون كتكون أنواع الفطر : من الأبيض ، والأسود ، والكمأة [والمغاريد ، وبنات أوبر] ونحوها ، فإذا هاج البحر واشتد قذف من قمره الصخور والأحجار وقطع العنبر ، وأهل هذه الجزائر متفقون ، وكلتهم واحدة ، ولا يحصرهم العد لكثرتهم ، ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم ، وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ، ونخلهم شجر النارجيل ، لا يفقد من النخلة إلا التمر ، وقد زعم أناس ممن عني تولدات الحيوان وطعيم الأشجار أن النارجيل هو نخل المقل ، وإنما أثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلاً ، وإنما هو نخل المقل ، وقد ذكرنا في كتابنا المترجم

(١) في ب « يكون سَهْكَاً » (٢) في ب « وفارس والهند »

(٣) في ب « وهي قرى بين هذين البحرين »

تأثير البيئة

بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الأرض وهوائها في حيوانها من الناطقين وغيرهم ، وما تؤثر البقاع في النامي من النبات ، وفيما ليس بنام ، كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم ، حتى أثر ذلك في جِلالهم ، فقصرت قوائمها ، وغلظت رقابها ، وَابيض وبرها ؛ وأرض يأحوج ومأجوج في صورهم ، وغير ذلك ، مما إذا تبينه ذوو المعرفة في سكان الأرض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرناه ؛ وليس يوجد في جزائر البحر ألطف صنعة من [أهل] هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع ، في الثياب والآلات وغير ذلك ، وبيوت أموال هذه الممالك الودع ، وذلك أن هذا الودع فيه نوع من الحيوان ، وإذا قل ما لها أمرت أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخصه ، ويطرحونه على وجه الماء ، فيتراكب عليه ذلك الحيوان ، فيجمع ويطرح على رمل الساحل ، فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ، ويبقى الودع خالياً مما كان فيه ، فتملأ من ذلك بيوت الأموال ، وهذه الجزائر تعرف جميعها بالديجات^(١) ومنها يحمل أكثر الزانج^(٢) ، وهو النارجيل ، وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ، ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف فرسخ تعرف بالرامين معمورة وفيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ، ويليها بلاد قنصور وإليها يضاف الكافور القنصوري ، والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرَّجْف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور ، وإذا قل ذلك كان نقصاناً في وجوده ، وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ، ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب ، وفيها كثيرة ، ومنها ما يأكل لحوم الناس ، وتتصل هذه الجزائر بجزائر النجاوس^(٣) ، وهي أغم عجيبه الصور عراة يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم ، معهم العنبر والنارجيل ، فيتعاضون بالحرير وثوب

(٢) في ب « الزانج »

(١) في ا « بالديجات »

(٣) في ب « وتتصل هذه الجزائر بالجابوس »

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن انتقال البحار ١٥٣

من الثياب ، ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدينار ، ويليهم خزائر يقال لها أندامان ، فيها أناس سود عجيبو الصورة والنظر [مفلطو الشعور] قَدَمُ الواحد منهم أكبر من الذراع ، لامرأكبهم ، فإذا وقع الغرق إليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه ، وكذلك فعلهم بالمرأكب إذا وقعت إليهم ، وذكر لي جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحاباً أبيض قطعاً صفراً يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر ، فإذا اتصل به غلّ البحر لذلك ، وارتفعت منه زوابع عظيمة ، لا تمر زوبعة [منها] بشيء إلا أنفقت ، ويمطرون عقيب ذلك مطراً سهكاً فيه أنواع من قذى البحر .

وأما البحر الرابع فهو كلاهبار ، على حسب ما ذكرنا ، وتفسير ذلك بحر كلة ، وهو بحر قليل الماء ، وإذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد خبثاً ، وهو كثير الجزائر والصراوى^(١) ، واحدها صرو ، وذلك أن أهل المراكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصرو ، وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجبية ، وإنا معرضنا للتلويح بلع من الأخبار عنها ، لا البسط . وكذلك البحر الخامس المعروف بكرديج^(٢) ، فإنه كثير الجبال والجزائر ، بحر كردج وفيه الكافور ، وهو قليل الماء كثير المطر ، لا يكاد يخلو منه ، وفيه أجناس من الأمم منهم جنس يقال له الفنجب^(٣) : شعورهم مفلفة وصورهم ومناظرهم عجبية ، يتعرضون في قوارب لهم لطاف المراكب إذا اجتازت بهم ، ويرمون بنوع من السهام عجبية قد سُقِيت السم ، وبين هذه الأمة وبين بلاد كلة جبال معادن الرصاص الأبيض وجبال من الفضة ، وفيها أيضاً معادن من الذهب ، ورصاص لا يكاد يتميز [منه] .

ثم يليه بحر الصنف على ما رُبطناه آنفاً ، وفيه مملكة المهرج ملك الجزائر ، بحر الصنف ومملكته لا يضبط كثرة ، ولا تحصى جنوده ، ولا يستطيع أحد من الناس في

(١) « الجزائر والصرائر واحدها صر »

(٢) في ب « المعروف بكرديج » (٣) في ب « يقال لهم الفنجب »

أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين^(١) ، وقد حاز هذا الملك أنواع الطيب والأفاويه ، وليس لأحد من الملوك ماله ، ومما يحمل من بلاده ويجهز من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبساسة والقاقلة والكبابية وغير ذلك مما لم نذكره ، وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ، ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين ، وفي أطراف جزائره جبال فيها أم كثيرة بيض ، آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع التراس مطرقة ، يجرئون شعورهم كما يجر الشعر من الزق مدرجا ، تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار ، فهارها حمراء وبالليل تسود ، وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو ، تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق ، وربما يظهر منها صوت عجيب مفرع ينذر بموت ملكهم ، وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم ، قد عرف ما ينذر من ذلك يطول العادات والتجارب على طول السنين^(٢) ، وأن ذلك غير مختلف ، وهذه أحد أطام الأرض الكبار ، وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الأوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاحى المطربة المستلذة ، ويسمع إيقاع الرقص والتصفيق ، ومن يسمع ذلك يميز بين كل نوع من أصوات الملاحى وغيره ، والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون أن الدجال بتلك الجزيرة .

وفي مملكة المهرج جزيرة سريرة ، ومساقفها في البحر نحو من أربعائة فرسخ ، عمائر متصلة ، وبه جزيرة الزانج والرامنى^(٣) وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه ، وهو صاحب البحر السادس ، وهو بحر الصنف . ثم البحر السابع وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفاً ، ويعرف ببحر صنجى^(٤) .

بحر الصين

وهو بحر خبيث كثير الموج والخب ، وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر ، وإنما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم ، وفيه جبال كثيرة لا بد

(١) في ١ « في ستين » (٢) في نسخة « على قديم الزمان » .

(٣) في ب « الزانج والرامنى » (٤) في ب « بحر صبحى »

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن انتقال البحار ١٥٥ .

المراكب من النفوذ بينها ، وذلك أن البحر إذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الأربعة كأنهم أولاد الأحاييش الصغار ، شكلاً واحداً ، وقدأ واحداً ، فيصعدون على المراكب ، ويكثر منهم الصعود من غير ضرر ؛ فإذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة ، فإن ظهورهم علامة للخب ، فيستعدون لذلك : فمعاى ، ومبتلى ، فإذا كان كذلك . ربما شاهد المعافى منهم فى أعلى الدقل - ويسميه أرباب المراكب فى بحر الصين وغيره من البحر الحبشى الدولى ، ويسميه الرجال فى البحر الرومى الصارى - شيئاً على صورة الطائر يتوقد نوراً لا يستطيع الناظر منهم على [ملء] يصره منه ، ولا إدراكه كيف هو ، فإذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ ، والأمواج تصغر ، والخب يسكن ، ثم إن ذلك النور يفقد ؛ فلا يدرك كيف أقبل ، ولا كيف ذهب ، فذلك علامة الخلاص ، ودليل النجاة ، وما ذكرنا فلا تناكر فيه عند أهل [المراكب والتجار من أهل] البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر ، وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب ؛ إذ كان جائزاً فى مقدور البارئ جلّ وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء .

وفى هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذرايع والشبر وأصفر من ذلك وأكبر ، فإذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية ، وتدخل تلك الحجارة فى أحوال العين وأدويتها ، وأمره مستفيض أيضاً .

ولبحر الصين أيضاً - وهو السابع المعروف بصنجى - أخبار عجيبة ، وقد أتينا على جل من أخباره وأخبار ما اتصل به من البحار فيما سمينا من كتبنا وأسافنا من تصنيفنا فى هذا المعنى ، ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملاً من ذلك .

وليس بعد بلاد الصين مما يلى البحر ممالك تعرف ولا توصف ، إلا بلاد

السلي^(١) وجزأرها ، ولم يصل إليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره ، فخرج منها ؛ لصحة هوأئها ، ورقة مأئها ، وجودة تربتها ، وكثرة خيرها [وصفاء جواهرها] إلا النادر من الناس ، وأهلها مهادنون لأهل الصين وملوكها ، والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع ، وقد قيل : إنهم تشعبوا من ولد عامور ، وسكنوا هناك ، على حسب ما ذكرنا من سكنى أهل الصين في بلادهم ، والصين أنهار كبار مثل الدجلة والفرات ، تجري من بلاد الترك والتبت والصغد ، وهي بين بخارى وسمرقند ، جبال النوشادر وهناك جبال النوشادر ، فإذا كان في الصيف رؤيت في الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ بالنهار يظهر منها الدخان لغلبة شعاع الشمس وضوء النهار ، ومن هناك يحمل النوشادر ، فإذا كان في أول الشتاء^(٢) فمن أراد من بلاد خراسان أن يسلك إلى بلاد الصين صار إلى ما هناك وهناك واديين تلك الجبال طوله أربعون ميلاً أو خمسون - فيأتي إلى أناس هناك على فم الوادي فيرغبهم في الأجرة النفيسة فيحملون ما معه على أكتافهم ، وتأيدهم العصي يضربون جنبه خوفاً أن يبلح أو يقف فيموت من كرب الوادي وهوله ، حتى يخرجوا إلى ذلك الرأس من الوادي ، وهناك غابات ومستنقعات للماء ، فيطرحون أنفسهم في ذلك الماء ، لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ، ولا يسلك ذلك الطريق شيء من البهائم ، لأن النوشادر ياتهب ناراً في الصف ، فلا يسلك ذلك الوادي داع ولا مجيب ، فإذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والأنداء وقع في ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهيبه ، فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي ، والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره ، وكذلك من ورد من بلاد الصين فُعل به من الضرب ما فعل بالمار ، والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذي ذكرناه إلى بلاد الصين نحو من أربعين يوماً بين عامر وغير عامر ودماس ورمل ، وفي غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر ، إلا أن ذلك في خفارات أنواع من الترك .

(١) في ب « السلي » (٢) في ا « فإذا كان في الصيف ، هنا أيضا .

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن انتقال البحار ١٥٧

وقد رأيت بمدينة بلخ شيخاً جبلاً ذا رأى وفهم وقد دخل الصين سراراً كثيرة ولم يركب البحر قط ، ورأيت عدة من الناس ممن سلك [من بلاد الصفد] على جبال النوشادر إلى أرض التبت والصين ببلاد خراسان [وبلاد الهند متصل ببلاد خراسان] والسند مما يلي بلاد المنصورة والمولتان ، والقوافل متصلة من السند إلى خراسان ، وكذلك إلى الهند ، إلى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان ، وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك ، وفيها قلاع عجبية ممتنعة ، ولغات مختلفة ، وأمم كثيرة ، وقد تنازع الناس في أنسابهم : فمنهم من ألحقهم بولد يافث ابن نوح ، ومنهم من ألحقهم بالعرس الأولى في نسب طويل ، وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين ، والغالب عاينهم حمير ، وفيهم بعض التبابعة على حسب ما ذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب ، وذلك موجود في أخبار التبابعة ، ولهم خضرٌ وبدو ، وبواديهم ترك لا تدرك كثرة ، ولا يقاومهم أحد من بوادي الأتراك ، وهم معظمون في سائر أجناس الترك ؛ لأن الملك كان منهم في قديم الزمان ، وعند سائر أجناس الترك أن الملك سيعود إليهم [ويرجع فيهم] ولببلاد التبت خواص عجبية في هوائها وسهالها ومائها وجبلها ، ولا يزال الإنسان أبداً ضاحكاً بها فرحاً مسروراً ، لا تعرض له الأحزان ولا الغموم ولا الأفكار ، ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وهوائها وأنهارها ، وهي بلاد تقوى فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ، ولا يكاد يُرى في هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز ، بل الطرب في السيوخ والكهول والشباب والأحداث عام ، وفي أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاحى [والمعاقرة] وأنواع إيقاع الرقص ، حتى إن الميت إذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أو فوت مطلوب ، ولهم تمنن كثير من بعضهم على بعض ، والتتميم^(١)

وصف
بلاد التبت

(١) التميم : العشق ، ووقع في « التميم » محرفاً .

فيهم عامٌ ، وكذلك يظهر في سائر بلادهم ، وهذه البلاد تسمى بمن ثبت فيها
ورنب من رجال حمير قليل ثبت^(١) لثبوتهم فيها ، وقيل : لمعان غير ذلك ،
والأشهر ما وصفنا ، وقد افتخر دعبيل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي
يناقض فيها الكميت ويفخر بتخطان على زرار ، فقال :

وهم كَتَبُوا الكتاب يابَ مَرَوٍ وباب الصين كانوا الكاتنين
وهم سَمَوْا السهام بسمرقند وهم غرسوا هناك التبتينا
وسندكر في باب أخبار ملوك اليمن طرفاً من أخبار ملوكهم ، ومن طاف
منهم البلاد ، وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من إحدى جهاته ،
ولأرض الهند وخراسان ولفاوز الترك ، ولهم مدن وعمار كثيرة ذوات
منعة وقوة ، وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم نُبَماً اتِّباعاً لاسم تبع
ملك اليمن ، ثم إن الدهر ضرب ضرباته ، فتغيرت لغاتهم عن الحميرية ،
وحالت إلى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الأمم فسموا ملوكهم بخاقان ،

طلباء المسك

وفي بلادهم الأرض التي بها طلباء المسك التبتى الذى يفضل على الصينى
بجھتين : إحداهما أن طلباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأقاويه وطلباء
الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من أنواع حشائش الطيب التي ترعاه
التبتية ، والجهة الأخرى أن أهل التبت لا يتعرضون لإخراج المسك من نواحيه
ويتركونه على ما هو به وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقونه الفش
بالدم وغيره من أنواع الفش ، وأن الصينى أيضاً يقطع به ما وصفنا من مسافة
البحار وكثرة الأنداء واختلاف الأهوية ، وإن عُدِمَ من أهل الصين الفش في مسكهم
وأودع برانى الزجاج وأحكم عفاصها ووكاؤها ، وأورد إلى بلاد الإسلام من عمان
وفارس والعراق وغيرهما من الأمصار ، كان كالتبتى ، وأجود المسك وأطيبه ما خرج
من الطلباء بعد بلوغه النهاية فى النضج ، وذلك أنه لا فرق بين غز لا تناهذه وبين

(١) اسم البلاد تبت - بالناء الثناة - ولكن هذا الاشتقاق يجعلها بالناء الثلاثة

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن انتقال البحار ١٥٩

غزلان المسك في الصورة والشكل واللون والقرن ، وإنما تتبين تلك بأنياب لها كأنياب الفيلة ، لكل ظبي نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان [أبيضان] نحو الشبر وأقل وأكثر ، فتنصب لها في بلاد التبت [والصين] الحبال والأشراك والشباك فيصطادونها ، وربما رموها بالسهم فيصرعونها فيقطعون عنها نواجيها والدم في سررها حار^(١) لم ينضج وطرى لم يدرك ، فيكون لريحته سهوكة ، فيبقى زماناً حتى تزول منه تلك الرائحة [السهوكة] الكريهة ، ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكاً ، وسيل ذلك سبيل الثمار إذا أئنت عن الأشجار وقطعت قبل استحكام نضجها في شجرها واستحكام موادها فيه ، وخير المسك ما نضج في وعائه ، وأدرك في سرتة ، واستحکم في حيوانه ، وتام موادها ، وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى السرة ، فإذا استحکم كون الدم فيها ونضج آذاه ذلك وحكة فيفزع حينئذ إلى أحد الصخور والأحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذاً بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الأحجار كأنفجار الخراج والدمل إذا نصح مافيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة ، فإذا فرغ مافي نالجته اندمل حينئذ ، ثم اندفعت إليه مواد من الدم ، ويجتمع ثانية ككونها بدءاً ، فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الأحجار والجبال ، فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والأحجار ، وقد أحكته المواد ، وأنضجته الطبيعة في حيوانه ، وجففت الشمس ، وأثر فيه الهواء ، فيأخذونه ، فذلك أفضل المسك ، فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم ؛ فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ، ويحمله التجار في النادر من بلادهم ، والتبت ذو مدن كثيرة ، فيضاف مسك كل ناحية إليها .

قال المسعودي : وقد أقرت ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك

العالم الملك بابل بالنعظيم، وأنه أول ملوك العالم ، وأن منزلته فيهم كنزلة القمر في الكواكب ؛ لأن إفايمه أشرف الأقاليم ، ولأنه أكثر الملوك مالا ، وأحسنهم طبعاً ، وأكثرهم سياسة ، وأتبتهم قدماً ، وهذا وصف ملوك هذا الإقليم فيما مضى ، لا في هذا الوقت ، وهو سنة انذين وثلاثين وثمانمائة ، وكانوا يلقبون هذا الملك شاهنشاه ، ونسیره ملك الملوك ، ومنزلته في العالم منزلة القاب من جسد الإنسان والواسطة من القلادة ، ثم يلوه ملك الهند ، وهو ملك الحكمة ، وملك الفيلة ؛ لأن عند الملوك الأكسرة أن الحكمة من الهند بدوها ، ثم يلوه في المرتبة ملك الصين ، وهو ملك الرعية والسياسة وإتقان الصنعة ، وليس في ملوك العالم أكثر رعاية ونفقا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه ، وهو ذو بأس شديد ، وقوة ومَنعة ، له من الجنود المستعدة ، والكراع والسلاح ، ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ، ثم يتلو ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوشان ، وهو ملك الطغزغز^(١) من الترك ، ويدعى ملك السباع وملك الخيل ؛ إذ ليس في ملوك العالم أشد بأساً من رجاله ، ولا أشد استئساداً منه على سفك الدماء ، ولا أكثر خيلاً منه ، ومملكته فرز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ، ويدعى بالاسم الأعم أيرخان^(٢) ، ولترك ملوك كثيرة ، وأجناس مختلفة ، ولا تنقاد إلى ملكه ، إلا أنه ليس منهم من يُدّاني ملكه ، ثم يلوه ملك الروم ، ويدعى ملك الرجال ، وليس في ملوك العالم أصبح [وجوهاً] من رجاله ؛ ثم إن ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا يتساوى ، وقد قال ذو عناية بأخبار العالم وملوكهم في شعر له يصف جملاً من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم :

الدار داران : إيوان ، وغمدان ، والملك مُلكان : ساسان ، وقحطان
والأرض فارس ، والإقليم بابل ، والسياسة مكة ، والدنيا خراسان

(١) في ب هنا وفيما تقدم « الطغزغز » . (٢) في ب « أبرجان » محرفاً

الجزء الأول : ذكر جمل من الأخبار عن البحار ١٦١

والجانبان العليان اللذان حسنا . منها بخارى وبلخ الشاهدا ران
 [والبيلقان وطبرستان فارزها والرى شروانها، والجيل جيلان]^(١)
 قد رتب الناس فيها فى مرابهم فمرزبان ، وطريق ، وطرخان
 للفرس كسرى وللروم القياصروا حبش النحاشى ، والآترك خافان
 وصاحب صقلية وإفريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الإسلام كان يدعى
 جرجير^(٢) وصاحب الأندلس [كان] يدعى لذريق ، وهذا كان اسم [سائر]
 ملوك الأندلس ، وقد قيل : إنهم كانوا من الأشبان ، وهم أمة من ولد يافث بن
 نوح ، دترت^(٣) هنالك ، والأتمهر عندهم سكن الأندلس من المسلمين أن لذريق
 كان من [ملوك الأندلس] الجلالة ، وهم نوع من الإفرنجية ، وآخر لذريق
 الذى كان بالأندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الأندلس
 ودخل إلى مدينة طليطلة [وكانت قصبة الأندلس ، و] دار مملكتهم ، ويسمونها مدينة طليطلة
 مهر عظيم يدعى تاجة يخرج من بلاد الجلالة والوشكند^(٤) ، وهى أمة عظيمة
 لهم ملوك ، وهم حرب لأهل الأندلس كالجلالة والإفرنجية ، ويصب هذا النهر
 فى البحر الرومى ، وهو موصوف بأنه من أسهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة
 مدينة طليطلة ، ثم قطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة ، وهى من
 البنيان المذكور الموصوف [وإنها] أعجب [عقوداً] من فنطرة سنجة من الثغر
 الخزرى^(٥) مما يلى سميساط من بلاد سرجة ، ومدينة طليطلة ذات منعة عليها
 أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على
 الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتعة ، لاسبيل للأمويين إليها ، فلما كان بعد
 الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
 ابن [الحكم بن] هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

(١) سقط هذا البيت من أ .

(٢) فى أ « يدعى جرجس » . (٣) فى ب « واصلت هنالك » .

(٤) فى ب « والوسكيد » . (٥) فى أ « من الثغر المضرى » .

ابن الحكم [الأموي] وعبدالرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، وقد كان غيّر كثيراً من بنيان هذه المدينة حين افتتحها، وصارت دار مملكة الأندلس قرطبة إلى هذا الوقت، ومن قرطبة إلى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل، ومن قرطبة إلى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام، ولهم على يوم من ساحل البحر مدينة يقال لها إشبيلية، ويلاذ الأندلس يكون مسيرة عمارها ومدنها نحواً من شهرين، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة، وتدعى بنو أمية بها بنى الخلفاء، ولا يخاطبون بالخلفاء، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين، غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين.

وقد كان عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر، ثم هلك، فملكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين، ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة، وولده ولاتها إلى اليوم على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد، وولي عهد عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم أحسن الناس سيرة، وأجملهم عدلاً، وقد كان عبدالرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزاه سنة سبع وعشرين وثلثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس، فنزل على دار مملكة الجلالة، وهي مدينة يقال لها سمورة، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة، بين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة، فافتتح منها سورين، ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم — ممن أدرك الإحصاء — ومن عُرِفَ — أربعين ألفاً، وقيل: خمسين ألفاً، وكانت للجلالة والشكند على المسلمين، وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس ونغورها مما يلي الإفرنجية مدينة أربونة، خرجت من أيدي المسلمين سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون، وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — من شرقي الأندلس

بنو أمية
بالأندلس

طَرَطُوشة ، وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذاً في الشمال أفراغة على نهر عظيم ، ثم لاردة ، ثم بلغنى عن هذه الثغور أنها نلاقى الإفرنجية ، وهي أضيق مواضع الأندلس ، وقد كان قبل النلمائه ورد إلى الأندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، زعم أهل الأندلس أنهم ناس من المجوس نظراً إليهم^(١) في هذا البحر في كل مائتين من السنين ، وأن وصولهم إلى بلادهم من خليج بعترض من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس ، وأرى - والله أعلم - أن هذا الخليج متصل ببحر مايطس ونيطس^(٢) وأن هذه الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب ؛ إذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم ، وقد أصيب في البحر الرومى فيما بين جزيرة أقربطس ألواح المراكب الساج المثقبة الخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت نقاذت بها الأمواج في مياه البحار ، وهذا لا يكون إلا في البحر الحبشى ؛ لأن مراكب البحر الرومى والعرب كلها ذوات مسامير ، ومراكب البحر الحبشى لا يثبت فيها الحديد ؛ لأن ماء البحر يذيب الحديد فترق المسامير في البحر وتضعف ، فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها ، وطُليّت بالشحوم والنورة ، فهذا يدل - والله أعلم - على اتصال البحار ، وأن البحر مما يلي الصين وبلاد السيل يدير على بلاد الترك ، ويُفَضَّى إلى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط .

وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر ، وهذا من المستنكو في البحر الرومى الذى لم يعهد فيه من قديم الزمان مثل ذلك ، ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر إلى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من ألواح مراكب البحر الصينى ، والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه .

(١) في ١ « تظهر إليهم » . (٢) في ب « ما نطش ونيطش » .

ولبحر المغرب وما قرب منه من عمار السودان وأفاصى أرض المغرب
أخبار عجيبة .

بلاد الحبشة
والسودان

وقد ذكر ذوو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها
مسيرة سبع سنين ، وأن أرض مصر جزء واحد من ستين جزءاً من أرض
السودان ، وأن أرض السودان جزء واحد من الأرض كلها ، وأن الأرض
كلها مسيرة خمسمائة سنة : ثلث عمران مسكون مأهول ، وثلث برارى غير
مسكون ، وثلث بحار ، وتتصل أفاصى السودان العراء بآخر بلاد ولد
إدريس [بن إدريس] بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب
عليهم السلام من أرض المغرب ، وهى بلاد تلمسان وناهرت وبلاد فاس ،
ثم السوس الأدنى ، وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل
وثلاثمائة ميل ، وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى من المسافة نحو من
عشرين يوماً عمار متصلة إلى أن تتصل بوادى الرمل والقصر الأسود ،
ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التى فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب
الرصاص التى سار إليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها
ما رأى من العجائب ، وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس ، وقد قيل :
إن ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الأندلس ، وهى الأرض الكبيرة ، وقد
كان ميمون بن [عبد الوهاب بن] عبد الرحمن بن رستم الفارسى — وهو
إباضى المذهب ، وهو الذى أنشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج ، وقد قيل :
إنهم من بقايا الأشبان — عمرك تلك الديار ، وكانت له حروب مع الطالبيين ،
وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الأشبان ، ومن قال :
إنهم من الفرس ناقلة من بلاد أصبهان .

بلاد المغرب

وفى هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصُّفْرِيَّة الخوارج ، لهم مدن ممدودة
مثل مدينة ثرغية^(١) ، وفيها معدن كبير من الفضة ، وهو مما يلى الجنوب ويتصل
ببلاد الحبشة ، والحرب بينهم سجالٌ ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان »

الجزء الأول : ذكر جمل من الأخبار عن البحار ١٦٥

خبر المغرب ومدنها ، ومن سكنتها من الخوارج الإباضية والصُفْريّة ، ومن سكن المغرب من المعتزلة ، وما بينهم وبين انخوارج من الحروب ، وذكرنا خبر [ابن] الأغلب التميمي وتولية المنصور له على المغرب ، ومعامه ببلاد إفريقية [وغيرها من أرض المغرب] وما كان من أمره في أيام الرشد . وتداول ولده ببلاد إفريقية وغيرها إلى أن انتهى الأمر إلى أبي نصر ^(١) زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد [بن محمد] ^(٢) بن الأغلب بن إبراهيم بن محمد بن الأغلب [بن إبراهيم] بن سالم بن سواده ، فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهديّة حين ظهر في كتامة وغيرها من أجيال البربر ^(٣) ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقندر ، ومسيره إلى الرافقة ، وكان هذا المحتسب من مدينة رامهرمز من كور الأهواز .

ونعود إلى ذكر مراتب الملوك ونسّق ما بقى من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصفه ومَن عليه ، فنقول :

ملك الزنج وفليمي ^(٤) ، ملك اللان كركنداج ^(٥) ، ملك الحيرة من بني ملوك العالم نصر النعمانية وللناذرة ، ملك جبال طبرستان كان يدعى « قارن » والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت ، ملك الهند البلهرا ، ملك القنوج من ملوك السند وبؤورة ^(٦) [وهذا اسم كل ملك بلى القنوج ، وهنا مدينة يقال لها وبؤورة] باسم ملوكهم ، وقد صارت اليوم في حيز الإسلام ، وهي من أعمال المولتان ، ومن هذه المدينة يخرج أحد الأنهار التي إذا اجتمعت كانت نهر « مهران السند » الذي زعم الجاحظ أنه من النيل ، وزعم غيره أنه من جيحون خراسان ، وبؤورة ^(٧) هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك الهند ، وملك القندهار من ملوك السند وجبالها ، يدعى حجاج ، وهو اسمه الأعم ، ومن بلاده يخرج النهر المعروف « برائد » وهو أحد الأنهار الخمسة التي منها

(١) في ب « أبي منصور » . (٢) لا يوجد هذا الاسم في ا .

(٣) في ا « أحياء البربر » . (٤) في ب « وقلبان » .

(٥) في ب كركنداج » . (٦) في ب « فرورة » .

مهران السند والقندهار يعرف ببلاد الرهبط ، ونهر من الحمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف «ببهاطل» ويحتاز بلاد الرهبط وهي بلاد القندهار ، والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم السند مما يلي بسط وغزني وزرعون والرخج وبلاد الدوار^(١) مما يلي بلاد سجستان ، ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمر ، وملك قشمر يعرف بالرائي ، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وقشمر هذه من ممالك السند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها على مدن وضياع على نحو من سنين ألفاً إلى سبعين ألفاً ، لا سبيل لأحد من الناس على بلده إلا من وجه واحد ، ويُغلق على جميع ما ذكرناه من مملكه باب واحد ؛ لأن ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتساقوا عليها ، ولا للوحش أن يلحق بعلوها ، ولا يلحقها إلا الطير ، وما لا جبل فيه فأودية وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الأنصباب والجريان ، وما ذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد ، وذلك أحد عجائب الدنيا .

القنوج

فأما ملك بؤوره - وهو ملك القنوج - فإن مسافة مملكته تكون نحواً من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سنديّة الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل ، وهو الملك الذي قدمنا ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الأربع ، كل جيش منها سبعة آلاف ، وقيل : تسعة آلاف [تسعة آلاف ألف] فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين ، ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكبير ، وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك ، ويقال : إن ملكه يحيط في مقدار ما ذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الإحصاء والعدّد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر وجبال ومروج ، وهو قليل الفيلة من بين الملوك ، ورسمه لحربه ألفا فيل حربية تقايل ، وذلك أن الفيل (١) في «وتخوم الهند مما يلي بلاد بسط وعرس ونفس والرحج وبلاد الدوار» .

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن البحار ١٦٧

إذا كان فارهاً ممارساً شجاعاً وكان راكمه فارساً وفي خرطوم القرطل - وهو نوع من السيوف - وخرطوم مغسّى بالزرد والحديد ، وعليه تجافيف^(١) قد أحاطت [سائر جسده^(٢)] من القرن والحديد^(٣) ، وكان حوله خمسمائة راجل يمنعونه ويخزونه من ورائه ، حارب ستة آلاف فارس ، وقام بها ، وأداها إذا كان معه خمسمائة راجل ، كر على خمسة آلاف فارس ، ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس ، وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها .

فأما صاحب المولتان فقد قلنا : إن الملك في ولد سامة بن لوى بن غالب ، المولتان وهو ذو حيوش ومنعة ، وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار ، وحول ثغر المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الإحصاء والعد ، وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان ، بقصده السند والمهند من أقاصى بلادهم بالنذور والأموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ، ويحج إليه الألوف من الناس ، وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل إلى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه مائة دينار^(٤) ، وإذا حتم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع ، وغير ذلك من العجائب التي نحمل إليه ، وإذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره ، فترحل الجيوش عنهم عند ذلك ، وكان دخولي إلى بلاد المولتان بعد الالتمانة ، والملك بها أبو اللهب^(٥) المنبه بن أسد القرني .

وكذلك كان دخولي إلى بلاد المنصورة في هذا الوقت ، والملك عليها أبو المنذر المنصورة عمر بن عبد الله ، ورأيت بها وزيره رباحا^(٦) وابنيه محمداً وعلياً ، ورأيت بهار جلا سيداً من العرب وملكاً من ملوكهم وهو المعروف بحمزة ، وبها خلق من ولد على

(١) في ب « نحافيف » . (٢) لا توجد هذه الكلمة في ا .

(٣) في ب « من الفرق والحديد » . (٤) في ا « يبلغ منه المئتي دينار »

(٥) في ب « أبو الدهات » . (٦) في ب « زيادا » .

ابن أبي طالب رضى الله عنه، ثم من ولد عمر بن علي وولد محمد بن علي، وبين ملوك المنصورة وآل أبي الشوارب القاضي قرابة وصلة ونسب، وذلك أن ملوك المنصورة الذين فيهم الملك في وقتنا هذان ولد هبار بن الأسود، ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي، وليس هو عمر بن عبد العزيز [بن مروان] الأموي. فإذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الأنهار ببلاد مرج^(١) بيت الذهب - وهو المولتان - اجتمعت بعد المولتان بثلاثة أيام فيا بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات، فإذا انتهى جميع ذلك إلى مدينة الروذ^(٢) من غربها، وهي من أعمال المنصورة، تسمى هنالك مهرلن، ثم ينقسم قسمين، ويصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند في مدينة شاكرة من أعمال المنصورة في البحر الهندي، وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل.

والمسافة من المولتان إلى المنصورة خمسة وسبعون فرسخاً سندياً على ما ذكرنا، والفرسخ ثمانية أميال، وجميع ما للمنصورة من الصياع والقرى مما يضاف إليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة، وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم الميد^(٣)، وهم نوع من السند وغيرهم من الأجناس، وهم ثغر السند، وكذلك المولتان من ثغور السند ومما أضيف إليها من العمائر والمدن.

وسميت المنصورة باسم منصور بن جهور عامل بنى أمية، والملك المنصورة فيلة حربية، وهي ثمانون فيلاً رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وأنه يحارب ألقاً من الخيل على ما ذكرنا، ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند كما كانا عليه من البأس والنجدة والإقدام على فلّ الجيوش، وكان اسم أحدهما «منفر قلس»^(٤) والآخر «حيدرة» ولمنفر قلس هذا أخبار عجيبة، وأفعال حسنة، وهي مشهورة في تلك البلاد وغيرها: منها

(١) في أ «بلاد فوج بيت الذهب» . (٢) في أ «الرو» .

(٣) في ب «السند» . (٤) في ب «منفر قلس» .

الجزء الأول : ذكر جمل من الأخبار عن البحار ١٦٩

أنه مات بعض سُوءَاسِه، فكث أياها لا يطعم ولا يشرب، يُبْدِي الحنين، وَيَظْهَرُ
الْأَيْنَ ، كَالرَّجُلِ الْحَزِينِ ، وَدَمُوعُهُ تَجْرِي مِنْ عَيْنَيْهِ لَا تَنْقَطِعُ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ خَرَجَ
ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ حَائِرِهِ ، وَهِيَ دَارُ الْقَبِيلَةِ ، وَحِيدَرَةً وَرَاءَهُ ، وَبَاقِي الثَّمَانِينَ تَبِعُوا لَهَا ،
فَاتَّبَعُوا مَنَفْرَقْلَسَ فِي سِيرِهِ إِلَى شَارِعٍ قَائِلٍ الْعُرْضَ مِنْ شَوَارِعِ الْمَنْصُورَةِ ، فَمَا جَافَى
مَسِيرَهُ امْرَأَةً عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ دَهَشَتْ وَاسْتَلْقَتْ عَلَى قَفَاهَا
مِنْ الْجَزَعِ ، وَانْكَشَفَتْ عَنْهَا أَطْمَارُهَا فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
مَنَفْرَقْلَسَ وَقَفَ بَعْرُضِ الشَّارِعِ مُسْتَقْبِلًا بِجَنْبِهِ الْإِيْمَنَ مَاوِرَاءَهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ مَانِعًا
لَهُمْ مِنَ النُّفُوزِ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ ، وَأَقْبَلَ يَتَسَاءَلُ إِلَيْهَا بِخَطْوَمِهِ بِالْقِيَامِ ، وَيَجْمَعُ عَايَهَا
أَثْوَابَهَا ، وَيَسْتَرُّ مِنْهَا مَا بَدَأَ ، إِلَى أَنْ انْتَقَتَ ^(١) الْمَرْأَةُ وَتَزَحَّزَّتْ عَنِ الطَّرِيقِ
بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَيْهَا رُوحُهَا ، فَاسْتَقَامَ الْعَيْلُ فِي طَرِيقِهِ ، وَاتَّبَعَهُ الْقَبِيلَةُ .

وَلِلْقَبِيلَةِ أَخْبَارٌ عَجِيبَةٌ الْحَرِيَّةِ مِنْهَا وَالْعَمَّالَةِ ؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا لَا يَحَارِبُ فَيَجِرُ
الْعَجَلَ وَتَحْمِلُ عَلَيْهِ الْأَنْقَالَ وَيَسْتَعْمَلُ فِي دِيَّاسِ الْأُرْزُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ
كَدَوَسِ الْبَقْرِفَى الْتَيْدَرِ ، وَسَنْدُكَرْفِيَا يَرْدُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَخْبَارُ الزَّبْجِ
وَالْقَبِيلَةِ ، وَكُونُهَا فِي بِلَادِهَا ، وَلَيْسَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي بِلَادِ الزَّبْجِ ،
وَهِيَ وَحْشِيَّةٌ هُنَالِكَ [كُلُّهَا] .

فَهَذِهِ جَمَلٌ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ السَّنْدِ وَالْهِنْدِ ، وَلُغَةُ السَّنْدِ خِلَافُ لُغَةِ الْهِنْدِ ،
وَالسَّنْدُ مِمَّا بَلَى الْإِسْلَامَ ، ثُمَّ الْهِنْدُ ، وَلُغَةُ أَهْلِ الْمَانِكِيرِ وَهِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ الْبَاهِرَا -
كَبِيرَةٍ ^(٢) مُضَافَةٌ إِلَى الصَّقَعِ ، وَهِيَ كَبِيرَةٌ ، وَلُغَةُ سَاحِلِهِمْ مِثْلُ صِيْمُورَ وَسُوبَارَةَ
وَنَانَةَ ^(٣) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَدَنِ السَّاحِلِ لِأَرِيَّةِ ، وَبِلَدِهِمْ مُضَافَةٌ إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي هُمْ
عَالِيهِ ، وَهُوَ لَا رُويَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فَيَا سَلَفُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، وَلِهَذَا السَّاحِلُ

(١) فِي « اسْتَقْلَتِ الْمَرْأَةُ وَتَزَحَّزَّتْ » .

(٢) فِي ب « أَكْثَرُهَا مُضَافَةٌ إِلَى الصَّقَعِ ، وَهِيَ كَبِيرَةٌ » وَفِي أ « وَهِيَ كَبِيرَةٌ »

(٣) فِي ب « وَسُومَارَةُ وَمَايَةُ » .

أنهار عظيمة تجري من الجنوب ، بالضد من أنهار العالم ، وليس في أنهار العالم ما يجري من الجنوب إلى الشمال إلا نيل مصر ومهران السند ويسير من الأنهار ، وما عدا ذلك من أنهار العالم يجري من الشمال إلى الجنوب ، وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا « أخبار الزمان » وقد ذكرنا ما انخقض من الأرض ^(١) وما ارتفع .

وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في ممالكه إلا الباهرا ، فالإسلام في مملكته عزيز مضمون ، ولهم مساجد مبنية ، وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ، ويعلمك الملك منهم الأربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا ، وأهل مملكته يزعمون أنه إنما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين ، وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم ، وله دراهم طاهرية ^(٢) وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف ، سكته بدء تاريخ ملكهم ، وفيلته الحربية لا تحصي كثرة ، وتدعى بلاده أيضاً بلاد الككر ^(٣) ، ويحاربهم ملك الخزر من إحدى جهات مملكته ، وهو ملك كثير الخيول والإبل والجنود ؛ ويزعم أنه ليس في ملوك العالم أجل منه إلا صاحب إقليم بابل ، وهو الإقليم الرابع ، وذلك أن هذا الملك ذو نخوة ووصولة على سائر الملوك ، وهو مع ذلك مبغض للمسلمين ، وهو كثير الفيلة ، وما بكه على لسان من الأرض ، وفي أرضه معادن الذهب والفضة ، ومبايعتهم بهما . ثم يلي هذا الملك ملك الطافن ^(٤) موادع لمن حوله من الملوك ، وهو مكرم للمسلمين ، وليس بجيوشه كجيوش من ذكرنا من ملوك ، وليس في نساء الهند أحسن من نساءهم ، ولا أكثر منهن جمالا وبياضاً ، وهن موصوفات الخلوات ، مذكورات في كتب الباه ، وأهل البحر يتنافسون في شراءهن يعرفن بالطافنيات . ثم يلي هذا الملك مملكة رهمي ، وهذه سمة الملوكهم ، وهو الأعم من أسمائهم ،

رهمي

(٢) في ب « ظا طرية » .

(٤) في ب « الطافي » .

(١) في ب « من الأنهار » .

(٣) في ب « السكنكر » .

الجزء الأول : ذكر جمل من الأخبار عن البحار ١٧١

ويقاتله الجزر^(١) ، وملكه متاخم للمكهم ، ورهى يحارب البلهر أيضاً من إحدى جهات مملكته، وهو أكثر جيوشاً وفيلة وخيولاً من البلهر أو من ملك الجزر^(٢) ومن ملك الطاقن، وإذا خرج في حروبه فرسه أن يكون في خمسين ألف فيل ، ولا يكون حربه إلا في الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها ، والمكثر من الناس يغلو في القول في كثرة جنوده، فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين في عسكره من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفاً، وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس ، كلُّ كرادوس عشرون ألفاً ، أربعة أوجه كل وجه من الكرادوس خمسة آلاف ، ومملكة رهى تعاملهم بالدع، وهو مال البلد، وفي بلده العود والذهب والفضة والثياب التي ليست لغير مرقعة ودقة، ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالضمير الذي تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة يقوم بها الخدم على رموس الملوك في مجالسها ، وفي بلده الحيوان المعروف بالنشان^(٣) المعلم، وهو الذي تسميه العوام الكركدن، وله في مقدم جبهته قرن واحد، وهو دون الفيل في الخلقة وأكبر من الجاموس ، إلى السواد ما هو ، وهو يجتر كجاءتجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان، والفيلة تهرب منه ، وليس في أنواع الحيوان - والله أعلم - أشد منه ، وذلك أن أكثر عظامه أصم ، ولا مفصل في قوائمه ولا يبرك في نيام، وإنما يكون بين السجر والآجام يستند إليها عند نومه، والهند تأكل لحمه ، وكذلك من في بلادهم من المسلمين؛ لأنه نوع من البقر، والجواميس بأرض السند والهند كثيرة، وهذا النوع من الحيوان وهو النشان^(٣) يكون في أكثر غابات الهند ، إلا أنه في مملكة رهى أكثر، وقرونه أصفى وأحسن، وذلك أن قرنه أبيض ، وفي وسطه صورة سوداء في ذلك البياض إما صورة إنسان أو صورة طاووس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورتها في نفسه أو صورة نوع

وصف
الكركدن

(١) في ب « ويقاتلهم ملك الجزر » .

(٢) في ب « بالنشان »

من الحيوان مما يوجد في تلك الديار، فينشر هذا القرن^(١) وتتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحاية من الذهب والفضة فتلبسها ملوك الصين، وخواصها تنافس في لبسها وتبالغ في أثمانها فتبلغ المنطقة ألفي دينار إلى أربعة آلاف، فيها معاليق الذهب، وذلك في نهاية الحسن والإتقان، وربما تقمّع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب، ووجوه تلك الصور مكتّبة بسواد في بياض، وربما يوجد في قرونها بياض في سواد، وليس في كل بلد يوجد في قرون النشان ماذكرنا من الصور. وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين، وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها، وهذا القول أورده في كتاب «الحيوان»^(٢) على طريق الحكاية والتعجب، فبعثني هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار^(٣) من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار، فكل يتعجب من قوله إذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه، ويخبرونني أن حملها وفصالها كالبقرة والجواميس، ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ: أمن كتاب نقلها أو مخبر أخبره بها؟

ولرهي في ملكه بر و بحر، وبلى ملكه ملك [لا بحر له] يقال له ملك الكامن^(٤)، وأهل مملكته بيض مخرمو الأذان، لهم فيلة وإبل وخيول، وحسن وجمال للرجال والنساء، ثم بعد هؤلاء ملك الإفرنج، وله بر و بحر، وهو على لسان من البر في البحر، يقع إلى بلده عنبر كثير، وفي بلده فلفل يسير، وهو ذو فيلة كثيرة، وهو ذو بأس بين الملوك وهو ونفر، وزهوّه أكثر من قوته، ونفره أكثر من بأسه، ثم يلي هذا الملك ملك الموجه أهله بيض ذوو حسن وجمال غير مخرمي الأذان، لهم خيل كثيرة، وعدد منيعة، والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلائهم ووصف طبائهم فيما سلف من

(١) في ١ « فيشترى هذا القرن » . (٢) في ب « حياة الحيوان »

(٣) في ١ « تولى تلك الديار » . (٤) في ب « الكاسين » .

الجزء الأول : ذكر جمل من الأخبار عن البحار ١٧٣

هذا الكتاب ، وهذه الأمة تشبه بأهل الصين في لباسهم ، وجبالهم^(١) منيعة شواحق بيض ، لا يُعَلَّم بأرض السند والهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جبال أطول منها ولا أمنع ، ومسكنهم موصوف مضاف إلى بلدهم يتعارفه البحريون ، ممن غنى بحمل ذلك وتجهيزه ، وهو المسك المعروف بالوجهى ، ثم إلى ملك الموجه مملكة الماند^(٢) ، ولهم مدن كثيرة وعمار واسعة وجنود عظيمة ، وملوكهم تستعمل [الخدم و] الخصيان في عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الأموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم ، والماند^(٣) مجاورون لمملكة الصين ، والرسل تختلف بينهم بالهدايا ، وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة ، والماند^(٤) البأس العظيم والبطش الشديد والقوة ، وإذا دخل رسل ملك الماند^(٥) مملكة الصين وَكَلَّ ملك الصين بهم ، ولم يتركهم ينتشرون في بلادهم خوفاً أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم^(٦) ، لكبرة الماند^(٧) في نفوسهم .

ولن ذكرنا من الهند والصين في بلادهم ولغيرهم من الأمم أخلاق وشيم بعض عوائد الهند والصين في المآكل والمشرب والمناكح والملابس والعلاج والأدوية والكي بالنار وغيره ، وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لأنه داء يؤذى^(٨) ، ولا يحتمون في إظهارها في سائر أحوالهم ، وكذلك فعل حكامهم ، ورأيهم أن حبسها داء يؤذى ، وأن إرسالها شفاء ينجى ، وأن في ذلك العلاج الأكبر ، وأن فيه راحة لصاحب القولنج والحصور ، وأن فيه داء للسقيم المطحول ، ولا يحتمون من الضرطة ، ولا يحصرون الفسوة ، ولا يرون ذلك عيباً ، والهند التقدم في صناعة الطب ، ولهم فيه اللطافة والحدق ، وذكر هذا المخبر عن الهند

(١) في الأصول « وبلادهم » والسياق يوجب ما ذكرنا .

(٢) في ب « المابد » . (٣) في ا « وعوائد بلادهم » .

(٤) في ب ، لكبر العابد » . (٥) في ا « لأنه داء يردى » .

أن السعال عندهم أقبح من الضراط ، وأن الجشاء في وزن الفساء، وأن صوت
الضربة دباغها والمذهب عنها ريمها ، واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه
عن الهند باستفاضة القول في ذلك في كثير من الناس عنهم ، حتى ذكر ذلك
عنهم في السير والأخبار والنوادر والأشعار ؛ فمن ذلك ما ذكر [أبان بن
عبد الحميد في الأرجوزة المعروفة بذات الحلل ، وهي :

قد قال ذو العلم النصيح الهندي مقالة أجاد فيها عندي
لا تحبس الضربة إمّا حضرت وخلّها وافتح لها ما استفتحت
فإن أدوا الداء في إمساكها والروح والراحة في إفكاكها
والقبح في السعال والخياط والشؤم في العطاس لا الضراط
أما الجشاء ففساء صاعد وتقتنه على الفساء زائد

وأن الريح واحدة في الجوف ، وإنما تختلف أسماؤها باختلاف مخرجها،
فما يذهب صعداً يسمى جشاءً ، وما يذهب سفلاً يسمى فساءً ، ولا فرق بين
الريحين إلا باختلاف المخرجين ، كما يقال الصفعة والاطمة ، إلا أن اللطمة
في الوجه والصفعة في مؤخر الرأس والقفا ، والجنس واحد، وإنما اختلفت أسماؤها
لاختلاف الموضعين وتباين المسكنين ، وأن الحيوان الناطق إنما كثرت عليه ،
وترادفت أدواؤه، واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرهما من العوارض
بحبس الداء في جوفه وترك إظهاره في حال هيجانه وتفرغ طبيعته لدفعه وإخراجه،
وأن بسائر الحيوان غير الناطق إنما بعد عما ذكرنا من الآفات والمعرضات من
العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويثور من الأدواء في أجوافها وعدم احتباسها في
وعائها، وأن الفلاسفة والمتقدمين من الحكماء اليونانيين كديموقريطس وفيثاغورس
وسقراط وديوجانس^(١) وغيرهم من حكماء الأمم لم يكونوا يرون حبس شئ من

(١) في ب « وروحانس » محرفاً

الجزء الأول : ذكر جل من الأخبار عن البحار ١٧٥

ذلك ؛ لعلمهم بما يتولد من آفاته ، ويؤول إليه من متعقبانه ، وأن ذلك يجده في نفسه كل ذى حس ، وأن ذلك يعلم بالطبيعة ، ويدرك بضرورة العقل ، وإنما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع والكتب لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ، ولم يجر ذلك في عاداتهم .

قال المسعودى : وقد أتينا على أخبارهم وما أحكمنا من ذكر شتيهم ومعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهرج ملك الجزائر والطيب والأفاويه مع سائر ملوك الهند ومع القنجب وغيره من ملوك الجبال مما قابل هذه الجزائر كالزاجج^(١) وغيرها من بلاد الصين ، وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندورفين^(٢) ، وهى بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كقابلة بلاد قمار لجزائر المهرج من الزاجج^(١) وغيرها ، وكل ملك تملك بلاد مندورفين^(٢) يسمى القايدى^(٣) ، وسنأتى بمجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة^(٤) فيما يرد من هذا الكتاب [و] من أخبار ملوك اليمن^(٥) والفرس [والروم]^(٦) واليونانيين والمغرب وأنواع الأحايش والسودان وملوك [الصين]^(٧) ولد يافت ، وغير ذلك من أخبار العالم ومعجائب الأمم^(٨)

(٢) في ب « مندرى »

(١) في ب « الزاجج »

(٤) في ا « والجدى » محرفا

(٣) في ب « القايدى »

(٥) هكذا تكررت كلمة اليمن في ا ، ب جميعا .

(٦) لا توجد هذه الكلمة في ب . (٧) هذه الكلمة ساقطة من ا

(٨) في ا « وعجائبه »

ذكر جبل القبيخ^(١) وأخبار الأمم

من اللان [والسريز^(٢)] والخزر^(٣) [وأنواع الترك^(٤)] والبرغز^(٥) [وغيرهم
وأخبار الباب والأبواب ومن حولهم من [الملوكة^(٦)] الأمم

جبل القبيخ

أما جبل القبيخ^(١) فهو جبل عظيم ، وصقعه صقع جايل ، قد اشتمل على كثير
من الممالك والأمم ، وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة ، كل أمة لها ملك ولسان
بمخلاف لغة غيرها ، وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ، ومدينة الباب والأبواب على
شعب من شعابه ، بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين [بحر]^(٢) الخزر ،
وحمل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه ماداً إلى البحر ، ثم على
جبل القبيخ^(١) ماداً في أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحواً من أربعين فرسخاً ، إلى أن
ينتهي ذلك إلى قاعة يقال لها طبرستان ، وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا
السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله باباً من حديد ،
وأسكن فيه على كل باب من داخله أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور ، كل
ذلك ليدفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان [وأنواع الترك^(٣)]
والسريز وغيرهم من أنواع الكفار ، وجبل القبيخ^(١) يكون في المسافة علواً وطولاً
وعرضاً نحواً من شهرين ، بل وأكثر ، وحوله أمم لا يحصيهم إلا الخالق عز وجل ،
أحد شعابه على بحر الخزر مما يلي الباب والأبواب على ما ذكرناه ، ومن شعابه مما يلي
بحر مايطس المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكلام الذي ينتهي إليه خليج
القسطنطينية ، وعلى بحر طرابزندة ، وهي مدينة على شاطئ هذا البحر
لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن
وغيرهم من بلاد كشك^(٤) ولما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والأبواب
والسور في البر والبحر والجبل أسكن هناك أمماً من الناس وملوكاً ، وجعل لهم
مراتب [رتبهم عليها]^(٥) ووَسَمَ كل أمة منهم بسمه معلومة ، وحدّله حدّاً [معلوماً]^(٦)

(٢) زيادة في ب وحدها

(٤) في ب « كسكر »

(١) في ب « الفتح »

(٣) زيادة في او وحدها

على حسب فعل أردشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان ؛ فمن رتب [منهم] أنوشروان من الملوك في بعض هذه البغاع والمواقع مما يلي الإسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ، وملكه مضافة إلى اسمه فيقال له شروان شاه ، وكل ملك يلي هذا الصقع يقال له شروان ، ونكون مملكته في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — نحو [من] شهر ؛ لأنه كان غائباً على مواضع لم يكن رسمها له أنوشروان فاضافت إلى ملكه ، والملك في هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد ، وهو من ولد بهرام جور ، لاخلاف في نسبه ، وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور ، وكذلك صاحب خراسان في هذا الوقت المؤرخ من ولد إسماعيل بن أحمد ، وإسماعيل من ولد بهرام جور ، لاخلاف فيما ذكرنا من شهرة أنساب من ذكرنا ، وقد تملك محمد [بن يزيد] هذا وهو شروان على مدينة الباب والأبواب ، وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك بن هشام^(١) ، وكان رجلاً من الأنصار ، وكان فيه إمرة الباب والأبواب ، وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الإسلام في صدر الزمان.

الإيران

وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبيخ يقال لها إيران ، وملكها يدعى إيران شاه ، وقد غلب على هذه المملكة في هذا الوقت شروان أيضاً ، وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الوقانية ، والمعول في مملكته على مملكة الكرز ، وهي أمة لا تحصى كثرة ساكنة في أعالي هذا الجبل ، ومنهم كفار لا يثقون إلى ملك شروان يقال لهم البدوانية جاهلية لا يرجعون إلى ملك^(٢) ، ولهم أخبار طريفة في المناكح والمعاملات ، وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج ، وفيه أم لا يعرف بعضهم بعضاً لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه في الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره وأحجاره ، وغلب هذا الرجل المعروف بشروان

(١) في « عبد الله بن هشام » هنا ، وتتفق النسختان فيما يلي على « عبد الملك »

(٢) في ب « لا يرجعون إلى قبلة » .

على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنو شروان لغيرته ممن رنب هناك ، فأضافها محمد بن يزيد إلى ملكه : منها خراسان شاه وزادان شاه ، وسندكر بعد هذا الموضع نغابه على مملكه شروان ، وقد كان قبل ذلك على الإيران هو وأبوه من قبل ، ثم على سائر الممالك .

ونلى مملكه شروان في جبل القبيخ مملكه طبرستان ، وملكها في هذا الوقت مسلم ، وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب [والأبواب] ، وهي أول الأمم المتصلة بالباب والأبواب .

وبيادى أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها جيدان^(١) ، وهذه الأمة

داخلة في جملة ملوك الخزر ، وقد كانت دار مملكها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر ، وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر ، وذلك أنها افتتحت في بدء الزمان ، افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلي رضى الله تعالى عنه ، فانتقل الملك عنها إلى مدينة آمل ، وبينها وبين الأولى سبعة أيام ، وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعلى بلاد الترك ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز^(٢) وتصب في بحر مايطس ، وهذه المدينة جانبان ، وفي وسط [هذا] النهر جزيرة فيها دار الملك ، وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة^(٣) ، وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن ، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية ؛ فأما اليهود

فالمالك وحاشيته والخزر من جنسه ، وكان تهوّد ملك الخزر في خلافة هرون الرشيد ، وقد انضاف إليه خلق من اليهود ورّدوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم ، وذلك أن ملك الروم [في وقتنا هذا] ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وهو أرمنوس^(٤) [نقل من كان في ملكه من

(١) في ب « جيدان » . (٢) في ب « البلغر » .

(٣) في ا « في طرف هذه الجزيرة » .

(٤) وقعت هذه العبارة في ب متأخرة بعد كلمة « وأكرهم » مع شيء من

اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم ، وسند كر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم ، وأعدادهم ، وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ ، قهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى أرضه على ما وصفنا ، وكان لليهود مع ملك الخزر^(١) خبر ليس هذا موضع ذكره . وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا . وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس : منهم الصقالبة ، والروس ، وهم في أحد جانبي هذه المدينة ، ويحرقون موانهم ودواب ميثهم وآلاته والحلى ، وإذامات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة . وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإذامات [منهم] أعزب زوج بعد وفاته ، والنساء برغبين في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفاً ، إلا أن الهند ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها إلا أن ترى ذلك المرأة ، والغالب في هذا البلاد المسلمون ؛ لأنهم جند الملك ، وهم يعرفون في هذا البلد بالارسية ، وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم ، وكان في قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع في بلادهم جذب^(٢) ووباء ، فانتقلوا إلى ملك الخزر ، وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه ، وأقاموا في بلاده على شروط بينهم ، أحدها إظهار الدين والمساجد والأذان ، وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم ، والوزير في وقتنا هذا منهم هو أحد بن كويه ، وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ، ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ، ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ومنهم راححة أيضاً على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح ، ولهم فضاة مسلمون ، ورسم دار ملكة الخزر أن يكون فيها فضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمان بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم

عادة حرق
الموتى وسائر
حوادثهم

(١) في ١ « وكان لليهود ملك الخزر - إلخ » . (٢) في ١ « خرب ووباء »

النصرانية^(١)، وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهي قضايا عقلية؛ فإذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من التوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام، وليس في ملوك الشرق في هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر، وكل مسلم من تلك الديار يعرف بأسماء هؤلاء القوم اللارسية، والروس والصقالبة الذين ذكرنا أنهم جاهلية هم جند الملك وعبيده، وفي بلاده خاق من المسلمين تجار وصناع غير اللارسية فروا إلى بلاده لعدله وأمنه، ولهم مسجد جامع، والمنازة تشرف على قصر الملك، ولهم مساجد أخرى فيها المكاتب لتعاليم الصبيان القرآن، فإذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة.

مراسم خاقان قال السعدي : وليس إخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان، وذلك أن للخزر ملكا يقال له خاقان، وورسمة أن يكون في يدي ملك آخر هو وغيره^(٢)، فخاقان في جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة وللعامه، ولا الخروج من مسكنه، معه حرمة، ولا يأمر ولا ينهى، ولا يدبر من أمر المملكة شيئا، ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم إلا بخاقان يكون عنده في دار مملكته، ومعه في حيزه، فإذا أجذبت أرض الخزر أو نابت بلدهم نائبة، أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الأمم، أو فاجأهم أمر من الأمور، نفرت الخاصة والعامه إلى ملك الخزر، فقالوا له: قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه، وقد تشاء منابه، فاقتله أو سلمه إلينا نقتله، فربما سلمه إليهم فقتلوه، وربما نولّى هو قتله، وربما رقى له فدافع عنه؛ لأن قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه [هذا رسم الخزر في هذا الوقت]^(٣) فلست أدري : أي قديم الزمان كان ذلك أم حلت، وإنما منصب خاقان هذا من أهل بيت بأعيانهم^(٤) أرى أن الملك كان فيهم قديما، والله أعلم.

- (١) في ١ « بحكم الإنجيل » . (٢) في ١ « وورسمة أن يكون في يدي ملك غيره » . (٣) زيادة في ب . (٤) في ب « وإنما ينسب خاقان هذا لأهل بيت وأعيانهم » .

الجزء الأول : ذكر جبل القبخ وأخبار الأمم ١٨١

وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار في نهر فوق المدينة يصب إلى نهرها نهر برطاس من أعاليها ، يقال له برطاس ، عليه أمم من الترك حاضرة داخلة في جملة ممالك الخزر ، وعمائرهم منصلة بين مملكة الخزر والبرغز^(١) ، يرد هذا النهر من نحو بلاد البرغز ، والسفن تختلف فيه من البرغز والخزر .

وبرطاس أمة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ، ومن أمة برطاس بلادهم تحمل جلود الثعالب السود ، والحمر التي تعرف بالبرطاسية ، يبلغ الجلد منها مائة دينار ، وأكثر من ذلك ، وذلك من السود ، والحمر أخفض ثما منها ، ونبلس السود منها ملوك العرب والعجم ، ومنتنافس في لبسه ، وهو أعلى عندهم من السمور والفتك^(٢) وما شا كل ذلك ، وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف [والدواويج^(٣)] ويتعذر في الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود . وفي أعالي نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر نيطس^(٤) ، وهو بحر « الروس » لا يسلكه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحلها ، وهي أمة عظيمة [جاهلية] لا تنقاد إلى ملك ولا إلى شريعة ، وفيهم تجار يختلفون إلى ملك البرغز^(٥) وللروس في أرضهم معدن الفضة كثير نحو معدن النضة الذي يجبل بنجهر^(٦) من أرض خراسان .

ومدينة البرغز على ساحل بحر مايطس ، وأرى أنهم في الإقليم السابع ، وهم نوع من الترك ، والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من أرض خراسان ، ومن خوارزم إليهم ، إلا أن ذلك بين بوادي غيرهم من الترك ، والقوافل مخفرة منهم . وملك البرغز في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثين وثلاثمائة - مسلم ، أسلم في أيام المقتدر بالله ، وذلك بعد العشر والثلاثمائة ، وذلك لرؤيا رآها ، وقد كان له

(١) في ب « بين ملك الخزر والبلغر » . (٢) في ب « والعبك » محرفا

(٣) زيادة في ا (٤) في ب « إفريطش » .

(٥) في ب « إلى مدينة بحر البلغر » . (٦) في ب « مهجير » .

ولد حَجَّ ، وورد مدينة السلام ، وحمل معه للمقتدر لواء وبنوداً^(١) [ومالا]
 ولهم جامع ، وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية في نحو [خمسين^(٢)] ألف
 فارس فصاعداً ويشن الغارات حولها إلى بلاد رومية والأندلس وأرض
 برجان والجلالقة والإفرنجية ، ومنهم إلى القسطنطينية [نحو من شهرين متصلين
 عمائر ومفاوز ، وقد كان المسلمون — حين غزوا من بلاد طرسوس من
 الثغر الشامي مع أمير الثغور ثمل الخادم المعروف بالزلفي ومن كان معه من
 مراكب الشاميين والبصريين سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة — قطعوا فم خليج
 القسطنطينية وفم]^(٣) خليج آخر من البحر الرومي لا منفذ له ، واتهوا إلى
 بلاد فندبة ، وأتاهم في البحر جماعة من البرغز ينجدونهم ، وأخبرهم أن
 ملكهم بالقرب ، وهذا يدل على ما وصفنا أن البرغز متصل سراياها إلى
 ساحل بحر الروم ، وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الطرسوسيين ، فأتوا بهم
 إلى بلاد طرسوس ، والبرغز أمة عظيمة متبعة شديدة البأس ، ينقاد إليها من
 جاورها من الأمم ، والفارس ممن قد أسلم مع ذلك الملك يقاتل المائة من
 الفرسان والمائتين من الكفار ، ولا يمتنع أهل القسطنطينية منهم في هذا الوقت
 إلا بسورها ، وكذلك كل من كان في هذا الصقع لا يعتصم منهم إلا بالحصون
 والجدران ، والليل في بلاد البرغز في نهاية من القصر في بعض السنة ، ومنهم
 من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح ، وقد
 ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك من الوجه الفلكي ، وعلة الموضع الذي يكون
 الليل فيه ستة أشهر متصلة لانهار فيه ، والنهار ستة أشهر متصلة لاليل فيه ، وذلك
 نحو الجدي ، وقد ذكر أصحاب النجوم في الزيجات علة ذلك من الوجه الفلكي .

والروس : أم كثيرة وأنواع شتى ، ومنهم من يقال لهم اللوزعانة^(٤) ، وهم
 الأكثرون ، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر

الروس
 وأجناسهم

(١) في ١٠ لواء وسوادا ومالا . (٢) زياد في ١ وحدها

(٣) في ب « اللوزعانة » .

الجزء الأول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الأمم ١٨٣

وقد كان بعد الثلاثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب ، في كل مركب مائة نفس ، فدخلوا خليج نيطس المتصل ببحر الخزر ، وهناك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية يصدون من يرد من ذلك البحر ، ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذي شعبه من بحر الخزر تتصل ببحر نيطس ، وذلك أن بَوَادِي الترك الغز ترد إلى ذلك البر وتُسْتَقِي هناك ، فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر إلى خليج نيطس ، فتعبر الغز عليه بجيولها ، وهو ماء عظيم ، فلا ينخسف من تحتهم لشدة استحجاره ، فتغير على بلاد الخزر ، وربما يخرج إليهم ملك الخزر إذا عجز من هناك من رجاله المرتبين عن دفعهم وَمَنَعَهُم العبور على ذلك الْجَمْدِ ، وأما في الصيف فلا سبيل للترك إلى العبور ، فلما وردت مراكب الروس إلى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر في أن يمتازوا البلاد وينحدروا في نهره فيدخلوا نهر الخزر ويتصلوا ببحر الخزر الذي هو بحر جرجان وطبرستان وغيرها من بلاد الأعاجم على ما ذكرنا ، ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هناك من الأمم على ذلك البحر ، فأباحهم ذلك ، فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه ، وساروا مُصْعِدِينَ في تلك الشعبة من الماء ، حتى وصلوا إلى نهر الخزر ، وانحدروا فيه إلى مدينة آمل^(١) [واجتازوا بها و انتهوا إلى فم النهر ومصبه إلى البحر الخزري ، ومن مصب النهر إلى مدينة آمل]^(٢) وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس في هذا البحر ، وطرحت سراياها إلى الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون ، وهي بلاد على ساحل جرجان وبلاد النفاطة ، ونحو بلاد أذر بيجان ، وذلك أن من بلاد أردبيل من بلاد أذربيجان إلى هذا البحر نحو من ثلاثة أيام ، فسفكت الروس الدماء ، واستباححت النسوان والولدان ، وغنمت الأموال ، وشتت

(١) زيادة في اوحدها

(٢) في ب « من مدينة أردشير » .

الغارات، وأجريت، وأحرقت، فضج من حول هذا البحر من الأمم، لأنهم لم يكونوا يعمدون في قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه، وإنما تختلف فيه مراكب التجار والصيد، وكانت لهم حروب كثيرة مع الجبل والديلم مع فائد لابن أبي الساج، فأتوها إلى ساحل النفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكة، وكانت الروس تأوى عند رجوعها من غاراتها إلى جزائر تقرب من النفاطة على أميال منها، وكان ملك شروان يومئذ على بن الهيثم، فاستعد الناس، وركبوا في القوارب، ومراكب التجار، وساروا نحو تلك الجزائر، فمالت عليهم الروس، فقتل من المسلمين وغرق ألوف، وأقام الروس شهيراً كثيرة في هذا البحر على ما وصفنا لا سبيل لأحد ممن جاور هذا البحر من الأمم إليهم، والناس مهتابون لهم^(١)، حذرون منهم؛ لأنه بحر غامر لمن حوله من الأمم، فلما غنموا وستموا ما هم فيه ساروا إلى فم نهر الخزر ومصبه، فراسلوا ملك الخزر وحلوا إليه الأموال والغنائم [على ما اشترط عليهم]، وملك الخزر لا مراكب له، وليس لرجاله بها عادة، ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم آفة عظيمة، وعلم بشأنهم اللارسية ومن في البلاد الخزر من المسلمين، فقالوا للملك الخزر: خلنا وهؤلاء القوم فقد أغاروا على بلاد إخواننا المسلمين، وسفكوا الدماء، وسبوا النساء والذراري، فلم يمكن الملك منعه، وبعث إلى الروس فأعلمهم بما قد عزم عليه المسلمون من حربهم، وعسكروا، وخرجوا يطلبونهم متحدرين مع الماء، فلما وقعت العين على العين خرجت الروس عن مراكبها [وصافوا المسلمين، وكان مع المسلمين خلق من النصارى من المقيمين بمدينة آمل]^(٢) وكان المسلمون في نحو خمسة عشر ألفاً بالخييل والعدد، فأقام الحرب بينهم ثلاثة أيام، ونصر الله المسلمين عليهم، وأخذهم السيف: فمن قتل، وغريق، ونجا منهم نحو خمسة آلاف، فركبوا في المراكب إلى ذلك الجانب مما يلي بلاد برطاس، وتركوا مراكبهم

(١) في ١ « متأهبون لهم » .

(٢) هذه العبارة متأخرة في ١ .

الجزء الأول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الأمم ١٨٥

وتعلقوا بالبر ؛ فمنهم من قتله أهل برطاس ، ومنهم من وقع إلى بلاد البرغز إلى المسلمين فقتلوه ، وكان من وقع عايه الإحصاء ممن قتله المسلمون على شاطئ نهر الخزر نحواً من ثلاثين ألفاً ، ولم يكن للروس من تلك السنة عودة إلى ما ذكرنا .

قال المسعودي : وإنما ذكرنا هذه القصة دفعاً لقول من زعم أن بحر الخزر متصل ببحر مايطس وخايج القسطنطينية [من جهة بحر مايطس ونيطس] ولو كان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية من جهة بحر مايطس أو نيطس لكانت الروس قد خرجت فيه ، إذ كان ذلك بحرهما على ما ذكرنا ، ولا خلاف بين من ذكرنا ممن تجاوز هذا البحر من الأمم في أن بحر الأعاجم لا خليج له متصل بغيره من البحار ؛ لأنه بحر صغير يحاط بعله ، وما ذكرنا من مراكب الروس فستفيض في تلك البلاد عند سائر الأمم ، والسنة معروفة ، وكانت بعد الثلاثمائة . وقد غاب عنى تاريخها ، ولعل من ذكر أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية يريد أن بحر الخزر هو بحر مايطس ونيطس الذي هو بحر البرغز والروس ، والله أعلم بكيفية ذلك .

وساحل طبرستان على هذا البحر ، وهنالك مدينة يقال لها الهم ، وهي فرضة قريبة من الساحل^(١) ، وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار ، وعلى ساحل جرجان ، مما يلي هذا البحر ، مدينة يقال لها آبسكون^(٢) ، على نحو من ثلاثة أيام من جرجان ، وعلى هذا البحر الجبل والدليم ، وتختلف المراكب بالتجارات فيه إلى مدينة آمل ؛ فيدخل في نهر الخزر إليها ، وتختلف المراكب فيه بالتجارات من المواضع التي سمينا من ساحله إلى باكة ، وهي معدن النفط الأبيض وغيره ، وليس في الدنيا - والله أعلم - فقط أبيض إلا في هذا

(١) في ب «مدينة يقال لها الهرجى مرسى للساحل» (٢) في ا «السكون» محرفا

الموضع ، وهى على ساحل مملكة شروان ، وفى هذه النفاطة أطمّة ، وهى عين من عيون النار^(١) لا تهدأ على سائر الأوقات تتَصَرَّمُ الصعداء .

حديث عن
آطام النيران

ويقابل هذا الساحل فى البحر جزائر : منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمّة عظيمة تفر فى أوقات من فصول السنة فتظهر منها نار [عظيمة] تذهب فى الهواء كأشبح ما يكون من الجبال العالية فتضىء الأكثر من هذا البحر ، ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر ، وهذه الأطمّة تشبه أطمّة جبل البركان من بلاد صقاية من أرض الإفرنجية ومن بلاد إفريقية من أرض المغرب ، وليس فى آطام الأرض أشد صوتاً ولا أسود دخاناً ولا أكثر تلهباً من الأطمّة التى فى أعمال المهرج ، وبعدها أطمّة وادى برهوت ، وهى نحو بلاد سبأ^(٢) وحضر موت من بلاد الشَّحْر ، وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عُمان ، وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة [تقذف من قعرها بحجر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك فى الهواء وَيُذْرِكُ حَسّاً من أميال كثيرة]^(٣) ثم ينعكس سفلاً فيهبى إلى قعرها وحولها ، والجمر الذى يظهر منها حجارة قد احترت بما قد أحالها من مواد حرارة النار^(٤) ، وقد أتينا على علة تكون عيون النيران فى الأرض ، وما سبب موادها ، فى كتابنا « أخبار الزمان » .

حديث
عن البراة

وفى هذا البحر جزائر أخرى مقابلة لساحل جرجان ، يصاد منها نوع من البراة البيض ، وهذا النوع من البراة أسرع الضواري إجابة ، وأقلها معاشرة ، إلا أن فى هذا النوع من البراة شيئاً من الضعف ، لأن الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسّمك ، فإذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف ، وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري وأنواع الجوارخ من الفرس والترك والروم

(١) فى ب « من عيون الباب لا تتمد على سائر الأوقات » محرفاً .

(٢) فى ا « وهى نحو بلاد أسفار وحضر موت » . (٣) زيادة فى ا وحدها

(٤) فى ب « من مواد حرارة النار » .

الجزء الأول : ذكر جبل القنبح وأخبار الأمم ١٨٧

والهند والعرب : إن البازي إذا كان إلى البياض في اللون ، فإنه أسرع البرّاة وأحسنها وأنباها أجساماً ، وأجرؤها قلوباً ، وأسماها رياضة ؛ وإنه أقوى جميع البرّاة على السمو في الجو ، وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية في الهواء ؛ لأن فيها من حرف الحرارة^(١) وجراءة القلب ما ليس في غيرها من جميع أنواع البرّاة ، وإن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها ، وإن من أجل ذلك خالص البيض لكثرة الثاج في أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك .

وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك - وهم الملوك المتقادة إلى ملكهم جميع ملوك الترك - أنه قال : إن برّاة أرضنا إذا أسقطت أنفُس فراخها من الهواء^(٢) إلى الفضاء سمت في [آخر] الجو إلى الهواء البارد الكثيف فأنزلت دواب تسكن هناك فتغذيها [بها ؛ فلا نلبث أن تقوى وتنهض لإسراع الغذاء فيها ، وأنهم ربما وجدوا في] أوكارها من تلك الدّواب أشلاء .

وقد قال جالينوس : إن الهواء [حار رطب ، والبرد يعرض فيه لقوة الرياح المرتفعة ولا يخلو الجو] من نشاء فيه وساكن .

وعن بليناس أنه قال : واجب إذا كان لهذين الأسطقتين - يعنى الأرض والماء - خلق وساكن أن يكون للأسطقتين الأعلىين - يعنى الهواء والنار - خلق وساكن .

وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ أَخْبَارِ هِرُونَ الرّشيد أن الرّشيد خرج ذات يوم إلى الصيد القبول بأن البلاد الموصل ، وعلى يده باز أبيض ؛ فاضطرب على يده ؛ فأرسله ؛ فلم يزل يخلق حتى غاب في الهواء ؛ ثم طاع بعد الإياس منه ؛ وقد علق شيئاً فهو به يشبه الحية أو السمكة ؛ وله ريش كأجنحة السمك ؛ فأمر الرّشيد فوضع في طست ؛ فلما عاد من قنبحه أحضر العلماء فسألهم : هل تعلمون للهواء ساكناً ؟ فقال مقاتل :

(١) في ١ هـ جزء الحرارة وجزؤه الغالب فيها مما ليس في غيرها .

(٢) في ١ هـ إذا سقطت في العش فراخها من الرعاء .

يا أمير المؤمنين ، روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور . بأهم مختلقة الخلق ، فيها سكان أقربها منا دَوَاب تبيض في الهواء تفرخ فيه ، يرفعها الهواء الغليظ ويربها حتى تنشأ في هيئة الحَيَّاتِ أو السمك ، لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بُرَّاة بيض تكون بأرمينية ، فأخرج الطاست إليهم ، فأراهم الدابة ، وأجاز مقاتلا يومئذ .

وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجوحَيَّاتِ تسعى كأُسْرَع ما يكون من البرق [بيض] ، وأنها تقع على الحيوان [في الأرض] فتقتله ^(١) ، وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كمنشر ثوب جديد ، وربما يقول من لا علم له وغيره من البشر ^(٢) : هذا صوت ساحرة تطير ، ذات أجنحة من قصب .
والناس كلام كثير فيما ذكرنا ، واستدلّواهم [على هذا إنما هو] بما يحدث في أسطوخ المياء من الحيوان ، وأنه يجب على هذه القصة ^(٣) أن يحدث ذلك بين العنصرين الخفيفين وهما الهواء والنار نشو وحيوان كدونه بين الثقيلين وهما الأرض والماء .

وصف البزاة قال المسعودي : وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة ، وأغربت في الوصف ، وأطنبت في المدح ، فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاع مريد ^(٤) وقال كسرى أنوشروان : البازي رفيق يحسن الإشارة ^(٥) . ولا يؤخر الفرص إذا أمكنت ، وقال قيصر : البازي ملك كريم إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك ، وقالت الفلاسفة : حسبك من البازي سرعة في الطلب وقوة على الرزق وفي السمو إذا طالت قواده وبعده ما بين منكيه فذلك أبعد لغايته وأخف

(٢) في ١ « من النسوان » .

(٤) في ١ « شجاع مؤبد » .

(١) في ١ « قتله » .

(٣) في ١ « هذه القضية » .

(٥) في ١ « يحسن الأناة » .

الجزء الأول : ذكر جبل القبح وأخبار الأمم ١٨٩

لسرعته ، ألا ترى إلى الصقور لا تزداد في غاياتها إلا بعداً وسرعة وقوة على التكرار ، وذلك لطول قوادمها مع كثافة أجسامها ، وإنما قصرت غاية البازي لقصر جناحيه ورقة جسمه ، فإذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ، ولا تؤتّى الجوارح إلا من قصر القوادم ، ألا ترى أن الدراج والسمان والحجل وأشباهها حين قصرت قوادمها ، كيف قصرت غاياتها ؟ وقال أرسطجانس^(١) : البازي طير عارى الحجاب ، وما يفوته في كسوره يزيد في أخصه ورجليه ، وهو أضعف الطير جسماً ، وأقواها قابلاً وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير بالجزء الذي فيه من الحرارة التي ليست في شيء منها ، ووجدنا صدورها منسوجة بالعصب لالحم عايتها وقال جالينوس مؤيداً لما ذهب إليه أرسطجانس : إن البازي لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لقاء مشبكة بالشوك مختلفة الحجم بين شجر عسى^(٢) طلباً للكن ودفعاً لالم الحر والبرد ، فإذا أراد أن يفرخ بني لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً لا يصل إليه منه مطر ولا ثاج إشفافاً على نفسه وفراخه من البرد [والضر] .

وذكر أدم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور أول من لعب الكندي ، وهو أبو كندة ، وأنه وقف يوماً لقانص وقد نصب حبالاً للعصافير فانقضَّ أكَدَرُ على عصفور منها قد علق ، فعلقه الأكدر - وهو الصقر - ومن أسمائه أيضاً الأجل ، فجعل يأكل العصفور وقد علق ، فعجب الملك فأتى به وهو يأكل العصفور ، فرمى به في كسر البيت ، فراه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر ، وإذ أرمي إليه طعاماً أكله ، وإذ أرمي لهما نهض إلى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فطعم على اليد ، وكانوا يتباهون بحمله ، إذ رأى يوماً حمامة فطار إليها من يد حامله فعلقها ، فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها ، فبينما الملك يسير يوماً إذ نفجت

(١) في « ب » أرسيناس .

(٢) فتح ١ « من شجر خشن » .

أرنب فطار الصقر إليها فأخذها ، فطالب بها الطير والأرانب قتلها، واتخذها العرب بعده ، ثم استفاضت في أيدي الناس .

أول من اتخذ الشواهين فأما الشواهين فإن أرسطجانس الحكيم ذكر في كتاب كان وجهه إلى المهدي حمل إليه من أرض الروم أهداه إليه الملك أن ملكاً من ملوك الروم يقال له فسيان^(١) نظر يوماً إلى شاهين يهوي منحدرًا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعًا في الهواء ، حتى فعل ذلك مراراً ، فقال : هذا طير ضارٍ تدلُّنا قوة انحداره على الطير في الماء أنه ضارٍ ، وتدلنا سرعة ارتفاعه في جو السماء على أنه طير أبي ألوف^(٢) ، فلما رأى إلى حسن سكراره أعجبه ، فكان أول من اتخذ الشواهين .

وقد ذكر سعيد بن عيسى^(٣) عن هاشم بن خديج قال : خرج قسطنطين ملك عمورية متصيداً بالبزاة ، حتى انتهى إلى خليج نيطس الجارى إلى بحر الروم فعبر إلى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد، فنظر إلى شاهين يتكفأ^(٤) على طير الماء، فأعجبه ما رأى من سرعته وضارونه ، ولم يدر الحيلة في صيده، فأمر أن يصطاد له فضراًه ، وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين، ونظر إلى ذلك المرج البساط مفروشاً بألوان الزهر ، فقال : هذا موضع حصين بين نهر وبحر ، وله سعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة، فبنى فيه مدينة القسطنطينية، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا للملك الروم قسطنطين بن هلاين^(٥) هذا ، وما كان من خبره ، وهو المظهر لدين النصرانية ، وهذا الوجه أحد ما ذكر من السبب الداعي لبناء القسطنطينية .

وقد ذكر ابن خفيرة^(٦) عن أبي زيد الفهرى أنه كان من رتبة ملوك الأندلس

(١) في ب « ستان » . (٢) في ا ، أنه طير آبق » .

(٣) في ب « سعيد بن عفر عن هشام » . (٤) في ا « يقض » .

(٥) في ب « بن هلاين » . (٦) في ب « ابن عمر » .

الجزء الأول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الأمم ١٩١

اللذآرة أنه إذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره ، مخيمة على موكبه ، تنحدر عليه مرة وترتفع أخرى ، معلمة لذلك ، فلا تزال على ما وصفنا في حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله ، إلى أن ركب يوماً ملك منهم [يقال له أزرق] وصارت الشواهين معه على ما وصفنا ، فاستثارت طائراً فانقضَّ عليه شاهين فأخذه ، فأعجب بذلك الملك ، وضرَّها على الصيد ؛ فكان أول من نصيد بها بالمغرب وبلاد الأندلس .

قال المسعودي : وكذلك ذكر جماعة من أهل العلم بهذا الشأن أنه كان أول من لعب بالعقبان [من] أهل المغرب ، فلما نظرت الروم إلى شدة أسْرِها وإفراط سلاحها قال حكاؤهم : هذه التي لا يقوم خيرها بشرها .

وذكر أن قيصر أهدى إلى كسرى عُقاباً وكتب إليه يُعَلِّمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها كسرى فأرسلت على ظبي عرض له فدقته ، فأعجبه ما رأى منها ، فانصرف مسروراً ، فجوعها ليصيد^(١) بها ، فوثبت على صبي له فقتلته ، فقال كسرى : وتَرَنَّا قيصر في أولادنا بغير جيش ، ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر نمرأ ، وكتب إليه أنه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش ، وكتب ما صنعت العُقاب^(٢) ، فأعجب قيصر حسن النمر ، وطابق صفته بوصف من القهد ، وغفل عنه ، فافترس بعض فتيانه ، فقال : صادنا كسرى ، فإن كنا قد صدناه فلا بأس .

هذا ، وقد تغفل بنا الكلام عند ذكرنا لبحر جرجان وجزأته إلى الكلام في أنواع الجوارح ، وسند ذكر لُعمًا من أخبار البزاة وأعداد أجناس الجوارح وأشكالها عند ذكرنا ملوك اليونانيين ، فلنرجع الآن إلى ذكر الباب والأبواب ومن يلي السور من الأمم وجبل القبيخ^(٣) ، وقد قلنا إن شر الملوك من جاورها من

(١) في ١ « ليضريها » . (٢) في ١ « وكتب ما صنعت العقاب »

... الفتح » .

مملكة جيدان الأم مملكة جيدان^(١)، وملكتهم رجل مسلم يزعم أنه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وليس في مملكته مسلم غيره وولده وأهله، وأرى أن هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع، وبين مملكة جيدان^(١) وبين الباب والأبواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيئاً من اللغات غير العربية في آجام هناك وغياض وأودية وأنهار كبار من قرى قد سكنوها، وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار من طراً من بوادي العرب إليها، فهم مجاورون لمملكة جيدان^(١)، إلا أنهم ممتنعون بتلك الأشجار والأنهار، وهم على نحو ثلاثة أميال من مدينة الباب والأبواب، وأهل الباب يحذرونهم^(٢).

وبلى مملكة جيدان^(١) مما بلى جبل القبيخ والسرير ملك يقال له برزبان^(٣) مسلم، ويعرف بلده بالكرج^(٤)، وهم أصحاب الأعمدة، وكل ملك بلى هذه للملكة يدعى برزبان.

مملكة غميق ثم بلى مملكة برزبان مملكة يقال لها غميق^(٥)، وأهلها أناس نصارى لا يتقادون إلى ملك، ولهم رؤساء، وهم مهادنون لملك اللان.

مملكة زريكرا ثم يليهم مما بلى السرير والجبل مملكة يقال لها زريكرا^(٦)، وتفسير ذلك عمال الزرد، لأن أكثرهم يعمل الزرد والياب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد، وهم ذوو ديانات مختلفة : مسلمون، ويهود، ونصارى، وبلدهم بلد خشن، قد امتنعوا بخشوتته على من جاورهم من الأمم.

مملكة فيلان شاه ثم بلى هؤلاء مملكة السرير، وملكها يدعى فيلان شاه^(٧)، يدين بدين النصرانية، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنه من ولد بهرام جور، وسمى صاحب السرير لأن يزدجرد - وهو الآخر من ملوك ساسان - حين ولى منهزماً قدم

(١) في ب « حيزان » .

(٣) في ا « يقال له مدرمان » .

(٢) في ا « ينجدونهم » .

(٥) في ب « عميق » .

(٤) في ب « بالكرج » .

(٧) في ب « قبان شاه » .

(٦) في ب « درلكران » .

الجزء الأول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الأمم ١٩٣

سريره الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام جور ليسير بها إلى هذه المملكة فيجرزها هناك إلى وقت موافاته ، ومضى بزجرده إلى خراسان فقتل هناك ، وذلك في خلافة عمر رضى الله عنه ^(١) على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ، فظن ذلك الرجل في هذه المملكة ، واستولى عليها ، وصار الملك في عقبه ! فسمى صاحب السرير ، ودار مملكته تعرف بمحرج ^(٢) ، وله اثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من شاء ، وبلده بلد خشن منيع لخشونته ، وهو شعب من جبل القبيخ ، وهو يغير على الخزر مستظهِراً عليهم ؛ لأنهم في سهل وهو في جبل .

ثم تلى هذه المملكة مملكة اللان ومملكة يقال له كركنداج ^(٣) ، وهذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وكذلك فيلان شاه ، فهو الاسم الأعم لسائر ملوك السرير ، ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص ، وتفسير ذلك الديانة ^(٤) ، وله قصور ومنزهات في غير هذه المدينة ينتقل في السكنى إليها ، وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت ، وقد تزوج كل واحد منهما بأخت الآخر ، وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الإسلام في الدولة العباسية اعتدوا دين النصرانية . وكانوا قبل ذلك جاهلية ، فلما كان بعد العشرين والثلاثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية ، وطردها من قبلهم من الأساقفة والقسيسين ، وقد كان أنفذهم إليهم ملك الروم .

وبين مملكة اللان وجبل القبيخ قاعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان ، بنى هذه القلعة ملك في قديم الزمان من الفرس الأوائل يقال له اسفنديار بن يستاسف ^(٥) [بن بهراسب] ورتب في هذه القاعة رجالا يمنعون اللان عن الوصول إلى جبل القبيخ ، ولا طريق لهم إلا على هذه القنطرة من تحت هذه القلعة ، والقلعة على صخرة صماء لاسبيل إلى فتحها والوصول إليها إلا بإذن من فيها ؛ ولهذا القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة

(١) في ١ « وذلك في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه » .

(٢) في ب « بمحرج » .

(٣) في ب « كركنداج » .

(٤) في ب « الدمائية » .

(٥) في ب « اسفنديار بن كستاسب » .

عين من الماء عذبة تظهر في وسطها من أعلى هذه الصخرة ، وهذه القلعة إحدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة، وقد ذكرت الفرس في أشعارها، وما كان لاسبنديار بن إستاسف في بنائها، ولا سبنديار في الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الأمم ، وهو السائر إلى بلاد الترك ، فغرب مدينة الصفر^(١) ، وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذي لا يُرام ، وبها تضرب الفرس^(٢) الأمثال ، وما كان من أفعال إسبنديار وما وصفنا فذكر في الكتاب المعروف بكتاب البنكش^(٣) ، نقله ابن المقفع إلى لسان العرب ، وقد كان مسئلة بن عبد الملك بن مروان حين وصل إلى هذا الصقع ووطئ أهله أسكن في هذه القلعة أناساً من العرب إلى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع ، وربما يحمل إليهم الرزق [وأقوات] من البر من نجر تفليس ، وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام ، ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكفار أن يجتازوا بهذا الموضع ؛ لتعاقبها بالجو وإشرافها على الطريق والقنطرة والوادي ، وصاحب اللان يركب في ثلاثين ألف فارس ، وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين^(٤) الملوك ، ومملكته عمارها متصلة ، غير منفصلة ، إذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العمار واتصالها

أمة كشك ثم إلى مملكة اللان أمة يقال لها كشك^(٥) ، وهم بين جبل القبيخ وبحر الروم ، وهي أمة مطيعة^(٦) منقادة إلى دين الجوسية ، وليس فيمن ذكرنا من الأمم في هذا الصقع أنقى أبشاراً ، ولا أصفى ألواناً [ولا أحسن رجالاً] ولا أصبح نساء ، ولا أقوم قدوداً ، ولا أدق أخصاراً ، ولا أظهر أكفالا وأرداقاً ، ولا أحسن شكلا من هذه الأمة ، ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ، ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من

(١) في ب « الصعر » . (٢) في ب « ضرب الفرس »

(٣) في ب « السيكس » . (٤) في ا « من الملوك » .

(٥) في ب « كشك » . (٦) في ا « أمة نظيفة » .

أنواع الديباج المذهب ، وبأرضهم أنواع من الثياب بصنع من القنب ، فيها نوع يقال له الطلى أرق من الديبقي على السكد ، يبلغ النوب عشرة دنانير ، ويحمل إلى ما يليهم ^(١) من الإسلام ، وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الأمم ، إلا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء .

واللان مستظهرة على هذه الأمة ، لان نصف هذه الأمة من اللان ، إلا أنها تمتنع من اللان بقلع لها على ساحل البحر ، وقد نوزع في البحر الذي هم عليه : فمن الناس من يرى أنه بحر الروم ، ومنهم من يرى أنه بحر نيطس ، إلا أنهم يقربون في البحر من بلاد طرابزنده ^(٢) ، والتجارة تتصل بهم منها في المراكب ، وتتجهز من قبلهم أفضاً ، والعلة في ضعفهم عن اللان تركهم أن يملكوا عايهم ملكاً يجمع كلتهم ، ولو اجتمعت كلتهم لم يطقهم اللان ولا غيرها من الأمم ، وتفسير هذا الاسم وهو فارسي إلى العربية [التيه ^(٣)] و[الصاف] ، وذلك أن الفرس إذا كان الإنسان نائها صافاً فالوا : كشك .

وتلى هذه الأمة التي على هذا البحر أمة أخرى يقال لبلادهم : السبع بلدان ، وهي أمة كبيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ، ولانني إلى خبرها في دينها . وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب إلى بحر [البروم ، وقيل : إلى بحر] نيطس ^(٤) ، ويقال لدار مملكه هذه الأمة

إرم ذات العماد ، وهم ذوو خاق عجيب ، وآراؤها جاهلية ، ولهذا البلد على إرم ذات العماد هذا البحر خبر ظريف ، وذلك أن سمكه عظيمة تأتيهم في كل سنه فيتناولون منها ، ثم تعود ثانية فتتوجه نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها ، وقد عاد اللحم على الموضع الذي أخذ منه أولاً ، وخبر هذه الأمة مستفيض في تلك الديار من الكفار .

وتلى هذه الأمة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهواء

(١) في ب « إلى ماينهم » (٢) في ب « طار بنده »

(٣) زيادة في ا وحدها (٤) الزيادة عن ب ، وفيها «مانطش»

وبين هذه الجبال الأربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء ، في وسط تلك الصحراء دارة مقورة^(١) كأنها قد خطت ببيكار^(٢) ، وشكل دائرتها خسفة مجوفة^(٣) في حَجَرٍ صَلْدٍ منخفض كما تدور الدائرة ، استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلا قطع قائم يهوى سفلا كحائط مبنى من سفلى إلى علو يكون قبره على نحو من ميلين ، لاسبيل إلى الوصول إلى مستوى تلك الدارة ، ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة ، وبالنهار يرى قرى وعمائر وأنهار تجري بين تلك القرى وناس وبهائم ، إلا أنهم يرون لطاف الأجسام لبعدهم عن الموضع ، ولا يدري من أى الأمم هم ، ولا سبيل لهم إلى الصعود إلى جهة من الجهات ، ولا سبيل لمن فوق إلى النزول إليهم بوجه من الوجوه ، ووراء تلك الجبال الأربعة على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض فيها نوع من القروء منتصبه القامات مستديرة الوجوه والأغلب عليها صور الناس وأشكالهم ، إلا أنهم ذوو شعر ، وربما وقع في النادر القرد منها نوع من القردة إذا احتيل في اصطياده ؛ فيكون في نهاية الفهم والدراية ، إلا أنه لا لسان له فيعبر بالنطق ؛ ويفهم كل ما يخاطب به بالإشارة ، وربما حمل الواحد منها إلى ملوك الأمم من هناك فتعلمه القيام على رءوسها بالمذاب على موائدها [لما في القرد من الخاصة بمعرفة السموم من المأكول والمشرب]^(٤) ويلقى الملك له من طعامه : فإن أكله أكل الملك منه ، وإن اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه ، وكذلك فعل الأكثر من ملوك السند والهند^(٥) في القردة ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا على المهدي ، وما ذكرنا له [لما] في القرد من منافع ملوكهم به عند الطعام وذكرنا خبر القروء باليمن واللوح الحديد الذي كتبه سليمان بن داود عهداً للقروء باليمن ، وما كان من

(٢) في ١ « بيركار » .

(١) في ١ « مقورة » .

(٣) في ١ « منحوتة » .

(٤) زيادة في ١ وحدها ، وبها يتم الكلام (٥) في ١ « ملوك الصين والهند »

الجزء الاول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الأمم . ١٩٧

أسرهم مع عامل معاوية [بن أبي سفيان] ، وما كتب به في أمرهم ، ووصف القرد العظيم الذي كان في رقبته اللوح الحديد ، وليس في قروء العالم أفطن من هذا النوع ، ولأخيث ، وذلك أن القردة تكون في بقاع الأرض الحارة: فمنها بأرض النوبة وأعلى بلاد الأحايش مما يلي أعلى مصب النيل [وهي] القروء المعروفة بالنوبية، وهي صغيرة القد صغيرة الوجوه ذات سواد غير حالك كأنه نوبي وهو الذي يكون مع القراءدين، ويصعد على رمح فيصير على أعلاه، ومنها ما يكون في ناحية الشمال^(١) في آجام وغياض نحو أرض الصقالبة وغيرها من هناك من الأمم ، كنحو ما وصفنا من هذا النوع من القروء، وقرب شكله من صورة الإنسان ومنها بخلجانا بلاد الزابج في الصين وفي مملكة المهر اج ملك الجزائر، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازي ملك الصين ، وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين ، وهذه القروء مشهورة في هذا الصقع معروفة بالكثرة في هذه الخلجانا ، وهي ذات صور تامة ، وقد كان حمل إلى القنطرة منها، وجاءت في سلاسل عظام^(٢) ، وكان في القروء ذوو لحى وسبال كبار [وشيوخ وشبان]^(٣) مع أنواع من الهدايا من عجائب البحر ، حمل ذلك أحمد بن هلال أمير^(٤) عمان يومئذ ، وهذه القروء أمرها مشتهر عند البحرين من أهل سيراف و عمان من يختلف إلى بلاد كلة والزابج ، وكيف تأتي بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء، على أن الجاحظ قد ذكر أن التماسيح لا تكون إلا بنيل مصر ونهر مهران السند وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ما قيل في ذلك، وأخبرنا عن مواضع التماسيح فأما اليمن فلا تناكر بين من دخله في أن القروء منه في مواضع كثيرة لا يحصرها عدد لكثرتها : فمنها في وادي نخلة ، وهي بين بلاد الجند وبلاد زيد التي أميرها

(١) في ب « ناحية الشام » محرفا (٢) في ا « وحيات عظام في سلاسل »

(٣) زيادة في ا وحدها (٤) في ب « أحمد بن أبي هلال » .

في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - إبراهيم بن زياد صاحب الحرمل ، وبين هذا الوادي وبين زبيديوم ، وبينه وبين الجند يوم أو أكثر من ذلك ، وهذا الوادي كثير العمار ، ومصاب المياه إليه كثيرة ، وشجر الموز فيه كثير ، والقروء فيه كثيرة ، وهو بين جبلين ، والقروء قطعان كل قطع منها يسوقه هرمز ، والهرز^(١) : الذكر العظيم كالفضل العظيم المقدم فيها ، وقد تلد القردة في بطن واحدة عدة من القروء نحو العشرة والاثني عشر ، كما تلد الخنزيرة خنايص كثيرة ، وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ، ويحمل الذكور باقين ، ولهن [أندية و] مجالس يجتمع فيها خلق منهن فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهممة ، والإناث [كالنساء] متحيزات عن الذكور ، فإذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال وأشجار الموز ، وذلك بالليل ، لم يشك أنهم أناس لكثرتهم بالليل والنهار ، وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القروء أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولاً للتعليم من قردة اليمن ، وأهل اليمن يسمون القردة الرياح ، ولهم جُسم للذكور والإناث قد سرحت [ومنها]^(٢) سود كأَسود ما يكون من الشعر ، وإذا جلسوا^(٣) يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ، ويتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ، ومن القردة باليمن ببلاد مأرب بين بلاد صنعاء و[قلعة]^(٤) كهلان ما يكون في برارٍ وجبال هنالك كأنها السحب في تلك البراري والجبال لكثرتها ، وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعقور^(٥) ملك اليمن في هذا الوقت مُحْتَجِب عن الناس إلا [عن] خواصه ، وهو بَقِيَّة من ملوك حمير ، وحوله من الجنود من الخليل والرجال نحو خمسين ألفاً مرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ، ويدعى وقت القبض

(١) في ب « يسوقه هدر ، والهدر » .

(٢) زيادة في أو حدها . (٣) في ب « وإذا طلبوا يجلسون »

(٤) في ب « من بلاد صنعاء » وكلمة « قلعة » زائدة فيها وحدها وفي « كهلان »

(٥) في ب « أسعد بن يعقور »

الجزء الأول : ذكر حبل القبح وأخبار الأمم ١٩٩

البركة^(١) ، فيجتمعون هناك [ويتحذرون] ويتحذرون من ملك الخليفة ،
والخليفة : القلاع ، وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب
الذيجرة ، وهو علي بن الفضل ، وذلك بعد السبعين والمائتين^(٢) ، وقد كان على
باليمن شأن عظيم حتى قتل^(٣) ، وتوطأت اليمن لهذا الرجل ، وباليمن للقرومواضع
كثيرة ، وكذلك في بقاع من الأرض أعرضنا عن ذكرها ، إذ كنا قد أنينا على
علة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الأرض وأخبار النسناس في كتابنا
« أخبار الزمان » وكذلك الأخبار عن العرايد ، وهو نوع كالحيات تكون ببلاد
حجر اليمامة فيما زعموا ، واحدها عرب ، وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل حنين
ابن إسحاق أن يأتى له في حمل أشخاص من النسناس والعرب ، فلم يسلم منهم
إلى سرٍّ من رأى إلا اثنان من النسناس ، ولم تنأ له الحيلة في حمل العرب من
اليمامة ، وذلك أن العرب هذا إذا خرج عن اليمامة وصار إلى موضع منها معروف
المسافة عدم من الوعاء الذي حمل فيه ، وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات
والعقارب وسائر الهوام ، كمنفعة أهل سجستان بالقنفاذ ، ولذلك كان في عهد
[أهل] سجستان القديم ألا يقتل قنفاذ ببلدهم ؛ لأنه بلد كثير الرمال بناه ذو القرنين
في مطافه ، وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب ، والبلد
كثير الأفاعى والحيات جداً ، فلولا كثرة القنفاذ لتلف من هنالك من الناس ،
وكذلك أهل مصر في صعيدها وغيره ، لهم دويبة يقال لها العرائس^(٤) أكبر من
الجرذ وأصغر من ابن عرس حمراء بيضاء البطن ، لولا هذه الدويبة لغلّب على أهل
مصر الثعابين ، وهى نوع من الحيات عظيمة ؛ فينطوى الثعبان على [هذه] الدويبة
ويلتفّ بها فترخى عليه الريح فينقطع الثعبان من ريحها ، هذه خاصية هذه

(١) في ١ « يدعى وقت الفيض النزلة » (٢) ١ « بعد التسعين والمائتين »

(٣) في ب « حين قتل » (٤) في ١ « يقال لها العرائس »

الدابة ، وفي الشرق أنواع من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته
وجماده ، وكذلك في الغرب واليمن^(١) وهو الجنوب ، والجدى^(٢) وهو
الشمال ، وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الأرباع ؛ ففي ذكرها في هذا
الباب خروج عن الغرض الذي يممنا نحوه .

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً من ذكر الأمم المحيطة بالبواب والأبواب
والسور وجبل القبيخ وبلاد الخزر واللان ، فنقول :

إنه يلي بلاد الخزر [واللان] فيما بينهم وبين المغرب أم أربع : ترك ترجع
إلى أب واحد في بدء أنسابهم ، حَضَر وبدو ، وذوو مَنَعَة وبأس شديد ، لكل
أمة منها ملك ، مسافة مملكته أيام ، متصلة بممالكهم بعضها ببحر نيطنس ،
وتتصل عماراتهم^(٣) بمدينة رومية ، وما يلي بلاد الأندلس ، مستظهرة على سائر
ما هنالك من الأمم ، وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة ، وكذلك مع صاحب
اللان ، وديارهم تتصل ببلاد الخزر ، فالجيل الأول منهم يقال له ينجي^(٤) ،
ثم تليها أمة ثانية يقال لها بجگرد^(٥) ، ثم تليها أمة يقال لها بجناك ، وهي أشد
هذه الأمم الأربعة بأساً ، ثم تليها أمة ثانية يقال لها نوكرده^(٦) وملوكهم بدو ،
وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة ، أوفياها ، وقد كان للروم
في تخوم أرضهم فيما يلي من ذكرنا من هذه الأجناس الأربعة مدينة عظيمة يونانية
يقال لها ولندر^(٧) ، فيها خلق من الناس ومَنَعَة بين الجبال والبحر ، فكل من فيها
ما نع لمن ذكرنا من الأمم ، ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل إلى أرض الروم لمنع الجبال
والبحر^(٨) إياهم ، ومن في هذه المدينة ، وكان بين هؤلاء الأجناس حروب لخلاف

(١) في ا « واليمن وهو الجنوب »

(٢) في ب « والحرى » (٣) في ا « وتتصل غاراتهم ببلاد رومية »

(٤) في ب « يقال له ينجي » (٥) في ب « يقال لها جگرد »

(٦) في ب « يقال لها البوكرده »

(٧) في ب « يقال لها وليدر » (٨) في ب « والشجر » محرفاً

الجزء الأول : ذكر جبل القبج وأخبار الأمم ٢٠١

وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض أردبيل : كان نازلاً على أرض بعضهم ، فاستضافه ناس من الجبل الآخر ، فاختلفت الكلمة ، وأغار من في ولندر^(١) من الروم على ديارهم وهم عنها خُوف ، فسَبَّوا كثيراً من الذرية ، وساقوا كثيراً من الأموال ، ونى ذلك إليهم وهم مشاغل في حربهم ، فاجتمعت كلمتهم ، وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء ، وعد القوم^(٢) جميعاً نحو مدينة ولندر^(١) ، فساروا إليها في نحو من ستين ألف فارس ، وذلك على غير احتفال منهم ولا تَجْمُع ، ولو كان ذلك لكانوا في نحو من مائة ألف فارس ، فلما نعى خبرهم إلى أرمينوس^(٣) ملك الروم في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — سار إليهم اثني عشر ألف فارس من المنتصرة على الخيول بالرمح في زى العرب ، وأضاف إليهم خمسين ألفاً من الروم ، فوصلوا إلى مدينة ولندر^(١) في ثمانية أيام ، وعسكروا وراءها ، ونازلوا القوم ، وقد كانت الترك قتلت من أهل ولندر^(١) خافاً [كثيراً] من الناس ، وأمتنع أهلها بسورهم إلى أن أتاهم هذا المدد ، ولما صح عبء الملوك الأربعة من سار إليهم من المنتصرة والروم بعثوا إلى بلادهم فجمعوا من كان قباهم^(٤) من تجار المسلمين ممن يطرأ إلى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم ، وفي هؤلاء الأجناس الأربعة من قد أسلم ، وهم غير مخلصين لهم إلا عند حروب الكفار ، فلما تصاف القوم وبرزت المنتصرة أمام الروم خرج إليهم من كان قبَل الترك من التجار [المسلمين] فدعاهم إلى ملة الإسلام ، وأنهم إن دخلوا في أمان الترك أخرجوهم من بلادهم إلى أرض الإسلام ، فأبوا ذلك ، وتواقف الفريقان في ذلك الوقت ، فكانت للمنتصرة والروم على الترك ؛ لأنهم كانوا في الكثرة أضعاف الترك ، وباتوا على مصافهم ، وتشاور ملوك

(١) في ب « يقال لها ولندر » (٢) في ا « وحمل القوم »

(٣) في ب « أرمينوس » (٤) في ا « من كان معهم »

الترك الأربعة فقال لهم ملك بجنالك : قلدوني النديير في غداة غد ، فأنعموأ له بذلك ، فلما أصبح جعل في جناح اليمينه كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف ، وكذلك في جناح اليسرة ، فلما تصافّ القوم خرجت الكراديس من ناحية اليمينه^(١) فرشقت في قلب الروم فصارت إلى اليسرة ، وخرجت كراديس اليسرة فرشقت في قلب الروم فصارت إلى موضع من خرج من جناح اليمينه ، وانصل الرمي ، واتصلت^(٢) الكراديس كالرحى ، والقلب واليمينه واليسرة للترك ثابتة ، والكراديس تعمل عليها في اللفيق^(٣) ، وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمينتهم كان يتبدى فيرمي في جناح يسرة الروم ويمر بميمينتهم فيرمي وينتهي إلى القلب ، وما يخرج من كراديسهم من جناح اليسرة يرمي في جناح ميمينه الروم ، وينتهي إلى اليسرة فيرمي ، وينتهي إلى القلب فيرمي ، فيكون ملتي الكراديس في القاب دائراً على ما وصفنا ، فلما نظرت المنتصرة والروم إلى ما لحقهم من تشوش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة فأخرجت لهم الكراديس ، فرشقتهم الترك كلها رشقاً واحداً ، فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم ، وعقبهم الترك^(٤) بعد الرشق بالحملة على صفوفهم وهم غير مدشوشين عما كانوا عليه من التعب ، وركضت الكراديس من اليمين والشمال ، وأخذ القوم السيف ، وأسود الأفق ، وكثر صياح الخيل ، فقتل من الروم والمنتصرة نحو من ستين ألفاً حتى كان يصعد إلى سور المدينة على جثثهم ، فافتتحت المدينة ، وأقام السيف يعمل فيها أياماً ، وسبى أهلها ، وخرج عنها الترك بعد ثلاثة [أيام] يؤمون القسطنطينية ، ثم توسطوا العمائر والمروج والضياع قتلاً وأسراً وسبياً ، حتى نزلوا على سور القسطنطينية ، فأقاموا عليها نحواً من أربعين

(١) في ا « من جناح اليمينه » (٢) في ا « وتواترت الكرادس »

(٣) في ب « ألف ألف » (٤) في ا « وغلبت ااك بعدالرشق - إلخ »

الجزء الأول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الأمم ٢٠٣

يوماً يبيعون المرأة والصبي منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير ، وبذلوا السيف [في الرجال] فلم يبقوا على أحد منهم ، وربما قتلوا النساء والولدان ، وَشَتُّوا الغارات في تلك الديار ، فانصلت غاراتهم بأرض الصقالبة ورومية ، ثم اتصلت غاراتهم [في هذا الوقت] إلى نحو بلاد الأندلس^(١) والإفرنجية والجلالة ، فغارات من ذكرنا من الترك منصلة إلى أرض القسطنطينية وما ذكرنا من الممالك إلى هذه الغاية .

فلنرجع الآن إلى ذكر جبل القبيخ والصور والباب والأبواب ؛ إذ كنا قد ذكرنا جملاً من أخبار الأمم القاطنة في هذا الصقع ، فن ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الأبخاز^(٢) منقادة إلى دين النصرانية ، ولها ملك في هذا الوقت [وملك اللان مستظهر عليهم ، وهم متصلون بجبل القبيخ ، ثم يلي ملك الأبخاز ملك الجورية ، وهي أمة عظيمة منقادة إلى دين النصرانية تدعى خزران ، ولها ملك في هذا الوقت]^(٣) يقال له الطبيعي ، وفي مملكة هذا الطبيعي موضع يعرف بمسجد ذي القرنين ، وكانت الأبخاز والخرزية تؤدي الجزية إلى صاحب نغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون إلى أيام المتوكل^(٤) ؛ فإنه كان بها رجل يقال له إسحاق بن إسماعيل ، وكان مستظهِراً بمن معه من المسلمين على من حوله من الأمم ، وهم منقادون إلى طاعته وأداء الجزية إليه ، وعلا أمر من هناك من الأمم حتى بعث المتوكل بعثاً فنزل على نغر تفليس ، وأقام عايتها محارباً حتى افتتحها بالسيف ، وقتل إسحاق بن إسماعيل ؛ لأن إسحاق بن إسماعيل كان متغلباً على الناحية ، وكانت له أخبار يطول ذكرها ، وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم من عني بأخبار العالم ، وأراه رجلاً من قريش من بني أمية أو مولى لاحقاً ، فانخرقت هيبة المسلمين من نغر تفليس من ذلك الوقت إلى هذه الغاية ، فامتنع من

(١) في ١ « إلى نحو ثغور الأندلس » . (٢) في ب « يقال لها الأبخاز »

(٣) سقط هذا الكلام كله من ب . (٤) في ب « في أيام المتوكل »

جاورهم من الممالك من الإذعان لهم بالطاعة ، واقتطعوا الأكثر من ضياع
تفليس ، وانقطع الوصول من بلاد الإسلام إلى ثغر تفليس بين هؤلاء الأمم
من الكفار ؛ إذ كانت محيطة بذلك الثغر ، وأهلها ذوو قوة وبأس شديد ،
وإن كان ما ذكرنا من الممالك محيطة بهم .

ثم تلى مملكة خزران مملكة يقال لها الصمصحية^(١) ، نصارى وفيهم
جاهلية لا ملك لهم ، ثم تلى مملكة هؤلاء الصمصحية بين ثغر تفليس وقلعة
باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنارية^(٢) ، وملكهم يقال له
كرسكوس ، هذا الاسم الأعجم لسائر ملوكهم ، وينقادون إلى دين النصرانية ،
وهؤلاء النصرانية^(٣) يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد ، من مضر ،
وأنهم نخذ من عقيل ، سكنوا هنالك من قديم الزمان ، وهم هناك مستظهرون
على كثير من الأمم ، ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناساً من عقيل
مخالفة لمذحج^(٤) ، لا فرق بينهم وبين أحلافهم^(٥) ؛ لاستقامة كلمتهم ،
فيهم خيل كثيرة ومنعة ، وليس في اليمن كلها قوم من نزار بن معد غير
هذا النخذ من عقيل ، إلا ما ذكر من ولد أنمار بن نزار بن معد ، ودخلهم
في اليمن حسب ما ورد به الخبر ، وهو ما كان من خبر جرير بن عبد الله
البجلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان من خبر بجيلة ، والصنارية
يزعمون أنهم افترقوا في قديم الزمان هم ومن سميئنا من عقيل ببلاد مأرب
في خبر طويل .

ثم تلى مملكة الصنارية مملكة سكين^(٥) وهم نصارى ، وفيهم خلق من
المسلمين من التجار وغيرهم [من ذوى المهن] ، ويقال للمكهم في هذا
الوقت المؤرخ به كتابنا آزر بن نبيه بن مهاجر^(٦) .

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) في ب « الصمصحية » . | (٢) في ب الصنارية » . |
| (٣) في ا « مخالفة لمذحج » . | (٤) في ا « أخلافهم » . |
| (٥) في ب « سكين » . | (٦) في ا « أدرنسه بن هام » . |

الجزء الأول : ذكر جبل القبيخ وأخبار الإيتم ٢٠٥

ثم تايهم مملكة قيلة^(١) وما حوت المدينة منها مسلمون ، وما حولها من مملكة قيلة العماير والضياع نصارى ، ويقال للملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنيسة الأعور ، وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدُّعَّار .

ثم تلى هذه المملكة مملكة الموقان^(٢) ، وهى التى قدمنا ذكرها ، وأنها مملكة الموقان متغلب^(٣) عليها ، وأنها مضافة إلى مملكة شروان شاه ، وليس هذا البلد المعروف بالموقانية هو [الملك] الذى على ساحل بحر الخزر ، وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه فى هذا الوقت ملك الإيران شاه هو . ومن سلف من آباءه ، وكان ملك شروان شاه على بن الهيثم ، فلما هلك على تغلب محمد على شروان شاه على حسب ما ذكرنا آنفاً ، بعد أن قتل عمومة له واحتوى على ما ذكرنا من الممالك ، وله قلعة لا يذكر فى قلاع العالم أحسن منها فى جبل القبيخ .

وللباب أخبار كثيرة من أخبار الأبنية العجيبة التى بناها كسرى بن قباد ابن فيروز — وهو أبوكسرى أنوشروان — فى الموضع المعروف بالمسقط من المدينة بالحجارة والحيطان التى بناها ببلاد شروان المعروف بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكى وما يتصل ببلاد بردعة — أعرضنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا .

وأما نهر السكر فيبتدىء من بلاد خزران من مملكة جرجين^(٤) ، ويمر ببلاد أبخاز^(٥) حتى يأتى نهر تفليس ، ويشق فى وسطه ، ويمجرى فى بلاد السياوردية^(٦) حتى ينتهى على ثمانية أميال^(٧) من بردعة ، ويمجرى إلى برداج^(٨)

(١) فى ب « قبله » . (٢) فى ا « ثم تتصل هذه المملكة بمملكة الموقانية »

(٣) فى ب « وأنها متغلبة عليها » (٤) فى ب « جرجير »

(٥) فى ب « ببلاد الخان » (٦) فى ب « بلاد السلورية »

(٧) فى ا « ثلاثة أميال » (٨) فى ب « وداج »

[من أعمال بردعة] ثم يصب فيه مما يلي الصنارة نهر الرس ، ويظهر من أقاصي بلاد الروم من نحو مدينة طرابزنده حتى يجرى إلى الكر ، وقد صار فيه نهر الرس ، فيصب في بحر الخزر ، ويجرى الرس بين بلاد البدين — وهى بلاد بابك الخرمي — من أرض أذربيجان وجبل أبي موسى من بلاد الران ، ويمر ببلاد ورثان ، وينتهي إلى حيث وصفنا ، وقد أتينا على وصف هذه الأنهار أيضاً ، والنهر المعروف بأسيدروج^(١) [وتفسير ذلك النهر الأبيض على التقديم والتأخير بين اللغتين وهى الفارسية والعربية ، وممره]^(٢) وجريانه في أرض الديلم نحو قلعة سلار ، وهو ابن أسوار [الديلم]^(٣) بعض ملوك الديلم [وقد ظهر في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا تغلب بلاد أذربيجان] ثم يمر هذا النهر من الديلم إلى الجبل ، ويصب فيه نهر آخر في بلاد الديلم ، يقال له : شاهان رود^(٤) ، فينتهى مصب الجميع إلى بحر الجبل ، وهو بحر الديلم والخزر وغيرهم ممن ذكرنا من الأمم المحيطة بهذا البحر ، وعلى هذه الأنهار أكثر هؤلاء الديلم والجبل الذين قد ظهروا وتغلبوا على كثير من الأرض .

فإذ قد قدمنا من أخبار بلاد جبل القبيخ وما فيه وما حوله من الأمم وأخبار الباب والأبواب وبحر الخزر .

ملوك العالم فانذكر الآن ملوك السريان ، وهم أول من يعد في كتب الزيجات والنجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ، ثم ملوك الموصل ونيوى ، ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الأرض ، وشقوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، وطعموا الثمار ، ومهدوا الوعر ، وسهلو الطريق ، ثم تتبع ذلك بالفرس الأولى ، وهم المعروفون بالخذاهان^(٥) إلى ملك أفريدون ، ثم الإسكان إلى دارا [وهو داريوس]^(٦) بن دارا وهم السكون^(٧)

(١) في ب . ونهر أسيدروج « (٢) زيادة في ا وحدها

(٣) في ب « سلام بن سوار » (٤) في ا زيادة « وتفسيره ملك الأنهار

(٥) في ب « بالحدان » لياضه ورقته وصفائه «

(٦) زيادة في ا وحدها (٧) في ب « السكون »

ثم ملوك الطوائف ، ثم الفرس الثانية ، ثم اليونانيين ، ثم الروم ، ونذكر من يتلوهم من ملوك العرب والأمم والسودان ومصر والإسكندرية وغير ذلك من بقاع الأرض إن شاء الله تعالى .

ذكر ملوك السريانيين ، ولمع من أخبارهم

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان ، وقد تنوزع فيهم وفي النَّبَط : فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النَّبَط ، ومنهم من رأى أنهم إخوة لودماش ^(١) بن نبيط ، ومنهم من رأى غير ذلك .

وكان أول من ملك منهم رجل يقال له « شوسان » وكان أول من وضع التاج على رأسه [في تاريخ السريانيين والنَّبَط] ، وانتقلت له ملوك الأرض ، وكان ملكه ست عشرة سنة باغياً في الأرض ، مفسداً للبلاد ، سفاكاً للدماء .

ثم ملك ولد له يقال له « بربر » ^(٢) وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة . ثم ملك « سماسير » بن آوت ^(٣) ، سبع سنين ^(٤) .

ثم ملك بعده « أهريمون » ^(٥) عشرين سنين ، فخط الخلط ، وكوّر الكوّر ، وجدّ في أمره ، وإنقن مملكه ، وعمارة أرضه ، فلما استقامت له الأحوال وانتظم له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانيين من القوة وشدة العماره ، وأنهم يحاولون الممالك ، وقد كان هذا الملك من ملوك الهند غالباً على ماحو له من ممالك الهند ، وانتقلت إلى سلطانه ، ودخلت في أحكامه ، وقيل : إن ملكه كان مما يلي [بلاد] السند والهند ، فسار نحو بلاد بسط وغزني ولعل ^(٦) وبلاد الداور

(٢) ب « بزندس »

(١) في ب « لولدماس »

(٤) في ا « تسع سنين »

(٣) في ب « بن أول »

(٦) في ب « وعرين وتير »

(٥) في ب « أهر تمور »

على النهر المعروف بنهر الهرمند^(١) ، وهو نهر سجستان ينتهى جريانه على أربع فراسخ منها ، وهذا النهر عليه أهل سجستان وضياعهم ونخلهم وجبالهم ومنزعاتهم [فى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة]^(٢) ، وهذا النهر يعرف بنهر بسط ، وتجرى فيه السفن من هناك إلى سجستان فيها الأقوات وغير ذلك [ومن بسط إلى سجستان نحو من مائة فرسخ]^(٣) ، وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال ، وهو البلد الموصوف بأن الرياح به تدوير الأرحية وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان ، وليس فى الدنيا بلد - والله أعلم - أكثر منه استعمالاً للرياح .

نهر الهرمند

وقد تنوزع فى مبدأ هذا النهر المعروف بنهر الهرمند^(١) : فمن الناس من رأى [أنه من عيون بحبال السند والهند ، ومنهم من رأى]^(٢) أن مبدأه من مبدأ نهر الكنك ، وهو نهر الهند ، ويمر بكثير من جبال السند ، وهو نهر حاد الانصباب والجريان ، عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتفرقها زهداً فى هذا العالم ورغبة فى النقلة عنه ، وذلك أنهم يقصدون موضعاً فى أعلى هذا النهر المعروف بالككنك ، وهو جبال عالية ، وأشجار عادية ، ورجال جلوس ، وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر ، وقطع من الخشب ، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية ، فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تهديدهم فى هذا العالم والترغيب فيما سواه ، فيطرحون أنفسهم من أعلى تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة ، فيقطعون قطعاً ، ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء ، وما ذكرنا فوصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك .

وصف نوع عجيب من الشجر

وهناك شجر من إحدى عجائب العالم ونوادره والفرائب من نباته ، يظهر من الأرض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق ، فتستقيم فى الجو

(٢) زيادة فى ا وحدها

(١) فى ب « نهر ميد »

(٣) زيادة فى ب وحدها

كأبعد ما يكون من طوال النخل ، ثم ينحني جميع ذلك منعكساً فيعود في الأرض مندساً ، ويهوى في قعرها سفلاً على المقدار الذي ارتفع به في الهواء [صُعُداً] ، حتى يغيب عن الأبصار ، ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا في الأول فتذهب صُعُداً ، ثم تنقطر منعكسة ، ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منه تحت الأرض ويتوارى تحت الثرى ، فلو لا أن الهند قد وكلت بقطعه من يراعيه من أمره لأمره يذكرونه ، وخطر في المستقبل يصفونه ؛ لطبق على تلك البلاد ولنفسى تلك الأرض ، ولهذا النوع من الشجر أخبار يطول ذكرها ، يعرفها من طراً إلى تلك البلاد ورآها ، أو نعى إليه خبرها .

أنواع من
تعذيب الهند
أنفسهم

والهند تعذب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب من دون الأمم ، وقد تيقنت أن ما ينالها من النعيم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفته^(١) من تعذيب أنفسها في هذه الدار معجلاً ، ومنهم من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراقه نفسه ، فيدور في الأسواق وقد أججت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بإيقادها ، ثم يسير في الأسواق وقدامه الطبول والصنوج ، وعلى بدنه^(٢) أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه ، وحوله أهله وقرابته ، وعلى رأسه إكليل من الريحان ، وقد قشر جلده عن رأسه ، وعابها الجر وعابها^(٣) الكبريت والسندروس ؛ فيسير وهامته [تحترق] يروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل ، والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصفر ما يكون من ورق الأترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل ، وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلاً من الطين^(٤) ، ويكون

(١) في « هو ما أسلفته وعذبت به أنفسها » وما هنا عن ب أحسن نسقا .

(٢) في ب « وعلى يديه » . (٣) في ا « وقد جعل عليها الكبريت » .

(٤) في ب « بدلاً من الطيب » .

عند الصنادلة^(١) للورم وغير ذلك، وهذا إذا مضغ على ماذكرنا بالورق والنورة شدَّ اللثة، وقوى عمود الأسنان، وطيب النكهة، وأزال الرطوبة المؤذية، وشهى الطعام، وبعث على الباء، وجرم الأسنان حتى تكون كأحر ما يكون من حب الرمان، وأحدث في النفس طرباً وأريحية، وقوى البدن، وأثار من النكهة روائح طيبة [خمرة]، والهند خواصها وعوامها تستقيح من أسنانه بيض، وتجنب من لا يعض ما وصفنا، فإذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الأسواق وانتهى إلى تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير في مشيته ولا متهيب في خطوته، ففيهم من إذا أشرف على النار وقد صارت جمرًا كاللحم العظيم يتناول بيده خنجرًا - ويدعى الجري^(٢) عندهم - فيضعه في لبتة، وقد حضرتُ ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض اللار من مملكة الباهرا، وذلك في سنة أربع وثلثمائة، والمالك يومئذ على صيمور المعروف بجاج^(٣)، وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن في تلك البلاد، وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى ابن إسحاق الصندالوني^(٤) وعلى الهزيمة^(٥) يومئذ أبو سعيد معروف بن زكريا، وتفسير الهزيمة^(٥) يراد به رأس المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة إليه، ومعنى قولنا البياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند، يُدْعَوْنَ بهذا الاسم، واحدهم ييسر، وجمعهم بياسرة، فرأيتُ بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فتوذه فشقَّه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاونًا بالموت ولذة بالنقلة، ثم هوى

(١) في ١ « عند الصنادلة ». (٢) في ب « ويدعى الحرمي » .

(٣) في ١ « المعروف بجاج ». (٤) في ب « موسى وإسحاق الصيداوري »

(٥) في ب « وعلى الهزيمة » .

بنفسه في النار ، وإذا مات الملك من ملوكهم أو قتل ^(١) نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته ، يذعون هؤلاء البلاخرية ، واحدهم بلاخرى ^(٢) ، وتفسير ذلك المصادق لمن يموت ؛ فيموت بموته ، ويحيا بحياته .

واللهند أخبار عجيبية تجزع من سماعها النفس : من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الأبدان ، وتتشعر منها الأبدان ^(٣) ، وقد آتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان » .

فلنرجع الآن إلى خبر ملك الهند ومسيره إلى بلاد سجهستان ، وقصده مملكة السريانيين ، ونعدل عما احتدنا من أخبار الهند ، فنقول :

كان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل ، وكل ملك على هذا الباد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكان بين الهند وملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة ، فقتل ملك السريانيين ، واحتوى ملك الهند على الصقع ، وملك جميع ما فيه ، فسار إليه بعض ملوك العرب ، فأتى عليه ، وملك العراق ، ورد ملك السريانيين ، فلكوا عليهم رجلا منهم يقال له : « تبت ^(٤) » وكان ولد المقتول ، فكان ملكه إلى أن هلك ثمان سنين .

ثم ملك بعده « أهريمون » وكان ملكه اثنى عشرة سنة .
 ثم ملك بعده ابن يقال له « هوريا » فزاد في العماره ، وأحسن في الرعاية ، هوريا
 وغرس الأشجار ، وكان ملكه إلى أن هلك اثنتين وعشرين سنة .
 ثم ملك بعده « ماروب ^(٥) » واستولى على الملك ، وكان ملكه مدة
 خمس عشرة سنة ، وقيل : ثلاثة ^(٦) وعشرين سنة .

(١) في ب « وقتل نفسه » (٢) في ب « البلاخرية ، واحدهم بلاخرى »

(٣) في ب « ويصفر من ذكرها الإنسان » .

(٤) في ب « يقال له سيرا » . (٥) في ب « مارث » .

(٦) في أ « وقيل اثنتين وعشرين سنة »

أزور
وخلنجاس

ثم ملك بعده «أزور» و«خلنجاس» ويقال : إنهما كانا أخوين ؛ فأحسننا السيرة ، وتعاضدا على الملك ، ويقال : إن أحدهما كان جالسا ذات يوم إذ نظر في أعلى قصره إلى طائر قد أفرخ هناك ، وإذا هو يضرب بجناحيه ويصيح ، فتأمل الملك ذلك فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر صاعدة لأكل فراخ الطائر ، فدعا الملك بقوس فرمى به الحية فصرعها ، وسلت فراخ الطائر ، فجاء الطائر بعد هنيهة يصفق بجناحيه وفي منقاره حبة وفي مخاليبه حبتان ، وجاء إلى الملك وألقى ما كان في منقاره ومخاليبه ، والملك يرمقه ، فوقع الحب بين يدي الملك فتأملّه ، وقال : لأمر ما ألقى هذا الطائر ما ألقى ، لاشك أنه أراد مكافأتنا على فعلنا به ، فأخذ الحب وجعل يتأمله فلم يعرف مثله في إقليمه ، فقال جالس من جاسائه حكيم وقد نظر إلى حيرة الملك في الحب : أيها الملك ، ينبغي أن يودع النبات أرحام الأرض فإنها تخرج كنهه ما فيه ، فنقف على الغاية منه ، وأداء ما في مخزونه ومكنونه ، فدعا بالأكرّة وأمرهم بزرع الحب ومراعاته ، وما يكون منه ، فزرع ، فنبت وأقبل يلتب بالشجر ثم حصرم وأعنب ، وهم يرُمُّونه ، والملك يراعيه ، إلى أن انتهى في البلوغ وهم لا يُقدِّمون على ذوقه خوفاً أن يكون متلفاً ، فأمر الملك بعصر مائه ، وأن يودع في أواني ، وإفراد حُبِّه منه وتركه على حالته ، فلما صار في الآنية عصيراً هَدَرَ وقذف بالزبد وفاجت له روائح عبقة ، فقال الملك : على بشيخ [كبير فان]^(١) فأتى به ، فلدد له من ذلك في إناء فرآه لوناً عجيباً ، ومنظراً كاملاً ، ولوناً يافوتياً أحمر ، وشعاعاً نيراً ، ثم سقوا الشيخ فما شرب ثلاثاً حتى مال^(٢) ، وأرخى من مآزره الفضول [وصفق بيديه]^(٣) وحرلرأسه ، ووقع برجليه على الأرض ، فطرب ، ورفع عقيرته يتغنّى ، فقال الملك : هذا شراب يذهب بالعقل ، وأخاف^(٣) أن يكون قاتلاً ، ألا ترى إلى الشيخ كيف عاد في حال الصبا

أول من
شرب الخمر

(١) زيادة في ا وحدها . (٢) في ا « حتى صال » .

(٣) في ا « وأخلق به أن يكون قاتلاً » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الموصل ونيوى ٢١٣

وسلطان الدم وقوة الشباب ؟ ثم أمر الملك به فزيد ، فسكر الشيخ ، فنام ، فقال الملك : هلك ، ثم إن الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب ، وقال : لقد شربته فكشف عني الغموم ، وأزال عن ساحتي الأحزان [والهموم] ، وما أراد الطائر إلا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف ، فقال الملك : هذا أشرف شراب أهل الأرض ، وذلك أنه رأى شيخاً قد حسن [لونه]^(١) ، وقوى حيله ، وانبسط في نفسه ، وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم ، وجاد هضمه ، وجاءه النوم ، وصفا لونه ، واعتزته أريحية ، فأمر الملك [أن يكثر من غرس الكرم ، فكثر الفرس للكرم ، وأمر]^(١) أن يمنع العامة من ذلك ، وقال : هذا شراب الملوك ، وأنا السبب فيه ، فلا يشربه غيري ، فاستعمله الملك بقية أيامه ، ثم نما في أيدي الناس واستعملوه ، وقد قيل : إن نوحاً أول من زرعها ، وقد ذكرنا الخبر حين سرقها إبليس منه حين خرج من السفينة واستولى على الجودي في كتاب المبدأ وغيره من الكتب .

ذكر ملوك الموصل ونيوى (وم الأثوريون)^(١)

ولع من أخبارهم (وسيرهم)

نيوى : هي مقابلة الموصل ، وبينهما دجلة ، وهي بين قرى وما زندي مدينة نينوى من كور الموصل ، ونيوى في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — مدينة خراب فيها قرى ومزارع لأهلها ، وإلى أهلها أرسل الله يونس بن متى ، وآثار الصور فيها [بينة واضحة ، و]^(١) أصنام من حجارة مكتوبة على وجوهها ، وظاهر المدينة تل عليه مسجد ، وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه الصلاة والسلام ، ويأوى إلى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد .

(١) زيادة في ا وحدها .

بسوس وكان أول ملك بنى هذه المدينة ، وسَوَّر سورها : ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ، ويقال له بسوس بن بالوس^(١) ، فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة .

وكان بالموصل ملك آخر محارب لهذا الملك ، وكانت بينهما حروب ووقائع ، ويقال : إن ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن ممالك رجل من اليمن .

سميرم ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة ، يقال لها « سميرم^(٢) » فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل ، وملكها من شاطئ دجلة إلى بلاد أرمينية ومن بلاد أذربيجان إلى حد الجزيرة والجودي ، وجبل التيتل^(٣) إلى بلاد الزوزان ، وغيرها من أرمينية ، وكان أهل نينوى ممن سمينا نبيطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وإنما بان النبط عنهم بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة .

الأرسيس ثم ملكَ بعد هذه المرأة « الأرسيس^(٤) » ويقال : إنه كان ابنها ، وكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، ورجعت إليه الأرمن^(٥) ، وقد كانت الحروب بينهم سجالات في ملكه ، ثم غلبوا على أهل نينوى ؛ فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل .

ويقال : إن هذا الملك آخر ملوك نينوى ، [وقيل : إنه ملكَ بعده^(٦) عشرون] وكان يؤدى الضريبة^(٧) إلى ملك أرمينية ، ولهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط .

(١) في ب « سينوس بن بالوس » . (٢) في ب « سميرم » .

(٣) في ب « النيل » . (٤) في ب « رسيس » .

(٥) في أ « وزحفت إليه ملوك الأرض » . (٦) زيادة في أ وحدها .

(٧) في أ « وإن ملكاً من ملوك نينوى كانوا يؤدون الضريبة » .

ذكر ملوك بابل ، وهم ملوك النبط وغيرهم [المعروفين بالسكلدانيين]^(١)

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ، ومن ذوى العناية بأخبار ملوك العالم أن ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهّدوا الأرض بالعارة ، وأن الفرس الأولى إنما أخذت الملك من هؤلاء ، كما أخذت الروم الملك من اليونانيين .

وكان أولهم « نمرود »^(٢) الجبار ، وكان ملكه نحواً من ستين سنة ، وهو نمرود الجبار الذى احتقر أنهاراً بالعراق ، آخذة من الفرات ؛ فيقال : إن من ذلك نهر كوثى يطريق من طرق الكوفة ، وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد ، لاخفاء خبره وشهرته ، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيراً من أنهار العراق ، عند ذكرنا لملوك الفرس الأولى والثانية ، وغيرهم من ملوك الطوائف ، وإنما الغرض فى هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم ، والتنبيه على ما سلف من كتبنا .

وملك بعده « بولوس »^(٣) نحواً من سبعين سنة ، وكان عظيم البطش ، بقية ملوك بابل متجبراً فى الأرض ، وكانت فى أيامه حروب ، ثم ملك بعده « فيومنوس »^(٤) نحواً من مائة سنة ، باغياً فى الأرض على أهلها ، ثم ملك بعده « سوسوس »^(٥) نحواً من تسعين سنة ، ثم ملك بعده « كورش » نحواً من خمسين سنة ، ثم

(١) زيادة فى ا وحدها . (٢) فى ا « نمرود » بالبدال مهمة .

(٣) فى ب « أندلس » . (٤) فى ب « مرمونوس » .

(٥) فى ب « سوسوس » وفى هذه الأسماء اختلاف كثير ، وقد اكتفينا

بالتنبيه على أكثر هذا الاختلاف ، ولم نستوعبه لأنه لا طائل تحته .

ملك بعده « أذفر »^(١) نحواً من عشرين سنة ، ثم ملك بعده « سملا »^(٢) نحواً من أربعين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، ثم ملك بعده « بوسميس »^(٣) نحواً من سبعين سنة ، ثم ملك بعده « أنيوس » نحواً من ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « أفلاوس »^(٤) خمس عشرة سنة ، ثم ملك بعده « الحلوس » نحواً من أربعين سنة ، ثم ملك بعده « أومرنوس »^(٥) نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « كلوس »^(٦) نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « سيفروس »^(٧) نحو أربعين سنة ، وقد قيل دون ذلك ، وهلك ، ثم ملك بعده « مارتوس » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « وسطالم » أربعين سنة ، ثم ملك بعده « أمنوطوس »^(٨) نحو ستين سنة^(٩) ، ثم ملك بعده « تباوليوس » نحواً من خمسين سنة ، ثم ملك بعده [بعده]^(١٠) « العداس » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « أطيروس » نحو ستين سنة ، ثم ملك بعده « ساوساس » نحو عشرين سنة ، ثم ملك بعده « فارتينوس » نحو خمسين سنة ، وقيل : خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك بعده « سوساأدرينوس » نحو أربعين سنة ، ففتراهم ملك من ملوك فارس ، من عقب دارا ، ثم ملك بعده « مسروس » نحو خمسين سنة ، ثم ملك بعده « طاطايوس » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « طاطاوس » نحو أربعين سنة ، ثم ملك بعده « أفروس » نحو أربعين سنة ، ثم ملك بعده « لاوسيس » نحو خمسين سنة ، وقيل : خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك بعده « أفريقريس » نحو ثلاثين سنة^(١١) ثم ملك بعده « منظوروس » نحواً من عشرين سنة ، ثم ملك بعده « قولاقسما » نحواً

-
- (١) في ب « آمر »
 (٢) في ب « شبرم »
 (٣) في ب « فرسميس »
 (٤) في ب « إبلوس »
 (٥) في ب « أومرنوس »
 (٦) في ب « بكتلوس »
 (٧) في ب « سفروس »
 (٨) في ب « أميرطوس »
 (٩) في أ « نحواً من خمسين سنة »
 (١٠) زيادة في أ
 (١١) في أ « نحواً من خمسين سنة ، وقيل : اثنتين وأربعين سنة »

الجزء الأول : ذكر ملوك بابل (وهم الكلدانيون) ٢١٧

من ستين سنة ، ثم ملك بعده «هنقلس» خمساً وثلاثين سنة ، وقيل : خمسين سنة ، وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابئة ، وكذلك ذكر في كتاب التاريخ القديم ، ثم ملك بعده «مرحد»^(١) نحو ثلاثين سنة^(٢) ، ثم ملك بعده «مردوح» أربعين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «سنجاريب»^(٣) ثلاثين سنة ، وهو الذي أتى بيت المقدس ، ثم ملك بعده «نشوه منوشا»^(٤) ثلاثين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «بختنصر» الجبار خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك بعده «فرمودج»^(٥) نحو سنة ، ثم ملك بعده «بنطسفر»^(٦) نحو ستين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «منسوس»^(٧) نحو ثمان سنين ، وقيل : عشرًا ، ثم ملك بعده «موسا» سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «داونوس» إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من^(٨) ذلك ، ثم ملك بعده «كسرجوس» عشرين سنة ، ثم ملك بعده [«مرطياسة» تسعة أشهر وقتل ، ثم ملك بعده] «فنجست» إحدى وأربعين سنة ، ثم ملك بعده «أحترست» ثلاث سنين ، وقيل : سنتين وشهرين ، ثم ملك بعده «شعرياس» سنة ، وقيل : تسعة أشهر ، ثم ملك بعده «داريوس» عشرين سنة ، وقيل : تسع عشرة سنة ، [ثم ملك بعده «أطحست» تسعاً وعشرين سنة] ثم ملك بعده «دارو اليسع» خمس عشرة سنة ، وقيل : عشر سنين .

قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أئبنا على ذكرهم ، وأسمائهم ، ومدة ملكتهم ، وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة ، وهم الذين

- | | |
|----------------------|------------------------------|
| (١) في ا «سيموجد» . | (٢) في ا «نحو ثلاث سنين» . |
| (٣) في ب «سنجاريب» . | (٤) في ب «سوسا» . |
| (٥) في ب «فرمودج» . | (٦) في ب «نيطر» . |
| (٧) في ب «منسون» . | (٨) في ا «وقيل أقل من ذلك» . |

أعمال ملوك
بابل
شيدوا البنيان، ومدنوا المدن، وكوروا الكور، وحفروا الأنهار، وغرسوا
الأشجار، واستنبطوا المياه، وأثاروا الأرضين، واستخرجوا المعادن من
الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك، وطبعوا السيوف، وأخذوا عدة
الحرب، وغير ذلك من الحيل والمكايد، ونصبوا قوانين الحرب بالقلب
والميمنة والميسرة والأجنحة، وجعلوا ذلك مثالا لأعضاء جسد الإنسان،
ورتبوا لكل جزء نوتا من الأمة لا يوازيها غيرها؛ فجعلوا أعلام القلب
على صورة الثقل [والتنين]^(١) وما عظم من أجناس الحيوان، وجعلوا
أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع على حسب عظامها واختلافها في
أنواعها، وجعلوا في الأجنحة صور ما لطف من السباع كالنمر والذئب،
وجعلوا صور أعلام الكهنة^(٢) على صور الحيات والعقارب^(٣)، وما خفي
فعله من هوام الأرض، وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد وغيره
من الألوان الستة، وهي: السواد^(١) والبياض، والصفرة [والحمرة]^(١)
والخضرة، ولون السماء.

بحث في الألوان
وقد ذكر قوم أن الألوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها، ومنعوا أن
تكون الحمرة تشوب شيئاً من ذلك إلا ما لطف من أجزائها داخل في جملة
الأكثر من أشباه الحيوان من تلك الأعلام، وزعموا أن قضية القياس توجب
أن تكون سائر أعلام الحرب حمراء؛ إذ كانت أليق وأشكل بلون الدم، وأكثر
ملاءمة، إذ كان لونهما واحداً، لكن منع من ذلك استعمالها في حال الزينة والطرب
وأوقات السرور، واستعمال النساء والصبيان لها، وفرح النفوس بها، وأوجب ترك
ذلك، وإن حس البصر مشا كل لون الحمرة، إذ كان من شأنه أنه إذا أدر كها
انبسط نوره في إدراكها، وإذا وقع البصر على اللون الأسود اجتمع نوره ولم ينسبط

(١) زيادة في ا وحدها . (٢) في ب « الكيمياء » .

(٣) في ب « والعقبان » .

الجزء الأول : ذكر ملوك بابل (وهم الكلدانيون) ٢١٩

في إدراكه انبساطه في الحمرة ، وأن النسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين لون الحمرة الاشتراك ، والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون السواد .
وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الألوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها ، ومراتب الأنوار ، وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة ، والحد المشترك بين نورية حس البصر وبين لون الحمرة والبياض ، والحد المبين بين السواد وبين نور البصر ، دون سائر الألوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض ، وتغلغل القوم في هذه للعاني إلى ما علا من الأجسام السماوية من النيرين والخمسة ، واختلافها في ألوانها ، وإلى غير ذلك من الأشخاص العلوية .

وقد أتينا على ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا ، وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم^(١) في كتابنا « أخبار الزمان » ، وفي الكتاب الأوسط .

وقد ذهبت طائفة من الناس إلى أن هؤلاء الملوك كانوا من النبط وغيرهم من الأمم ، وأنه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقياً ببلخ ، والأشهر ما قدمناه ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم .

(١) في ١ « وأخلاقها » .

ذكر ملوك الفرس الأولى

وجمل من سيرهم [وأخبارهم] ^(١)

أصل الفرس - الفرس تخبر - مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أسابها ، ينقل ذلك باقٍ عن ماضٍ ، وصغير عن كبير - أن أول ملوكهم « كيومرث » ثم تنازعوا فيه ؛ فمنهم من زعم أنه ابن آدم ، والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم - وهم الأقلون عدداً - أنه أصل النسل وينبوع الذرء ، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن كيومرث هو أميم بن لاوذين إرم بن سام بن نوح ، لأن أميا أول من حلّ بفارس من ولد نوح ، وكان كيومرث ينزل بفارس ، والفرس لا تعرف طوفان نوح ، والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا ؛ ولم يكن عليهم ملك ، بل كانوا في مسكن واحد ، والله أعلم بذلك .

كيومرث
أول الملوك

وكان كيومرث أكبر أهل عصره ، والمقدم فيهم [وكان أول ملك نصب في الأرض - فيما يزعمون -] ^(٢) ، وكان السبب الذي دعا أهل ذلك العصر إلى إقامة ملك ونصب رئيس أنهم رأوا أكثر الناس قد جُبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ، ورأوا أن الشرير منهم لا يصلحه إلا الرهبة ، ثم تأملوا أحوال الخلق ، ونصرف شأن الجسم ، وصورة الإنسان الحساس الدراك ، فرأوا الجسم في بنيته وكونه قدرتب بخواص ^(٣) تؤدي إلى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما بورده إليه من أخلاقها ^(٤) في مداركها ، وهو معنى في القلب فرأوا صلاح الجسم بتدييره ، وأنه متى فسد تدييره فسد سائر ، ولم تظهر أفعاله المتقنة الحكمة ، فلما رأوا ^(٥) هذا العالم الصغير الذي هو جسد الإنسان المرئي ^(٦) لا تستقيم أموره ولا تنتظم أحواله إلا باستقامة الرئيس الذي قدمنا ذكره - علموا أن الناس لا يستقيمون إلا بملك ينصفهم ،

(١) زيادة في اوحدها . (٢) زيادة في ب . (٣) في ا « بحواس » .

(٤) في ا « مع اختلافها » . (٥) في ا « فلما رأوا » . (٦) في ا « المردي » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجمل من أخبارهم ٢٢١

ويوجه^(١) العدل عليهم ؛ وينفذ الأحكام على ما يوجهه العقل بينهم ، فساروا إلى كيومرث بن لاوذ^(٢) ، وعرفوه حاحتهم إلى ملك وقيم ، وقالوا : أنت أفصلنا ، وأسرفنا ، وأكبرنا ، وبقية أئينا ، وليس في العصر من يوازيك ، فردّ أمرنا إليك ، وكن القائم فينا ؛ فإننا تحت سمعك وطاعتك ، والقائلون بما تراه ، فأجابهم إلى مادعوه إليه ، واستوثق منهم بأكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه ، فلما وضع التاج على رأسه ، وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض ، [قام خطيباً و] قال : إن النعم لا تدوم إلا بالشكر ، وإنا نحمد الله [على أياديه] ونشكره على نعمه ، ونرغب إليه في مزيده ، ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه ، وحسن الهداية إلى العدل الذى به يجتمع الشمل ويصفو العيس ، فتقوا بالعدل منا ، وأنصفونا من أنفسكم يوردكم إلى أفضل ما في هممكم ، والسلام .

فلم يزل كيومرث قائماً بالأمر ، حسن السيرة في الناس ، والحال آمنة ، والأمة ساكنة طول مدته إلى أن مات .

ولهم في وضع التاج على الرأس أسرار يذكرونها أعربنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أئينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط . وذكروا أن كيومرث أول من أمر بالسكوت^(٣) عند الطعام ؛ اتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء ، وتسكن النفس عند ذلك ، فتدبر كل عضو من الأعضاء تدبيراً يؤدي إلى مافيه صلاحه من أخذ صفو الطعام ، فيكون الذى يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها ، ومافيه صلاحها ؛ فإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التقدير^(٤) إلى حيث انصباب الهمة ووقوع الاشتراك ، فأضر

(١) في ١ « ويوجب العدل فيهم » . (٢) في ب « كيومرث بن آدم »

(٣) في ١ « بالسكون » . (٤) في ١ « وجزء من التغذى » .

ذلك بالأنفس الحيوانية والقوى الإنسانية ، وإذا كان ذلك أدى إلى مفارقة
الذنس الناطقة لهذا الجسد المرئي ، وفي ذلك ترك للحكمة ، وخروج عن
الصواب .

ولهم في هذا الباب سر لطيف من أسرار السبب الذي بين النفس والجسم
ليس هذا موضعه ، وقد أتينا على ذكره في الكتاب المترجم « بسر الحياة »
وفي كتاب « الزلف » عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس
الحسية والخيلة والزراعة^(١) ، وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من
الفلاسفة وغيرهم .

وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا ؛ فمن الناس من رأى أن عمره ألف
سنة ، وقيل : دون ذلك ، وللجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه مبدأ
النسل ، وأنه نبت من نبات الأرض ، وهو الرياس^(٢) ، هو وزوجته ، وهما شابة
ومشابة^(٣) وغير ذلك مما يفحش إيراده ، وما كان من خبره مع إيايس ، وقتله
إياه ، وكان ينزل إصطختر فارس ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقيل :
أقل من ذلك .

ثم ملك بعده « أوشهنج^(٤) » بن فروال بن سيامك بن يرنيق بن كيومرث
الملك ، وكان أوشهنج ينزل الهند ، وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل : أكثر
من ذلك ، وقد تنوزع فيه ؛ فمنهم من رأى أنه أخ لكيومرث بن آدم ،
ومنهم من رأى أنه ولد الملك الماضي .

ثم ملك بعده « طهمورث^(٥) » بن نوبجهان بن أرخشذ بن أوشهنج ، وكان
ينزل سابور ، وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له « بوداسف » أحدث
مذاهب الصابئة ، وقال : إن معالي الشرف الكامل ، والصالح الشامل ، ومعدن
الحياة ، في هذا السقف الرفوع ، وإن الكواكب هي المدبرات والواردات

(١) في ١ « والنفس الغضبية والنفس الحسية والنفس الشهوانية » .

(٢) في ١ « وأنه نبت مثل نبات الأرض ، وهو الرياس » .

(٣) في ب « شانة ومشانة » (٤) في ب « هوشنج » .

(٥) في ب « طخمورث بن أنوجهان بن استعائين هوشنج » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجل من أخبارهم ٢٢٣

والصادرات ، وهي التي يمرورها في أفلاكها وقطعها مسافاتها واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة يتم ما يكون في العالم من الآثار : من امتداد الأعمار وقصرها ، وترك البسائط ، وانبساط المركبات ، وتتميم الصور ، وظهور المياه وغيبها ، وفي النجوم السيارة [و] في أفلاكها التدبير الأكبر ، وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والإيجاز ، واحتذى به جماعة من ذوى الصعف في الآراء ؛ فيقال : إن هذا الرجل أول من أظهر آراء الصابئة من الحرائين والكيماريين^(١) ، وهذا النوع من الصابئة مبانيون للحرانيين في نحلتهم ، وديارهم بين بلاد واسط^(٢) والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام ، فكان ملك طهمورث إلى أن هلك ثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده أخوه « جمشيد^(٣) » ، وكان ينزل بفارس ، وقيل : إنه كان في زمنه طوفان ، وذهب كثير من الناس إلى أن النوروز في أيامه أحدث وفي ملكه رسم ، على حسب ما نوره فيما يرد من هذا الكتاب ، كذلك ذكر أبو عبيدة متمر بن المثنى عن عمر المعروف بكسرى ، وكان هذا الرجل ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى ، وكان ملك جمشيد^(٣) إلى أن هلك ستمائة سنة ، وقيل : ستمائة سنة^(٤) وستة أشهر ، وأحدث في الأرض أنواعا من الصناعات والأبنية [والمهن] وادعى الإلهية .

ثم ملك بعده « بيوراسب » بن أروادسب بن رستوان بن نياداس بن طاح بيوراسب ابن قروال بن ساهر فرس بن كيومرث ، وهو الده آك ، وقد عرت أسماءه جميعاً فسماه قوم من العرب الضحاك ، وسماه قوم بهراسب^(٦) وليس هو كذلك ، وإنما اسمه

(١) في ١ « والكيماريين » (٢) في ب « في بلاد وسط إلخ » .

(٣) في أ « جم » (٤) في أ « وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر » .

(٥) في أ « بن ريدوان بن هاباس بن طاح بن فروال بن سيامك بن برس

ابن كيومرث » (٦) في أ « بهراسف » .

على ما وصفنا بيوراسب ، وقتل جمشيد^(١) الملك ، وقد تنوزع فيه : أمن الفرس كان أم من العرب ؟ فزعمت النرس أنه منها ، وأنه كان ساحراً ، وأنه ملك الأقاليم السبعة ، وأن ملكه كان ألف سنة ، وبغى في الأرض [وتمرد]^(٢) ، وللفرس فيه خطب طويل ، وأنه قد تغلب مغال في جبل دباوند^(٣) بين الري وطبرستان ، وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدم وتاخر ، وقد افتخر أبو نواس به ، وزعم أنه من اليمين ؛ لأن أبانواس مولى لسعد العشيرة من اليمين ، فقال :

وكان مِنَّا الضحَّاكُ نَعْبُدُهُ الْجَامِلَ والوحش في مساربها^(٤)

ملك أفريدون ثم ملك بعده « أفريدون » بن ألقابان بن جمشيد^(٥) ملك الأقاليم السبعة ،

فأخذ بيوراسب ، فقيده في جبل دباوند^(٦) على حسب ما ذكرنا ، وقد ذكر كثير

من الفرس ومن غنى بأخبارهم مثل عمر كسرى وغيره أن أفريدون جعل هذا اليوم

الذي قيد فيه الضحاك عيداً له ، وسماه المهرجان ، على حسب ما نوره بعد هذا

الموضع من هذا الكتاب ، وما قيل في ذلك ، وكانت دار مملكة أفريدون بابل

وهذا الإقليم يسمى باسم قرية من قراه يقال لها بابل ، على شاطئ نهر من أنهار

الفرات بأرض العراق ، على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ، ونهر النرس ،

وإليه تضاف الثياب النرسية ، وفي هذه القرية جب يعرف بجب دانيال النبي

عليه السلام ، تقصده النصارى واليهود في أوقات من السنة في أعيادهم ، وإذا أشرف

الإنسان على هذه القرية تبين فيها آثاراً عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت

كالروابي ، وذهب كثير من الناس إلى أن بها هاروت وماروت ، وهما الملكان

المذكوران في القرآن على حسب ما قص الله تعالى من تسمية هذه القرية ببابل .

وكان ملك أفريدون خمسمائة سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، وقيل : أكثر ، وقسم

الأرض بين ولده [الثلاثة]^(٧) ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء ممن سلف :

(١) في « جم » . (٢) زيادة في ١ . (٣) في ١ « دباوند » .

(٤) الجامل : جماعة الجمال ، ووقع في ب « يعبد الحائل » محرفاً .

(٥) في ١ « أفريدون بن اتقياد بن جم » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجل من أخبارهم ٢٢٥

من أبناء الفرس بعد الإسلام يذكر ولد أفريدون الثلاثة :

وَتَسَمَّنا مَلِكنا في دهرنا قسمة اللحم على ظهر وَضَمَّ
وجعلنا الشام والروم إلى معرب الشمس إلى الغطريف سلم^(١)
وأطوج جعل الترك له فبلاد الترك يحويها ابن عم^(٢)
ولإيران جعلنا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعم
وللناس فيما ذكرنا خطب طويل ، وأن بلاد بابل أضيفت إلى ولد
أفريدون وهو إيراج^(٣) ، وقتله أخوه في حياة أفريدون ، وهلك ، ولم
يخلص له الملك فيعد في ملوك .

وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية إضافة هذا الإقليم إلى إيراج^(٣)
وإسقاطهم الجيم ، وجعلهم النون بدلا منها ، فقالوا : إيران شهر ،
والشهر : الملك .

ثم ملك بعد أفريدون «منوجهر»^(٤) بن إيران بن أفريدون ، على حسب ملك منوجهر
ما ذكرنا من التنازع في نسبه وإخلافه بإيران بن أفريدون ، وكان ملكه عشرين
سنة ، وكان ينزل ببابل ، وقد قيل : إنه في زمانه كان موسى بن عمران ،
ويوشع ابن نون عليهما السلام ، وكان لمنوجهر^(٤) حروب مع عميه اللذين قتلا
أباه ، وهما أطوج وسلم ، وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا .
ثم ملك بعد منوجهر^(٤) «سهم» بن أبان بن ألقبان بن يود بن منوجهر^(٤) ، ملك سهم
فنزله بابل ، وملك ستين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وكانت له حروب كثيرة
وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » .

ثم ملك بعده « فراسياب » بن أطوج بن ياسر بن رامى بن آرس بن بورك ملك فراسياب

(١) « إلى الفطرى سلم » وفي « العطريف سلم ، وكلاهما تحريف .

(٢) في « ولطوح جعل الترك » وفيها « يحويها برغم » .

(٣) في « وهو إيرج » . (٤) في « منو شهر » .

(٥) في « سهم بن أبان بن ألقبان بن يود بن منو شهر » .

ابن ساسان بن زست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوح بن أفريدون^(١) الملك ، وكان مولد فراسياب ببلد الترك^(٢) ؛ فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره فزعم أنه تركي ، وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنتي عشرة سنة ، وعمره عند كثير من الناس أربعائة سنة .

ولانثني عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زوبن بهاست بن كجهور ابن عداسة بن رايرج بن راع بن ماسر بن يود بن منوجهر الملك^(٣) ، فهزمه وقتل أصحابه بعد حروب كثيرة ، وعمر ما خربته فراسياب .

وقد تنوزع في القدار الذي ملك فيه : ف قيل ثلاث سنين ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان مسكنه بابل ، والفرس كلام طويل في قتل فراسياب ، وكيفية قتله وحروبه ، وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات ، وما كان قتل سياوخس وخبر رستم بن دستان ، هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين^(٤) ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية ، وخبر اسفنديار بن كشتاش بن بهراسب^(٥) وقتل رستم بن دستان [له] ، وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم ، وغير ذلك من عجائب الفرس الأولى وأخبارها ، وهذا الكتاب تعظمه الفرس ؛ لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم ، وقد أنينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا . وقد قيل : إن أول من نزل من الملوك بسلخ وانتقل عن العراق كيكاووس^(٦) وقد كان سار نحو اليمن - بعد أن كان له بالعراق تمرّد على الله ، وبنيان ببناء لحرب

(١) في ١ « فراسياب بن باسير بن راي أرسن بن بورك بن سانياسب بن راسب بن نوح بن دور شرين بن طوح بن أفريدون » .

(٢) في ب « الترك » .

(٣) في ١ « زو بن بهاسف بن كجهور بن هراسف بن رايدنج بن راع بن باسير بن نوذر بن نو شهر » .
(٤) في ١ « السكيسران » .

(٥) في ١ « اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف » . (٦) في ١ « كيكاووس » .

الجزء الأول : ذكر ملوك العرس الأولى ، وجل من أخبارهم ٢٢٧

السماء - وكان ملك اليمن الذي سار إليه كيكاووس^(١) في ذلك الوقت شمر ابن فريقس^(٢) نخرج إليه شمر فأسره وحبسه في أضيق محبس ، فَمَوِيَّتُهُ ابنة لشمر يقال لها: سعدى ، كانت تحسن إليه في خِفْيَةٍ من أبيها ، وإلى من كان معه من أصحابه ، ومكث في محبسه أربع سنين ، حتى أسرى رستم بن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف ، فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس^(٣) واستنقذ كيكاووس^(١) ، ورَدَّه إلى مـلـكه ، وسعدى معه ، فاعتَلَّتْ عليه ، وأغرته بولده سیاوخش^(٤) ، حتى كان من أمره مع فراسياب التركي [ما قد شهر من] استئمانه إليه وتزوجه بابنته حتى حملت منه بكيخسرو ، وما كان من قتل فراسياب لسياوخش^(٤) ابن كيكاووس^(١) ، وقتل رستم بن دستان لسعدى ، وأخذ بـطائـلة سیاوخش^(٤) ، فقتل من قنله من وجوه الترك ، وعند الفرس على ما في كتاب السكيكين^(٥) أن كيخسرو كان قبله على الملك جده لأبيه ، وهو كيكاووس^(١) [ولم يعلم ممن هو] ولم يكن لكيخسرو عقب ؛ فجعل الملك في بهراسف ، وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ ، وكانت دار مملكتهم ، وكان يدعى نهر بلخ - وهو جيحون - بلقتهم كالف ، وكذلك يسميه كثير من أعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم .

فلم يزلوا كذلك إلى أن صار الملك إلى «حاي» ابنة بهمن^(٦) بن إسفنديار . ابن يستاسف بن بهراسف ، فانتقلت إلى العراق ، وسكنت نحو المدائن .

ثم كان بعد كيخسرو بن سیاوخش^(٤) بن كيكاووس^(١) الملك إلى لهراسب «لهراسب» بن قنوج بن كيمس بن كيناسس بن كيناسة بن كيقباز الملك^(٧) ، فعمر البلاد ، وأحسن السيرة لرعيته ، وشملهم عدله .

(١) في ١ « كيقاوس » . (٢) في ١ « شمر بن يرعش » .

(٣) في ١ « يرعش » (٤) في ١ « سیاوخش »

(٥) في ١ « السكيكران » . (٦) في ١ « حماية بنت بهمان » .

(٧) في ١ « بهراسف بن قيوجي بن كيمش بن كيناسين بن قباز الملك » .

ولسنتين^(١) خلت من ملكه نال بني إسرائيل منه مِحْنٌ ، وَشَتَّتَهُمْ
في البلاد ، وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها .
وذكر في بعض الروايات من أخبار الفرس أنه بنى بلخ الحساء ؛ لما
فيها من المياه والشجر والمروج .

وكان ملكه مائة وعشرين سنة ، وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان
منهم في حصاره وَمَنْ أَخَذَ بَثَّارَهُ بعد قتله في كتب قدماء الفرس .

وقد ذكر كثير ممن عُنِيَ بأخبار الفرس أن يختصر مَرْزُبَانَ العراق
والمغرب كان من قِبَلِ هذا الملك ، وهو الذي وطىء الشام ، وفتح بيت
المقدس ، وسبى بني إسرائيل ، وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر ،
والعامة تسميه البخت ناصر^(٢) ، وأكثر الإخباريين وَالْقَصَاصُ يغالون في
أخباره ، ويبالغون في وصفه ، والمنجمون في زيجاتهم وأهل التواريخ في كتبهم
يجعلونه ملكاً [برأسه] ، وإنما كان مَرْزُبَانًا على ما وصفنا الملوك ممن
ذكرنا ، وتفسير مرزبان يراد به صاحب رُبْع من المملكة [وقائد عسكر
وزير]^(٣) وصاحب ناحية [من النواحي] ، وواليها ، وقد كان حل
سبايا بني إسرائيل إلى الشرق ، وتزوج منهن امرأة يقال لها دينار^(٤) ،
فكانت سبب ردِّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس .

وقيل : إن دينار^(٤) أولدها لهراسب بن كشتاسب^(٥) ، وقيل غير ذلك
من الوجوه ، وإن حماية^(٦) من نسل بني إسرائيل من أمها .

وقيل : إن بهراسف قد كان أَنْفَذَ سنجاريبـو كان خليفته على العراقـ
إلى حرب بني إسرائيل فلم يصنع شيئاً ، فعقب بعده بالبخت نصر ، وقيل

(١) في ١ « ولستين خلت من ملكه » .

(٢) في ١ « البخت نصر » . (٣) زيادة في ١

(٤) في ١ « يقال لها دينا زاد » .

(٥) في ١ « وقد قيل : إن دينا زاد ولدها بهراسف بن يستاسف » .

(٦) في ب : « حناى » مع أن فيها من قبل « حاي » .

بختصر

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجل من أخبارهم ٢٢٩

في البخت نصر غير ما ذكرنا مما سنورده بعد هذا الموضع في ذكر ملك بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف .

وقد أُرِخ بطليموس صاحب كتاب المجسطى تاريخ كتابه من عهد بخت نصر مَرزُبان المغرب ، وأُرِخَ ثاون صاحب كتاب القانون في النجوم من مملكة الإسكندر بن فيلبس المقدوني .

ثم ملك بعده ابنه يستاسف ، وكان منزله بلخ ، ولثلاثين سنة خلت من ملكه أتاه زرادشت بن أسبيان ، وقيل : إنه زرادشت بن بورشف بن فذراسف بن أريكندسف بن همدسف بن ححيتس بن باتير بن أرحدس بن هردار بن أسبيان بن واندست بن هايزم بن أرج بن دورشرين بن منوشهر الملك ، وكان من أهل أذربيجان ، والأشهر من نسبه أنه زرادشت بن أسبيان ، وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمنة عند عوام الناس ، واسمه عند المجوس بستاه^(١) وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول ، وأخبر عن الكائنات من الغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات ، والكليات هي الأشياء العامة ، والجزئيات : هي الأشياء الخاصة ، مثل زيد يموت يوم كذا ، ويمرض فلان في وقت كذا ، ويولد فلان في وقت كذا ، وأشبه ذلك ، ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفاً من أحرف المعجم ، وليس في سائر اللغات أكثر حروفاً من هذا ، ولهم خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وأتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن إيراد مثلها ، ولا يدركون كنه مرادها ، وسند بكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ما أتى به زرادشت^(٢) ، وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير ، وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب ، فيه وعدو وعيد ، وأمر ونهي ، وغير ذلك من الشرائع والعبادات ؛ فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب

(١) في ب « نسياء » (٢) في ١ . ما أبانه زرداشت ه -

إلى عهد الإسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا ، فأحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب .

ثم صار الملك بعد الطوائف إلى أردشير بن بابك ، فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إسناد ؛ فالفرس [والمجوس] إلى هذا الوقت لا يقرؤن غيرها ، والكتاب الأول يسمى بثناه^(١) .

ثم عمل زرادشت تفسيراً عند مجزهم عن فهمه ، وسموا التفسير زندا ، ثم عمل للتفسير تفسيراً ، وسماه بازند ، ثم عمل علماءهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرنا ، وسموا هذا التفسير بارده ؛ فالمجوس إلى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل ، فصار علماءهم وموابذتهم^(٢) يأخذون كثيراً منهم بحفظ أسباع من هذا الكتاب وأرباع وأثلث ، فيبتدئ [كل] واحد بما حفظ من جزئه فينلوه ، ويتبدىء الثاني منهم فيتلو جزءاً آخر ، والثالث كذلك ، إلى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب ؛ لعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال ، وقد كانوا يقولون : إن رجلاً [منهم] بسجستان بعد الثلاثمائة مستظهر بحفظ هذا الكتاب على الكمال . وكان ملك يستأسف إلى أن تمجس ثم هلك عشرين ومائة سنة ، وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمساً وثلاثين سنة ، وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة .

خاناس خليفة زرادشت ولما هلك زرادشت ولي مكانه « خاناس »^(٣) العالم ، وكان من أهل أذربيجان وهذا أول موبذ قام فيهم بعد زرادشت ، نصبه لهم يستأسف الملك . ثم ملك بعده « بهمن » بن إسفنديار بن يستأسف بن بهراسف ، وكان له حروب كثيرة مع رستم صاحب سجستان إلى أن قتل رستم ووالده دستان ، وقيل : إن أم بهمن كانت من بنى إسرائيل من ولد طالوت الملك ، وإنه هو الذي بعث

(١) في ب « نسياء » .

(٢) في ا « وهرا بذتهم » .

(٣) في ب « حاماس » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجمل من أخبارهم ٢٣١

بالبختنصر مرزبان العراق إلى بني إسرائيل ، فكان من أمرهم ما وصفنا ، وكان ملك بهمن إلى أن هلك مائة واثنى عشرة سنة ، وقيل : إنه في ملكه ردّ بقايا بني إسرائيل إلى بيت المقدس ، فكان مقامهم بيبابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس سبعين سنة ، وذلك في أيام كورش^(١) العارسي الملك على العراق من قبل بهمن ، وبهمن يومئذ بيلخ ، وقد قيل : إن أم كورش^(٢) كانت من بني إسرائيل ، وكان دانيال الأصغر خاله ، وكانت مدة ملك كورش^(٣) ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي وجه آخر من الروايات أن كورشا^(٤) كان ملكاً برأسه لا من قبل بهمن ، وذلك بعد انقضاء ملك بهمن ، وأن كورشا^(٥) من ملوك الفرس الأولى ، وليس هذا عاماً في كتب التواريخ القديمة ، ودانيال الأكبر كان بين نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام ، وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الأزمان إلى أن تنقضي الأرض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور [والأيام]^(٦) من الحوادث ، ودلائل ذلك في الأفلاك [وإليه ينسب كتاب الجفر]^(٧) ، ولما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خُبئت فيها من الأرض على ما قدمنا .

ثم ملكت «حمية»^(٨) بنت بهمن بن إسفنديار بن يستاسف [بن بهراسف] حمية وكانت تعرف بأما شهر زاد ، وهذه الملكة سيرة حروب مع الروم وغيرهم من ملوك الأرض ، وكانت حسنة السياسة لأهل مملكتها ، وكان ملكها بعداً بينها بهمن ثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك^(٩) .

ثم ملك [بعدها] أخ لها يقال له «دارا» بن بهمن بن إسفنديار ، وكان ملكه اثنى عشرة سنة ، وكان ينزل بيبابل .

ثم ملك «دارا» بن دارا بن بهمن بن إسفنديار [بن يستاسف بن بهراسف] دارا بن دارا

(١) في ب «كورش» . (٢) زيادة في واحد .

(٣) في ب «حمى» . (٤) في أ «وقيل أكثر من ذلك» .

والفرس تسمى دارا هذا باللغة الأولى من لغاتهم داريوس^(١) ، وهو الذي قتله الإسكندر بن فليس المقدوني ، وكان ماله إلى أن قتل ثلاثين سنة . وقد ذكر أن منوشهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار إلى جبل^(٢) طبرستان فتحصن به ، ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل ، فحارب فراسياب التركي ، وقد وطىء العراق ، وغلب على الأفاليم ، فهرب إلى أرض الترك ، وأن الملك صار بعد منوشهر إلى أخوين ، وقيل : بل كانا شريكين في الملك متظاهرين متعاونين على عمارة الأرض وما خربته فراسياب : أحدهما « بهماسف » بن كنجهر بن ورزق بن هو مسف بن واحدسك بن دوس بن منوشهر ، والآخر « كرشاسف » ابن يمار بن طماسف بن أشك بن فرسين بن أرج بن منوشهر ، وكان كرشاسف محاربا لفراسياب ، ومنازلا له ، والآخر وهو زاب بالعراق : يعمر ما خربه فراسياب من الأرض ، واحتفر النهرين المعروفين بالزاين الصغير والكبير ، على ما قدمنا من ذكرهما في هذا الكتاب ، الخارجين من بلاد أرمينية الصائبين في دجلة : الأكبر بين الموصل والحديثة ، والآخر ببلاد السن^(٣) وسماها باسمه ، وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماها بالزاب ، وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طساسيج^(٤) من الضياع والمائر وأسمائها الزوابي ، وما ذكرنا فهو باقٍ إلى هذه البقاية ، وأن مملكتها كانت ثلاث سنين ، وأن كيخسرو لما قتل جده ببلاد السرو^(٥) والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن بشنك بن نبت بن نشمر ابن ترك^(٦) ، وترك هذا جده سائر الترك عند طائفة من الناس من ولد يسب بن طوح بن أفریدن ، وقد قدمنا وجهها من الرواية في نسبه فيما سلف من هذا

(١) في ب « دارابنوس » . (٢) في ا « جبال طبرستان فتحصن بها »

(٣) في ب « الصين » . (٤) في ب « طساسيم » .

(٥) في ب « ببلاد السن والران » .

(٦) في ب « وهو فراسياب بن سيمك بن تبت بن ديشهر بن ترك » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجمل من أخبارهم ٢٣٣

الكتاب ، وسار كيخسرو في البلاد ، ووطىء الممالك ، واتهى إلى بلاد الصين ؛ فبنى هناك مدينة عظيمة ، ومماها كنكدر ، وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم أنموأ وغيرها من مدنهم ، وقد قيل : إن كنكدر هي أنموأ بعينها ، وقد قيل : إن كيقاوس بنى مدينة قشмир المقدم ذكرها بأرض السند^(١) ، وإن سياوخس^(٢) بنى في حياة أبيه كيقاوس مدينة القندهار^(٣) من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب .

قال المسعودى : ولمن ذكرنا من هؤلاء الملوك أخبار وسير قد آتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا ، وإنما نذكر في هذا الكتاب جوامع ، مُنبِّهين^(٤) بها على ماسلف من مبسوطها ، وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ؛ ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا الجهد من أنفسنا ، وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه ، وبالله التوفيق ، ومنه الإعانة .

(١) في « بأرض الهند » . (٢) في ب « سياوخس » .

(٣) في ب « مدينة المهرجان » . (٤) في ب « نبى بها » .

ذكر ملوك الطوائف

وهم بين الفرس الأولى والثانية

أصل ملوك
الطوائف

قال المسعودي : وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف : أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب ؟ فحكى جماعة من الأخباريين ممن عني بأخبار الماضين أنه لما قتل الإسكندر بن قليس دارا بن دارا تغاب كل رئيس ناحية على ناحيته ، وكاتبهم الإسكندر ، فمنهم فرس ونبط وعرب ، وكان مراد الإسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزيبهم ، وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به ، فيندم^(١) نظام الملك ، والانتقاد إلى ملك واحد يجمع كلمتهم [ليرجع إليه الأمر] ، إلا أن أكثرهم كانوا يتقادون إلى الأشعانيين^(٢) ، وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهذان وماسبدان^(٣) وأذربيجان ، وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الأعم أشغان ؛ فقليل لسائر ملوك الطوائف « الأشعانيون » إضافة لهم إلى ملك هذا الصقع لانتقادهم إليه .

وقد حكى محمد بن هشام الكلبي عن أبيه وغيره من علماء العرب أنهم قالوا : أول ملوك الدنيا الأسكيان^(٤) ، وهم من سميना من ملوك من سلف من الفرس الأولى إلى دارا بن دارا ؛ ثم الأردوان ، وهم ملوك النبط ، وكانوا من ملوك الطوائف ، وكانوا بأرض العراق مما يلي قصر ابن هيرة وسقى الفرات والجامعين وسورا وأحمد آباد والفرس إلى حنبا وتل فخر^(٥) والطفوف وسائر ذلك الصقع ، وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار ، والنصرية من بني نصر من الين وغيرهم من قحطان لهم ملوك ، وقد نصبت كل طائفة لها ملكا ؛ لعدم ملك يجمع كلمتهم ،

(١) في « فيعدم نظام الملك ، ولا يتقاد إلى ملك واحد »

(٢) في ب « الأشعانيين »

(٣) في ب « وماسبندان »

(٤) في ب « الكينان »

(٥) في ب « جبالوتل فخر »

وذلك أن الإسكندر أشار عليه معلمه وهو وزيره أرسطاطاليس، في بعض رسائله إليه بذلك، وكاتب الإسكندر ملك كل ناحية، وملكه على ناحيته، وتوجه وحجابه، فاستبد كل واحد منهم بناحية، فصار ملكه من بعده في عقبه، مانعاً عما في يده، وطالباً للزيادة من غيره.

وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عني بأخبار الماضين، ومعرفة سنينهم : خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة، وذلك من ملك الإسكندر إلى أن ظهر أردشير بن بابك [بن ساسان] فغلب على ملوك الطوائف، وقتل أردوان الملك بالعراق، ووضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله [في] مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم يعد منه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف، وتمهدت له البلاد، واستقامت دعائمها^(١) بملكه، فمن ملوك الطوائف من قتله أردشير ابن بابك، ومنهم من انقاد^(٢) إلى ملكه وأجاب دعوته.

وملوك الطوائف بين الفرس الأولى ممن سمينا، وبين الفرس الثانية، وهم الساسانية.

وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي^(٣) عن عمر كسرى في كتاب له عدة ملوك الطوائف في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم من سلف وخلف، وأخبارهم، وخطبهم وتشعب أنسابهم، و[وصف] ما بنوه من المدن، وكوروه من الكور، واحفروه من الأنهار، وأهل البيونات منهم، وما وسم به كل فريق منهم، من الشهارجة وغيرهم : أن أول ملك من ملوك الطوائف « أشك » بن أشك بن أردوان ابن أشغان بن آس الجبار بن سياوش بن كيقاوس الملك العشرين سنة، ثم ملك بعد أشك « سابور »^(٤) بن أشك الملك ستين سنة، وفي إحدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بإياليا، ثم ملك ظهور المسيح

(٢) في ب « من فاده »

(١) في ب « دعائها »

(٣) في ا « البنجي » (٤) في ا « ثم ملك بعده أشك سابور بن أشك » محرفاً

« جودرز » بن أشك بن أردوان بن أشغان عشر سنين ، ثم ملك « نيزر »^(١) بن سابور الملك بن أشك الملك إحدى وعشرين سنة ، وقيل : إنه في أيامه سار تطوس ابن أسفانيوس^(٢) ملك رومية إلى إيليا ، وذلك بعد ارتفاع المسيح بأربعين سنة فقتل [وأسر] وسبي وخرب ، ثم ملك بعد نيزر بن سابور ابنه « جودرز » ابن نيزر تسع عشرة سنة ، [ثم ملك بعد جودرز نرس بن نيزر أربعين سنة]^(٣) ثم ملك بعده أخوه « هرمز » بن نيزر عشرين سنة^(٤) ، ثم ملك « أردوان » ابن هرمز بن نيزر خمس عشرة سنة ، ثم ملك بعد أردوان ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة ، ثم ملك بعد كسرى ابنه بلاس بن كسرى أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعد بلاس ابنه أردوان بن بلاس ثلاث عشرة سنة^(٥) .

قال المسعودي : فهذا وجه آخر غير ما قدمنا [ذكره] ، وقد قيل في تاريخ سني ملوك الطوائف غير ما وصفنا ، وإن مدتهم كانت أقل مما وصفنا ، والأول أشهر وأصح في مقدار ما ملكوا من السنين ، مع تباين التواريخ [واختلافها] وتضاد ما فيها ، غير أن الذي حكيناه ما أخذناه عن علماء الفرس ، وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم ؛ لأن الفرس تدين بما وصفنا قولاً وعملاً ، وغيرهم من الناس يقول ذلك [قولاً] ولا ينقاد إليه عملاً ؛ لتباين أهل الشرائع ، وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الفرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق .

(١) في ب « نيزر » (٢) في ب « نطوس بن أشغانوس »

(٣) لا توجد هذه الزيادة في ب . (٤) في ا « خمساً وعشرين سنة »

(٥) وقع في نسخة ب في هذا الموضع نقص كثير في عدد الملوك وتغيير أسمائهم ؛

فالعمدنا على ا

ذكر أنساب فارس ، وما قاله الناس في ذلك

تنازع الناس في الفرس وأنسابهم : فمنهم من رأى أن فارس ابن ياسور^(١)
ابن سام بن نوح ، وكذلك النبط من ولد نبيط بن ياسور^(٢) بن سام بن نوح ، اختلاف العلماء
في أنسابهم وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه وغيره من علماء العرب ؛ ففارس
ونبيط أخوان [وهما] ابنا ياسور^(١) ، ومنهم من زعم أنه من ولد يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم ، ومنهم من
ذكر أنه من ولد إرم^(٢) بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ولد [له]
بضعة عشر رجلاً كلهم كان فارساً شجاعاً فسموا الفرس بالفروسية ، وفي
ذلك يقول حطان بن المعلى^(٣) الفارسي :

وَبِنَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ فُرْسًا نَا ، وَمِنَّا مَنَاجِبُ الْفُرْسَانِ
وَكُهُولٌ طَوَاهِمُ الرَّكْضِ وَالْكِرْكُ كَمِثْلِ الْكُرَاتِ يَوْمَ الطَّلَعَانِ
وقد زعم قوم أن الفرس من ولد لوط من ابنتيه ، زُهي ورَعوى ،
ولأصحاب التوراة في هذا خبر طويل ، وذكر آخرون أنهم من ولد بَوَّان
ابن [إيران بن] الأسود بن سام بن نوح ، وبَوَّان هذا هو الذي ينسب
إليه شِعبُ بَوَّان من بلاد فارس ، وهو أحد المواضع المشهورة في العالم
بالحسن ، وكثرة الأشجار ، وتدفق الميناء ، وكثرة أنواع الأشجار ، وقد
ذكره بعض الشعراء فقال :

فَشِعبُ بَوَّانِ فَوَادِي الرَّاهِبِ قَمَّ نُلْقَى أَرْحُلَ النِّجَابِ^(٤)
ومنهم من رأى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، وقد قدمنا في صدر

(١) في ب « ناسور » (٢) في ا « هدرام بن إرفخشذ »

(٣) في ا « خطاب بن المعلى »

(٤) وقع في ب « شِعبُ بَوَّانِ فِدَارِ الرَّاهِبِ . . . راحة النوايب » وفي « فَشِعبُ
بَوَّانِ وَوَادِي النَوَائِبِ » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

هذا الكتاب أخبار ولد أفريدون حين قسم الأرض بينهم ، وما قاله الشاعر في ذلك من قوله :

ولإيران جعانا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعم^(١)

فأضيف الفرس إلى ذلك، وإيران تسميه الفرس^(٢) إرج إذا عرفوا اسمه ، ولاتناكر بين الفرس جميعاً في أنهما من ولد إرج جميعاً، وإرج هو إيران بن أفريدون هذا هو المستفيض بينهم ، والأغلب عليهم : أنهم من آل إرج، ومن الناس من ذهب إلى أن سائر أجناس الفرس وأهل كور الأهواز من ولده عيلام، ولا خلاف بين الفرس في أن الجميع منهم من ولد كيومرث [وهذا هو الأشهر ، وكيومرث هو قبل إرج بن أفريدون، وإرج بن أفريدون هو الذي ترجع إليه فارس من ولد كيومرث]^(٣) ومن الناس من ذهب إلى أن الفرس الثانية - وهم الساسانية - دون من سلف من الفرس الأولى هم من ولد منو شهر بن [إرج بن] أفريدون، ومنهم من ذهب إلى أن منو شهر^(٤) هو ابن مشجر بن فريقس بن ويرك ، وويرك هو إسحاق بن إبراهيم الخليل، وسار مشجر إلى أرض فارس، وكان بها امرأة مملكة يقال لها كورك^(٥) ابنة إرج ، فتزوجها ، فولدت له منو شهر الملك ، وكثر ولده ، فملكوا الأرض ، وغابوا عليها ، وهابتهم الملوك، لما هم عليه من الشجاعة والفروسية، وودثرت الفرس الأولى كدثور الأمم الماضية والعرب العاربة . قال المسعودي : وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا، ويعمل عليه في بدء النسب ، وينقاد إليه كثير من الفرس، ولا ينكرونه ، وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد، وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس، وأنها من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، فقال في ذلك إسحاق بن سويد

(١) في ١ « فارس الروم » (٢) في ب « إرج »

(٣) هذه الزيادة في ب وحدها

(٤) في ب « هو ابن مسحر بن أفريس ، وترك هو — إلخ »

(٥) في ١ « كورك »

العدوى عدى قريش :

إذا افتخرت قحطان يوما بسودٍ أتى نخرنا أعلى عليها وأسوداً
ملكناهم بدءاً بإسحاق عمنا وصاروا لنا غرماً على الدهر أعبداً^(١)
فإن كان منهم تبع وابن تبع فأملأكم كانوا لأملاكنا يدا
ويجمعنا والغرأ أبناء سيرة أبٌ لا يبالى بعده من تفرداً^(٢)
هم ملكوا شرفاً وغرباً ملوكهم وهم منحوهم بعد ذلك سوداً

وفي ذلك أيضاً يقول جرير بن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بأن
الفرس والروم من أولاد إسحاق ، والأنبياء من ولد يعقوب بن إسحاق بن
إبراهيم عليهم السلام ، من كلمة طويلة يقول فيها :

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا حائل موت لابسين السوراً
إذا افتخروا عدوا الصبيذ منهم وكسرى وعذو الهرمزان وقيصراً
وكان كتاب الله فيهم ونوره وكانوا ياصطخر الملوك وتشتراً
ومنهم سليمان النبي الذي دعا فأعطى بنيانا وملكاً مقدراً
أبونا أبو إسحاق ، يجمع نيننا أبٌ كان مهدياً نبياً مطهراً^(٣)
[بنى قبلة الله التي يهتدى بها فأورثنا عزاً وملكاً معمرأ]^(٤)
[وموسى وعيسى والذي خرساجداً وأنبت زرعاً مع عيذه أخضرأ]^(٥)
[ويعقوب منهم ، زاده الله حكمة وكان ابن يعقوب نبياً مطهراً]^(٥)
ويجمعنا والغرأ أبناء فارس أبٌ لا يبالى بعده من ناخراً
أبونا خليل الله ، والله ربنا ، رضينا بما أعطى الإله وقدرأ

(١) في ١ « بإسحاق جدنا » وفيها « وصاروا لنا غرماً »

(٢) في ١ « ويجمعنا والغرأ » (٣) في ب « مهدياً وملكاً معمرأ » محرفاً

(٤) هذا البيت لا يوجد في ب (٥) سقط هذان البيتان من أ

وفي ذلك يقول بشار بن برد :

نمتنى الكرام بنو فارس قُرْبَشٌ ، وقومي قُرَيْشُ العجم
وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنه من ولد إسحاق ، وأن إسحاق هو
المسمى ويرك ، على حسب ما قدمنا قبل ، من كلمة له :

أبونا ويرك ، وبه أسامي إذا نخر المفاخر بالولادة^(١)

أبونا ويرك عبدُ رسول له شرف الرسالة والزَّهَادَة^(٢)

فمن مثلي إذا افتخرت قرون ويتقى مثل واسطة القلادة؟

ومن الفرس من يزعم أن ويرك هو ابن أيرك بن بورك^(٣) ابن سبع
نسوة تولدن من غير ذكر إلى أن يلحقن في نسبهن بأيرج بن أفريدون ،
وهذا مما يدفعه العقل ، ويأباه الحس ، ويخرج عن العادة ، وتنبؤ عنه
المشاهدة ، إلا ما خص الله تعالى به السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام
ليرى^(٤) آياته ودلائله الخارجة عن العادة ، وعما ذكرنا من المشاهدات .

والفرس همنا منازعات في نسب منو شهر ، واضطراب في كيفية إلحاقه
بأفريدون وفي وطء أفريدون لبنت أيرج ، ووطئه بنت البنت إلى السبع منهن .
وقد كان بين ملك منو شهر على ما ذكرنا وبين ملك أفريدون مدة
خَلَّتْ من الدهر ، وعدة من الملوك ؛ لتخرب كان بإقليم بابل ، وعدم ذى همة
تفقاد إليه المماكة ، ويستقيم له الملك ، وتجتمع عليه الكلمة ، فانتقل الملك
من ولد أفريدون إلى ولد إسحاق .

فإن كان كل ما ذكرناه هو المعول عليه من قول هذه الطائفة فيجب —
على ما يوجبه الحساب — أن من كيو مرث إلى انتقال الملك إلى ولد إسحاق
ألفاً وتسعمائة واثنين وعشرين سنة ، كذلك وجدت في كتب تواريخ هذه
الطائفة بأرض فارس وبلاد كرمان .

(١) في ب « أبونا وترك وبه أحاجي » (٢) في أ « شرف الرسالة والرفادة »

(٣) في أ « أنوترك ابن أبريك وأن أبريك - إلخ » (٤) في ب « ليؤدى »

قال المسعودي : وقد افتخر بعض أبناء الفُرس بعد التسعين والمائتين بحده
إسحاق بن إبراهيم الخليل ، على ولد إسماعيل ، بأن الذبيح كان إسحاق دون
إسماعيل ، فقال من كلمة له :

قُلْ لِبْنِي هَاجِرُ أَبْنَتْ لَكُمْ ما هذه الكبرياء والعظمة ؟
أَلَمْ تَكُنْ فِي الْقَدِيمِ أُمِّكُمْ لَأَمْنًا سَارَةً الْجَمَالِ أُمُّهُ ؟
وَالْمَلِكُ فِينَا وَالْأَنْبِيَاءُ لَنَا إِنْ تُنْكِرُوا ذَاكَ تَجِدُوا ظِلْمَهُ
إِسْحَاقُ كَانَ الذَّبِيحَ ، قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ إِلَّا ادْعَاءَ لَهُ
حَتَّى إِذَا مَا مُحَمَّدٌ أَظْهَرَ الدِّينَ وَجَلَّى بَنُورَهُ الظُّلْمَةَ
قَاتِمٌ : قَرِيشُ الْأَحْسَابِ مَفْخَرَةٌ أَصْلُ لَنَا ، إِنْ كُنْتُمْ بَنِيهِ فَمَهْ (١)
[أَمَا بَنُو يَعْزَبٍ فَلَيْسُوا كُنْ أَسْكَنَهُ اللَّهُ آمَنًا حَرَمِهِ (٢)
زَ وَلَا كَأَبْنَاءِ فَارَسَ ، وَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْأَسْوَدِ فِي الْأَجْمَةِ (٣)
وهي قصيدة طويلة ، ذكر فيها كلاماً كثيراً لم يسعنا ذكره ، وقد أجابه
عبد الله بن المعتز ، وكان قاتل هذه القصيدة في عصره ، وعُمر إلى أن مضت
النلماته ، بناقضه في أبيات منها ؛ فمن ذلك قوله :

أَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا أَرَى أَحَدًا مِنْ ذَا الشَّقَى الَّذِي أَبَاحَ دَمَهُ ؟
حَاشَا لِإِسْحَاقَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ أَبَا ، وَإِنْ كُنْتُمْ بَنِيهِ فَمَهْ
قَوْلًا لِكَلْبٍ يَرَى لِبَطْشَتِهِ قَدْ فُغِرَ اللَّيْثُ لِلْفَرَّاسِ فَمَهْ (٣)
والفرس لا ينقاد إلى القول بأن الملك كان فيها لأحد غير ولد أفريدون
في عصر من الأعصار فيما سلف وخاف إلى أن زال عنهم الملك ، إلا أن يكون
دخل عليهم داخل على طريق الغصب بغير حق .

(١) وقع هذا البيت في هكذا :

قلتم فرين والفخرى الدين لا أا أحساب ، إن كنتم بنيه فمه
(٢) سقط هذان البيتان من ا (٣) في ا « برى لفظنه »
(١٦١ - مروح الذهب ١١)

الفرس
يحبون البيت
وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به ، تعظيماً له ،
ولجدها إبراهيم عليه السلام ، وتمسكاً بهديه ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر
من حج منهم ساسان بن بابك [وهو] جد أردشير بن بابك ، وهو أول ملوك
ساسان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع ملوك الروانية إلى مروان بن الحكم ،
وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب ، ولم يل الفرس الثانية أحد إلا
من ولد أردشير بن بابك هذا ، فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم
على بئر إسماعيل ، فقيل : إنما سميت زمزم لزمزمت عليها ، هو وغيره من فارس ،
وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر ، وفي ذلك يقول
الشاعر في قديم الزمان :

زَمَزَمَتِ الْفُرسُ عَلَى زَمَزِمَ

وذاك من سالفها الأقدم

وقد افترق بعض شعراء الفرس يعد ظهور الإسلام بذلك ، فقال
من كلمة :

وما زلنا نخرج البيت قِدَمًا ونُلْقَى بالأباطح آميناً^(١)

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق يطوف ديناً^(٢)

فطاف به ، وزمزم عند بئر لإسماعيل تُرْوِي الشاربينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان ، وجواهر ،
وقد كان ساسان بن بابك [هذا] أهدي غزالين من ذهب وجوهر أوسيوفاً
وذهباً كثيراً فقذفه^(٣) في زمزم .

وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك

(١) في ١ « ونلقى بالأباطح » .

(٢) في ١ « لنصر ديننا » .

(٣) في ١ « فدفن في زمزم » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٤٣

كان لجرم حين كانت بمكة ، وجرم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها ،
ويحتمل أن يكون لغيرها ، والله أعلم .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما كان من فعل عبد المطلب بهذه
الأسياف وغيرها مما أودع في زمزم .

وللناس في [هذه] الأنساب تنازع في بدئها وتشعبها ، وقد ذكرنا من ذلك
جملاً ، وأوردنا منه جوامع يكتفي ذو المعرفة بالإشراف عليها عن كثير
من مبسوطها .

ذكر ملوك الساسانية ، وهم الفرس الثانية [وأخبارهم]^(١)

كان أول من نسب إليه ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا
أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهاوند بن دارا بن ساسان
ابن بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف [على حسب ما قدمنا من نسب
بهراسف ، وقيل : إنه أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان أردشير بن بابك
ابن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف]^(٢)
ولأخلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوشهر ، وكان مما حفظ من قوله يوم ملك
وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال : الحمد لله
الذي خصنا بنعمه ، وثماناً بقوائده وقسمه ، ومهد لنا البلاد ، وفاد إلى طاعتنا العباد
نحمده حمد من عرف فضل ما آناه ، ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه ، ألا
وإننا ساعون في إقامة [منازل]^(١) العدل ، وإدراج الفضل ، وتشديد المآثر ،
وعماره البلاد ، والرافة بالعباد ، ورَمَ أقطار المملكة ، وردَّ ما انخرم في سائر
الأيام منها ، فليسكن طائركم ، أيها الناس ، فإني أعظم بالعدل القوى
والضعيف ، والدنيء والشريف ، وأجعل العدل سنة محمودة ، وشرعية مقبودة ،
وستردون في سيرتنا إلى ما حمدوننا عليه ، وتصدق أفعالنا أقوالنا ، إن شاء
الله تعالى ، والسلام .

(٢) زيادة في ا وحدها .

(١) زيادة في ب .

قال المسعودي : وأردشير بن بابك المتقدم في ترتيب طبقات القدماء ، وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء ، وكان يرى أن ذلك من السياسة ، وما يدعم^(١) عمود الرياسة ؛ فكانت طبقات خاصته ثلاثاً : الأولى الأساورة وأبناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك ، على نحو من عشرة أذرع ، وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم ، وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الأولى ، وهم وجوه المرازبة وملوك الكور والقيومون بباب أردشير ، و[المرازبة وهم] الإصبهذية ممن كانت مملكة الكور^(٢) في أيامه ، والطبقة الثالثة كانت رتبها على قدر عشرة أذرع من حدرتبة الطبقة الثانية ، وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل ، غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ، ولا وضع القدر ، ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش الطول أو القصر ، ولا مؤف ، ولا رمى بأبنة ، ولا ابن ذى صناعة دينية كابن حائك أو حجام ، ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلاً .

وكان أردشير يقول : ما شيء أضر على نفس ملكٍ أو رئيس أو ذى معرفة صحيحة من معاشرة سخي أو مخالطة وضع ؛ لأنه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الأريب الحسيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس ، حتى يقدر ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها ، وكان أن الريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً تحيا به النفوس وتتقوى به جوارحها^(٣) ، كذلك إذا مرت بالنتن لحملته أملت به النفس ، وأضر بأخلاقها إضراراً تاماً ، والفساد أسرع إليها من الصلاح ؛ إذ كان الهدم أسرع من البناء ، وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معاشرة السفلة الوضعا شهماً فساد عقله دهماً .

وكان أردشير يقول : يجب على الملك أن يكون فائض العدل ، فإن [في] العدل

(١) في أ « وما يرم عموم الرياسة » .

(٢) في ب « الكون » . (٣) في أ « وتقوى به جوارحها » .

جماع الخير ، وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتخرمه ، وإن أول مخايل الإديار في الملك ذهاب العدل منه ، وأنه متى خَفَقَتْ رايات الجور في ديار قوم كاخفتها عقاب العدل فردتها على العقب ، وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الأخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح^(١) وغرائب التنف من النديم ، حتى إنه لَيَحْتَاجُ^(٢) أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ، ومع عفاف النساء مجون الفتاك ، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث ، وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر إليها في حال لا يحسن أن يجلب غيرها^(٣) وإلى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي ينادمه ، على حسب ما يَبْلُوه من خلاقة ، ويعلم من معاني لحظه وإشاراته ما يعينه على شهوته ، ولا يكون نديماً حتى يكون له جمال ومروءة ؛ فأما جماله فنظافة ثوبه ، وطيب رائحته ، وفصاحة لسانه ، وأما مروءته فكثرة حياته في انبساطه إلى الجميل ، ووقاره في مجلسه ، مع طلاقة وجهه في غير سخف ، ولا يستكمل المروءة حتى يساو عن اللذة .

ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أفواج^(٤) : فأولها الوزراء ، ثم الموبدان مراتب رجال الدولة وهو القائم بأمور الدين ، وهو قاضي القضاة ، وهو رئيس الموابذة^(٥) ، ومعناها القوَّام بأمور الدين في سائر المملكة ، والقضاة المنصوبون للأحكام ، وجعل الإضيهذين أربعة : الأول بخراسان ، والثاني بالمغرب ، والثالث ببلاد الجنوب ، والرابع ببلاد الشمال^(٦) ؛ فهؤلاء الأربعة هم أصحاب تدبير الملك ، كل واحد منهم

(١) في ١ « وأفاضل الآداب وطرائف الملح »

(٢) في ١ « حتى إنه يحتاج »

(٣) في ١ « حال لا يحسن أن يجانبه غيرها »

(٤) في ب « سبعة أوزاح »

(٥) في ١ « رئيس الموابذة »

(٦) في ب « بلاد الشام »

قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة ، فكل واحد منهم صاحب ربع منها ، ولكل واحد من هؤلاء مَرزُبَانٍ ، وهم خلفاء هؤلاء الأربعة ، ورتب أردشير الطبقات الأربعة من أصحاب التدبير وَمَنْ إِلَيْهِمْ أَمْرُ الْمَلِكِ وحضور المشورة^(١) في إيراد الأمور وإصدارها ، ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك مَنْ طرأ بعده من ملوك آل ساسان إلى بهرام جور ؛ فإنه قرر^(٢) مراتب الأشراف وأبناء الملوك وسَدَنَة بيوت النيران والنساء والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها ، وغير طبقات المغنين ، ورفع مَنْ كان بالطبقة الوسطى إلى الطبقة العليا ، والطبقة الدنيا إلى الوسطى ، وغير المراتب على حسب إعجابه بالمطرب له منهم ، وأفسد مارتبه أردشير بن بابك في طبقات الملّهي ، فسلك مَنْ وَرَدَ بعده من ملوكهم هذا السلك ، حتى ورد كسرى أنو شروان فردّ مراتب المغنين إلى ما كانت عليه في عهد أردشير بن بابك .

وقد كانت ملوك الأعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء ، وكان [يكون] بين الملك وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً ؛ لأن الستارة التي على الملك تكون منه على عشرة أذرع ، ومن الطبقة الأولى على عشرة أذرع ، وكان الموكل بالستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له خرم باش ، فإذا غاب^(٣) هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الأساورة وذوى التحصيل ، وسمى بهذا الاسم ، وهذا الاسم عام لمن رتّب في هذه الرتبة ووقف هذا الموقف ، وتفسير ذلك كن فرحاً مسروراً ، وكان خرم باش هذا إذا جلس الملك لندمائه ومُعاقبيه^(٤) أمر رجلاً أن يرتفع على أرفع مكان في دار الملك ، فيرفع عقيرته ويُفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : يا لسان احفظ رأسك ، فإنك تجالس في هذا اليوم الملك ، ثم ينزل ، وكان ذلك فعاهم في يوم جلوس الملك للهوه وطربه ، فياخذ الندماء مراتبهم خافئة

(١) في ١ « وحصول المشورة » . (٢) في ١ « فإنه أقر » .

(٣) في ١ « فإذا مات هذا الرجل » (٤) في ١ « ومعاشرتهم » .

الجزء الأول : ذكر ملوم الساسانية وأخبارهم ٢٤٧

أصواتها ، غير مشيرة بشئ من جوارحها ، حتى يطلع الموكل بالستارة ، فيقول : غنَّ أنت يا فلان كذا وكذا ، واضرب أنت يا فلان كذا وكذا ، من طريقة كذا وكذا ، من طرائق الموسيقى ، وقد كانت الأوائل من بنى أمية لا تظهر للندماء ، وكذلك الأوائل من بنى العباس .

وگور أردشير بن بابك گوراً ، ومدن مدناً ، وله عهد في أيدي الناس . زهد أرشير ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة ، واستقامت له الأرض ، ومهدا ، وصال^(١) على الملوك فانقادت إلى طاعته ، زهد في الدنيا ، وتبين [له] عوارها ، وما هي عليه من الغرور والعناء^(٢) ، وقلة المكث ، وسرعة الغيلة منها إلى من أمنها ، ووثق بها ، واطمأن إليها ، وبأن لها أنها غرارة وضرة خاتلة زائلة بائدة ، وما أعدوذب منها جانب لاسرى . وحلاً إلا تمرر منها عليه جانب [وأوئي] ورأى أن من بنى قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشاً وأشد جنوداً وأتم عديداً قد صار رميا هشيا ، وتحت التراب مقيا ؛ فأثر التفرد^(٣) عن المملكة ، والتزك لها ، والحقا ببيوت النيران ، والانفراد بعبادة الرحمن ، والأنس بالوحدة ، فنصب ابنه «سابور» لملكته ، وتوجّه بتاجه ، وذلك أنه رآه أرجح ولده حليماً ، وأكاهم علماً ، وأشدهم بأساً ، وأجزلهم مراساً ؛ فعماش بعد ذلك في حال تزهده ، وخلوه بربه ، وكونه في بيوت النيران سنة ، وقيل شهراً ، وقيل : أكثر مما ذكرنا .

وأقام أردشير اثنتي عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف ؛ فمنهم من يكاتبه فينقاد إلى ملكه رهبة من صوّلته ، ومنهم من يمتنع عليه فيسير إلى داره ويأتي عليه ، وكان آخر من قتل منهم ملكاً للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن بردينا^(٤) صاحب قصر ابن هبيرة ، ثم أردوان الملك ، وفي هذا اليوم سمي شاهنشاه ، وهو ملك الملوك .

(١) في « وصال على الملوك » . (٢) في « الغرور والعناء » .

(٣) في « فأثر التبرؤ من المملكة » . (٤) في « بابا بن برينا » .

وأُمُّ ساسان الأكبر من سبائيا بنى إسرائيل ، وهي بنت سنانال^(١) ،
ولأردشير ابن بابك أخبار في بدء ملسكه مع زاهد من زهادهم وأبناء ملوكهم
يقال له ينشر^(٢) وكان أفلاطوني المذهب على رأى سقراط وأفلاطون ،
أعرضنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار
الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، مع ذكر سيره وفتوحه ، وما كان من
أمره ، ولأردشير بن بابك كتاب يعرف بكتاب « الكريمانج^(٣) » فيه ذكر
أخباره وحروبه ومسيره في الأرض وسيره .

من وصايا أردشير وكتبه
وكان مما حفظ من وصية أردشير لابنه سابور عند نصبه إياه لذلك أن
قال له : يا بنى ، إن الدين والمالك أخوان ، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه ؛
فالدين أس الملك ، والمالك خارسه ، وما لم يكن له أس فهدوم^(٤) ، وما لم
يكن له حارس فضائع .

وكان مما حفظ من مكاتباته — أعنى أردشير — إلى خواص من أنواع
رعيته وعماله : من أردشير [بن] بهمن ملك الملوك ، إلى الكتاب الذين
بهم تدير المملكة ، والفقهاء الذين هم عماد الدين ، والأساورة الذين هم
سحاة الحرب ، وإلى الحرث الذين هم عمرة البلاد ، سلام عليكم ، نحن
بحمد الله صالحون ، وقد رفعا إيتاوتنا عن رعيننا بفضل رأفتنا ورحمتنا ،
ونحن كاتبون إليكم بوصية فاحفظوها ؛ لا تستشعروا الخقد فيكم فيدهمكم
العدو ، ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط ، وكونوا لأبناء السبيل
مأوى ترووا غداً في المعاد ، وتزوجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأقرب
للنسب ، ولا تركنوا للدنيا فإنها لا تدوم لأحد ، ولا تهتموا لها فلن يكون
إلا ما شاء الله ، ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لاتنال إلا بها .

وكتب أردشير إلى بعض عماله : بلغنى أنك تؤثر الدين على الغلظة ، والمودة
على الهيبة ، والجبن على الجراءة ، فليشتد أولئك ، ولين آخرك ، ولا تخلين قلباً

(١) في ب « سامات » . (٢) في ب « يقال له تيس » .

(٣) في ب « الكريمانج » . (٤) في ا « فهدوم » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٤٩

من هبة، ولا تعطانه من مودة، ولا يبعد عليك ما أقول [لك] فإنهما يتجاوزان.

ثم ملك بعد أردشير ابنه سابور ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة ، سابور
وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم ، وبني كوراً ، ومصر مدناً بن أردشير
نسبت إليه ، كما نسب من السكور والمدن إلى آبائه ، والعرب تلقبه سابور
الجندي^(١) ، وفي أيامه ظهر ماني ، وقال بالاثنتين^(٢) ، فرجع سابور عن المجوسية
إلى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة ، ثم عاد بعد ذلك إلى ماني الثنوي
دين المجوسية ، ولحق ماني بأرض الهند ؛ لأسباب أوجبت ذلك قد أتينا
على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

وكتب ملك الروم إلى سابور بن أردشير : أما بعد ، فقد بلغني من بين قصر
وسابور سياستك لجنديك ، وضبطك ماتحت يدك ، وسلامة أهل مملكته بتدبيرك—
ما أحببت أن أسلك فيه طريقك ، وأركب مناهجك .

فكتب إليه سابور : نلت ذلك بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهى
قط ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً قط ، وحاربت للغي لا للهوى ، واجتلبت
قلوب الناس ثقة^(٣) بلا كره ، وخوفاً بلا مقت ، وعاقبت للذنب لا للغضب ،
وعصمت بالقوت ، وحسنت الفضول .

ويقال : إن سابور كتب إلى بعض عماله : إذا استكتبت^(٤) رجلاً من سابور
فأسن رزقه ، وشدد بصلح الأعوان عضده ، وأطلق بالتدبير يده ؛ فني إسناء إلى بعض عماله
رزقه حسم طمعه ، وفي تقويته بالأعوان ثقل وطأته على أهل العدوان ،
وفي إطلاقه بالتدبير^(٥) ما أخافه عواقب الأمور ، ثم قفه من أمره على ماله
قدمته^(٦) ليمثله إماماً ويحفظه كلاماً ، فإن وقع أمره بما رسمت فأوله غرضك ،

(١) في « سابور الجنود »

(٢) في « بالآتين » (٣) في ب « مقة » والمقة : المحبة

(٤) في « إذا استكتبت رجلاً » (٥) في « وفي إطلاق يده بالتدبير »

(٦) في « على ماله ندبته ليمثله إماماً »

وأوجب زيادته عليك ، وإن حادَ عن أمرِكَ علقته حجتك ، وأطلقت بالعقوبة عليه يدك ، والسلام .

وعهد سابور إلى ولده هرمز وَمَنْ تلاه من الملوك بعده ، فقال : اجعلوا علو أخلاقكم كعلو أخطاركم ، وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم ، وفضل سعيكم كفضل جدِّكم .

وقيل : إن ملك سابور كان إحدى وثلاثين سنة ونصفاً وثمانية عشر يوماً . ثم ملك بعد سابور ابنه « هرمز » [بن سابور] الملقب بالبطل ، وكان ملكه سنة ، وقيل : اثنين وعشرين شهراً ، وبني مدينة رامهرمز من كُور الأهواز .

هرمز

وكتب إلى بعض عماله : لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجل تكاملت فيه خمس خصال : حزم يتيقن به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات إلا عند تجلّى فرصتها ، وشجاعة لا تنقصها الملأمة بتواتر جوائمها ، وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما ، وجود يهون عليه بتدبير^(١) الأموال في حقها .

ثم ملك بعده بهرام بن هرمز ثلاث سنين ، وكانت له حروب مع ملوك الشرق .

بهرام

وقد ذكرنا أن بهرام أتاها ماني بن يزيد تلميذ قاردون^(٢) فعرض عليه مذاهب الثنوية [فأجابه احتيلاً منه عليه إلى أن أحضر دعائه المتفرقين في البلاد من أصحابه الذين يدعون الناس إلى مذاهب الثنوية]^(٣) فقتله ، وقتل الرؤساء من أصحابه ، وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي إليه أضيف الزنادقة ، وذلك أن الفرس حين أتاها زرادشت بن أسبيان — على حسب ما قدمنا من نسبه فيما

الزنادقة

(١) في ب « وجود يهريق عليه تدبير الأموال في حقها » .

(٢) في ب « ماني بن فديك تلميذ ماردون » (٣) زيادة في أ وحدها

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٥١

ساف من هذا الكتاب - بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية، وعمل له التفسير ، وهو الزند، وعمل لهذا التفسير شر حاسماه البازند، على حسب ما قدمنا ، وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل ، وكان مَنْ أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه ، وعدّل إلى التأويل الذي هو الزند، قالوا: هذا زندي ، فأضافوه إلى التأويل ، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل ، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا : زنديق ، وعَرَّبُوهُ ، والثنوية هم الزنادقة ، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم ، وأبى حدوث العالم .

ثم ملك بعده « بهرام » بن بهرام ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وقيل غير ذلك ، وأقبل في أول ملكه على القصف والذات والصيد والنزهة ، لا يفكر في ملكه ، ولا ينظر في أمور رعيته ، وأقطع الضياع لخواصه ومن لا ذبه من خدمه وحاشيته ، فخرت الضياع ، وخلت من عمارها ، وسكنوا الضياع المتعززة ، فقلت العمارة إلا ما أقطع من الضياع ، وسقطت عنهم المطالبة بالخراج بمعايلة الوزراء خواص الملك ، وكان تدير الملك مفوضاً إلى وزرائه ؛ فخرت البلاد ، وقلت العمارة وقل ما في بيوت الأموال ، فضعف القوى من الجنود ، وهلك الضعيف منهم ، فلما كان في بعض الأيام ركب [الملك] إلى بعض منتزهاته وصيده ، فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة قمرء ، فدعا بالموبدان^(١) لأمر خطر بياله فلحق به وسائره ، وأقبل على محادثته^(٢) ، مستخبراً له عن سير أسلافه ، فتوسطوا في مسيرهم خربات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مملكته ، ولا أنيس بها إلا البوم ، وإذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخربات ، فقال الملك للموبدان : آرى أحداً من الناس أعطى فهمَ منطق هذا الطير المصوت في هذا

(١) في ١ « فدعا بالموبد » .

(٢) في ١ « وأقبل عليه يحادثه » .

الليل الهادي؟ فقال له الموبدان : أنا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك ، فاستفهمه الملك عما قال ، فأعلمه أن قوله صحيح ، فقال له : فإيقول هذا الطائر؟ وما الذي يقول الآخر؟ قال الموبدان : هذا يوم ذكرى يحاطب بومة ، ويقول لها : أمتعني من نفسك حتى يخرج منا أولاد يسبحون الله ، ويبقى لنا في هذا العالم عقبٌ يكثرون ذكرنا [والترحم علينا] فأجابته البومة : إن الذي دعوتني إليه هو الخط الأكبر ، والنصيب الأوفر ، في العاجل والآجل ، إلا أني أشرت عليك خصالا إن أنت أعطيتنيها أجبتك إلى ما دعوتني إليه ، فقال لها الذكر : وما تلك الخصال؟ قالت : أولها إن أنا أبحتك نفسي وصرت إلى ما إليه دعوتني تضمن لي أن تعطيني من خربات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد ، فقال له الملك : فما الذي قال لها الذكر؟ قال الموبدان : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك^(١) مما يخرب من الضياع ألف قرية ، فما تصنعين بها؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل ، وكثرة الولد ، فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخربات ، قال لها الذكر : هذا أسهل أمر سألتني^(٢) ، وأيسر أمر طلبته^(٣) مني ، وقدمت لك الوعد وأنا ملء بذلك ، فهاتي ما بعد ذلك ؛ فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبدان عمل في نفسه ، واستيقظ من نومه ، وفكر فيما خوطب به ، فنزل من ساعته ، وترجّل للناس ، وخطب بالموبدان فقال له : أيها القيم بالدين ، والناصح للملك ، والمنبه على ما أغفله من أمور ملكه ، وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ، ما هذا [الكلام] الذي خاطبتني به ؟ فقد حركت مني ما كان ساكنا ، وبعثتني على علم ما كنت عنه غائبا ، قال الموبدان : صادفت من الملك السعيد جده وقت سعد للعباد والبلاد ، فجعلت الكلام مثلا وموقظا على لسان الطائر عند طلب الملك

(١) في ١ « أقطعتك » .

(٢) في ب « أردتبه » والوجه في العربية « أردته » .

(٣) في ١ ، ب « طلبته » والوجه في العربية « طلبته » بكسر التاء بدون ياء

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٥٣

منى جواب ما سأل ، ثم قال له الملك : أيها الناصح ، اكشِفْ لى عن هذا الغرض الذى إليه رमित ، والمعنى الذى له قصدت ، ما المراد منه ؟ وإلى ماذا يؤول ؟ قال الموبدان : أيها الملك السعيد جده ، إن الملك لا يتم عنزه إلا بالشرعية والقيام لله تعالى بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز له لك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالمعارة ، ولا سبيل للمعارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة ، نصبه الربُّ وجعل له قِيَمًا^(١) ، وهو الملكُ ، قال الملك : أما ما وصفت فحق ، فأبْنِ لى عما تقصد ، وأوضح لى فى البيان ، قال الموبدان : نعم أيها الملك ، عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعُتَّارها ، وهم أرباب الخراج وَمَنْ تُوْخذ منهم الأموال ، فأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم ، فعمدوا إلى ما تجل من غلاتها ، واستمتعوا بالمنفعة ، وتركوا المعارة والنظر فى العواقب وما يصاحب الضياع ، وسومحوا فى الخراج ؛ لقربهم من الملك ، ووقع الخَيْفُ على من بقى من أرباب الخراج وعمار الضياع ، فأنجلوا عن ضياعهم ، ورحلوا عن ديارهم^(٢) ، وآووا إلى ما تعزز من الضياع [بأربابها] فسكنوه ، فقلت المعارة ، وخربت الضياع ، وقات الأموال ، فهلكت الجند والرعية ، وطمع فى ملك فارس مَنْ أطاف بها من الملوك والأمم ؛ لعلمهم باقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك ، فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبدان أقام فى موضعه ذلك ثلاثاً ، وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين ، وأحضرت الجرائد ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية ، وردَّتْ إلى أربابها ، وجروا على رسومهم^(٣) . السالفة ، وأخذوا فى المعارة ، وقوى من ضعف منهم ، فعمرت الأرض ، وأخصبت البلاد ، وكثرت الأموال عند جباية الخراج^(٤) .

(١) فى ب « وجعله قديماً وهو الملك » وليس بئى .

(٢) فى ا « وخلوا ديارهم » (٣) فى ا « وحملوا على رسومهم السالفة »

(٤) فى ا « جباية الخراج » .

وقويت الجنود ، وقطعت مواد الأعداء ، وشجنت الثغور ، وأقبل الملك
يياشر الأمر بنفسه في كل وقت من الزمان ، وينظر في أمر خواصه وعوامه ،
فحسنت أيامه ، وانتظم مملكه ، حتى كانت تدعى أيامه أعياداً ؛ لما عم الناس
من الخصب [والإفضال] وشملهم من العدل .

ثم ملك بعده بهرام بن الملك بهرام بن بهرام [فكان ملكه إلى أن
هلك] أربع سنين ، وأربعة أشهر ^(١) . ثم ملك بعده نرسی بن بهرام الملك
ابن بهرام البطل ، وكان ملكه سبع سنين [وقيل] ونصفاً . ثم ملك بعده
هرمز بن نرسی بن بهرام ، على ما ذكرنا من النسب ، وكان ملكه سبع
سنين وخمسة أشهر . وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر كسرى أن
كل من ذكرنا من ملوك [آل] ساسان إلى هذا الملك — وهو هرمز
ابن نرسی — كانوا ينزلون جنديسابور من بلاد خوزستان ، وقد كان
يعقوب بن الليث الصفار أراد سكنى جنديسابور متشبهاً بن ماضي من ملوك
ساسان ، إلى أن مات بها . وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار
المعتمد حين سكناه إياها ووفاته فيها .

ثم ملك بعد هرمز بن نرسی ابنه سابور بن هرمز ، وهو سابور ذو
الأكتاف ، وكان ملكه إلى أن هلك اثنتين وسبعين سنة . وخلفه والده
سحلاً ، فغابت العرب على سواد العراق ، وقام الوزراء بأمر التدبير ، وكانت
جمهرة العرب ممن غلب على العراق ولد إياد بن نزار ، وكان يقال لها « طبق »
لإطباقها على البلاد ، وملكها يومئذ الحارث بن الأغر الإيادي ، فلما بلغ
سابور من السن ست عشرة سنة أعدَّ أساورته بالخروج إليهم ^(٢) والإيقاع
بهم ، وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق ، وكان في حبس سابور ^(٣)
رجل منهم يقال له لقيط ، فكتب إلى إياد شعراً ينذرهم به ، ويعلمهم خبر
- من يقصدهم ، وهو :

(١) الزيادة في ا وحدها ، وفيها « أربعة أشهر » دون « أربع سنين »

(٢) في ا « للخروج إليهم والإيقاع بهم »

(٣) في ا « في جيش سابور »

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٥٥

سلام في الصحيفة من لقيط على من في الجزيرة من إياد
 بأن الليث يأتكم ولافا فلا يحسبكم شوك القتاد
 أتاكم منهم سبعون ألفاً يجزؤون الكتاب كالجراد^(١)
 على خيل ستاتكم ؛ فهذا أوان هلاككم كهلاك عاد^(٢)
 فلم يعبوا بكتابه ، وسراياه تكرر نحو العراق وتغير على السواد ، فلما
 تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتاباً يخبرهم [فيه] أن القوم قد عسكروا ،
 وتحشدوا لهم^(٣) ، وأنهم سائرون إليهم ، وكتب لهم شعراً أوله :
 يادار عمرة من تذكارها الجرعا هيجت لي الهم والأحزان والوجعا^(٤)
 أبلغ إياداً وحلل في سراتهم أنى أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
 ألا تخافون قوماً لا أباً لكم مشوا إليكم أمثال الدبى سرعاً
 لو أن جمعهم راموا بهدتهم ثم الشاربخ من شهان لانصدعا
 قتلوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
 فأوقع بهم ، فعمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ،
 وخلع بعد ذلك أكتاف العرب ، فسمى بعد ذلك سابور ذا الأكتاف .
 وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من العراق من تميم ليثبوا بعلى
 ابن أبي طالب رضى الله عنه ! فبلغ ذلك علياً رضوان الله عليه ، فقال في بعض
 مقاماته في كلام له طويل :

إن حياً يرى الصلاح فساداً أو يرى النجى في الأمور رشاداً^(٥)
 قريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد إياداً

(١) في « يزجون الكتاب كالجراد » .

(٢) في « على خيل تبيتكم » .

(٣) في « وحشدوا لهم » .

(٤) في « يادار عملة » وفيها « الجزعا » وها تحريف ما أثبتناه .

(٥) في « إن خبا » محرفاً ، وفي « أو يرى النجى في الأمور »

سداداً .

وقد كان سابور في مسيره في البلاد أتى على بلاد البحرين ، وفيها يومئذ بنو تميم ، فأمن في قتلهم ، وفرت بنو تميم ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر ، وله يومئذ ثلثائة سنة ، وكان يعاق في عمود البيت في قفة قد اتخذت له ، فأرادوا حمله ، فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم ، وقال : أنا هالك اليوم أو غداً ، وماذا بقي لي من فسحة العمر ؟ ولعل الله ينجيكم بي من صولة هذا الملك المسلط على العرب ، فخلوا عنه ، وتركوه على ما كان عليه ، فصبحت خيل سابور الديار ، فنظروا إلى أهاليها وقد ارتحلوا ، ونظروا إلى قفة معاقه في شجرة ، وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها ، وهممة الرجال ، فأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه ، وجاءوا به إلى سابور ، فلما وُضع بين يديه نظر إلى دلائل الهرم ومسور الأيام عليه ظاهرة^(١) ، فقال له سابور : مَنْ أنت أيها الشيخ العالِي ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مر^(٢) ، وقد بلغت من العمر ما ترى ، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل وشدة عقوبتك إياهم ، وآثرتُ القناء على يدك ليبقي مَنْ مضى من قومي ، ولعل الله ملك السماوات والأرض يُجرى على يدك فرجهم ، ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم ، وأنا سائلُك عن أمرٍ إن أذنت لي فيه ، فقال له سابور : قل يُسمع^(٣) منك ، فقال له عمرو : ما الذي يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب ؟ فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلادِي وأهل مملكتي ، فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم ، فلما بلغت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ، قال سابور : أقتلهم لأننا ملوكُ الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستُدال علينا ، وتكون لهم الغلبة على ملكنا ، فقال عمرو : هذا أمر نتحققه أم تظنه^(٤) ، قال : بل أتتحققه ولا بد أن يكون ذلك ، قال له عمرو : فإن كنت تعلم ذلك فلم تسيء إلى العرب ؟ والله لأن تُبقي على العرب جميعاً

(١) في « بينة » . (٢) في « بن مرة » وليس بشيء .

(٣) في « قل نسمع منك » . (٤) في ب « تستحقه أو تظنه » محرفاً .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٥٧

وتحسن إليهم فيكافئون عند إدالة الدولة لهم قومك بإحسانك، وإن أنت طالت بك المدة كافؤك عند مصير الملك إليهم ، فيبقون عليك وعلى قومك، وإن كان الأمر حقاً - كما نقول - فبوا أحزم في الرأي ، وأنفع في العاقبة، وإن كان باطلا فلم تتعجل الإثم وتسفك دماء رعيتك ؟ فقال سابور : الأمر صحيح، وهو كائن لكم ، والرأي ما قلت ، ولقد صدقت في القول، ونصحت في الخطاب، فننادى منادى سابور بأمان الناس ، ورفع السيف ، والكف عن قتالهم ، ويقال : إن عمرأ بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة، وقيل : أقل من ذلك، والله أعلم .

وسار سابور نحو بلاد الشام ، فافتتح المدن ، وقتل خلائق من الروم، ثم طالبتة نفسه بالدخول إلى أرض الروم متكرراً ليعرف أخبارهم وسيرهم، فنكر، وسار إلى القسطنطينية ، فصادف ولية لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم، فدخل في جماتهم ، وجاس على [بعض] موائدهم، وقد كان قيصر أمر مصوراً أن يمسك عسكر سابور فصوره، فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل [له] على المائدة، فعجب من اتفاق الصورتين، وتقارب الشكلين^(١) ، فقام إلى الملك، فأخبره ، فأمر به ، فمثل بين يديه ، فسأله عن خبره ، فقال : أنا من أساوة سابور استحققت^(٢) العقوبة لأمر كان مني ، فدعاني ذلك إلى الدخول إلى أرضكم ، فلم يقبل ذلك منه ، وقدم إلى السيف فأقرّ ، فجعله في جلد بقرة، وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق ، وافتتح المدائن ، وشن الغارات، وعصّد النخل^(٣) ، و انتهى إلى مدينة

(١) في « الشبهين » .

(٢) هكذا على الصواب في ١ ، ووقع في ب « استحققت » .

(٣) في ١ « وعقر النخل » .

جندى سابور، وقد تحصن بها وجوه فارس، فنزل عليها وحضر عيداً لهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها، فأغفل الموكلون أمر سابور، وأخذ الشراب منهم، وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس، فخطبهم أن يحل بعضهم بعضاً، وشجعهم، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاً من الزيت كانت هناك ففعلوا، فلان عليه الجلد وتخلص، وأتى المدينة وهم يتحارسون على سورها فخطبهم، فعرفوه ورفعوه بالحبال إليهم، ففتح أبواب خزان السلاح، وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش، والروم غارون مطمئنون^(١)، فكبس الجيش عند ضرب النوافيس، فأنوه بقيصر أسيراً، فاستحياء وأبقى عليه، وضم إليه من أفلت من القتل من رجاله، ففرس قيصر بالعرف الزيتون بدلاً مما عضده من النخل فيها، ولم يكن يُعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك، وبنى شاذروان مدينة تستر^(٢) لنهرها، والشاذروان هو المسناة العظيمة، والكر من الحجر والحديد والرصاص، وعمر ما أخرج، في أخبار بطول ذكرها، وانصرف قيصر نحو الروم. وقد ذكر في بعض الأخبار أن سابور ربق قيصر^(٣)، وقطع أعصاب عقبيه أو رقبها، وأن الروم لا تربق دوابها، ولا تلبس الخفاف المعقبة، وفي ذلك يقول الحارث بن جندة المعروف بالهرمزاني :

هُمْ مَلَكُوا جَمِيعَ النَّاسِ طَرَا وَهُمْ رَبَقُوا هَرْقَلًا بِالسَّوَادِ
وَهُمْ قَتَلُوا أَبَا قَابُوسَ غَضَبًا وَهُمْ أَخَذُوا الْبَسِيطَةَ مِنْ إِيَادِ
وفى فعل سابور وتغريه بنفسه في دخوله إلى أرض عدوه متجسساً يقول بعض المتقدمين من شعراء أبناء فارس :

وَكَانَ سَابُورَ صَفْوًا فِي أُرُومَتِهِ اخْتِيرَ عَنْهَا فَأَخْنَى غَيْرَ مُخْتَارِ
إِذْ كَانَ بِالرُّومِ جَاسُوسًا يَحُولُ بِهِ حَزَمَ الْمَنِيَّةَ مِنْ ذِي كَيْدِ مَكَارِ

(١) في ١ « والروم قارون مطمئنون » .

(٢) في ١ « تشر » . (٣) في ١ « ربق قيصر »

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٥٩

فاستأسروه وكانت كبوة عجباً وزلة سبقت من غير عثار^(١)
 فأصبح الملك الرومي معترضاً أرض العراق على هول وأخطار^(٢)
 فراطن الفرس بالأبواب فافترقوا كما تجابوب أسد الغاب في الغار^(٣)
 فجذ بالسيف أمر الروم فامتحقوا لله درك من طلاب أوتار^(٤)
 إذ يغرسون من الزيتون ماعضدوا من النخيل وما حفوا بمنشار^(٥)
 وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وامتد غيرها من بلاد الروم ، ونقل
 خلقاً من أهلها ، وأسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور
 الأهواز ، فتناسلوا وقطنوا تلك الديار ، فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري
 وغيره من أنواع الحرير يعمل بتستر ، والخز بالسوس ، والستور والفرش
 ببلاد نصيبين ، ومكث إلى هذه الغاية ، وقد كان من قبله من ملوك
 الساسانية وكثير ممن ساف من فارس الأولى يسكن بطيسون^(٦) ، وذلك
 بغربي المدائن من أرض العراق ، فسكن سابور في الجانب الشرقي من
 المدائن ، وبني هناك الإيوان المعروف بإيوان كسرى إلى هذه الغاية ، وقد إيوان كسرى
 كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الإيوان ، وقد كان الرشيد
 نازلاً على دجلة بالقرب من الإيوان ، فسمع بعض الخدم من وراء السراشق
 يقول لآخر : هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه
 إلى السماء ، فأمر الرشيد بعض الأستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصاً ،
 وقال لمن حضره : إن الملك نسبة ، والملوك به إخوة ، وإن الغيرة بعثتني
 على أدبه لصيانة الملك ، وما يلحق الملوك للملوك .
 وذكر عن الرشيد بعد القبض على البرامكة أنه بعث إلى يحيى بن خالد بن

(١) كذا في ب ، ووقع في ا « من غير غمار » .

(٢) في ا « وأصبح الملك الرومي مقترباً » .

(٣) في ا « فراطن الفرس بالإيوان » .

(٤) في ا « فجذ بالسيف أصل الروم » .

(٥) في ا « ما عقروا من النخيل » . (٦) في ب « بطيسون » .

برمك ، وهو في اعتقاله ، يشاوره في هدم الإيوان ، فبعث إليه : لا تفعل ، فقال الرشيد لمن حضره : في نفسه دلجوسية ، والحنو عليها ، والمنع من إزالة آثارها ، فشرع في هدمه ، ثم نظر فإذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة ، فأمسك عن ذلك ، وكتب إلى يحيى يعلمه ذلك ، فأجابه بأن يتفق في هدمه ما بلغ من الأموال ، ويحرص على فعله ، فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره ، فبعث إليه يسأله^(١) عن ذلك ، فقال : نعم ، أما ما أشرت به في الأول فإني أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت ، وأن يكون من يرد في الأعصار ويطرأ من الأمم في الأزمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول : إن أمة قهرت أمة هذا بنيانها فأزالت رسومها واحتوت على ملكها لأمة عظيمة شديدة منيعة ، وأما جوابي الثاني فأخبرت أنه قد شرع في هدمه ثم عجز عنه ، فأردت نفي العجز عن أمة الإسلام ؛ لئلا يقول من وصفت بمن يرد في الأعصار : إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس^(٢) ، فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال : قاتله الله تعالى ! فما سمعته قال شيئاً قط إلا صدق فيه ، وأعرض عن هدمه ، وسابور هو الذي بنى [مدينة] نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق .

أردشير

ثم ملك بعد [سابور بن هرمز] أخوه أردشير بن هرمز ، وكان ملكه إلى أن خلع أربعين^(٣) سنة ، ثم ملك بعده سابور بن سابور ، خمس سنين [وقيل : وأربعة أشهر] ، وكانت له حروب كثيرة مع إياد بن نزار وغيرها من العرب ، وفيه يقول شاعر إياد :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قبابُ إيادٍ حولها الخليل والنعم
ويقال : إن هذا الشعر قاله نفر قد لحقوا بأرض الروم حين أوقع بهم
سابوز ذو الأكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا إلى ديارهم ، وانضافوا إلى

(٢) في ب « بنتها فارس » .

(١) في ب « ليسأله » .

(٣) في ا ب « أربع سنين »

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٦١

ربيعة من ولد بكر بن وائل ، وإن ربيعة كانت قد غلبت على السواد ، وشنت الغارات في ملك سابور بن سابور ، فقال شاعر إياد في ذلك ما وصفنا ، وهم داخلون في جملة ربيعة ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بالصحيح منه .

ثم ملك بعده بهرام بن سابور ، وكان ملكه عشر سنين^(١) ، وقيل : بهرام إحدى عشرة سنة .

ثم ملك بعده يزديجرد بن سابور ، المعروف بالأثيم ، وكان ملكه إلى أن يزديجرد هلك إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقيل : اثنتين وعشرين سنة غير شهرين .

ثم ملك بعده بهرام بن يزديجرد [وهو بهرام جور] ، فكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة [وقيل : تسع عشرة سنة] وملك وهو ابن عشرين سنة ، وغاص هو وفرسه في حومة حمأة في بعض أيام صيده ، فجزعت عليه فارس ، لما [كان] عَمَّها من عدله ، وشملها من إحسانه ورافته برعيته ، واستقامة الأمور في أيامه ، وقد كان خرج في أيامه خاقان ملك الترك إلى الصغد ، وشن الغارات في بلاده ، وقيل : إنه أتى إلى بلاد الري ، وإن بهرام كتب أجناده وتنكب الطريق في اليسير من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان في جنوده ، وسار نحو العراق برأسه ، فهابته ملوك الأرض ، وهادنه قيصر ، وحمل إليه الأموال ، وقد كان بهرام قبل ذلك دخل إلى أرض الهند متنكراً ، ولأخبارهم متعزفاً ، وأصل بشيرة ملك من ملوك الهند ، فأبلى بين يديه في حرب من حروبه ، وأمكنه من عدوه ، فزوَّجه ابنته على أنه بعض أساورة فارس ، وكان نشؤه مع العرب بالحيرة ، وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات ، وكان على خاتمه مكتوب : بالأفعال تعظم الأخبار . وله أخبار في أخذه الملك بعد أبيه وتناوله الناج^(٢) والراية . وقد وضعنا بين سبْعين^(٣) وأخبار غير ذلك . وسير يطول ذكرها .

(١) في ب « عشرين سنة » . (٢) في ا « التاج والبدنة » .

(٣) في ب « وضعنا بين يديه » .

ولأية علة سمي بهرام جور . وما أحدث من الرمي بالتشاب في أيامه . ومن النظم^(١) في داخل القوس وخارجها . وقد أدينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط . وما قالت الفرس والترك في بنية القوس ، وأنها مركبة على الطبائع الأربع كطباع الإنسان ، وما ذهبوا إليه من أنواع الرمي وكيفيته ، وما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفروا بخاقان وقتله له :

أقول له لما فضضت جموعه كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإني حامي مملك فارس كلها وماخير مملك لا يكون له حام؟
وقوله أيضاً :

لقد علم الأنام بكل أرض بأنهم قد أضحووا لي عبيدا
ملكتم ملوكهم ، وقهرت منهم عزيزهم المسود والمسودا
فلك أسودهم نقي حذارى وترهب من مخافتى الورودا^(٢)
وكنت إذا تشاوش ملك أرض عبات له الكتاب والجندوا^(٣)
فيعطيني المقادة أو أوافي به يشكو السلاسل والقيودا
وله أشعار كثيرة بالعربية والفارسية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع طلباً للإيجاز .

يزدجرد

ثم ملك بعده يزيدجرد بن بهرام ، وكان ملكه تسع عشرة سنة . وقيل : ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقد كان بنى حائطاً باللين والطين بناحية الباب والأبواب على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في ذكرنا للباب والأبواب وجبل القبيخ^(٤) ، وأحضر يزيدجرد بن بهرام رجلاً من حكماء عصره كان في أقاصي مملكته أخذاً من أخلاقهم ومقتبس الرأي منه يسوس به رعيته ، فقال له يزيدجرد وقد مثل بين يديه :

(١) في « ومن النظر في داخل القوس » . (٢) في ١ ، تبني حذارى .
(٣) في ١ ، تشاوش ملك أرض . (٤) في ب « جبل القبيخ » .

أيها الحكيم الفاضل ، ماصلاح الملك ؟ فقال : الرفق بالرعية ، وأخذ الحق منهم من غير مشقة ، والتودد إليهم بالعدل ، وأمن السبل ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، قال : فما صلاح أمر الملك ؟ فقال : وزراؤه وأعوانه ؛ فإنهم إن صلحوا صلح ، وإن فسدوا فسد ، وقال له يزدجرد : إن الناس قد أكثروا في أسباب الفتن ، فصف لي ما الذي يَشُبُّها وينشئها ، وما الذي يسكنها ويدفعها^(١) ، قال : يَشُبُّها ضغائن^(٢) [و] ينشئها جراءة عامة ولدها استخفاف بخاصة ، وأكدها انبساط الألسن بضمائر القلوب ، وإشفاق موسر ، وأمل مُعسِر ، وعقلة ملتذ ، وبقظة محروم ، والذي يسكنها أخذ العدة لما يُخَاف قبل حلوله ، وإيثار الجد حين يلتذ الهزل ، والعمل بالحزم في الغضب والرضا. ثم ملك بعده هرمز بن يزدجرد ، فنازعه أخوه فيروز ، فقتله وولى الملك ، وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام ، وكان ملك فيروز إلى أن هلك على يدي ملك الهياطلة أخشنواز^(٣) بمرور الروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة^(٤) ، والهياطلة هم الصغد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

ثم ملك بلاس بن فيروز الملك ، وكان ملكه أربع سنين .
ثم ملك قباد بن فيروز ، وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق ، وإليه يضاف المزدكية ، وله أخبار مع قباد ، وما أحدثه في العامة من النواميس والحيل إلى أن قتله أنوشروان في ملكه ، وكان ملك قباد إلى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة .

ثم ملك بعده ولده أنوشروان بن قباد بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة ، أنوشروان وقيل : سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد كان قباد خلع من ملكه وأجلس بدله أخ له يقال له جاماسب^(٥) نحواً من سنتين ، لأسر كان من مزدك وأصحابه ، فظاهر أنوشروان بزرجمهر بن سرحو^(٥) حتى أعيد قباد إلى ملكه في خبر طويل ، ولما ملك أنوشروان قتل مزدك وأتبعه ثمانين

(١) في ١ « ويدفعها » . (٢) في ب « باحسان .

(٣) في ١ « تسعا وعشرين سنة » (٤) في ب « جاماست .

(٥) في ١ « فسافر أنوشروان لزر مهر بن سوجرى .

ألفاً من أصحابه ، وذلك بين حادر والنهروان^(١) من أرض العراق ، فسمى من ذلك اليوم أنوشروان ، وتفسير ذلك جديد^(٢) الملوك ، وجمع أهل مملكته على دين المجوسية ، ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل^(٣) ، وسار نحو الباب [والأبواب] وجبل القبيخ^(٤) لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده، فبنى السور [في البحر] على أزقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص ، فكما ارتفع البناء نزلت تلك الأزقاق إلى أن استقرت في قرار البحر ، وقد ارتفع السور على الماء ، وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين إلى تلك الأزقاق فشققتها ، وتمكن السور على وجه الماء في قرار البحر ، وهو باقٍ إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وتلثمائة ، ويسمى هذا الوضع من السور في البحر الصد^(٥) مانعاً للمراكب في البحر إن وردت من بعض الأعداء ، ثم مد السور في البر^(٦) ما بين جبل القبيخ^(٤) والبحر ، وجعل فيه الأبواب مما يلي الكفار ، ثم مد السور على جبل القبيخ^(٤) على ما قدمنا فيما ساف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار جبل القبيخ^(٤) والباب ، وكان لأنوشروان خبر مع ملوك الخزر إلى أن تأتي له هذا البناء ، وقيل : إنه بنى ذلك بالرهبة وإذعان من هنالك من الأمم [له] .

وانصرف أنوشروان إلى العراق ، ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك ، وكان فيمن وفد إليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا وألطف ، فنظر الرسول إلى إيوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه ، فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعاً ، فقيل له : إن عجوزاً لها منزل من جانب الاعوجاج منه ، وإن الملك أرادها على بيعه ، وأرغبها ، فأبت ، فلم يكرهها الملك ، وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى ، فقال الرومي : هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء .

(١) في « بين جازد والنهروان » . (٢) في « جديد الملك » .

(٣) في « الحجاج في الملك » . (٤) في ب « جبل القبيخ » .

(٥) في « القيد » . (٦) في ب « مد السور في البحر » .

الجزء الأول : ذَكَرَ ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٦٥

وسار أنو سريوان في بلاده ، ودار مملكته^(١) ، فأحكم البنيان ، وشيد القلاع والحصون ، ورتب الرجال | وغدر بقيصر ، فسار نحو الجزيرة ، فافتتح ما هناك من المدن ، و انتهى إلى الفرات |^(٢) فعب إلى الشام فافتتح بها المدن ، وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وقامية ، وهي بين أنطاكية وحمص ، وسار إلى أنطاكية وحاصرها ، وفيها ابن | أخت لقيصر ، فافتتحها ، وافتتح مدينة عظيمة كثيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل أنطاكية رسوما بينة إلى هذه الغاية ، وأثرها قائم ، تدعى سلوقية ، وأقبل بفتح المدائن بالشام وأرض الروم ، ويقسم الفنائم والجواهر والأموال ، وتبذل السيف ، وبث عساكره وسراياه ، فهادته بقيصر ، وحمل إليه الخراج والجزية ، فقبل ذلك منه ، ونقل من الشام المرص | والرخام | وأنواع الفسيفساء والأحجار ، والفسيفساء : هي شيء يطبخ من الزجاج والأحجار ذو بهجة وألوان يدخل فيما فرش من الأرض والبنيان كالعموص ، ومنه على هيئة الجلمات شاف ، وحمل ذلك إلى العراق ، فبنى مدينة نحو المدائن سماها برومية ، وجعل بيابها وما داخل سورها بما ذكرنا من أنواع الأحجار ، ينحكي بذلك أنطاكية وغيرها من المدن في الشام ، وهذه المدينة سورها من ملين قائم إلى هذا الوقت خراب ، وبقى بعرف بما ذكرنا ، وزوجه خافان ملك الترك بأبنة وأخيه ، وهادته ملوك الهند والهند والجنوب وسائر الممالك ، وحملت إليه الهدايا ، ووفدت إليه الوفود خوفاً من صوابه وكثرة جنوده وعظم مملكته ، ولما ظهر^(٣) من فعله بالممالك ، وفقد الملوك ، وانهاده إلى العدل ، وكتب إليه ملك الصين : من فغفور^(٤) ملك الصين صاحب قصر الدرو الجوهري ، الذي يجري في قصره نهران بستان العود الكافور الذي نوجد رائحته على فرسخين ، والذي تخدمه بنات ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه كسرى

(١) في ب ه ودار في مملكته . (٢) زيادة في ا وحدها .

(٣) في ب ه ولما يظهر . (٤) في ب ه يعبر .

أنو شروان ، وأهدى إليه فرساً من در منضداً ، عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر ، وقائم سيفه من زمرد^(١) منضد بالجوهر ، وثوب حرير صيني عسجدي^(٢) فيه صورة الملك جالساً في أيوانه ، وعليه حليته وتاجه ، وعلى رأسه الخدم ، وبأيديهم المذابح ، والصورة منسوجة بالذهب ، وأرض الثوب لازورد ، في سمط من ذهب ، تحمله جارية تغيب في شعرها ، تتلألاً جمالاً ، وغير ما ذكرنا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك إلى أكتافها ، وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند ، وعظيم أرا كنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر . إلى أخيه ملك فارس وصاحب التاج والراية كسرى أنوشروان ، وأهدى إليه ألف من عود هندي يذوب في النار كالشمع ، ويحتم عليه كما يحتم على الشمع فتبين فيه الكتابة ، وجاءا من الياقوت الأحمر فتحة شبر مملوءاً دراً ، وعشرة أمانان كافور كالفسق وأكبر من ذلك ، وجارية طولها سبعة أذرع^(٣) تضرب أشجار عينها خدها ، وكأن بين أحفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها وإتقان تشكيكها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفرشاً من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشي ، وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي ، مكتوب بالذهب الأحمر ، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين ، وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن ورنيح طيب ، لحاؤه أرق من الورق الصيني ، تتكاثف فيه ملوك الصين والهند . وورد عليه وهو في عسكره محارباً لبعض أعدائه كتاب ملك التبت : من خاقان ملك تبت^(٤) ومشارك الأرض المتاخمة للصين والهند . إلى أخيه الحمود في السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة للأقاليم السبعة^(٥) . وأهدى إليه أنواعاً من العجائب التي تحمل من أرض تبت منها

(١) في ب « من نابت منضد بالجوهر » .

(٢) في ب « عثريا » . (٣) في ب « سبعة أشبار » .

(٤) في ب « ملك تبتان » . (٥) في أ « المملكة المتوسطة والأقاليم السبعة »

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٦٧

مائة جوشن تبتية ، ومائة قطعة تجافيف^(١) ، ومائة ترس^(٢) تبتية [مذهبة] ، وأربعة آلاف من المسك [الخزائني] في نوافج غزلانه .

وقد كان أنوشروان سار إلى ماوراء نهر بلخ ، وانتهى إلى ختلان^(٣) ، وقتل أخشنواز^(٤) ملك الهياطلة بجده فيروز ، وملك مملكته فأضافها إلى ملكه . وقد كان نقل إليه من الهند كتاب كلية دمنه والشرنج ، والخضاب الأسود المعروف بالهندي ، وهو الخضاب الذي يلعب سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ، ولا ينصل منه شيء ..

ويحكى أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب . وكان لأنوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها : ليهنه طعامه من أكله من حله ، وعاد على ذوى الحاجة من فضله ، ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته ، وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك ، وكان له خواتم أربعة : خاتم للخراج فصه^(٥) من العقيق ونقشه العدل ، وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العارة ، وخاتم للمعونة فصه ياقوت حكى نقشه التأتني ، وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر [يتقد] كالنار نقشه الرجاء^(٦) ، ووضع أنوشروان على العراق وضائع الخراج فالزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما ، والأرز نصفاً وثلاثاً ، ولكل أربع نخلات فارسية درهما ، وكل ست نخلات دقل درهما ، وكل ست أصول زيتون درهما ، والكرم ثمانية دراهم ، والرطب سبعة دراهم ، فهذه سبعة أنواع من الغلات ، وترك ماعداها ؛ إذ كانت لقضم الناس^(٧) والبهايم ، وكان أنوشروان يدعى كسرى الخير ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، ففي ذلك يقول عدى بن زيد العبادي من كلمة :

(١) في ب « تحافف » (٢) في ب « ومائة برسن » .

(٣) في ب ، جيلان . (٤) في ب « أحسوان » .

(٥) في أ « فصه ياقوت أحمر يتقد كالنار » .

(٦) في أ « نقشه الوفاء » . (٧) في أ « تعم الناس والبهايم » .

أين كسرى خير الملوك أنوشرو وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
لم يهتبه ريب النون ، فولى الملك عنه ، فبابه مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور^(١)

وجلس أنوشروان يوماً للحكام ليأخذ من آدابهم^(٢) فقال لهم وقد أخذوا
مرايتهم في مجلسه : دُلُونِي عَلَى حِكْمَةٍ فِيهَا مَنْفَعَةٌ خَاصَّةٌ نَفْسِي وَعَامَةٌ رَعِيَّتِي ،
فتكلم كل واحد [منهم]^(٣) بما حضره من الرأي ، وأنوشروان مطرق
يتفكر في أقاويلهم ، فاتتهى القول إلى بزرجمهر بن البختكان ، فقال :
أيها الملك أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة ، فقال : هات ، فقال : أولهن
تقوى الله في الشهوة والرغبة والرغبة والغضب [والهوى] ، فاجعل ما عرض
من ذلك كله لله لا للناس ، والثانية الصدق في القول [والعمل] والوفاء
بالعِدَاتِ والشروط والعهود والمواثيق ، والثالثة مَشُورَةُ الْعُلَمَاءِ فيما يحدث من
الأمور ، والرابعة إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقواد والكتّاب
والخول بقدر منازلهم ، والخامسة التمسك بالقضاة والفحص عن العمال محاسبة
عادلة ، ومجازاة المحسن منهم بإحسانه والمسيء على إساءته ، والسادسة تعهد
أهل السجون بالعرض لهم في الأيام لتستوثق من المسيء وتطلق البريء ،
والسابعة تعهد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم ، والثامنة حسن تأديب
الرعية على الجرائم وإقامة الحدود ، والتاسعة إعداد السلاح وجميع آلات الحرب ،
والعاشر إكرام الولد والأهل والأقارب وتفقد ما يصلحهم ، والحادية عشرة إذكاء
العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ [له أهبتة قبل هجومه] ، والثانية عشرة تفقد

(١) في الأصول : كأنهم ورق جف تدرى به الصبا والدبور . والذي أثبتناه
هو المعروف بـ رواية البيت ، والمتروك لا يستقيم معه الوزن .

(٢) في ١ : من آرائهم .

(٣) في ١ : « ما حضره » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٦٩

الوزراء والحول والاستبدال بذى الغش والعجز^(١) عنهم ، فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب ، وقال : هذا كلام فيه جوامع^(٢) أنواع السياسات الملوكية .

وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته أنه سئل : ما أعظم الكنوز قدراً ، وأنفعها عند الاحتياج^(٣) ؟ إنها ؟ فقال : معروف أو دعتة الأحرار ، وعلم توريثه الأعقاب .

وقيل لأنوشروان : من أطول الناس عمراً ؟ فقال : من كثر علمه فتأدب به من بعده ، أو معروفه فيشرف به عقبه .

وأنوشروان الذى يقول : الإِنعام لِقَاحٌ ، والشكر ولادة ، والمنعم هو الجاعل [للشاكر] إلى شكره سبيلاً .

وهو الذى يقول : لا نعدنَّ الحرصاء فى الأمانة ، ولا الكذابين فى الأحرار . وقال أنوشروان يوماً لبزرجهر : من يصلح من ولدى الملك فأظهر ترشيحه والإيحاء إليه ، فقال : لا أعرف ولدك^(٤) ، ولكنى أصف لك من يصلح للملك : أسماهم للمعالى ، وأطلبهم للأدب ، وأجزعهم من العامة ، وأرافهم بالرعية ، وأوصلهم للرحم ، وأبعدهم من الظلم ؛ فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك .

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى كتاب « الزلف » الخصال التى يستحقها الملك من وجدت فيه ، وما ذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها فى ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كأفلاطون ، وما ذكره فى كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره .

وذكر عن بزرجهر أنه قال : رأيت من أنوشروان خصاتين متباينتين لم

(١) فى ب « بذوى الغش والفجر »

(٢) فى ا « جمع أنواع السياسات »

(٣) فى ا « عند الحاجة إليها » .

(٤) فى ب « لا أعرف ذلك »

أر مثلهما منه ؛ جلس يوماً للناس فدخل رجل من خاصة أهله فتحاه وزيره ، فأمر به أن يقام ويحجب عنه سنة لتعديده المرتبة التي رسمت له ، وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ، ثم رأيته يوماً ونحن عنده في سر من تدبير شيء من المملكة ، وخدمته خلف فراشه وسري ملكه يتحدثون ، فارفعأت صواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه ، فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحالتين ، فقال لي : لا تعجب ^(١) فنحن ملوك على رعيتنا ، وخدمنا ملوك على أرواحنا ينالون ^(٢) منا في خلوتنا مالا حيلة لنا معه في التحرز منهم .

وكان أنوشروان يقول : الملك بالجند ، والجند بالمال ، والمال بالخراج ، والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل ، والعدل بإصلاح العمال ، وإصلاح العمال باستقامة الوزراء ، ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه .

وكان يقول : صلاح أمر الرعية أنصر من [كثرة الجنود ، وعدل الملك أنفع من] خصب الزمان ^(٣) .
وكان يقول : أيام السرور كلح البصر ، وأيام الحزن تكاد تكون شهوراً .

قال المسعودي : ولأنوشروان سير [وأخبار] حبيبان ، قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وما كان منه في مسيره في سائر أسفاره ، وما بنى من المدن والحصون ، ورتب من المقاتلة في الثغور .

ملك هرمز ثم ملك بعده « هرمز » بن أنوشروان بن قباد ، وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك ، وقيل : بل ملك من ملوك الخزر مما يلي الباب والأبواب ، فكان ملكه اثنتي عشرة سنة ، وكان متحاملاً على خواص الناس ، مائلاً إلى عوامهم

(١) في ب « لا تعجل » .

(٢) في ا « يكون منا في خلوتنا » .

(٣) في ب « أخصب من عدل الزمان » .

الجز الأول : ذكر ملوك الساسانية وأخبارهم ٢٧١

مقويًا لهم^(١) . مؤثرًا للروبية^(٢) وتوابع العوام ، مغزيًا لهم بخواص الناس ، وقيل : إنه قتل في مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر ألف رجل مذكور . ولا ثنتي عشرة^(٣) سنة من ملكه تخرّم عليه الملك ، وتداعت أركانه ، وزحفت إليه الأعداء ، وكثرت عليه الخوارج ، وقد كان أزال أحكام المويذان . فخرت بذلك السنة المحمودة والشرعية المعهودة ، وغير الأحكام ، وأزال الرسوم ، وكان ممن سار إليه شابة بن شب^(٤) عظيم من ملوك الترك في أربعائة ألف ، فنزل نحو بلاد هرة وبدغيس^(٥) وبوشنج من أرض خراسان ، وسار إليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر في جيش عظيم ؛ فشنوا الغارات فيما بين ذلك الصقع بخيل أوقت^(٦) ، وملوك تهادنت ، وتواهبت ما كان بينها من السماء مما يلي جبل القبح ، وسار بطريق لقيصر في ثمانين ألفًا مما يلي الجزيرة ، وسار مما يلي اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد ، وعليهم العباس المعروف بالأحول وعمرو الأفوه ، فاضطرب على هرمز أمره ؛ وأحضر الموابذة وذوى الرأى منهم من بعد إخماله^(٧) لهم وشاورهم ، فكان من نتيجة رأيهم موادة الوجوه الثلاثة وإرضائهم والإقبال على شابة بن شاب^(٨) ، فاندب لحربه بهرام جويين^(٩) مرزبان الرى ، وكان بهرام هذا من ولد جويين بن ميلاد من نسل أنوش المعروف بالرام ؛ فسار في اثني عشر ألفًا ، وشابة^(٤) في أربعائة ألف ، فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب وحيل في الحرب ، إلى أن قتله بهرام ، واستباح عسكره ، واستولى على خزائنه وأمواله ، وبعث إلى هرمز برأسه ، وقد كان برمودة بن شابة^(٤) ولده تحصن في بعض القلاع من بهرام ؛ فنزل عليه بهرام ، فنزل برمودة على حكم هرمز ، وسار إليه ، وحمل بهرام حملا من الغنائم وما كان أخذه من شابة^(٤) مما كان معه من تركات الملوك ، مثل

(١) في « مقربا لهم » : (٢) في « مهينا للروبيضة وتوابع الأعوام »

(٣) في « وإحدى عشرة » : (٤) في « شابة بن شب »

(٥) في « وبلاد عيسى » : (٦) في « بخيل أوقت »

(٧) في « احتماله لهم » : (٨) في « بهرام جور بن مرزبان »

ما كان في خزائن فراسياب من الأموال والجواهر التي كان أخذها من سياوخش ، وما كان بأيدي الترك من تركات بهراسف^(١) ملك الترك بما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة ، فلما انتهى ما وصفنا من الأموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزير هرمز أرتيخيس^(٢) الخوزي ، وقد نظر إلى إعجاب هرمز بما حمل إليه بهرام وسروره به ، فقال : أعظم هذه زلتة ، وعرض لهرمز بخيانة بهرام ، واستبداده بأكثر الجواهر والأموال والغنائم ، وأغراه به ، فصاه بهرام ، ثم احتال بهرام بدرام ضرب عليها اسم كسرى أبرويز ، ودس أناساً من التجار فأنفقوها بباب هرمز ، فتعامل بها الناس ، وكثرت في أيديهم ، وعلم بها هرمز ، فلم يشك في أن ابنه أبرويز ضربها طلباً للملك ، فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ، ولم يعلم أن الحيلة في ذلك من بهرام ، فهرب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ، ولحق بيلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان ، وحبس هرمز خالي أبرويز بسطام وبنديوه^(٣) ، فأعلا الحيلة في محبسهما وخرجا فانضاف إليهما خلق من الجيش فدخلوا على هرمز فسَمَلَا عينيهِ وأعمياه ، فلما نعى ذلك إلى أبرويز سار إلى أبيه فدخل عليه وأخبره أنه لا ذنب له في ذلك ، وإتمامه بـ خوقاً هلى نفسه منه ، فتوجه هرمز وسلم الملك إليه ، ونعى ذلك إلى بهرام جويين^(٤) فسار في عساكره يؤم الباب ودار الملك ، فخرج إليه أبرويز ، فالتقيا على شاطئ النهر وان ، والنهر بينهما ، فتواقعا ، وكان لهما خطب طويل من تقاذفٍ وتشتام ، ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز لتخلف أصحابه عنه وميلهم إلى بهرام ، فقام تحته فرسه المعروف بشيدار^(٥) — وهو المصور في الجبل ، وهو بيلاد قرماسين من أعمال الدينور

(١) في ب « هو حاسف » . (٢) في ب « أرتيخيس » .

(٣) في ب « وتنديوه » . (٤) في ب « إلى بهرام جور » .

(٥) في ب « للمروف بشيدار » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٧٣

[من ماء الكوفة] هو أبرويز وغير ذلك من الصور ، وهذا الموضع من إحدى عجائب العالم^(١) ، وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة في الصخر ، والقرس^٢ تذكر في أشعارها وغيرها من العرب هذا القرس المعروف بشبدار ، وقد كان أبرويز على شبدار في بعض الأيام فاقطع عنائه ، فدعا بصاحب سروجه ولجه ، فأراد ضرب عنقه لمالم يتعهد العنان ، فقال : أيها الملك ، ما بقى سير يحد^(٣) به ملك الإنس وملك الخليل ، فأطلقه ، وأجازته ، ولما باج^(٤) هذا القرس تحت أبرويز وقصر طلب إلى النعمان في المعركة أن يمين عليه بفرسه المعروف باليحموم ، فأبى عليه ، ونجا عليه بنفسه ، ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي إلى أبرويز وقد خاتته الرجال وأشرف على الهلاك ، فأعطاه فرسه المعروف بالصيب^(٥) ، وقال له : أيها الملك ، انج على فرسي فإن حياتك للناس خير من حياتي ، وأعطاه أبرويز فرسه شبدار فنجا عليه في جملة الناس ، ومضى أبرويز إلى أبيه ؛ ففي ذلك يقول حسان ابن حنظلة الطائي :

وأعطيت كسرى ما أراد ، ولم أكن لأتركه في الخليل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الصيب وقد بدت مسومة من خيل ترك ووائل^(٥)
فكافأه أبريز بعد ذلك ، وعرف له ما صنع ، ولما سار أبرويز من الهزيمة إلى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجد به ؛ فإن الملوك إذا استنجدت في مثل هذه الحالة أنجدت ، في خطب طويل جرى بينه وبين أبيه ، ففضى أبرويز وتبعه غيره من الخواص ، وخاله بسطام وبنديويه ، وعبر دجلة ، وقطع الجسر خوفاً من خيل بهرام ، ونظر في مسيره ذلك اليوم إلى خاليه ، وقد تأخرا عنه ، فاستراب بهما وبمن انضاف إليهما ممن كان معهم ، فسألها عن السبب ،

(١) في ١ « أحد عجائب ما فيها من الصور » .

(٢) في ١ « ما بقى شيء يجتذبه » . (٣) في ب « ولما تلج » .

(٤) في ١ « المعروف بالصيب » . (٥) في اترك وبابلا .

(١٨ — مروج الذهب ١)

فقلا : لسنا بآمنين أن يدخل بهرام إلى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه، وإن كان أعشى ، ويصير هو الهرمزان^(١)، وتفسير ذلك أمير الأمراء، والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدهستق، فيكتب بهرام عن أبيك هرمز إلى قيصر: إن ابني أبرويز وجماعة انضافوا إليهم وبنو ابني وسمو اعيني، فاحمله إلى، فيحملنا قيصر إليه، فيأتي علينا بهرام، ولا بد لنا من الرجوع إلى أبيك وقلته، فنأشدهما الله أن لا يفعل ذلك، وأظهر - فيما ذكر عنه - البراءة من فعلهما، فرجعنا من فورهما، ومن تسرع معهما إلى المدائن وقد صاروا على أميال منها، فدخل على هرمز فحقتناه، ولحقا بأبرويز، ولحقهم خيل بهرام، وكانت بينهم حيلة^(٢) في بعض الديارات إلى أن تخلصوا من تلك الخيل، وسار أبرويز؛ ففي هرمز يقول ورقة بن نوفل:

لم يبن هرمز شيء من خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سايمان إذ تجرى الرياح له والجن والإنس تجري بينها البرد
وأسرع بهرام جوبين^(٣) إلى المدائن من النهر وان، حين بلغه قتل هرمز
فاحتوى على الملك، ولحق أبرويز بالرهاق فزها، وكاتب ملك الروم، وهو موريقيس
مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه، يسأله النصرة على عدوه، ويضمن له الوفاء
بما ينفقه من أمواله، والإحسان إلى جنده، وأنه يؤدي إليه ديات من يقتل من
رجاله، وغير ذلك من الشروط، وأهدى إليه هدايا كثيرة: منها مائة غلام من
أبناء أراكنة الترك في نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور، في آذانهم أقراط
الذهب فيها الدر واللؤلؤ^(٤)، ومائدة من العنبر فتحتها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم
من الذهب مفصلة بأنواع الجواهر أحد الأرجل ساعد وكف أسد والآخر ساق
وعلى بظلفه، والثالث كف عقاب بمخلبه، وفي وسطها جام جزع يمانى فاخر فتحتها

(١) في « القردمان » . (٢) في ب « وكانت منهم حيلة » .

(٣) في ب « بهرام جور » .

(٤) في أ « فيها الدر والياقوت معلقا » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٧٥

شبر مملوء حجارة ياقوت أحمر ، وسفط من ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أرفع ما يكون ، فحمل إليه موريتس ملك الروم ألف دينار ، ومائة ألف فارس ، بعث بهم مع هديته ، وألف ثوب من الديباج الخزائني المنسوج بالذهب الأحمر وغيره من الألوان ، وعشرين [ومائة^(١)] جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصفالبة والوشكنس^(٢) وغيرهم من الأخناس المجاورة لملك الروم على رءوسهن أكاليل الجوهر ، وزوّجه بابنته مارية وحماها إليه مع أخيه تندوس^(٣) ، واشترط ملك الروم على أبرويز شروطاً كثيرة : منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنو شروان ، وترك التعرض لذلك ، فأجاب به إلى ذلك ، وقد كانت ملوك الفرس تنزوج إلى سائر من جاورها من ملوك الأمم ولا تزوجها ؛ لأنهم أحرار وأنجاد ، وللفرس في هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السنن^(٤) وتحمسها ؛ فكانوا يقفون بمزدلفة ، وهو يوم الحج الأكبر ، ويقولون : نحن الخمس ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار « أنا رجل أحمسي » ولما اجتمع لأبرويز ما وصفنا سار إلى بلاد أذربيجان ، فاجتمع إليه هنالك من كان من العساكر بها ، وانضاف إليه كثير من الجنود والأمم ، وبلغ بهرام جويين ما قد عزم عليه ؛ فسار إليه فيمن كان معه من عساكره ، فالتقى الجيشان جميعاً ، فتوجهت على بهرام ، فانكشف في نفر من أصحابه ، وانتهى إلى أطراف خراسان ، وكاتب [خاقان^(٥)] ملك الترك فأهله وسار إلى ملكه هو ومن خف معه من أصحابه وأخته كردية ، وكانت في الشجاعة والفروسية نحوه ، وعليها كان يعول في كثير من حروبه ، ومضى كسرى أبرويز إلى دار مملكته ، وأمر الجنود موريتس بالأموال والمراكب والكساوى ، وكافأهم على ما كان منهم في معوته ، وحمل إليه ألف دينار ؛

(١) زيادة عن ١ . (٢) في ب « والوشكنس » .

(٣) في ب « أخيه سدوس » . (٤) في ب « وتركها سبق » .

وَقَرَنَ ذَلِكَ بهدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ، وَوَفَى لَهُ بكل ما وعدّه ، وخرج من كل ما أوجبه على نفسه ، واحتال أبرويز في قتل بهرام في أرض الترك ، فقتل هناك غيلةً ، وذَكَرَ أَنَّ رأسه حمل [بعد أن احتيل عليه وأُخرج من التاووس الذي كان خاقان ملك الترك دفنه فيه ، وحمله إليه رجل تاجر فارسي]^(١) فنصب على باب أبرويز في رحبة قصره ، وخرجت كردية فيمن كان معها من أصحاب بهرام من أرض الترك ، وقد كان لها أخبار في الطريق مع ابن خاقان ، وكانها أبرويز في قتل خاله بسطام ، وكان مرزبان الديلم وخراسان^(٢) قتلته ، وقتل خاله الآخر بأبيه هرمز ، ثم صارت كردية إليه فتزوجها .

وللمرس كتاب مفرد في أخبار بهرام جوبين ، وما كان من مكايده ببلاد الترك حين سار إليها^(٣) ، واستنقذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العنز^(٤) الكبير كان قد احتملها من بين جواربها وعلاها وقد خرجت لبعض متبرهاها ، وما كان من بدء حاله إلى مقتله ونسبه .

وكان وزير أبرويز ، والغالب عليه ، والمدير لأمره ، حكيمٌ من حكماء الفرس وهو بزرجمهر بن البختكان ، فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل إلى بعض الزنادقة من النُّنوية ، فأمر بحبسه ، وكتب إليه : كان من ثمرة علمك ونتيجة ما أدرك إليه عقلك ، أن صرت أهلاً للقتل ، وموضعاً للعقوبة ، فكتب إليه بزرجمهر : أما إذ كان معي الجدل فقد كنت أتنفع بثمره عقلي ؛ فالآن إذ لاجدٌ معي فقد أتنفع بثمره الصبر ، وإذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر ، وأغرى أبرويز بزرجمهر ، فدعا به ، وأمر بكسر أسنانه وفمه ، فقال بزرجمهر : في^(٥) لأهل لما هو شر من هذا ، فقال أبرويز : ولم يا عدو الله

بين أبرويز
وبزرجمهر

(١) زيادة في ب وحدها . (٢) في ب « مرزبان الديلم بخراسان » .

(٣) في ب « صارت إليه » . (٤) في ب « نحو العير الكبير » .

(٥) في أ « إني لأهل » وهي أصح .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٧٧

الخالف ؟ فقال : لأنى كنت أصفك خلواص الناس وعوامهم بما ليس فيك ، وأقربك من قلوبهم ، وأرفع من محاسن أمورك ، الم نكن عليه ، اسمع منى ياشير الملوك نفساً ، وأخبثهم فعلاً ، وأسوأهم عشرة ، أتقتلنى ^(١) بالشك وترفع به اليقين الذى قد علمته منى من التمسك بالشرية ^(٢) ؟ من ذا الذى يرحو عدلك ويثيق بقولك ويطاحن إليك ؟ فغضب أبرويز ، وأمر به فضرب عنقه ، ولبرز جمهورى أيدى الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير فى الزهد وغيره ، وندم أبرويز على قتله ، وتأسف ، ودعا بخير اريس ^(٣) الوزير الثانى ، وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر ، فلما رأى بزرجمهر قتيلاً أسف عليه ، وعلم أنه لا ينجو ، فأغلظ لأبرويز فى الكلام ، فأمر به فقتل وأغرق فى دحلة ، فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفاية ^(٤) وتدير الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل إلى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها ، وحملها على ما لم تكن تعهد ، وأوردهم إلى ما لم يكونوا يعرفونه من الظلم ، فوثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فوقاس ^(٥) فيمن اتبعه على موريقس ملك الروم حتى أبرويز ومنجده فقتلوه ، ومككوا فوقاس ^(٥) ، ونى ذلك إلى أبرويز فغضب لمحيه ، وسير إلى الروم الجيوش وكانت له فى ذلك أخبار يطول ذكرها ، وسير شهريار مرزبان المغرب إلى حرب الروم ، فنزل أنطاكية ، فكانت له مع الروم وأبرويز أخبار ومكاتبات وحيل إلى أن خرج ملك الروم إلى حرب شهريار ، وقدم خزائنه فى البحر فى ألف مركب ، فألقته الرياح إلى ساحل أنطاكية ، فغنمها شهريار ، وحملها إلى أبرويز ، فسميت خزائن الرياح ، ثم فسدت الحال بين أبرويز وشهريار ، ومايل شهريار ملك الروم ، فسيره شهريار نحو العراق إلى أن انتهى إلى النهروان ، فاحتال

(١) فى ب « لا تقتلنى بالشك » . (٢) فى ب « بالتمسك بالشرية » .

(٣) فى ب « بجبر أرثؤس » . (٤) فى ب « من الكفاية » .

(٥) فى ب « فانوس » .

أبرويز في كتب كتبها مع بعض أساقفة النصرانية ممن كان في ذمته حتى رده إلى القسطنطينية وأفسد الحال بينه وبين شهربار ، وغير ذلك مما قد أتينا على ذكره في الكتاب الأوسط .

يوم ذى قار وفي ملك أبرويز كانت حروب ذى قار^(١) ، وهو اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، ونصرت عليهم » وكانت وقعة ذى قار لتمام أربعين سنة من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد أن بعث ، وقيل : بعد أن هاجر ، وفي رواية أخرى أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر^(٢) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهمزان^(٣) صاحب كسرى أبرويز ، وقد أتينا على هذه الأخبار على الشرح والإيضاح في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إيراده في هذا الموضع .

وفي أيام أبرويز كانت حوادث^(٤) نذر بالنبوة وتبشر بالرسالة ، وأنفذ أبرويز عبد المسيح بن بيلة الغساني إلى سطيح الكاهن ، فأخبره برؤيا الموبدان واربجاح الإيوان ، وغير ذلك من أخبار [فيض وادي السماوة]^(٥) وما كان من بيرة ساوة .

وكان لأبرويز تسعة خواتم تلور في أمر الملك : منها خاتم [فضة] فصه ياقوت أحمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس تحتم به الرسائل والسجلات ، والخاتم الثاني فصه عقيق نقشه « خراسان حرة » وحلقته ذهب تحتم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس [يركض] وحلقته ذهب منقوش فيه « ألواحاً » يحتم به أجوبة البريد ، والخاتم الرابع فصه ياقوت مورد نقشه « بالمال ينال ح » وحلقته ذهب يحتم به البراوات والكتب .

إرهاصات
النبوة ييلاد
فارس

(١) في أ « كان حرب ذى قار » . (٢) في أ « بأربعة أشهر » .

(٣) في ب « والهمزان » . (٤) في أ « حدث حوادث » .

(٥) زيادة في ب وحدها .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٧٩

في التجاوز عن العصاة والمذنبين ، والخاتم الخامس فسه ياقوت بهرمان ، وهو أحسن ما يكون من الحجرة وأصفها وأشرفها ، نقشه « حره وخرم »^(١) أي بهجة وسعادة حافظه^(٢) لؤلؤ وماس ، يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلي ، والخاتم السادس نقشه « عقاب » يختم به كتب الملوك إلى الآفاق وفسه حديد حبشي^(٣) ، والخاتم السابع نقشه « ذباب » يختم به الأدوية والأطعمة والطيب فسه بادزهر ، والخاتم الثامن فسه جُحان نقشه « رأس خنزير » يختم به أعناق من يؤمر بقتله وما ينفذ من الكتب في الدماء ، والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام و [فسه] الأذن .

وكان على مربطه خمسون ألف دابة وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد أبرويز عدد ما لركابه من الخيل ، وكان على مربطه ألف فيل ، منه أشهب أشدياضا من الثلج ، ومنها ما ارتقاه اثناعشر ذراعا ، وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتقاه هذا القدر ، وأكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة الأذرع إلى العشرة ، وملوك الهند تبالغ في أثمان ما عظم من الفيلة ، وارتفع من الأرض ، وقد يكون من الوحشية في أرض الزنج [من الفيلة] ما هو أعظم سمكا مملوصفنا بأذرع كثيرة على حسب ما تحمل من قرونها المسماة بالأنياب ما وزن الناب [منها] خمسون ومائة من إلى المائتين ، والمن رطلان بالبغدادى ، وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل^(٤) .

وقد كان أبرويز خرج في بعض الأعياد وقد صفت له الجيوش والعدد والسلاح تدريب الفيل وفيما صف له ألف فيل ، وقد أهدت به خمسون ألف فارس دون الرجال ، فلما نظرت الفيلة سجدت له ، فما رفعت رؤوسها وبسطها لخراطيمها حتى جذبت بالحاجز^(٥) ، وراطنها الفيلون بالهندية ، فلما بصر بذلك أبرويز تأسف على

(١) في ب « نقشه حره وخرم » . (٢) في ا « مثله لؤلؤ وماس » .

(٣) في ا « حديد صيني » . (٤) في ا « جسم الفيل » .

(٥) في ا « بالحاجز » .

ما خص به [أهل] الهند من فضيلة القبيلة ، وقال : ليت [أن] القبيل لم يكن هنديا وكان فارسيا ، انظروا إليها وإلى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها ، وقد افنخرت الهند بالقبيلة وعظام أجسامها ، ومعرقتها ، وحسن طاعتها ، وقبولها الرياضات ، وفهمها المرادات ، وتمييزها بين الملك وغيره ، وأن غيرها من الدواب لا يفهم شيئاً [من ذلك] ولا يفصل بين شيتين ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من الفصول في أخبار القبيلة ومآلاته الهند وغيرهم في ذلك ونفضيها على سائر الدواب .

(شبرويه) ابن أبرويز
فكانت مدة ملك أبرويز إلى أن خلع وسمت عيناه وقتل ثمانية وثلاثين سنة ثم ملك بعده ولده « قباذ » المعروف بشبرويه القابض على أبيه ، والجاني عليه ، والقاتل له ، والفرس تسميه المشثوم^(١) ، وفي أيامه كان الطاعون بالعراق وغيره من الأقاليم ، فهلك فيه مائتا ألف من الناس^(٢) ، فالكثير يقول : هلك نصف الناس ، والمقل يقول : الثلث ، وكان ملك شبرويه إلى أن هلك سنة وستة أشهر ، وقيل : أقل من ذلك .

ولكسرى أبرويز ولابنه شبرويه ما أخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

أردشير . ثم ملك بعده شبرويه ولده « أردشير » ولي عهد الملك ، وهو ابن سبع سنين ، فسار إليه من أنطاكية من بلاد الشام شهر يار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع أبرويز وملك الروم فقتله ، فكان ملكه خمسة أشهر .

شهر يار . ثم ملك « شهر يار » نحواً من عشرين يوماً ، وقيل : شهرين ، وقيل غير ذلك ، وَاغْنَالْتِه ابنة لكسرى أبرويز يقال لها أرزى دخت^(٣) فقتلته .

كسرى . ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز ، وقيل : إنه ابن لأبرويز ، وكان بناحية

(١) في « تسميه العشوم » .

(٢) في « فهلك فيه مائتا ألف من الناس » .

(٣) في ب « أرزى دخت » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٨١

الترك ، فسار يريد دار الملك ، قفقتل في الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر .
ثم ملكت بعده « بوران » بنت كسرى أبرويز ، فكان ملكها سنة ونصفا .
ثم ملك رجل من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الأثيم . يقال
له « فيروز خشنشده »^(١) « فكان ملكه شهرين .
ثم ملكت ابنة لكسرى أبرويز يقال لها « أرزمي دخت »^(٢) « فكان ملكها
سنة وأربعة أشهر .
ثم ملك فرهاد خسرو »^(٣) بن كسرى أبرويز ، وهو طفل ، فكانت مدة
ملكه شهراً ، وقيل أشهراً .

ثم ملك يزدجرد بن شهر يار بن كسرى أبرويز بن هرم بن أنوشروان بن قباد
ابن فيروز بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن هرم بن سابور بن أردشير بن بابك
ابن ساسان . وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه إلى أن قتل بمرو من بلاد
خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان
رضي الله عنه . وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة ، وقيل غير ذلك في
مقدار ما ملكه وخبر مقتله .

قال المسعودي : وذهب الأكثر من الناس ممن عني بأخبار الفرس وأيامهم . إحصاء بعدة
ملوك الفرس إلى أن جميع من ملك من آل ساسان من أردشير^(٤) بن بابك إلى يزدجرد بن شهر يار
من الرجال والنساء ثلاثون ملكاً : امرأتان ، وثمانية وعشرون رجلاً . ووجدت في
بعض التواريخ أن عدد ملوك الساسانية اثنتان وثلاثون ملكاً ، وعدد الملوك الأول
سهم الفرس الأول - من كيو مرث إلى دارا بن دارا تسعة عشر ملكاً ، منهم امرأة
وهي حمية^(٥) بنت بهمن ، و فراسياب التركي ، وسبعة عشر رجلاً ، وعدد ملوك
الطوائف الذين قدمنا ذكرهم من مقتل دارا إلى أن ظهر أردشير بن بابك

- (١) في ب « فيروز خشنش » . (٢) في ب « أرزمي دخت » .
(٣) في ب « فرخ زاد خسرو » . (٤) في ب « من آل ساسان بن أردشير »
(٥) في ب « جمانه » .

أحد عشر ملكا . وهم ملوك الشيز^(١) والران . ومن أجابهم سى سائر ملوك الطوائف الأشغان . فجميع الملوك من كيومرث بن آدم — وهو أول ملوك بني آدم عندهم . على ما ذكرت الفرس — إلى يزدرج بن شهریار بن كسرى ستون ملكا : منهم ثلاث نسوة . ومدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة . وقيل : إن عدة الملوك من كيومرث إلى يزدرج ثمانون ملكا .

ورأيت جماعة من الأخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة في التواريخ وغيرها يذهبون إلى أن سنى الفرس إلى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمئة وتسعون سنة : منها من كيومرث إلى انتقال الملك إلى منوشهر ألف وتسعمائة وأثنتان وعشرون سنة . ومن منوشهر إلى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة . ومن زرادشت إلى الإسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة ، وملك الإسكندر خمس سنين^(٢) . ومن الإسكندر إلى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة . ومن أردشير إلى الهجرة أربعمائة سنة [وأربع سنين]^(٣) .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والأنبياء والملوك في باب نفرد له ذلك في الموضع المستحق له من هذا الكتاب ، دون ذكر الهجرة وخلافة أبي بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بني أمية وبني العباس ؛ لأننا قد أفردنا لما ذكرنا بابا آخر يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الأمويين والعباسيين ترجناه بذكر التاريخ الثاني .

وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة أجناس إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام جناس الفرس فالصنف الأول يقال له الخداهان^(٤) وهم الأرباب ، كما يقال : رب المتاع ، ورب الدار وذلك من كيومرث إلى أفريدون ، ثم الكيان من أفريدون إلى دارا بن دارا . ثم

(١) في ب « الشعن والران » . (٢) في ا « ست سنين » .

(٣) زيادة في ا وحدها (٤) في ب « الخداهان » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الساسانية ، وأخبارهم ٢٨٣

الأشعان^(١)، وهم ملوك الطوائف بعد الإسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ، ثم الساسانية وهم الفرس الثانية ، وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في «أخبار الفرس» الذي رواه عن عمر كسرى أن الفرس طبقات أربع ممن سلف وخلف : فالطبقة الأولى من كيو مرث إلى كرساب^(٢) ، والطبقة الثانية من كيان بن كيقباز إلى الإسكندر وآخرهم دارا ، والطبقة الثالثة وهم الأشعانية^(٣) ملوك الطوائف ، والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع ، وهم الساسانية أولهم أردشير ابن بابك ، ثم سابور بن أردشير ، هرمز بن سابور ، بهرام بن سابور ، بهرام بن نرسی بن سابور ، هرمز بن نرسی ، سابور بن هرمز ، أردشير بن هرمز ، سابور بن أردشير ، سابور بن سابور ، بهرام بن سابور ، يزدجرد بن بهرام ، بهرام بن يزدجرد ، فيروز بن يزدجرد ، بلاس بن يزدجرد ، قباد بن فيروز ، أنوشروان ، هرمز ، أبرويز ، شيرويه . أردشير . شهريار . بوران . كسرى بن قباد . فيروز . خشنشده . أرزمي دخت . فرحاد خسرو . يزدجرد .

وإنما ذكرنا هؤلاء بعد أن قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الباب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في أعدادهم وأسمائهم ، فأوردنا ما قاله المتنازعون من الأخباريين . وقد أتينا على أخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتبتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤوسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في أعصارهم ، وما كوروه من الكور ، وأحدثوه من المدن ، وغير ذلك من أحوالهم ، فيما سلف من كتبنا . وإنما ذكرنا في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم وأعداد ملوكهم ولعنا من أخبارهم ، وكذلك ذكرنا في كتابنا في «أخبار الزمان» خطب الطبقات الأربع ، وما حفر كل ملك منهم من الأنهار وانفرد بينائه من المدن . وآراء الملوك وأحكامها ، وكثيراً من قضاياها في خواصها وعوامها ، وأنساب أصحاب خيل الملك ، ومن كان على خيل كل ملك منهم في الحروب ، وأنساب حكامهم وزهادهم من اشتهر بذلك في أعصارهم ، وأنساب المرازبة ، وذكر أولاد الطبقات

(١) في ب «كوستاسب» . (٢) في ب «الأشعان» .

الأربع من تقدم ذكرهم ، وتشعب أنسابهم ، وتفرق أعقابهم ، ووصفنا الآيات الثلاثة التي شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون في أهل السواد إلى وقتنا هذا ، وأشراف السواد بعد الآيات الثلاثة من الشهاجة^(١) الذين شرفهم أيرج وجعلهم أشراف السواد . ثم الطبقة الثانية بعد الشهاجة^(٢) وهم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فردال^(٣) بن سيامك بن رمى بن كيومرث الملك . وكان لولد وهكرت عشر بنين ، فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين ، وكان وهكرت أول من تدّهن . والدهاقين تنفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم . وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرنا . وله خمس وثلاثون سنة . وخلف من الولد : بهرام ، وفيروز ، ومن النساء أدرك . وشاهين ، ومرداوند^(٣) . وأكثر عقبه بمرو ، والأكثر من أبناء الملوك وأعقاب الطبقات الأربع بسواد العراق إلى الآن يتدارسون أنسابهم ويحفظون أحسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ، ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوي الدراية بما وصفنا . قال المسعودي : فإذا قد ذكرنا جوامع من أخبار الفرس وطبقاتهم فأنذركم الآن ملوك اليونانيين ولعمري أخبارهم ، وتنازع الناس في بدء أنسابهم ، على الاختصار والإيجاز ، والله ولي التوفيق ، برحمته ورضوانه .

(١) في ب « الشهاجة » . (٢) في ب « بن فردان » .

(٣) في ب « أدرك وسها ومراد وزند » .

ذكر ملوك اليونانيين ، ولع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء أنسابهم

قال المسعودي : تنازع الناس في فرق اليونانيين ؛ فذهب طائفة من الناس إلى أنهم ينتمون إلى الروم ، ويضافون إلى ولد إسحاق ، وقالت طائفة أخرى : إن يونان هو ابن يافث بن نوح ، وذهب قوم إلى أنهم من ولد آراش بن ناوان^(١) ابن يافث بن نوح ، وذهب قوم إلى أنهم قبيل متقدم في الزمان الأول ، وإنما وهم من وهم أن اليونانيين ينسبون إلى حيث نسب الروم ، وينتمون إلى جدهم إبراهيم ؛ لأن الديار كانت مشتركة والمقاطن والمواطن كانت متساوية ، وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب ؛ فلذلك غلط من غلط في النسبة ، وجعل الأب واحداً ، وهذا طريق الصواب عند المفتشين ، وسبيل البحث عند الباحثين ، والروم قفّت في لغاتها ووضع كتبها اليونانيين ؛ فلم يصلوا إلى كنه فصاحتهم وطلاقة لسانهم والروم أقص في اللسان من اليونانيين ، وأضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم.

قال المسعودي : وقد ذكر [ذوو العناية بأخبار المتقدمين] أن يونان أخو قحطان ، وأنه من ولد عابر بن شالخ ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب ، وأنه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف إلى جملته حتى وافى أقاصى بلاد المغرب ، فأقام هنالك ، وأنسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه ، ووَازَى من كان هنالك في اللغة الأعجمية من الإفرنجية والروم ، فزالت نسبته^(٣) ، وانقطع سببه ، وصار منسياً في ديار اليمن غير معروف عند النسايبين منهم .

(١) في ب «أوزراس بن ياوان بن يافث» .

(٢) زيادة في ا وحدها (٣) في ب «وانقطع نسبه» .

وكان يونان جباراً عظيماً ، وسياً جسيماً ، وكان حسنَ العقل [والخلق]
جزل الرأي ، كثير الهمة ، عظيم القدر .

وقد كان يعقوب بن إسحاق الكندي يذهب في نسب يونان إلى ناذ كرنا
من أنه أخ لقحطان ، ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأنساب ، ويوردها
من حديث الآحاد والأفراد ، لا من حديث الاستفاضة والكثرة .

وقد ردَّ عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدة [له] طويلة ،
وذكر خلطه ^(١) نسب يونان بقحطان ، على حسب ما ذكرنا آنفاً في صدر
هذا الباب ، فقال :

أبا يُوسُفَ ، إني نظرت فلم أجد عَلَى الْفَخْصِ رَأْيَا صَحَّ مِنْكَ وَلَا عَقْدَا
وصرت حكيماً عند قوم إذا امرؤ بَلَاءُكُمْ جَمِيعاً لَمْ يَجِدْ عَنْدهُمْ عِنْدَا
أَنْقَرْنُ الْخَادَاً بدين محمد ؟ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً يَا أَخَا كَنْدَةَ إِذَا
وتخاطب يوناناً بقحطان ضَلَّةً لعمري لقد بَاعَدْتَ بينهما جدا

كن يونان ولما نشأ ولد يونان وكثر ^(٢) خرج يسير في الأرض يطلب موضعاً يسكنه ،
فاتته إلى موضع من الغرب ، فنزل بمدينة أثينا ^(٣) ، وهي المعروفة بمدينة
الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان ، وأقام بها هو ومن معه من ولده ،
فكثر نسله بها وبني [بها] البنيان العظيم ، إلى أن أدركته الوفاة ، فجعل وصيته
إلى الأكبر من ولده ، واسمه حريوس ^(٤) ، فقال له : يا بني ، إني قد وافيت
الأجل ، وقربت من الختم الواجب ، وإني راحل عنك ومفارقك ، ومفارق
إخوتك وأهل بيتك ، وقد كانت أحوالكم حسنة النظام بي ، وكنت لكم
كهنفاً في الشدائد ، وعوناً على الحن ، وَجِئْتُ مِنَ الزمان ؛ فعليك بالجلود فإنه

(١) في ١ « وكد خلطه »

(٢) في ب « وكبر » .

(٣) في ١ « أثينة »

(٤) في ب « حريوس » .

الجزء الأول : ذكر ملوك اليونانيين ، ولع من أخبارهم ٢٨٧

قطب الملك ، ومفتاح السياسة ، وباب السيادة ، وكن حريصاً على اقتناء الرجال بالإنعام عليهم تكن سيداً رشيداً ، وإياك وَالْحَيَدَ عن الطريق المثلى التي عليها بنى العقل^(١) ، فإن من ترك رأى اللب وثمره العقل تورط في المهالك ، ووقع في مقابض المتالف .

ثم مات يونان ، واستولى ولده حريوس على مكان أبيه ، وضم إليه أهله حريوس وولده [وعمل بما أمره]^(٢) ونما خبرهم ، وكثر نسلهم ، فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الإفرنجية والنوكبرد^(٣) ، وأجناس الأمم من الصقالبة وغيرهم . وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه : فيلبس ، وتسميره فيلبس محب الفرس ، وقيل : إن اسمه يابس^(٤) ، وقيل : فيلقوس ، وكانت مدة ملكه سبع سنين .

وقد قيل : إن اليونانيين لما أن سار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج إلى فارس ، وكان خراجهم بيضاً من ذهب عدداً معلوماً ووزناً مفهوماً وضريبة محصورة ، فلما أن كان من أمر الإسكندر بن فيلبس — وهو الملك الماضى الذى هو أول ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس — ما كان من ظهوره وهيمته بعث إليه داريوس^(٥) ملك فارس ، وهو دارا بن دارا ، يطالبه بما جرى من الرسم ، فبعث إليه الإسكندر : إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب ، وأكلتها ، فكان من حروبهم مادعا الإسكندر إلى الخروج إلى أرض الشام والعراق ، فاصطلم من كان بها من الملوك ، وقتل دارا ابن دارا ملك الفرس ، وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ، ومن لحق بهم من ملوك الشرق في الكتاب الأوسط .

(١) في ١ « التي عليها يبنى العقل » . (٢) زيادة في ١ وحدها

(٣) في ب « والنوكير » (٤) في ب « ملبس » .

(٥) في ب « دارانوس » .

ونسب قوم الإسكندر أنه الإسكندر بن فيلبس بن مصرم^(١) بن هرمس ابن هردوس بن ميطنون بن رومي بن نويط بن نوفيل بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح ، ونسبه قوم أنه من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، ومنهم من رأى أنه الإسكندر بن^(٢) يونه بن سرحون بن رومي بن قرمط بن نوفيل بن رومي بن الأصغر بن اليعز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم .

الإسكندر
وذو القرنين

وقد تنازع الناس فيه : فمنهم من رأى أنه ذو القرنين ، ومنهم من رأى أنه غيره ، وتنازعوا أيضاً في ذي القرنين : فمنهم من رأى أنه سمي بذى القرنين لبلوغه أطراف الأرض ، وأن الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ، ومنهم من رأى أنه من الملائكة . وهذا قول يُعزى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والقول الأول لابن عباس في تسمية الملك إياه . ومنهم من رأى أنه كان بذؤابتين من الذهب . وهذا قول يُعزى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد قيل غير ذلك . وإنما نذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب . وقد ذكره تَبَّع في شعره وافتخر به ، وأنه من قحطان . وقيل : إن بعض التبابعة غرامدينة رومية وأسكنها خلقاً من اليمن ، وإن ذا القرنين الذي هو الإسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها . والله اعلم .

وسار الإسكندر بعد أن ملك بلاد فارس ؛ فاحتوى على ملوكها ، وتزوج بابنة ملكها دارا بعد أن قتله ، ثم سار إلى أرض السند والهند ، ووطىء ملوكها ، وحملت إليه الهدايا والخراج ، وحاربه ملكها فور ، وكان أعظم ملوك الهند ، وكان له معه حروب ، وقتله الإسكندر مبارزة .

ثم سار الإسكندر نحو بلاد الصين والتبت ؛ فدانت له الملوك ، وحملت إليه

(١) في ١ « فيلبس بن مصر بن هرمس بن مردش بن منظور بن رومي بن لبط بن يونان بن يافث بن نوح » .

(٢) في ١ « الإسكندر بن برقة بن سرحون بن رومي بن بربط بن نوفل بن رومي بن الأصغر بن البعر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم » .

الجزء الأول : ذكر ملوك اليونانيين ، وأخبارهم ٢٨٩

الهدايا والضرائب ، وسار في مغاور الترك يُريد خراسان من بعد أن ذلَّ ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ، ورب بيلاد التبت خلقاً من رجاله وكذلك بيلاد الصين ، وكوّر بخراسان كوراً ، وبني مدناً في سائر أسفاره ، وكان معلمه أرسطاطاليس حكيم اليونانيين ، وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتليذ أفلاطون ، وأفلاطون تليذ سقراط ، وصرف هؤلاء همهم إلى تقييد علوم [الأشياء الطبيعية والنفسية، وغير ذلك من علوم] ^(١) الفلسفة واتصالها بالإلهيات ، وأبأنوا عن الأشياء ، وأقاموا البرهان ^(٢) على صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تناولها .

وسار الإسكندر راجعاً من سفره يؤمُّ المغرب ، فلما صار إلى مدينة نهر زور اشتدت علته ، وقيل : بيلاد نصيبين من ديار ربيعة ، وقيل : بالعراق ، فعهد إلى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس .

الحكماء
على جدث
الإسكندر

فلما مات الإسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الأمم ، وكان يجمعهم ، ويستريح إلى كلامهم ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم ، وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجواهر ^(٣) بعد أن طلى جسمه بالأطلية الماسكة لأجزائه ، فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم : ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة مفزاً وللعامّة واعظاً ، وقام فوضع يده على التابوت ، فقال : أصبح أسر الأسراء أسيراً ، ثم قام حكيم ثان فقال : هذا الإسكندر الذي كان يخبؤ الذهب فصار الذهب يخبؤه ، وقال الحكيم الثالث : ما أزهّد الناس في هذا الجسد ، وأرغبهم في هذا التابوت ! وقال الحكيم الرابع : من أعجب العجب أن القوى قد غلب ، والضعفاء لاهون مغترّون ^(٤) ، وقال الخامس : باذا الذي جعل أجله ضمناً ، وجعل أمله عياناً ، هلا باعدت

(١) زيادة عن اوحدها . (٢) في ١ « وأقاموا البراهين » .

(٣) في ١ « مرصع بالجواهر » . (٤) في ١ « مغترّون » محرفاً .

(١٩ - مهروج الذهب ١)

من أجلك ، لتبلغ بعض أملك ، هلا حقت من أملك بالامتناع عن فوت^(١) أجلك
وقال السادس : أيها الساعي المنتصب^(٢) جمعت ما خذلك عن الاحتياج ، فغودرت
عليك أوزاره وفارقتك أيامه ، ففغناه لغيرك ، ووباله عايك ، وقال السابع : قد
كنت لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك ، فمن كان له عقل فليعقل ،
ومن كان معبراً فليعتبر^(٣) ، وقال الثامن : رُبَّ هائب لك كان يغتابك من
ورائك ، وهو اليوم بحضرتك لا يخافك ، وقال التاسع : رب حريص على سكوتك
إذ لا تسكت ، وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم ، وقال العاشر : كم
أمانت هذه النفس^(٤) ثلاثموت ، وقد ماتت ، وقال الحادي عشر ، وكان
صاحب خزانة كتب الحكمة : قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك ، فاليوم لا أقدر
على الدنومك ، وقال الثاني عشر : هذا اليوم عظيم العبر ، أقبل من شره ما كان
مدبراً ، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً ، فمن كان باكياً على مَنْ زال ملكه
فليبك ، وقال الثالث عشر : يا عظيم الساطن اضمحل سلطانك كما اضمحل [ظل]
السحاب ، وعَفَتْ آثار مملكته كما عَفَتْ آثار الرباب^(٥) ، وقال الرابع عشر :
يا من ضاقت عليه الأرض طولاً وعرضاً ، ليت شعري كيف حالك فيما احتوى
عليك منها ؟ وقال الخامس عشر : أعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت
نفسه بجمع الحطام البائد والهشيم الهامد ، وقال السادس عشر : أيها الجمع الحافل^(٦)
والملتقى الفاضل ، لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذنه ؛ فقد بان لكم الصلاح
والرشاد من الغي والفساد ، وقال السابع عشر : انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى ؟!
وظل الغمام كيف انجلى ؟! وقال الثامن عشر ، وكان من حكماء الهند : يا من كان
غضبه الموت هلا غضبت على الموت ، وقال التاسع عشر : قد رأيتم أيها الجمع

(١) في « وقت أجلك » .

(٢) في « المنتصب » وأحسبه محرفاً عن « المنتصب » .

(٣) في ب « ومن كان مغترا فليغتر » .

(٤) في أ « كم أقامت هذه النفس » محرفاً .

(٥) في أ « كما عفت آثار الرباب » . (٦) في أ « الجمع الحافل » محرفاً .

الجزء الأول : ذكر ملوك اليونانيين ، وأخبارهم ٢٩١

هذا الملك الماضي فايتمظ به الآن هذا الملك الباقي ، وقال العشرون : هذا الذي دار كثيرًا و الآن يقر طويلا ، وقال الحادى والعشرون : إن الذى كانت الآذان تُنصت له قد سكت ، فايتمكلم الآن كل ساكت ، وقال الثانى والعشرون : سيلحق بك مَنْ سَرَّه مَوْنُكَ كما لحقت بمن سركمونه ، وقال الثالث والعشرون : مالك لا نُقلُ عضوا من أعضائك ، وقد كنت تستقل ملك الأرض ؟ بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذى أنت به ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد ؟ وقال الرابع والعشرون ، وكان من نساك الهند وحكامها : إن دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى أن يكون فى أولها ، وقال الخامس والعشرون ، وكان صاحب مائدته : قد فُرِشتَ النمارق ، ونضدت الوسائد^(١) وهيئت الموائد ، ولا أرى عميد المجلس ، وقال السادس والعشرون ، وكان صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرنى بالجمع والادخار فإلى من أدفع ذخائرك ؟ وقال السابع والعشرون وكان خازنًا من خزانه : هذه مفاتيح خزائنك ، فمن يقبضها قبل أن أؤخذ بما لم آخذ منها ؟ وقال الثامن والعشرون : هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طُوِيَتْ منها فى سبعة أشبار [ولو كنت بذلك موقعًا لم تحمل على نفسك فى الطلب]^(٢) ، القول التاسع والعشرون قول زوجته روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس : ما كنت أحسب أن غالب دارا الملك يغلب ، وإن كان هذا الكلام الذى سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شامة^(٣) فقد خلف الكأس الذى تشرب به الجماعة ، القول الثلاثون مايحكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيمه : لئن فقد من ابنى أمره ، فافقدت من قلبى ذكره .

وقبض الإسكندرو هو ابن ست وثلاثين سنة ، وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا ، وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وتملكه على سائر ملوك

(١) فى ١ « ونضدت النضائد » . (٢) زيادة فى ١ وحدها .

(٣) فى ب « فيه شرايه » .

وأتم الإسكندر الأرض، وملك وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وذلك بمقدونية، وهي مصر،
ودفنه وعهد إلى ولي عهده بطليموس بن أريت^(١) أن يحمل تابوته إلى والدته
بالإسكندرية، وأوصاه أن يكتب إليها إذا أتاها نعيه أن تتخذ وليمة وتنادي
في مملكتها أن لا يتخلف عنها أحد، وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوباً أو
مات له خليل؛ وليكون ذلك مأتم الإسكندر بالسور، خلاف مأتم الناس
بالحرن، فلما ورد نعيه إليها، ووضع التابوت بين يديها، نادى في أهل مملكتها
على مابه أمرها، فلم يجب أحد دعوتها، ولا بادر إلى ندائها، فقالت لحشمها:
ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي؟ فقالوا لها: أنت منعتهم^(٢) من ذلك، قالت:
وكيف؟ قبل لها: أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوباً، أو عدم خيلاً، أو فارق
حبيباً، وليس فيهم^(٣) أحد إلا وقد أصابه بعض ذلك، فلما سمعت ذلك استيقظت
وعلمت مابه سئلت، وقالت: لقد عزاني ولدى أحسن العزاء، وقالت: يا إسكندر
مأشبه أو آخرك بأوائلك، وأمرت به فجعل في تابوت من المرمر، وطلّى بالأطلية
الماسكة لأحزائه، وأخرجته عن الذهب؛ لعلها أن من يطرأ بعدها من الملوك
والأعم لا يتركونه في ذلك الذهب، وجعل التابوت المرمر على أحجار نُصِّدَتْ،
وصخور نصبت، من الرخام والمرمر قد رصفت، وهذا الموضع من الرخام والمرمر
باقٍ ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الإسكندر إلى هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع
من أخبار الإسكندرية وعجائبها، ومصر وأخبارها ونيلها، في الموضع المستحق
له من ذلك في كتابنا، إن شاء الله تعالى.

(١) في ب « بن أذينة » .

(٢) الوجه في العربية « معتهم » بكسر التاء وبدون الياء، ولكن المؤلف
يستعمل مثل ذلك كثيراً، وقد نهنا عليه مراراً فيما سبق .

(٣) في ا. « وليس منهم أحد » .

الجزء الأول : ذكر جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند ٢٩٣

ذكر جوامع من حروب الإسكندر^(١) بأرض الهند

قال المسمودي ؛ لما قتل الإسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند ، واقاد إليه جميع ملوك الهند ، على حسب ما ذكرناه من حمل الأموال والخراج إليه ؛ فباغته أن في أفاعى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة ، وسياسة وديانة ، وإنصاف للرعية ، وأنه قد أنى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكائهم مثله ، يقال له كند ، وكان قاهراً لنفسه ، مميّتا لصفاته من الشهوة والغضب وغيرها ، حاملا لها على خلق كريم ، وأدب زائن^(٢) : فكتب إليه كتابا يقول فيه : أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد ، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت ، وإلا منرت^(٣) ملكك ، وألحقك بمن مضى من ملوك الهند ، فلما ورد عليه الكتاب أجاب الإسكندر أحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد اجتمع له قبله أشياء لا يجتمع عند غيره مثلها [إلا من صارت إليه عنه]^(٤) فمن ذلك ابنة^(٥) له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها ، وفيلسوف يخبرك بمراك قبل أن تسأله ؛ لحدة مزاجه ، وحسن قريحته ، واعتدال بنيته ، واتساعه في علمه ، وطيب لا تخشى معه داء ، ولا شيئا من العوارض ، إلا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخرع لهذا الجسم الحسى ، وإن كانت بنية الإنسان وهيكله قد نصبت في هذا العالم غرضا للآفات والخوف والبلايا ، وقدح^(٦) عندى إذا أنا ملأته شرب منه عسكري بجمعه ولا ينقص منه شيء ، ولا يزيده الوارد عليه إلا دهاقا ، وأنا مُنفذ^(٧) جميع ذلك إلى

(١) في ١ « جوامع من أخبار جرت للإسكندر بأرض الهند » .

(٢) في ١ « وأدب فائق » .

(٣) زيادة عن ب وحدها .

(٤) في ١ « فمن ذلك جارية له » .

الملك ، وصائر إليه ، فلما قرأ الإسكندر [هذا] الكتاب ووقف على ما فيه قال : تكون هذه الأشياء الأربعة عندي ، ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب من أن لا تكون عندي ويهلك ، فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من حكماء اليونانيين والروم في عدة من الرجال ، وتقدم إليهم : إن كان صادة أفينا كتب به فاحملوا ذلك إلى ، ودعوا الرحل في موضعه ، وإن تبينتم أن الأمر بخلاف ذلك وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلى ، ففضى القوم حتى انتهوا إلى الملك ^(١) فنلقاهم بأحسن لقاء ، وأنزلهم أحسن منزل ، فلما كان في اليوم الثالث جالس لهم مجالساً خاصاً للحكام منهم دون من كان معهم من المقاتلة ، فقال بعض الحكماء لبعض : إن صدقنا في الأولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر ، فلما أخذت الحكماء مراتبها ، واستقرت بها مجالسها ، أقبل عليهم مباحثاً لهم في أصول الفلاسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الإلهيات ، وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته ، فطال الخطب في المبدأ ^(٢) الأول ، وتشاح القوم ، ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء ^(٣) وتناهى بهم الكلام إلى غاية كان إليها صدورهم من العلويات ^(٤) ، ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لأبصارهم رمقوها ^(٥) بأعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدى ببصره إلى غيره ، وشغله تأمل ذلك وحسنه وحسن شكلها وإيقان صورتها ، فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر إليها ، ثم إن كل واحد منهم رجع إلى نفسه [وفهمه] وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به ، وسيرهم ^(٦) وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم ، وشيعهم مسافة من أرضه ، فلما وردوا على

(١) في ا « فلما انتهوا إلى مملكته تلقاهم » .

(٢) في ب « المبادئ الأولى وتشاحوا القوم » .

(٣) في ا « على غير منزلة » . (٤) في ا « من المعلومات » .

(٥) في ا « رهقوها بأعينهم » . (٦) في ا « وصرهم وسير - إلخ » .

الجزء الأول: ذكر جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند ٢٩٥

الإسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف، ونظر إلى الجارية، فأر عند مشاهدتها، وبهرت عقله، وأمر قيّمة جواريه بالقيام عليها، ثم صرف همهته إلى الفيلسوف وإلى علم ما عنده، وإلى علم الطبيب ومحلّه من صنعة الطب وحفظ الصحة، وقص الحكماء عليه ماجرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي، ومن أحضره^(١) من فلاسفته وحكائه، فأعجبه ذلك، وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي إليها كان أصدرهم^(٢)، وأقبل ينظر إلى مطاردة الهند في عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون^(٣) من عللها وصحة قياسها على ما قدمنا من أوضاعها، ثم أزال محنة الفيلسوف على حسب ما أخبر عنه، فخلّا بنفسه، وأجال فكره، فستحله سانح من الفكر بإيقاع معنى يختبره به، فدعا بقدر فله سمنًا وأدهقه، ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا، ودفعه إلى رسول له، وقال له: امص به إلى الفيلسوف، ولا تخبره بشيء، فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه إلى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للأمور^(٤) المتقنة الحكمة في نفسه: لأمر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن إلى، وأجال فكره، وسبر المراد به، ثم دعا بنحو ألف إبرة ففرز أطرافها في السمن، وأنفذها إلى الإسكندر، فأمر الإسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الأجزاء، وأمر بردها إلى الفيلسوف، فلما نظر إليها الفيلسوف وتأمل فعل الإسكندر فيها أمر ببسطها، وبأن يتخذ منها مرآة بحضرتة، وصقلها، فصارت جسمًا صقيلًا تردُّ صورة من قابله من الأشخاص؛ لشدة صفائها، وزوال الدرن عنها، وأمر بردها إلى الإسكندر، فلما نظر إليها، وتأمل حسن صورته فيها، دعا بطست فجعل المرآة فيه، وأمر بإراقة الماء فيه عليها حتى رسبت فيه، وأمر بحمل ذلك إلى الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك أمر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطر جهارة، وجعلها في الطست فوق الماء، فطفت فوقه، وأمر بردها إلى

(١) في ١ « ومن حضره » . (٢) في ١ « إليها كان صدورهم » .

(٣) في ١ « ومانصه اليونانيون من عللها وصحته من قياسها » .

(٤) في ١ « وتأتيه للأمور » .

الإسكندر، فلما نظر الإسكندر إلى ذلك أمر بتراب ناعم فثلث منه ، وردها إلى
 الفيلسوف ، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك تغير لونه وحال، وجزع وتغيرت صفاته،
 وأسبل دموعه على [صحن] خده ، وكثر شهيته ، وطال أنيه ، وظهر حنينه ،
 وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ، ثم أفاق من ذلك الحال، وزجر نفسه ، وأقبل
 عليها كالمتاعب لها ؛ وقال : ويحك يا نفس !! ما الذي قذف بك في هذه الشدة
 وأصارك إلى هذه الغمة، ووصلاك بهذه الظلمة؟ أنسيت^(١) وأنت في النور تسرحين
 وفي العلوم تمرحين، وتنظرين في الضياء الصادق، وتنفسين في العالم المشرق؟ أنزلت
 إلى عالم الظلم والمعاندة ، والغشم والمفاسدة ، تخطئك الجواطف ، وتنهرك^(٢)
 العواصف ، قد حرمت علم الغيوب، والكون في العالم الحبوب ، ورميت بشدائد
 الخطوب ، ورفضت كل مطلوب ، أين مصادرك الطيبة وراحتك القوية؟ حلت في
 الأجساد ، فقوى عليك الكون والفساد ، حلت يا نفس بين السباع القاتلة
 والأفاعى المهلكة، [والمياه الحاملة]^(٣) والنيران المحرقة، والريح العاصفة، وصيرتك
 الأعمار^(٤) في قرارات الأجسام، لا تشاهدين إلا غافلا، ولا تترين إلا جاهلا، قد زهد
 في الخيرات ورغب عن الحسنات، ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهو، فقال
 بأعلى صوته : يالك من نجوم سائرة، وأجسام زاهرة، من عالم شريف طلعت، ولشيء
 ما وضعت ، إنك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة، وفي أكنافه
 قاطنة^(٥) ، فقد أصبحت عنه ظاعنة ، ثم أقبل على الرسول وقال : خذمورده إلى
 الملك ، يعني التراب ، ولم يحدث فيه حادثة ، فلما ورد الرسول على الإسكندر
 أخبره بجميع مشاهدته ، فتعجب الإسكندر من ذلك ، وعلم مراعى الفيلسوف
 ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من النقلة مما علان العوالم إلى هذا العالم

(١) في ا « ألسنت وأنت في النور - الخ » .

(٢) في ا « تنهرك العواصف » (٣) زيادة في ا وحدها .

(٤) في ا « تسير بك الأعمار » . (٥) في ا « وفي خزائنه قاطنة » .

الجزء الأول : ذكر جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند ٢٩٧

ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الإسكندر جلوساً خاصاً ، ودعا به ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، فلما أقبل ونظر إلى صورته وتأمل قامته وخلقه ، نظر إلى رجل طويل الجسم ، رَحْبَ الجبين ، معتدل البنية ، فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، فإذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحَدَ زمانه ، ولست أشك أن هذا الشخص [قد اجتمع له الأمران جميعاً ، فإن كان هذا الشخص ^(١) قد علم كل ما رسلته به ، وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة ، فإيس في وقته أحد يدانيه في حكمته ، ولا يلحقه في علمه ، وتأمل الفيلسوف الإسكندر فأدار أصبعه السبابة على وجهه ، ووضعها على أرنبة أنفه ، وأسرع نحو الإسكندر وهو جالس على غير سرير مملكة ، فياه بتحية الملوك ، فأشار إليه الإسكندر بالجلوس ، فجلس حيث أمره ، فقال له الإسكندر : ما بالك حين نظرت إلى ورميت بطرفك نحوى أدت أصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة أنفك ؟ قال : تأملتك أيها الملك بنورية عقلى وصفاء مزاجى ، فتبينت فكرتك في ، وتأملت لصورتي ، وأنها لما تجتمع مع الحكمة ، فإذا كان ذلك كان صاحبها أوحَدَ [أهل] زمانه ، فأدت أصبعى مصداقاً لما سنع لك ، وأريتك مثالا شاهداً ، كما أنه ليس في الوجه إلا أنف واحد فكذلك ليس في دار مملكة الهند غيرى ، ولا يلحق أحد من الناس بى في حكمتى ، فقال له الإسكندر : ما أحسن ما تأتى لك ما ذكرت ، وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت ، فدع عنك هذا ، [وأخبرنى .] ما بالك ^(٢) حين أنفذت إليك قدحاً مملوءاً سمناً غرزت فيه إبراً ورددته إلى ؟ قال الفيلسوف : علمت أيها الملك أنك تقول : إن قلبى قد امتلأ وعلمى قد انتهى كامتلاء هذا الإناء من السمن ، فليس لأحد من الحكماء فيه مستزاد ، فأخبرت الملك أن علمى سيزيد ^(٣) في علمك ، ويدخل فيه دخول هذه الإبر في هذا

(١) زيادة في اوحدها . (٢) في ا « مبادا لك » .

(٣) في ب « أن علمى يستزيد في علمه » .

الإناء ، قال : فأخبرني ما باللك^(١) حين عملت من الإبركرة وأنفذتها إليك صيرتها^(٢) مرآة ورددتها إلى صقيلة ، قال : [قد] علمت أيها الملك أنك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة ، فلا يقبل العلم ، ولا يرغب في فهم الغايات في العلوم والحكمة ، فأخبرتكم مجيباً متمثلاً^(٣) بسبك الكرة والحيلة في أمرها يجعل منها مرآة صقيلة مؤدية إلى الأجسام عند المقابلة لحسن الصفاء ، قال له الإسكندر : صدقت ، قد أجبتني عن مرادى ، فأخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء : لم جعلتها قدحاً فوق الماء طافية ثم رددتها إليّ ، قال الفيلسوف : علمت أنك تريد بذلك أن الأيام قد انقضت وقصرت ، والأجل قد قرب ، ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل ، فأجبت الملك متمثلاً^(٤) أني سأعمل الحيلة في إيراد العلم الكثير في المهل القليل إلى قلبه وتقريبه من فهمه ، كاحتيالي المرأة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه ، قال له الإسكندر : صدقت فأخبرني ما باللك حين ملأت الإناء تراباً رددته إليّ ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف ، قال : علمت أنك تقول : ثم الموت وأنه لا بد منه ، ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس الثقيل^(٥) الذي هو الأرض ، وودورها وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي ، قال له الإسكندر : صدقت ، ولأحسن إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ، وأقطعه قطائع واسعة ، فقال له الفيلسوف : لو أحبيت المال لما أردت العلم ، ولست أدخل على علمي ما يضاذه وينافيه ، واعلم أيها الملك أن القنية توجب الخدمة^(٥) ، ولسنا نجد عاقلاً من خدم غير ذاته ، واستعمل غير ما يصلح نفسه ، والذي يصلح النفس الفلسفة ، وهي صفاتها وغذاؤها ، وتناول

(١) « ما باللك » . (٢) في « ضربتها » .

(٣) في ب « متمثلاً » . (٤) في ب « المعتقل » .

(٥) يريد أن من ملك ما يقتني وجبت عليه خدمته ليذوم ، وفي ب « أن القنية » محرفاً .

الجزء الأول : ذكر جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند ٢٩٩

[الذات] ^(١) الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها ، والحسكة سبيل إلى لعلو ، وسلم إليه ، ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه ، واعلم أيها الملك أن العدل ركب جميع العالم بمجزياته ، ولا يقوم بالجور ، والعدل ميزان الباري جل وعز ، فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل ^(٢) وزلل ، وأشبه الأشياء من فعال الناس بأفعال بارئهم الإحسان إلى الناس ، وقد ملكت أيها الملك سيفك ، وصولة ملكك ، وتأتيك في أمورك ، وانتظام سياستك أجسام عيتك ؛ فتحرر أن تملك قلوبهم بإحسانك إليهم ، وإصافك لهم ، وعدلك بهم ، فهي خزانة ساطئانك ، فإنك إن قدرت أن تقول قدرت أن تفعل ، احترز من أن تقول تأمن من أن تفعل ، فالملك السعيد من تمت له رئاسة يامه ^(٣) ، والملك الشقي من انقطعت عنه ، فمن تحرى في سيرته العدل استنار لبه بعذوبة الطهارة .

قال المسعودي رحمه الله : وخلق الإسكندر عن الفيلسوف لإبائه المقام معه لحق بأرضه ، وللإسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع العلوم ، ومكاتبات ، ومراسلات ، جرت بين الإسكندر وبين كند لك الهند ، قد أتينا على مبسوطها والفرر من معانيها والزهر ^(٤) من عيونها ، كتابنا « أخبار الزمان » .

وأما القَدْحُ فامتحنه حين أدهقه بالماء ، وأورد عليه الناس ، فلم ينقص مريبهم منه شيئاً ، وكان معمولاً بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع تامة والتوهم ، وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند ، وقد قيل : إنه كان لآدم بي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيه ، فَوُرِثَ نه ، ونداولته الملوك ، إلى أن انتهى إلى كند هذا الملك العظيم سلطانة ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ب . (٢) في ١ « من كل عيب وزلل » .

(٣) في ١ « من دامت رئاسة أيامه » (٤) في ١ « والرمز من عيونها » .

وما كان عليه من الحكمة ، وقيل غير ذلك من الوجوه ، مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا .

والطبيب معه أخبار ظريفة ، ومناظرات عجيبة ، في أوائل المعرفة وصناعة الطب وترقيه [معه] إلى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها ، أعرضنا عن ذكرها خوفاً من الإطالة وميلاً إلى الاختصار في هذا الكتاب^(١) ؛ لنعاق الكلام بالتوهم الذي تدعيه الهند في صناعة الطب وغيرها .

وقد كان للإسكندر في أسفاره ونوسطه الممالك وقطعه الأقاليم ومشاهدته الأمم ، وملاقاته الحكماء مع تنأى ديارهم ، وبعد أوطانهم ، واختلاف لغاتهم ، ومجائب صورهم ، وتباينهم في شيمهم وأخلاقهم — أخبار كثيرة من حروب ومكاييد وحيل وفنون من السير ، وما أحدث من الأبنية ، وقد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا ، وغير ذلك مما عن وصفه^(٢) أمسكنا ، وإنما ذكرنا اليسير من أخباره ، لئلا يعزى^(٣) كتابنا [هذا] من شيء منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته ، وبالله التوفيق .

(١) في ب « في هذا المكان » .

(٢) في ب « عن وصفها أمسكنا » .

(٣) في أ « لئلا يخلو كتابنا » .

ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر

ثم ملك بعد الإسكندر الملك خليفته « بطليموس » وكان حكيماً عالماً بطليموس
سائساً مدبراً ، وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل : بل كان ملكه عشرين
سنة ، وقد كان لهذا الملك — وهو التالي الملك الإسكندر — حروب مع
بنى إسرائيل وغيرهم من ملوك الشام
وذكر جماعة من أهل الدرايات^(١) بأخبار ملوك العالم أنه أول من اقتنى
البزاة ولعب بها وضراًها ، وأنه ركب في بعض الأيام في طربه^(٢) إلى بعض
متنزهاته فنظر إلى بازٍ يطير ، فراه إذا علا صفق^(٣) ، وإذا سفل خفق ، وإذا
أراد أن يستوى ذرق ، فأنبهه [بصره] حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة
الشوك ، فتأمله فأعجبه صفاء عيذه وصفرتها وكال خلقه ، فقال : هذا طائر
حسن ، وله سلاح وينبغي أن تزين به الملوك في مجالسها ، فأمر أن يجمع منها
عدة لتكون في مجلسه زينة ، فعرض لبازٍ منها أيم^(٤) ، وهو الحية الذكر ،
فوثب عليه البازى فقتله ، فقال الملك : هذا ملك يفضب مما تغضب منه الملوك ،
ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجناً ، فوثب عليه البازى فما أفلت إلا
جريحاً^(٥) ، فقال الملك : هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ، ثم مر [به] طائر
فوثب عليه فأكله ، فقال الملك : هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله ،
فأعجب بها [ثم لعب] بعده ملوك الأمم من اليونانيين والروم والعرب والعجم
 وغيرهم ، وثنى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها ،
وقد قيل : إن الذاكرة^(٥) وهم ملوك الأندلس من الأشبان أول من لعب
بالشواهين وصاد بها ، وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها ،
وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان .

(١) في ١ « أهل الدراية » . (٢) في ١ « في طرف » .

(٣) في ب « إذا علا ص » . (٤) في ١ « لإجريضا » .

(٥) الذاكرة : جمع لدريق ، ووقع في ب « الأزارقة » محرفاً .

قال المسعودي : « وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبيح ^(١) [والباب ^(٢)] والأبواب جملا من أخبارها وأخبار من لعب بها، وقد كان من ساف من حكماء اليونانيين يقولون : إن الجوارح أجناس، خلقها الله تعالى وأنشأها على منازلها ودرجاتها ، وهي : أربعة أجناس ، وثلاثة عشر شكلا ، فأما الأجناس الأربعة فهي : البازي ، والشاهين ^(٣) ، والصقر ، والعقاب ؛ وقد ذكرنا هذه الأجناس والأشكال على طريق الخبر في الكتاب الأوسط على مراتبها من سائر أنواع الحيوان الجوارح ، ودلائلها ، وما قاله الناس في ذلك .

ثم ملك بعد بطليموس «هيفلوس» وكان رجلا جباراً ، وفي أيامه [عملت الطلسمات] ^(٤) ظهرت عبادة التماثيل والأصنام لشبه دخلت عليهم ، وأنها وسائط بينهم وبين خالقهم تقرّبهم إليه وتُدّينهم منه ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين ^(٥) سنة ، وقيل : أربعين [سنة] ^(٦) .

وقد قيل : إن الذي تملك بعد خايقة الإسكندر بطليموس الثاني ، محب الأخ ، وغزا بني إسرائيل ببلاد فلسطين وإيليا من أرض الشام ، فسباهم ، وقتل منهم ، وطلب العلوم ، ثم رد بني إسرائيل إلى فلسطين ، وحمل معهم الجواهر والأموال ، وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس ، وكان ملك الشام يومئذ أبطنجنس ^(٦) ، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية ، وكانت دار ملكه ، وجعل بناء سورها أحد عجائب العالم في البناء على السهل والجبل ، ومسافة السور اثنا عشر ميلا ، عدة الأبراج فيه مائة وستة وثلاثون برجاً ، وجعل عدد شُرُقاته أربعة وعشرين ألف شرفة ، وجعل كل برج من الأبراج ينزله ^(٧)

(١) في ب « جبل القبح » . (٢) هذه الكلمة لا توجد في ب .

(٣) في ب « والشواهين » . (٤) لا توجد هذه العبارة في أ .

(٥) في أ « ثمانيا وثمانين سنة » . (٦) في ب « أنطيجش » .

(٧) في ب « وجعل على كل برج من الأبراج بئرة بطريق — الخ » .

الجزء الأول : ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر ٣٠٣

بطريق برجاله وخيله ، وجعل كل برج منها طبقات [إلى أعلاه ، فرباط الخيل في أسفله ، وأرضه ، والرجال في طبقانه]^(١) والبطريق في أعلاه ، وجعل كل برج منها كالخضن عليه أبواب حديد ، وآثار الأبواب ومواضع الحديد بين إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — وأظهر فيها مياهًا من أعين وغيرها ، لاسبيل إلى قطعها من خارجها ، وجعل إليها مياهًا منصبة في قنٍّ مخرقة إلى شوارعها ودورها ، ورأيت فيها من هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخزف لترادف التقتن^(٢) فيها فيتراكم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده ، فلا يعمل الحديد في كسره ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المترجم بـ « القضايا والتجارب » ما شاهدناه حسا ، ونمى إلينا خبراً ، مما يولده ماء أنطاكية في أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم ، وما يحدث في معدم ، من الرياح السوداء الباردة والقولنجية الغليظة ، وقد أراد الرشيد سكانها فقيل له بعض ما ذكرنا من أوصافها ، وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها ، وعدم بقاء ريح [أنواع] الطيب بها ، واستحالته [على اختلاف أنواعه] فامتنع من سكنها .

ثم ملك على اليونانيين بعد هيفلوس « بطليموس » الصانع ، ستاً جماعة من ملوك اليونانيين وعشرين سنة .

ثم ملك بعده عليهم « بطليموس » المعروف بمحب الأب ، تسع عشرة سنة^(٣) .

وكانت له حروب مع ملوك الشام ، وصاحب أنطاكية الإسكندروس ، وهو الذي بنى مدينة فامية بين حصص وأنطاكية .

ثم ملك بعده على اليونانيين « بطليموس » صاحب [علل] علم الفلك والنجوم ، وكتاب المجسطى وغيره ، أربعاً وعشرين سنة .

(١) زيادة في ا وحدها . (٢) في ا « لترادف البصر » .

(٣) في ا « سبع عشرة سنين » .

ثم ملك [بعده^(١)] « بطليموس » محب الأم ، خمساً وثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الصانع [الثاني]^(٢) سبعاً وعشرين سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » المخلص ، سبع عشرة سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الإسكندراني ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الجديد^(٣) ، ثمان سنين .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الجوال^(٤) ، ثمانياً وستين^(٥) سنة ، وكانت له
 حروب كثيرة .

ثم ملك بعده « بطليموس » الحديث^(٦) ، ثلاثين سنة .
 ثم ملكت بعد ابنته « قابطرة » وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة ،
 وكانت حكيمة متفاسفة ، مقربة للعلماء [معظمة للحكام]^(٧) ولها كتب
 مصنفة في الطب والرؤية^(٨) وغير ذلك من الحكمة ، مترجمة باسمها ،
 منسوبة إليها ، معروفة عند صنعة أهل الطب ؛ وهذه الملكة آخر ملوك
 اليونانيين إلى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم ، وأتحت آثارهم ،
 وزالت علومهم ، إلا ما بقي في أيدي حكمائهم ، وقد كان لهذه الملكة خبر
 ظريف في موتها وقتلها لنفسها ، وقد كان لها زوج يقال له أنطونيوس^(٩)
 مشارك لها في ملك مقدونية ، وهي بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها ، فسار
 إليهم الثاني من ملوك الروم ، من بلاد رومية ، وهو أغسطس ، وهو أول
 من سمي قيصر ، وإليه تنسب القياصرة بعده ، وسندكر خبره في باب ملوك
 الروم بعد هذا الموضع ، وكانت له حروب بالشام ومصر مع قبطرة الملكة .

كليوباترا

- (١) هذه الكلمة لا توجد في ب .
 (٢) في ب « بطليموس الجوال » .
 (٣) في ب « الجديد » .
 (٤) في ب « أفطونيوس » .
 (٥) في ب « الطب والزينة » .
 (٦) في ب « أفطونيوس » .
 (٧) في ب « أفطونيوس » .
 (٨) في ب « أفطونيوس » .
 (٩) في ب « أفطونيوس » .

الجزء الأول : ذكر ملوك اليونانيين ، وأخبارهم ٣٠٥

زوجها أنطونيوس ، إلى أن قتله ، ولم يكن لقلبطة في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة ، وأراد أغسطس إعمال الحيلة فيها^(١) لعله يحكمتها ، وليتعلم منها إذ كانت^(٢) بقية الحكماء اليونانيين ، ثم بعدها يقتلها^(٣) ، فراسلها ، وعلمت مراده فيها وما قد وترّاها به من قتل زوجها وجنودها ، فطلبت الحيلة التي تكون بين الحجاز ومصر [والشام] وهي نوع من الحيات : تراعى الإنسان ، حتى إذا تمكنت من النظر إلى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً كثيرة كالرمح^(٤) فلم تخطئ ذلك العضو بعينه ، حتى تتفل عليه سماً ، فتأتى عليه ، ولا يعلم بها ، فلو أنه من فوره ، ويتوهم الناس أنه قد مات فجأة حتف أنفه ، ورأيت نوعاً من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الأهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة ، وهو الموضع المعروف بخان مردويه بين مدينة دورق وبلاد الباسيان والقدم في الماء ، وهي حيات شبرية ، وتدعى هنالك القترية^(٥) ، ذات رأسين تكون في الرمل وفي جوف تراب الأرض ، فإذا أحست بالإنسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعاً كثيرة فضربت بإحدى رأسها إلى أى موضع من ذلك الحيوان ، فتلققه من ساعته ضد الحياة وعدمها لحينه ، فبعثت قابطرة هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التي توجد بأطراف الحجاز ، فلما أن كان اليوم الذي علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواربها ومن أحبّت فنأها قبلها ، وأن لا يلحقها

(١) في ١ « في أخذها » .

(٢) في ١ « لأنها كانت — إلخ » .

(٣) في ١ « ثم يعذبها ويقتلها » .

(٤) في ١ « كالرمح » .

(٥) في ب « القبرية » .

العذاب بعدها ، فسمتها في إنائها فحمدت من فورها ، ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير ملكها ، ووضعت تاجها على رأسها ، وعليها ثيابها وزينة ملكها ، وحملت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجتمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا ، مبسوطة في مجلسها وقدّام سريرها ، وغدّت بما احتاجت إليه من أمورها ، وفرقت حشمها من حولها ، فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم ، لما قد غشيه من عدوهم ودخوله عليهم في دار ملكهم ، وأدنت يدها من الإناء الزجاج الذي كانت فيه الحية ، فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية ، نجفت مكانها ، وانسابت الحية وخرجت من الإناء ، ولم تجد جُحرًا ولا مذهبًا تذهب فيه لإيقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والأصباغ ، فدخلت في تلك الرياحين ، ودخل أغسطس حتى انتهى إلى المجلس ، فنظر إليها جالسة والتاج على رأسها ، فلم يشك في أنها تنطق ، فدنا منها فتبين [له] أنها ميتة ، وأعجب بتلك الرياحين ، فدّ يده إلى كل نوع منها يلمسه ويتبينه^(١) ويعجب خواص من معه به ، ولم يدر سبب موتها [وهو يتأسف^(٢) على ما فاتته منها] فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها إذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها ، ففيس شقه [الأيمن]^(٣) من ساعته ، وذهب بصره الأيمن وسمعه ، فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها وإيثارها للموت على الحياة مع الذل ، ثم ما كادته به من إلقاء الحية بين الرياحين ، فقال في ذلك شعراً بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها ، وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوماً وهلك ، ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطرة الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ، ولم تمهله هذه المدة ، وهذا الشعر معروف عند الروم إلى هذه الغاية يذكرونه في نوحهم^(٣) وَيَرْتُونَ به ملوكهم [وموتاهم] ، وربما

(٢) زيادة في ا وحدها .

(١) في ا « ويتشممه » .

(٣) في ب « يومهم » .

الجزء الأول : ذكر ملوك اليونانيين ، وأخبارهم ٣٠٧

ذكروه في أغانيهم ، وهو متعلم معروف عندهم ، وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوائفهم البلاد^(١) ، وأخبار حكمائهم ، وما أحدثوه من الآراء والنحل ، ومفائل فلاسفتهم ، وغير ذلك من أسرارهم وعجيب أخبارهم .

والذي يعول عليه من عدد ملوكهم ، وانفق على ذلك^(٢) أهل المعرفة بأخبارهم ، أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكاً آخرهم الملكة قباطرة ، وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلاطنتهم ثمانمائة سنة وسنة واحدة ، وكان كل ملك يلك على اليونانيين من بعد الإسكندر ابن فيلبس يسمى بطليموس ، وهذا الاسم الأعم الشامل لملكهم^(٣) ، وتسمية ملوك الفرس لسرى ، وتسمية ملوك الروم قيصر ، وتسمية ملوك الصين بيع ، وتسمية ملوك الحبشة النجاشي ، وتسمية ملوك الزنج فليمي^(٤) ، وقد ذكرنا جملاً من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الأعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا هذا ، وسنورد بعد هذا الموضع في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملاً عند ذكرنا الملوك والملوك ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في ا « و طروقههم بالبلاد » .

(٢) في ا « و اتفق فيه أهل المعرفة » .

(٣) في ا « ملوكهم » .

(٤) في ب « وهليمين » .

ذكر ملوك الروم ، وما قاله الناس في أنسابهم

وعدد ملوكهم ، وتاريخ سنينهم

الاختلاف في
نسب الروم

تنازع الناس في الروم ، ولأية علة سموا بهذا الاسم ، فمنهم من قال : سموا روما لإضافتهم إلى مدينة رومية ؛ واسمها روماس بالرومية ، وعرب هذا الاسم فسمى من كان بها روما ، وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعواهم أهل الثغور إلا رومينس^(١) ، ومنهم من رأى أن هذا الاسم اسم للأب ، وهو روم بن سماحلين بن هريان بن عقلا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل^(٢) عليه السلام ، ومنهم من رأى أنهم سموا باسم جدهم ، وهو^(٣) رومي بن ليطن بن يوانان ابن يافث بن بريه بن - رحون بن رومية بن مربوط بن نوفل بن روين بن الأصفر ابن النفر^(٤) بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام [وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد ذكرنا في سلف من هذا الكتاب في باب اليونانيين نسب الإسكندر واصله بهذا النسب ، على ما ذكره الناس في ذلك ، والله أعلم وقد ولد للعيص ثلاثون رجلا ، فالروم الآخرة بنو الأصفر بن النفر^(٥) بن العيص بن إسحاق^(٦) ، وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعرا ، العرب قبل ظهور الإسلام ذلك لاشتهار ما وصفنا فيهم : منهم عدي بن زيد العبادي حيث يقول :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

وقد كان العيص بن إسحاق ، وهو عيصو ، تزوج من بنات الكنعانيين ، فأكثر أولاده منهم ، وقد قيل : إن العماليق - وهم العرب البادية الذين كانوا بالشام من ولد النفر^(٥) بن عيصو ، وكذلك رعوئيل بن عيصو^(٦) وهذا ما لا ينقاد

(١) هذه الكلمة لا توجد في ١ . (٢) في ب « رميس » .

(٣) في ١ « وهو روم بن سماحليق بن هريان بن عقلا بن العيص - إلخ » .

(٤) في ١ « وهو روم بن لبسط بن يوانان بن يافث بن ثونة بن سرحون بن رومية بن مربوط بن نوفل بن رومن بن الأصفر بن النفر بن العيص بن إسحاق - إلخ » .

(٥) في ب « اليعز » (٦) هذه الجملة كلها ساقطة من ب

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم ، وأخبارهم ٣٠٩

إليه علماء العرب إلا في الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم ، وهذه الأنساب كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من كتب العبرانيين .

قال المسعودي : وغابت الروم على ملك اليونانيين لأخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب شرحها ، وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوخاس^(١) ، وهو جاليوس الأصغر بن روم بن سماحيق^(٢) ، فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، وقد قيل : إن أول من ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس بن كوليس^(٣) ، ثمان عشرة سنة ، وفي نسخة أخرى : أن أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين توليس^(٤) ، سبع سنين ونصفاً ، وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة .

ثم ملك بعده «أغسطس» قيصر^(٥) ، ستاً وخسين سنة ، وهذا الملك هو أول من سمي من ملوك الروم قيصر ، وهو الثاني من ملوكهم ، ونفسير قيصر [بِقِر] أى شق عنه ، وذلك أن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها ؛ فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده ، وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أهمهم ، فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم ، والله أعلم .

وغزا هذا الملك الشام ومصر والإسكندرية ، وأزال من بقي من ملوك الإسكندرية ومقدونية وهي مصر ، وقد قدمنا أن كل ملك كان يلي مقدونية والإسكندرية يسمى بطليموس ، واحتوى هذا الملك أعنى أغسطس على خزان ملوك الإسكندرية ومقدونية ، ونقلها إلى رومية ، وكانت له حروب كثيرة في الأرض ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وكان يعبد الأوثان ، وبنى بأرض الروم مدناً وكووراً نسبت تلك المدن إليه : منها قيسارية ، وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية ، وكان مولد المسيح عيسى بن مريم

(١) في ب « ساطوخاس وهو جانيوس » . (٢) في ب « سماحيلين » .

(٣) في ب « هالوس بن أفليوس » . (٤) في ب « بوليس » .

(٥) في ب « أغسطس بن قيصر » .

أول
ملوك الروم

أغسطس

مولد المسيح عليه السلام بها ، وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمناه ، لاثنين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا ، فكان من ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون^(١) سنة ، ورأيت في مدينة أنطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسبان^(٢) أنه كان من ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين^(٣) ، وكان مولد يسوع الناصري [لإحدى وعشرين سنة خلت من ملك هيردوس ملك بني إسرائيل في ذلك العصر]^(٤) بإيليا من بلاد فلسطين ، وهي أورشليم بالعبرانية ، فن هبوط آدم إلى مولد المسيح في تواريخ أصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة [سنة وخمسون سنة]^(٥) .

وأقام أغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفاً وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر أسفاره ستاً وخمسين سنة ، على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية إياه بمقدونية ، وجفاف نصفه ، وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قلبطرة بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب .
ثم ملك الروم بعده « طياريوس »^(٦) وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح عليه السلام ، ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت ؛ فأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانياً وتسعين سنة ، لانظام لهم ، ولا ملك يجمعهم .

ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم « طباريس غانس »^(٧) بمدينة رومية ، فكان ملكه أربع سنين ، والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور .
ثم ملك بعد « قلوديس »^(٨) أربع عشرة سنة ، وذلك برومية ، وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح . وقيل : إن في أيامه

(١) في « وتسع وتسعون سنة » . (٢) في « البستان » .

(٣) في « ا هنا » وتسع وستون سنة » . (٤) ما بين المعوقين في اوحدها .

(٥) عبارة « وخمسون سنة » لا توجد في ا (٦) في « طباريس » .

(٧) في ب « بطاريس » . (٨) في ب « فلوريوس » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم ، وأخبارهم ٣١١

مقتل أتباع المسيح
قتل برومية بطرس ، واسمه باليونانية شمعون ، والعرب تسميه سمعان ، هو وبولص ، وصابا منكسين ، وما كان من خبرهما مع سيم^(١) الساحر برومية ، وهما من أنى إلى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس ، ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم ، وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية ، فجعلنا في أجربة^(٢) من البلور ، فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس إلى هذه الغاية ، على حسب ما قدمنا آنفاً فيما سلف من هذا الكتاب ، وأكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم ، يذهب إلى أنهما قتلا برومية في ملك الخامس من ملوك الروم ، وتفرق نلاميذ يسوع الناصري في الأرض ، فسار ماري^(٣) إلى [مادناً] من العراق فمات بمدينة دير قني^(٤) والصفية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط ، وهذا البلد على بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هناك في كنيسة إلى وقتنا هذا ، وهو ستة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، يعظمه أهل دين النصرانية ، ومضى توما ، وكان من الاثني عشر ، إلى بلاد الهند داعياً إلى شريعة المسيح ، فمات هناك ، وسار آخر إلى آخر مدينة بخراسان ، فمات هناك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ، ومنهم من رأى أنه مات ببلاد قوقا و خانيجار وكرخ حدان^(٥) في تخوم العراق ، وموضع مشهور ، ومات ماركس بالإسكندرية من أرض مصر ، وقبره هناك ، وهو أحد التلاميذ الأربعة الذين ألغوا الإنجيل ، وقد كان لما رقس مع أهل مصر خبر ظريف في مقتله ، وقد أتينا على السبب في ذلك في كتابنا الأوسط الذي كتبنا هذا تال له ، وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير إلى المغرب : إنه من جاءكم على صورتي فاقتلوه ، فإنه سيرد عليكم بعدى أناس يتشبهون بي ، فبادروا إلى قتلهم ، ولا تقبلوا منهم

(١) في ب « سيمن الساحر » .

(٢) في ا « أخزنة » . (٣) في ب « فسار مارا » .

(٤) في ب « بمدينة برى »

(٥) في ب « ومنهم أردماث يلاذ قوف وحا البحار وكرخ حران » .

الجزء الأول : ذكر ملوم الروم ، وأخبارهم ٣١٣

الشام ، وكانت لهما مع بني إسرائيل حروب عظيمة ، وقتل فيها من بني إسرائيل ثمانمائة ألف ، وخربا بيت المقدس [وأحرقا الهيكل بالنار] ، وحرثاه بالبقر ، وأزالا رسمه ، ونحووا أثره ، وكانت عبادتهما للأصنام .

ووجدت في بعض كتب التواريخ أن الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس أن يسبي كل يوم منهم سبي ، يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الأمم ، فلا [يأتي] يوم من أيام العالم إلا والسبي واقع بهم ، قل ذلك أو أكثر .

ثم ملك الروم بعدها «دوبطياس»^(١) خمس عشرة سنة ، عابداً للتمائيل دو بطياس معظماً لها ، ولتسع سنين من ملكه نفي يوحنا التلميذ أحد الأربعة من أصحاب الإنجيل إلى بعض جزائر البحر ، ثم رده بعد ذلك .

ثم ملك بعده «بيرنوس» سنة .
ثم ملك بعده «طريانوس» سبع عشرة سنة^(٢) يعبد الأصنام ، ولتسع سنين خلت من ملكه مات يوحنا التلميذ .

ثم ملك بعده «أدريانس» إحدى عشرة سنة ، يعبد التماثيل ، وخرب سائر ما بني بنو إسرائيل بالشام .

ثم ملك بعده «أبطوليس» برومية ثلاثاً وعشرين سنة ، وبني بيت المقدس وسماه إيليا ، وهو أول من سماه بهذا الاسم إيليا .

ثم ملك بعده «مرلس» سبع عشرة سنة^(٣) يعبد الأصنام .

ثم ملك بعده «فرمودش» يعبد الأوثان ، ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده «سويرس» ثمان عشرة سنة .

[ثم ملك بعده ولد له يقال له «أبطونيس» يعبد التماثيل ، سبع سنين^(٣) .

(٢) في ١ «تسع عشرة سنة» .

(١) في ب «دونسطاس» .

(٣) لا توجد هذه الزيادة في ١ .

الجزء الأول : ذكر ملوم الروم ، وأخبارهم ٣١٣

الشام ، وكانت لها مع بني إسرائيل حروب عظيمة ، وقتل فيها من بني إسرائيل ثمانمائة ألف ، وحرقوا بيت المقدس وأحرقوا الهيكل بالنار ، وحرقوا البقر ، وأرالا دمه ، وشجوا أثره ، وكانت عبادتهما الأصنام .
ووجدت في بعض كتب التواريخ أن الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي حرقوا فيه بيت المقدس أن يسب كل يوم منهم سبي ، يفعل ذلك من أطراف بلادهم من الأمم ، فلا يأتي يوم من أيام العالم إلا والسبي واقع بهم ، هل ذلك أو أكثر .

ثم ملك الروم بعدها « دوطلاس »^(١) خمس عشرة سنة ، عابدا للتمائيل دوطلاس معظما لها ، ولتسع سنين من ملكه بني يوحنا التلميذ أحد الأربعة من أصحاب الإنجيل إلى بعض جزائر البحر ، ثم رده بعد ذلك .

ثم ملك بعده « ييرنوس » سنة .
ثم ملك بعده « ملريانوس » سبع عشرة سنة^(٢) يعبد الأصنام ، واتسع سنين مات من ملكه مات يوحنا التلميذ .

ثم ملك بعده « أدريانوس » إحدى عشرة سنة ، يعبد التمائيل ، وخرب سائر ما بني بنو إسرائيل بالشام .

ثم ملك بعده « أبطوباس » برومية ثلاثا وعشرين سنة ، وبني بيت المقدس وسماه إياها ، وهو أول من سماه بهذا الاسم إيليا .

ثم ملك بعده « مراس » سبع عشرة سنة^(٣) يعبد الأصنام .

ثم ملك بعده « فرمودش » يعبد الأوثان ، ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده « سويس » ثمان عشرة سنة .

ثم ملك بعده ولد له يقال له « أبطونيس » يعبد التمائيل ، سبع سنين^(٣) .

(١) في ب « ذونستاس » . (٢) في ا « تسع عشرة سنة » .

(٣) لا توجد هذه الزيادة في ا .

ثم ملك بعده « أبطونيس^(١) » الثاني ، أربع سنين ، يعبد التماثيل
في آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطيب .
ثم ملك بعده « الإسكندر مامياس » وتفسير مامياس العاجز ، وكان
يعبد التماثيل ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة .
ثم ملك بعده « مقسمس » يعبد التماثيل ، وكان ملكه ثلاث سنين .
ثم ملك بعده « غردانس » يعبد التماثيل^(٢) ، ست سنين .

ثم ملك بعده « دقيوس^(٣) » يعبد الأوثان ، ستين سنة ، وأمعن في قتل
النصرانية ، وطلبهم ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف^(٤) ، وقد اختلف
الناس في أصحاب الكهف والرقيم : فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم
أصحاب الرقيم ، وزعموا أن الرقيم هو مارقم من أسماء أهل الكهف في لوح من
حجر على باب تلك المغارة ، ومنهم من رأى أن أصحاب الرقيم غير أصحاب
الكهف ، وقد ذكرنا كلا الموضعين بأرض الروم ، وقد حكى أحمد بن الطيب^(٥)
ابن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي عن محمد بن موسى
المنجم - حين أنفذه الواثق بالله من سُرَّ مَنْ رَأَى إلى بلاد الروم حتى أشرف
على أصحاب الرقيم ، وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بحارم^(٦) ، وقد ذكرنا
في الكتاب الأوسط قصة أصحاب الكهف ، وموضعهم ، وكيفية أحوالهم ،

دقيوس
وأصحاب
الكهف

(١) في هذه الأسماء كلها اختلاف كثير ، وقد نهنا على بعضه ، واعتمدنا في
الآخر ما في أوحدها .

(٢) في أ « يعبد الأوثان » . (٣) في ب « يعريس » .

(٤) المعروف أن الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس ،
والتاريخ في مثل هذه المواضع ليس محلاً للثقة والجزم ؛ فلامعنى لوقوفنا لتحقيق مثل
هذه المباحث ، والقرآن نفسه لم يتعرض لاسمه ولا زمنه ولا مكانه .

(٥) في ب « أحمد بن الطيب عن مروان » .

(٦) في ب « بحارم » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم ، وأخبارهم ٣١٥

إلى هذه الغاية ، وخبر أصحاب الرقيم ، وما حكاه محمد بن موسى النجم من خبرهم ، وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسهم ، وقتل من كان معه من المسلمين ، وأخبرنا عن [خبر] السد الذي بناه ذو القرنين مانعاً لياجوج ومأجوج .

قال المسعودي : ووجدت في كتاب صور الأرض ، وما عليها من الأبنية العظيمة والهياكل المشيدة ، قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك ؛ فقدر ذلك من الجبل إلى الجبل خمسون ومائة فرسخ ، وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه ، وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني النجم ، وتكلم عليه ، وبرهن على فساد ، وأفرد أحمد بن الطيب^(١) الذي قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل ، وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الأوسط .

[ثم ملك « جالنوس » ثلاث سنين^(٢) .

ثم ملك بعده « يدنوس » نحواً من عشرين سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة .

[ثم ملك بعده « فورس » نحواً من عشرين سنة^(٣)]

ثم ملك بعده ولده يقال له « فارس » نحواً من سنتين .

ثم ملك بعده « قليطانس » عشر سنين .

ثم ملك بعده « قسطنطين » .

(١) في ب « وأفرد محمد بن الطيب » .

(٢) لا يوجد ما بين المعقوفين في ب

(٣) هذه العبارة لا توجد في أ .

عدد ملوك الروم ، عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية ، وهم الذين قدمنا ومدة ملكهم ذكرهم في هذا الباب ، تسعة وأربعون ملكا ، وجميع عدد سني ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف في صدر هذا الكتاب إلى قسطنطين هذا ، وهو ابن هلالى ، أربعائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام^(١) ، ونسخ كتب التواريخ في هذا المعنى مختلفة ، غير متفقة في أسماء ملوكهم ، ومدة ملكهم ، وأكثرها بالرومية ؛ فكيننا من ذلك ما تأتى [لنا] وصفه ، ولهؤلاء الملوك أخبار وسير ، هي موجودة في كتب النصارى الملكية ، وقد أتينا على مبسوطها ، والغرض منها في كتابنا « أخبار الزمان » وما شئدوا من البنيان ، وما كان لهم في هذا العالم من الأسفار ، وبالله التوفيق .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وأخبارهم ٣١٧

ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وم ملوك القسطنطينية

ولع من أخبارهم

ملك قسطنطين بعد أن هلك قليطانس برومية ، وهو يعبد الأوثان ، وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بوزنطيا ، وهي مدينة القسطنطينية فبناها ، وسماها باسمه إلى وقتنا هذا ، وكان له في بنائها خير ظريف مع بعض ملوك برجان ؛ لخوفٍ داخله من بعض ملوك ساسان ، وكان خروجه من رومية ، ودخوله في دين النصرانية ، لسنة خلت من ملكه ؛ ولتسع سنين خلت من ملكه^(١) خرجت أمة «هلائي» إلى أرض الشام ، فبنت الكنائس ، وسارت إلى بيت القدس ، وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم ، فلما صارت إليها حلتها بالذهب والفضة ، واتخذت لوجودها عيداً ، وهو عيد الصليب ، وهو لأربع عشرة تحلو من أيلول ، وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر ، على حسب ما نورهده عند ذكرنا لأخبار مصر من هذا الكتاب ، وهي التي بنت كنيسة حمص على أربعة أركان ، وذلك من عجائب ببيان العالم ، واستخرجت الكنوز والدقائق بمصر^(٢) والشام ، وصرفت ذلك إلى بناء الكنائس ، وتشيد دين النصرانية ، وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم ؛ فإنها بنتها هذه الملكة «هلائي» أم قسطنطين ، وجعل اسمها مع الصليب في كل كنيسة لها ، وليس للروم في أحرفهم هاء ، وأحرف «هلائي» خمسة أحرف ، فالأول إمالة ، وهو بحساب الجمل خمسة ، والثاني — وهو اللام — ثلاثون ، والثالث إمالة أيضاً ، وهي خمسة أيضاً ، والرابع النون وهي خمسون ، والخامس ياء ، وهو في حساب الجمل عشرة ؛ فذلك مائة اختصاراً على ما ذكرنا ، وهذه صورة

(١) في ب « فليطاليس » . (٢) في ا « ول سبع سنين خلت من ملكه » .

(٣) في ا « من مصر والشام » .

الحرف الذي هو مائة بالرومية ، ولتسع عشرة سنة^(١) خلت من ملك قسطنطين ابن هلافي اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً بمدينة نيقية بأرض الروم ، فأقاموا دين النصرانية ، وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة [التي يذكرها الروم في صلواتهم ويسمونها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات الستة]^(٢) بالرومية السنودسات^(٣) ، واحدها سنودس ؛ فالأول بنيقية على ما ذكرنا من العدد ، وكان الاجتماع فيه على أريوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية من الملكية والمشاركة ، وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية ، واتفاق من اليعاقبة على هذا السنودس أيضاً ؛ والسنودس الثاني بالقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلاً ، والسنودس الثالث بأفسوس وعددهم مائتا رجل ؛ والسنودس الرابع بمخلقدونية^(٤) ، وعددهم ستائة وستون رجلاً ، والسنودس الخامس بقسطنطينية ، وعددهم مائة وستة^(٥) وأربعون رجلاً ، والسنودس السادس كان في مملكة اللدائن ، وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلاً ، وسنذكر بعد هذا الموضع في ترتيب ملوك الروم هذه السنودسات ، وغاية دين النصرانية ، وزوال عبادة التماثيل والصور .

وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلافي في دين النصرانية والرغبة فيه أن قسطنطين خرج في بعض حروب يرجان ، أو غيرهم من الأمم ، وكانت الحرب بينهم سجالات نحواً من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، فخاف البوار ، فرأى في النوم كأن رماحا نزلت من السماء ، فيها عذاب ، وأعلاماً على رؤوسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس ، وأنواع الجواهر [والخشب] وقيل له : خذ هذه الرماح ، وقاتل بها عدوك تنصر ، فجعل يحارب بها في النوم ، فرأى عدوه منهزماً ،

سبب تنصر قسطنطين

(١) في ا « ولتسع عشرة سنة » . (٢) زيادة عن ا وحدها .

(٣) في ب « السنودسات واحدها سنودس » .

(٤) في ا « بمخلقدونية » . (٥) في ا « مائة وستون رجلاً » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وأخبارهم ٣١٩

وقد نصر عليه ، وولاه الدبر ، فاستيقظ من رقده ، ودعا بالرمح فركب عليها ما ذكرنا ، ورفعها^(١) في عسكره ، وزحف إلى عدوه ، فولوا وأخذهم السيف ، فرجع إلى مدينة نيقية ، وسأل من أهل الخبرة عن تلك الصليبان ، وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من [أرض] الشام مجّمع لهذا المذهب ، وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قتل النصرانية ، فبعث إلى الشام ، وإلى بيت المقدس ، فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً ، فأتوه وهو بنيقية ، فقص عليهم أمره ، فشرعوا له دين النصرانية ، فهذا هو السنودس^(٢) الأول ، وهو الاجتماع على ما ذكرنا ، وقد قيل : إن أم قسطنطين هلاقي كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا .

وكان ملك قسطنطين إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وفي وجه آخر من التاريخ أنه ملك خمساً وعشرين سنة ، وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاداً لموضع القسطنطينية ، ووروده إلى هذا الخليج الآخذ من بحر مايطس ونيطس في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وإن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ، ويجرى فيه الماء جرياً ، ويصب إلى بحر الشام ، ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلاً ، وقيل : أقل من ذلك ، وعرضه في الموضع الذي يأخذ من بحر مايطس نحو من عشرة أميال ، وهناك عمار ، ومدينة للروم تدعى سباه^(٣) ، تمنع من يرد في هذا البحر من مراكب الروم ، وغيرها ، ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية ، فيصير عرضه — وهو موضع العبور من الجانب الشرقي إلى الموضع الغربي الذي فيه القسطنطينية — نحواً من أربعة أميال ، وعليه العمار ، وينتهي في ضيقه إلى الموضع المعروف بالأندلس ، وهناك جبال وعين ماء كثير ، ماؤها موصوف ، تعرف بعين مسّلة بن عبد الملك وكان

(١) في ب « ودفعها في عسكره » .

(٢) في ب « السنودس » وكذلك في كل ماسبق .

(٣) في « تدعى مسناة » .

نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية ، وأتته مراكب المسلمين ، وفم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ، ومنتهى مصبه مضيق ، وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي كانت للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم ، وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الإسلام ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، وأخبرني أبو عمير عدي بن أحمد^(١) بن عبد الباقي الأزدي — وهو شيخ الثغور الشامية قديماً وحديثاً إلى وقتنا هذا ، وهو من أهل التحصيل — أنه لما عبر إلى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لإقامة الهدنة والقداء كان يتبين جرية هذا الماء وترده^(٢) مما يلي بحر مايطس ، وربما يتبين في الماء الذي يلي بحر الشام فيجده فاتراً ، وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين ، وأنه قد دخل في بحر الروم إلى هذا الخليج أيضاً ، وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة^(٣) — وقد كانوا قد دخلوا إلى خليج القسطنطينية ، وساروا فيه مسافة بعيدة — أنهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالمد والجزر ، وعليه العائر والمدن ، فلما أحسوا بنقص الماء بادروا بالخروج منه إلى البحر الرومي ، وأن في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج ، والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال ، وفي الجانب الجنوبي البر^(٤) ، وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس ، [وهو عدة أسوار مما يلي الغرب ، وفيه قصر]^(٥) وأعلى أسوارها الغربية نحو من ثلاثين ذراعاً ، وقد ذكر أنه أقل من ذلك ، وأن أقصر موضع فيه عشرة أذرع ، [وأعلى موضع من سورها ما كان مما يلي الجنوب ، فأما ما كان مما يلي الخليج فسور واحد ، وفيه قصر وبواشير وأبراج كثيرة] ، ولها أبواب كثيرة مما يلي البر والبحر ، وحوها كنائس كثيرة ، وقد قيل : إن لها ثلاثين باباً ، ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغاراً وكباراً وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للأبدان لكونه بين ما وصفنا من هذه البحار

(١) في ب « عدي بن حاتم بن عبد الباقي الأزدي » .

(٢) في ب « وبرده » . (٣) في ب « غلام أزارقة » .

(٤) في أ « ويلى منها الجانب الغربي البر » . (٥) لا توجد هذه العبارة في ب

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم ، وأخبارهم ٣٢١

قال السعودي : ولم تزل الحكمة باقية عالية^(١) زمن اليونانيين ، وبرهة من مملكة الروم ، نعظم العلماء وتشرف الحكماء ، وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس ، والتعاليم الأربعة أعنى : الإرتماطيقى ، وهو علم الأعداد والجو مطريقى ، وهو علم المساحة والهندسة ، والاسترنوميا ، وهو علم النجوم ، والموسيقى وهو علم تأليف اللحن - ولم تزل العلوم قائمة السوق ، مشرقة الأقطار^(٢) قوية المعالم ، شديدة المقاوم ، سامية البناء ، إلى أن نظاهرت ديانة النصرانية في الروم ، ففغوا معالم الحكمة ، وأزالوا رسمها ، ومحو^(٣) سبلها ، وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته ، وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته .

وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى ؛ لأنه غذاء للنفس ، ومطرب لها ، وماهيها ، تتهيج عند سماعه ، وتمحن إلى تأليف أو ضاعه ، وقد نطقت الحكماء بشرفه ، ونهبت على نفاسة محله ، فقال الإسكندر : من فهم الألحان استغنى عن سائر اللذات ، وقد قالت الفلاسفة : إن النغم [والأغاني] فضيلة شريفة كانت تعذرت^(٤) عن المنطق ليست في قدرته ، فلم يقدر على إخراجها ، فأخرجتها النفس ألقاناً ، فلما أظهرتها سُرَّت بها وعشقتها وطربت إليها ، ورتبت الحكماء الأونار الأربعة بإزاء الطبائع الأربع ، فجعلوا الزير بإزاء المرة الصفراء ، والمثنى بإزاء الدم ، والمثلث بإزاء البلم والبهيم بإزاء [المرة] السوداء ، وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملاهي والإيقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الأمم ، من أصناف الملاهي ، من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الأمم ، وذكرنا مناسبة النغم للأوتار ، وممازجة النفس والألحان وكيفية تولد الطرب وأنواع السرور^(٥) وذهاب النغم وزوال الحزن ، وعلل

(١) في ا « نامية عليه » . (٢) في ا « مشرقة الأقطار »

(٣) في ب « وعفوا سبلها » . (٤) في ا « كانت تغيب عن المنطق »

(٥) في ا « وإيقاع السرور » .

ذلك الطبيعية والنفسية ، وما أحاط بذلك من جميع الوجوه ، في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وأنينا على ظريف أخبارهم وأنواع لوهوم وملاهيهم في كتاب « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا ؛ إذ هذا الكتاب في غاية الإيجاز ، وإن سنح لنا سائح ذكرنا لمعاً من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، وإن تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا ، على الشرح والإيضاح .

قسطنطين ثم ملك الروم بعد قسطنطين بن هلافي الملك المنتصر « قسطنطين بن قسطنطين » وهو ابن الملك الماضي ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة ، وبني كنائس كثيرة ، وشيد دين النصرانية

ليانس ثم تملك ابن أخى قسطنطين الأول « ليانس »^(١) فرفض دين النصرانية ، ورجع إلى عبادة الأوثان ، وهو ليانس^(٢) المعروف بالحنيفي . وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمنونه « ليانس » البزطاط^(٣) وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير بن بابك ، فأثامهم غرب فذبجه ، وقد كان سار إلى العراق في جنود لا تحصي ، ولم يكن لسابور حيلة في دفعه ولقائه لمفاجأته إياه ، فانصرف سابور عن اللقاء إلى الحيلة [في دفعه] وكان من أمره ما وصفنا [من سهم الغرب] . وكان ملكه إلى أن هلك سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية .

يوناس ولما هلك ليانس جزع من كان معه من الملوك ، والبطارقة ، والجيوش ، ففرعوا إلى بطريق كان معظماً فيهم ، يقال له يوناس^(٣) ، وقيل : إنه [كان] كاتب الماضي ، فأبى عليهم أن يملك إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه إلى ذلك

(٢) في ب « الرباط »

(١) في ب « بوليانس »

(٣) في ب « مريناس »

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم ، وأخبارهم ٣٢٣

وضايق سابور القوم ، وأحاط بعساكرهم ؛ فكان ليونياس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ، ثم افترقا ، وانصرف بجيوش النصرانية مَوَادعا لسابور ، وأخلف عليه ما أُلِف من أرضه بأموال حملها إليه ، وهذا يامن لطائف الروم ، وشيد [هياكل في] دين النصرانية ، وردّها إلى ما كانت عليه ، ومنع من الأصنام والتماثيل ، وقتل على عبادتها ، وكان ملكه سنة .

ثم ملك بعده « أوالس » ^(١) وهو على دين النصرانية ، ثم رجع عنها ، وهلك في بعض حروبه ، وكان ملكه إلى أن هلك أربع عشرة سنة

وقيل : إن في أيامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله ^{يقظة} أهل الكهف جل ثناؤه عنهم أنهم بَعَثُوا أَحدهم بِوَرَقِهِمْ إلى المدينة ، وهذا الموضع من أرض الروم في الشمال ، وللناس من عني بعلم الفلك في ازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه [عن] ذلك فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية) وكانوا من أهل مدينة أفسيس ^(٢) من أرض الروم .

ثم ملك بعد أوالس « غراطياس » ^(٣) خمس عشرة سنة ، ولسنة من ملكه غراطياس كان اجتماع النصرانية ، وهو أحد الاجتماعات فأتموا القول ^(٤) في روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونس بطريق القسطنطينية ، وهو السنودس الثاني .

ثم ملك بعده « تدوسيس » ^(٥) الأكبر ، وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية ، وعظم منها ، وبنى كنائس ، ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم ، وإنما كان أصله من الأشبان ، وهم بعض الأم السالفة ، وقد كانت ممن ملك الشام ومصر [والغرب] والأندلس ، وقد تنازع الناس فيهم : فذكر الواقدي

(١) في ب « أوانيس » . (٢) في ب « أفسس » .

(٣) في ب « غرامطامس » (٤) في ب « باسم القوم في روح القدس »

(٥) في ب « بدرسيس » .

في كتابه فنوح الأمصار أن بدأهم من أهل أصبهان، وأنهم ناقلة من هنالك، وهذا يوجب أنهم من قبل ملوك فارس الأولى، وذكر عبيد الله^(١) بن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والأخبار، والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافث بن نوح، وهم ملوك الأندلس من اللذارقة^(٢) واحدهم لذريق، وقد تنوزع في دياناتهم: فمنهم من رأى أنهم كانوا على دين المجوس، ومنهم من رأى أنهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الأصنام، وقد قلنا: إن الأشهر من أنسابهم أنهم من ولد يافث بن نوح، فكان مدة ملك ندوسيس إلى أن هلك عشرين^(٣).

ثم ملك بعده «أرقاديس»^(٤) أربع عشرة سنة، وكان على دين النصرانية.

جماعة
من ملوكهم

ثم ملك بعده ابنه «ندوسيس» الأصغر، وذلك بمدينة أفسيس، وجمع مائتي أسقف، وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفاً؛ ولعن فيه نسطورس البطرك؛ وقد ذكرنا في كتابنا «أخبار الزمان» الحيلة التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية من صاحب الكرسي بالإسكندرية، وما كان من نسطورس، ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب^(٥)، وما كان من يدوقيا^(٦) زوجة الملك إلى أن نفى نسطورس من القسطنطينية إلى أنطاكية ثم منها إلى صعيد مصر، والمشاركة من النصارى أضيفوا إلى نسطورس لأنهم اتبعوه وقالوا بقوله، وإنما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعييبهم بذلك، وقد كانت المشاركة بالحيرة وغيرها من الشرق تدعى بالعباد، وسائر نصارى الشرق يابون هذه الاضافة إلى نسطورس، ويكرهون أن يقال لهم نسطورية، وقد أيد برصوما. مطران نصيبين رأى المشاركة في الثالث، وهو الكلام في الأقاليم الثلاثة والجوهر الواحد

(١) في ب « عبد الله » .

(٢) في ب « وهم الأزارقة واحدهم أزريق » .

(٣) في أ « سبع عشرة سنة » . (٤) في ب « أوباديس » .

(٥) في أ « المعروف بقم الذهب » . (٦) في ب « بندريا » .

وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث ، وكان ملك تدوسيس الأصغر إلى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده « مرقيانوس » ، ثم ملك الروم « باخاريا » زوجة مرقيانوس^(١) ، وكانت ملكة معه ، وفي أيامها كان خبر اليعاقبة من النصرى ، ووقوع الخلاف بينهم في الثالث ؛ فكان ملكها سبع سنين ، وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم ملكية ، والنوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد ، وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد فمات ، وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم ، وكرسی اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كرسی بمصر ، ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين ، وهما مصر وأنطاكية .

ثم ملك بعدهما « اليون » الأصغر بن اليون^(٢) ، وكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أحرم مسعرة يعقوبي^(٣) بطرك الإسكندرية ، واجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفاً^(٤) ، وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلاً ، وذلك بمخلقدونية^(٥) ، وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية ، واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس ، ولهم خبر ظريف في قصة سوارى البطرك ، وما كان من أمره ، وخبر تلميذه يعقوب البراذعي^(٦) ، ودعوته إلى مذهب سوارى ، واليعاقبة أضيفت إلى مذهب يعقوب البراذعي^(٦) هذا ، وبه عرفت ، وكان من أهل أنطاكية يعمل البراذع .

ثم ملك بعده اليون الأصغر ابن اليون ، سنة على دين الملكية .

(١) « مرقيانوس وزوجته باخاريا ، وكانت ملكة . وفي أيامها - إلخ »
(٢) في « اليون الأكبر بن اليون » . (٣) في « بسفرة يعقوبي »
(٤) في ب « ستمائة وستون أسقفاً » وانفقت النسختان في العدد بعده .
(٥) في « بمخلقدونية » . (٦) في « البردعائي »

ثم ملك بعده « زينو »^(١) ، وهو من بلاد الأرمنيان ، وكان يذهب إلى رأى اليعقوبية ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه في دار الملك ، فظفر بهم .
ثم ملك بعده « نسطاس » وكان يذهب إلى مذهب اليعقوبية ، وبني مدينة عمورية ، وأصاب كنوزاً ودقائن عظيمة ، وكان ملكه إلى أن هلك تسعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « يوسطاناس »^(٢) تسع سنين .
ثم ملك بعده « يوسطانياس »^(٣) تسعاً وثلاثين سنة ، وقيل : أربعين ، وبني كنائس كثيرة ، وشيد دين النصرانية ، وأظهر مذهب الملكية ، وبني كنيسة الرها ، وهى إحدى عجائب العالم ، والهياكل المذكورة ، وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى ، وذلك أن يسوع الناصرى — حين أخرج من ماء المعمودية — تنشف به ؛ فلم يزل هذا المنديل يتداول إلى أن قرر بكنيسة الرها ؛ فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى هذه السنة — وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — أعطى هذا المنديل للروم ، فجنحوا إلى الهندنة ، وكان للروم عند تسلمهم هذا المنديل فرح عظيم .

ثم ملك بعده ابن أخيه « نوسطيس »^(٤) ثلاث عشرة سنة ، على رأى الملكية

ثم ملك بعده « طباريس » أربع سنين ، وأظهر فى ملكه أنواعاً من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده « موريقس » عشرين سنة ، ونصر كسرى أبرويز على بهرام

(٢) فى ب « يوسطيانوس » .

(٤) فى ب « فرسطيس »

(١) فى ب « ير » .

(٣) فى ب « سطابانس » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم ، وأخبارهم ٣٢٧

جوبين^(١) ، فقتل غيلة^(٢) ؛ وبعث أبرويز غضباً له بجيوش إلى الروم ، وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا .
ثم ملك بعده « فوقاس »^(٣) ثمان سنين إلى أن قتل أيضاً .
ثم ملك بعده « هرقل » وكان بطريقاً في بعض الجزائر قبل ذلك ، فعمر بيت المقدس ، وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام ، وبني الكنائس ، ولسمع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة شرقها الله تعالى .

(١) في ب « على بهرام جور »

(٢) في ا « قتل بحيلة »

(٣) في ب « قرماس » .

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودي : وَجَدْتُ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ نِزَاعًا فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي عَصْرِ مَنْ كَانَ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ : فَهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى مَا قَدَّمْنَا مِنْ مَوْلَاهُ وَهَجَرْتَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنَّ مَوْلَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي مُلْكِ بَوْسَطِينُوسَ^(١) الْأَوَّلِ ، وَكَانَ مُلْكُهُ تِسْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ مُلْكُ « بَوْسَطِينُوسَ » الثَّانِي ، وَكَانَ مُلْكُهُ عَشْرِينَ سَنَةً . [ثُمَّ مُلْكُ « هِرْقَل » بْنِ بَوْسَطِينُوسَ ، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ الدِّنَانِيرَ وَالْدِرَاهِمَ الْهَرَقْلِيَّةَ ، وَكَانَ مُلْكُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً . ثُمَّ مُلْكُ بَعْدَهُ ابْنُهُ « مُورِق » بْنُ هِرْقَلٍ^(٢) .

ملك الروم
في عهد مولد
رسول الله

وَالَّذِي فِي كُتُبِ الزِّيَجَاتِ فِي النُّجُومِ وَعَالِيهِ يَعْمَلُ أَهْلُ الْحِسَابِ ، وَفِي تَوَارِيخِ مُلُوكِ الرُّومِ مِنْ سَلَفٍ وَخَلْفٍ ، أَنَّ مُلْكَ الرُّومِ كَانَ فِي وَقْتِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَأَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ « هِرْقَل » وَلَيْسَ هَذَا التَّرْتِيبُ فِيمَا عَدَاها مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ ، إِلَّا فِي الْيَسِيرِ مِنْهَا ، وَفِي تَوَارِيخِ أَصْحَابِ السِّيَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجَرَ وَمُلْكُ الرُّومِ قَيْصَرُ بْنُ مُورِقٍ^(٣) .

ثُمَّ مُلْكُ بَعْدَهُ « قَيْصَر » بْنُ قَيْصَرٍ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

في عهد خلفاء
الإسلام

ثُمَّ مُلْكُ عَلَى الرُّومِ « هِرْقَل » بْنُ قَيْصَرٍ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي حَارَبَهُ أَسْرَاءُ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَيَزِيدِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَسْرَاءِ الْإِسْلَامِ ، حِينَ أَخْرَجُوهُ مِنَ الشَّامِ .

وَكَانَ الْمُلْكُ عَلَى الرُّومِ « مُورِق » بْنُ هِرْقَلٍ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفِينَ عَنْ إِوْحَدِهَا

(١) فِي ب « بَوْسَطُورِس »

(٣) فِي أ « قَيْصَرُ بْنُ فَوْق »

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ٣٢٩

ثم ملك « مورك » بن مورك^(١) في خلافة علي بن أبي طالب رضى الله في عهد علي عنه ، وأيام معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده [قلفط] بن مورك^(٢) بقية أيام معاوية ، وكان بينه وبين في عهد معاوية معاوية مراسلات ومهادنات ، وكان المختلف بينهما فثاق الرومى^(٣) غلام كان لمعاوية ، وقد كان معاوية هادئاً أباه مورك بن مورك حين سار إلى حرب علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان بشره بالملك ، وأعلمه أن المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ، ثم يؤول الملك إلى معاوية ، وقد كان معاوية يومئذ أميراً على الشام لعثمان في خبر طويل قد أيننا على ذكره في الكتاب الأوسط ، وأن ذلك من علم الملاحم يتوارنه ملوك الروم عن أسلافهم ، وكان ملك قلفط بن مورك^(٢) في الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرأ من أيام عبد الملك بن مروان .

ثم ملك « لاون » بن قلفط^(٤) في أيام عبد الملك بن مروان ، وكان الملك في عهد الدولة بعده « جيرون » بن لاون في أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسئلة بن عبد الملك وغزو المسلمين إياهم في البر والبحر ، فأكسوا عليهم رجلا من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش ، يقال له « جرجيس » ، وكان ملكه تسع عشرة سنة .

ولم يزل ملك الروم مضطرباً إلى أن ملكهم « قسطنطين » بن اليون ، في عهد الدولة العباسية وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبى جعفر المنصور أخيه ، ثم ملك بعده « اليون » بن قسطنطين ، وذلك في أيام المهدي والهادي ، ثم ملك بعده « قسطنطين » بن اليون ، وكانت أمه أريش^(٥) ملسكة معه ، مشاركة له في

(١) في ا « فوق بن مورك » . (٢) في ا « فلنط بن فوق » .

(٣) في ب « فثاق الرومى » . (٤) في ا « لاوى بن فلنط » .

(٥) في ب « أريش » .

الملك ، لصغر سنه في أيام هارون الرشيد ، فمات قسطنطين بن اليون وسملت
عيننا أمه بعد ذلك لأخبار يطول ذكرها ، ثم ملك على الروم « يعفور »^(١)
ابن اسدراق^(٢) ، وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات ، وغزاه الرشيد ،
فأعطاه القود من نفسه بعد بغى كان منه في بعض مراسلاته ، فانصرف
الرشيد عنه ، ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الاقياد ، وكُتِم عن الرشيد
أمره ، لعازض علة كان وجدها بالركة ، وفي انقياد يعفور^(١) إلى الرشيد
وَحَمَلَهُ الْأُمُوالِ وَالْمُدايَا وَالضَّرِيَّةَ إِلَيْهِ يَقُولُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

إِمَامٌ الْهَدَى أَصْبَحَتْ بِالْدِينِ مَعْنِيًّا	وَأَصْبَحَتْ تَسْقِي كُلَّ مُسْتَمَطِرٍ رِيًّا
لَكَ اسْمَانِ شَقَامِنْ رَشَادٍ وَمِنْ هَدَى	فَأَنْتَ الَّذِي تَدْعِي رَشِيدًا وَمَهْدِيًّا
إِذَا مَا سَخَطْتَ الشَّيْءَ كَانَ مُسَخَّطًا	وِإِنْ تَرْضَ شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرْضِيًّا
بَسَطْتَ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَ الْعَلَا	فَأَوْسَعْتَ شَرْقِيًّا وَأَوْسَعْتَ غَرْبِيًّا
وَعَشَّيْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى	فَأَصْبَحَ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَغْشِيًّا
وَأَنْتَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَى التَّقَى	نَشَرْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ مَطْوِيًّا
قَضَى اللَّهُ أَنْ صَنِّيَ لِهَارُونَ مَلَكُهُ	وَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًّا
تَجَلَّبَتِ الدُّنْيَا لِهَارُونَ بِالرِّضَا	وَأَصْبَحَ يَعْفُورُ لِهَارُونَ ذَمِيًّا ^(٣)

فلما عوفي الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هابه الناس أن
يخبروه بغير يعفور^(١) ، فقال :

نقض الذي أعطاه يعفور فعليه دائرة البوار تدور^(١)
أبشر ، أمير المؤمنين ، فإنه فتح أذاك به الإله كبير

-
- (١) كذا في ب ، وفي تاريخ ابن خلدون « تففور » بالنون والعين المعجمة
وفي أ ، وبعض التواريخ « تففور » بالنون والقاف .
(٢) في أ « بن استبرق » .
(٣) في أ « تجلبت الدنيا » وفيها « وأصبح تففور » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ٣٣١

فَتَحَ يَزِيدُ عَلَى الْفَتْوحِ ، يَوْمُنَا
فَلَقْدَ تَبَاشَرَتِ الرَّعِيَّةُ أَنْ أَتَى
وَرَجَتْ بِبَيْمِنِكَ أَنْ تُعَجِّلَ غَزْوَةً
يَعْفُورُ ، إِنَّكَ حِينَ تَعْدِرُ أَنْ نَأَى
أَظْنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلِتٌ
إِنْ الْإِمَامَ عَلَى اقْتِسَارِكَ قَادِرٌ
لَيْسَ الْإِمَامُ وَإِنْ غَفَلْنَا غَافِلًا
هَلْكَ تَجَرَّدَ لِلْجِهَادِ بِنَفْسِهِ
يَا مَنْ يَرِيدُ رِضَا الْإِلَهِ بِسَعْيِهِ
لَا نَصْحَ يَنْفَعُ مَنْ يَعْشُ إِمَامَهُ
نُصْحُ الْإِمَامِ عَلَى الْأَنَامِ فَرِيضَةٌ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا قَالَ الرَّشِيدُ : أَوْ قَدْ فَعَلَ ؟ وَعَلِمَ أَنَّ
الْوُزَرَاءَ قَدْ احْتَالُوا ، فَتَجَهَّزَ وَغَزَاهُ ، وَنَزَلَ عَلَى هِرَقْلَةَ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ
تِسْعِينَ وَمِائَةٍ .

وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَمِيرٍ عَدِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الْأَزْدِيُّ أَنَّ الرَّشِيدَ أَرَادَ
النُّزُولَ عَلَى [حِصْنٍ] هِرَقْلَةَ وَكَانَ مَعَهُ أَهْلُ الثُّغُورِ ، وَفِيهِمْ شَيْخَا الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ
مُخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ السِّيَرِ - فَخَلَا الرَّشِيدُ
بِمُخْلَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ فِي نَزُولِنَا عَلَى هَذَا الْحِصْنِ ؟ فَقَالَ :
هَذَا أَوَّلُ حِصْنٍ لَقِيتَ مِنْ حِصُونِ الرُّومِ ، وَهُوَ فِي نَهَايَةِ الْمُنْعَةِ [وَالْقُوَّةِ] ؛ فَإِنْ
نَزَلْتَ عَلَيْهِ وَسَهَّلَ اللَّهُ فَتَحَهُ لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْكَ فَتَحَ حِصْنٍ بَعْدَهُ ؛ فَأَمَرَهُ بِالْأَنْصُرَافِ ،
وَدَعَا بِأَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيَّ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِمُخْلَدٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا

(١) فِي ١ « وَرَجَتْ بِبَيْمِنِكَ » .

(٢) فِي ب « لَظْنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ » .

حصن بنته الروم في نَحْر الدروب^(١) ، وجعلته [لها] ثغراً من الثغور ، وليس بالآهل ؛ فإن أنت فتحتَه لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم ، وإن تعذر فتحه كان ذلك نقصاً في التدبير ، والرأى عندي أن يسير أمير المؤمنين إلى مدينة عظيمة من مدن الروم ؛ فإن فتحت عَمَّتْ غنائمها المسلمين ، وإن تعذر ذلك قام العذر ، فمال الرشيد إلى قول مخلد ، فنزل على هرقة ، ونصب حولها الحرب تسعة عشر^(٢) يوماً ، فأصيب خلق كثير من المسلمين ، وفنيت الأزواد والعلوفات ، وضاق صدر الرشيد من ذلك ، فأحضر أبا إسحاق الفزاري ، فقال : يا إبراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين ، فما الرأي الآن عندك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشققت من هذا ، وقد مت القول فيه ورأيت أن يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن ، وأما الآن فلا سبيل إلى الرحيل عنه من بعد المباشرة ؛ فيكون ذلك نقصاً في الملك ، ووهناً في الدين ، وإطعاماً لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين ، والمصابرة لهم ، نكن الرأي يا أمير المؤمنين أن تأمر بالنداء في الجيش أن أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن إلى أن يفتحه الله عز وجل للمسلمين ، وتأمر بقطع الخشب وجمع الأحجار وبناء مدينة بإزاء هذا الحصن إلى أن يفتحه الله عز وجل ، ولا يكون هذا الخبر ينمو إلى أحد من الجيش إلا على المقام ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحرب خدعة » وهذه حرب حيلة لا حرب سيف ؛ فأمر الرشيد من ساعته بالنداء ؛ فحملت الأحجار وقطع الأخشاب من الشجر ، وأخذ الناس في البناء ؛ فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون في الليل ، ويدلون أنفسهم بالحبال .

وفي خبر أبي عمير [بن عبد الباقي] زيادات ، منها خبر الجارية التي سبأها

(١) في ب « بحر الدروب » وليس بشيء .

(٢) في ا « سبعة عشر يوماً » .

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ٣٣٣

الرشيد من هذا الحصن ، وهي ابنة بطريقه ، وكانت ذات حسن وجمال ، فزأيد^(١) فيها صاحب الرشيد في المغنم ، وبالمنع فيها حتى اشتراها له ، فبلغت من قلبه ، وبنى لها نحو الراققة بأميال على طريق بالس حصناً سماه هرقله [على الفرات]^(٢) ، يحاكي به حصن هرقله ببلاد الروم ، في خبر طويل قد أتينا على جميعه في كتابنا الأوسط .

وهذا الحصن باقى إلى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقله .
وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن^(٣) بن دريد ، قال : أخبرني أبو العيناء ، قال : أخبرني شبل الترحمان ، قال : كنت مع الرشيد حين نزل على هرقله وفتحها ، فرأيت بها حجراً^(٤) منصوباً مكتوباً عليه باليونانية ، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر إلى ، وأنا لا أعلم ، فكانت ترجمته . « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها ، وكل الأمور إلى وليها ، ولا يحملنك إفراط السرور وعلى المأثم ، ولا تحمل على نفسك هم يوم لم يأت ، فإنه إن يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ، ولا تكن من المغرورين بجمع المال ، فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ، ومقترأ على نفسه ، موفراً لخزانه غيره » وقد كان تاريخ هذا الكتاب في ذلك اليوم زائداً على ألفى سنة .

وباب هرقله مُطِلٌّ عَلَى واد و خندق يطيف بها ، وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقله لما اشتد بهم الحصار ، وعرضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحو الباب فاستشرف المسلمون لذلك ، فإذا رجل من أهلها ساجداً الرجال قد خرج في أكل السلاح ، فنادى : يا معشر العرب : قد طالت موافقتكم إيانا ، فليخرج إلى منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة ، فلم يخرج إليه من الناس أحد ، ينتظرون إذن الرشيد ، وكان الرشيد نائماً [فعاد الرومى إلى حصنه]^(٥) ، فلما استيقظ

(١) في ب « فزاد فيها » .

(٢) زيادة في ا وحدها . (٣) في ا ، ب « محمد بن الحسين »

(٤) في ا « فرأيت يابها حجراً » .

أخبر بذلك ، فتأسف ولا مَخدمه على تركهم إيقاظه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إن امتناع الناس منه [اليوم] يُطعمه ويطغيه ويجرئه أن يخرج في غدٍ فيطلب المبارزة ويعود لمثل قوله ، فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظار له ، إذ فتح الباب ، فإذا الفارس قد خرج ، وعاد إلى كلامه ، فقال الرشيد : مَنْ له ؟ فابتدره جلة القواد ، فعزم على إخراج بعضهم ، فضجَّ أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب ، فأذن . لبعضهم ، وفي مجلسه محمد بن الحسين وإبراهيم الفزارى ، فدخلوا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة ، وعلو الصيت ومباشرة الحرب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العليج لم يكبر ذلك ، وإن قتله العليج كانت وصمة^(١) على العسكر عظيمة ، وثمة لا تنسد ، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صيت فإن رأى أمير المؤمنين أن يخرج رجلاً منا يخرج إليه فعل ، فصوب الرشيد^(٢) رأيهم وقال لمحمد وإبراهيم : صدقوا يا أمير المؤمنين ، فأومؤا إلى رجل منهم يعرف بابن الجزرى^(٣) مشهور في الثغور موصوف بالنجدة ، فقال له الرشيد : أخرج إليه ؟ قال : نعم ، وأستعين بالله عليه ، فقال : أعطوه فرساً وسيفاً ورحلاً وترساً ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا بفرسى أوثق ، وورحى في يدي أشد ، ولكن قد قبلت السيف والترس . فلبس السلاح ، واستدناه الرشيد [فودعه] وأتبعه بالدعاء ، وخرج معه عشرون من المتطوعة ، فلما انقضت في الوادي قال لهم العليج وهو يدهم واحداً واحداً : إنما كان الشرط عشرين ، وقد ازدتتم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادوه : ليس يخرج لك منا إلا رجل واحد ، فلما فصل^(٤) منهم ابن الجزرى^(٣) تأمله العليج ، وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم ، فقال له الرومى : أتصدقنى عما أسألك

(١) في ب « كانت وضعية على العسكر »

(٢) في ا « فاستصوب الرشيد الرأي »

(٣) في ا « يعرف بابن الجزرى »

(٤) في ا « فلما انفصل »

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى ، وعظمت لصاحبه الجائزة ، وضُبت الأموال على ابن الجزري ، وقُوِّدَ ، وخُلِعَ عليه ، فلم يقبل شيئاً من ذلك ، وسأل أن يُعْفَى ويترك على ما هو عليه ، ففي هذا يقول الشاعر أبو العتاهية :

ألا نادت هِرْقَلَةَ بالحِراب من الملك الموفق للصواب
غدا هُرُونُ يرعد بالنايا ويبرق بالذِكرَةِ العُضاب
ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها مرث السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالغنيمَةِ والإياب

والرشيد مع يعفور^(١) هذا بعد ذلك أخبار كثيرة ، وقد أتينا على مبسوطها في كتابنا الأوسط ، وما كان من خبره في إرساله ليحيى بن الشيخ حين أمره أن يتطارش على يعفور^(٢) ، وما كان من يعفور^(٣) وإخباره لبطارقه أن الرشيد بعث بهذا متصامماً ، ومطالبه ابن الشيخ بدينار أودرهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزان ، وما كان من انقياد يعفور^(٤) بعد ذلك إلى طاعة الرشيد ، وشرطه عليه أن يحمل إليه أينما كان من ماء عين العشيبة ، هي عين البر بدون^(٥) ، وهي في نهاية الصفاء والركة ، وغير ذلك مما عنه أمسكنا طلباً للاختصار .

ثم ملك بعد يعفور^(٦) « استراق بن يعفور بن استراق »^(٧) في أيام محمد الأمين ، فلم يزل ملكاً حتى غلب على الملك قسطنطين بن قلفط^(٨) ، وكان ملك قسطنطين هذا في خلافة المأمون .

ثم ملك بعده « توفيل »^(٩) ، وذلك في خلافة المعتصم ، وهو الذي فتح زبطرة ، وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية ، وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المعتصم ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ا هنا « تقفور » . (٢) في ب « البديون » .

(٣) في ا « استراق بن تقفور بن استراق » .

(٤) في ا « بن قلفط » . (٥) في ب « نظر نوفيل » .

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى
لصاحبه الجائزة ، وصُبَّت الأموال على ابن الجزري ، وقُوِّدَ ، و-
فلم يقبل شيئاً من ذلك ، وسأل أن يُعْفَى ويترك على ما هو عليه
يقول الشاعر أبو العتاهية :

ألا نادى هِرْقَلَةَ بالخراب من الملك الموفق للص-
غدا هُرُونُ يرعد بالنايا ويرق بالذكرة ال-
ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها مرث ال-
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالفنيمة و-
وللرشيد مع يعفور^(١) هذا بعد ذلك أخبار كثيرة ، وقد أتينا على ما
كتابنا الأوسط ، وما كان من خبره في إرساله ليحيى بن الشخير حير
يتطارش على يعفور^(١) ، وما كان من يعفور^(١) وإخباره بطارقه أن الم-
بهذا متصامماً ، ومطالبه ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك ح-
عليه الخزان ، وما كان من انقياد يعفور^(١) بعد ذلك إلى طاعة الرشيد
عليه أن يحمل إليه أينما كان من ماء عين العشيبة ، هي عين البر-
وهي في نهاية الصفاء والركة ، وغير ذلك مما عنه أمسكنا طلباً لل-
ثم ملك بعد يعفور^(١) « استراق بن يعفور بن استراق »^(٣) في
الأمين ، فلم يزل ملكاً حتى غلب على الملك قسطنطين بن قلفط^(٤)
ملك قسطنطين هذا في خلافة المأمون .

ثم ملك بعده « توفيل »^(٥) ، وذلك في خلافة المعتصم ، وهو
زبطرة ، وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية ، وسنورد خبره فيما يرو-
الكتاب في أخبار المعتصم ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ا هنا « تفور » . (٢) في ب « البديود

(٣) في ا « استراق بن تفور بن استراق » .

(٤) في ا « بن طنط » (٥) في ب « نظر توفيل

الجزء الأول : ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ٣٣٧

ثم ملك بعده « ميخائيل بن توفيل » وذلك في خلافة الواصل والمتوكل والمنتصر والمستعين .

ثم كان بين الروم تنازع في الملك ، فملكوا عليهم « توفيل بن ميخائيل ابن توفيل ^(١) » ثم غلب على الملك بسيل الصقلي ^(٢) ، ولم يكن من أهل بيت الملك ، وكان ملكه أيام المعتز والمهتدي ، وبعض خلافة المعتد .
[ثم ملك بعده ابنه « اليون بن بسيل » بقية أيام المعتد وصدرًا من أيام المعتضد ^(٣)] .

ثم هلك فملكوا عليهم ابنًا له يقال له « الإسكندروس » فلم يحمدا أمره ، فغلموه وملكوا عليهم أخاه « لاوى بن اليون بن بسيل الصقلي ^(٤) » وكان ملكه بقية أم المعتضد والمكتفي وصدرًا من أيام المقتدر .

ثم هلك وخلف ولدًا صغيرًا يقال له « قسطنطين » فملك وغلب على مشاركته في الملك « أرمنوس » بطريق البحر وصاحب [غزوه و] حروبه ، فزوج قسطنطين الصبي بابنته ، وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي ، إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في خلافة أبي إسحاق المتقي لله بن المقتدر .

وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة ، والأكبر منهم والمدير للأمر أرمنوس المتغلب ، ثم الثانى وهو قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل ^(٤) ، والملك الثالث ابن لأرمنوس ، يخاطب بالملك ، واسمه اسطفانوس ^(٥)

(١) في ب « نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل » .

(٢) في ب « نسيل الصقلي » .

(٣) ما بين المعوقين ساقط من ا .

(٤) في ا « لاوى بن بسيل الصقلي » وليس فيها ذكر اليون .

(٥) في ا « واسمه اسطفانوس » .

وجعل أرمينوس ابناً له آخرَ صاحب الكرسي بالقسطنطينية ، وهو البطرك الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم ، وقد كان خصّاه قبل ذلك ، وقربه إلى الكنيسة ، وأمرُ الروم يدور في وقتنا هذا على من ذكرنا من ملوكهم .
قال المسعودي : وإلى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم ، على حسب ما ذكرنا ، والله أعلم ما يكون من أمرهم في المستقبل من الزمان .

مدة ملك
الروم

فعدد سني ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاني ، وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا ، إلى هذا الوقت ، خمسمائة سنة وسبع سنين ، والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم - من قسطنطين إلى هذا الوقت المؤرخ - أحد وأربعون ملكاً ، ولم يعد بعدُ ابن أرمينوس^(١) ، ووقع العدد على قسطنطين وأرمينوس^(١) اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ ، وإن أدخلنا في هذا العدد ابن أرمينوس^(١) فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية - وهو الملك قسطنطين بن هلاني - اثنان وأربعون ملكاً ، في مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عُني بأخبار العالم إلى أن من حين هبط آدم عليه السلام إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ستة آلاف سنة ومائتين وتسعاً وخمسين سنة ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من تاريخ سني العالم والأنبياء والملوك في بابٍ نفرد له لذلك ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ب « أرمينوس » في كل الموضع .

ذكر مصر ، وأخبارها ، ونيلها ، وعجائبها ، وأخبار ملوكها

وغير ذلك مما اصل بهذا الباب

قال المسعودي : ذكرَ الله جل ثناؤه مصر في مواضع من كتابه ، فقال عز ذكر مصر وجل (وقال الذي اشتراه مِنْ مُصْرٍ) وقال (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) في القرآن وقال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ بَيِّتُوا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ يُبُوتًا) وقال : (اهْطُؤْا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآ سَأَلْتُمْ) وقال تعالى : (وقال نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) .

ووصف بعض الحكماء مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة [ذهب] ^(١) حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في شهر أيب — وهو تموز — ومِصرى — وهو آب — وتوت — وهو أيلول — يركبها الماء فتري الدنيا بيضاء ، وضياها على رَاوِيٍّ وتلال مثل الكواكب ، قد أحاطت المياه بها من كل وجه ؛ فلا سبيل لبعض البلاد إلى بعض إلا في الزوارق ، وأما المسكة السوداء فإن في شهر بابة — وهو تشرين الأول — وهاتور — وهو تشرين الثاني ، وكيهك — وهو كانون الأول — ينكشف الماء عنها ، وينضب عن أرضها ^(٢) ، فتصير أرضاً سوداء ، وفيها نقع الزراعات ، وللأرض روائح طيبة تشبه روائح المسك ، وأما الزمردة الخضراء ؛ فإن في شهر طوبة — وهو كانون الثاني — وأمشير — وهو شباط — وبرمات — وهو آذار — تلع ويكثر عشبها ^(٣) ونباتها ؛ فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فإن في شهر برمودة — وهو نيسان — وبشنس — وهو أيار — وبؤونه — وهو حزيران — يبيضُ الزرع ، وتورد الشعب ، فهو كسبيكة الذهب منظرًا ومنفعة .

(١) لا توجد هذه الكلمة في ب .

(٢) في أ « وتنضب على أرضها » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في ب .

(٣) في أ « تلع بكثرة عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة » .

وسنذكر هذه الشهور بالبشرىانية والعربية والفارسية ، ونسمى كل شهر منها بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على جميع ذلك في الكتاب الأوسط .

ووصف آخر مضر فقال : نيلها^(١) عجب ، وارضها ذهب ، [وخيرها تجلب] وملكها لمن سلب ، وما لها رغب ، وفي أهلها صخب ، وطاعتهم رهب ، وسلامهم شغب ، وحروبهم حرب ، وهي لمن غلب .

نهر النيل

ونهرها النيل من سادات الأنهار ، وأشرف البحار ؛ لأنه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة إن النيل وسيحان ، وهونهر أذنة من الثغر الشامي ، ويصب إلى البحر الرومي ، ويخرجه على ثلاثة أيام من ملطية ، ويجري في بلاد الروم ، وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة^(٢) بين طرسوس والمصيصة ، وجيحان ، ويخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام^(٣) من مدينة سرعش ، ويطرح إلى البحر الرومي ، فليس للمسلمين عليه من المدن إلا المصيصة وكفر بيا^(٤) ، ومجراه بينهما ، والقرات وقد قدمنا الأخبار عنه وعن النيل ومبدئهما ومقدار جريانهما على وجه الأرض ومصبهما ، فيما سلف من هذا الكتاب ، وأنه يخرج من الجنة ، وكذلك الدجلة وغيرها مما اشتهر من الأنهار الكبار .

وقد قالت العرب في النيل : إنه إذا زاد غاضت له الأنهار ، والأعين والآبار ، وإذا غاض زادت ؛ فزياداتها من غيضة ، وغيضة من زياداتها . [قال البصري :

يفيض إن زادت له الأنهار في الأرض ذات العرض والمقدار]^(٥) وقالت الهند : زيادته ونقصانه بالسيول ، ونحن نعرف ذلك بتوالي الأنواء وكثرة الأمطار ، وركود السحاب .

(١) تقدم بعض هذه الفقر في ١ عن بعض ، والخطب في ذلك سهل

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من ب (٣) في ١ « ثلاثة أميال » .

(٤) في ب « وكفر ياد » . (٥) ما بين هذين المعقوفين ساقط من ١

وفالت الروم : لم يزد قط ولم ينقص ، وإنما زيادته ونقصانه من عيون^(١) كثر واتصلت .

وفالت القبط : زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه ، يراها من سافر ، ولحق بأعاليه .

[وقيل : لم يزد قط ، وإنما زيادته بريح الشمال إذا كثر واتصلت به ، فتحبس ، فيفيض على وجه الأرض]^(٢) .

وقد ذكرنا التنازع في النيل وزيادته من ساف وخلف ، على الشرح والإيضاح ، وغيره من الأنهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار ، في كتاب « أخبار الزمان » في الفن الثاني ، فأغنى ذلك عن إعادتها في هذا الكتاب .

ومصر من سادات القرى ، ورؤساء المدن ، قال الله تعالى : [حاكياً ^{أيضاً} وصف مصر عن فرعون : (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون) وقال عز وجل]^(٣) حاكياً عن يوسف عليه السلام : (اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم) [وهي مصر] ، وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا [ويمناً] غير نيل مصر لكبره واستبحاره ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذي بدء النيل منه ، وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام في البدر والحاق^(٤) .

وقد روى عن زيد بن أسلم في قوله تعالى : (فإن لم يصبها وابل فطل) ، قال : هي مصر ، إن لم يصبها وابل زكت^(٥) ، وإن أصابها مطر ضعفت ، وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها :

مصر ، ومصر شأنها عجيب ونيلها تجري به الجنوب

(١) في ١ « وإنما زيادته بالشمال إذا كثر واتصلت » .

(٢) « أي بن هذين العقوفين ساقط من ١ . (٣) في ب « البدء والحاق »

(٤) في ١ « إن لم يصبها مطر أزكت » .

وهي مصر، واسمها كعنها، وعلى اسمها سميت الأمصار، ومنه اشتق هذا الاسم عند علماء البصريين^(١)، وقد قال عمرو بن معديكرب :

ما النيل أصبح زائداً بمُدوده وجرت له ريح الصبا فجرى لها^(٢)
عودت كندة عادة محمودة فاصبر لجاهلها ورو سجالها^(٣)

زيادة النيل
وتقصانه

قال. المسعودي : ويتدىء نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤونة — وهو حزيران — وأيب — وهو تموز — ومسرى — وهو آب — فإذا كان الماء زائداً زاد شهر توت كله — وهو أيلول — إلى انقضائه، فإذا انتهت الزيادة إلى ست عشرة ذراعاً، ففيه تمام الخراج، وخصب الأرض، وربيع للبلاد عام^(٤)، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلأ، وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلاد كله سبع عشرة ذراعاً، وفي ذلك كفايتها، ورى جميع أراضيها، وإذا زاد على السبع عشرة وبلغ ثمان عشرة ذراعاً وغلقها استبحر من أرض مصر الربع، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع؛ لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك، وإن كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعاً كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء بمصر، وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعاً، وقد كان النيل بلغ في زيادته تسع عشرة ذراعاً، وذلك سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز، ومساحة الذراع إلى أن تبلغ اثني عشر ذراعاً ثمان وعشرون أصبعاً، ومن اثني عشر ذراعاً وما فوق يصير الذراع أربعاً وعشرين أصبعاً، وأقل ما يبق في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، وفي مثل تلك السنة يكون الماء قليلاً، والأذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكراً ونكيراً، وهي الذراع الثالث عشر، والذراع الرابع عشر؛ فإذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعنى ثلاث عشرة وأربع عشر تموز زيادة نصف ذراع

(١) في ب « المصريين » . (٢) في ا « فالنيل » وفي ب

(٣) هذا البيت لا يوجد في ا . « أصبح واحداً » .

(٤) في ا « ففيه تمام خراج السلطان، وخصب الناس، وفيه ظم ربع البلاد »

من الخمس عشرة ، استسقى الناس بمصر ، وكان الضرر شاملاً لكل البلدان ، إلا أن يأذن الله^(١) عز وجل في زيادة الماء ، وإذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعاً كان فيه صلاح لبعض الناس ، ولا يستسقى فيه ، وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان ، والترع التي بغيضة مصر أربع أمهات ؛ أسماؤها : ترعة ذنب التمساح ، وترعة بلقينة ، وخليج سر دوس ، وخليج ذات الساحل ، وتفتح هذه الترع إذا كان الماء زائداً في عيد الصليب ، وهو لأربع عشرة تخلو من توت وهو أيلول ، وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب ، والنبيذ الشيرازي^(٢) يتخذ بمصر من ماء طوبة ، وهو كانون الآخر ، بعد الغطاس ، وهو لعشرة تمضي من طوبة ، وأصفي ما يكون النيل في ذلك الوقت ، وأهل مصر يفتخرون بصفاء النيل في هذا الوقت ، وفيه تحتزن المياه أهل تنيس ودمياط وبونة وسائر قرى البحيرة .

وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها ، لا ينام الناس فيها ، وهي ليلة ليلة الغطاس إحدى عشرة^(٣) تمضي [من طوبة وستة من] كانون الثاني .

ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر ، والإخشيدي محمد بن طنج في داره المعروفة بالختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها ، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل^(٤) غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع ، وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو ألف من الناس [من] المسلمين والنصارى ، منهم في الزوارق ، ومنهم في الدور الدانية من النيل ، ومنهم على الشطوط ، لا يتناكرون الحضور ، ويحضرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف ، وهي أحسن ليلة تكون بمصر ، وأشملها سروراً ، ولا تغلق

(١) في « إلى أن يأذن الله »

(٢) في ب « الشيرازي » .

(٣) في « ليلة عشر تمضي » وليست فيها الزيادة التي بين المعقوفين .

(٤) في « ألفا مشعل » .

فيها الدروب ، ويفطس أكثرهم في النيل ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرىء للداء^(١) .

مقاييس النيل قال المسعودى : وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فإنى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم ، حين بنى الأهرام ، اتخذ مقياساً لمعرفة زيادة النيل ونقصانه ، وأن ذلك كان بمنف ، ولم يكن الفسطاط يومئذ ، وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياساً [بأقصى] الصعيد ، ووضعت أيضاً مقياساً آخر ببلاد إخميم ؛ فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الإسلام ، ثم ورد الإسلام ، وافتتحت مصر ، وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا ، إلى أن ولي عبد العزيز بن مروان ، فاتخذ [مقياساً^(٢)] بحلوان ، وهو صغير الذراع ، وحلوان فوق الفسطاط ، ثم اتخذ أسامة بن زيد التنوخى [مقياساً] بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة ، وهى الجزيرة التى بين الفسطاط والجزيرة ، والمُعبر عليهما من الفسطاط على الجسر ، ثم منها على جسر آخر إلى الجزيرة ، وهو الجانب الغربى ؛ لأن الفسطاط من الجانب الشرقى ، وهذا المقياس الذى اتخذه أسامة بن زيد التنوخى هو أكثرها استعمالاً ، واتخذ ذلك فى أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهو المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - بالفسطاط ، وقد كان من سلف يقيسون بالمقياس الذى بمنف ، ثم ترك استعماله ، وعمل على مقياس الجزيرة المعمول فى أيام سليمان بن عبد الملك ، وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون ، والعمل عليه عند كثرة الماء ، وترادف الرياح ، واختلاف مهابها ، وكثرة الموج ، وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعاً عامرها وغامرها ، لما أحكوا من جسورها ، وبناء قناطرها ، وتنقية خلجانها ، وكان بمصر سبع خلجانات : فمنها خليج الإسكندرية ، وخليج

(١) فى ١ « ونشرة من الداء » .

(٢) ما بين العقوفين ساقط من ب ، ويؤيد صحة هذه الزيادة ما فى الكلام بعدها

في أوامرهم ونواهيهم ، ومنهم من رأى أن ذلك جائز على ماتوجه أحوال الوقت والأصلح للحال ، وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » .

القيوم

وأما أخبار القيوم من صعيد مصر وخلصانها من المرتفع والمطاطي ومطاطي المطاطي، وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض، وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته أرضها بعد كونها خربة^(١) ومصفاة لمياه الصعيد، وهي جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها^(٢)، فقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، وكذلك في تسمية القيوم فيوماً ، وأن ذلك ألف يوم ، وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسد إياه .

وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن [هذا] العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد إلى أسفل الأرض، وموضع القسطاط في وقتنا هذا، وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والحبشة^(٣) وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب ، إلى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه، وما ينقل من التربة^(٤) بتياره من موضع إلى موضع فيصب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق في عمران الأرض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب ، فسكن الناس بلاد مصر، ولم يزل الماء ينصب عن أرضها قليلاً قليلاً حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعائر، وطرقوا للماء، وحفروا له الخللجانات، وعقدوا في وجهه المسنّة، إلا أن ذلك خفي على ساكنيها ؛ لأن طول الزمان أذهب معرفة أول سكنهم كيف كان ذلك، ولم تتعرض في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع الطريق بمصر

(١) في ١ « وعمارته لأرضها بعد كونها جوبة. » .

(٢) في ١ « أطرافها » . (٣) في ب « من أسوان الحبشة » .

(٤) في ب « وما ينقل من التربة بتياره » .

في أواسرهم ونواهيهم ، ومنهم من رأى أن ذلك جائز على ماتوجه أحد الوقت والأصالح للحال ، وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابت « المقالات في أصول الديانات » .

القيوم

وأما أخبار القيوم من صعيد مصر وخليجائها من المرتفع والمطاطى ومطاطى ، وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض ، وكيفية فعل يوسف فيها وعمارتها أرضها بعد كونها خربة^(١) ومصفة لمياه الصعيد ، وهي جزيرة أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها^(٢) ، فقد أتينا على ذلك في الكتاب الأول . فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، وكذلك في تسمية القيوم فيوماً ، وذلك ألف يوم ، وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم إياه .

وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن [هذا] العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد إلى أسفل الأرض ، وموضع الفسطا في وقتنا هذا ، وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب ، إلى أن عرض لنا موانع من انتقال الماء وجريانه ، وما ينقل من التربة^(٣) بتياره من موضع إلى موضع فيصب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب الموضع في عمران الأرض وخراجها فيما سلف من هذا الكتاب ، فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينصب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من الماء والعمائر ، وطرقوا للماء ، وحفروا له الخللجانات ، وعقدوا في وجهه المسننة ، إلا ذلك خفي على ساكنيها ؛ لأن طول الزمان أذهب معرفة أول سكنائهم كيف كان ذلك ، ولم تتعرض في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع الطريق بمص

(١) في ١ « وعمارتها لأرضها بعد كونها جوبة. » .

(٢) في ١ « أطرافها » . (٣) في ب « من أسوان الحبشة »

(٤) في ب « وما ينقل من التوبة بتياره »

ولا لكثير من أخبار الإسكندرية وكيفية بنائها ، والأمم التي تداولتها والملوك التي سكنتها من العرب وغيرهم ؛ لأننا قد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط ، وسنذكر بعد هذا الموضع جلامن أخبارها ، وجوامع من كيفية بنائها ، وما كان من أمر الإسكندر فيها .

قال المسعودي : وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه في سنة نيف وستين ومائتين بين ابن طولون أن رجلاً بأعلى بلاد مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الأقباط ، ممن يشار إليه بالعلم من لدن حدائته ، والنظر والإشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل ، وأنه علامة بمصر وأرضها من برها وبحرها وأخبارها وأخبار ملوكها ، وأنه من سافر في الأرض ، وتوسَّط الممالك ، وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان ، وأنه ذو معرفة بهيئات الأفلاك^(١) والنجوم وأحكامها ، فبعث أحمد بن طولون رجلاً من قواده في أصحابه ، فعمله في النيل إليه مكرماً ، وكان قد انفرد عن الناس في بنيان اتخذ ، وسكن في أعلاه ، وقد رأى [الولد] الرابع عشر من ولد ولده ، فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر إلى رجل دلائل الهرم فيه بينة ، وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة ، والحواس سليمة والقضية^(٢) قائمة ، والعقل صحيح ؛ يفهم عن مخاطبه^(٣) ، ويحسن البيان والجواب عن نفسه ، فأسكنه بعض مقاصيره ، ومهد له ، وحمل إليه لذيذ المأكول والمشرب ، فأبى أن يتوطأ^(٤) على شيء ، وأن يتغذى إلا بغذاء كان حمله معه من كعك وغيره ، وقال : هذه بنية قوامها بما ترون من هذا الغذاء ، وهذا اللبس ، فإن أتم سُمْتُموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما أوردتموه عليها من المأكول والمشرب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه البنية ، وتفريق هذه الصورة ، فترك على ما كان عليه ، وما جرت به عادته ، وأحضر له أحمد بن طولون من حضره من

(١) في ١ « بهيئة الأفلاك » . (٢) في ١ « والنصبة قائمة » .

(٣) في ١ « يفهم من مخاطبه » . (٤) في ب « فأبى أن لا يتوطأ » .

بحيرة تنيس
ودمياط

أهل الدراية^(١)، وصرف همته عليه، وأخلى نفسه له في ليال وأيام كثيرة، يسمع كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل^(٢) عنه؛ فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط، فقال: كانت أرضاً لم يكن بمصر مثاها استواء وطيب تربة وثرارة، وكانت جناتاً ونحلاً وكرماً وشجراً ومزارع، وكانت فيها مجار^(٣) على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها، ولم ير الناس بلداً كان أحسن من هذه الأرض؛ ولا أحسن اتصالاً من جناتها وكرومها، ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبهها إلا الفيوم [وكانت أكثر خيراً من الفيوم] وأخصب وأكثراً فاكهة ورباحين من الأصناف الغريبة، وكان الماء منحدراً إليها لا ينقطع عنها صيفاً ولا شتاء، يسقون منه جناتهم إذا شاؤوا، وكذلك زروعهم، وسأثره يصب إلى البحر من سائر خلجانها، ومن الموضع المعروف بالأشتوم، وقد كان بين البحر وبين هذه الأرض نحو مسيرة يوم، وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة إلى قبرس تسلكه الدواب ييسراً، ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس إلا نخاضة، وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل، وكذلك فيما بينها وبين أرض الروم، وقد كان بين الأندلس وبين الموضع الذي يسمى الخضراء — وهو قريب من فاس المغرب وطنجة — قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الأندلس إلى المغرب^(٤)، وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجاناً صفاراً تجري تحت قناطرها وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم، وقد عقد من كل حجر إلى حجر طاق، وهو مبدأ بحر الروم الآخذ من أوقيانوس، وهو البحر المحيط الأكبر، فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلو

(١) في ب « أهل الديار » .

(٢) في ب « فيما سئل عنه » .

(٣) في أ « قرى على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها » .

(٤) في أ من ساحل المغرب إلى بلاد الأندلس ومنه إلى المغرب » .

أرضاً فأرضاً في طول ممر السنين ، يرى زيادته أهل كل زمان ، ويتبينه أهل كل عصر ، ويقفون عليه ، حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الأندلس وبرطنجة^(١) ، وما وصفت فيين ظاهر عند أهل الأندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة ، وربما بدا الموضع لأهل المراكب تحت الماء ، فيقولون : هذه القنطرة ، وكان طولها نحو اثني عشر ميلاً ، في عرض واسع ، وسمو بين ، فلما مضت لديقلطيانوس^(٢) من ملكه مائتان وإحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه ، وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها ، فما كان من القرى التي في قرارها غرق ، وأما التي كانت على ارتفاع من الأرض فبقيت منها بونة وسمنود^(٣) وغير ذلك مما هي باقية إلى هذا الوقت ، والماء يحيط بها ، وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فيقبرونهم واحداً فوق آخر^(٤) ، وهي الأكوام الثلاثة التي تسمى اليوم أبو الكوم ، وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها وقد مضى لديقلطيانوس الملك مائتان وإحدى وخمسون سنة ، وذلك قبل أن تفتح مصر بمائة سنة ، وقال : وقد كان الملك من ملوك الأمم كانت داره القرماع أركون من أراكنة البلينا وما اتصل بهما من الأرض حروب^(٥) وخنادق وخلقانات فتحت من النيل إلى البحر ، يمنع كل واحد من الآخر ، وكان ذلك داعياً لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الأرض .

وسئل عن ملوك^(٦) الأحابش على النيل وممالكهم فقال : بقيت من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك مختلفة ، كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك ، وبلادهم حارة يابسة مسودة ليس بها وحرارتها ولا استحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهباً لطبخ الشمس

(١) في « بين الأندلس وبين خضرة فاس » .

(٢) في « دقلطيانس » . (٣) في ب « تونة وسمنود »

(٤) في ب « فيعنونهم واحد فوق واحد » .

(٥) في ب « خروق وخنادق - إلخ » . (٦) في ب « عن طول الأحابش »

إياها لحرارتها ويسبها وناريتها فتحولت ذهباً، وديطبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصاً صفائح بالملح والزاج^(١) والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء، وليس يدفع هذا الأمر إلا من لا معرفة له بما وصفنا، ولا قارب شيئاً مما ذكرنا. قيل له : فما متبهى النيل في أعاليه؟ قال : البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها، وهي نحو الأرض التي الليل والنهار فيهما متساويان طول الدهر، وهي تحت الموضع الذي يسميه للنجوم الفلك المستقيم، وما ذكرت فمعروف غير منكر.

الأهرام

وسئل عن بناء الأهرام، فقال : إنها قبور الملوك، وكان الملك منهم إذا مات وضع في حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن^(٢) وأطبق عليه، ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم، ثم ينظر عليه البنيان والأقباء، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويحمل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق في الأرض بعقد أزج، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراعاً وأكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه على ما وصفت، فقيل له : فكيف بنيت هذه الأهرام الملمسة؟ وعلى أي شيء كانوا يصعدون ويننون؟ وعلى أي شيء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلاَّ بمجهود إن قدروا؟ فقال : كان القوم يبنون الهرم مדרجاً ذا مراقي كالدرج، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت حياتهم، وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة للملوكهم ديانة^(٣)

فقيل له : ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبزاني لا تقرأ؟ فقال : دتر الحكماء وأهل مصر الذين كان هذا قلمهم، وتداول أرض مصر الأم، فقلب على أهلها القلم الرومي، وأشكال الأحرف للروم، والقبط تقرأه على حسب تعارفها إياه، وخطها لأحرف الروم بأحرفها، على حسب ما ولدوا من الكتابة بين الرومي

(٢) في ب ٤ الجرون

(١) في ب « والزجاج » .

(٣) في ا « ديانة » .

والقبلى الأول ؛ فذهبت عنهم كتابة آبائهم .
ف قيل له : فن أول من سكن مصر ؟ قال : أول من نزل هذه الأرض
مصر بن بيسر بن حام بن نوح ، ومر فى أنساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم ،
وتفرقهم فى الأرض .

ف قيل له : أتعرف بمصر مقاطع رخام ؟ قال : نعم فى الجانب الشرقى من الصعيد
جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمدة وغيرها ، وكانوا يَجْلُون ماعملوا^(١)
بالرمل بعد النقر ، فأما العمدة والقواعد والرؤوس التى تسميها أهل مصر الأسوانية ،
ومنها حجارة الطواحين ، ف تلك نَقَرَهَا الأولون بعد حدوث النصرانية بمئتين من
السنين ، ومنها العمدة التى بالإسكندرية ، والعمود الذى بها الضخم الكبير لا يعلم
بالعالم عمود مثله ، وقد رأيت فى جبل أسوان أخاً لهذا العمود قد هندس ونقر
ولم يفصل من الجبل ، ولم يُحَكَّ مظهر^(٢) منه ، وإنما كانوا ينتظرون أن يفصل
من الجبل ثم يحمل إلى حيث يريد القوم .

وسئل عن مدينة العقاب ، فقال : هى غربى أهرام بوصير الجيزة^(٣) وهى
على خمسة أيام لبليالها للراكب المجتهد ، وقد وعرت^(٤) طريقها وعميت السالك
إليها ، والسمت الذى يؤدى نحوها ، وذكر ما فيها من عجائب البنيان والجواهر
والأموال والعلل التى لها سميت مدينة العقاب ، ووصف مدينة أخرى غربى أخميم
من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب أخذتها الملوك السالفة^(٥) ، وذكر من شأن
هذه المدينة الأخرى عجائب من الأخبار ، وزعم أن بينها وبين إخميم من أرض
الصعيد مسيرة ستة أيام .

وسئل عن النوبة وأرضها ، فقال : هم أصحاب إبلٍ وُبُخْت^(٦)
وبقر وغنم ، وملكهم يستعد الخيل العتاق ، والأغلب من ركوب عوامهم
البراذين ، ورميهم بالنبل عن قسيّ عربية ، وغنم أخذ الرمي أهل الحجاز

(١) فى « يجلون ماعملوا » محرفاً . (٢) فى « ولم يحل مظهر منه »

(٣) فى « بوصير والجيزة » . (٤) فى « وقد غور طريقها »

(٥) فى « أحدثتها الملوك السالفة » . (٦) فى « نجب وإبل وبقر وغنم »

واليمين وغيرهم من الغرب ، وهم الذين يسميهم العرب رماة الخلق ، ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة ، وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن ، وللنوبة أترج كأ كبير ما يكون بأرض الإسلام ، وملوكهم تزعم أنهم^(١) من حمير ، وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة ، ووراء علوة^(٢) أمة عظيمة من السودان تدعى بكنة^(٣) وهم عُرّة كالزنج ، وأرضهم تنبت الذهب ، وفي مملكة هذه الأمة يفترق^(٤) النيل فيتشعب منه خليج عظيم ، ثم يخضر الخليج بعد انفصاله من النيل ، وينحدر الأكثر إلى بلاد النوبة ، وهو [النيل] لا يتغير ، فإذا كان في بعض الأزمنة انفصل الأكثر من الماء في ذلك الخليج ، وايض الأكثر ، واخضر الأقل ؛ فيشق ذلك الخليج في أودية و خلجان وأعماق مأنوسة حتى يخرج إلى جلاسق والجنوب^(٥) ، وذلك [على] ساحل الزنج ، ومصبه في بحرهم . ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون ، فذكر كلاماً طويلاً في أمر الفيوم ، وأن جارية من بنات الروم وابنها^(٦) نزلوا الفيوم ، وكانوا البدء في عمارتها و عمارة أرضها ، وإنما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى أيام جَرَى النيل ، ولم يكن حجر اللاهون بنى ، وإنما كان مصب الماء [من المنهى] من الموضع المعروف بدمونة ، ثم بنى اللاهون على ما هو اليوم عليه ، ويقال : إن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، بناه أيام العزيز ، ودبرَ من أمر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخلاج المرتفعة والمطاطية ، وهو خايج فوق خليج فوق خليج ، وبنى القنطرة^(٧) المعروفة بسفونة^(٨) ، وأقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الأرض لا يدرك منتهاه منها ، وهو أحد عجائب الدنيا مريع الشكل قد جهد أناس من الأمم ممن ورد بعد يوسف أن ينتهوا إلى آخره في الأرض حَفراً فلم يأت لهم ذلك ، [ولا قدرُوا عليه] وغلبهم الماء فعجزهم ، ورأس هذا العمود مساوٍ

(١) في ب « أنها من حمير » .

(٢) في ا « وملكهم يستولى على معرد ونوبة ، ووراء علوة - إلخ » .

(٣) في ب « بكنة » (٤) في ب « يفترق النيل »

(٥) في ا « إلى خلايس الجنوب » . (٦) في ا « وأما » . ١

(٧) في ب « وهي القنطرة » . (٨) في ا « بنوسفة » .

لأرض المنهى، قال: وأما حجر اللاهون فإن من سطح الحجر الذى فيما بين القبتين^(١) إلى ناحية اللاهون ، واللاهون هى القرية بعينها ، ففى ما بين^(٢) السطح إلى القرية ستون درجة^(٣) وربما قل الماء فى المنهى ، وظهر بعضُ الدرج، وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء ، وبعض لا يرى، وفيما بين سطح الحجر الذى بين القبتين وبين القرية شاذروان ، وهو من أسفل الدرج، وإنما يدخل الماء الفيوم بوزن^(٤) الحجر ، وجعلت الإسقالة—وهى القناطر—ليخرج الماء منها، ولا يعلو الماء الحجر أيام سده، فبالقدير بُنى حجر اللاهون^(٥)، وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل إليها، وبناء حجر اللاهون من أعجب الأمور، ومن أحكم البنيان ، ومن البناء الذى يبقى على وجه الأرض لا يتحرك ولا يزول، بالهندسة عَمِلَ ، وبالفلسفة أُتِقنَ ، وفى السعود نصب ، وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى ، والله أعلم .

ولم تزل ملوك الأرض — إذا غلبت على بلادنا ، واحتوت على أرضنا؛ صارت إلى هذا الموضع فتأملته؛ لما قد نَمَى إليها من أخباره ، وسار فى الخليفة من عجائب بنيانه وإتقانه .

وكان هذا الرجل من أقباط مصر ، ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية، فأمر [السلطان أحمد بن طولون فى بعض الأيام ، وقد أحضر مجاسه بعض أهل النظر ، أن يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية ، فسأله عن ذلك ، فقال : دليلى على صحتها وجودى إياها [متناقضة] متنافية ، تدفعها العقول ، وتنفر منها النفوس، لتباينها وتضادها، لا نظر يقويها ، [ولا جدل يصححها] ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها، ورأيت مع ذلك أمما كثيرة ، وملوكا عظيمة ذوى معرفة وحسن^(٦) رأى، قد انتقادوا إليها

- (١) فى ب « فيما بين الفرش » (٢) فى ب « فيها من السطح إلى القرية »
- (٣) فى ب « ستون ذراعا » . (٤) فى ب « بدرج الحجر » .
- (٥) فى ب « فالتقدير بناء حجر اللاهون » .
- (٦) فى ب « ذوى معرفة وحس » .

وتدينوا بها ، فعلت أنهم لم يقبلوها ، ولم يتدينوا بها - مع ما ذكرت من تناقضها في العقل - إلا لدلائل شاهدها، وآيات علموها، ومعجزات عرفوها، أوجبت انقيادهم إليها والتدين بها ، قال له السائل: وما التضاد الذي فيها؟ قال: وهل يدرك أو يعلم غايته؟ منها قولهم بأن الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، ووصفهم الأقانيم والجوهر وهو الثالث ، وهل الأقانيم في أنفسها قادرة على عالم أم لا؟ وفي اتحاد ربهم القديم بالإنسان المحدث ، وما جرى في ولادته وقتله وصلبه، وهل في التشنيع أكبر وأفحش من إله صلب ، وبُصق في وجهه، ووضع على رأسه الإكليل من الشوك ، وضرب رأسه بالقضيب، وسمرت يده، ونخس بالأسنة والخشب جنباه ، وطأ بالماء فسُق الخل في بطيخ الحنظل؟ فأمسكوا عن مناظرته، وانقطعوا عن مجادلته ؛ لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهيه^(١)

بين يهودي ونصراني . قال : شأنك ، فأقبل على القبطي مسائله ، فقال له القبطي : وما أنت أيها الرجل؟ وما نحلثك؟ فقال له^(٢) : يهودي ، فقال له : مجوسي إذا؟! قال له : كيف ذلك وهو يهودي ؟ قال : لأنهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات ؛ إذ كان في دينهم أن الأخ يتزوج بنت أخيه ، وعليهم أن يتزوجوا نساء إخوتهم إذا ماتوا ، فإذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بداً من أن يتزوجها ، وهذا من أسرارهم ، وما يكتُمونه^(٣) ولا يُظهرونه ، فهل في المجوسية أشنع من هذا؟ فأنكر اليهودي ذلك ، وجحد أن يكون في دينه أو يعرفه أحد من اليهود ، فاستخبر ابن طولون [عن] صحة ذلك ، فوجد [ذلك] الطيب اليهودي قد تزوج امرأة أخيه ، وكانت بنته ، ثم أقبل القبطي على ابن طولون ، فقال : أيها الأمير ، هؤلاء يزعمون - وأشار إلى اليهودي - أن الله خلق آدم على صورته ، وعن نبي من أنبيائهم سماء

(٢) في ١ « قيل له يهودي »

(١) في ١ « ووهاته » .

(٣) في ١ « مما يكتُمونه » .

قال في كتابه : إنه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية ، وإن الله تعالى قال :
إني أنا النار المحرقة ، والحمى الآخذة^(١) ، وأنا الذي آخذ الأبناء بذنوب الآباء ،
ثم في توراتهم أن بنات لوط سقيته الخمر حتى سكر وزنى بهن ، وحلن منه ،
وولدن ، وأن موسى رد على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه . وأن
هارون صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل . وأن موسى أظهر معجزات لفرعون
وفعلت السحرة منلها . ثم قالوا^(٢) في ذبائح الحيوان والتقرب إلى الله بدمائها
ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان ، وهو قولهم : إن شربتهم
لا تنسخ ، ولا يقل قول أحد من الأنبياء بعدموسى إذا انحرف عما جاء به موسى
ولافرق في قضية العقل بين موسى وغيره من الأنبياء إذا أتى ببرهان ، وبأن
بحجة ، ثم الأكبر من كفرهم قولهم في يوم عيد الكفور ، وهو يوم الاستغفار وذلك
لعشر تخلو من تشرين الأول : إن الرب الصغير — ويسمونه ميظارون^(٣) — يقوم
في هذا اليوم قائماً ، وينتف شعور رأسه ، ويقول : ويلي إذا خربت بيتي
وأيتمت بنتي ، قامتي منكسة لأرفعها ، حتى آتي بنتي^(٤) ، وذكر عن اليهود
أقاصيص وتخاليط كثيرة ، ومناقضات واسعة .

ولهذا القبطى مجالس كثيرة عند أحمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة
والديسانية والثوية والصائبة والجوس ، وعدة من متكلمي الإسلام ، وقد أتينا
على ما احتمل منها إirاده في كتابنا في « أخبار الزمان » وذكرنا جميع ذلك في
كتابنا « المقالات » ، في أصول الديانات » وكان هذا القبطى — على ما نرى إلينا
من خبره ، وصح عندنا من قوله — يذهب إلى فساد النظر ، والقول بتكافؤ
المذاهب ، وأقام عند ابن طولون نحو سنة ، فأجازه ، وأعطاه ، فأبى قبول شيء .

(١) في ١ « والحمى الآكلة » (٢) في ١ « ثم ما قالوا في ذبائح الحيوان »

(٣) في ب « ويسمونه منتظرون » .

(٤) في ١ « حتى أبني بيتي » وهي تناسب الكلام السابق

من ذلك ؛ فرده إلى بلده مكرماً ، وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ، ثم هلك —
وله مصنغات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه ، والله أعلم بكيفية ذلك .
[واليهود تأبى ما ذكره القبطى فى نكاح بنت الأخ ، وأكثرتهم يقر
بالتزويج بينت الأخ]^(١)

بعض عجائب مصر ونيلها قال المسعودى : وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان
مما فى البر والبحر ، من ذلك السمك المعروف بالرغاد ، وهو نحو الذراع ،
إذا وقعت فى شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه ، فيعلم بوقوعها ، فيبادر
إلى أخذها وإخراجها عن شبكته ، ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت
ذلك ، وقد ذكرها جالينوس ، وأنها إن جعلت على رأس من به صداع
شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته . والفَرَسُ الذى يكون فى نيل
مصر إذا خرج من الماء وانتهى وطؤه إلى بعض المواضع من الأرض علم
أهل مصر أن النيل يزيد إلى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا متصر عنه ،
لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب ، وفى ظهوره من الماء ضرر
بأرباب الأرض والفلاحة^(٢) لرعيه الزرع ، وذلك أنه يظهر من الماء فى الليل
فينتهى إلى موضع من الزرع ، ثم يولى عائداً إلى الماء ، فيرعى فى حال رجوعه من
الموضع الذى انتهى إليه مسيره^(٣) ، ولا يراعى من ذلك شيئاً فى عمره ، كأنه يحدد
مقدار ما يرعاه فيها ما إذا رعت ووردت إلى النيل فشربت ثم تقذف ما فى أجوافها
فى مواضع شتى ، فينبت ذلك مرة ثانية ؛ فإذا كثرت ذلك من فعله واتصل ضرره
بأرباب الضياع طرح له التمرس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكيك^(٤)
كثيرة مبدداً مبسوطاً ، فياً كله ، ثم يعود إلى الماء فيربو فى جوفه ، ويزداد فى
انتفاخه فيشق جوفه ، فيموت ويطفو على الماء ، ويقذف به إلى الساحل والموضع

(١) هذه الزيادة لا توجد فى ١ (٢) فى ١ « بأرباب الأرضين والغلات »

(٣) فى ١ « انتهى إليه فى مسيره » (٤) فى ب « مكاكى كثيرة »

الذى يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح ، وهو على صورة الفرس إلا أن
خوافره وذنبه بخلاف ذلك ، والجهة أوسع .

قال المسعودى : وقد ذكر جماعة من الشرعيين أن يبصر بن حام بن نوح لما من نزل مصر
انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته غَرَّبَ نحو مصر ، وكان له أولاد من أبناء نوح
أربعة : مصر بن يبصر ، وفارق بن^(١) يبصر ، وماح وياح ، فنزل بموضع يقال له منف ،
وبذلك يسمى إلى وقتنا هذا ، وكان عددهم ثلاثين فسميت [ثلاثين]^(٢) بهم ، كما
سميت مدينة ثمانين من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بنى حمدان ، وإنما
نسبت إلى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة ، وكان يبصر بن حام قد
كبر سنه ، فأوصى إلى الأكبر من ولده ، وهو مصر ، واجتمع الناس إليه
وانضافوا إلى جملتهم ، وأخصبت البلاد ، فتملك عليهم مصر بن يبصر ، وملك من حد
رفع من أرض فلسطين من بلاد الشام ، وقيل : من العريش ، وقيل : من الموضع
المعروف بالشجرة ، وهو آخر أرض مصر ، والفرق بينها وبين الشام ، وهو الموضع
المشهور بين العريش ورفع — إلى بلاد أسوان من أرض الصعيد طولا ، ومن
أبابة — وهى تخوم الحجاز — إلى برقة عرضاً ، وكان لمصر أولاد أربعة ، وهم قبط ،
وأشمون ، وإثريب ، وصا ، قسم مصر الأرض بين أولاده الأربعة أرباعاً ، وعهد
إلى الأكبر من ولده — وهو قبط — وأقباط مصر يضافون فى النسب إلى أبيهم
قبط بن مصر ، وأضيفت المواضع إلى ساكنيها ، وعرفت بأسمائهم ، فنها أشمون
وقبط ، وصا ، وإثريب ، وهذه أسماء هذه المواضع إلى هذه الغاية ، واختلطت
الأنساب ، وكثر ولد قبط ، وهم الأقباط ، فغلبوا على سائر الأرض ،
ودخل غيرهم فى أنسابهم ؛ لما ذكرنا من الكثرة ، فقليل لكل قبط
مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن يبصر بن حام بن نوح
إلى هذه الغاية .

(١) فى ب « وقوف بن يبصر وسلاح وباح » .

(٢) هذه الكلمة لا توجد فى ب .

جملة
من ملوك مصر

ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر، ثم ملك بعده صابن مصر، وملك بعده «إتريب» بن مصر، ثم ملك بعده «ماليق بن دارس» ثم ملك بعده «حرايا بن ماليق» ثم ملك بعده «كلكي»^(١) بن حرايا وأقام في الملك نحواً من مائة سنة، ثم ملك بعده أخ يقال له «ماليا بن حرايا»^(٢) ثم ملك بعده «لوطس ابن ماليا»^(٣) نحواً من سبعين سنة، ثم ملكت بعده ابنته يقال لها «حور يابنت لوطس» نحواً من ثلاثين سنة، ثم ملكت بعدها امرأة أخرى يقال لها «ماموم» وكثر ولدي مصر بن حام بأرض مصر، فتشعبوا، وملكوا النساء، فطمعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق، يقال له الوليد بن دومع، فكانت له حروب بها، وغلب على الملك، فأتقوا إليه، واستقام له الأمر إلى أن هلك، ثم ملك بعده «الريان بن الوليد» العملاقي، وهو فرعون يوسف، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرها في كتابه العزيز، وقد أنبأنا على شرح ذلك في كتابنا الأوسط، ثم ملك بعده «دارم بن الريان» العملاقي، ثم ملك بعده «كامس بن معدان» العملاقي، ثم ملك بعده «الوليد بن مصعب» وهو فرعون موسى، وقد تنوزع فيه: فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى أنه من بلاد الشام، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر، وكان يعرف بظلماً، وقد أنبأنا على ذلك في الكتاب الأوسط، وهلك فرعون غرقاً حين خرج في طلب بني إسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقاً في البحر يبساً، ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من يقي بأرض مصر من النراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فلكوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم؛ يقال لها «دلوكة» فبنت على بلاد مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد؛ وجعلت عليه المحارس والأحراس^(٤) والرجال متصلة

(١) في ب «كلكي بن حرايا» (٢) في ب «ماليا بن حرايا»

(٣) في ب «لوطيس بن ماليا» (٤) في ب «والأحراس»

أصواتهم يقرب بعضهم من بعض ، وأثر هذا الحائط باقى إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، يعرف بحائط العجوز ، وقيل ؟ إنما بنته خوف اعلی ولدها وكان كثير القنص ، نجفت عليه من سباع [البرو] البحر واغتيا ل من جاور أرضهم من الملوك والبوا دى ، فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها ، وقد قيل فى ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا ، فلكمهم ثلاثين سنة [وقيل : أقل من ذلك] .

واتخذت بمصر البرابى والصور ، وأحكمت آلات السحر ، وجعلت فى البرابى صور عمل البرابى من يرد من كل ناحية ، ودوابهم إبلا كانت أو خيلا ، وصورت ما يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشام ، وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان ، من الجاذبية والدافعة^(١) ، وجعلت ذلك فى أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا إذا ورد إليهم جيش من نحو الحجاز أو اليمن عورت تلك الصورة التى فى البرابى من الإبل وغيرها ، فيتعور ما فى ذلك الجيش ، وينقطع عنهم ناسه وحيوانه ، وإذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصور التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا [قبلها] فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور [التى من تلك الجهة] وكذلك ما ورد من جيوش الغرب ، وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك ، فهاتهم الملوك والأمم ، ومنعوا ناحيتهم^(٢) من عدوهم ، واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز وإتقانها لزم أقطار المملكة وإحكامها السياسة^(٣) .

وقد تكلم الناس ممن سلف وخلف فى هذه الخواص ، وأسرار الطبيعة التى كانت بيلا دمصر ، وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه ، والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية إلى هذا الوقت ، وفيها أنواع الصور مما

(١) فى ا « من الحادية والبادية » .

(٢) فى ا « ومنعوا أجنبته من عدوهم » .

(٣) فى ب « لزوم أقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية » .

إذا صورت في بعض الأشياء أحدثت أفعالا على حسب ما رسمت له ووضعت من أجله^(١) ، على حسب قولهم في الطبائع التام ، والله أعلم بكيفية ذلك .

قال السعدي : وأخبرني غير واحد من بلاد أخميم من صعيد مصر ، عن
 كتابة
 على البرابي
 أبي الفيض ذي النون [بن إبراهيم]^(٢) المصري الإخميمي الزاهد ، وكان
 حكيما ، وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يعصدها^(٣) ، وكان ممن يقرأ عن أخبار^(٤)
 هذه البرابي ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة
 والصور ، قال : رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته ؛ فإذا هو « احذروا
 العبيد المعتقين ، والأحداث المغترين^(٥) والجند المتعبدين ، والنبط المستعربين »
 قال : ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فإذا فيه « يقدر المقدور والقضاء يضحك »
 وزعم أنه رأى في آخره كتابة وتبينها بذلك القلم الأول فوجدها :

تُدَبَّرُ بالنجوم ولست تَدْرِي وَرَبُّ النجم يفعل ما يريد

وكانت هذه الأمة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم
 مواظبة على معرفة أسرار الطبيعة ، وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم
 أن طوفانا سيكون في الأرض ، ولم تقطع بأن ذلك الطوفان ماهو : أنارتأتى على
 الأرض فتحرق ما عليها ، أو ماء فيغرقها ، أو سيف يبيد أهلها ؟ تخافت دثور
 العلوم وفناءها بفناء أهائها ، فاتخذت هذه البرابي ، واحدها بربا ، ورسمت فيها
 علومها من الصور والتماثيل والكتابة ، وجعلت بنيانها نوعين : طينا ، وحجرا
 وفرزت ما يبنى بالطين مما يبنى بالحجر ، وقالت : إن كان هذا الطوفان ناراً استحجر
 ما يبنى من الطين وانحرق ، وبقيت هذه العلوم ، وإن كان الطوفان الواردماء
 أذهب ما يبنى بالطين ، ويبقى ما يبنى بالحجارة ، وإن كان الطوفان سيفا بقي كلاً

(١) في ا وصنعت من أجله . (٢) زيادة في ب

(٣) في ا « يقصدها » (٤) في ا « وكان ممن يفسر أخبار - إلخ »

(٥) في ب « احذر العبيد المعتقين ، والأحداث المقربين »

الجزء الأول : ذكر مصر ، وأخبارها ٣٦١

النوعين ماهو بالطين وما هو بالحجر ، وهذا على ما قيل - والله أعلم - كان قبل الطوفان ، وقيل : إن ذلك كان بعد الطوفان [وإن الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يتيقنوا ^(١)] أنار هو أم ماء أم سيف ، كان سيفاً أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها [ومهم من رأى أن ذلك الطوفان كان ولاء عم أهلها] ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير ، وذكر وأثنى ، كالجبال العظام ، وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر بأبي السكوم ^(٢) وما يوجد ببلاد مصر وصعيدهما من الناس المنكسين ^(٣) بعضهم على بعض في كهوف وغيران ^(٤) ونواويس ، ومواضع كثيرة من الأرض لا يدري من أى الأمم هم ، فلا النصراني تخبر عنهم أنهم من أسلافهم ، ولا اليهود نقول عنهم إنهم من أوائلهم ، ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبيء عن حالهم ، عليهم أثوابهم ، وكثيراً ما يوجد في تلك الروابي والجبال من حلبيهم ، والبرابي ببلاد مصر بنيان فأم عجيب : كالبربا المتخذة بأصحاء من صعيد مصر ، وهو أحد الموصوفين منها ، والبربا التي ببلاد أخميم ، والبربا التي ببلاد سمندود ، وغير ذلك .

والأهرام وطولها عظيم ، وبنائها عجيب ، عليها أنواع من الكتابات الأهرامات أيضاً بأقلام الأمم السالمة ، والممالك الدائرة ، لا يدري ما تلك الكتابة ولأما المراد بها ، وقد قال من عني بتقدير ذرعتها : إن مقدار ارتفاع ذهابها في الجونحو من أربعمائة ذراع ، أو أكثر ، وكلما علا به الصعداء ق ذلك ، والعرض نحو ما وصفنا ، عليها من الرسوم ما ذكرنا ، وإن ذلك علوم وخواص وسجرو أسرار للطبيعة ، وإن من تلك الكتابة مكتوب : إنا بنيناها فمن يدعى موازتنا ^(٥) في الملك وبلوغنا في القدرة واتهاءنا من السلطان فليهدمها ، وليلزل

(١) في ب « لم يعينوه » (٢) في ب « ذوات الكرم »

(٣) في ا « المنكسين » (٤) في ا « وغديران »

(٥) في ا « موازاتنا »

رسمها ؛ فإن الهدم أيسر من البناء ، والتفريق أيسر من التأليف ، وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها فإذا خراج مصر وغيرها من الأرض لا يبق بقلعها ، وهي من الحجر والرخام ، والغرض في كتابنا هذا الإخبار عن جمل الأشياء وجوامعها ، لا عن تفصيلها وبسطها ، وقد أتينا على سائر ما شهدناه حساً في مطافنا الأرض والمالك ، وما نبي إلينا خبراً من الخواص وأسرار [الطبيعة من] الحيوان والنبات والجماد في عجائب البلدان والآثار والباق ، في كتابنا المترجم بكتاب « القضايا والتجارب » .

ولا تمنع بين ذوى الفهم أن في مواضع من الأرض مدناً وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية ، مثل مدينة حمص ومعرّة وبُصْرَى^(١) وأنطاكية ، وقد كان ببلاد أنطاكية ، إذا أخرج إنسان يده خارج السور وقع عليها البق ، فإذا جذبها إلى داخل لم يبق على يده من ذلك شيء ، إلى أن كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها ، فأصيب في أعلاه حُقٌّ من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف ، فما مضت أيام - أو على الفور من ذلك - حتى صار البق في وقتنا هذا يعم الأكثر من دورهم ، وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ، ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شيء ويُدْفَنُ منها حجر المغناطيس فتحدث فيها حركة تباعد منه ، وحجر المغناطيس إذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله . في الحديد [وإذا غسل بشيء من الخل أو ناله شيء من غسل النحل عاد إلى فعله الأول من جذب الحديد ، وللمغناطيس في الحديد^(٢) خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالجبر الماص للدم^(٣) ، والله عز وجل قد استأثر بعلم الأشياء ، وأخبر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه] إلى شيء وأشياء استأثر بعلمها لم يظهرها خلقه ؛ فلا تقف العقول على كنهها ، وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها^(٤)

(١) في « و مصر » مكان « وبصرى »

(٢) في « و للمغناطيس والحديد »

(٣) في « كالجبر الناقص للدم » (٤) في « فيحدث لاجتماعها »

الجزء الأول : ذكر مصر ، وأخبارها ٣٦٣

معنى هو غيرها ، كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد ، وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمنيسيا والقلى عند الطبخ والسبك لذلك ، وكذلك لو جمع بين ماء القلى وماء المرث وهو الراداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد نياضا ، وإذا مزج ماء القلى بماء الزاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفور ، ولجمعنا في التناج بين الفرس الأثني والحمار فتحدث بغلا ، ولو نتج دابة على أنان لخرج منها بغل أفطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن . وقد ذكرنا التناج الذي كان يصعده مصر مما بلى الحبسة ، وما كان ينبج من الثيران على الأثني ، والحجير على البقر ، وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بمصر ولا بقر كما بغل الذي ليس بدابة ولا حمار .

وقد ذكرنا ضرروب البوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الفروس والأشجار وما نولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب «القضايا والتجارب» في أنواع الفلاسجات وغيرها ، وذكرنا باب خواص الأشياء ومعرفتها والطامحات وعجائبها ، وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض ، والجزء منه يوهك الكل ، واليسير منه يدل على معرفة الكثير .

ويمكن والله أعلم أن نكون هذه الخواص والطامحات والأشياء المحمدة في العالم للحرركات مما وضعنا والدافعة والماسعة والمنفردة^(١) والجاذبة والقاعلة في الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب . كانت دلالة لبعض الأنبياء في الأمم الخالية ، جمعها الله كذلك لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل على صدقه ونبيته^(٢) من غيره ليؤدى عن الله أمره ونهيه وما فيه من الإصلاح لخلقه في ذلك الوقت ، ثم رفع الله ذلك النبي^(٣) ، وبقيت علومه ، وما أباه الله عز وجل مما ذكرنا ، في أيدي الناس ، وأصل ذلك إلهي كما وصفنا ؛ إذ كان ما ذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع | في القدرة | .

(١) في ١ « المنفردة » (٢) في ١ « وتبينه من غيره »

(٣) في ب « ذلك النبي » محرفا

قال المسعودي : فإنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر

بقية ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز « دركوس بن بلوطس ^(١) » ثم ملك بعده « بورس بن دركوس ^(٢) » ثم ملك بعده « فغامس ^(٣) بن بورس » نحواً من خمسين سنة ، ثم ملك بعده « دنيا بن بورس ^(٤) » نحواً من عشرين سنة ، ثم ملك بعده « نماريس » ابن مريتا عشرين سنة ، ثم ملك بعده « بلوطس » ابن مينا كيل أربعين سنة ، ثم ملك بعده « مالوس » بن بلوطس عشرين سنة ، ثم ملك بعده « بلوطس » بن مينا كيل بن بلوطس ، ثم ملك بعده « بلونا » ابن مينا كيل وكانت له حروب ومسير في الأرض ، وهو فرعون الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وخرَّب بيت المقدس ، ثم ملك بعده « مرينوس » وكانت له حروب [كثيرة] بالمغرب ، ثم ملك بعده « نقاس بن مرينوس » ثمانين سنة ، ثم ملك بعده « قوميس بن نقاس » عشرين سنة ، ثم ملك بعده « كاييل » وكانت له حروب مع ملوك المغرب ، وغزاه البخت ناصر مَرْزُبَان المغرب من قبل ملوك فارس ، فخرَّب أرضه وقتل رجاله ، وسار البخت ناصر نحو المغرب ، وقد أتينا على أخباره في كتاب « راحة الأرواح » لأن هذا الكتاب رسمناه بأخبار مسير الملوك للأرض ، وأخبار مقاتلتهم ، دون ما ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان » ولما زال أمر البخت ناصر ومن معه من جنود فارس ، ملكت الروم مصر ، وغلبت عليها ؛ فتنصر أهلها ، فلم يزلوا على ذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان ، فغلبت جيوشه على الشام ، وسارت نحو مصر ، فملكوها ، وغلبوا على أهلها ، نحواً من عشرين سنة ^(٥) وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة [فكان أهل مصر يؤدون خراجين : خراجاً إلى فارس ، وخراجاً إلى الروم ، عن بلادهم .

(١) في ب « دركوش بن بلوطس » (٢) في ا « نورش بن دركوش »

(٣) في ب « لفس بن نورش » (٤) في ب « دسا بن نورس »

(٥) في ا « نحواً من عشرين سنين »

ثم انجالت فارس عن مصر والشام لأمر حدث في دار ممالكهم ، فغلب الروم على مصر والشام وأشبهروا النصرانية ، فشمّل ذلك مَنْ بالشام ومصر ، إلى أن أتى الله بالإسلام ، وكان من أمر المقوقس صاحب القبط مع النبي صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان إلى أن افتتحها عمرو بن العاص ، ومن كان معه في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فبنى عمرو بن العاص القسطنطينية وهي قصبة مصر في هذا الوقت ، وكان ملك مصر --- وهو المقوقس صاحب القبط --- ينزل الإسكندرية في بعض فصول السنة ، وفي بعضها | ينزل | مدينة مَنَف ، وفي بعضها قصر الشمع ، وهو اليوم يعرف بهذا الاسم في وسط مدينة القسطنطينية .

ولعمرو بن العاص في فتح مصر أخبار ، وما كان بينه وبين المقوقس وفتحه لقصر الشمع ، وغير ذلك من أخبار مصر والإسكندرية ، وما كان من حروب المسلمين في ذلك ، ودخول عمرو بن العاص إلى مصر والإسكندرية في الجاهلية ، وما كان من خبره مع الراهب والكثرة الذهب التي كانوا يظهرونها | للناس | في أعيادهم ، ووقوعها في حِجْر عمرو بن العاص ، وذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط .

قال المسعودي : والذي اتفقت عليه التواريخ — مع تباين ما فيها — أن عدة ملوك مصر عدة ملوك مصر من الفرعنة | وغيرها | اثنان وثلاثون فرعوناً ، ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ، ومن ملوك بابل ^(١) — وهم المماليق الذين طرأوا ^(٢) إليها من بلاد الشام — أربعة ، ومن الروم سبعة ، ومن اليونانيين عشرة ، وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام ، وملكها أناس من الفرس من قبل الأكاسرة ، وكان

(١) في أ « ومن ملوك مأرب وهم العماليقون »

(٢) في ب « الذين ظهروا إليها »

مدة من ملك مصر من الفراعنة [والفرس] والروم والعاليق واليونانيين
ألف سنة^(١) وثلاثمائة سنة

قال السعدي : وسألت جماعة من أقباط مصر بالنصعيد وغيره من بلاد
مصر من أهل الخبرة عن تفسير « فرعون » فلم يخبروني عن معنى ذلك ،
ولا تحصل لي في لغتهم ، فيمكن — والله أعلم — أن هذا الاسم كان سمة ملوك
تلك الأعصار^(٢) وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية ، وهي الفارسية الأولى
إلى الفارسية الثانية ، وكاليونانية إلى الرومية ، وتغير الحميرية ، وغير ذلك
من اللغات .

ولمصر أخبار عجيبة من الدفائن [والبنيان] وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك
التي استودعها الأرض وغيرهم من الأمم ممن سكن تلك الأرض ، وندعى
بالمطالب إلى هذه الغاية ، وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .

فمن عجيب أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير ، قال : كان عبد العزيز بن
مروان عاملاً على مصر لأنخيه عبد الملك [بن مروان] فأتاه رجل متنصح ،
فسأله عن نصحه ، فقال : بالقبعة الفلانية كنز عظيم ، قال عبد العزيز :
وما مصداق ذلك ؟ قال : هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند سير
من الحفر ، ثم ينتهي بنا الحفر إلى قلع باب من الصفر ، تحته عمود من الذهب
على أعلاه ديك [من الذهب] عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا^(٣) ، وجناحاه
مُضَرَّجان بالياقوت والزمرد ، برآته على^(٤) صفائح من الذهب على أعلى ذلك
العمود ، فأمر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال
في ذلك ويعمل فيه ، وكان هنالك تل عظيم ، فاحتفروا حفرة عظيمة في
الأرض ، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر ، فازداد عبد العزيز
حرصاً على ذلك ، وأوسع في النفقة ، وأكثر من الرجال ، ثم اتهموا في حفرهم

(١) في ١ « ألفي سنة وثلاثمائة سنة » (٢) في ١ « الأعصار »

(٣) في ١ « خراج الدنيا » (٤) في ب « على رأسه صفائح الذهب »

إلى ظهور رأس الديك ، فبرق عند ظهوره إمان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره وإمان ضيائه^(١) ، ثم بانت قوائمه ، وظهر حول العمود عمود من البنبان بأنواع من الأحجار والرخام ، وقناطر ممتطرة ، وطاقات على أبواب معقودة ، ولاحت مهابمنايل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الأحجار قد أطلبت عليها أعطيتها وشبكت^(٢) ، وقد ذلك بأعمدة الذهب ؛ فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع ، فنظر إلى ما ظهر من ذلك ، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة^(٣) من نحاس تنتهي إلى ما هنالك ، فلما استقرت قدمه على المرفاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها ، فالتفتا^(٤) على الرجل ، فلم يدرك حتى جزأه قطعاً وهوى جسمه سفلاً ، فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك تصفيراً عجيباً سمعه من كان بالبعد من هنالك ، وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة ، وقد عمات بالآل والب^(٥) والحركات ، إذا ما وقع على بعض تلك الدرج شيء أو ما سها تهافت من هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيرة ، وكان ممن يخفر ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل^(٦) ، فهلكوا جميعاً ، فجزع عبد العزيز ، وقال : هذا دم عجيب الأمر ممنوع النيل ، نعوذ بالله منه ! وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من التراب على من هلك من الناس ، فسكان الموضع قبرا لهم .

قال المسعودي : وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ، ومن قد أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز ودخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض

(١) في ١ « وإشراق ضيائه ، ثم بان جناحه ، ثم بانت برائيه وطهر إلح »

(٢) في ١ « وسبكت » (٣) في ١ « مشبكة »

(٤) في ١ « فالتقيا » (٥) في ب ١ « بالكواكب »

(٦) في ١ « نحو ألفي رجل »

— أعنى أرض مصر — أربعة آلاف سنة ، وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء
ليسوا يهود ولا بنصارى ، ولم يؤدِّهم الحَفَرُ إلا إلى ما ذكرنا من هذه التماثيل ،
وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر إلى أحمد بن طولون وغيره
إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — أخبار عجيبة ، فيما استخراج
في أيامهم من الدفائن والأموال والجواهر ، وما أصيب في القبور [من المطالب]
والخزائن ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من تأليفنا ، وتقديم من تصنيفنا ،
وبالله التوفيق .

— أعنى أرض مصر — أربعة آلاف سنة ، وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء
ايسوا بنو دولا بنصارى ، ولم يؤدهم الخفة إلا إلى ما ذكرناه من هذه التماثيل ،
وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

وفد كان ابن ساف وساف من ولادة مصر إلى أحمد بن طولون وغيره
إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة — أخبار عجيبه ، فيما استخرج
في أيامهم من الدفائن والأموال والجواهر ، وما أصيب في القبور من المطالب
والخزائن ، وفد أتينا على دأرها فيما ساف من تأليفنا ، وتقديم من تصنيفنا ،
وبالله الموفق .

ذكر [أخبار] الإسكندرية، وبنائها، وملوكها، ومعجائبها

وما ألحق بهذا الباب

اختيار الموضوع ذكر جماعة من أهل العلم أن الإسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء ، حتى انتهى إلى موضع الإسكندرية فأصاب في موضعها آثار بنيان عظيم وعمداً كثيرة من الرخام ، وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المُسَنَدِ — وهو القلم الأول من أقلام حير وملوك عاد — « أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد ، شددت بساعدي البلاد ، وقطعت عظيم العماد ، من الجبال والأطواد ، وأنا بنيت إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وأردت أن أبني ههنا كإرم ، وأنقل إليها كل ذي إقدام وكرم ^(١) ، من جميع العشاير والأمم ، وذلك إذ لا خوف ولا هَرَم ، ولا اهتمام ولا سقم ، فأصابني ما أعجلني ^(٢) ، وعمما أردت قطعتي ^(٣) مع وقوع ما أطال همي ^(٤) وشجني ، وقل نومي وسكني ، فارتحلت بالأمس ^(٥) عن داري لا لقهر ملك جبار ، ولا لخوف جيش جرّار ، ولا عن رهبة ولا عن صفار ، ولكن لتمام القدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز الجبار ، فمن رأى أثرى ، وعرف خبري ، وطول عمرى ، ونفاذ بصرى ، وشدة حذرى ، فلا يفترب بالدنيا بعدى ، فإنها غرارة تأخذ منك مانعطي ، وتسترجع ما تُؤلي ^(٦) » . وكلام كثير يُرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها .

ونزل الإسكندر [متفكراً] يتدبر هذا الكلام ويعتبره ، ثم بعث فحشر الصنائع من البلاد ، وخط الأساس ، وجعل طولها وعرضها أميالاً ، وحشد إليها العمد والرخام ، وأتته المراكب فيها أنواع الرخام . وأنواع المرمر والأحجار ، من جزيرة صقلية ، وبلاد إفريقية ، وإفريطش ، وأقاصي

(١) في « كل ذي قدم وكرم » (٢) في « من أعجلني »

(٣) في « وعمما أردت أحالي » (٤) في ب « ومع وقوعه طال همي »

(٥) في « فارتحلت بالأمن » (٦) ما بين العنقوين ساقط من أ

الجزء الأول : ذكر الإسكندرية ، وأخبارها ٣٧١

بحر الروم مما يلي مصبه [من] بحر أوقيانوس ، وحمل إليه أيضاً من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للإسكندرية على ليلة منها في البحر ، وهي أول بلاد الإفرنجية ، وهذه الجزيرة في وقتنا هذا ، وهوسنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، دار صناعة الروم ، وبها نشأ المراكب الحربية ، وفيها خلق كثير من الروم ، وسرا كبهم تطرق بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فغيروا وأسروا وتسي . وأمر الإسكندر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة ، وجعل على كل قطعة من الأرض خشبة قائمة ، وجعل من الخشبة إلى الخشبة حبلاً منوطة بعضها ببعض ، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام ، وكان أمام مضربه ، وعلق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً ، وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً [حرصوا] على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها ، وأحب الإسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره ذى طالع سعيد^(١) ، نفق الإسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتقابه الوقت الحمود المأخوذ فيه الطالع ، فجاء غراب فجلس على جبل الجرس الكبير الذى فوق العمود فحركه ، وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال ، وخفقت ما عليها من الأجراس الصغار ، وكان ذلك معمولا بمركات فلسفية ، وحيل حكيمة ، فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة ، وارتفع الضجيج بالتحميد والتقدیس ، فاستيقظ الإسكندر من رقدته وسأل عن الخبر ، فأخبر بذلك ، فعجب وقال : أردت أمراً وأراد الله غيره ، ويأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها ، وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك إياها . وإن الإسكندرية لما أحكم بنائها وأثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت

(١) في « و طالع سعد يأخذه » .

دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان ، فقال الإسكندر حين أصبح :
 بهذا بدء الخراب في عمارتها ، وتحقق مراد الباري في زوالها ، وتطير من فعل
 الدواب ، فلم يزل البناء يَبْنَى في كل يوم ويحكم ، ويوكل به من يمنع الدواب
 إذا خرجت من البحر ، فيصبحون وقد أخرج البنيان ، فقلق الإسكندر
 لذلك ، وراعه ما رأى ، فأقبل يفكر ما الذي يصنع ، وأى حيلة تنفع ^(١)
 في دفع الأذية عن المدينة ، فسنت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وإيراده
 الأمور وإصدارها ، فلما أصبح دعا بالصناع فآخذوا له تابوتا من الخشب طوله
 عشرة أذرع في عرض خمس ، وجعات فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها
 خشب التابوت باستدارتها ، وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأطلية
 الدافعة للماء ، حذراً من دخول الماء إلى التابوت ، وقد جعل فيها مواضع
 للحيال ، ودخل الإسكندر في التابوت هو ورجلان معه من كتابه بمن له علم
 بإتقان التصوير [ومبالغة فيه] وأمر أن تسد عليهم الأبواب ، وأن تغطي بما
 ذكرنا من الأطلية ، وأمر فأتى بمركيبي عظيمين ، فأخرجوا إلى لجة البحر ، وعلق
 على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهدى بالتابوت
 سفلاً إذ كان من شأنه ما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب في أسفله ،
 وجعل التابوت بين المركبين ^(٢) ، فألصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا ، وشد حبال
 التابوت إلى المركبين ^(٣) وطوّل حباله ، فغاص التابوت حتى انتهى إلى قرار
 البحر ، فنظروا إلى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء
 البحر ؛ فإذا هم بشياطين ^(٤) على مثال الناس رؤسهم على مثال رؤوس السباع ،
 وفي أيدي بعضهم النفوس ، وفي أيدي بعض المناشير والمقاع ، يحاكون بذلك
 صنائع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء ، فأثبت الإسكندرون معه

(١) في ب « وأى حيلة يوقع » (٢) في ب « إلى المركبين »

(٣) ما بين المعوقين ساقط من ب (٤) في أ « فإذا بصور شياطين »

الجزء الأول : ذكر الإسكندرية ، وأخبارها ٣٧٣

تلك الصور وأحكامها^(١) بالتصوير في القراطيس، على اختلاف أنواعها وتسوّه خالقهم وقدودهم وأشكالهم، ثم حرك الحبال، فلما أحس بذلك مَنْ في المركبين -ذبوا الحبال وأخرجوا النابوت، فلما خرج الإسكندر من النابوت وسار إلى مدينة الإسكندرية أمر صنّاع الحديد والنحاس والحجارة فصنعوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورة الإسكندر وصاحبه، فلما فرغوا منها وضعت الصور على العمدة بشاطئ البحر، ثم أمرهم فبنوا، فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر، فنظرت إلى صورها على العمدة مقابلة إلى البحر، فرجعت إلى البحر ولم تعد بعد ذلك .

ثم لما بنيت الإسكندرية وسيدت أمر الإسكندر أن يكتب على أبوابها « هذه الإسكندرية أرادت أن أنيها على الملاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والنبات في الدهور^(٢)، فلم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومفني الأئمة أن بنيها لذلك، فبنيتها وأحكام بنيانها، وسيدت صورها، وآتاني الله من كل شيء، علما وحكما، وسهل لي وجود الأسباب، فلم ينعذر على شيء في العالم بما أردته، ولا امتنع على شيء مما طلبته، إذ أقام الله عز وجل، وصنعاني، وصلاحي لي وإعباده من أهل عسري، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا الله رب كل شيء». ورسم الإسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث بيده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان : من الآفات^(٣)، والعمران، والخراب، وما يؤول إليه إلى وقت ذنور العالم .

وكان بنا، الإسكندرية طبقات، ونحتها فناطر مقنطرة، عليها دور المدينة^(٤)، يسير نحتها العارس ويده رمح لا يصيق به حتى يدور جميع تلك الآراج والقناطر التي تحت المدينة، وقد عمل تلك العقود والآراج محاريق، وتنفسات للضياء^(٥)، ومنافذ للهواء .

(١) في « وحكمها بالتصوير من القراطيس » .

(٢) في « على الدهور » (٣) في « من الأحداث »

(٤) في « كما تدور المدينة » (٥) في « وتنفسات للضياء »

وقد كانت الإسكندرية نضىء بالليل بغير مصباح ، لشدة بياض الرخام والمرمر ، وأسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لثلا يصيب أهلها شيء من المطر ، وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها ، بينها خنادق ، وبين كل خندق وسور فصلان^(٢) ، وربما علق على المدينة شقاق الحرير الأخضر ؛ لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لسدة بياضه . فلما أحكم بناؤها ، وسكنها أهلها ، كانت آفات البحر وسكانه — على ما زعم الإخباريون من المصريين والإسكندريين — تختطف بالليل أهل [هذه] المدينة ، فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير .

المسال

ولما علم الإسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال ، وهي باقية إلى هذه الغاية ، وكل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السروة ، وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا ، على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة ، وذلك عند انخفاض درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم ، وعند أصحاب الطلسمات من النجمين والفلكيين أنه إذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات [النافعة]^(٣) المانعة والدافعة ، وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب في هذا المعنى ، ولهم في ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له ، ولغيرهم ممن ذهب إلى أن ذلك للطف قوى الطبائع التام^(٤) وغير ذلك مما قاله الناس ، وما ذكرنا من درج الفلك فوجود في كتب من تأخر من علماء النجمين والفلكيين ، كأبي معشر الباقى ، والحوارزمي ، ومحمد بن كثير الفرغانى ، وما شاء الله ، وحش^(٥) ، واليزيدى ،

(١) في « مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر »

(٢) في ب « بين كل خندق وسور فصول »

(٣) هذه الكلمة لا توجد في أ

(٤) في أ « إلى أن ذلك ألطف قوى الطبائع التامة »

(٥) في ب « وحسن »

ومحمد بن جابر الثاني في زينة الكبير ، ونبات بن قررة ، وغير هؤلاء ممن تكلم في علوم هبات الفلك والنجوم .

قال المسعودي : فأما مناره الإسكندرية فذهب الأكثر من المصريين والإسكندرانيين ممن عني أخبار بلدهم - إلى أن الإسكندر بن فيلبس^(١) المقدوني هو الذي بناها على حسب ما قدمنا في بناء المدينة ، ومنهم من رأى أن دلوكمة الملاح هي التي بنتها ، وجعلتها مرفأ لمن يرد من العدو إلى بلدهم ، ومنهم من رأى أن العائز من فراغة مصر هو الذي بناها ، وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ، ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومية هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها والأهرام بمصر ، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته بالاستيلاء على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به ، وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة ، يدلون بها على ما قالوا ، والإسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ، ولا هاب ما كان يرد إليه في بلده ويعزوه في داره ؛ فيكون هو الذي جمعها مرقبا ، وإن الذي بناها جعلها على كرسي من الزجاج على هيئة السلطان في جوف البحر وعلى طرف الاسان الذي هو داخل في البحر من البر ، وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره ، وفيها تماثيل^(٢) قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك^(٣) ، وإذا علت في ذلك فأصبعه مشيرة نحوها فإذا انخفضت انخفضت يده شمالا ، يدور معها حيث دارت ، ومنها تماثيل يشير بده إلى البحر إذا صار العدو منه على نحو من ليلة ، فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لغرب المسافة سمع لذلك التماثيل صوت هائل يسمع من مياين أو ثلاثة ، فبعلم أهل المدينة أن العدو قد دناهم ، فيدمقونه بأبصارهم ، ومنها تماثيل كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها ، وصوته مطرب .

(١) في ب « الإسكندر بن فيلبس »

(٢) في ا « فيها تماثيل » (٣) في ا « أين كانت من الفلك »

حيلة
لهدم المنارة

وقد كان ملك الروم في مدة الوليد^(١) بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادماً من خواص خدمه ذا رأى ودهاء [سراً]^(٢) ، وجاء مستأمناً إلى بعض الثغور ، فورد بألة حسنة ، ومعه جماعة ، فجاء إلى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك ، وأنه أراد قتله لمؤجدةٍ وحالٍ بلغته عنه لم يكن لها أصل ، وأنه استوحش منه ، ورغب في الإسلام ، فأسلم على يد [ي] الوليد ، وتقرب من قلبه ، وتنصح إليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن ، فلما رأى الوليد تلك الأموال والجواهر شربته نفسه ، واستحکم طمعه ، فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين ، إن ههنا أموالاً وجواهر ودفائن للملوك ، فسأله الوليد عن الخبر ، فقال : تحت منارة لإسكندرية أموال الأرض ، وذلك أن الإسكندر احتوى على الأموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام ، فبنى لها الآراج تحت الأرض ، وقنطر لها الأقباء والقناطر والسرايب ، وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة ، وكان طولها في الهواء ألف ذراع ، والمرآة على علوها والبدابة جلوس^(٣) حولها ، فإذا نظروا إلى العدو في البحر [في ضوء تلك المرآة]^(٤) صوتوا بمن قرب منهم ، ونصبوا ونشروا أعلاماً فيراها من بعد منهم فيحذّر الناس وينذر البلد ، فلا يكون للعدو عليهم سبيل ، فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقافته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها ، وأزيلت المرآة ؛ فضجّ الناس من أهل الإسكندرية وغيرها ، وعلموا أنها مكيدة وحيلة في أمرها ، ولما علم الخادم استفاضة ذلك ، وأنه سينمى إلى الوليد ، وأنه قد بلغ ما يحتاج إليه هرب في الليل في مركب كان قد أعدّه ، وواطأ قوماً على ذلك من أمره ، فتمت حيلته ، وبقيت المنارة على ما ذكرنا

(١) في « في ملك الوليد بن عبد الملك »

(٢) ما بين المعوقين ساقط من ب (٣) في « والبداب جلوس »

(٤) هذه العبارة لا توجد في ١

إلى هذا الوقت . وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانئة — وكان حوالى
 | منارة | الإسكندرية فى البحر معاص^(١) يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ
 منه فصوص للخواتم يشبه أنواعا من الجواهر : منه السكر كهن والأدرك^(٢)
 وأشباد جشم ، ويقال : إن ذلك من الآلات التى كان آخذها الإسكندر
 للشراب ، فلما مات كسرت^(٣) أمه ودمت^(٤) بها فى تلك المواضع من البحر ،
 ومنهم من رأى أن الإسكندر آخذ ذلك النوع من الجواهر وغرّفه حول
 المنارة لكيلا ينال^(٥) من الناس حولها ؛ لأن من شأن الجواهر أن يكون مطلوبا
 أبدا فى كل عصر فى معدنه^(٦) برا كان أو بحرا ، فبكون الموضع على دوام
 الأوقات بالناس معمورا ، والأكثر مما يستخرج من الجواهر حول منارة
 الإسكندرية الأشباد حشم ، وقد رأيت كثيرا من أصباب التلوينات وعن
 غنى بأعمال الجواهر المنسوبة بالمغرب^(٧) يعمل هذه الجواهر المعروفة بالأشباد
 جشم ، ويتخذ منه الفصوص^(٨) وغيرها ، وكذلك الفصوص المعروفة
 بالبالملون^(٩) وهى ترى ألوانا مختلفة من حمرة | وحضرة | وصفرة تتلون فى
 المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا ، والتلون من ذلك على حسب الجواهر
 فى صفائهم واختلاف نظر البصر فى إدراكه ، وتلون هذا النوع من الجواهر
 أعني البالملون --- نحو بلون ريتس | صدر | الطواويس ؛ فإنها تتلون
 ألوانا مختلفة بأذنائها وأجنحتها أعنى الذكور دون الإناث - وقد رأيت
 منها بأرض الهند ألوانا تظهر لحس البصر عند تأملها ، لا بدرك ولا تحصى ،
 ولا تشبه بلون من الألوان ؛ لما يترادف^(١٠) من تموج الألوان فى ريشها ،
 ويأتى ذلك منها لظلم خلقتها وكبر أجسامها وسعة ريشها ؛ لأن للطواويس
 بأرض الهند ثنائيا عجيبا ، والذى يعمل منها إلى أرض الإسلام ويخرج عن
 أرض الهند فيفيض ويفرخ سكون صغيرة الأجسام ، كدرة الألوان ،

(١) فى ١ « منه السكر كهن والأدرك والأشباد جشم »

(٢) فى ١ « فى سائر الأعصار فى معدنه »

(٣) فى ١ « المشبهة بالمعدنة » (٤) فى ١ « النول وغيرها »

(٥) فى ١ « لا يتراعى من تموج الألوان »

لا تحطف أنوار الأبصار بإدراكها^(١) ، وإنما تشبه بالهندية بالشبه اليسير ، هذا في الذكور منها دون الإناث .

وكذلك شجر النارج والأترج المدور ، حمل من أرض الهند إلى أرض غيرها بعد الثمالة ، فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام ، حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر ، وما كان يعهد ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الخمرية^(٢) الطيبة ، واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند ؛ لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد .

سر بناء المنارة ويقال : إن هذه المنارة إنما جعلت المرأة في أعلاها ؛ لأن ملوك الروم بعد الإسكندر كانت تحارب ملوك مصر والإسكندرية^(٣) ، فجعل من كان بالإسكندرية من الملوك تلك المرأة تُرى من يرد في البحر من عدوهم ، إلا أن من يدخلها يقيه فيها إلا أن يكون عارفاً بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها^(٤) وتمارقتها ، وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم إلى المنارة فتأهوا فيها ، وفيها طرق تؤول إلى مهاوي تهوى إلى سرطان الزجاج^(٥) ، وفيها مخارق^(٦) إلى البحر فتَهَوَّروا بدوابهم ، وفقد منهم عدد كثير ، وعلم بهم بعد ذلك ، وقيل : إن تهورهم كان في كرسى^(٧) بها قدامها ، وفيها مسجد في هذا الوقت يربط فيه [في الصيف]^(٨) متطوعة المصريين وغيرهم . وبلاد مصر والإسكندرية [والمغرب]^(٨) وبلاد الأندلس ورومية وما في الشرق واليمن والمغرب^(٩) أخبار كثيرة في عجائب البلدان والأبنية والآثار وخواص

(١) في « لا تعطى أنوارا للأبصار بإدراكها »

(٢) في « الروائح الخمرية » (٣) في ب « على الإسكندرية »

(٤) في ب « وعمراتها » (٥) في ب « السرطان الزجاج »

(٦) في « مخاريق إلى البحر » (٧) في « كرسى لها قدامها »

(٨) ما بين القوسين لا يوجد في ب

(٩) في « وما في الشرق والغرب والجدى واليمن »

الجزء الأول : ذكر الإسكندرية ، وأخبارها ٣٧٩

البقاء وما يؤثر في ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على الأخبار عنها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم وحيوانه وبره وبحره ، فأغنى ذلك عن إعادة ذكره

ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهيكل المعذمة والبيوت الشرفة وغير ذلك مما يليق بمعناها^(١) ، بل نذكرها في الموضع المستحق لها^(٢) من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

(١) في « ما يلحق بمعناها » . (٢) في ب « المسحق بها » .

قد تم — بحمد الله تعالى ، وحسن توفيقه — مراجعة الجزء الأول من
كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للسعودي ، وإليه — إن شاء
الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحاً بذكر السودان وأنسابهم ، نسأل الله
أن يمن بإتمامه ، وبعين على ذلك بفضلته وكرمه ومِنِّته

فهرس الموضوعات
الواردة فى الجزء الأول من كتاب
« مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للسعودى

فهرس الموضوعات

انواردة فى الجز ، الأول ، من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر »
لأبى الحسن على بن الحسين بن على السعوى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	مقدمه محقق الكتاب	١٩	ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب
٦	ترجمة السعوى		من الأبواب
٩	خطبة المؤلف	٢٨	ذكر مبدأ الخلق وذرى البرية
٩	باب ذكر جماع أغراض الكتاب	٣٥	حواء تحمل بذكر وأنثى ، فى كل
٩	يذكر المؤلف أن له كتابين		مرة ، وقصة ابنى آدم
	اختصرهما فى هذا الكتاب	٣٧	حواء تحمل بشيث
١٠	الباعث للمؤلف على تأليف كتابه	٣٨	وصية آدم لشيث قبل وفاته
١٢	ذكر جماعة من العلماء الذين ألفوا	٣٨	حكم شيث بن آدم ، ومدته
	فى التاريخ قبله	٣٩	أنوش بن شيث
١٥	ثناء المؤلف على ابن فتيحة والطبرى	٣٩	أخنوخ بن أنوش (وهو إدريس
	ونقطويه		الذى عليه السلام)
١٥	ثناءه على محمد بن يعقوب العملى	٤٠	منوشاخ بن أخنوخ ، وملك
	صاحب كتاب « الأوراق »	٤٠	نوح بن لئى ، عليه السلام
١٥	ثناءه على قدامة بن جعفر الكاتب	٤١	مسكين حام بن نوح
	صاحب كتاب « الحراج »	٤١	مسكين سام بن نوح
١٦	نقد المؤلف لسنان بن ثابت بن	٤١	إرم بن سام بن نوح
	قرة الحرانى	٤٢	تمود بن سام بن نوح
١٠	المؤلف يذكر ما أودعه كتابه	٤٢	طسم وديس وعمليق
	من الفوائد	٤٢	ماش بن إرم ، وأولاده
١٨	المؤلف ينهى عن التصرف فى كتابه	٤٢	فالح بن شالخ ، وأولاده
	هذا ، ويحذر منه أشد التحذير	٤٣	إرشفذ بن سام بن نوح

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٣	شالغ بن إرخشذ بن سام	٥٦	داود نبى الله ، عليه السلام
—	عابر بن شالغ بن إرخشذ	٥٧	نشأة سليمان بن داود
—	فالغ بن عابر بن شالغ	—	لقمان الحكيم
—	رعو بن فالغ بن عابر	—	ملك سليمان
٤٤	ساروغ بن رعو بن فالغ	٥٨	ملوك بني إسرائيل بعد سليمان ، ومن
—	ناحور بن ساروغ بن رعو	—	كان بين سليمان والمسيح بن مريم
—	تارح بن ناحور بن ساروغ	٦٣	مولد عيسى بن مريم عليه السلام
٤٥	مولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل	٦٥	ذكر أهل الفترة ممن كان بين
—	عليهما السلام	—	المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم
—	أصحاب المؤتفة	٦٥	خظلة بن صفوان
٤٦	مولد إسحاق بن إبراهيم الخليل	—	ذو القرنين
—	عليهما السلام	—	أهل الكهف
٤٧	يعقوب بن إسحاق عليهما السلام	٦٦	جرجيس ، وقد أرسله الله إلى
—	وأخوه العيص	—	بعض ملوك الموصل ، قتلته ، ثم
—	وفاة يعقوب بن إسحاق بمصر ،	—	أحياء الله تعالى
—	وابنه يوسف	٦٦	جيب النجار
٤٨	أيوب بن موسى بن رزاح نبى الله	٦٧	أصحاب الأخدود
—	موسى بن عمران بن قاهث نبى الله	—	خالد بن سنان العبسى
٤٩	شعيب بن نويت بن رعويل	٦٨	رئاب الشنى أحد بنى عبد القيس
—	هارون أخو موسى بن عمران	—	أسعد أبو كرب الحميرى
—	عليهما السلام	٦٩	قس بن ساعدة الإيادى
٥٠	يوشع بن نون الكاهن ؛ أحد	٧٠	زيد بن عمرو بن ثقل
—	أسباط يوسف	—	أمية بن أبى الصلت الثقفى
٥٢	بلمع بن باعوراء ؛ وهو رجل	٧٣	ورقة بن نوفل الأسدى ، ابن عم
—	مستجاب الدعوة	—	خديجة أم المؤمنين
٥٢	كالب بن يوقنا	٧٤	عداس ؛ مولى عتبة بن ربيعة
٥٥	طالوت وجالوت ؛ وقصتهما	—	أبو قيس ، صرمة بن أبى أنس
—	—	—	أبو عامر الأوسى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
رأى بطليموس في مساحة الأرض	٩١	عبد الله بن جحش الأسدي	٧٤
القول بكروية البحار ؛ والاستدلال له	٩٢	بحيرا الراهب	٧٥
منزلة الأرض من الكواكب	٩٣	ذكر جمال من أخبار الهند ؛ وآرائها ؛ وملوكها	٧٦
هياكل الصابئة وترتيبها على ترتيب الأفلاك السبعة	٩٥	حكمة الهنود ؛ ورأهم في بدء العالم وحالقه	—
المراتب الدينية لرجال الصرائية	٩٥	البرهمن	٧٩
ذكر الأخبار من انتقال البحار	٩٧	الباهبود بن البرهمن	—
وجمل من أخبار الأنهار	٩٧	صنع النرد ؛ وما تخيلوه من الحكمة فيه	٨٠
محرك البحار وانتقالها ؛ وبيان السبب في تكوينها	٩٧	ذامان الملك بعد أبيه الباهبود	٨٠
نهر النيل	٩٨	الملك فور؛ الذي حاربه الإسكندر	—
رد بعض أوهام الجاحظ الذي زعم أن نهر السند يستمد من النيل	٩٩	الملك دبشليم الذي وضع له كتاب « كليله ودمنة »	—
عود للكلام عن نيل مصر	١٠٠	ملك بلهيت	—
جيحون ؛ وهو نهر بلخ	١٠١	صنع الشطرنج	—
نهر جنجس ؛ وهو أحد أنهار الهند	١٠٢	ملك كورش	٨٢
نهر الفرات	١٠٣	اختلاف أهل الهند ؛ وتعدد ملوكهم	—
نهر دجلة	١٠٥	عادة أهل الهند في تملك ملوكهم	٨٣
ذكر بعض أنهار البصرة	١٠٦	عادتهم في الاحتفال بموت الملوك	—
ذكر بعض الأخبار عن البحر الحبشي ؛ وما قيل في مقداره ؛ وسعة خليجانه	١٠٧	ذكر الأرض والبحار ؛ ومبادئ الأنهار والجبال والأقاليم السبعة وما والها وترتيب الأفلاك	٨٦
مغاصات الدر واللؤلؤ وأنواع الياقوت	١١١	وصف الأرض وتقسيمها ومركزها من الفلك والشمس	—
ذكر تنازع الناس في المد والجزر	١١٣	الأقاليم السبعة	٨٧
وعلة وجودهما في بعض البحار	—	رأى بطليموس في صفة الأرض والأفلاك	٨٨
دون بعض	—		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١١٨	ذكر بحر الروم ، وما فيل في طوله وابتدائه وانتهائه	١٤٢	بعض أخبار عن ملوك الصين
١٢٠	ذكر بحر نيظش ، وبحر مانطش وخليج القسطنطينية	١٤٧	ذكر جل من الأخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ، ومراتب الملوك ، وأخبار الأندلس ، وبيان معادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه
١٢١	ذكر بحر الباب والأبواب والحرر وجرجان ، وجل من الأخبار على ترتيب البحار	١٤٧	بحر الصين والهند وفارس واليمن
١٢٢	التين ، وآراء الناس فيه	١٤٨	مغاص اللؤلؤ ببحر فارس
١٢٨	الماء الملح أثقل من الماء العذب		وحديث عن العامة وأعمالهم
١٢٩	علامات لمعرفة وجود المياه في جوف الأرض	١٤٩	تفصيل أجزاء بحر الصين والهند وماحواليه من البلاد ، مع ذكر أهلها وعاداتهم ، وما يوجد عندهم من الحاصلات
١٣١	ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ، وأخبار الصين ، ونحو ذلك	١٥٣	بحر كلاهب ، وما عليه من الأمم
١٣١	القول في أنساب الصين	١٥٣	بحر كردنج ، وما عليه من الأمم
١٣٢	أول من ملك عليهم نسطرطاس	١٥٣	بحر الصنف ، وما عليه من الممالك
٣٣	ملك عوون بن نسطرطاس	١٥٤	بحر صنجي ، وهو بحر الصين ، وكلمة في وصفه
١٣٣	ملك عيئدون بن عوون	١٥٥	بلاد السيلي وجزائرها ، وكلمة عن مناخها وأهلها ، وصلتهم بالصين
١٣٣	ملك عيئنان بن عيئدون		المسك ، وأنواعه
—	ملك حراتان بن عيئنان	١٦١	ملوك صقلية وإفريقية قبل الإسلام
١٣٤	ملك بوتال ، وما أحدثه في رعيته من الترتيبات	١٦٢	ذكر من سار إلى الأندلس من بني أمية ، وكيف صار حالهم ؟
١٣٧	الصين شعوب وقبائل كالعرب	١٦٤	وصف أرض الحبشة والسودان
١٣٧	تدهور أحوال الصين	١٦٥	مراتب الملوك الذين يلون الممالك التي على البحر الحبشي
١٣٨	عرف أهل الصين من قديم الزمان إحصاء السكان ، وعملوا به		
١٤٠	عدل ملوك الصين وإكرامهم لمن يفد عليهم من رعايا الأمم .		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٧١	وصف الحيوان المعروف بالكركدن	١٩٦	وصف نوع من القرود
١٧٣	ذكر بعض عادات أهل الهند	١٩٧	أمكنة القروء
١٧٦	ذكر جبل القبح، وأخبار بعض الأمم	١٩٩	أخبار العرب والنسائس
١٧٦	وصف جبل الفتح ومدينة الباب	٢٠٠	عود إلى ذكر الأمم المحيطة بالباب
	والأبواب، وكيفية بنائها وسببها		والأبواب والسور وجبل القبح
١٧٨	مملكة طبرستان		وبلاد الحزر واللان
١٧٨	مملكة جيدان، وهي من ممالك الحزر	٢٠٤	مملكة الصنارية
١٧٩	عادة حرق للوقي	٢٠٤	مملكة شكين
١٨١	برطاس، وهي إحدى أمم الترك	٢٠٥	مملكة قيلة
١٨١	مدينة البرغز	٢٠٥	مملكة الموقان
١٨٢	الروس، وتنوعهم	٢٠٧	ذكر ملوك السريانيين، وجبل
١٨٥	ذكر بعض المدن التي على ساحل		من أخبارهم
	هذا البحر	٢٠٨	نهر الهرمند
١٨٦	ذكر بعض الجزائر	٢٠٨	وصف نوع عجيب من الشجر
١٨٦	البازي الأبيض: وصفه، ومكان	٢١١	تعذيب أهل الهند أنفسهم
	وجوده، وصيده	٢١١	سير ملك الهند إلى بلاد سجستان
١٨٧	القول بأن الهواء مسكون، وبعض		وحرته مع السريانيين
	حوادث دالة على ذلك	٢١١	ذكر بعض ملوك السريان
١٨٨	وصف البراة	٢١٢	أول شرب الخمر
١٨٩	أول من لعب بالشواهي	٢١٣	ذكر ملوك الموصل ونيوى، ولع
١٩٢	مملكة جيدان		من أخبارهم
١٩٢	مملكة غميق	٢١٣	موقع نينوى
١٩٢	مملكة زريكران	٢١٤	أول ملوكهم
١٩٢	مملكة فيلان شاه	٢١٤	ملك سمير
١٩٣	مملكة اللان	٢١٤	ملك الأرسيس
١٩٤	أمة كشك	٢١٥	ذكر ملوك بابل، وهم ملوك النبط
١٩٥	إرم ذات العباد		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١٥	نمروذ الجبار	٢٣١	حماية بنت بهمن
٢١٥	بقية ملوك بابل ، وسنى ملكهم	٢٣١	دارا بن بهمن
٢١٨	بحث في الألوان وأنواعها	٢٣١	دارا بن دارا بن بهمن
٢٢٠	ذكر ملوك الفرس الأولى ؛ وجل من أخبارهم	٢٣٤	ذكر ملوك الطوائف ، وهم بين الفرس الأولى والثانية
٢٢٠	نسب كيومرث	٢٣٧	ذكر أنساب فارس ، واختلاف الناس في نسب ملوك الطوائف
٢٢٠	كيومرث أول ملوك الأرض	٢٤٢	كان المتقديون من الفرس يعظمون الكعبة ، ويذرونها ويطوفون بها
٢٢٢	ملك أو شهنج	٢٤٣	ذكر الملوك الساسانية وهم الفرس الثانية ، وأخبارهم
٢٢٢	ملك طهمورث	٢٤٣	أردشير بن بابك
٢٢٣	إحداث مذهب الصابئة ، وعبادة الكواكب	٢٤٩	سابور بن أردشير
٢٢٣	ملك جمشيد	٢٥٠	هرمز بن سابور
٢٢٣	إحداث التوروز	٢٥٠	ظهور ازنادقة ، ومذهب مانى
٢٢٣	ملك يوراسب الضحاك	٢٥١	بهرام بن بهرام
٢٢٤	ملك أفريديون	٢٥٤	سابور ذو الأكتاف ، وحربه مع الروم
٢٢٤	المهرجان	٢٥٩	تفكير الرشيد في هدم إيوان كسرى ومشاورته يحيى بن خالد البرمكى
٢٢٥	ملك منوچهر	٢٦٠	ملك سابور بن سابور
٢٢٥	ملك سهر	٢٦١	ملك يزديجرد
٢٢٥	ملك فراسياب ، وحروبه مع الخارجيين عليه ، ومع من جاوره من الملوك	٢٦١	ملك بهرام جور بن يزديجرد
٢٢٧	ملك كيخسرو ، وبنائه بلخ ، ومانال بنى إسرائيل في عهده	٢٦٢	ملك يزديجرد بن بهرام جور
٢٢٨	بختنصر وبنو إسرائيل	٢٦٣	ملك هرمز بن يزديرد وأخيه فيروز
٢٣٠	زرادشت متبى المجوس	٢٦٣	ملك قباد بن فيروز وظهور مزدك الزنديق .
٢٣٠	خاناس خليفة زرادشت		
٢٣٠	ملك بهمن بن اسفنديار		

فهرس الموضوعات

٣٨٩

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٦٣	ملك أنوشروان بن قباد، وحروبه وتحصينه مملكته	٣٠٨	الاختلاف في نسب الروم
٢٧٠	ملك هرمز بن أنوشروان	٣٠٩	أول ملوك الروم ساطوخاس
٢٧٨	يوم ذي قار، بين العرب والمفرس	٣٠٩	ملك أغسطس فيصر
٢٨٠	ملك قباد بن أبروير المعروف بشيرويه	٣١٠	ملك طياريس
٢٨١	إحصاء بعدة ملوك الفرس وزمنهم	٣١٠	ملك قلوديس، وأتباع المسيح عيسى ابن مريم
٢٨٥	ذكر ملوك اليونان ولع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء أنسابهم	٣١٢	ملك تيزون
٢٨٥	الاختلاف في بدء نسب اليونان	٣١٢	ملك طيطش وأساسيانوس
٢٨٧	أول ملوك اليونان	٣١٤	أصحاب الكهف والرقم
٢٨٨	نسب الإسكندر	٣١٥	إحصاء بعدة ملوك الروم
٢٨٨	اختلاف الناس في الإسكندروفي ذي القرنين، أمها واحد أم لا؟	٣١٧	ذكر ملوك الروم للنصرة، وهم ملوك القسطنطينية، ولع من أخبارهم
٢٨٩	وفوف الحكماء على جدث الإسكندر عند موته	٣١٨	سبب تنصر قسطنطين
٢٩٣	ذكر جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند	٣٢١	الموسيقى، وشرفها
٣٠١	ذكر ملوك اليونان بعد الإسكندر بطليموس	٣٢٣	يقظة أهل الكهف، في عهد أولس
٣٠١	اللعب بالبراة والشواهين	٣٢٣	ذكر جماعة من ملوك الروم
٣٠٢	ملك هيفلوس، ومن بعده	٣٢٨	ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام
٣٠٤	ملك قبطرة (كليوباترة)	٣٣٩	ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار ملوكها، وما اتصل بذلك
٣٠٨	ذكر ملوك الروم، وما قاله في أنسابهم، وعدد ملوكهم، وتاريخ حكمهم، ومدته	٣٣٩	وصف مصر
		٣٤٠	نيل مصر
		٣٤٣	لبله الغطاس، وعادة أهل مصر فيها
		٣٤٤	قليس النيل
		٣٤٦	القيوم
		٣٤٨	حديث رجل مصري عن بحيرة تيس ودمياط

فهرس الموضوعات

٣٩٠

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٦٤	بدأ النصرانية بمصر	٣٥٠	حديث عن الأهرامات وبنائها
٣٦٥	إحصاء ملوك مصر ، وملكهم	٣٥٦	بعض عجائب مصر ونبيلها
٣٦٦	تفسير كلمة فرعون	٣٥٧	من نزل مصر بن أبناء نوح
٣٦٦	ذكر بعض عجائب وأخبار مصر	٣٥٧	حدود مصر في القديم
٣٧٠	ذكر الإسكندرية وبنائها وملوكها	٣٥٨	ذكر بعض من ملك مصر ، وقول
	وعجائبها		الناس في نسب ملوكها
٣٧٠	بنا. الإسكندرية ، وكيفيته	٣٦٠	السبب في اتخاذ البرابي
٣٧٥	نارة الإسكندرية	٣٦٢	بعض القرى والمدن لا يدخلها نوع
٣٧٧	حدث عن الطاووس		من الحشرات

تمت فهرست الجزء الأول

من كتاب «مروج الذهب، ومعادن الجوهر» للمسعودي
والحمد لله أولا وآخرا ؛ وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

مَوْجِ الزَّهْبِ

ومعادن الجواهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل
أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعديّ
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

الجزء الثاني

بتحقيق
محمد بن عبدالمجيد
عفا الله تعالى عنه

دار الفكر

الطبعة الخامسة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
تمتاز بدقة الضبط ، والزيادة في الشرح والتفصيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل الحمد ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده

ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم ، وأنواعهم ،

وتباينهم فى ديارهم ، وأخبار ملوكهم

قال المسعودى : [و] لما نفرق ولد نوح فى الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ، ثم افترقوا فسات منهم طائفة ميمنة^(١) بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركه وكوكو وغانة وغير ذلك من أنواع السودان^(٢) والدمادم ، ثم افترق الذين مضوا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكير والمشكر^(٣) وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج ، وقدمنا فيما سلف عند ذكرنا للبحر الحبشى ، الخليج البربرى وما عليه من أنواع السودان واتصلهم فى ديارهم إلى بلاد الدهلك والزليع وناصع ، وهؤلاء القوم أصحاب جلود النمر^(٤) وهى لباسهم ، ومن أرضهم تحمل إلى بلاد الإسلام ، وهى أكبر ما يكون من جلود النمر وأحسنها للسروج ، وبحر الزنج والأحباش هو عن يمين بحر الهند ، وإن كانت مياهها متصلة ، ومن أرضهم يحمل لذبل^(٥) من ظهور السلاحف ، وهو الذى تتخذ منه الأمشاط كلقرون ، وأكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة فى أرضهم ، وإن كانت عامة الوجود فى أرض النوبة دون سائر بلاد الأحباش .

ولد كوش
ابن كنعان
ومساكنهم

وقد تنوزع فى نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة ؛ فمنهم من رأى أن بدء نتاجها من الإبل ، ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الإبل والنمر^(٦) وأن الزرافة ظهرت من ذلك ، ومنهم من زعم أنه نوع من

الزرافة

(١) فى « ميمنين » .

(٢) فى ب « نحو الزغاوة والفاو ومرك وكوكو والحى وغانة وغير ذلك من أنواع الأحباش والدمادم » . (٣) فى ب « من المكين والسكون وبربرا »

(٤) فى ب « النمر والحير » (٥) فى ب « الذبل » .

(٦) فى ب « كان يجمع بين الإبل والزرافة ، وأن النمر » .

الجزء الثاني : ذكر السودان ، وأخبارهم

الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمر والبقر ، وأن ليس سبيلها كسبيل البغال المولدة من [النناج بين] الخيل والحمر ، وتدعى الزرافة بالدارسية اشتراكاً^(١) ، وقد كانت تُهدى إلى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل إلى ملوك العرب ومن مضي من خلفاء بني العباس وولاية مصر ، وهي دابة طويلة اليدن والرقبة ، قصيرة الرجلين ، لا ركبتيين لرجليها وإنما الركبتان ليديها ، وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاماً كثيراً في نتائجها ، وأن في أعالي بلاد النوبة يجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارّة القيظ^(٢) إلى شرائع المياه ، فتتسافد هنالك ، فيلقح منها ما يلقح ويمتنع منها ما يمتنع ، فيجىء من ذلك خاق كثير مختلفون في الصور والأشكال ؛ منها الزرافة ذات الأظلاف ، وهي دابة منحنية إلى خلفها ، منصوبة الظهر إلى مؤخرها ، وذلك لقصر رجليها ، وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في بدء نتائجها ، وأن النمر ببلاد النوبة عظيمة الخلق ، وأن الإبل صغيرة الخلق قصيرة القوائم ، وأن ذلك كاتساع أرحام القلائص العربية ، لفوائج كرمات^(٣) وغيرها من إبل خراسان ، فيظهر بينهما ويتولد عنهما الجمال البخت والجمازات^(٤) ، ولا ينتج بين بختي وبختي ، وإنما يصح هذا النوع من الإبل بين فوائج الإبل^(٥) ، وهي ذات السنامين ، وبين قلائص الإبل ، وهي النوق العربية ، وكناتج البخت بين البجاوية والمهرية ، وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير [في الحيوان] ومنافع أعضائها وغير ذلك من سائر أعضاء الحيوان ، وقد أتينا على جميع ما يحتاج إليه من ذلك في كتابنا المترجم بـ « القضايا والتجارب » .

والزرافة عجيبة الفعل في إلفها ، وتودّدها إلى أهلها ، وهي كالفيلة : منها وحشية ، ومنها مستأنسة أهلية ، مع من قدمنا ذكره من الزوج والأجناس من الأحباش

(١) في ب « اشتراكاً » . (٢) في ا « حرارة القيظ » .

(٣) في ب « لحوائج الزمان » . (٤) في ب « الجمازات » .

(٥) في ب « بين نواتج الإبل » .

الذين صاروا عن يمين النيل، ولحقوا بأسافل البحر الحبشي، وقطعت الزنج دون سائر الأحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصبُّ إلى بحر الزنج، فسكنت الزنج في ذلك الصقع، واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة، وهي أقاصى بلاد الزنج، وإليها تقصدمراكب العانيين والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم في [أسافل] بحر الزنج كما أن أقاصى بحر الصين متعلل ببلاد السلي، وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب، وكذلك أقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالة^(١)، وأقاصيه بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب، كثيرة العجائب، خصبة^(٢) حارة. واتخذها الزنج دار مملكة، وملَّكوا عليهم ملكاً سموه وقلبي^(٣)، وهي سمة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار على ما قدمنا آنفاً، ويركب وقلبي—وهو يملك ملوك سائر الزنوج— في ثلثمائة ألف فارس، ودوابهم البقر، وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل، ولا يعرفونها، وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد، ولا غيرهم من الأحابش، ومنهم أجناس محددة الأسنان يأكل بعضهم بعضاً.

وقليبي
ملك الزنج

ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق، ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطعهم في الطول والعرض نحو سبعائة فرسخ أودية وجبال ورمال.

والقيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة، وحشية كلها غير مستأنسة، والزنج لا تستعمل منها شيئاً في حروب ولا غيرها، بل تقتلها، وذلك أنهم يطرحون لها نوعاً من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء، ويختفي رجال الزنج، فتزد القيلة لشربها، فإذا وردت وشربت من ذلك الماء [حرقها و] أسكرها، فتقع، ولا مفاصل لقوائمها ولا رُكْب على حسب ما قدمنا، فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونهم لأخذ أنيابها؛ فن أرضهم تجهز أنياب

(١) في ١ « وكذلك أقاصى بحر الزنج وبلاد سفالة وأقاصى بلاد واق واق ».

(٢) في ب « حصينة حارة » . (٣) في ب « لوقيمن » .

الفيلة ، في كل ناب منها خمسون ومائة مَنٍّ ، بل أكثر من ذلك [والاثنان منها ثلثمائة مَنٍّ ، وأكثر من ذلك] ^(١) فيجهز الأ أكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند ، وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان ، ومن عمان إلى حيث ذكرنا ، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيراً ، وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها وأراكتها الأعمدة من العاج ، ولا يدخل قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشيء من الحديد ، بل بتلك الأعمدة المتخذة من العاج ، ورغبتهم فيما استقام من أنياب الفيلة ولم يتقوس؛ لا تحاذ الأعمدة منها على ما ذكرنا ، ويستعمل العاج في دخن بيوت أصنامها وأبجرتها هياكلها ، كاستعمال النصارى في الكنائس الدخنة المعروفة بدخنة مسريم وغيرها من الأبجرة ، وأهل الصين لا يتخذون الفيلة في أرضهم ، ويتطيرون من اقتنائها [عندهم] ^(٢) والحرب عليها ؛ لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم .

والهند كثيرة الاستعمال لما يجهز إليهم من العاج في نُصْب الخناجر ، وهي الحرارى ^(٣) ، واحداً حرّى ، وفي قوائم سيوفها ، وهي القراطيل ، واحداً قرطل ، وهي سيوف معوجة ، والأغلب في استعمال الهند العاج اقتناها منه الشطرنج والنرد ، والشطرنج ذو صور وأشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم ، كل قطعة من الشطرنج كالشبر في عرض ذلك بل أكثر ، فإذا لعبوا بها فإنما يقوم الواحد [منهم] قائماً فيقلها في بيوتها ، والأغلب عليهم القمار في لعبهم بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر ، وربما أنفذ الواحد منهم ما معه في لعب في قطع عضو من أعضائه جسمه ، وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدراً من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لحم أحر فيغلي ذلك الدهن المدمل

لعب الشطرنج
وهي قماره
الهند به

(١) هذه الزيادة لا توجد في (٢) في ب « الحرارى واحداً حرّى »

للاجراح وللأسك لسيلان الدم، فإذا لعب في أصبع من أصابعه وقمر^(١) قطعها بذلك الخنجر، وهو مثل النار، ثم غمس يده في ذلك الدهن، فكواها، ثم عاد إلى لعبه، فإذا توجه عليه اللاعب أبان أصبعاً ثابته، وربما توجه عليه اللاعب في قطع الأصابع والكف ثم الذراع والزند وسائر الأطراف، وكل ذلك يستعمل فيه الكي بذلك الدهن، وهو دهن عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند عجيب المعنى، لما ذكرنا، وما ذكرناه عنهم فستفيض من فعلهم.

والهند تتخذ الفيلة [في بلادها]^(٢) وتنانج في أرضها، ليس فيها وحشية، وإنما هي حرة ومستعملة كاستعمال البقر والإبل، وأكثرها يأوى [إلى] اللروج [والضياع]^(٣) والغياض كالجواميس في أرض الإسلام، والفيلة تهرب من المكان الذي يكون فيه الكر كدن على حسب ما قدمنا، فلا ترضى في موضع تشم فيه رائحة الكر كدن، ويعمر الفيل بأرض الزنج^(٤) نحواً من أربع مائة سنة، كذلك يذكر الزنج؛ لأنها تعرف في ديارها ومفاوزها، والفيل العظيم مما لا يتأق لهم قتله، ومنها الأسود والأبيض والأبلق والأغبر، وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين، ويضع حمله في كل سبع سنين.

الفيل
بلاد الهند

حيوان الزبرق ولها بأرض الهند آفة عظيمة نوع من الحيوان يعرف بالزبرق^(٥)، وهي دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغب وعينين براقيتين [عجيبة]^(٦) سريع الوثبة، يبلغ في وثبته الثلاثين والأربعين والخمسين ذراعاً، وأكثر من ذلك، فإذا أشرف على الفيل رشش عليه بوله بذنبه فيحرقها. وربما لحق الإنسان فأتى عليه، وفي الهند من إذا أشرفت عليه هذه

(١) قمر - بالبناء للمجهول - غلب في لعب القمار.

(٢) الزيادة عن ب.

(٣) في ب « بأرض الهند ». (٤) في ب « بالزبرقان ».

الدابة تعلق بأ كبر ما يكون من [شجر] الساج ، وهى أكبر من النخل وأ كبر من شجر الجوز، سكن^١ الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما يجمل إلى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج فى طوله، فإذا تعلق الإنسان بأعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن إدراكه لصق بالأرض^(١) ووثب إلى أعلى الشجرة ، فإن لم يالحق الإنسان فى وثبته رشش من بوله إلى أعلى الشجرة ، وإلا وضع رأسه فى الأرض وصاح صياحا عجيباً، فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته ، وأى موضع من الشجر سقط عاياه بوله أحرق ، وإن أصاب الإنسان شئ من بوله أتلفه ، وكذلك سائر الحيوان .

وملوك الهند تتخذ فى خزائنها سواره هذه الدابة، ومذاكيره، ومواضع من أعضائه ، وهو السم القاتل من ساعته ، ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ، ومذاكير هذه الدابة كمذاكير كلب الماء الذى يخرج منه الجند بادستر، وهذا الكلب [أمره] مشهور عند الصيادلة^(٢) وغيرهم ، وهو اسم فارسى معرب ، وإنما هو كند وتفسير ذلك الخصىة ، فعرب فقيل جند بادستر .

والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزرق لا تأوى إلى موضع يكون فيه النوشان - وهو الكركدن - وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضاً، والفيل يهرب من السنابير - وهى القطاط - ولا يقف لها البتة إذا أبصرها، وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت توفى الفيلة المقاتلة بالرجالة حولها ومراعاة حيل الأعداء عند الحرب بتخيلة السنابير عليها ، وكذلك أفعال ملوك السند والهند إلى هذه الغاية ، وقد ذكر أن الخنازير ربما تهرب منها الفيلة .

وقد كان رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هارون بن موسى مولى الأزد، وكان شاعراً شجاعاً ذا رياسة فى قومه ومنعة بأرض السند مما بلى أرض المولتان، وكان فى حصن له، فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة،

(١) فى ١١ لطفى بالأرض .

(٢) فى ١١ عند الصيادين وغيرهم .

فبرز هارون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم [من] الفيلة وقد خبأ تحت
ثوبه سنورا ، فلما دنا في حملته من الفيل خلى القط عليه ، فولى الفيل
منهزماً لما بصر بذلك الهر ، وكان ذلك هزيمة الجيش ، وقتل الملك ،
وغلبة المسلمين عليهم ، ولهارون بن موسى قصيدة يصف فيها
ما ذكرناه^(١) ، وهي :

أليس عجيباً بأن تلقه	له فطن الأسد في جرم فيل ^(٢)
وأطرف من نسبه زوله	بحلم يحل عن الخنشبيل
أليس عجيباً بأن تلقه	غايظ الدراك لطيف الحويل
وأرقص مختلف خلقه	طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع ليث ليث العرين	فإن ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم	وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شيء إذا قسته	بخنزير بر وجاموس غيل
ينازعه كل ذي أربع	فما في الأنام له من عدل
وبعصف بالبر بعد النور	كما تعصف الريح بالعنديل
وشخص ترى يده أنفه	فإن وصلوه فسيف صقيل
وأقبل كالطود هادي الخيس	بصوت شديد أمام الرعيل
فرّاً بسيل كسيل الآتي	بخطو خفيق وجرم ثقيل
فإن سُمته زاد في هوله	بشاعة أذنين في رأس غول
وقد كنت أعددت هراً له	قليل التهب للزنديل
فلما أحسّ به في العجاج	أتانا الإله بفتح جليل

(١) خمسة الأبيات الأولى مختلفة الترتيب في ا ، ب . وفي جميع الأبيات
اختلاف في بعض الألفاظ ، وقد اخترنا منها عبارة ا .
(٢) في ا « فطن الإنس » .

الجزء الثاني : ذكر السودان ، وأخبارهم ١١

وطار وراغمَ قَيَّالَه بقلبٍ نخب وجسم ثقیل
فسبحان خالقه وحده إله الأنام ورب الفيول

العنديل : طائر صغير يكون بأرض السند والهند، ذكره الشعراء في أشعارها
تمثلاً به لصغره ، والزنديل : هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها ، وقد قيل : إن
الزنديل هو اسم لما اشتد في الحرب من إناث الفيلة ، وقد ذكر بعض
الشعراء في هذا المعنى الزنديل عند ذكره الفيل فقال :

ذاك الذي مشفره طوبل وهو من الأفيال زنديل
وقال آخر :

* وفيله كالطود زنديل *^(١)

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الحيوان هذه القصيدة ، وفسر
بعض أبياتها، وذكر في معنى الخنثيل ونفسه قول الأنصاري في صفة النحل :
[تبيض العشاء بأذناها وفي مدّر الأرض عنها فضول]^(٢)
ويشبعها المص مص الثرى إذا جاعت الشاة والخنثيل^(٣)
قال : وهذا غير قوله :

قد علمت جارية عطبول أنى بنصل الصيف خنثيل

والفيلة لا تنتج ولا تتوالد إلا بأرض الزنج والهند، ولا نعظم أنيابها بأرض
السند والهند على حسب ما تعظم بأرض الزنج، والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق
وكذلك الهند ، ولا يلحق ذلك في المتعة شيء من الدرق الصيني والتبتي ،
[واللمطى] والبجاوى ، ولا ما تقع في اللبن وغير ذلك من أنواع الدرق .
وخرطومه أنفه ، وبه يوصل الطعام والشراب إلى جوفه ، وهو شيء بين

(١) فى ب * وفيله ذو الطول زنديل * (٢) هذا البيت لا يوجد فى ا

(٣) ف ب * إذا جاعت الشاة للخنثيل *

الغضروف واللحم والعصب ، وبه يقاقل ويضرب ، ومنه يصيح ، وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه .

عناية للنصور
بالفيلة

وقد كان المنصور غني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة إياها واقتنائها لها، وإعدادها للحروب والزينة في الأعياد وغيرها ؛ فإنها أوطأ مراكب الملوك وأمهدها ، وأخبرني بعض الكتاب ممن يرجع إلى أدب [وعقل] ومعرفة بأيام الناس بمدينة السلام ، أنه اشترى بغلة في غاية الفراهة والحسن^(١) ، فكان يركباني مهماته ونصراته ، وكانت إذارات الجمل البخت أو العرباب من العمالة أو غيرها في الطريق نفرت وشبت ، وكان ياتى منها جهداً جهيداً فيصبر على ذلك المكروه ؛ لما هي عاياه من الفراهة والحسن^(٢) ، وأنه لا يحملها غير العظم جسمه وكبر بطنه [وسمته] قال : فلما كان في بعض الأيام اجتزت بباب الطاق وذلك في أيام المعتذر ، وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن علي الصفار وأصحابه ، وقد كان مؤنس [المظفر] الخادم أسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان . قال : فأشرفت على قطار من الجمل البخت منهزمة خائفة من العبل ، تجمر في مشيتها ، لاسبيل لمن عليها أن يحبسها^(٣) لما قد لحقها من الجزع ، فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبها ، ورمت بي الأرض ف وقعت كجلد ثور منفوخ ، ودخلت الجمل إلى درب لا ينفذ ، وقد كانت البغلة حين رمت بي ونفرت من الجمل دخلت ذلك الدرب ، وجاءت الفيلة على أثر ذلك ، فلما نظرت البغلة إلى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمل ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وتزلزلت كتزلزل الجمل ، إذ رأي جماعة من الناس ، فرفعوني^(٤) ، ودخل الغلام فأخرج البغلة ، وما استطاع إخراجها حتى مضت الفيلة ، وأخرجت من وسط بعض الجمل ، فوالله ما نفرت بعد ذلك من

(١) في ١ « في نهاية من الحسن والفراهية » .

(٢) في ١ « من الفراهية والنضارة » .

(٣) في ١ « لاسبيل لمن عليها إلى ردها » .

(٤) في ١ « فرفعوني » .

جمل ، وقد ألقت الجمل حتى كأنها بعضها ؛ لاستصغارها صورة الجمل عندما شاهدت [من عظم] صورة الفيل .

وكل حيوان ذى لسان فأصل لسانه إلى داخل ، وطرفه إلى خارج ، إلا عود إلى وصف الفيل ؛ فإن طرف لسانه إلى داخل وأصله إلى خارج ، والهند تزعم أنه لولا أن لسانه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم ، والهند تشرف الفيل ونفضاه على سائر الحيوان ، لما اجتمع فيه من الخصال الحمودة : من علوسمكه ، وعظم صورته ، وبديع منظره ، واتصال صهوته^(١) ، وطول خرطوم ، وسعة أذنه ، وكبر غرموله ، مع خفة وطئه ، وطول عمره ، وثقل جسمه ، وقلة كثراته بما وضع على ظهره ، وأنه — مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة — يمر بالإنسان فلا يحس بوطئه ، ولا يشعر به [حتى يغشاه] لحسن خطوته واستقامة مشيه .

وقد وصف [عمرو بن بحر] الجاحظ الفيل في كتاب الحيوان فأغرق في وصفه ، وأكثر في مدحه ، وعدّد معاني^(٢) كثيرة في صفة الفيل وهيئته ، وما هو عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف ، وللعاني الصريحة ، والإحساسات اللطيفة ، وفي قبولها التأديب [وصحة تمييزها] وسرعتها إلى التلقين والتقويم ، وما في أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة ، وكم مقدار منافعتها ، ومبلغ مضارها ، وبتلك الفضيلة من الإحساس فاق تلك الأجناس ، وما فيها من الآيات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها الله لعيون خلقه ، وفرق بينها وبين عقول عباده ، وقيدوا عليهم ، وحفظها لهم ، لتكثر لهم ، وتزيدهم^(٣) إلى وضوح الحجة ، وتسخرهم لتمام النعمة ، وما ذكر الله في الكتاب الناطق والخبر الصادق ، وفي الآثار المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والتجارب الصحيحة ، وما قالت الشعراء فيه ، ونظمت به الفصحاء ، وميزته العلماء ، وعجبت منه الحكماء ، وحالها عند

(١) في ١ « وتضائل صوته » .

(٢) في ١ « ووعد إيراد معان » .

(٤) في ١ « وحفظها لهم ليزيدهم في وضوح الصفة » .

الملوك ، وموضع نفعها عند الحروب ، وتباينها في العلوم ، وجلالتهافي الصدور ، وفي طول أعمارها ، وقوة أبدانها ، وفي اعتزامها^(١) وتصميمها وأحقادها وشدة اكترائها ، وطلبها بطوائفها ، وارتفاعها عن ملك الشقاط واقتناء السفلة والأراذل وعن ارتخائها في الثمن ، وارتباطها على الخسف ، وابتذالها ، وإذلالها ، وعن امتناع طبائعها ، وتمنع غرائزها أن تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم جوارحها وتتساقط وتتلاقح إلا في معادنها وبلادها ومغارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ، وطمع القوم عليها بالتقرب بذلك منها ، حتى أعجزت الحيل ، وخرجت عن حد الطمع ، وعن الأخبار عن حملها ووضعها ومواضع أعضائها ، والذي خالفت فيه الأشكال الأربعة التي تحيط بالجميع مما يستنسخ^(٢) أو يقوم أو يمشي أو يطير ، وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه ، وما يبقى على الطبع الأول من صورته ، وعمائتاز عنه من شبه الحيوان ، وما يخالف فيه جميع الحيوان ، وعن القول في شدة قلبه وأسريره وفي حدته^(٣) على ما هو أعظم بدناً وأشد قلباً^(٤) وأحد ظفراً وأدرب لساناً^(٥) وهربه مما هو أصفر جسماً ، وأكل خدأ ، وأضعف أسراً ، وأخل ذكرراً ، وعن الأخبار عن خصاله اللدومة ، وأموره الحمودة ، وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه ، وعن لسانه وفمه ، مع غير ذلك من المواعيد الكثيرة التي تضمن إيرادها ، فلما انتهى إلى موضع نظمها وإيراد وصفها وما أسلفه من القول في هذه المعاني التي قدّمها أورد جوامع متفرقة ، ولعاً غير متسقة في الفيلة وغيرها ، وأعرض عن إيراد خواص أعضائها ، وأكثر منافعها ، وعجيب خصالها ، وما ذكر من أسرار الطبيعة فيها ، وما قالته فلاسفة الهند في بدنها ، وما أثرته عن تقدم من حكمائها في بدء أوليتها وعلة تكوينها في أرض الزنج والسند ، دون سائر البقاع

(١) في « وفي اعتراضها وتصميمها » .

(٢) في « مما يسبح » . (٣) في « وفي جرائه » .

(٤) في « وأشد قلباً » . (٥) في « وأدرب أنياباً » .

من الأرض ، والسبب المانع لتكوينها فى غيرها ، والتضاد الذى بينها وبين الكركدن مع عظم خلقها ، وفرارها من السنور ، مع صغر حجم جسمه ولطافة منظره ، وعن كثرة الطرب الذى يوجد فى الفيل دون غيره من الحيوان ، وقبولها الرياضة والدربة^(١) والمعرفة عند المحاورة ، والدهاء ، والخبث ، والتميز .

وقد ذكر صاحب للنطق فى كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه ، وسلك طريقة لم يسلكها من تقدم من حكماء الهند فى الفيل ، وما ذهب إليه حكماء الهند من أن العالم بما فيه من الأجسام على حثات ثلاث : متفق ، ومختلف ، ومضاد ، وأن ذلك فى الجملة هو جاد ونام ، وإخراجهم عن العالم الأفلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الأجسام السماوية ، وأنها ليست بجماد ولا نام ، وأنها أحياء ناطقة^(٢) .

قال المسعودى : فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً فى صدر هذا الباب ، من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الأحابش ؛ فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من القبله وجمعها لعاجها غير منتفعة بشيء من ذلك فى آلاتها ، وإنما تتحلل الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة ، وما ذكرنا من دوابهم أنها بقر ، وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الإبل والخيول ، وهى بقر تجرى كالخيل بسروج وجُلم ، ورأيت بالرى نوعاً من هذا البقر يرك كابيرك الجبل^(٣) ، ويثور بحمله كما تنثور الإبل إذا استقلت بأحمالها ، وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والإبل والخيول والبغال ، ومثلاً كهنا نوع من الجوس مزدقية^(٤) ، ولهم خارج الرى قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم ، فإذا مات بالرى أو قزوين شيء مما ذكرنا من البهائم ورد الواحد منهم مع ثورهم فأنأخه ، وحمل عليه تلك الجيفة وسار بها إلى

عود إلى
وصف الزنج
البقر
والجواميس

(١) فى ١ ، ب « الدراية » وأحسبها محرفة عما أثبت .

(٢) فى ب « وأنها أحياء ناطقة » .

(٣) فى ب « يقول كما يقول الخيل » . (٤) فى ب « نوع من الجوس من دفته » .

قريته ، فأكلهم منها ، وبنينهم من عظامها ، ويحففون من لحمها ما يدخرونه
لشتائمهم ، فأكثر أكلهم وأكل بقرهم من تلك اللحمان رطباً ويابساً ،
وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الخدق ، وسائر البقر تنفر وتهرب
من هذا البقر ، ورأيت بأصهبان وقمّ منها ما في أنوفها حلق الحديد والصُّفْر ،
قد خُرِمتَ فيها الجبال ، وخطمت بها كما يفعل بالجمال البُخت ، وكذلك
بالرى رأيت ثوراً منها قد عدا نحو ثور من غير هذا النوع ، فلما رآه [قد]
قصده قام فرعاً من هذا الجنس .

وليس في سائر أنواع البقر ما يأوى المياه والجزائر والبحيرات إلا البقر
المعروف الحبشية التي تكون ببلاد مصر وأعمالها ، وبحيرة تنيس ودمياط
وما اتصل بتلك الديار ، وأما الجواميس فإنها بالثغر الشامي تَجِرُ^(١) أكبر
ما يكون من العجل ، في أنوفها حلق الحديد والصُّفْر على ما ذكرنا من البقر ،
وكذلك منها ببلاد أنطاكية ، وأكثر ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان ،
وقرون تلك البقر أكبر من قرون هذه الجواميس التي بأرض الإسلام ،
وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين وكذلك الجواميس كثيرة بأرض
العراق مما يلي طفوف الكوفة^(٢) والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار ،
والناس يذكرون عتقاء مُغْرَبَ ويصورون العتقاء في الحمامات وغيرها ، ولم
أجد أحداً في هذه الممالك ممن شاهده أو نرى إلى خبره ذكر أنه رآها ،
ولست أدري كيف ذلك ، ولعله اسم لامسمى له ! .

وتلزم الآن إلى أخبار الزنج وأخبار ملوكها : فأما تفسير اسم ملك الزنج -
الذي هو وقليمي - فعني ذلك ابن الرب الكبير ؛ لأنه اختار ملوكهم والعدل
فيهم^(٣) ، فتمت جارية الملك عليهم في حكمه وحاد عن الحق قتله وجرموا عقبه الملك ،
ويزعمون أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السموات

تفسير لقب
ملك الزنج

(١) في ب « في بحر أكبر ما يكون من العجل » ولا معنى له .

(٢) في ب « صفوف الكوفة » . (٣) في ا « والعدل بينهم » .

والأرض ، ويسمون الخالق عز وجل ملكنجلو^(١) ، وتفسيره الرب الكبير ،
والزنج أولو فصاحة في ألسنتهم ، وفيهم خطباء باقتهم ، يقف الرجل الزاهد
منهم فيخطب على الخلق الكثير منهم ، ويرغبهم في القرب من بارئهم ،
ويعثهم على طاعته ، ويرهبهم من عقابه وصوّلته ، ويذكرهم من مضى من
ملوكهم وأسلافهم ، وليس لهم شريعة يرجعون إليها ، بل رسوم الملوكهم ،
وأشكالهم من السياسات يسوسون بها رعيتهم ، وأكلهم الموز ، وهو بيلادهم
كثير ، وكذلك بأرض الهند ، والغالب على أفوات الزنج الذرة ، ونبت
يقال له الكلارى بقلع من الأرض : كالكمأة ، والراسن ، ومنه كثير بيلاد
عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ، ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذى
بكون بالشام ومصر ، ومن غذائهم أيضاً العسل واللحم ، ومن هوى منهم
شيئاً من نبات أو حيوان أو جماد يجمده^(٢) ، وجزائرهم في البحر لا تحصى
كثرة ، وفيها النار جبل يعم أكله سائر الزنج ، ومن بعض تلك الجزائر
جزيرة ينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين ، فيها خلائق من
المسلمين يتوارثها ملوك من المسلمين ، يقال لها قبلو^(٣) ، على حسب ما ذكرنا
من أمرها في هذا الكتاب .

وأما النوبة فافترقت فرقتين : فرقة في شرق النيل وغريبه ، وأناخت مساكن النوبة
على شاطئيه ، فاتصلت ديارها بديار القبط [من] أرض مصر والصعيد من
بلاد أسوان وغيرها ، واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل
مُصعدة ، ولحقوا بقريب من أعاليه ، وبنوا دار مملكة ، وهى مدينة
[عظيمة] تدعى دنقلة ، والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوة ، وبنوا
مدينة عظيمة وسموها سرية .

قال المسعودى : وانتهيت في تصنيفي إلى هذا الموضع من كتابنا هذا في
شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، [وكنت بفسطاط مصر]

(١) في ب « مكنجلو » بتقديم الكاف

(٢) في ا « عبده »

(٣) في ب « يقال لهم قبلو ، ويتوارثها المسلمون »

فأخبرت أن الملك في مدينة دقلة للنوبة « كابل »^(١) بن سرور ، وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوى على ماقرة وعلوة ، والبلد المتصل بمملكته بأرض أسوان يعرف بـ « برّيس » ، وإليه تضاف الريح^(٢) المريسية ، وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان .

البجة

وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وتشعبوا فرقا ، وملكوا عليهم ملكا ، وفي أرضهم معادن الذهب ، وهو التبر ، ومعادن الزمرد ، وتتصل سراياهم [ومناسرهم] على الثُجُبِ إلى بلاد النوبة ، فيغيرون ويسبّون ، وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة ، إلى أن قوى الإسلام وظهر ، وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاق وعيذاب ، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا في البجة ؛ فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار ، وصاحب المعدن في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — أبو مروان بشر بن إسحاق^(٣) ، وهو من ربيعة ، يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على الثُجُبِ من البجة بالحجف البجاوية ، وهم الحدارية^(٤) ، وهم المسلمون ممن بين سائر البجة ، وباقي البجة كفار يعبدون صنما لهم . .

الحبش

وأما الحبشة فاسم مملكتهم كعب^(٥) وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة النجاشي ، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة ، يتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي ، ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة ، وهو مقابل لبلاد اليمن : فمن مدن

() هكذا في نسخة عندنا ووقع في « كبرى بن سرور » ووقع في ب

« ليرني بن سدر » (٢) في ب « الزنج المريسية » محرفا

(٣) في ب « بشر بن مروان بن إسحاق »

(٤) في ب « وهم الحدارب » (٥) في ب « كعمي »

الحبشة على الساحل الزليع والدهلك وناصع ، وهذه مدن فيها خلق من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة ، وبين ساحل الحبشة ومدينة غلاقة^(١) — وهى ساحل زبيد من أرض اليمن — ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ، ومن هذا الموضع عبّرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن في أيام ذى نواس وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن ، وصاحب زبيد في وقتنا هذا إبراهيم ابن زياد صاحب الحرمل ومراكبه تختلف إلى ساحل الحبشة ، وتركب فيها التجار بالأمّعة ، وبينهم مهاذنة ، وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين — أعنى ساحل اليمن ، وساحل الحبشة — أقل المواضع فيه عرضاً ، وهناك جزائر بين هذين الساحلين : منها جزيرة العقل ، يقال : إن فيها ماء يعرف بماء العقل ، يستسقى^(٢) منه أرباب المراكب ، ويفعل في القرائح والذكاء فعلاً جميلاً ، وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من الخواص ، وذكر علة ذلك ، وقد أتينا على الخبر في كتابنا « أخبار الزمان » عند ذكرنا لأخبار المتطبيين في تجاربهم وما كان من قضايهم في علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الإسلام وغيرهم من انصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع ، وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة ، وله في هذا الوقت رجال مرتبون فيها من أصحابه .

وفي هذا البحر ممالى بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة ، إليها يضاف الصبر جزيرة سقطر وسكانها السقطرى ، ولا يوجد إلا فيها ، ولا يحمل إلا منها ، وقد كان أرسطاطاليس بن نقوماخس^(٣) كتب إلى الإسكندر بن فيلبس حين سار إلى الهند^(٤) في أمر هذه الجزيرة بوصيهها ، وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذى يقع في الأيارات وغيرها ، فصيّر الإسكندر إلى هذه الجزيرة خلقاً من اليونانيين أكثرهم من مدينة أرسطاطاليس بن نقوماخس^(٣) ، وهى

(١) في ب « علاقته » (٢) في ب « تسقى »
(٣) في ب « تمر ياحين » (٤) في ب « إلى الشام »

مدينة اسطاعور^(١) ، فى المراكب بأهلهم فى بحر القلزم ؛ فقلبوا على من كان بها من ملوك الهند ، وملكوا الجزيرة ، وكان للهند بها صنم عظيم ، فنقل ذلك الصنم فى أخبار يطول ذكرها ، وننسل من الجزيرة من اليونانيين فيها ، ومضى الإسكندر فظهر المسيح فتنصر من كان بها إلى هذا الوقت ، وليس فى الدنيا — والله أعلم — موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم لم يَدْخلهم فى أنسابهم رومى ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة ، وهم فى هذا الوقت نأوى إليهم بَوارجُ الهند الذين يقطعون على المسلمين فى هذه البوارج — وهى المراكب — على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم فى السوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشام ومصر ، ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر [السقترى] وغيره من العقاقير ، ولهذه الجزيرة أخبار عجبية ، ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما ساف من كتبنا. وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن فى المغرب — مثل الزغاوة والكوكو والقراق ومديدة ومريس والمبرس والملانة والقوماطى ودويلة والقرمة^(٢) — فكل واحد من هؤلاء وغيرهم من أنواع الأحابش ملك ، ودار مملكة .

بقية أجناس
السودان

وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وأنواعهم ومساكنهم ومواضعها من العلك ، ولأية علة تفاقلت شعورهم واسودت ألوانهم ، وغير ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتسعهم فى أنسابهم ؛ فى كتابنا « أخبار الزمان » فى الفن الأول من جملة الثلاثين فناً ، ثم فى الكتاب الأوسط مما لم نذكره فى كتابنا « أخبار الزمان » من أخبارهم ، وذكرنا فى هذا الكتاب ما لا يسع ترك إيراده فيه ولا تعريته منه .

(١) فى ب « اسطاعور »

(٢) فى ب « مثل الزغاوة والكركر والقراق ومرنثة والمرويين والهنديين

واللالة والقرماطن وزويلة والعرمد »

قال المسعودي : وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب إليه بمحاربة النوبة ، ففزعاهم المسلمون ، فوجدوهم يرمون الحديق وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم ، حتى صُرفَ عن مصر ، ووليها عبد الله بن سعد ، فصالحهم على رؤوس من السبي معلومة ، مما يسبي هذا الملك المجاور للمسلمين من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من صدر هذا الباب المدعو بملك مريس وغيرها من أرض النوبة ، فصار مأقبض منهم من السبي سنة جارية في كل سنة إلى هذه الغاية يحمل إلى صاحب مصر ويدعى هذا السبي [في العربية] ^(١) بأرض مصر والنوبة بالبقط ، وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمس وستون رأساً ، وأراه رُسم على عدد أيام السنة ، هذا لبیت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة ، وللأمير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأساً ، وخليفته المقيم ببلاد أسوان المجاورة لأرض النوبة ، وهو المتولى لقبض هذا البقط ، وهو السبي ، عشرون رأساً غير الأربعين ، وللحاكم المقيم بأسوان الذي يحضر مع أمير أسوان قبض البقط خمسة رؤوس غير العشرين التي يقبضها الأمير ، ولائني عشر شاهداً عدولاً من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي حسب ما جرى به الرسم في صدر الإسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة ، والموضع الذي يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر ، وهو على ستة أميال من مدينة أسوان بالقرب من جريرة بلاق ، وبلق هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والأحجار ، وهذه المدينة في هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كإحاطة ماء الفرات بالمدن التي في الجزائر [الكائنة] ^(٢) بين رحبة الملك بن طوق وهيت ^(٣) ، وهي

(١) هذه الكلمة لا توجد في (٢) هذه الكلمة لا توجد في ب

(٣) في ب « بين رحبة ملك بن طوق وبين الرسة وناوسة وغانة

والحديث - إلخ »

ناوسة وعانة والحديثة ، وفي مدينة بلّاق خلق كثير من الناس^(١) ومنبر ونخل كثير في كلا الشطّين ، وهذه المدينة إليها تنتهي سفن النوبة وسُفن المسلمين من بلاد مصر وأسوان ، ومدينة أسوان يسكنها كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة^(٢) ومضر وخلق من قريش ، وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره ، والبلد كثير النخل خصب كثير الخير تُودعُ النواة الأرض فتنبت نخلة ، ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ، وليست تربتهم كثرة البصرة ولا الكوفة ولا غيرها من أرض النخل ؛ لأن النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من التال والفسيل ، وهو النخل الصغير ، وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح^(٣) ، ولن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلية بأرض النوبة يؤدّونَ خراجها إلى ملك النوبة ، وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم إلى القسطنطين ، ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان ، وأنها ضياعه والقوم عبيد [هـ] ، ولا أملاك لهم ، وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العامين فيها ، فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ ، وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستزعم من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتاع منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرروا المليكهم^(٤) بالعبودية ، وأن يقولوا : سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته ، فإن كنتم أتم عبيداً لملككم وأموالكم له فنحن كذلك ، فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب

(١) في « نزار بن ربيعة ومضر »

(١) في « من المسلمين »

(٤) في « بلوكمهم »

(٣) في « ولا يفلح »

الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم أو نحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق للملكهم إلى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مَرِيس ، وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد ، وهم مَنْ سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان ، وهي بلاد مَرِيس .

ومعدن الزمرد في عمل الصعيد الأعلى من أعمال مدينة قفط^(١) ، ومنها معدن الزمرد وأنواعه يخرج إلى هذا المعدن ، والموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة مغاوزو جبال ، والبجة تحمي هذا المكان المعروف بالخربة ، وإليها يؤدي الخفارات من يرد إلى حفر الزمرد ، والزمرد الذي يقتاع من هذا المكان يتنوع أربعة أنواع : النوع الأول منها يعرف بالمر ، وهو أجودها وأغلاها ثمنًا ، وهو شديد الخضرة كثير الماء ، وتشبه خضرته بأشد ما يكون من السلق خضرة ، وهذا اللون غير كدر ولا ضارب إلى السواد ، والنوع الثاني يدعى بالبحري ، ومعناهم في هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزمج^(٢) والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد ، وتباهي في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها ، فسمى البحري لما ذكرنا ، وهو ثاني المر في الجودة وتشبه خضرته بالأول والماء كعراخ^(٣) ورق الآس الذي يظهر في أوائل أغصان الآس وأطرافه ، والنوع الثالث يعرف بالمغربي ، ومعناهم في هذه التسمية وإضافتهم إياه إلى المغرب هو أن ملوك المغرب من الإفريقية والنوكر^(٤) والأندلس والجلالقة والوشكند^(٥) والصقالبة والروس ، وإن كان أكثر هؤلاء الأمم متصلين بالجدى^(٦) وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولدباث بن نوح يتنافسون في هذا النوع من الزمرد كتنافس مَنْ ذكرنا من ملوك الهند والصين

(١) في « من أعمال مدينة قبط » (٢) في ب « والرائج »

(٣) في ب « كقداح ورق الآس » (٤) في ب « والنوكر »

(٥) في ب « والوسكنس » (٦) في ب « بالجرني »

في النوع المعروف بالبحري ، والنوع الرابع هو المسمى بالأسم ، وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمنًا ؛ لقلة مائه وخُضْرته ، وهذا النوع يتفاوت في اللون من الخضرة في القلة والكثرة ، وجملة الوصف لهذه الأنواع الأربعة في الجودة والمبالغة في الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة ، وغير ذلك من الألوان ، مع نعى هذا الجوهر^(١) من النموشة ، فإذا سلم مما ذكرنا كان في نوعه غايةً في الجودة ونهاية في الوصف ، وفي حجارته ما يبلغ الخمسة المائتين من الوزن ، إلى أن ينتهي إلى حد العدسة في المتدار ، فيدخل ذلك في النظم من الخناق وغيرها .

وآفات هذا الجوهر كثيرة ، منها الریم ، والحجارة ، والعروق البيض التي تشوب هذا الجوهر وتوجد فيه ، ولاننا كر بين ذوى الدرزية بهذا الجوهر ومن عني بمعرفته أن الحيات والأفاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها ، وأن الملسوع إذا سقى من الزمرد الخالص ، وزن دافقين على الفور أمن على نفسه من أن يسرى السم في جسده^(٢) ، ولا يوجد شيء من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه ، وهو حجر لين رخو ، يتكلس إذا ورد على النار^(٣) .

وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاحم من ملوك الروم نعظم شأن هذا الجوهر ، وتفضله على غيره من سائر الجواهر ؛ لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة ، والمنافع الكثيرة ، ولخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية . وأكثر ما يوجد من هذه الأنواع الأربعة العروق في الأرض ، وهو المتناقص فيه ، إذا سلم من الاعوجاج والثقب^(٤) ، واستقام سلكه ، واستطال ما استدار ، وأدناه ما ينحل في معدنه من التراب ويلتقط من الطين ، وقد

(١) في « مع نعى هذا النوع من النموشة » .

(٢) في « في جوفه » . (٣) في ب « إذا ورد على الماس » .

(٤) في ب « والتقب » .

يوجد على ظهر الأرض في هذا المعدن في وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه وهما الغربي والأصم المقدم ذكرهما وقد يحمل من أرض الهند من بلاد سندان ، ونحو كناية^(١) من مملكة البلهر اصحاب المانكير المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوع من الزمرد يلحق بما وصفناه من النور والخضرة والشعاع ، إلا أنه حجر صلب أصلب مما وصفناه وأثقل مما ذكرنا ، ولا يُفرَّقُ بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الأنواع الأربعة المتقدم ذكرها إلا ذو دراية فطن أو ماهر فيه^(٢) ، وهذا النوع الهندي يعرفه أصحاب الجواهر بالسكي ؛ لأنه يحمل من أرض الهند إلى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ، ويؤتى به مكة ، فاشتهر بهذا الاسم لما وصفناه ، وبأن بهذا التعت لما ذكرنا .

وقد أتينا على مبسوط أخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والإيضاح في كتابنا « أخبار الزمان » ووجدت جماعة بصعيد مصر ، من ذوى الدراية - ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن ، وعرف هذا النوع من الجواهر الذى هو الزمرد - يخبرون أن هذا الزمرد يكثر ويقل في فصول من السنة ، وفي قوة من مواد الهواء ، وهبوب نوع من الرياح الأربع ، وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر ، وكذلك وجدت في أخبار من عني بمعرفة أكثر المعادن من الجوهريه وغيرها أن الكبريت الأبيض والأصفر وغيرها من أنواع الكبريت يكثر في معدنه في السنة التى يكثر برقها ، وتشتد صواعقها ، على حسب ما أخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن الكافور في بلاد منصوره^(٣) وغيرها من أرض الهند أنه يكثر في السنة التى تكثر فيها الصواعق والريعود والبروق ، ولولا أن المكثار كحاطب ليل ، والإيجاز لمحلة دالة ، ووَحَى صَرَح عن ضمير ، والبلاغة إيضاح بإيجاز لأسهبت في هذا الباب .

(١) فى ب « من بلاد سندان وبجر كناية من مملكة البلهر اصحاب الناكور »

(٢) فى ب « أو ماهر ظريف » (٣) فى ب « من بلاد قيصوره »

وبين هذا الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن هذا النوع من الجواهر، وهو الزمرد، وبين ما اتصل به من العماره وقرب منه من الديار، مسيرة سبعة أيام وقوص وقفط وهى فقط وقوص وغيرها من صعيد مصر، وقوص راكبة للنيل، وبين النيل من بلاد مصر وقفط نحو من ميلين، ولدينتي فقط وقوص أخبار عجيبة فى بدء عمرانها وما كان فى أيام الأقباط [من أخبارها] إلا أن مدينة فقط فى هذا الوقت متداعية للخراب، وقوص أعمر، والناس فيها أكثر.

وبوادى البجة المالكة لهذا المعدن تتصل ديارها بالعلاقى، وهى معدن الذهب على حسب ما قدمنا فى هذا الباب، وبين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة، وماء أهل العلاقى ما انهل من السماء، ولهم ماء من عين^(١) يسيل فى وسط العلاقى، وأقرب العماره إليه مدينة أسوان، ومنها يسمى^(٢) العلاقى، والنوبة متصلة بتجارها وقوافلها بمدينة أسوان^(٣)، وأهل أسوان مختلطون بالنوبة.

الواحات قال المسعودى : وأما بلاد الواحات - وهى بين بلاد مصر والإسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الأحابش من النوبة وغيرهم - فقد ذكرنا جملا من أخبارها، وكيفية العمران بها، والخواص فى أرضها، فيما سلف من كتبنا، وبها أرض شبيهة وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم، وصاحب الواحات فى وقتنا هذا هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان، وهو رجل من من لواتة، إلا أنه مروانى المذهب، ويركب فى ألوف من الناس خيلا [ورجلا] ونجبا، وبينه وبين الأحابش نحو من ستة أيام، وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العماره هذا المقدار من المسافة، وفى أرضه خواص وعجائب، وهو بلد قائم بنفسه، غير متصل بغيره، ولا مفتقر إليه، ويحمل من أرضه التمر

(١) فى ب « ولهم معين يسيل »

(٢) فى ب « ومنها يستمد العلاقى »

(٣) فى ب « والنوبة متصلة بتجارها وقوافلها بمدينة أسوان »

والزيب والأعاب ، وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالوحدات بيباب الإخشيدي محمد بن طنج، وذلك سنة ثلاثين وتلثمائة ، وسألت عن كثير من أخبار بلدهم، وما احتجّت أن أعلمه من خواص أرضهم ، وكذلك كان فعلى مع غيره في سائر الأوقات ممن لم أصل إلى بلادهم ، وأخبرني هذا الرجل عما بأرضهم من الشبّ وأنواع الزاج ، وما يحمل من بلادهم ، وما بأرضهم من أنواع العيون الحامضة ، وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم .

وقد ذكر صاحب المنطق أن ببعض المواضع عيوناً حامضة يستعمل مأوها، كاستعمال الخلل ، وذكر المواضع التي تنبع منها العيون المرة ، وأن قوة مأها في الحرارة لا يخالط شيئاً إلا مرّره ، وأن العلة في اختلاف هذه الطعوم في المياه أن الأرضين مختلفة مثل مواضع الشب والمواضع النارية والرمادية ، وذكر الأطعمة^(١) التي ببلاد صقلية المتقدم ذكرها إذا خالطت الماء أفادته طعوماً مختلفة على قدر اختلافها وأعداد طعومها .

وأعداد الطعوم ثمانية : فأولها العذب، والملح، والدسم، والخلو، والحامض أعداد الطعوم
وخواصها والمر ، والقابض ، والحريّيف ، وقد تنازع الناس فيما ذكرنا ؛ فمنهم من رأى أن أعدادها سبعة ، ومنهم من ذهب إلى أنها ستة ، وأكثر من قال في أعدادها هو ما ذكرنا آنفاً [من أنها]^(٢) ثمانية ، وقد قال من ساف في قوى المياه أقاويل مختلفة : فمن ذلك أن العذب مُغذّ وإن كان سخناً ؛ فإن استعمل من داخل أو من خارج [بقدر الحاجة إليه]^(٣) فإنه ينقي الجسد ، وإن استعمل أكثر مما يحتاج إليه فإنه يرخي الأعضاء ويضعفها ، وأن الماء البارد يشدّ الأعضاء ، ويقطع العطش^(٣) ، وأن الزيادة منه تحذر الجسد وتميته ، وأن الماء الأجاج ينفع

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه أراد « وذكر أن للعادن إلخ »

(٢) ما بين العقوفين ساقط من ب وحدها

(٣) في ١ « ويدفع العطش »

من سُدد الكبد والطحال، وأن الماء الكبير يقي ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة ، والبورقي^(١) نافع للحكة والجرب، وأما القاري^(٢) فإنه نافع من أوجاع الصلب والعصب ، وماء الحديد نافع من الاسترخاء في الأحشاء وما بطن من الأوعية ، وماء النحاس نافع من الرطوبة والبله الكائنة في الجسد والرأس، وماء الجص يشنج المعدة ويقبضها ويكرسها ، وماء الزاج يحبس^(٣) الدم ، وماء البحر نافع من البرص، وقد ذكر جماعة أنه ينفع من الأخطا الفاسدة إذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز، وله في البصر إيتاع فطيع^(٤) ، وأن أصبح المياه للأجساد الأبيض البراق الذي يخرج من جبال الطين^(٥) من مشرق الشمس نحو مغربها، القابل بسرعة ما يرد إليه من الحر والبرد، وللناس فيما ذكرنا كلام كثير في أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها ، وليس كتابنا هذا موضعاً له ، وإنما تغفل بنا الكلام إلى ذكرها ، وتشعب بنا القول إلى وصفها .

وصف
بلاد الأحابش
وحاصلاتها .

وكل ما ذكرنا من بلاد الأحابش ما كان من غربي اليمن وجدة والحجاز^(٦) مما يلي بحر القلزم ، فبلاد قشقة لا خير في أرضها ، ولا شيء يحمل من ساحلها إلا ما وصفنا من الذبل والتمور [وغيرهما] ، وكذلك ما عليه من ساحل الشجر وبلاد الأحقاف من ساحل حضرموت إلى عدن ، فبلد لا خصب لأهله فيه، ولا يحمل من أرضهم [في وقتنا] إلا اللبان ويسمى الكندر، وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهند وإن كان الماء متصلاً ، وليس في البحار ، وما ذكرنا من الخابج ما احتوى عليه البحر الحبشي، أصعب ولا أكثر حيالاً، ولا أسهل راحة، ولا أقحط، ولا أقل خيراً في بطنه وظهره من بحر القلزم، وسائر البحر الحبشي تقطعه المراكب في إبان سيرها فيه بالليل والنهار ، إلا بحر القلزم؛

- | | |
|----------------------------|----------------------------------|
| (١) في ب « والروقي » | (٢) في ب « وأن ماء النصار فإنه » |
| (٣) في ب « بحسن الدم » | (٤) في ب « إيتاع فطيع » |
| (٥) في ب « من جبال الصين » | (٦) في ب « والجار » |

فإن المركب تسير فيه بالنهار، فإذا جَنَّ الليل أُرْسَتْ في مواضع معروفة كالمراحل المشهورة ، والمنازل ^(١) المعروفة ؛ لكثرة جباله وظلمته ووحشته ، وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره في شيء ، وهو بالضد من ذلك ؛ لأن بحر الهند والصين في قعره التُّوْلُو ، وفي جباله الجواهر ، ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي ، وفي أفواه دوابه العاج ، وفي منابته الآبنوس ، والخيزران ، والقنأ ، والبقم ، والساج ، والعود ، وأشجار الكافور ، والجوز ، والقرنفل ، والصندل ، والأفأويه ، والطيب ، والعبر ، وطيبوره البياغي البيض والخضر ، وأحدها بيغة ^(٢) ، ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر ومنها ما يكون كالنعامة كبراً ، وحشرات أرض ^(٣) الهند الزباد كالسنابير بأرض الإسلام كثيرة متخذة ^(٤) كالسنور ، وأكثر ما يخرج من ضروعها الطيب المعروف بلبن الزباد ، وهو نوع من الطيب عجيب ، ثم ما يظهر في وقت من السنة من جباه القيلة بأرض الهند ورءوسها من العرق الذي هو كالمسك ، والهند تراعى ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه ، فتأخذه وتجعله على بعض أدهانها الطيبة ، فيكون أغلى طيبها والمستطرف عندها ، والذي تستعمله ملوكها وخواصها لضروب من المنافع منها طيب الرائحة والتجمر ^(٥) الذي قد فاق على سائر الطيب عندهم ، وما يؤثر في الإنسان عند شمه إياه واستعماله من ظهور الشَّبَق من الرجال والنساء والطلب للباه والاعتلام والطرب والنشاط والأريحية ، وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند اللقاء والحرب ؛ لأن ذلك عندهم مما يشجع القلب ، ويقوى النفس ، ويبعثها على الإقدام ، وأكثر

من أوصاف
ال قيل أيضاً

(١) في ب « والمنافذ المعروفة »

(٢) المعروف أن الواحد يغياء ، والجمع يغاوات

(٣) كذا ، ولعل الأصل « ومن حشرات أرض الهند الزباد وهي كالسنابير إلخ »

(٤) في ا « منمرة كالسنور »

(٥) في ا « والتخمر »

ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اعتلامها وهيجانها ، وإذا كان ذلك منها هرب عنها سؤاُسها ورُعَاتها ، ولا تفرق بين من تعرف وغيره من الناس ، وإذا وجد الفيل ما وصفنا سلك الأودية والجلال والغياض ، ونَدَّ عن بلده ، وغاب عن وطنه ؛ فإذا قدم على النوشان الذي هو الكر كدن هَرَبَ حينئذ من الفيل ، ولا يقيم في الموضع الذي هو فيه ؛ لأن الفيل عند ذلك بحال السكران لا يعقل ولا يميز بين الكر كدن الذي كان يخافه قبل ذلك وغيره ؛ فإذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد إلى بلاده على مسيرة شهر وأكثَر من ذلك ، وهو في بقية من سكره ، فيبقى نحو ذلك المقدار الذي كان هيجانه فيه عليلا ، ولا يكون ذلك إلا في الفحول من الفيلة وذوي الجراءة منها والإقدام ، وما ذكرنا من ظباء^(١) المسك وغير ذلك مما عنه أمسكنا من عجائبه [وخيرانه] وفيما ذكرنا تنبيه على غيره .

واللهند خُطِبَ طويل في ظهور هذا النوع من الطيب في هذه الحالة^(٢) من الفيلة ، والفرق بينه وبين سائر أنواع الدواب وما يظهر من الفيل من الجزع عند وروده المياه من الغدران والأنهار للشرب إذا كان الماء صافياً ، فإنه يشربه ويكدره ويمتنع من شربه حين صفائه ، وإن ذلك يوجد في أكثر الخيل إذا وردت الماء وكان صافياً ضربته بأيديها فكدّرتَه فتشرب حينئذ ، وتوافق الخيل الفيلة في هذا المعنى دون سائر الحيوان ، وإن ذلك لمشاهدة صُورَها في الماء لصقالاته وصفائه ، ولعلها تقصد زوال ذلك عند كدر [ما تضربه بأيديها ؛ لعدم ظهور الصور فيه في حال الكدر]^(٣) ، وإن الإبل الأغلب منها يفعل ذلك ، ولعلنا غير ذلك مما وصفنا من أن ما عظم من الحيوان إذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء أعجبتَه لعظمها وحسنها وما بان به من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان ، وليس شيء يفعل ذلك من

(١) في ب « من طيب المسك » (٢) في ب « في هذه الحياة »

(٣) زيادة في ا وحدها .

الحيوان غير ما ذكرنا من الخيل والإبل [والفيلة]^(١)، وإن الفيل - مع عظم جسمه [ولطافة نفسه]^(٢) وخفة روحه وحسن تمييزه والتميز بين وليه^(٣) وعدوّه من الناطقين وغيرهم وقبوله الرياضة - يمتنع من الأنثى كما تمتنع النوق إذا لقحت ، وليس شيء من الدواب يمتنع من السَّقاء من الإناث عند حملها إلا الفيلة والإبل ، وهذا باب إن نحن نَقْصِدُناهُ وذكرنا ما فيه طال به الكتاب ، وخرج عن حد الاختصار والإيجاز . وقد أنينا على وصف جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وغيره من كتبنا ، فلنذكر الآن أنواعاً من ولد يافث بن نوح ؛ إذ كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كثيراً من ذكر الأمم مع اختلاف ألوانهم ، وتباينهم في ديارهم ، واختلافهم في أحوالهم ، إن شاء الله تعالى .

(١) زيادة في ا وحدها .

(٢) زيادة في ب وحدها .

(٣) في ب « والمعرفة بوليه وعدوه » .

ذكر الصقالبة ومساكنها

وأخبار ملوكها ، و [تفرق] أجناسها

نسب الصقالبة : من ولد مار^(١) بن يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس
وأجناسهم الصقالبة ، وبه ياحقون في أنسابهم ، هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عني
بهذا الشأن ، ومساكنهم بالجدى^(٢) إلى أن يتصلوا بالمغرب ، وهم أجناس مختلفة
وبينهم حروب ، ولهم ملوك ، ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية إلى رأى
اليقونية^(٣) ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة ، وهم جاهلية لا يعرفون
شيئا من الشرائع ، وهؤلاء أجناس : فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما في صدر
الزمان ، وكان ملكهم يدعى ماجك^(٤) ، وهذا الجنس يدعى ولينا ، وكان يتلو
هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة ؛ لكون الملك فيهم ، وانقياد سائر
ملوكهم إليه ، ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانة ، وملكهم في هذا
الوقت يدعى بصقلاخ^(٥) ، وجنس يقال له دلانة ، وملكهم يدعى وانج علاف^(٦)
وجنس يقال لهم نائجين^(٧) ، وملكهم يدعى عزانة^(٨) ، وهذا الجنس أشجع أجناس
الصقالبة وأفرس ، وجنس يدعى منابن^(٩) ، وملكهم يدعى زنيير^(١٠) ، ثم جنس
[يقال له سرتين وهو جنس]^(١١) عند الصقالبة مهيب لعل يطول ذكرها وأوصاف
يكثر شرحها ، ونفرتهم من ملة ينقادون إليها ، ثم جنس يقال له صاصين^(١٢) ،
ثم جنس يقال له جروانيق^(١٣) ، ثم جنس يقال له خشانين^(١٤) ، ثم جنس

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (١) في ب « من ولد بار بن يافث » | (٢) في ب « ومساكنهم بالجدى » |
| (٣) في نسخة عند ب « النسطورية » | (٤) في ب « يدعى ماجل » |
| (٥) في ب « بصقلاخ » | (٦) في ب « وانج صلاف » |
| (٧) في ب « ياحيق » | (٨) في ب « يدعى عرابة » |
| (٩) في ب « ماين » | (١٠) في ب « ربيير » |
| (١١) زيادة عن ا وحدها | (١٢) في ب « مرادة » |
| (١٣) في ب « جروانش » | (١٤) في ب « صاصيف » |

يقال له برانجاين^(١)، وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الأجناس قَسِمَة معروفة
الوكهم، والجنس الذي سميناه المعروف بسرتين يحرقون أنفسهم بالنار إدامات فيهم
الملك والرئيس، ويحرقون دوابه، ولهم أفعال مثل أفعال الهند، وقد قدمنا في سالف
من هذا الكتاب طرفاً من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبيخ^(٢) والخزر، وأن في بلاد
الخزر [مع الخزر] خاقاً من الصقالبة والروس، وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران،
وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق، ويعبرون من المغرب^(٣).
فالأول من ملوك الصقالبة ملك الدير، وله مدن واسعة، وعمائر كثيرة، ملوك الصقالبة

وتجار المسلمين يقصدون دار ملكه بأنواع التجارات .

ثم بلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الأوانج^(٤)، وله مدن وعمائر
واسعة، وجيوش كثيرة، وعدد كثير، ومحارب الروم والإفرنج
والنو كبرد، وغير هؤلاء من الأمم، والحرب بينهم سجال.

ثم بلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الترك، وهذا الجنس أحسن
الصقالبة صوراً، وأكثرهم عدداً، وأشدّهم بأساً.

والصقالبة أجناس كثيرة، وأنواع واسعة، لا يأتي كتابنا هذا على وصف
أجناسهم ونفريع أنواعهم، وقد قدمنا الأخبار عن الملك الذي كان ينقاد إليه
ملوكهم في قديم الزمان، وهو ما جك [ملك] ولينا، وهذا الجنس أصل
من أصول الصقالبة معظّم في أجناسهم، وله قدم فيهم.

ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم؛ فزال نظامهم، وتجزّبت أجناسهم،
وملك كل جنس [منهم] ملكاً على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لأموال يطول
ذكرها، وقد أتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها في كتابنا^(٥)
« أخبار الزمان » من الأمم الماضية، والأجيال الخالية، والممالك الدائرة.

(١) في ب « حانين » (٢) في ب « الفتح » .

(٣) في ا « ويتعدون من المغرب » وفي ب « ويعدون من المغرب » وأظنه
تحريفاً عن « ويعبرون من المغرب » الذي أثبتناه .

(٤) في ب « ملك الإفرنج » . (٥) في ا « كباينا أخبار الزمان والأوسط » .

ذكر الإفرنجية والجلالقة ، وملوكها

[وما يتصل بذلك]

نسبهم وصفاتهم الإفرنجية والصقالبة والنوكبرد والأشبان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير ذلك ممن ذكرنا ممن حل الجدي^(١)، وهو الشمال، لا خلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء الأمم من ولد يافث بن نوح [وهو الأصغر من ولد نوح]؛ فالإفرنجية أشدهؤلاء الأجناس بأساً، وأمنعهم هيئة^(٢)، وأكثرهم عبدة، وأوسعهم ملكاً، وأكثرهم مدناً، وأحسنهم نظاماً واتقياداً لملوكهم، وأكثرهم طاعة؛ إلا أن الجلالقة أشد من الإفرنجية بأساً، وأعظم منهم نكاية، والرجل من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجية، وكلية الإفرنجية متفقة على ملك واحد، لا تنازع بينهم في ذلك، ولا تحزب، واسم دار مملكتهم في وقتنا هذا بويرة^(٣)، وهي مدينة عظيمة، ولهم من المدن نحو من خمسين ومائة مدينة غير العائر والكور.

مساكنهم وكان أوائل بلاد الإفرنجية قبل ظهور الإسلام في البحر جزيرة رودس، وهي الجزيرة التي ذكرنا أنها مقابلة للإسكندرية، وأن فيها دار صناعة المراكب في وقتنا هذا للروم، ثم جزيرة إقريطش، وقد كانت للإفرنجية أيضاً ففتحها المسلمون ونزلوها إلى هذه الغاية، وكانت بلاد إفريقية وجزيرة صقلية للإفرنجية أيضاً، وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان، وهي الأطمة التي يخرج منها أجسام من النار كأجساد الناس بلا رؤوس فتعلو في الهواء بالليل، ثم تسقط في البحر [فتطفو على الماء] وهي الحجارة التي يحك بها الكتابة من الدفاتر، وهي خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزناير الصغار، وهي

(٢) في « وأمنعهم جهة » .

(١) في ب « الجرا » .

(٣) في ب « نومة » .

الجزء الثانى : ذكر الإفرنجية والجلالقة ، وأخبارهم ٣٥

الأطمة المعروفة بأطمة صقلية ، وفيها قبر فرفوريس ^(١) الحكيم الذى صنف كتاب إيساغوجى ، وهو المدخل إلى علم المنطق ، وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف ، وكذلك أتينا على ذكر أطام الأرض ، دأطمة وادى برهوت من بلاد حضر موت وبلاد الشجر ، وأطمة بلاد الزابج ^(٢) من بحر الصين ، وأطمة بلاد أسك ، وهى ما بين بلاد فارس وبلاد الأهواز من أعمال مدينة أَرْجَان من بلاد فارس ^(٣) ، وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخاً ، وهى مشهورة بأرض الإسلام ، ونفسير أطمة هى عين النار التى تنبع ^(٤) من الأرض .

ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر الحمامات ^(٥) الكبيرة والزاجية ، ولا الحمامات التى تظهر من مائها النار بالأطمة ^(٦) التى يبلاد ماسبدان من أرض أريوجان والسيروان يقال لها النومان [وهى أطمة تظهر من وسط مائها النار] وهى أطمة عجبية تمنع ورود الماء عن إطفائها ، وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها ، وهى إحدى عجائب العالم ؛ إذ كنا قد أتينا على علل جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .

وقد أتينا على منافع أنواع المياه بمجوامع ذكرناها ، ولمع لوحنا بها ، فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأرض الواحات من بلاد مصر ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا .

-
- (١) فى ب « وفيها هلك مرقونوس » .
 - (٢) فى ب « الزنج » .
 - (٣) زيادة عن ا وحدها .
 - (٤) فى ب « التى تعرض من الأرض » .
 - (٥) فى ب « لذكر الخاصة » .
 - (٦) فى ب « كالخاصة » .

ملوك الإفرنجية قال المسعودي ، ووجدت في كتاب وقع إلى بفسطاط مصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة^(١) أهداه عرماز الأسقف بمدينة جريدة من مدن الإفرنجية في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة إلى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية [بن هشام] بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولي عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت في عهده : يأمر المؤمنين ، إن أول ملوك إفرنجية قلو دية ، وكان محوسياً فنصرته أسراته وكان اسمها غرطلة ، ثم ملك بعده ابنه لذريق ، ثم ولي بعد لذريق ابنه دقشرت ، ثم ولي بعده ابنه « لذريق » ، ثم ولي بعده « قرطان » ابن دقشرت ، ثم ولي بعده ابنه « قارلة »^(٢) ثم ولي بعده « تبين »^(٣) ثم ولي بعده « قارلة »^(٢) تبين « وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وكان في أيام الحكم صاحب الأندلس ، وقد تدافع أولاده بعده ووقع الاختلاف بينهم ، حتى تغانت الإفرنجية بسبيهم ، وصار لذريق بن قارلة^(٢) صاحب ملكهم ؛ فملك ثمانياً وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي أقبل إلى طرطوشة فحاصرها ، ثم ولي بعده ابنه « قارلة بن لذريق » وهو الذي تهادن^(٣) مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان محمد يخاطب بالإمام ، وكانت ولايته تسعاً وثلاثين سنة ، وستة أشهر ، ثم ولي بعده ابنه « لذريق » ستة أعوام ، ثم وثب عاياه فائد الإفرنجية المسمى نوسة^(٤) ، وملك إفرنجية ، وأقام في ملكه ثمان سنين ، وهو الذي صالح المجوس على بلده سبع سنين بسمائة رطل ذهب وسمائة رطل فضة يؤديها صاحب الإفرنجية إليهم ، ثم ولي بعده « قارلة بن تقويرة »^(٥) أربع سنين ، ثم ملك بعده قارلة آخر ، ومكث

(١) كذا والمؤلف يذكّر دأمانه اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وانظر أول ٣٧ أيضاً

(٢) عى ب « نازلة » (٣) فى ب « وهو الذى كان يهادى محمد — إلخ »

(٤) فى ب « المسمى برشة » (٥) فى ب « نازلة بن بغيرة » .

الجزء الثاني : ذكر الإفرنجية والجلالة ، وأخبارهم ٣٧

إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، ثم ولى بعده « لذريق ابن قارلة » .
وهو ملك إفرنجية إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين^(١) وثلاثين وثلاثمائة .
— وقد استوفى في مملكته عشر سنين إلى هذا التاريخ على حسب ما نرى
إلينا من خبره .

قال المسعودي : وأشد ما على الأندلس من الأمم المحاربة لهم الجلالة ، كأن
الإفرنجية حربٌ لهم ، غير أن الجلالة أشد بأساً ، وقد كان لعبد الرحمن بن محمد
صاحب الأندلس في هذا الوقت وزير من ولد أمية^(٢) يقال له أحمد بن إسحاق
فقبض عليه عبد الرحمن لأمر كان منه استحق عليه في الشريعة العقوبة ، فقتله
عبد الرحمن ، وكان للوزير أخ يقال له أمية في مدينة من ثغور الأندلس ، يقال
لها شَنْتَرِين^(٣) ، فلما نبى إليه ما فعل بأخيه عصى على عبد الرحمن ، فصار في حيز
رذمير ملك الجلالة ، فأعانه على المسلمين ، ودلَّه على عورتهم ، ثم خرج أمية في
بعض الأيام من المدينة يتصيد في بعض منزهاتها ، فغلب على المدينة بعض غلمانه
ومنعه من الدخول إليها ، وكتبوا إلى عبد الرحمن^(٤) ، ومضى أمية بن إسحاق
أخو الوزير المقتول إلى رذمير ، فاصطفاه ، واستوزره ، وصيره في حملته^(٥) ، وغزا
عبد الرحمن صاحب الأندلس سمورة^(٦) مملكة الجلالة المتقدمة صفة بنيانها
وأسوارها في باب جمل الأخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأم
ومراتب الملوك وأخبار الأندلس وغير ذلك ، وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو
يزيدون ، فكانت الواقعة بينه وبين رذمير ملك الجلالة في شوال سنة سبع
وعشرين وثلاثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة أيام ، وكانت

(١) في ١ « وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة » وانظر أول ص ٣٦ السابقة .

(٢) في ١ « من ولد أبيه » . (٣) في ب « سيرين » .

(٤) في ١ « وكتب عبد الرحمن » (٥) في ١ « في حملته » .

(٦) في ب « بثورة » .

للمسلمين عليهم ، ثم أنابوا^(١) بعد أن حوصروا وأولجوا إلى المدينة قتلوا من المسلمين — بعد عبورهم الخندق — خمسين ألفاً ، وقيل : إن الذي منع رزمير من طلب مَنْ نجا من المسلمين أميةُ بن إسحاق ، وخَوْفُه الكهين ، ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الأموال والعُدَدِ والخزائن ، ولولا ذلك لَأَتَى على جميع المسلمين ، ثم إن أمية بعد ذلك استأمن إلى عبد الرحمن ، وتخلص من رزمير ، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول . وقد كان عبد الرحمن [صاحب الأندلس] بعد هذه الواقعة جَهَّزَ عساكر مع عدة من قواده إلى الجلالة ، وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالة ضعف ما قتل من المسلمين في الواقعة الأولى ، وكانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية ، ورزمير ملك الجلالة إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين^(٢) وثلاثين وثلاثمائة — وكان قبله على الملك أردون [وكان قبل أردون أذبوشن]^(٣) ، والجلالة والإفرنجية تدين بدين النصرانية على رأى الملكية .

(١) في ب « ثم تابوا » .

(٢) في ا « وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة » .

(٣) زيادة عن ا وحدها .

ذكر النوكبرد، وملوكها

قد تقدم ذكرنا للنوكبرد، وأنهم من ولد يافث بن نوح، وبلادهم متصلة
بالغرب، ومحلمهم بالجدى، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس، وهم ذوو بئس
شديد ومنعة، ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد، وأسماء ملوكهم في سائر
الأعصار « أدنكيس » والمدينة العظمى من مدنها ودار عملكنهم هي يست،
ويخترقها نهر عظيم، وهي جانبان، وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر
والعجائب يقال له سايط، قد ذكره جماعة ممن عني بهذا المعنى ممن تقدم، وكان
المسلمون ممن جاورهم من بلاد الأندلس والغرب غلبوهم على مدن كثيرة من
مدنها مثل مدينة باري ومدينة طارنيو ومدينة شبرامة وغيرها من مدنها الكبار.
ثم إن النوكبرداً تابوا^(١) ورجعوا على من [كان] في تلك المدن من المسلمين
فأخرجوهم عنها بعد حرب طويل، وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا —
وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — في أيدي النوكبرد .

قال المسعودي: ومن ذكرنا من الجلالة والإفرنجية والصقالبة والنوكبرد وغيرها
من الأمم فديارهم متقاربة، والأكثر منهم حرب لأهل الأندلس، وصاحب
الأندلس في هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه وأخباره، وقد كان
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار إلى الأندلس في أول دولة بني العباس، وله أخبار
كثيرة في كيفية وصوله إلى الأندلس، ودارمما حكة الأندلس قرطبة على ما ذكرنا،
ولهم مدن كثيرة وعماير [متصلة] واسعة، وثغور في أطراف أرضهم، وربما يجتمع
عليهم من جاورهم من الأمم من ولد يافث من الجلالة والإفرنجية وغيرها من
الأسن^(٢) وصاحب الأندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف، وهو ذو منعة
بالرجال والمال والكرّاع والعدد، والله أعلم .

(١) في « تابوا » .

(٢) في ب « من الأمم » .

ذكر عاد وملكها

عاد الأولى ذكر جماعة من ذوى العناية بأخبار العالم أن الملك يُؤثر^(١) من بعد نوح في عاد الأولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ، ومصدق ذلك قوله عز وجل : (وأنه أهلك عاداً الأولى) فإنه يدل على تقدمهم ، وأن هناك عاداً ثانية ، وأخبر الله عن ملكهم ، ونطق بشدة بطشهم ، وما بنوه من الأبنية المشيدة التي تدعى على مر الدهور العادِيَّة ، وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه إياهم : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين) .

عاد أول ملك عاد أول من ملك في الأرض في قول هذه الطائفة ، بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح ، وذلك لقوله تعالى : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أن هؤلاء القوم كانوا في هيات النخل طولا ، وكانوا في اتصال الأعمار وطولها بحسب ذلك من القدر ، وكانت نفوسهم قوية ، وأكبادهم غليظة ، ولم يكن في الأرض أمة هي أشد بطشا وأكثر آثاراً وأقوى عقولا وأكثر أحلاماً^(٢) من قوم عاد ، ولم يكن الهلك يعرض في أجسامهم ، لقوة آثار الطبيعة فيها ، وما أوتوه من الزيادة في تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل .

نسب عاد: وكان عاد رجلاً جباراً عظيم الخلق ، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكان عاد يعبد القمر ، وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد ، وأنه تزوج ألف امرأة ، وكانت بلاده متصلة باليمن ، وهي بلاد الأحقاف ، وبلاد

(١) في ١ « تأثر من بعد نوح » .

(٢) في ١ « وأعظم أخلاقاً »

صحارى^(١) [هى و] بلاد عمان إلى حضر موت على حسب ما قدمنا آتفاً فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا

وقد ذكر جماعة من الإخباريين — ممن غنى بأخبار العرب — أن عاداً لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ، ورأى البطن العاشر من ولده ، وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الأمر ، غمر^(٢) إحسانه الناس^(٣) ، وقرى الضيف ، وأحواله منتظمة ، والدنيا عليه مقبلة ، فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات

وكان الملك بعده فى الأكبر من ولده ، وهو « شديد بن عد » وكان شديد بن عاد ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده أخوه « شداد بن عاد » وكان ملكه تسعمائة سنة ، ويقال : شداد بن عاد إنه احتوى على سائر ممالك العالم ، وهو الذى بنى مدينة إرم ذات العمد ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من كتبنا عند إخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها [وماهيتها] وفى أى بلاد هى .

وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال : (ألم تركيف فعل ربك يعاد إرم ذات العمد) وإلى هذه الأمة^(٤) انتهى البطش ، ولشداد بن عاد مسير فى الأرض ، وطواف فى البلاد [وبأس] عظيم فى ممالك الهند وغيرهما من ممالك الشرق والغرب ، وحروب كثيرة ، أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ، ومُعَوِّلنا فى ذلك على ما بسطنا من أخبارهم فى كتاب « أخبار الزمان : من الأمم الماضية ، والأجيال الخالية ، والممالك الدائرة » وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب — عند ذكرنا تفرق الناس بيبابل وتشعب الأنساب ، وما قالوا فى ذلك من الأشعار — جملاً من أخبار عاد ونبيها هود ، فأما تنازع الناس ممن سلف وخلف فى العلة التى

(١) فى ب ١ سنجار « محرفا ، وكلمة « وهى » ساقطة منها .

(٢) فى ا ١ عم . (٣) فى ب « النامى » .

(٤) فى ب « وإلى هذه المدينة » .

لها عظمت أجسامهم وطالت أعمارهم فقد أتينا على ذكر ذلك في كتابنا المترجم بـ «كتاب الرؤس السبعة من السياسة الملوكية» وكذلك في كتابنا المترجم بـ «كتاب الزلف» .

[وذكرنا العلة التي لها ومن أجلها عدم كون السباع والجمال بأرض الأندلس، وما يتكون في هذه الأرض من الجواهر في نباتها ومعادتها، وما في أرض جليقية، وإلى هذه الأرض أضيفت مملكة الجلالة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب، وهم أشد الأمم على أهل الأندلس، وأعظمهم بطشاً بمن جاورهم، ثم يليهم في الناس أمة عظيمة الملك يقال لها الوشكنش، على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا مما تقدم تأليف هذا الكتاب^(١)]

ذكر ثمود وملوكها، وصالح نبيها

مساكن ثمود قد ذكرنا فيما سلف من ذكر ثمود [ونبيها صالح عليه السلام لمعا، وإن كنا قد بسطنا ذلك] في غير هذا الكتاب، وكان ملك ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي، وديارهم بفتح الناقة، وبيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية^(٢) منحوتة في الجبال، ورسومهم^(٣) باقية، وآثارهم بادية، وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى، وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا، وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر أجسامنا، دون ما يخبر به القصص من بعد أجسامهم، وليس هؤلاء كعاد؛ إذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنائهم بأرض الشحر تدل على بعد أجسامهم .

(١) هذا الكلام لا يوجد في ب، وهو ثابت في أ في هذا الموضع، وظاهر أن محله الحقيقي في الباب الذي قبل هذا الباب .

(٢) في أ «بنية منحوتة في الجبال» . (٣) في ب «ورسمهم باقية» .

وكان ملك الملك الأول من ملوكهم مائتي سنة ، وهو عابر بن إرم بن ملوك ثمود ثمود بن عابر [بن إرم] بن سام بن نوح .

ثم ملك بعده « جندع بن عمرو » بن الذليل^(١) بن إرم بن ثمود بن عابر ابن إرم بن سام بن نوح ، وكان ملكه إلى أن هلك مائتي سنة وتسعين سنة ، وهلك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبي صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة ، فجميع ما ملك هذا الملك - وهو جندع - ثلثمائة وسبع وعشرون سنة ؛ فهؤلاء ملوك ثمود .

وبعث الله صالحاً نبياً وهو غلام حدث ثمود على حين فترة كانت بينه صالح رسول الله وبين هود نحو من مائة سنة ، فدعاهم إلى الله ، وملكهم يومئذ هو جندع ابن عمرو على ما ذكرنا ، فلم يجب صالحاً من قومه إلا نفر يسير ، وكبر صالح ، ولم يزد قومه من الإيمان إلا بُعداً ، فلما تواتر عليهم إعذاره وإنذاره ووعدته ووعيدته ساموه المعجزات ، وإظهار العلامات ، لينعوه من دعائهم ، وليعجزوه عن خطابهم ، فحضر عيداً لهم ، وقد أظهروا أوثانهم ، وكان القوم أصحاب إبل ، فساءوه الآية من جنس أموالهم^(٢) ، وطلبوه بما هو مجانس لأملأهم ، [وذلك] من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم : يا صالح ، إن كنت صادقاً في قولك ، وأنتك مُعَبَّرٌ عن ربك ، فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ، ولتكن [وَبَرَاء] سوداء عُسْرَاءَ نَتُوجَّأَ حالكاً صافية^(٣) اللون ذات عرف وناصية وشعر ووبر ، فاستغاث بربه ، فتحركت الصخرة وتململت ، وبدا منها حنينٌ وأنين ، ثم انصدعت من بعد تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة ، وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ، ثم تلاها من الصخرة سَقَبٌ لها نحوها في الوصف ، فأمتعنا في رَغَى الكَلَاءِ وطلب [الماء] للرعى ، فأمن خلق بمن حضره ، وزعيمهم

(١) في ب « بن الذيل » .

(٢) في ا « فساموه الدلالة من حيث أموالهم » .

(٣) في ا « صهاية » وليس فيها كلمة « اللون » .

الذي سأله وهو جندع بن عمرو ، وأقامت الناقة يحابون من لبنها ما يعم شربه ثمودا كلها ، وضايقتهم في الكلاء والماء ، وكان في ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال ، فزارها رجلان من ثمود ، وهما قدار بن سالف ، ومصدع بن مفرج^(١) ، والمرأتان عنيزة بنت غنم^(٢) ، وصدوف بنت الحيا^(٣) . فقالت صدوف : لو كان لنا في هذا اليوم ماء لأسقين كما خفرا ، وهذا يوم الناقة ووردها [إلى الماء] ولا سبيل لنا إلى الشرب ، فقالت عنيزة : بلى والله لو أن لنا رجلا لكفونا إياها ، وهل هي إلا بعير من الإبل ؟!! فقال قدار : يا صدوف ، إن أنا كفيتك أمر الناقة فمالى عندك ؟ فقالت : نفسى ، وهل حائل دونها عنك ؟ فأجابت الأخرى صاحبها بنحو ذلك ، فقالا : ميلا علينا بالخمر ، فشربا حتى توسطنا السكر ، ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط^(٤) ، وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابه بقوله : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وقصدوا طريق الناقة في حال صدورهما ، فضرب قدار عرقوبها بالسيف ، فعرقبها^(٥) ، وأتبع صاحبه الآخر العرقوب الآخر [بسهمه] ، نفرت الناقة لوجهها ، ووجأ قدار كبتهم فنحرها ، ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم فمقره [وفرقوا اللحم الناقة]^(٦) ، وورد صالح فنظر إلى ما فعلوه ، فوعدهم العذاب ، وكان ذلك في يوم الأربعاء ، فقالوا له مستهزئين : يا صالح ، متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك ؟ فقال : تصبح وجوهكم يوم مؤنس — وهو يوم الخميس — مصفرة ، ويوم العروبة محمرة ، ويوم شيار مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم أول ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والأيام بانهم ، فهم التسعة بقتل صالح ، وقالوا : إن كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا ، وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ، فحالت

(١) في ١ « ومصدع بن مفرج » . (٢) في ب « بنت زعيم » .

(٣) في ب « وصدوف بنت الحيا » .

(٤) في ١ « فاستغويا تسعة رهط » . (٥) في ١ « فمقرها » .

(٦) لا توجد هذه الجملة في ب .

الجزء الثانى : ذكر ثمود وملوكهم ، وهلاكهم ٤٥

الملائكة بينهم وبينه ، وأمطرتهم الحجارة ، ومنعه الله منهم ، فلما أصبحوا نظروا إلى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها ألورس : قد حالت الألوان ، ونغيرت الأجسام ، وتيقن القوم صدق الوعد وأن العذاب واقع بهم ، وخرج صالح فى ليلة الأحد من بين ظهرائهم مع من خف من المؤمنين ، فنزل ووضع مدينة الرمله من بلاد فاسطين ، وأباهم العذاب يوم الأحد ، وفيهم بقول^(١) بعض من آمن بصالح عليه السلام :

أراكم يا رجال بنى عتيد كأن وجوهكم طليّت بورس
ويوم عروبه أحمّرت وجوه مضمقره ، نادوا يال مرس
ويوم شيار فاسودّت وجوه من الحيين قبل طلوع شمس
فلما كان أول فى نجاه أتهم صيحه عمت بتعس
وفيهم يقول حباب بن عمرو ، وكان ممن اعتزلهم من المؤمنين إ وبان
عن ديارهم :

كانت ثمود ذوى عزّ ومكرمة ما إن يضام لهم فى الناس من جاري
إ لا يرهبون من الأعداء حولهم وقع السيوف ، ولا نزعا بأونارا^(٢)
فأهلكوا ناقة كانت لزبهم قد أنذروها وكانوا غير أبرار
إ نادوا أقداروا لحم السقّب بينهم هل للعجول وهل للسقّب من ثا إ
إ لم يرعيا صالحا فى عقر ناقته وأخفروا العهد هذيا أى إخفارا
إ فصادفوا عنده من ربه حرسا فشدّخواروسهم : دُخا بأحجارا

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب - عند ذكرنا لتفرق الناس ببابل - من أخبار ثمود فجلا ، وما كان من أمر الناس إ بأرض بابل إو افتراق لغاتهم ، وما قاله كل فريق منهم من الشعر ، على حسب ما أعطاه الله من اللسان ، وإن كنا قد أتينا على شرح ذلك على السكال فيما نقدم لنا من كتابنا « أخبار الزمان » وبالله التوفيق .

(١) لا توجد القطعة الأولى فى (٢) الآيات الأربعة التى بين المعقوفين سابقة من إ

ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت

وَمَنْ تَدَاوَلَهُ مِنْ جُرْهُمُ وَغَيْرِهَا ، وَمَا لَحِقَ بِهَذَا الْبَابِ

سكن إسماعيل ولما أسكن إبراهيم ولده إسماعيل مكة مع أمه هاجر ، واستودعها خالقه على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير ذي زرع ، وكان موضع البيت ربوة حراء - أمر إبراهيم هاجر أن تتخذ عليها عريشاً يكون لها مسكناً ، وكان من ظمأ إسماعيل وخبر هاجر ما كان إلى أن أنبع الله لها زمزم ، وأفحط الشجر واليمن ، فتفرق المالق وجرم [في البلاد] وَمَنْ هُنَاكَ مِنْ بَقَايَا عَاد .

نزول المالق معهما فیمت المالق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصبية ، وعليهم السميع بن هوير بن لاوى بن (١) قيطور بن كركر بن حيدان ، فلما أمعت بنو كركر في السير - وقد عدت الماء [والمرعى] ، واشتد بها الجهد - أقبل السميع بن هوير يحثهم على السير في شعير له ويشجعهم بما قد نزل بهم ، وهو .

سيروا بنى الكركر في البلاد إني أرى ذا الدهر في فساد قد سار من قحطان ذي الرشاد [جُرْهُمُ لَمَّا هَذَا التَّعَادَى] (٢) فأشرف رؤوؤهم المتقدمون منهم لطلب الماء على الوادي ، فنظروا الطير ترتفع وتنخفض ، فهبطوا الوادي ونظروا إلى العريش على ربوة الحراء ، وفيها هاجر وإسماعيل ، وقد زمت حول الماء (٣) بالأحجار ومنعته من الجريان ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله أمنا هاجر ، لولا أنها بخلت ومنعت ماء زمزم من أن يجري بما حوطت حوله من الأحجار لجرى الماء على وجه الأرض » فسلم الرؤوؤاد عليها ، واستأذنها في نزولهم وشربهم من الماء ،

(١) في ب « السميع بن هود بن لابي بن قنطور بن كركر بن حيدان » .

(٢) ما بين العقوفين ساقط من ا (٣) في ا « وقد زما . . ومنعوه » .

الجزء الثاني : ذكر مكة ، وأخبارها ، وبناء البيت ٤٧

فَأَنسَتْ إِلَيْهِمْ ، وَأَذْنَتْ لَهُمْ فِي النُّزُولِ ، فَتَلَقَوْا مَنْ [كَانَ] وَرَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِهِمْ ، وَأَخْبَرُوهُمْ خَبَرَ الْمَاءِ ، فَزَلُّوا الْوَادِيَّ مُطْمَئِنِّينَ ، مُسْتَبْشِرِينَ بِالْمَاءِ ، وَبِمَا أَضَاءَ الْوَادِيَّ مِنْ نُورِ النَّبُوءَةِ وَمَوْضِعِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، [فَرَحِينَ ، وَعَئِيلَ إِسْمَاعِيلَ] ، وَتَكَلَّمَ إِسْمَاعِيلُ بِالْعَرَبِيَّةِ خِلَافَ لُغَةِ أَبِيهِ .

وقد ذكرنا في هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس في ذلك من قَحْطَانَ وَنَزَارٍ وَتَرْوُجَ إِسْمَاعِيلَ بِالْجَدَاءِ بِنْتِ سَعْدٍ الْعِمْلَاقِي .

وقد كان إبراهيم استأذن سارة في زيارة إسماعيل ، فأذنت له ، فوافي مكة زيارة إبراهيم وإسماعيل في الصيد [والرعى] ومعه أمه هاجر ، فسلم على الجداء [بنت سعد] الأولى لابنه زوجة إسماعيل ، فلم تردّ عليه السلام ، فقال : هل من منزل ؟ فقالت : لا ها الله ، قال : فما يفعل رب البيت ؟ قالت : هو غائب ، فقال لها : إذا ورد فأخبريه أن إبراهيم يقول لك بعد مسألته عنك وعن أمك : استبدل بعتبة بيتك غيرها ، وانصرف إبراهيم من قوره نحو الشام ، وراح إسماعيل وهاجر ، فنظرا إلى الوادي قد أشرق وأنار ، والأغنام تنسم ^(١) الآثار ، فقال لزوجته الجداء : هل كان لك بعدى من خبر ؟ قالت : نعم ، شيخ وردّ على ، وأخبرته بالقصة ، فقال : ذاك أبي خليل الرحمن ، وقد أمرني بتخليتك ، فالحقّي بأهلك ، فلا خير فيك .

وتسامعت جرهم بنى كركرو ونزلهم الوادي ، وما هم فيه من الخصب وإدراار ^{مكة} نزول جرهم الضرع ^(٢) ، وهم في حال القحط ، فبادروا نحو مكة ، وعليهم الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هيني ^(٣) بن نبت بن جرهم ، حتى أتوا الوادي ، ونزلوا مكة ، واستوطنوها مع إسماعيل ومن تقدمهم من العاليق من بنى كركرو ، وقد قيل في [بنى] كركرو : إنهم من العاليق ، وقيل : إنهم من جرهم ، والأشهر أنهم من العاليق ، وتزوج إسماعيل زوجته الثانية ، وهي سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هيني بن نبت .

(١) في ١ « والأغنام تنسم الآثار » . (٢) في ١ « ودرور الضرع » .

(٣) في ب « ظالم بن محالة بن هي بن نبت » .

زيارة إبراهيم
الثانية

واستأذن إبراهيم سارة في زيارة إسماعيل ، فاستحلفته غيرته عليه أنه إذا أتى
الموضع لا ينزل من ركبته ، وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه : فمنهم
من قال : إنه كان راكباً على البراق ، ومنهم من قال : على أنانٍ ، وقيل غير ذلك من
الحيوان ، فلما أتى إبراهيم الوادي سلم على زوجة إسماعيل الجرهمية ، فسلمت عليه ،
ورحبت به وتلقته بأحسن لقاء^(١) ، وسألها عن إسماعيل وهاجر ، فأخبرته بخبرها ،
وأنها في رعيتهما ، وعرضت عليه النزل ، فأبى ، وقيل : إن هاجر كانت قد
ماتت ولها من السن تسعون سنة ، وألحت الجرهمية على إبراهيم في النزول ،
فأبى ، فقدمت إليه لبناً وشرائح من لحم الصيد ، فدعا فيه بالبركة ، وجاءته
بمجر كان في البيت ، فقال عن ركبته^(٢) ، وجعلته تحت قدمه اليمنى ، ثم رجّلت
شعره ودهنته ، ثم حوّلت الحجر إلى شماله ، فوضع رجله اليسرى عليه أيضاً ،
ومال برأسه نحوها ، فرجّلته ودهنته ، فأثرت قدماء في الحجر على ما وصفنا
من ترتيب اليمين والشمال ، فلما رأت الجرهمية ذلك أكبرت ما شاهدته^(٣) ،
وهذا الحجر هو مقام إبراهيم ، فقال لها إبراهيم : ارفعيه ، فيكون له شأن ونبأ
بعد حين ، ثم قال لها : إذا جاءك إسماعيل فقلولي له : إن إبراهيم يقرأ عليك
السلام ويقول لك : احتفظ بعتبة بيتك ، فنعمت العتبة هي ، وسار إبراهيم
راجعاً نحو الشام .

سر تسمية
إسماعيل

وقيل : إنما سمي إسماعيل لأن الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت
من سيدتها سارة أم إسحاق ، وقيل : إن الله سمع دعاء إبراهيم .

وقبض إسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة ؛ فدفن في المسجد الحرام
حيال الموضع الذي [كان]^(٤) فيه الحجر الأسود .

(١) في ١ « بأحسن لقاء » . (٢) في ١ « فمال على ركبته » .

(٣) في ١ « أكبرته » . (٤) لا توجد هذه الكلمة في ب .

الجزء الثاني : ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ٤٩

وولد لإسماعيل اثنا عشر ولداً ذكراً ، وهم نابت^(١) ، وقيدار ، وأدليل ، أبناء إسماعيل ومبسم ، ومشمع ، ودوما ، ودوام ، ومسا ، وحداد ، وثيا ، ويطور ، وناقش وكل هؤلاء قد أنسل^(٢) .

وقد كان إبراهيم قدم إلى مكة وإسماعيل ثلاثون سنة ، حين أمره الله ببناء الكعبة تعالى بيناء البيت ، فبناءه ، وكان إسماعيل يأتي بالحجر من عسدة^(٣) جبال ذكرت ، وطوله ثلاثون ذراعاً ، [والحجر فيه وهو سبعة أذرع] ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، وسمكه سبعة أذرع^(٤) ، وجعل له باباً ، ولم يسقف ، ووضع الركن موضعه ، وألصق المقام بالبيت ، وذلك قوله عز وجل : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) الآية ، وأمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج .

ولما قبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت بن إسماعيل ، ثم قام من بعده ولادة البيت من أناس من جرهم ، لغلبة جرهم على ولد إسماعيل ، وكان ملك جرهم يومئذ الحارث جرهم وأبناء إسماعيل ابن مضاض ، وهو أول من ولي البيت ، وكان ينزل هناك في الموضع المعروف بقميقعان في هذا الوقت ، وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرين^(٥) عليه ، وذلك في أعلى مكة ، وملك المالقي السميندع بن هو بر [بن لاوي بن قبطور بن كركر بن حيد] وكان ينزل أجباداً من أسفل مكة ، وكان يُعشر^(٥) من دخل مكة من ناحيته ، وكانت بينهم حروب ، فخرج الحارث بن مضاض ملك جرهم تتقفع معه الرماح والدرك ، فسمى الموضع بقميقعان لما ذكرنا ، وخرج السميندع ملك المالقي ومعه الجياد من الخليل فعرف للوضع بأجباد إلى هذا الوقت ، فكانت على

(١) في بعض هذه الأسماء اختلاف كثير ، وقد رأينا بقاء كما في ا ، فمن أمثلة ذلك أنه وقع في ب « نابت وقيدار وإربل ومسيم ومسمع ودوما ودوام ومشي وحداد ونم ويطور ونابسر » .

(٢) في ا « وكل هؤلاء قد أسلم » محرفاً . (٣) في ب « عشرة جبال »

(٤) في ا « تسعة أذرع » . (٥) عشرين عليه : أي أخذ عشرينها .

(٤ - مروج الذهب ٢)

الجرهيين واقتضحوا ، فسمى الموضع فاضحا إلى هذا الوقت ، ثم اصطاحوا ونحروا [الْجُزْرَ] وطبخوا فسمى الموضع بطابخ إلى الآن ، وصارت ولاية البيت إلى العماليق ، ثم كانت لجرهم عليهم ، وأقاموا ولاية البيت نحو ثلثمائة سنة ، وكان آخر ملوكهم الحارث بن مُضاض الأصغر بن عمرو بن الحارث بن مُضاض الأكبر ، وزادوا في بناء البيت ، ورفعته على ما كان عليه من بناء إبراهيم عليه السلام ، وبَغَتْ جرهم في الحرام وطَغَتْ ، حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة ، وكان الرجل يدعى ياساف والمرأة نائلة ، فمسخما الله عز وجل حجرين صُيِّرَا بعد ذلك وثنين وعُيِّدَا تقربا بهما إلى الله تعالى ، وقيل : بل هما حجران نَحْتَا وَمُتَمَلَّا بمن ذكرنا وسميا بأسمائهما ، فبعث الله على جرهم الرُّعَافَ والنمل وغير ذلك من الآفات ^(١) فهلك كثير منهم ، وكثر ولد إسماعيل [وصاروا ذوى قوة ومنعة فغابوا على أخوالهم جرهم] ^(٢) وأخرجوهم من مكة ، فلحقوا بجُهِينَةَ ، فأناتهم في بعض الليالي السيل فذهب بهم ، وكان الموضع يعرف بإضم ، وقد ذكر ذلك أمية بن أبي الصَّلْتِ الثقفي في شعر له فقال :

إساف ونائلة
صنان

وجرهم دمنوا تهامة في الد هز فسالت بجمعهم إضم
وفي ذلك يقول الحارث بن مُضاض الأصغر الجرهمي :

سَأَنْ لم يكن بين الحُجُونِ إلى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها ، فأبادنا صروف الليالي والحدود العوائر
و كنا لإسماعيل صهراً ووصلة ولما تَدُرُ فيها علينا الدوائر ^(٣)
و كنا ولاية البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر ^(٤)
[فَبَدَّلْنَا رَبِّي بِهَا دار غربة بها الذئب يعوى والعدو المحاصر] ^(٥)
وفيما ذكرنا من أخبارهم يقول عمرو بن الحارث بن مُضاض الأصغر الجرهمي :

(١) في ١ « وغير ذلك من الآيات » .

(٢) زيادة في ب وحدها . (٣) في ١ « صهرا وجيرة » .

(٤) في ١ « والخير ظاهر » ، (٥) لا يوجد هذا البيت في ١

الجزء الثاني : ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ٥١

وكنا ولاية البيت والقائِنَ الذي إليه يؤدِّي نذرَهُ كلُّ محرم
سكناً بها قبل الظباء وراثته لها عن بني هَينِي بن نبت بن جُرمهم
[وفي ذلك يقول :^(١)

كهفنا جرمهم ، وأية كهفٍ ووُلاةٍ لبيته والحجاب
فَسَقُوا في الحرام بعد نُقَامٍ واستعاضوا العقاب بعد الثواب]^(١)

ثم صارت ولاية البيت في ولد إياد بن نزار بن معد ، وكانت حروب كثيرة
بين مضر وإياد ، وكانت لضر على إياد ، فأنجلوا^(٢) عن مكة إلى العراق .
وسنورد بعد هذا جملاً من أخبار مكة وولد نزار وخُزاعة وغيرهم .

قال المسعودي : وقد أتينا على جل من الأخبار في هذا الباب من أخبار رواية أخرى
جرهم وغيرها ، ووجدت في [وجه] آخر من الروايات أن أول من ملك من ملوك في الولاية بمكة
جرهم بمكة مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هينِي بن نبت بن جرمهم بن
قحطان مائة سنة ، ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة وعشرين سنة ، ثم
ملك بعد الحارث بن عمرو مائتي سنة ، وقيل دون ذلك ، ثم ملك بعده عمرو بن
الحارث مائتي سنة [وقيل دون ذلك] ثم ملك مُضَاض بن عمرو الأصغر بن
الحارث بن عمرو بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هينِي بن نبت بن
جرهم بن قحطان أربعين سنة .

وانقرضت العرب العاربة من عاد وثمود وعبيد وطُسم وجَدِيس والعماليق
وويار^(٣) وجرهم ، ولم يبق من العرب إلا من كان من عدنان وقحطان ، ودخل
من بقي ممن ذكرنا من العرب البائدة في عدد قحطان وعدنان ، فأنمحت
أنسابهم وزالت آثارهم

(١) ما بين المعقوفين لا يوجد في ا

(٢) في ا « فأنجلوا عن مكة »

(٣) في ب « وإياد وجرهم » وليس بشيء ؛ لأن إيادا من العدنانية لا البائدة .

العاليق وقد كانت العاليق بَغَتْ في الأرض ، فساط الله عليهم ملوك الأرض فأفنتها ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للروم وأنسابها مَنْ أَلْحَقَ ولد عملاق وغيرهم ، ممن ذكرنا ، بولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وأن علماء العرب تنسبهم إلى غير هذا النسب ، وهو الأشهر في الناس ؛ وقد رثتهم الشعراء : فقال بعض من رثاهم :

مضى آل عملاق فلم يبق منهمُ خطير ، ولا ذو نخوة متشاوس^(١)
عَتَوْا فَأَدَّالَ اللهُ منهم ، وحكمه على الناس هذا وعده وهو سائس

طسم وجديس وأما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري ، بما كان بينهم من الشَّحْنَاء ، وطلب الرياسة ، فدثروا ، ولم يبق لهم باقية ، فضربت بهم العرب المثل ، وضربت بهم الشعراء المقال^(٢) [فن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم في قوله :

فَوَيْلٌ لِي مِنْ جَوَى هِم ريس من اللاؤا لَطَسَمَ أو جديس
بنو عم تفانوا بالمذاكي وباليوم الأَحَمَّ العيطموس^(٣)

أصحاب الرس أما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا ، وهم قوم حَنْظَلَةٌ ابن صفوان العبسي ، بعثه الله [إليهم] فكذبوه ، وقد ذكرنا من خبره لمعا ، وقد قيل في أصحاب الرأس أَوْجُهُ كثيرة غير ما ذكرنا في هذا الكتاب ، وقد ذكرت هذه القبائل في التوراة ، وكل يرجع إلى ولد سام بن نوح . من بنى إرم بن سام وهو من ولده عوص بن إرم ، ومن ولده [عابر بن إرم ، ومن ولده]^(٤) ماش بن إرم .

النيبط [فولد عوص عاد بن عوص ، وولد عابر ثمود بن عابر ، وولد ماش بن إرم]^(٥) نبط بن ماش ؛ فسأثر النبط وملوكها ترجع في أنسابها إلى نبط ابن ماش .

(١) في ١ « فلم يبق منهم * حقير » .

(٢) ما بين العقوفين لا يوجد في ١

الجزء الثاني : ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ٥٣

فحلّ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وولده الأحقاف من بلاد مسكن
حضر موت ، وحلّ ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وولده أكناف عاد وثمود
الحجاز ، وحلّ جدیس بن عابر بلاد جَوَّ ، وهي بلاد اليمامة ما بين البحرين وطسم وعيلا
والسبابة ، وهذا البلد في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — ونبيط

بيد ولد الأخيضر تسوى ، وهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضى
الله عنه ، وهو مجاور للبحرين ، ومن فيها إلى هذا الوقت ، وحلّ طسم بن
لود بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بنى جدیس ، وحلّ عماليق بن لود^(١)
ابن سام بن نوح الحجاز ، وقد ذكرنا ولد عيلام فيما سلف من هذا الكتاب
أنهم حلوا الأهواز وفارس ، وهو عيلام بن سام بن نوح ، وحلّ نبيط
ابن ماش بن إرم بن سام بن نوح بابل ، فغلبوا على العراق ، وهم النبط ،
ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم ، وأنهم الملوك الذين عمروا الأرض ،
ومهدوا البلاد ، وكانوا أشرف^(٢) ملوك الأرض ، فأدال منهم الدهر^(٣) ، وسلبهم
الملك والعز ، فصاروا على ما هم عليه من الذل في هذا الوقت بالعراق وغيرها .

وقد زعم جماعة من المتكلمين — منهم ضرار بن عمرو وثمالة بن الأنس
وعمر بن بحر الجاحظ — أن النبط خير من العرب ؛ لأن من جعل الله
تبارك وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكبر شرف في الدنيا
إلا وقد أعطاهم إياه ، ومن لم يجعله منهم فلم يدع أكبر شرف في الدنيا إلا
وقد أعراهم منه وسلبهم إياه ، ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبي
عليه السلام منهم أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بلوى على من لم
يجعل الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبي صلى الله
عليه وسلم عنهم ، إلا أنهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء .

(١) في ب « عمالوق بن أد » (٢) في ا « وكانوا أشرف ملوك الأرض » عخرها
(٣) في ا « فأذلهم الدهر » . (٤) زيادة في ا وحدها .

الرد
على الشعوية

قال للسعودي : ولما لم يبال من قدمنا ذكره من تشریف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم المحتج عن قحطان ونزار : إذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، فالعرب أيضاً تتعلق بهذه العلة التي اعتل بها النبط ، فتقول : قد صرنا بعد أفضل من النبط ؛ لما امتحننا به من سلب ما جعل الله للنبط من الفضل في شدة امتحانهم بسلب النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، والنبط أيضاً قد صاروا دون العرب ؛ إذ للعرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم بتعريتهم من فضل النبط على شدة امتحانهم بتعرية الله إياهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس للنبط ؛ فتصير العرب أيضاً خيراً من النبط ، وهذا لا يصح لهم إلا كما يصح عليهم ، والكلام متوجهٌ عليهم فيما قالوه ، ومكافئ لعلتهم فيما أوردوه : من تفضيل النبط على العرب .

وقد ذكرنا تنازع الناس في الأنساب والفضل بها وبالأعمال دون الأنساب [ومن فال العمل والنسب] ومن فال العمل دون النسب ، وما قالته الشعوية وغيرها في كتابنا « المقالات » ، في أصول الديانات »^(١) .

وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى في كتابه في الرد على الشعوية عللاً كثيرة ، وذكر أن من اختصه الله تعالى من عباده ، واصطفاه من خلقه ، أذاك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل ؟ قال : فإن زعم زاعم أن ذلك ثواب خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها ؛ لأنه لا يقال لمن أعطى الأجير أجرته وفي العامل نوابه : قد اختص فلان فلاناً بعطيته ، وإنما يقال ذلك إذا تطوع عليه^(٢) بالعطية بغير عمل ومنعها غيره بغير جرم ، وإن زعموا أنه تفضل قلنا

(١) في هذه العبارات قلق ليس بالقليل .

(٢) في ١ « تطول عليه بالعطية » ومعناه تفضل .

الجزء الثاني : ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ٥٥

لهم : فإذا جاز أن يصرف الله عز وجل رحمته إلى بعض خلقه بغير عمل استحقوها به ، فلم لا يجوز أن يشرفهم بأنسابهم ، وإن لم تكن الأنساب من أعمالهم ؟ ! فإن قالوا : ليس من العدل^(١) أن يشرفهم بغير أعمالهم ، قلنا لهم : أرأيتم إن عارضكم معارض ؛ فزعم أنه ليس من العدل أن يمن عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل كان منهم ، وبغير معصية كانت من غيرهم ، ماذا يكون الفصل بينكم معاشر الشعوبية وبينه ، وقد أخبر الله عن اصطفاة من خلقه فقال : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم) ؟

والواجب على ذى النسب الشريف ، والمجد الرفيع ، أن لا يجعل ذلك سلباً إلى التراخي عن الأعمال الموافقة لنسبه ، والاتكال على آبائه^(٢) ، فإن شرف الأنساب يحض^(٣) على شرف الأعمال ، والشريف بهذا أولى ؛ إذ كان الشرف يدعو إلى الشرف [ولا يثبط عنه] كما أن الحسن يدعو إلى الحسن [ويحرك عليه] وأكثر المدوحين إنما مدحوا بأعمالهم دون أنسابهم ، وهذا كثير في أشعار الناس ومنثور كلامهم ، وقد قال الشاعر في هاشم بن عبد مناف وهو إمام ذوى الأنساب :

عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالَ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
فَمَدَحُهُ بِعَمَلِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ نَسَبَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا رَفِيعًا ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلنَّوَى
الْأَنْسَابُ أَنْ يَكُونُوا كَمَا قَالَ أَخُوهُمْ وَشَرِيكُهُمْ فِي النَّسَبِ [عامر بن الطُّفَيْل] :
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمُهَذَّبُ
فَمَا سَوَّدَتْني عَامِرٌ عَنْ وَرَائِهِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَتَمُّوْا بَأْمَ وَلَا أَبَ
وَلَكِنِّي أَحْيَى حَمَاهَا ، وَأَتَقَى أَذَاهَا ، وَأَرْمَى مَنْ رَمَاهَا بِمَقْنَبِ
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :

(١) في ١ « ليس في العدل أن يشرفهم » . (٢) في ١ « والإنكار على آبائه »
عرفا . (٣) في ١ « يختص على أشرف الأعمال » وليس بذلك .

لسنا وإن كرمنا أوائلنا يوماً على الأحسابِ تكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ، وفعل كالذي فعلوا^(١)

ولاية خزاعة
أمر البيت
قال المسعودي : ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مأرب انخزع
بنو ربيعة ، فنزلوا تهامة ، فسُموا خُزَاعَة لانخضاعهم ، ولما ثارت الحرب
بين إِيَاد ومضر ابني نزار ، وكانت على إِيَاد قلعت الحجر الأسود ودفنته
في بعض المواضع ، فرأت ذلك امرأة من خُزَاعَة ، فأخبرت قومها ، فاشترطوا
على مضر أنهم إن رَدُّوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم ، فوفَّوا لهم بذلك ،
ووليت خُزَاعَة أمر البيت ، وكان أول من وليه منهم عمرو بن لُحَيٍّ ، واسم
لُحَيٍّ حارثة بن عامر^(٢) ، فغير دين إبراهيم وبَدَّلَه ، وبعث العرب على عبادة
التمثيل ؛ لخير قد ذكرناه في هذا الكتاب وغيره ، حين خرج إلى الشام ورأى
قوماً يعبدون الأصنام ، فأعطوه منها صنماً فنصبه على الكعبة ، وقويت
خُزَاعَة ، وغمَّ الناس ظلم عمرو بن لُحَيٍّ ، وفي ذلك يقول رجل من جُرهم
كان على دين الحنيفية :

يا عمرو لا تظلم بمكَّة إنها بلدٌ حرام
سائل بعادٍ أين همُ وكذلك تُخترَم الأنام
وبنى العالِق الذين لهم بها كان السَّوام

ولما أكثر عمرو بن لُحَيٍّ من نَصَب الأصنام حول الكعبة وغلب على
العرب عبادتها ، وانمحت الحنيفية منهم إلا لمعاً ، قال في ذلك شحنة بن
خلف^(٣) الجرهمي :

يا عمرو ، إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصابا
وكان للبيت ربٌّ واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا

(١) في ١ « وتعمل مثلما فعلوا » .

(٢) في ١ « حارث بن عامر »

(٣) في ب « شحنة بن خلف » .

لتعرفَنَّ بأن الله في مَهَلٍ سيصطفى دونكم للبيت حُجَّاباً
وَعُمَرَ عمرو بن لُحَى ثمانمائة سنة وخمساً وأربعين سنة .

وكانت ولاية البيت في خُرَاعة وفي مضر ثلاث خِصال : الإجازة بالناس
من عَرَقة ، والإفاضة بالناس غداة النحر إلى مِئى ، فاتتهى ذلك منهم إلى
أبى سَيَّارة ، فدفع أبو سَيَّارة من مزدلفة إلى مِئى أربعين سنة على حمار له ،
ولم يعتل في ذلك ، حتى أدركه الإسلام ، فكانت العرب تتمثل به فتقول
« أَصَحُّ مِنْ عَيْرِ أبى سَيَّارة »^(١) .

وفي أبى سَيَّارة يقول فائلهم :

نحن دفعنا عن أبى سَيَّارة حتى أفاض مُحَرِّماً حماره^(٢)

* مستقبل القبلة يدعو جاره *

والنساء للشهور الحُرُم^(٣) ، وكانت النساء في بنى مالك بن كنانة ، النساء والنساء
وكان أولهم أبو القلس^(٤) حذيفة بن عبد ، ثم ولده قلع بن حذيفة ، وورد
الإسلام وآخرهم أبو ثمامة ، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج
وأرادت الصَّدَر اجتمعت إليه ، فيقوم فيهم ، فيقول : اللهم إني قد أحللت
أحد الصَّغَرَيْنِ الصفر الأول ، وأنسأت الآخر للعام المقبل ، وظهر الإسلام
وقد عادت الشهور الحرم إلى بَدْئِها على ما كانت عليه في أصلها ،
وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والأرض » وما ذكر عليه الصلاة والسلام في هذا
الحديث إلى آخره ، فأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى : (إِنَّمَا

(١) في ١ « أحج من عير أبى سَيَّارة » .

(٢) في ١ « مجرياً حماره » . (٣) هذه هي الخصلة الثالثة .

(٤) في ب « العلس » وفيها « ولده فيولع » والصواب ما ذكرنا عن ا

مواقفا لابن إسحاق .

النسيء زيادة في الكفر (الآية) وقد فخر بذلك عمير بن قيس بن جذل الطمان^(١) فقال :

ألسنا الناسئين على معد شهر الحبل نجعلها حراما ؟

ولاية البيت
تؤول إلى
قصي بن كلاب
وقد كان قصي بن كلاب بن مرة تزوج ابنة حليل ، وحليل هو آخر من ولي البيت من خزاعة ، وقد كان عمرو بن لحي — حين عُمر ما ذكرنا من السنين — مات وله من الولد وولد الولد ألف ، ولما حضرت حليلا الوفاة — وهو آخر من ولي البيت من خزاعة — وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت إلى ابنته زوج قصي بن كلاب ، فقبل له : إنها لأنقوم بفتح الباب وغلقه ، فجعل ولاية البيت إليها ، وفتح الباب وغلقه إلى رجل من خزاعة يعرف بأبي غبشان الخزاعي ، فباعه أبو غبشان إلى قصي ببيعير وزق خمر ، فأرسلت العرب ذلك مثلاً ، فقالت «أخسر من صفقة أبي غبشان»^(٢) وفي بيعه لولاية البيت ببيعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة إلى قصي بن كلاب ، يقول الشاعر :

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهر خزاعة
فلا تلحوا قصيا في شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه
وقال في ذلك آخر :

إذا افتخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمر
وباعت كعبة الرحمن جهراً بزقاً ، بئس مفتخر الفخور^(٣)

وقد كانت ولاية البيت في خزاعة ثلثمائة سنة ، واستقام أمر قصي ، وعشر على من دخل مكة من غير قريش ، وبنى الكعبة ، ورتب قريشاً على منازلها في النسب بمكة ، وبيّن الأبطحي من قريش ، وهم الأباطح ، وجعل الظاهري ظاهرياً

(١) في « عمير بن قيس القرشي » وفي ب « عمرو بن قيس القراسي »

(٢) انظر المثل رقم ١١٦٧ في مجمع الأمثال بتحقيقنا .

(٣) في ١٤ مفتخر الفجور .

الجزء الثاني : ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ٥٩

وقريش البطاح : هي قبائل عبدمناف ، وبنو عبدالدار ، وبنو عبدالعزى قريش البطاح
ابن قصي ، وزهرة ، ومخزوم ، وتيم بن مرة ، وجح ، وسهم ، وعدى ،
وهم كعقة الدم ، وبنو عتيك بن عامر^(١) بن لؤى .

وقريش الظواهر : بنو [محارب ، و] الحارث بن فهر ، وبنو الأذرم بن
غالب بن فهر ، وبنو هصيص^(٢) بن عامر بن لؤى ، وفي ذلك يقول ذكوان
مولى عبدالدار للضحّاك بن قيس الفهري :

تطاوَلْتُ للضحّاك حتى رَدَدْتُهُ إِلَى نسب في قومه متقاصر^(٣)

فلو شاهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر

ولكنهم غابوا وأصبحتُ شاهداً فقبحت من حامى ذمار وناصر^(٤)

[فريقان منهم ساكن بطن يثرب ومنهم فريق ساكن بالمشاعر]^(٥)

والأحلاف من قريش : بنو عبدالدار بن قصي ، وسهم ، وجح ، والأحلاف
وعدى ، ومخزوم .

والمطيّون : بنو عبدمناف ، وبنو أسد بن عبدالعزى ، وزهرة ، وتيم ،
وبنو الحارث بن لؤى .

وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي في امرأة :

ولها في المطيين جدودٌ ثم نالت ذوائب الأحلاف

إنها بين عامر بن لؤى حين تُدعى وبين عبدمناف

وأخذت قريش الإيلاف من الملوك ، وتفسير ذلك الأمن ، وتقرّشت ،
والتقرش : الجمع ، ومنه قول ابن جِلّزة اليشكري^(٦) :

(١) في « بنو حنبل بن عامر بن لؤى » .

(٢) في « وبنو معيص بن عامر بن لؤى ، (٣) في « إلى حسب في قومه متقاصر »

(٤) في « فقبحت من حامى ديار وناصر » (٥) لا يوجد هذا البيت في

(٦) في « أبي خالد اليشكري » .

إِخْوَةٌ قَرَشُوا. الذُّنُوبَ عَلَيْنَا فِي حَدِيثٍ مِنْ دَهْرِنَا وَقَدِيمٍ
 وَرَحِلْتُ^(١) قَرِيشَ — حِينَ أَخَذَ لَهَا الْإِيلَافَ مِنَ الْمَلُوكِ — إِلَى الشَّامِ
 [وَالْحَبْشَةِ] وَالْبَيْنِ وَالْعِرَاقِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَطْرُودُ^(٢) الْخَزَاعِي :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا نَزَلْتَ بِأَلِ عَبْدِ مَنْفَافٍ
 الْآخِذِينَ الْعَهْدَ مِنْ آفَافِنَا وَالرَّاحِلِينَ بِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ^(٣)
 وَلَقَرِيشَ أَخْبَارَ كَثِيرَةٍ ، وَكَذَلِكَ لَجَرَهُمْ وَخَزَاعَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ مَعَدٍ ،
 وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ كَتَبْنَا ، وَإِنَّمَا نَذَكُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِمَعَا ،
 تَنْبِيهًا بِهَا عَلَى مَا سَلَفَ ، وَسَنُورِدُ عِنْدَ ذِكْرِنَا تَفَرُّقَ النَّاسِ مِنْ بَابِلَ جَمَلًا
 مِنْ أَخْبَارِ مَكَّةَ وَعَبْدِ الْمَطْلَبِ وَالْحَبْشَةِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَحِقَ بِهَذَا الْمَعْنَى ،
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) في ١ « وانحدرت قريش » . (٢) في ب : مطرف الخزاعي «

(٣) في ١ * الآخذين العهد من آفافها *

الجزء الثاني : ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان ٦١

ذكر جوامع [من] الأخبار ، ووصف الأرض والبلدان

وحنين النفوس للأوطان^(١)

ذكر ذوو الدراية^(٢) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - حين فتح الله عمر بن الخطاب البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر ، وغير ذلك من الأرض - كتب يستوصف بقاع الأرض إلى حكيم من حكماء العصر : إنا أناسٌ عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوأ الأرض ، ونسكن [البلاد و] الأمصار ، فصِفْ لى المدن وأهويتها ومساكنها ، وما تؤثرُهُ التربة والأهوية فى سكانها .

فكتب إليه ذلك الحكيم : اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قد قسم الأرض أقساماً : شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فما تنهى فى التشريق [وَلَجَجَ] فى المطلع السامح منه النور^(٣) فهو مكروه لا حترقه وناريتة وحِدَّتِه وإحراقه لمن دخل فيه ، وما تنهى مغرباً أيضاً أضرَّ سكانه ؛ لموازاته ما أوغل فى التشريق ، وهكذا ما تنهى فى الشمال أضرَّ بيرده وقره وثلوجه وآفاته الأجسام فأورثها الآلام ، وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرقت بناريتة ما اتصل به من الحيوان ؛ ولذلك صار المسكون من الأرض جزءاً يسيراً ، ناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من حسن القسمة ، وسأصف لك يا أمير المؤمنين - القطع المسكونة من الأرض .

أما الشام فسُحْبُ وآكام ، وريح وغمام ، وغدق ورُكَّام ، ترطب الأجسام ، وتبلد الأحلام ، وتصفى الألوان ، لا سيما أرض يمحس فإنها تحسن الجسم ، وتصفى اللون ، وتبلد الفهم ، وتنزح غوره ، وتنجى الطبع ، وتنهب بماء القريحة ، وتنصب العقول ، والشام - يا أمير المؤمنين ، وإن كانت على ما وصفت لك - فهى مَسْرَحٌ خصب ، ووابل سَكْب ، كثرت أشجاره ،

(١) فى ١ « إلى الأوطان » . (٢) فى ١ « ذوو الرواية » .

(٣) زيادة عن ١ .

واطرّدت أنهاره ، وغمرت أعشاره ^(١) ، وبه منازل الأنبياء ، والقدس المجتبي ، وفيه حلّ أشرف خلق الله تعالى من الصالحين والمنعبدن ، وجباله مساكن المجتهدين والمنفردن .

مضر
وأما أرض مصر فأرض قوّراء غوراء ، ديار الفراعنة ، ومنازل الجبابرة ، تحمد بفضل نيلها ، وذمّها أكثر من حمدها ، هواؤها راكد ، وحرها زائد ، وشرها وارد ^(٢) ، تذكر الألوان ، وتجنب الفطن [وتكثر الإحن] وهي معدن الذهب والجوهر والزمرد والأموال ، ومغارس الغلات ، غير أنها تسمن الأبدان ^(٣) وتسود الأبشار ، وتنمو فيها الأعمار ، وفي أهلها مكر ورياء ، وخبت ودهاء وخديعة ، إلا أنها بلد مكسب لابلد مسكن ؛ لترادف فننها ، واتصال شرورها .
اليمن
وأما اليمن فيضعف الأجسام ، ويذهب الأحلام ^(٤) ، ويذهب بالرطوبة ، في أهلها هم كبار ، ولهم أحساب وأخطار ، مغايضه خصبّة ، وأطرافه جذبة ، وفي هوائه انقلاب ، وفي سكانه اغتيال ، وبهم قطعة من الحسن ، وشعبة من الترفه ^(٥) وفقره من الفصاحة .

الحجاز
وأما الحجاز فخاز بين الشام واليمن والتهائم ، هواؤه حرّور ، وليله بهور ^(٦) ، ينحف الأجسام ، ويحفّف الأدمغة ، ويشجع القلوب ، ويسبّط الهمم ^(٧) ، ويبعث على الإحن ^(٨) [وهو بلد تحلّ قحط جذب صنك .

المغرب
وأما المغرب فيقسي القلب ، ويوحش الطبع ، ويطيّش اللب ^(٩) ويذهب بالرحمة ، ويكسب الشجاعة ، ويقشع الضراعة ، وفي أهلها غدر ، ولهم خبت ومكر ، ديارهم مختلفة ، وهمهم غير مؤتلفة ، ولديارهم في آخر الزمان نبأ عظيم ، وخطب جسيم ، من أمر يظهر ، وأحوال تبهر .

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) في ١ « وعمرت أعشاره » | (٢) في ١ « وشرها بائد » |
| (٣) في ١ « تسهل الأجسام » . | (٤) في ١ « ويذهب الأحلام » . |
| (٥) في ١ « وشعبة من الرقة » . | (٦) في ب « وليله سهور » . |
| (٧) في ١ « ويسقط الهمم » . | (٨) ما بين المعقوفين ساقط من ١ |

الجزء الثاني : ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان ٦٣

وأما العراق فنار الشرق ، وسُرَّة الأرض وقلبها ، إليه تحادرت المياه ^(١) ،
وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، فصفت أمرجة أهله ،
ولطفت أذهانهم ، واحتدَّت خواطرهم ، واتصلت مسراتهم ^(٢) ، فظهر منهم
الدعاء ، وقويت عقولهم ، وثبتت بصائرهم ، وقلَّب الأرض العراق [وهو المجتبي
من قديم الزمان] وهو مفتاح الشرق ، ومسلك النور [ومسرح العينين ،
ومدنة اللدان وما لاها] ولأهله أعدل الألوان ، وأنقى الروائح ، وأفضل
الأمزجة ، وأطوع القرائح ، وفيهم جوامع الفضائل ، وفوائد المبرات ،
وفضائله كثيرة ؛ لصفاء جوهره ، وطيب نسيمه ، واعتدال تربته ، وإغداق
الماء عليه ، ورفاهية العيش به

وأما الجبال فتحشن الأجسام وتغلظها ، وتبلد الأفهام وتقطعا ، وتفسد
الأحلام ، وتميت الهمم ؛ لما هي عليه من غلظ التربة ، . متانة الهواء ،
وتكاثفه ، واختلاف مهابه ، وسوء متصرفاته .

والأخلاق والصور — يا أمير المؤمنين — تناسب البلد وتحاذيه ،
وتقاربه ، وتوافقته وتضاهيه ، وكل بلد اعتدل هواؤه ، وخف ماؤه ،
ولطف غذاؤه — كانت صور أهله وخلاتهم تناسب البلد وتحاذيه ، وتشاكل
ما عليه أركانه ، وما أسس عليه بنيانه [وكل بلد يزول عن الاعتدال ،
انتسب أهله إلى سوء الحال] .

وأما خراسان فتكبر الهام ؛ وتعظم الأجسام ؛ وتلطف الأحلام ؛ ولأهلها
عقول وهمم طامحة ؛ وفيهم غوص وتفكير ؛ ورأى وتقدير ^(٣) .

وأما بلد فارس فخصب القضاء ، رقيق الهواء ، متراكم الماء ، مُعْتَمِّمٌ
بالأشجار ، كثير الثمار ؛ وفي أهله شحٌّ ، ولهم خب ؛ وغرائزهم سيئة ،
وههم دينية ، وفيهم مكر وخداع .

(١) في ١ « إليه تطاردت المياه » . (٢) في ١ « اتصلت مرائرهم » .

(٣) في ١ « ورأى وتقرر » .

خوزستان وأما بلاد خوزستان فهي كدرة الأهواء ، تفسد الأحلام^(١) ، وتبلد الأفهام ، وتخبث الهمم ، وتستأصل الكرم ، يساق أهله سوق الأنعام ، وهم المصج الطغام .

الجزيرة وأما أرض الجزيرة فناسب البر بالهواء اللطيف ، وفيها خصب وسرح ، ولأهلها بأس ومراس .

والبر — يا أمير المؤمنين — أفضل قطع الأرض وأسناها ، وأشرفها وأعلاها ، نحو الأنجاد والتهائم ؛ لحماية الهواء الأقذاء عن سكانه ، ودفعه الآفات عن قطانه ، وسماحة الثوى ، وتهذيب الماء ، وصحة المتنسم ، وارتفاع الأكدار ، وذهاب الأضرار .

واعلم — يا أمير المؤمنين — أن الله تبارك وتعالى قسم الأرض أقساما فضّل بعضها على بعض ، فأفضل أقسامها العراق ، فهو سيد الآفاق ، وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال .

الهند والصين وأما الهند والصين وبلاد الروم فلا حاجة بي إلى وصفها لك ؛ لأنها منازل شاسعة ، وبلدان نائية ، كافرة طاغية .

وفي الذي ذكرته لك ما أشقى بك إلى ما شئمت إلى علمه^(٢) ، وكل ما وصفته في هذه البلدان فهو الأعم من أمور أهلها ، والأغلب على أحوالهم ، فإن وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو النادر يا أمير المؤمنين ، والحكم [في ذلك] للأغلب .

قال المسعودي : وذكر جماعة من أهل العلم بالسير والأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد الشخوص إلى العراق — حين بلغه ما عليه الأعاجم من الجمع ببلادهم^(٣) — سأل كعب الأحبار عن العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

كعب الأحبار
يصف لعمر
العراق

(١) في ١ « وهي كور الأهواز تفسد الأحلام »

(٢) في ١ « إلى ما سموت إلى علمه » . (٣) في ١ « ببلاد نهاوند » محرفا

الجزء الثاني : ذكر جوامع الأخبار في وصف الأرض والبلدان ٦٥

إن الله لما خلق الأشياء ألحق كل نبي شيء ، فقال العقل : أنا لاحق بالعراق ، فقال العلم : وأنا معك ، فقال المال : وأنا لاحق بالشام ، فقالت الفتن : وأنا معك ، [فقال الخصب : وأنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك ، فقال الفقر : وأنا لاحق بالحجاز ، فقالت الفناعة : وأنا معك]^(١) فقال الشقاء^(٢) : وأنا لاحق بالبوادي ، فقالت الصحة : وأنا معك .

قال المسعودي : وأوسط الأقاليم الإقليم الذي ولدنا به ، وإن كانت الأيام أنأت بيننا وبينه ، وساحقت مسافتنا عنه ، وولدت في قلوبنا الحنين إليه ، إذ كان وطننا ومسقطنا ، وهو إقليم بابل ، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلا ، وقدره عظيما ، وكانت عنايتهم إياه مصروفة ، وكانوا يشتون بالعراق ، وأكثرهم يصيفون بالجبال ، وينتقلون في الفصول [إلى الصرود من الأرض والحرور]^(٣) ، وقد كان أهل المروءات في الإسلام نأبي دلف القاسم بن عيسى^(٤) العجلى وغيره يشتون في الحرور^(٥) ، وهو العراق ، ويصيفون في الصرود ، وهي الجبال ، وفي ذلك يقول أبو دلف :

وإني امرؤ كسروى^(٦) الفعّال أصيف^(٧) الجبال وأشتو العراق

ذلك لما خص به هذا الإقليم من كثرة مرافقه ، واعتدال أرضه ، وغضارة عيشه ، ومادة الوافدين إليه^(٨) ، وهما دجلة والفرات ، وعموم الأمن فيه ، وبُعد الخوف عنه^(٩) ، وتوسطه الأقاليم السبعة ، وقد كانت الأوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد ؛ لأن أرضه من إقليم بابل الذي تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يقع ذلك عن القلب^(١٠) ، وبذلك اعتدلت ألوان أهله [واقتدرت]

(١) ما بين العقوقين ساقط من ا

(٢) في ا « فقال الشفاء » بالفاء بدل القاف .

(٣) في ب « القاسم بن علي » (٤) في ا « في الجروم وهي العراق »

(٥) ربما كان الأصل « الرافدين إليه » (٦) في ا « وبعد الأشرار عنه » .

(٧) في ا « التي كشفت الآراء من أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب »

(٥ - - مروج الذهب : ٢)

أجسامهم ، فسلموا من شُقرة الروم والصقالبة ، وسواد الحبشة ، وغلظ البربر ، ومن جفا من الأم ، واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار ، وكما اعتدلوا في الجملة كذلك لطفوا في الفطنة ، والتسلق بحاسن الأمور ، وأشرف هذا الإقليم مدينة السلام ، وبعر على ما أصارني إليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا ، وفي فاعنه تجمعا^(١) ، لكنه الزمن الذي من شيمته التشتيت ، والدهر الذي من شروطه الإبانة^(٢) [ولقد أحسن أبو دلف العجلي حيث يقول :

أيَا نَكْبَةِ الدَّهْرِ الَّتِي طَوَّحَتْ بِنَا أَيَادِي سَبَا فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ
قَفِي بِالَّتِي نَهَوَى قَعْدَ طِرْتُ بِالَّتِي إِلَيْهَا نَنَاهَتْ رَاجِعَاتُ الْمَصَائِبِ] ^(٣)

وقد ذكر الحكماء - فيما خرجنا إليه من هذا المعنى - أن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه ، وأن من علامة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها تَوَاقَّة ، وللإيف والعادة قَطَعَ الرجل نفسه لصلته وطنه .

الحنين إلى
الأوطان

وقال ابن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم ، وقال بعض حكماء العرب : عمر الله البلدان بحب الأوطان ، وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة والديك ؛ لأن غذاءك منهما ، وغذاءها منه ، وقال آخر : أولى البلدان [بصياتك] بلد رضعت ماءه ، وطعمت غذاءه ، وقال آخر : ميلك إلى موضع مولدك من كرم تَحْتَدِكْ ، وقال بقراط : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه ؛ فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها ، ونزاع إلى غذائها ، وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها ، وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أرضه كما تنبت الحبة ببلل الأرض^(٣) .

وللنفوس في علة حنينها إلى الأوطان كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه

(١) في ١ « وفي قاعه نجمنا » (٢) ما بين المعقوين ساقط من ١

(٣) في ١ « كما تنبت الحبة ببل القطر » .

الجزء الثاني : ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان ٦٧

في كتابنا المترجم بـ « سر الحياة » وفي كتاب « طب النفوس » .

فولولا تقييد العلماء خواطرم على الدهر لبطل أول العلم ، وضاع آخره ؛ إذ كان
علم من الأخبار يستخرج [وكل حكمة منها تستنبط] ^(١) والفقه منها يستثار ^(٢)
والصاحبة منها : نفاذ ، وأحاب القياس عاينها بينون ، وأهل المقالات بها يحتجون
ومعرفة الناس منها تؤخذ ، وأمثال الحكماء فيها توجد ، ومكارم الأخلاق
ومعاليها منها تقتبس ، وآداب سياسة الملك والحرم ^(٣) منها باتمس ، وكل غريبة
منها نعرف ، وكل عجبية منها تستطرف ، وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ،
ويستعذب موقعه الأحق والعاقل ، ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاصي
والعامي ، ويميل إلى رواياته ^(٤) العربي والعجمي .

وبعد ؛ فإنه يوصل به كل كلام ، ويتزين به في كل مقام ، ويتجمل به
في كل مشهد ، ويحتاج إليه في كل محفل ، ففضيلة علم الأخبار بينة على كل علم ،
وشرف منزلته صحبح في كل فهم ، فلا يصبر على فهمه وتيقن مافيه ، وإيراده
وإصداره إلا إنسان قد تجرد له ، وفهم معناه ، وذاق ثمرته ، واستسفر من غوره ^(٥) فضل الكتاب
ونال من سروره ، وقد قالت الحكماء : الكتاب نعم الجليس ، ونعم الذخر ^(٦) ،
إن شئت ألهتك نواذره ، وأضحكتك بواذره ، وإن شئت أشجبتك مواظمه ،
وإن شئت تعجبت من [غرائب] فوائده ، وهو يجمع لك الأول والآخر [والغائب
والحاضر] والناقص والوافر [والشاهد والغائب] والبادي والحاضر ، والشكل
وخلافه ، والجنس ^(٧) وضده ، وهو ميت ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء
وهو مؤنس ينشط بنشاطك ، وينام بنومك ، ولا ينطق [معك] إلا بما تهوى ،
ولا نعلم جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أجمع ^(٨) ،

(١) زيادة عن ب وحدها . (٢) في ا « يستثار » وليس بشيء

(٣) في ا « سياسة الملك والحرب » (٤) في ا « ويميل إلى روايته »

(٥) في ا « واستشعر من عزة » (٦) في ا « نعم الجليس والعمدة »

(٧) في ب « والحسن وضده » (٨) في ا « ولا معلماً أجمع »

ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل خيانة^(١) ، ولا أجدي^(٢) نفعاً ، ولا أحمد أخلاقاً [ولا أقل خلاقاً] ولا أدوم سروراً ، ولا أسكت غيبة ، ولا أحسن موافاة^(٣) ، ولا أعجل مكافاة ، ولا أخف مؤنة [منه] إن نظرت إليه أطال إمتاعك ، وشحذ طباعك ، وأيد فهمك ، وأكثر علمك ، ونعرف منه في شهر ، مالا نأخذه من أفواه الرجال في دهر ، ويفنيك عن كد الطلب ، وعن الخضوع لمن أبت أثبت منه أصلاً ، وأسمح فرعاً^(٤) ، وهو المعلم الذي لا يخفوك ، وإن قطعت عنه المائدة ، لم يقطع عنك الفائدة ، وهو الذي يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته لك في الحضر ، وقد قال الله تبارك وتعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) [فوصف عن نفسه أنه علم بالقلم] كإخباره عن نفسه بالكرم ، [وفي ذلك يقول بعض أهل الأدب :

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنِّي لَسْتُ أَعْجِزُهُمْ	فَوْتًا وَلَا هَرَبًا قَدِمْتُ أَحْتَجِبُ
فَصُرْتُ بِالْبَيْتِ مَسْرُورًا بِهِ جَذَلًا	حَاوِي الْبَرَاءَةَ لَا شَكْوَى وَلَا شَغْبُ
فَرَدًّا يُحْدِثُنِي حَقًّا وَيَنْطِقُ لِي	عَنْ عِلْمٍ مَآغَابٍ عَنْهُمْ الْكُتُبُ
الْمُؤَنِّسُونَ هُمُ اللَّائِي عُنَيْتُ بِهِمْ	فَلَيْسَ لِي فِي جَلِيسٍ غَيْرِهِمْ أَرْبُ
لَهُ دَرْجٌ حَلِيسِي لَا جَلِيسَهُمْ	فَذَا عَشِيرَهُمُ لِلْسُوءِ يَرْتَقِبُ

وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ، ونزل مقبرة ، وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب يقرأه ، فستل عن ذلك ، فقال : لم أرَ واعظاً أو عظ من قبر ، ولا أمتعاً أمتع من كتاب ، ولا شيئاً أسلم

(٢) في ب « ولا أبدى نفعاً »

(٤) في ا « وأشخ فرعا »

(١) في ا « ولا أقل جنابة »

(٣) في ا « ولا أحسن موافاة »

الجزء الثانى : ذكر تنازع الناس فى علة تسمية بعض البلدان ٦٩

من الوحدة ، فقليل له : قد جاء فى الوحدة ما جاء ؛ فقال : ما أفسدها للجاهل
وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها :
زَوَامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ^(١)
كَعَمْرُكَ مَا يَدْرِى الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَحْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِى الْغَرَائِرِ^(٢)

ذكر تنازع الناس

فى المعنى الذى من أجله سُمى اليمن يمنا ، والعراق عراقا
والشام شاماً ، والحجاز حجازاً

تنازع الناس فى اليمن وتسميته ؛ فمنهم من زعم أنه إنما سُمى يمناً لأنه عن
يمين الكعبة | وهو التيمن | وسُمى الشام شاماً لأنه عن شمال الكعبة ، وسُمى
الحجاز حجازاً لأنه حاجز بين اليمن والشام ، نحو ما أخبر الله عز وجل عن
البرزخ^(٣) الذى بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل : (وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) وإنما سُمى العراق عراقاً لمصب المياه إليه كالدلجة والفرات
وغيرهما من الأنهار ، وأظنه مأخوذاً من عَرَاقِي الدلو وَعَرَاقِي القربة .
ومنهم من زعم أن اليمن إنما سُمى يمناً لينه ، والشام شاماً لشؤمه ، وهذا
قول يُعْزَى إِلَى قُطْرِبِ النَحْوَى فى آخرين من الناس .

ومنهم من رأى أنه إنما سُمى [اليمن] يمناً لأن الناس حين تفرقت لغاتهم
ببابل تَيَّامَنَ بعضهم يمين الشمس وهو اليمن ، وبعضهم تشاءم فوسم له هذا
الاسم ، وسند ذكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع ،
وبعض ما قالوه فى ذلك من الشعر ، عند مسيرهم فى الأرض
واختيارهم البقاع .

(١) حفظى « زوامل للأشعار » وسياق المؤلف يؤكد ما أثبتناه فى الأصل

(٢) فى « بأوساقه ، أو راح ، ما فى الغرائر »

(٣) فى ب « عن الفرق الذى بين — الخ » . .

وقيل : إنما سمي الشام شاماً لشاماتٍ في أرضه بيض وسود ، وذلك في التراب والبقاع [والحجر] وأنواع النبات والأشجار ، وهذا قول الكلبي . وقال الشرقي بن القطامي : إنما سمي الشام شاماً بسام بن نوح ، لأنه أول من نزل وقطن فيه ، فلما سكنته العرب نظيرت من أن تقول سام ، فقالت : شام .

وقيل : إن سامراً إنما سميت بذلك إضافة إلى سام .
وقيل : إن أول من سكنها من خلفاء بني العباس سماها بهذا الاسم ، وإنها سرور لمن رآها^(١)

وقد ذكر في أسماء هذه [المعقل و] البقاع والأمصار وجوه غير ما ذكرنا قد اتينا عليها فيما سلف من كتبنا .

ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله الناس في ذلك

اختلف الناس في أنساب قحطان ؛ فحكى هشام بن الكلبي عن أبيه والشرقي ابن القطامي أنهما كانا يذهبان إلى أن قحطان ابنُ الهيمس بن نبت — وهو نابت — بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، ويحتجان لذلك بوجوه من الأخبار . منها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ، ورواه الهيثم عن الكلبي عن أبي صالح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الأنصار يتناضلون ، فقال : « ارمُوا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارمُوا وأنا مع ابن الأدرع » رجل من خزاعة ، فرمى القوم نباهم^(٢) ، وقالوا : يا رسول الله ، مَنْ كنت معه فقد نَضَلَّ ! ! فقال « ارمُوا وأنا معكم جميعاً » .

قال المسعودي : وسائر ولد قحطان من خير وكهلان يأبى هذا القول وينكره

(١) المعروف أن الاسم الأول لهذه المدينة « سر من رأى » ثم لما كثرت استعمال هذا الاسم خففوه بقولهم « سامرا » فهم لا بد يلحظون للعين الذي يدل عليه الاسم الذي وضعوه لها أولاً .

(٢) في « فائق القوم نباهم » .

وقد ثبت أن قحطان هو يقطن^(١) ، وإنما عُرِّبَ فقليل له : قحطان وحكى ابن الكلبي ، أن اسم يقطن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، والواضح من أنساب اليمين ، وماتدين به كهلان وحير أبنا قحطان إلى هذا الوقت قولاً وعملاً ، وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير [والذي] وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الأمم ، وعليه وجدت الأكثر من شيوخ ولد قحطان من حير وكهلان بأرض اليمين والتهاشم والأحماد وبلاد حَضَرَ مَوْتِ السَّحَرِ والأحقاف وبلاد عمان وغيرها من الأمصار أن الصحيح في نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ [بن سالم^(٢)] — وهو قينان — ابن إرفخشذ بن سام بن نوح ، وقد كان لعابر ثلاثة أولاد : فالخ ، وقحطان ، وملكان ، والخضر عليه السلام من ولد ملكان في قول كثير من الناس ، وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكراً ، وأهمهم حَيَّ^(٣) بنت روق بن فزارة بن منقذ^(٤) ابن سويد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، فولد قحطان يعرب بن قحطان ، وولد يعرب يشجب ، وولد يشجب ولدين ، أحدهما عبد شمس — وهو سبأ بن يشجب — وإنما سمي سبأ لسببه السبايا ، فولد سبأ حير وكهلان ابني سبأ ، والثاني لم يعقب ، وإنما العقب من ولد هذين — وهما حير وكهلان ؛ فهذا انتفق عليه عند أهل الخبرة بهما ، والمتيقن لديهم . وكان الهيثم بن عدى الطائي [ينكر أيضاً أن يكون قحطان من ولد إسماعيل ، وإنما] إسماعيل تكلم بلغة جرم ؛ لأن إسماعيل كان مرياني اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرناه ، فصاهر جرم ، ونشأ على لغتها ، ونطق بكلامها^(٥) [وفقاً في مُراده خطاباً] .

(١) في ١ « وتذهب طائفة منهم في أنسابها وما اتضح من أحسابها أن قحطان

هو يقطن » .

(٣) في ب « حَيَّ »

(٢) سقط هذا الاسم من ب

(٥) في ١ « وأعرب بكلامها »

(٤) في ب « فزارة بن سعد »

ونزار تأبى أن يكون إسماعيل نشأ على لغة جرهم ، ويقولون : إن الله عز وجل أعطاه هذه اللغة ، وذلك أن إبراهيم خلقه هو وأمه هاجر ، وإسماعيل ابن ست عشرة سنة ، وقيل : ابن أربع عشرة سنة ، في واد غير ذي زرع ، ولا أنيس ، فحفظهما الله تعالى ، وأنبع لها زمزم ، وعلم إسماعيل هذه اللغة العربية .

قالوا : ولغة جرهم غير هذه اللغة ، ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد ، فهذا يقضى بإبطال قول من قال : إن إسماعيل أعرب^(١) بلغة جرهم ، ولو وجب أن يكون إسماعيل [إنما كان] عربي اللسان لأجل جرهم [ونشئه فيها] لوجب أن تكون لغته موافقة ل لغة جرهم ، أو لغيرها ممن نزل مكة ، وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ، وولده يعرب بخلاف لسانه ، وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة إسماعيل ، ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة إبراهيم [خليل الرحمن] فيمنع إسماعيل فضيلة اللسان العربي التي أعطاها يعرب بن قحطان

ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا ، في التنازع والتفاخر بالأنبياء والملوك ، وغير ذلك مما قد أتينا على ذكر جمل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم من سلف وخلف ، وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية في كتابنا « أخبار الزمان » .

وزعم الهيثم [بن عدي] أن جرهم بن عابر بن سبأ بن يقطن هو قحطان ، وتأول الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم - حين قال للمائة من الأنصار ، « ارموا يا بني إسماعيل » - أنه عليه السلام نسبهم إلى إسماعيل من جهة الأمهات ، وما نالهم من الولادات^(٢) من ولد إسماعيل ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيل نسباً

(١) في ب « أعرف بلغة جرهم » (٢) في ب « نالهم من الولايات » محرفاً

قد ثبت ، ولا يثبت نسب قوم إلى غير آبائهم ، وقد نقلوا ذلك قولاً وعملاً وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلاً سأله من مراد عن سبأ : أرجلا كان أو امرأة أو وادياً أو جبلاً ؟ فقال له : « كان رجلاً ، ولد له عشرة فنشأهم أربعة وتيامن ستة ؛ فالدين نشأوا لحمٌ وجُدَام وعاملة وغَسَّان ، والذين تيامنوا حير والأزد ومَذْحِجج وكنانة والأشعريون وأنمار الذين هم بِحَيْلَةٍ وَخَشَعَم » .

وقال أبو المنذر^(١) : هو أنمار بن إيداد^(٢) بن عمرو بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قال المسعودي : وقد تنوزع في نسب أنمار ؛ فذهب الأكثر إلى أن أنماراً وإيداداً وربيعاً ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان ، وإنما دخلوا في اليمين فأضيفوا إليهم ، وما ذكرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن تيامن وتشأم فمن أخبار الآحاد ، وليس محيئه محيى الاستفاضة التي يقطع بها العذر^(٣) ويثبت بها الحكم .

وللناس في هؤلاء كلام كثير ، وقد ذكر هشام عن أبيه الكلبي قال : كان يقال لسائر ولد سبأ السَّبَّيْثيون ، ولم تكن لهم قبائل تجمعهم دون سبأ . وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقياء ، وخبر طريفة الكاهنة ، وخبر عمران الكاهن ، وهو أخو عمرو بن عامر ، وأخبار العَرَم والسيل ، وما كان من كهاتهما في أمر السد وسيل العرم ، وتفرق القبائل من مأرب ، ومن لحق بُعْمان وشنوءة والسَّراة^(٤) والشام وغير ذلك من بقاع الأرض .

* * *

(١) في ب « ابن المنذر »

(٢) في ب « أنمار بن إياس »

(٣) في ب « التي يقطع بها العذر »

(٤) في ب « السَّراة »

ذكر اليمن وملوكها ، ومقدار سننها

سبأ أول من يعد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه عبد شمس ، وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة سمي سبأ على ما قيل ، والله أعلم ، وكان ملكه أربع مائة سنة وأربعاً وثمانين سنة .
حمير ثم ملك بعده ولده حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ، وكان أشجع الناس في وقته ، وأفرسهم ، وأكثرهم جمالا ، وكان ملكه خمسين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقيل : أقل [وكان يعرف بالمتوج]^(١) وكان أول من وضع على رأسه ناع الذهب من ملوك اليمن .

كهلان ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ ، فطال عمره ، وكبر سنه ، واستقامت له الأمور ، وكان ملكه ثلثمائة سنة ، وقيل غير ذلك^(٢)
ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان إلى ولد حمير ؛ لأخبار يطول ذكرها ، وتنازع في الملك [بين]^(٣) ولد حمير وكهلان .
مرو بن سبأ ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبأ^(٤) ، واتصل ملكه ، وغمر الناس عدله^(٥) ، وشملهم إحسانه ، وكان ملكه ثلثمائة سنة .

قول آخر وقيل : إن أول من ملك بعد كهلان الرأش ، وهو الحارث بن شداد^(٦) .
ثم ملك جبار بن غالب [بن زيد بن كهلان ، فكان ملكه عشرين ومائة سنة .
ثم ملك بعده الحارث بن مالك]^(٧) بن إفريقس بن صيفي بن يشجب بن سبأ ، وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة ، وقيل : إن هذا الملك هو [أبو] أبرهة بن الرأش المعروف بذى المنار

(١) زيادة عن ب وحدها (٢) في ١ « وقيل : أقل من ذلك »

(٣) في ١ « أبو مالك بن عسكر بن سبأ » (٤) في ١ « وعم الناس عدله »

(٥) في ب « الحارث بن ذى سدد »

(٦) هذه الزيادة لا توجد في ب

ثم ملك بعده الرأش بن شداد بن ملظاظ^(١) ، وكان ملكه مائة وخمسة وعشرين سنة .

جماعة من ملوك اليمين
ثم ملك بعده أبرهة بن الرأش ، وهو ذو المنار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة .
[ثم ملك بعده أفريس بن أبرهة ، فكان ملكه مائة وأربعاً وستين سنة]^(٢) .
ثم ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة^(٣) ، وهو ذو الأذعار ، وكان ملكه خمسة وعشرين سنة .

ثم ملك بعده الهدهاد بن شرجيل بن عمرو بن الرأش ، وقد ننوزع في مقدار ملكه ؛ فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ، ومنهم من ذكر سبعاً ، ومنهم من قال : ستاً .

ثم ملك تبع الأول ، وكان ملكه أربعاً وستين سنة ، وذكر كثير من الناس تبع الأول أن بليقيس قتلته ، وقيل غير ذلك ، والأشهر ما قدمنا .

ثم ملكت بعده بليقيس بنت الهدهاد ، وكان لمولدها خبر ظريف ذكرته بليقيس وسليمان الرواة فيما روى أنه تصور لأبيها في بعض قنصه حيتان سوداء وبياض فأمر بقتل السوداء منهما ، وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن ، وأن الشيخ زوجه بابتته ، واشترط عليه شروطاً [لها] ، فعلقته منه ببليقيس ، ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها ، فغابت عنه ، في خير ظريف ، وهو موجود في كتاب [أخبار] التبابعة .

وإنما نحكي هذه الأخبار على حسب ما وجدناه في كتب الأخباريين وعلى حسب ما توجه الشريعة والتسليم لها ، وليس قصدنا^(٤) من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم ؛ لأنهم ينكرون هذا ويمنعونه ، وإنما نحكي في هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المتقادين للشرع والمسلمين للحق ، وأخبار الشياطين^(٥) على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل ، وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على

(١) في « ملظاظ » بطائين مهملتين (٢) زيادة عن اوحدها

(٣) في ب « العبد بن أبرهة » (٤) في « وليس وصفنا في ذلك »

(٥) في « ا » والمسلمين للجن ولأخبار الشياطين

صدقته صلى الله عليه وسلم ، وإعجاز الخليفة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة ، وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه ، وما اقتص من خبر الهدد ، وما اقتص من أمرها ، فملك سليمان اليمين ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم عاد بعد ذلك الملكُ إلى خيبر ؛ فملكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر^(١) وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

بقية
ملوك اليمن

[ثم ملك بعده شمر بن إفريقس بن أبرهة ، فكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة . ثم ملك بعده تبيع الأقرن بن شمر ، فكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة]^(٢) . ثم ملك بعده كليكرب بن تبيع^(٣) وكان ملكه مائة سنة^(٤) وعشرين سنة ، وسير^(٥) قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان .

ثم ملك بعده حسان بن تبيع ، فاستقام له الأمر ، ثم وقع بعد ذلك في ملكه تنازع وخلاف ، وكان ملكه إلى أن قتل خمساً وعشرين سنة . ثم ملك بعده عمرو بن تبيع ، وهو القاتل لأخيه حسان الملك الماضي ، وكان ملكه أربعاً وستين سنة ، ويقال : إنه عدم النوم ، لما كان من فعله من قتل أخيه .

ثم ملك بعده تبيع بن حسان بن كليكرب^(٦) ، وهو الملك السائر من اليمن إلى الحجاز^(٧) ، وكانت له مع الأوس والخزرج حروب ، وأراد هدم الكعبة ففعله

(١) في ١ «ياسر بن عبد بن يعفر» (٢) ما بين المعوفين ساقط من ب (٣) وقع في ١ «ملككرب» ومنهم من يجعله ابن زيد ، وزيد هو تبع الأول وزيد : ابن عمرو ذو الأذعار بن أبرهة ذو النار ، أما حسان الآتي فهو ابن تبع الآخر ، واسم تبع الآخر تبان أسعد ، وكنيته أبوكرب ، وتبان بزة غراب أورمان (٤) في ب «ثلاثاً وعشرين سنة» (٥) في ب «وسكن قومه إلح» محرفاً (٦) في ١ «تبع بن حسان أبوكرب» (٧) في ١ «من اليمن إلى يثرب»

مَنْ كَانَ مَعَهُ^(١) مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ ، فَكَسَاهَا الْقَصْبُ الْيَمَانِي ، وَسَارَ نَحْوَ الْيَمَنِ وَقَدْ تَهَوَّدَ وَغَابَتْ عَلَى الْيَمَنِ الْيَهُودِيَّةُ ، وَرَجَعُوا عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَكَانَ مُلْكُهُ نَحْوَ مِائَةِ سَنَةٍ .

ثُمَّ مَلَكَ عَمْرُو بْنُ تَبَعٍ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وَتَنَازُعٍ كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَلِكِ ، ثُمَّ خَافَ عَنِ الْمَلِكِ وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ مَرْتَدُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَكَانَ فِي الْيَمَنِ نِتَازِعٌ وَحُرُوبٌ ، وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ وَابِعَةُ بْنُ مَرْتَدٍ^(٢) ، وَكَانَ مُلْكُهُ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّبَاحِ بْنِ وَلِيعَةَ بْنِ مَرْتَدٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَدْعَى شَيْبَةَ الْحَدِ^(٣) ، وَكَانَ مُلْكُهُ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ عَلَامَةً وَلَهُ سِيرٌ مُدَوَّنَةٌ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ ذِي قَيْفَانَ^(٤) ، وَكَانَ مُلْكُهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً^(٥) .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ذُو شَنْأَتَرٍ^(٦) ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكِ ، فَغَرِيَ بِالْأَحْدَاثِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَطَالَبَهُمْ بِمَا تُطَالِبُ بِهِ النِّسْوَانُ ، وَأَظْهَرَ الْفَسْقَ بِالْيَمَنِ وَاللُّوَاطِ ، وَعَدَلَ مَعَ ذَلِكَ فِي الرِّعْيَةِ ، وَأَنْصَفَ الْمَظْلُومَ ، وَكَانَ مُلْكُهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَتْلَهُ يُوسُفُ ذُو نَوَاسٍ ، وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَنْفَعَةً أَنْ يَفْسُقَ بِهِ

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ يُوسُفُ ذُو نَوَاسٍ بْنُ زُرْعَةَ بْنِ تَبَعٍ الْأَصْغَرَ بْنِ حَسَالِ بْنِ كَلِيكَرْبٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبْرَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كِتَابِنَا^(٧) ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ، وَتَحْرِيقِهِ إِيَّاهُمْ بِالنَّارِ ، وَهُمْ الَّذِينَ خَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : (قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ، النَّارَ ذَاتَ الْوَقُودِ) وَإِلَيْهِ عَبَرَتِ الْحَبِشَةُ مِنْ بِلَادِ نَاصِعٍ وَالزَّلِيلِ ، وَهُوَ سَاحِلُ الْحَبِشَةِ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا إِلَى بِلَادِ [غَلَاقِقَةَ

(١) فِي أ « مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ » (٢) فِي ب « وَكِيعَةُ بْنُ مَرْتَدٍ »

(٣) فِي أ « وَهُوَ الَّذِي يَدْعَى شَيْبَةَ الْحَيْرِ » (٤) فِي ب « بْنُ ذِي قَيْفَانَ »

(٥) فِي أ « تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةً » (٦) فِي أ « ثُمَّ مَلَكَ لَحْنِيْعَةُ ذُو شَنْأَتَرٍ »

(٧) فِي أ « مِنْ كِتَابِنَا »

من ساحل [زييد من أرض اليمن، ففرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفاً من العار ؛ وَكَانَ مَلِكَهُ مَائَتِي سَنَةٍ وَسِتِينَ سَنَةً، وَقِيلَ أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ النجاشي ملك الحبشة لما باغاه فعل ذى نولس بأبناء المسيح عليه السلام، وَمَا يَعَذِّبُهُمْ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالتَّحْرِيقِ بِالنَّارِ بَعَثَ إِلَيْهِ الْحَبْشَةَ وَعَالِيَهُمْ أَرْيَاطُ بْنُ أَصْحَمَةَ^(١) فَمَلَكَ الْيَمَنَ عَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمُ أَبُو بَكْسُومَ^(٢) فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ الْيَمَنَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ إِلَى النَجَاشِيِّ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَخَافَ بِالْمَسِيحِ أَنْ يَحْزَ نَاصِيَتَهُ ، وَيَرِيْقَ دَمُهُ ، وَيَطَأَ تَرَبْتَهُ - يَعْنِي أَرْضَ الْيَمَنِ - فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبْرَهَةَ فَحَزَّ نَاصِيَتَهُ وَجَعَلَهَا فِي حَقِّ مَنْ الْعَاجِ ، وَجَعَلَ مِنْ دَمِهِ فِي قَارُورَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْ تَرَابِ الْيَمَنِ فِي جَرَابٍ ، وَأَنْفَذَ ذَلِكَ إِلَى النَجَاشِيِّ مَلِكَ الْحَبْشَةِ، وَضَمَّ إِلَى ذَلِكَ هَدَايَا كَثِيرَةً وَأَطَافًا ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَعْتَرِفُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَيُحْلِفُ لَهُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَا أَنَّهُ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ الْمَلِكَ حَلَفَ بِالْمَسِيحِ أَنْ يَحْزَ نَاصِيَتَهُ وَيَرِيْقَ دَمُهُ وَيَطَأَ أَرْضَهُ ، وَقَدْ أَنْفَذَتْ إِلَى الْمَلِكِ نَاصِيَتِي فَلْيَحْزُهَا بِيَدِهِ، وَبَدْحِي فِي قَارُورَةٍ فَلْيَهْرِقْهُ، وَبِحَرَابٍ مِنْ تَرَبْتِ بِلَادِي فَايْطَأْهُ بِقَدَمِيهِ ، وَلِيُطْفِئَ الْمَلِكُ عَنْ غَضَبِهِ، فَقَدْ أَهْرَبَتْ يَمِينَهُ، وَهُوَ عَلَى سَرِيرِ مَلِكِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَى النَجَاشِيِّ اسْتَنْصَبَ رَأْيَهُ، وَاسْتَحْسَنَ عَقْلَهُ ، وَصَفَحَ عَنْهُ [وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَلِكٍ قَبَاذَ مَلِكِ فَارَسِ]

أبرهة
أبو يكسوم

وَأَبْرَهَةَ أَبُو يَكْسُومَ^(٢) هُوَ الَّذِي سَارَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ [إِلَى مَكَّةَ] لِإِخْرَابِ الْكَعْبَةِ ، وَذَلِكَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً خَاتَمَ مِنْ مَلِكٍ [كَسْرِي] أَنْوَشْرَوَانَ، فَعَدَلَ إِلَى الطَّائِفِ فَبَعَثَتْ مَعَهُ ثَقِيفَ بَابِي رُغَالٍ لِيَدْلُوهُ عَلَى الطَّرِيقِ السَّهْلِ إِلَى مَكَّةَ، فَمَلَكَ أَبُو رُغَالٍ فِي الطَّرِيقِ بِمَوْصِعٍ يُقَالُ لَهُ الْمُعَمَّسُ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ ، فَزَجَمَ قَبْرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ [وَالْعَرَبُ نَتَمَثَّلُ بِذَلِكَ] ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ فِي الْفَرَزْدَقِ

أبو رغال

(١) فِي أ « فَعْبَرِ بِالْحَبْشَةِ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ بْنُ أَصْحَمَ »

(٢) فِي ب « أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمُ بْنُ يَكْسُومَ »

إذا مات الفرزدق فازجوه^(١) كما رمون قبر أبي رغال
قال المسعودي رحمه الله ، وقيل : إن أبا رغال وجهه صالح النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه
ثقف وهو قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم ؛ فقال
غيلان بن سلمة^(٢) وذكر فسوة أبيهم ثقف على أبي رغال * نحن قسي وقسا أبو ناس^(٣)
وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفى :

نقوا عن أرضهم عدنان طرأا وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بمكة إذ يسوق بها الوضينا
وفي ذلك يقول عمرو بن دراك العبدي :

ترانى إن قطعت جبال قيس وخالفت المروء على تميم^(٤)
لأعظم فجزة من أبي رغال وأجورنى الحكومة من سدوم
[وقال مسكين الدارمي :

وأزجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال]
وستورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان
من أمرهم في ذلك .

قال : وفي طريق العراق إلى مكة وذلك بين الثعلبية والهبيير^(٥) نحو البطان -
موضع يعرف بقبر العبادي ، ترجمه للمرة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال ، قبر العبادي
والعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب « أخبار الزمان » وفي
كتاب « حقائق الأذهان » وفي أخبار أهل البيت رضى الله عنهم .

فكان ملك أبرهة على المين إلى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد

(١) في « عيلان بن سلمة » بالعين المهملة في أوله .

(٢) في « إن قطعت جبال قيس »

(٣) في ب « لأعظم من فخار أبي رغال » ولا يتسب مع المعنى

(٤) في ب « بين الثعلبية والهند نحو النظامية » محرفا ، ووقع في « نحو

البطانية » والبطان بكسر أوله - منزل بطريق الكوفة من جهة مكة دون الثعلبية

سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الأبايل ثلاثاً وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من الحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين^(١) سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة الغدر^(٢) .

وسنذكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملاً من تاريخ العالم وتاريخ الأنبياء والملوك ، في باب نُفِرْده لذلك إن شاء الله تعالى .
ثم ملك اليمين بعد أبرهة الأشرم ولده يكسوم ، فعمّ أذاه سائر اليمين ، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، فاشدّت وطأنه على اليمين ، وعمّ أذاه سائر الناس ، وزاد على أبيه وأخيه في الأذى ، وكانت أمه من آل ذي يزن ، وكان سيف بن ذي يزن قد ركب البحار ، ومضى إلى قيصر يستنجده ، فأقام ببابه سبع سنين ، فأبى أن يُنَجِّده ، وقال : أتمّ يهود ، والحبشة نصارى ، وليس في الديانة أن تنصر المخالف على الموافق ، فمضى إلى كسرى أنوشروان فاستنجده ومّت إليه بالقرابة ، وسأله النصرة ، فقال له كسرى : وما هذه القرابة التي أدليت بها إلى ؟ فقال : أيها الملك الجبلية وهي الجلدة البيضاء ؛ إذ كنت أقرب إليك منهم ، فوعده أنوشروان بالنصرة [على السودان] وشغل بحرب الروم وغيرهم من الأمم ، ومات سيف بن ذي يزن ، فأتى بعده ابنه معد يكرب بن سيف ، فصاح على باب الملك ، فلما سئل عن حاله ، قال : لي قبل الملك ميراث ، فوقف بين يدي أنوشروان ، فسأله عن ميراثه ، فقال : أنا ابن الشيخ الذي وعده الملك بالنصرة على الحبشة ، فوجه معه وَهْرَ زِصْبِهِ الديلم في أهل السجون ، فقال : إن فتحوها

مسروق
ابن أبرهة

(١) في ١ « سنة ثمانمائة واثنين وثمانين للاسكندر »

(٢) كذا في ا ونسخة عند ب ، وفي ب « حجة العدد » وفي أخرى عند ب

(٣) في ا « ستين »

أيضاً « العذر »

فلنا ، وإن هلكوا فلنا ، وكلا الوجهين فَتَحَ ، لحملوا في السفن [في دجلة] ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم^(١) ، حتى أتوا أبلّة البصرة — وهي فرج البحر^(٢) ، ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة ، وهذه مدن إسلامية — فركبوا في سفن البحر ، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مَثُوب^(٣) ، فخرجوا من السفن ، وقد كان أصيب بعضهم في البحر ، فأمرهم وَهْرِزُ أَنْ يَمْرُقُوا السفن ليعلموا أَنَّهُ الموت ، ولا وجه يؤملون الْمَفَرَّ إِلَيْهِ فَيَجْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وفي ذلك يقول رجل من حضرموت :

أصبح في مَثُوبَ أَلْفٌ فِي الْجُنُنِ مِنْ رَهْطِ سَاسَانٍ وَرَهْطِ مَهْرَسِنِ^(٤)
ليخرجوا السودان من أرض اليمين دَلَّهْمُ قَصْدُ السَّبِيلِ ذُو يَزَنَ

في شعر له طويل ، ونما خبرهم إلى ملك اليمين مسروق بن أبرهة ، فأتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حير وكهلان ومن سائر مَنْ سَكَنَ اليمين [من الناس] وتضاف القوم ، وكان مسروق على فيل عظيم ، فقال وَهْرِزُ لِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْفَرَسِ : أَصْدُقُوهُمْ الْحِمْلَةَ^(٥) ، واستشعروا الصبر ، ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملاً ، ثم نزل عن الجمل فركب فرساً ، ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حماراً استصفاً لأصحاب السفن ، فقال وَهْرِزُ ذهب ملكه ، وتنقل من كبير إلى صغير ، وكان بين عيني مسروق ياقوتة خراء معاقلة في تاجه بمعلق من الذهب تضيء كالنار ، فرمى وَهْرِزُ ، ورمى القوم ، وقال وَهْرِزُ لأصحابه : قد رميت ابن الحمار ، فانظروا إن كان القوم يجتمعون عليه [ولا يفرقون عنه فهو حي ؛ وإن كان أصحابه يجتمعون عليه]^(٥) ويتفرقون عنه فقد هلك ، فنظروا إليهم [فراهم] يجتمعون ويتفرقون عنه ، فأخبروه بذلك ، فقال : احملا

(١) في ١ « وغلماهم » (٢) في ب « وهي برج البحر » .

(٣) مَثُوب — بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو — بلد باليمن ، قاله ياقوت .

(٤) في ب « اصدقوهم الخبر » محرفاً .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ب .

على القوم واصدقوهم [فحملوا عليهم وصدقوهم]^(١) ، فأنكشت الحبشة
وأخذهم السيف ، ورفع رأس مسروق ورؤوس خواص الحبشة ورؤسائهم ،
فقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً ، وقد كان أنوشروان اشترط على معديكرب
شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها [وفي ذلك
يقول الشاعر :

على أن ينكحوا النسوان منهم

ولا ينكحوا في الفارسينا^(٢)

[وَخَرَّاجٍ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ]^(١) فتَوَجَّعَ وهرز معديكرب بتاج كان معه وبدنة^(٢)
من الفضة ألبسه إياها ، [ورتبه في ملكه على اليمن]^(٣) ، وكتب إلى
أنوشروان بالفتح ، وخلف هناك جماعة من أصحابه .

وكان جميع ما ملكت الأحابش [اليمن]^(١) اثنتين وسبعين سنة ، وكان
ملك مسروق بن أبرهة إلى أن قتله وَهْرَزُ ثلاث سنين ، وذلك لخمس وأربعين
خلت من ملك أنوشروان .

[وأنت^(٢) معدى كرب الوفود من العرب تهنئه بالملك ، فأثاء عبدالمطلب
وجَدُّ أُمَيَّةِ بن أبي الصَّلْتِ ، وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذى
يزن في هذا الكتاب فيما بعد ، وما قيل من الشعر]^(٣) وفي مسير الفرس إلى
اليمن ونصرتهم على الحبشة يقول بعض أولاد فارس :

نَحْنُ خُضْنَا الْبَحَارَ حَتَّى فَكَّكْنَا حَمِيرًا مِنْ بِلَاقَةِ السُّودَانِ
بَلِيُوثٍ مِنْ آلِ سَاسَانَ شُوسٍ يَمْنَعُونَ الْحَزِيمَ بِالْمِرَّانِ
وَبَيْضُ بَوَاتِرٍ تَتَلَّالًا كَسَنَّا الْبَرْقَ فِي ذَرَى الْأَبْدَانِ
فَقَتَلْنَا مَسْرُوقَ إِذْ تَاهَ لَمَّا أَنْ تَدَاعَتْ قِبَائِلُ الْحَبْشَانِ
وَفَلَقْنَا يَاقُوتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بِنُشَابَةِ الْفَتَى السَّاسَانِ

(١) زيادة عن ١ .

(٢) زيادة عن ب .

(٣) في ب « وقفازات من الفضة » .

[وَهَرَزُ الدِّلِيُّ لَمَّا رَأَهُ رَابِطَ الْجَاشِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ]^(١)
وَحَوَيْنَا بِلَادَ قَحْطَانَ قَسْرًا ثُمَّ سَرْنَا إِلَى ذِي عُغْدَانَ
فَنَعَمْنَا فِيهِ بِكُلِّ سُرُورٍ وَمَنَّنَا عَلَى بَنِي قَحْطَانَ
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ يَمْدَحُ أَبْنَاءَ الْعَجَمِ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ الْفَرَسِ عَلَى
أَسْلَافِهِ لِأَنَّهُ مِنْ قَحْطَانَ :

فَكَمْ لَكُمْ مِنْ يَدٍ يَزْكُو الثَّنَاءُ بِهَا وَنِعْمَةٌ ذَكَرُهَا بَاقٍ عَلَى الزَّمَنِ
إِنْ تَفْعَلُوهَا فَلَيْسَتْ بِكَرٍّ أَنْعَمَكُمْ وَلَا يَدٌ تَأْيِيدُكُمْ عَلَى الْيَمَنِ
أَيَّامَ جَلِيٍّ أَنْتُمْ شُرَوَانُ جَدِّكُمْ غِيَابَةُ الذِّلِّ عَنْ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ^(٢)
إِذَا لَا تَزَالُ خِيُولُ الْفَرَسِ دَافِعَةً
بِالصَّرْبِ وَالطَّمَنِ عَنْ - صَنْعًا وَعَنْ عَدَنَ^(٣)

أَتَمُّ بَنُو الْمُنْعَمِ الْمَجْدِيُّ وَنَحْنُ بَنُو

مَنْ فَازَ مِنْكُمْ بِفَضْلِ الطَّوْلِ وَالْمَنْ

قَالَ الْمُسَعُودِيُّ : وَأَتَتْ مَعْدِيكَرِبَ الْوُفُودِ مِنَ الْعَرَبِ تَهْنِئَةً بِعُودِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ
وَأَشْرَافُ الْعَرَبِ وَزَعَمَآؤُهَا ، وَفِيهِمْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ [وَأُمِيَّةُ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ] ، وَخُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى [بْنُ قَصِيٍّ]
و [أَبُو زَمْعَةَ] جَدُّ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ ، وَقِيلَ : بَلْ أَبُو الصَّلْتِ أَبُوهُ ،
فَدَخَلُوا إِلَيْهِ وَهُوَ فِي أَعْلَى قَصْرِهِ بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ الْمَعْرُوفِ بِعُغْدَانَ وَهُوَ مُضْمَخٌ
بِالْعَنْبَرِ ، وَسَوَادُ الْمَسْكِ يَلُوحُ عَلَى مَقَرِّقِهِ ، وَسَيْفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَلَى يَمِينِهِ وَسَارُهُ
الْمَلُوكُ [وَأَبْنَاءُ الْمَلُوكِ] وَأَبْنَاءُ الْمَقَاوِلِ .

فَتَكَلَّمَتْ الْخَطْبَاءُ ، وَنَطَقَتْ الزَّعَمَاءُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَهُمْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمِ
فَقَالَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَحْلَكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - مَحَلًّا رَفِيعًا ، صَعْبًا

عبد المطلب
يحيى الملك

(٢) في ١ « غيبة الذل »

(١) هذا البيت لا يوجد في ١ .

(٣) في ١ « صنعاء أو عدن » .

منيعا، شامخا، باذخا ، وأنبئك منبتا طابت أرومته، وعزرت جُرثومتها، وثبت أصله
وَبَسَقَ فرعه ، في أكرم معدن، وأطيب [موضع و] موطن، فأنت أبيت اللعن! -
رأس العرب ورَبِيعُها الذي تُخَصِّبُ به^(١)، وأنت أيها الملك ذروة العرب الذي
له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العباد ، ومَعْقِلُها الذي تلتجئ إليه العباد ، سَلَفُكَ
خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن نخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن
يهلك من أنت خلفه، أيها الملك ، نحن أهل (حرم) الله، وسَدَنَةُ دينه، أشخصنا إليك
الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي^(٢) فَدَحْنَا، ونحن وفدا التهنته، لا وفدا المرزئة^(٣)
فقال له الملك : وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ،
فقال الملك معدى كرب بن سيف : ابنُ أختنا؟ قال : نعم ، قال : أدنوه مني،
فأدنى ، ثم أقبل عليه وعلى الوفد ، فقال لهم : مرحبا وأهلا ، وناقَة وَرَخْلًا ،
ومستناخا سهلا ، وملكا رِيحَلًا^(٤) ، يعطى عطاء جزلا، قد سمع الملك مقاتلكم ،
وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأتم أهل الليل والنهار ، لكم الكرامة ما
أقمت ، والحباء إذا ظعنتم .

أبو زمعة يهشه

ثم قام أبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي ، فأنشأ يقول^(٥) :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن في لجة البحر أحوالا وأحوالا
حتى أتى بيني الأحرار يحملهم تخالمهم في سواد الليل أجبالا
لله درهم من عصبه خرجوا ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا

(١) في ب « وتبعها الذي يخطب له » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما في ا

(٢) في ب « من كشف الكرب فرحا » وفي ا ، « من كشف الكرب الذي فرجنا » وكلاهما تحريف .

(٣) الذي في ب « الرزية » وما أثبتناه موافق لما في ا ، وهو المحفوظ المعروف

(٤) في ب « وملكا مرتجلا » وهو تحريف .

(٥) في بعض هذه الأبيات اختلاف في الرواية ، ولم نشأ أن نغيره ، فانظر

(سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٩ و ٧٠) فهي موجودة فيها مع زيادة .

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أمسى شريدُهُم في الأرض فلَلاً
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس عُمدَان داراً منك محلاً
ثم اطلُ بالمسك إذ شالت نعماتهم وأُسبِل اليوم في بُردَيْكَ إسبلاً
تلك للكارم لاقبَانٍ من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبوالا
ولعد يكرب بن سيف بن ذى يزن كلام كثير مع عبد المطلب
وكوأن أخبره بها في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره ، بشر به
عبد المطلب وأخبره عن أحواله ، وما يكون من أمره ، وحبا جميع الوفد ،
وانصرفوا ، وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان »
فأغنى عن إعادته ووصفه .

قال المسعودى : وأقام معد يكرب بن سيف بن ذى يزن ملكاً على اليمن ،
واصطنع عبيداً من الحبشة حراة يمشون بين يديه بالحراة ، فركب في بعض
الأيام من باب قصره المعروف بعُمدَان بمدينة صنعاء ، فلما صار إلى رحبتها عطفت
عاليه الحراة من الحبشة ، فقتلوه بحراهم ، وكان ملكه أربع سنين ، وهو آخر
ملوك اليمن ^(١) من قحطان ، فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكاً [و] ملكوا
ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة .

قال المسعودى : وأما عبيد بن شَرِيَّة الجرهمي حين وفد على معاوية ، وسأله
عن أخبار اليمن [وملوكها] وتواريخ سنيها ، فإنه ذكر أن أول ملوك اليمن على
حسب ما قدمنا في هذا الباب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ملك
مائة سنة وأربعاً وثمانين سنة .

ثم ملك بعده الحارث بن شداد بن ملطاط ^(٢) بن عمرو ، مائة وخمساً
وعشرين سنة .

(١) في « وهو آخر من ملك اليمن من قحطان » .

(٢) في « بن شداد بن ملطاط » .

ثم ملك بعده أبرهة بن الراش ، وهو [أبرهة] ذو المنار ، مائة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده إفريقس بن أبرهة ، مائة وأربعا وستين سنة .
(١) [ثم ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة ، خمسا وأربعين سنة] (١)
ثم ملك بعده الهداد بن شرجيل بن عمرو ، وهو ذو الصرح ، سنة .
ثم ملك [بعده] بلقيس بنت الهداد ، سبع سنين .
ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ، ثلاثا وعشرين سنة ، على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس .

ثم ملك بعده رحيمة (٢) بن سليمان ، سنة .
ثم رجع الملك إلى حمير ، فملك من بعد رحيمة بن سليمان (٢) ناشر النعم بن يعفر (٣) بن عمرو ذي الأذعار ، خمسا وثلاثين سنة ، وقد قيل في تسميته ذا الأذعار خبر تأباه العقول ، وتنكر النفوس كون مثله في العالم ، ويمحوز كون ذلك في المقدور وأنه إنما سمن الأذعار لأنه وصل إلى قوم في أقصى مفاوز اليمن و [أرض] حضرموت مشوهي الخلق عجيبي الصورة وجوههم في صدورهم ، فلما رأى أهل اليمن ذلك أذعرهم ما شاهدوا من ذلك ، وجزعت منه نفوسهم ، فسمى ذا الأذعار ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بكيفيته .

ثم ملك بعده عمرو بن شمر بن إفريقس ، ثلاثا وخمسين سنة .
(١) [ثم ملك بعده تبع الأقرب بن عمرو ، وهو تبع الأكبر ، مائة سنة وثلاثا وخمسين سنة] (١)

ثم ملك بعده ابنه ملكيكر بن تبع (١) [خمسا وثلاثين سنة] (١)
ثم ملك بعده تبع بن ملكيكر بن تبع (١) وهو تبع أبو كرب أسعد ابن ملكيكر بأربعا وثمانين سنة .

(١) لا يوجد ما بين العنقوين في ب (٢) في أ «أرحمة بن سليمان» .
(٣) في أ «ياسر بن نعم بن يعفر» .

ثم ملك بعده كلال بن مثوب^(٢) ، أربعاً وسبعين سنة .
 ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع^(٣) [ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة]^(٢)
 ثم ملك بعده مرثد ، سبعاً وثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح ، ثلاثاً وسبعين سنة .
 ثم ملك بعد ذوشنآثر^(٣) بن زرعة ، ويقال يوسف ، ويقال : بل اسمه^(٤)
 عريب بن قطن ، تسعاً وثمانين سنة .

ثم ملك بعده الخنيفة^(٥) ، ويعرف بذي الشنار ، أربعاً وثمانين سنة .
 فذلك ألف [وتسعمائة سنة]^(٢) وسبع وعشرون سنة ، وإتاما ذكرنا ما حكيناه
 عن عبيد بن شريّة في ترتيب ملوكهم ، وتباين تواريخ سنينهم ، لنأني على جميع
 ما قبل في ذلك من التنازع ، والله ولي التوفيق

ولما قتلت الحبشة معديكرب بن سيف بن ذي يزن على حسب ما قدمنا .
 في الرحبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهريز في جماعة من العجم ، ممن كان ضمهم
 وهريز إلى معديكرب (فركبو) أتى على من كان هنالك من الحبشة ، وضبط
 البلد ، وكتب بذلك إلى وهريز وهو يباب أنوشروان الملك ، وذلك بالمدائن من
 أرض العراق^(٦) ، فأعلم وهريز بذلك الملك ، فسيره في البر في أربعة آلاف من
 الأساورة ، وأمره بإصلاح اليمن ، وأن لا يبق على أحد من بقايا الحبشة ، ولا على
 جعد قطط قد شرك السودان في نسبه ، فأتى وهريز اليمن ، ونزل صنعاء ، فلم يترك
 بها أحداً من السودان ولا من أنسابهم ، وملك أنوشروان وهريز على اليمن إلى
 أن هلك بصنعاء [ثم ملك بعده النبوشجان بن وهريز إلى أن هلك بها] ثم ملك
 بعده رجل من فارس يقال له سبجان ، ثم ملك بعده خرزاد ستة أشهر ، ثم ملك
 بعده ابن سبجان ، ثم ملك بعده المرزبان وكان من أهل بيت مملكة فارس ، ثم
 ملك بعده خر خسرو^(٧) ، وكان مولده باليمن ، ثم ملك بعده بإذان بن ساسان .

(١) في ب « كلال بن سويب » (٢) لا يوجد ما بين المعقوفين في ب .

(٣) في ا « ذو نواس زرعة » (٤) في ا « عريب بن قطن » .

(٥) في ب « خنيفة » . (٦) في ب « من أرض فارس » . (٧) في ب « حرحس » .

ملك فارس
باليمن

ملك اليمن قال المسعودي : فهو لاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس ، في أبناء إبراهيم وقد ملك اليمن رجل من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو يعدُّ من ملوك اليمن واسمه هُنيّة^(١) بن أميم بن بدل بن مدين^(٢) بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان له شأن عظيم في (ملك) اليمن ، وطالت أيامه ، وذكره امرؤ القيس في شعره (فقال :

وهنيّة الذي زادت قواه على زيدان إذ حان الزوال
تمكن قائما وبني طريقا إلى زيدان أعيط لا ينال (
(ويقال : إنه منقبه بن أميم بن بدل بن لسان بن إبراهيم الخليل)
عاصمة اليمن وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفّار ، مثل آل ذي سحر وآل
ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن ، إلا اليسير منهم فإنهم نزلوا غيرها
وكان على باب ظفّار مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود^(٣) :

يوم شيدت ظفار قيل : لمن أذنت ؟ فقالت : لمحير الأخيار
ثم سئلت : من بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي للأحشيش الأشرار
ثم سئلت : من بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي لفارس الأحرار
(ثم سئلت : ما بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي إلى قریش التجّار)
(ثم سئلت : ما بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي لمحير وصحار)
وقايلا ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مَشِيدُهَا للبوار
من أسود يلقىهم البحر فيها تشعل النار في أعالي الديار
وهذا خبر عن ملوك تداولوها ، أخبروا عن ملكهم قبل كونه ، فتداولتها
(هذه) الملوك على حسب ما وصفناه ، وينتظر في المستقبل من الزمان ما ذكرنا من
وقود النيران في أعالي الديار ، وعند أهل اليمن أن ديارهم سيغلب عليها الأحابش

(١) في ب «هنيّة» وكذلك هو في الشعر المنسوب لامرئ القيس

(٢) في ا « بن مرن » (٣) في ا « بالحر الأسود ماضوته » .

في آخر الزمان بعد هنأت وكوأن وأحداث ، وُبِعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى اليمن عُمال كسرى ، ثم غلب الإسلام فظفر بحمد الله .
وقد أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك ، وسيرهم ، ومطافاتهم في البلاد
وحروبهم ، وأبنتهم في سائر مطافاتهم ، في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك
عن إعادته في هذا الباب .

وبلد اليمن طويل عريض : حده مما يلي مكة إلى الموضع المعروف بطلحة ^{مساحه اليمن}
الملك ^(١) سبع مراحل ، ومن صنعاء إلى عدن - وهو آخر عمل اليمن - تسع ^{وحدوده}
مراحل ، والمرحلة من خمسة فراسخ إلى ستة ، والحد الثاني من وادي وحإ إلى
ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ، وبلى الوجه الثالث بحر اليمن
على ما ذكرنا أنه بحر القلزم والصين والهند ، فجميع ذلك عشرون مرحلة
في ست عشرة مرحلة .
وأسماء ملوك اليمن كذى يزن وذى نواس وذى منار وغير ذلك مضافة
إلى مواضع وإلى أفعالهم وسير وحروب وغير ذلك ، وهي سمات لم تميزهم عن
غيرهم ، وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم .
وإذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة
من بني نصر وغيرهم ، للحوقهم باليمن ، ثم نقب ذلك بملوك الشام وغيرهم ^(٢)
من الملوك ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ب «بلجة الملك» وهو تحريف ، وطلحة الملك : اسم واد باليمن .

(٢) في أ «سبع مراحل» .

(٣) في أ «بملوك الشام من اليمن وغيرهم ، إن شاء الله» .

ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم

ولما هلك جَذِيمَةُ الوَضَّاحِ وأُتَتْ عَلَيْهِ الزَّبَاءُ بنت عمرو بن ظرب بن حسان
جذيمة الوضاح ومقتله
ابن أذينة بن السميدع بن هوير ، وقد كان ملكاً من مشارق الشام^(١) إلى الفرات
من قبل الروم ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق^(٢) ، بين بلاد الخناوقة
وقرقيسيا ، وقد كانت الزباء تملك بعد أبيها ، وأطمعت جَذِيمَةَ في نفسها إلى أن
قتلته ، وأقام جَذِيمَةُ ملكاً في زمن ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ، وفي ملك
أردشير بن بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة ؛ فكان ملكه
مائة وثمان عشرة سنة ، وكان يكنى بأبي مالك ، وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية
وهو سُوَيْدُ بن أبي كاهل الشكري :

إِنْ أَذُقْ حَتَّى قَبْلِي ذَاقَهُ طَسِمُ عَادٍ وَجَدِيسُ ذُو الشَّنْعِ^(٣)
وَأَبُو مَالِكٍ الْقَتِيلُ الَّذِي قَتَلَتْهُ بِنْتُ عَمْرٍو بِالْخَدَعِ^(٤)

وكان الملك قبل جَذِيمَةَ أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، والله أعلم ، وكان
يقال له مالك بن فهم بن فهم بن دؤس بن الأزد بن العوث [بن نبت]^(٥) ابن مالك بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان سار من اليمن
مع ولد جَفْنَةَ بن عمرو بن عامر مُزَيْقِيَاءَ ، فسار بنو جَفْنَةَ نحو الشام ، وانفصل
مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه
جَذِيمَةُ على ما ذكرنا .

ثم ملك بعد جَذِيمَةَ ابنُ أُخْتِهِ عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث
عمرو بن عدى
ابن مالك بن غنم بن نمارة بن نلَم ، وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها

(١) لعله « مشارق الشام » (٢) في ب « بالصيرة » .

(٣) في ب « ذو السبع » . (٤) في ا « وأبو مالك الكهل » .

(٥) في ب « بن العوف بن مالك » ولم يذكر نبت .

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم ٩١

منزلا ودار ملكٍ ، وإليه تنسب الملوك النصرانية ، وهم ملوك الحيرة ؛ فكان ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة مائة سنة .

قال المسعودي : وقد ذكر غير واحد ممن عني بأخبار العرب وأيامها أن جذيمة أول من ملك من قضاة ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم التتوخى ، وأنه قال ذات يوم لندمائه : لقد ذكر لي عن غلام من [لخم ، في أخواله من] إباد ، له ظرفٌ وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته نأسي والقيام على رأسي لكان الرأي ، قالوا : الرأي ما رأى الملك ، فليبعث إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدى بن نصر بن ربيعة ، فولاه مجلسه ، فعشقه رقاش ابنة مالك أخت الملك ، فقالت : يا عدى ، إذا سقيت القوم فامزج لهم ، وغدق الملك ، فإذا أخذت الخمر منه فاخطبني منه فإنه يزوجك ، فأشهد القوم إن فعل ، ففعل الغلام ذلك [وخطبها] وزوجها به ، فأشهد عليه ، وانصرف الغلام إليها فأنبأها ، فقالت : عرسٌ بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا متضرجا بالملوك ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثا العرس ، وقال : وأي عرس ؟ قال : عرس رقاش فنخَرَ وأكب على الأرض ، ورفع عدى جرابه ، [وهرب] وأسرع جذيمة في طلبه ، فلم يجده ، وقال بعضهم : بل قتله ، وبعث إليها يقول :

حدّثيني رقاش لا تكذبيني أبحر زنت أم بهجين ؟

أم بعبدٍ فأنت أهل لعب أم بدون فأنت أهل لبون ؟

فأجابته رقاش تقول :

أنت زوّجتي وما كنت أدري وأتاني النسب للزّين

ذاك من شربك المدامة صرّفاً وتماديك في الصبا والمجون^(١)

فنقلها جذيمة إليه ، وحصنها في قصره ، فاشتملت على حمل ، وولدت غلاماً فسّمته عمراً ، ووشحته ، حتى إذا ترعرع حلّته وعطّره وألبسته كسوة فاخرة ،

(١) في ب « الصبا والجون » .

ثم أزارته خالَهُ ، فأعجب به ، وألقت عليه منه محبة [ومودة] حتى إذا خرج الملك في سنة مُكَلِّئَةٍ قد أكمأت ، فبسط له في رَوْضَةٍ ، وخرج عمرو في غلّة يمجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خَبَأَهَا ، ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يتقدمهم ، ويقول :

هذا جنائى وخياره فيه إذ كل جانٍ يدهُ إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحبّاه ، ثم إن الجن استطارته ، فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا ، فلم يسمع له بخبر [فكف عنه] إذ أقبل رجلان يقال لأحدهما : مالك ، وللآخر : عقيل ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملك بهدية ، فنزلا على ماء ، ومعهما قينة يقال لها أم عمرو ، فنصبت [لها] قدراً ، وأصلحت لها طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث أغبر الرأس^(١) قد طالت أظفاره وساءت حاله ، حتى جلس مزجراً الكلب ، ومدّ يده ، فناولته القينة طعاماً ، فأكل ، فلم يغن عنه شيئاً ، فمدّ يده ، فقالت القينة : إن تعط العبد كُرَاعاً طلب ذِراعاً ، فأرسلتها مثلاً ، ثم ناولت صاحبها من شرابها ، وأوكت زِقْها^(٢) ، فقال عمرو ابن عدى :

عدلت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمين
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^(٣)

فقال له الرجلان : من أنت ؟ فقال : إن تنكرانى فلن تنكرا حسبي^(٤) ، أنا عمرو بن عدى ، فقاما إليه فلتماه ، وغَسَلَا رأسه ، وَقَلَّما أظفاره ، وَقَصَّرَا من لثته ، وألبساه من طرائف ثيابها ، وقالوا : ما كنا لنهدى إلى الملك هدية هي

(١) في « رجل شعث الرأس وقد طالت أظفاره » .

(٢) في « وأوكت سقاءها » .

(٣) والبيتان ينسبان لعمرو بن معد يكرب وهما في طويلته .

(٤) في « فلن تنكرا نسي » .

قصة
تدعى جذيمة

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم ٩٣

أنفس عنده ولا هو عليها أحرص^(١) من ابن أخته ، قدرده الله إليه ، فخر جابه ، حتى إذا وقفا على باب الملك بشره به [فسره به] وصرفه إلى أمه ، وقال لهما : **حُكْمُكُمَا** ، فقالا : حكما منادمتك ما بقيت وبقينا ، قال : ذلك لكم ، فهما ندما نا جذيمة المعروفان ، وإياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في مَرثيته لأخيه

مالك حين قتله خالد بن الوليد [بن المغيرة] يوم البطاح :

وكنا كدَمَانِيْ جَذِيْمَةٍ حَقَبَةً من الدهر حتى قيل : لن يتصدَّعَا

فلمَّا تفرقنا ثُنِيْ ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرَّقَ قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

وإن أم عمرو عمدت إليه ، فبعثت معه حَفْدَةً يقومون عليه في الحمام ، حتى

إذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك ، وجعلت في عنقه طَوْقًا من ذهب لَنَذَرُ

كان عليها ، ثم أمرته بزيارة خاله ، فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال :

شَبَّ عمرو عن الطوق ، وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره .

وإن الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان [بن أذينة بن السميدع بن هور]

بين الزباء

وجذيمة

ملكة الشام والجزيرة من أهل بيت عاملة من الماليق كانوا في سليح ، وقال بعدهم :

بل كانت رومية ، وكانت تتكلم بالعربية ، مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب

الشرقي والغربي ، وهي اليوم خراب ، وكانت فيما ذكر - قد سقطت الفرات^(٢)

[وجعلت من فوقه بنية رومية] وجعلته أنقايا^(٣) بين مدائنها ، وكانت تغزو بالجنود

[قبائل] فخطبها جذيمة الأبرش ، فكتبت إليه : إني فاعلة ، ومنلك من رُغَبٍ فيه ،

فإذا شئت فاشخص إلي ، وكانت بكرًا ، فجمع عند ذلك جذيمة أصحابه ، فاستشارهم ،

(١) في ١ « ولا هو عليها أحسن صفدا من ابن أخته » والصفد : العطاء .

(٢) في ١ « قد سقطت الفرات » .

(٣) في ١ « وجعلته أنقايا » .

فأشاروا عليه بالمضي ، وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لَحْمٍ ، فأمره أن لا يفعل ، ويكتب إليها ، فإن كانت صادقة أقبلت إليك ^(١) ، وإلا لم تقع في حبالها ، فعصاه وأطاعهم [وسار] حتى إذا كان بَبَقَةً من دون هَيْتٍ إلى الأنبار - جمعهم وشاورهم فأمروه بالشخص إليها لماء لو آمن رأيته في ذلك ، وقال قصير : تنصرف ودُمُك في وجهك ، فقال جذيمة : بَبَقَةٌ قضى الأمر ، فأرسلها مثلاً ، وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم ^(٢) : لا يطاع لقصير أمر ، فأرسلها مثلاً ، وظعن جذيمة ، حتى إذا عين مدينتها - وهي بمكان دون الخانوقة - ونظر إلى الكتاب [من] دونها ، فهاله ما رأى ، فقال : أي قصير ، ما الرأي ؟ فقال قصير : إني تركت الرأي ببقه ، فقال عند ذلك : أشِرْ علي ، فقال : إن لقيتك الكتاب خيتك بتحية الملك وانصرفوا أم أمك فالمرأة صادقة ، وإن هم أخذوا بجنيبك ووقعوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم ، فاركب العصا فإنها لا تدرئ ولا تسبق ، يعني فرساً كانت جنبت معه ^(٣) ، فاستقبله القوم وأحاطوا به ، فلم يركب العصا ، فعمد إليها قصير فركبها وحمل وانطلق ^(٤) ، فالتفت جذيمة فإذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به ، فقال جذيمة : ماضل من تجرى به العصا ، فأدخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كِبَعَاتِهَا (أي عفلها) وتنظفت باستها ، وقالت : يا جذيمة ، أي متاع عروس ترى ؟ قال : أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خَفَرٍ ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم مَوَاسٍ ، ولا قلة أَوَاسٍ ، ولكن شيمة ما أناس ، ثم أجاسته على نِطْعٍ ، ودعت له بطست من عسجد ، فقطعت رَوَاهِشَهُ واستنزفته ، حتى إذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة [من دمه] على دعامة من رُخَامٍ ، وقد قيل لها : إنه إن وقع من دمه قطرة في غير طست طلب بدمه ،

(١) في « فإن كانت صادقة أقبلت إليه » .

(٢) في « حين رأى ما قد عزم عليه » .

(٣) في « يعني فرسا كانت تجنب معه » .

(٤) في « وختل الخيل وانطلق » .

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم ٩٥

قالت : أى جذيمة ، لاتضعين من دمك شيئاً ، فإنى إنما بعثت إليك لأنه باعنى أن دمك شفاء من الخبل ، فقال جذيمة : وما يحزنك^(١) من دم أضاعه أهله!! وفى ذلك يقول البعيث:

من الدارمين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخلب^(٢)

واستصفت دمه ، وجعلته فى برنية ، وقال بعضهم : دخل عليها جذيمة فى قصر لها ليس فيه إلا الجواربى ، وهى على سريرها ، فقالت للإماء : خُذْنِي سِيدَكْن ، ثم دعت بنطع فأجلسته عليه [فعرى الشر] وكشفت عن عورتها فإذا هى قد عقدت شعر استها من وراء ، فقالت : أشوار عروس ترى؟ فقال: بل شوارمة بظراء ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم مَواس ، ولا قلة أواس ، ولكنها شيمة ما أناس ، ثم أمرت برؤاهشة فقطعت ، فجعل ذمه يشخب فى النطع كراهة أن يفسد بمقعدها ، فقال جذيمة : لا يحزنك دَمُ أراقه أهله .

عمرو بن
عدى يأخذ
بثأر خاله

ونجافُصير ، فأورد الخبر على عمرو بن عبد الجن^(٣) التنوخى بالحيرة ، فأشفق لذلك ، فقال له قصير : اطلب بثأر ابن عمك ، وإلا سبَّتك العرب ، فلم يحفل بذلك ، فخرج قصير إلى عمرو بن عدى ، فقال له : هل لك فى أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب ثأر خالك؟ فضمن له ذلك ، فصرف وجوه الجنود إليه ، ومناهم بالمال والحال ، فانصرف إليه منهم بشرٌ كثير ، فالتقى هو والتنوخى ، فلما خافوا الفناء تابعة التنوخى ، وتم الأمر لعمرو بن عدى ، فقال له قصير : انظر ما وعدتنى به فى الزباء ، فقال عمرو : وكيف لنا بها وهى أَمْنَع من عُقَاب الجور؟ فقال : أما إذ أبيت فإنى جادع أننى وأذنى ومحتال لقتلها جَهْدِي ، فَأَعِنِي وَخَلَاكَ ذم ، فقال له عمرو : أنت أبصر ، وعلىَّ مَعُونَتِكَ ، فخدَعَ أَنفه ، فقيل : لأمر ما جَدَعَ قصير أَنفه ، ثم انطلق حتى دخل على الزباء ، فقالت : من أنت؟ فقال:

(١) فى ب « وما يخينك من دم - إلخ » .

(٢) فى ب « المحبة والخلب »

(٣) فى ب « بن عبد الحى » .

أنا قصير ، لا ورب المشرق ما كان على وجه الأرض بشر كان أنصح
لجذيمة ولا أغش لك مني ، حتى جدع عمرو بن عدى أنفي وأذني ، فعرفتُ
أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه مني معك ، فقالت : أي قصير ، نقبل
منزلتك ونصرفك في بضائعنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مال الحيرة ،
فاستخف ما فيه بأمر عمرو بن عدى ، وانصرف به إليها ، فلما رأت ما جاءها
به فرحت بذلك ، وزادته مالا إلى ما جاء به ، وقال : إنه ليس من ملك إلا
وهم يتخذون في مدائنهم أنقاباً^(١) نكون لهم عُدداً ، فقالت له : أما إني قد
فعلت ذلك ، قد نعبت سرباً وبنيت من تحت سريري هذا حتى أخرج من
تحت الفرات إلى سرير أختي رحيلة^(٢) ففرح بذلك قصير^(٣) ، ثم ظعن حتى
أتى عمرا ، فركب عمرو في ألني رجل على ألف بعير في الصناديق^(٤) ، حتى صار
إليها ، فتقدم قصير وسبق الأبعرة ، فقال لها : اصعدى حائط مدينتك ،
وانظري إلى مالك ، وتقدي إلى بوابك فلا يتعرض لشيء من أموالنا^(٥) ،
فإني قد جئت بمال صامت^(٦) . وكانت قد أمنتته ، فلم تكن تخافه ، وصعدت
وفعلت ما أمرها ، فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت :

مالا لجمال مشيها وثيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صر فانا باردا شديدا أم الرجال جئنا قعودا ؟

ودخلت الإبل المدينة ، حتى إذا بقي آخرها جملا عيل صبر البواب ، فطعن
بمنخسة كانت في يده خاصرة رجل فصرط ، فقال البواب : بشتا بشتا^(٧) ، وهي بالنبطية
أي : في الجوالق شر ، وثار الرجال من الجوالق ضرباً بأسيا فهم ، فخرجت الزباء
هاربة إلى سربها ، فأبصرت قصيراً عند نهقها مُصلتاً سيفه ، فانصرفت راجعة ،

(١) في ا « أتاقا » .

(٢) كذا في ا ، وفي ب « دخلة » وذكر في هامشها أن في نسخة « زبية » .

(٣) في ا « فخرنها قصير » . (٤) في ا « في الجوالق » .

(٥) في ا « من أعكنا » . (٦) حفظي « بما صأى وصمت » .

(٧) في ا « بشتا لشقا » .

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم ٩٧

وَتَلَقَّاهَا عمرو بن عدى ، فضربها . وقال بعضهم : مَصَّتْ خَاتَمَهَا ، وكان فيه
سم ساعة ، وقالت : يبدى لا يبد عمرو ، وحربت المدينة ، وسبيت الذراري ،
فقال الشعراء في أمرها وأمر قصير فأكثر : فمن ذلك قول المتلمس :
ومن طَلَب الأوتارَ ما حَزَّ أنفه قصير ، ورام الموت بالسيف يَهْسُ^(١)
[نَعَامُهُ لما صَرَّع القوم رهطه تبين في أثوابه كيف يلبس]^(٢)
^(٣) [ومن ذلك قول عدى بن زيد التميمي يصف ذلك من أمرهم :
ألا يأيها الملك الرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقة الأمراء يوما جديمة عام ينجوم ثِيناً^(٤)
وطاوع أمرهم ، وعصا قصيرا وكان يقول - لو وقع - اليقينا
لخطبته التي غدرت وخانت وهن ذوات غائلة ، لِحِيناً]^(٥)
مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك .

وكانت الزباء لا تأتي حصناً إلا ضفرت شعر أستها من خلفه^(٥) ، ثم تقاعست
فتقلعه ، حتى فعلت ذلك بمارد - حصن دومة الجندل - وبالأبلى - حصن
تياء - حصنين منيعين ، فقالت : تمر دمارد وعز الأبلق [فذهبت مثلاً] ، وهما
الحصنان اللذان تذكرهما العرب في أشعارها [كثيراً] ، قال الأعشى في ذلك :
بالأبلى الفرد من تياء منزله حصن حصين وجار غير غدار
[وجذيمة الوضاح الذي يقول فيه :

ماست مودعة الحديد فنجد منهم وغائر

(١) في ا « ما جذ أنفه » . (٢) هذا البيت لا يوجد في ا .

(٣) هذه الزيادة لا توجد في ا

(٤) في ب « دعا بالبقة » وهو تحريف . وانظر ياقوت « بقة » ووقع عجز

هذا البيت في ب « جذيمة عصره ينجو معنا » والكلام غير مستقيم .

(٥) في ا « فلما تأتي حصناً إلا صفرت باستها من خلفها وتقاعست به فتقلعه »

(٧ - مروج الذهب ٢)

أن تاه أخوَرُ ذو رعين لنا وأحوى ذو أباعر
والملك كان لذي نُوا س حوله من ذى بجائر
بالبسات وبالْقَنَّا والبيض تبرق ولفافر^(١)
أزمان عملاق وفيهم منهم بادٍ وحاضر
وإنماسمى جذيمة الأبرش الوصاح لأنه كان به برصٌ، فكنى عنه إعظاماً^(٢)
قال السعدي : هذا بدء خبر بني عدى^(٣) ، وقد قدمنا أن مدة ملكه
كانت [مائة سنة]^(٤) .

وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ستين سنة .
وملك بعده عمرو بن امرئ القيس ، وهو مُحَرَّقُ العرب^(٥) خساوعشرين
سنة ، وكانت أمه مارية البرية أخت ثعابة بن عمرو من ملوك غسان .
وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس^(٦) خساً وستين سنة، وكانت
أمه الهيجانة بنت سلول من مراد، ويقال : من إباد .
وملك المنذر بن النعمان [ابن امرئ القيس خساوعشرين سنة ، وكانت
أمه الفراسية بنت مالك بن المنذر ، من آل نصر .
وملك النعمان بن المنذر] فارس حليلة ، وهو الذي بنى الخَوَزَنَقَ وَكَرْدَسَ
الكراديس [خساو ثلاثين سنة ، وكانت أمه هند] بنت زيد مناة من آل غسان
وملك الأسود بن النعمان ؛ عشرين سنة، وكانت أمه هند [بنت الهيجانة،
من آل نصر .

وملك المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر أربعاً وثلاثين سنة ، وكانت
أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن هيثم بن أفضى بن دعي بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ وإنما سميت ماء السماء لحسنها وجهها .

(١) في نسخة « السابقات وبالقنا » (٢) في ب « فكنى به إعظاماً له » .

(٣) في ا « بدء خبر عمرو بن عدى » (٤) في ب « مدة ملكه سنة » .

(٥) في ا « محرق الحرب » (٦) في ا « قائد الفرس » .

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من آل نصر وغيرهم ٩٩

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر ، أربعاً وعشرين سنة ، وكانت أمه حليلة بنت الحارث من آل معد يكرب .

وملك المنذر بن عمرو بن المنذر ، ستين سنة ، وكانت أمه أخت عمرو بن قابوس من آل نصر .

ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة ، وكانت أمه هند بنت الحارث ، من آل معاوية بن معد يكرب .

وملك النعمان بن المنذر ، وهو الذي يقال له : « أبيت العين ! » اثنتين وعشرين سنة ، وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب .

وذكر عدة من الأخباريين أن النابغة استأذن على النعمان يوماً ، فقال له الحاجب : إن الملك على شرابه ، قال [النابغة] : فهو وقت الملقى ، تقبله الأفئدة ، وهو جَذِلٌ للرحيق [والسماع] ، فإن تالَجَ تالِقُ المجد عن غر مواهبه^(١) ، فأنت قسيم ما أفدت ؛ قال له الحاجب : ما نقي عنايتي بدون شكرك ، فكيف أرغب فيما وصفت ودون ماطلبت رهبة التعدي ؟ [فهل من سبب ؟] قال النابغة : ومن عنده ؟ قال الحاجب : خالد بن جعفر الكلابي نديمه ، فقال النابغة : هل لك إلى أن تؤدي إلى خالد عني ما أقول لك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تقول إن من قدرك وفاء الدرك بك وناحيتي من الشكر ما قد علمت ، فلما صار خالد إلى بعض ماتبعه موارد الشراب عليه نهض ، فاعترضه الحاجب ، فقال : ليهنك [أبا البسام] حادث النعيم^(٢) ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر ، وكان خالد رفيقاً ، يأتي الأشياء^(٣) بلطف وحسن بصيرة ، فدخل مبتسماً ، وهو يقول :

إلا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
واللات لكانني أنظر إلى [أملاك] ذي عَيْنٍ ، وقدمت لهم قضبان المجد^(٤) إلى

(١) في ١ « فإن ملق فلق المجد عن مواهبه » والعبارةتان قلقتان .

(٢) في ب « لهنك التام حادث النعيم » .

(٣) في ١ « يتأتى الأشياء » (٤) في ١ « قضبات المجد » .

[معلم أحسابكم] ، ومناقب أنسابكم ، في حلبة أنت - أبيت اللعن ! - غرستها
فحنت سابقاً متمهلاً ، وجاؤا لم يلهم سعى ، قال النعمان : لأنت في وصفك
أبلغ إحساناً من النابعة في نظام قافيتته ، فقال خالد : ما أبلغ فيك حسناً ،
إلا وهو دون قدرك استحقاقاً للشرف الباهر ، ولو كان النابعة حاضراً
لقال وقائلاً ، فأمر النعمان بإدخاله ، فخرج [إليه] ^(١) الحاجب ، [فقال
النابعة : ما وراءك] ^(٢) فقال : قد أذن بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ادخل ،
فدخل ثم انتصب بين يديه ، وحياء بتحية الملك ، وقال : أبيت اللعن !
أنفأخرو وأنت سائس ^(٣) العرب ، وغرة الحسب ، واللات لأمسك أيمن
من يومه ، ولقفاك أحسن من وجهه ، وليسارك أسبح من يمينه ، ولو عندك
أصالح من رِفْدِهِ ، ولعبيدك أكثر من قومه ، ولا تسلك أشهر من قدره ،
ولنفسك أكبر من جده ^(٤) ، وليومك أشرف من دهره ، ثم قال :

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر في الجود والبأس بين العلم والخبر
مُتَوَجِّج بالمعالي فوق مَقْرِقِهِ وفي الوَغَى ضَيِّغَم في صورة القمر
فتهاled وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر خشي فوه جوهراً ، ثم قال : بمثل
هذا فليتمدح الملوك .

بين النعمان
وزيد بن عدى
وكسرى

وقد كان النعمان قَتَلَ عدى بن زيد العبادي ، وكان يكتب لكسرى
أبرويز بالعربية ، ويترجم له إذا وفد عليه زعماء العرب ؛ لمجدة وجدها عليه
النعمان ، في خبر طويل الشرح ، فلما قتل صار زيد بن عدى أبنة مكان أبيه ،
فذكر لأبرويز جمال نساء آل المنذر ، ووصفهن له ، فكتب إلى النعمان يأمره أن
يبعث إليه بأخته ، فلما قرأ النعمان كتابه ، قال للرسول - وهو زيد بن عدى - :
يازيد ، أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى إلى العرييات ؟ فقال
زيد : إنما أراد الملك إكرامك أبيت اللعن ! - بصهرك ، ولوعلم أن ذلك يشق
عليك لمافعله ، وسأحسن ذلك عنده ، وأعذر بك بما يقبله ، فقال له النعمان : فافعل ،

١. (١) زيادة في (٢) في ب «سائد العرب» (٣) في ا «أكرم من جده»

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم ١٠١

فقد تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الغصاة والشناعة^(١) ، [فلما
انصرف إلى كسرى أخبره أنه رغب عنه] فأدى إليه قوله في مَهْ السواد على
أقبح الوجوه ، وَأَوْجَدَهُ عليه ، وقال : ما لها ؟ فقال : البقر ، [فأخذ عليه]
ونال : رُبَّ عبد قد صار في الطغيان إلى أ كثر من هذا ، فلما باغت كلمته [إلى]
النعمان تخوفه ، خرج هارباً حتى صار إلى طيء ، لصهر كان له فيهم ، ثم خرج
من عندهم حتى أتى بنى رَوَاحَةَ بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ،
فقالوا له : أقم معنا فإننا مانعوك مما تمنع منه أنفسنا ، فجزأهم الخير ، ورحل عنهم
يريد كسرى ليرى فيه رأيه ، وذلك قول زهير بن أبي سُلي :

ألم ترَ النعمانَ كَانَ بِنَجْوَ	من الدهر لو أن امرأ كان نَاجِيَا
فغير عنه ملك عشرين حجة	من الدهر يومٌ واحد كان غَاوِيَا
فلم أر مسلوباً له منل ملكه	أقلَّ صديقاً معطياً أو مُوَسِيَا
خلاً أن حياً من رَوَاحَةَ حافظوا	وكانوا أَنَاساً يَتَّقُونَ المَخَازِيَا
يسرون حتى جِشُّوا عند نَارِهِ	هَجَانِ المطايا والعنق الذَّاكِ يَا ^(٢)
فَجَازَاهُمْ خيراً وأثني عليهم	وودَّعهم توديع أن لا تَلَاقِيَا ^(٣)

وأقبل النعمان حتى أتى المدائن ، فصَفَّ له كسرى ثمانية آلاف جارية
عليهن المصبغات صفين ، فلما صار النعمان ينيهن قلن له : أما فبنا لذلك غنى
عن بقر السواد !؟ فلم النعمان أنه غير ناج منه ، ولقيه زيد بن عدى ، فقال له
النعمان : أنت فمات هذا بي ، لئن تخلصت لأسقينا بكأس أيبك ، فقال له
زيد : امض نعيمك ، فقد أخيتك ، لك أخية لا يقطعها المهر الأرين ، وأمر كسرى
بالنعمان ، فحبس بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة ، وقال

(١) في ١ « من الفضاحة والبشاعة » .

(٢) في ١ « يسرون حتى جِشُّوا عند بابه » .

(٣) في ١ ، فقال لهم خيراً « وفيها » وودَّعهم حياً وداع التلاقيا .

بعضهم : بل مات في محبسه بساباط ، وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثر ؛
فمن ذلك قول الأعشى وأجاد :

ولا الملك النعمان يومَ لقيته بغبطة يعطى الصكاك ويرقى .
[ويحيى إليه المسلمون ، وعنده صريعون في أنهارها وأخوار نقي]^(١)
ويقسم أمر الناس يوماً وليلة وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك ، وما أنجى بن الموت ربه . بساباط حتى مات وهو محزرق^(٢)
وقال هانيء بن مسعود الشيباني :

إن ذا الناج ، لا أبالك ، أضحي في الورى رأسه تحوت الفيول
إن كسرى عدّا على الملك النعمان حتى سقاها مر البليل
[ومما رثى به النعمان :

لم تبكه هنـد ولا أختها خرقاء ، واستعجم ناعيه
بين فيول الهند تحبطنه مختبطيناً تدعى نواحيه] .

وقد كان النعمان حين أراد المضي إلى كسرى [استسلماً] مر على بني شيبان
فأودعهم سلاحه وغياله عند هانيء بن مسعود (بن هانيء) الشيباني ، فلما أتى
كسرى على النعمان بعث إلى هانيء بن مسعود ، وطالبه بتركته ، فامتنع ،
وأبى أن يخفر الذمة ، فكان ذلك السبب الذي أهاج حرب ذي فار ، وقد أتينا
على ذلك في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته هنا .

وقد كانت حرقه بنت النعمان بن المنذر إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها
طريقها بالحرير والديباج ، مغشى بالخز والوشى ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل
إلى بيتها ، وترجع إلى منزلها ، فلما هلك النعمان نكبتها الزمان ، فأزلهما من الرفعة
إلى الذلة ، ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية أميراً عليها لما هزم الله الفرس
وقتل رستم ، فأنت حرقه بنت النعمان في حفدة من قومها وجواربها وهن في زيها
عليهن المسوح والمقطعات السود ، مترهيات تطلب صلاته ، فلما وقفن بين يديه

بنت النعمان
عند سعد
ابن أبي وقاص

(١) هذا البيت لا يوجد في (٢) في « نفسه ... مات وهو محزرق » .

الجزء الثاني : ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم ١٠٣

أنكرهن سعد ، فقال : أفيمكن حرقه ؟ قالت : ها أنا ذِهِ ، قال : أنت حرقه ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك في استنفاي ؟ ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، ولا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالا ، وتُعقبهم بعد حال حالا ، كنا ملوك هذا المصر يُجَبِّي لنا خراجهم ، ويطيعنا أهلهم مدى المدة وزمان الدولة ، فلما أدير الأمر وانفضى صاح بنا صائح الدهر ، فصدع عصانا وشَتَّ شملنا^(١) ، وكذلك الدهر يأسعد ، إنه ليس يأتي قوماً بمسرة إلا ويعقبهم بمسرة ، ثم أنشأت تقول :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف^(٢)
فأفّ لدينا لا يدوم نعيمها قلب تارات بنا ونصرف
[فقال سعد : فاتل الله عدى بن زيد ، كأنه ينظر إليها حيث يقول :
إن للدهر صولة فأحذرنها لا تبينن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى مُعاقى فيردى ولقد كان آمنا مسرورا]^(٣)

قال : فيينا هي واقعة بين يدى سعد إذ دخل عمرو بن معديكرب ، وكان زوّاراً لأبيها في الجاهلية ، فلما نظر إليها قال : أنت حرقه ؟ قالت : نعم ، قال : فما دَهَمَكِ فأذهب محمودات شيمك ، وأين تنابع نعمتك وسطوات نعمتك ؟ فقالت : يا عمرو ، إن للدهر [لسطوات و] عثرات وعبرات ، تعثر بالملوك وأبنائهم ، فتخففهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ، وتذلهم بعد عزة ، إن هذا لأمر كنا ننتظره ، فلما حل بنا لم ننكره ، قال : فأكرمها سعد ، وأحسن جائزتها ، فلما أرادت فراقه قالت : حتى أحبيك بتحية^(٤) ملوكنا بعضهم لبعض ، لا نزع الله من عبد صالح نعمة إلا جعلك سبباً لردّها عليه !

(١) في ٢ « وشَتَّ شملنا » .

(٢) كذا في ب وحفظ (إذا نحن فيهم سوقة تنصف) ، وكذلك هو في ا .

(٣) ما بين المعقوفين سافط من ا . (٤) في ب « حتى أحبك بتحية » محرفا .

ثم خرجت من عنده فلقبها نساء المدينة ، فقلن لها : ما فعل بك الأمير ؟ قالت :
[حاط لي ذمتي ، و] أكرم وجهي ، إنما يكرم الكريم الكريم .
[وسند ذكر خبر هند بذت النعمان مع المغيرة بن سعدة أيام إمرته على الكوفة ،
فيما يرد من هذا الكتاب ، عند ذكرنا لأخبار معاوية بن أبي سفيان] .

قال أبو الحسن علي بن الحسين السعدي : فهؤلاء ملوك الحيرة إلى أن ظهر
الإسلام ، فأذهره الله ، وأذل الكافرين ، فجميع من سَمَّينا من هؤلاء الملوك من
ولد عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش ، على حسب ما قدمنا آتفاً في صدر
هذا الباب ، ثم جاء الإسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز ، فلما على
العرب بالحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فكان ملكه تسع سنين ، ولثمانية
أشهر^(١) ، مصّت من ملك إياس ، كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس ، وقد كان قبل عمرو بن عدى ملوك على الحيرة
على حسب ما ذكرنا ، وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكاً من
بنى نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وكان مدة ملكهم ستاًئة سنة واثنين
وعشرين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن عمران الحيرة وبدوه إلى أن خربت
في وقت بناء الكوفة ، كان خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة^(٢) .

خراب الحيرة قال السعدي : ولم يزل عمراتها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا إلى صدر
من أيام المعتضد ، فإنه استولى عليها الخراب ، وقد كان جماعة من خلفاء
بنى العباس - كالإسماع ، والمنصور ، والرشد ، وغيرهم - ينزلونها ويصلون^(٣)
المقام بها لطيب هوائها ، وصفاء جوهرها ، وصحة تربتها ، وصلابتها ، وقرب
الخورنق ، والنحف^(٤) منها ، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان ،

(١) في ١ ، ولست سنين وثمانية أشهر . (٢) في ١ « كان خمسمائة سنة ونيفاً » .

(٣) في ١ « ويطلون المقام بها » وفي ب « ويطلون المقام بها » .

(٤) كذا في ١ ، وفي ب « النحف » .

الجزء الثاني : ذكر ملوك الخيرة من بنى نصر وغيرهم ١٠٥

فلحقوا بغيرها من البلاد ، لتداعى الخراب إليها ، وأقفرت [من كل أنيس]
 فى هذا الوقت [ليس بها] إلا الصَّدى والبُومُ ، وعند كثير من أهل الدراية
 [الدامة] بما يحدث فى المستقبل من الزمان : أن سَعدها سيعود بالعمران ،
 وأن هذا التحس عنها سيزول ؛ وكذلك الكوفة .

قال المسعودى : ولن سميناً من ملوك الخيرة أخبار . وسير وحروب
 قد أتينا على ذكرها والغُررِ من مبسوطها فى كتابنا « أخبار الزمان » ،
 [وفيما بعد من هذا الكتاب] فأغنى ذلك عن إعادته [فى هذا الباب] .

ذكر ملوك الشام من اليمىن ، من غسان وغيرهم [من الملوك]

أول ملوك الشام كان أول من ملك الشام من اليمىن فالغ بن يغور^(١) .
ثم ملك بعده يوتاب^(٢) ، وهو أيوب بن رزاح^(٣) ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه ، وما اقتص من أمره ، ثم غلبت الروم^(٤) على ديارها ، فتفرقوا في البلاد ، وكانت قضاة بن مالك بن حمير أول من نزل الشام ، وانضافوا إلى ملوك الروم ، فلكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب .

تنوخ ونسبها وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم ملك بعده الحواري بن النعمان ، ولم يملك من تنوخ إلا من ذكرنا ، وهو تنوخ بن مالك بن قهم بن نيم اللات بن الأزدي بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان [بن عمران] بن إلخاف بن قضاة بن مالك بن حمير .
وقد تنوزع في قضاة : أمن معد كان أم من قحطان ؟ فقضاة تأبى أن تكون من معد ، وتزعم أنها من قحطان ، على ما ذكرنا .

وقد قيل في نسب قضاة واتصالها بحمير غير ما ذكرنا من النسب .
سليح ونسبها ثم وردت سليح الشام فغابت على تنوخ ، ونصرت فملكها الروم على العرب الذين بالشام ، [وهم ولد سايح بن حلوان بن عمران بن إلخاف بن قضاة ، فاستقام ملك سليح بالشام] وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر مزقياء ؛ فسارت غسان إلى الشام وهم من ولد مازن ، وذلك أن الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولد مازن ، وإليه ترجع جميع قبائل غسان ، وإنما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك [وهو ما بين زيد ورمع ، وادى الأشعرين بأرض اليمىن] وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

(١) في ب « فالغ بن هور » (٢) في ب « سومات »

(٣) في ا « بن رزاح » (٤) في ا « ثم غلبت اليمىن على ديارها »

الجزء الثاني : ذكر ملوك الشام من غسان وغيرهم ١٠٧

إِمَّا سَأَلَتْ فَإِنَّا مَعَشَرَ نُجُبٍ الْأَزْدَ نَسَبْتُنَا، وَالْمَاءَ غَسَّانُ
وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقياء ، وخبر سيل
القرم ، ونفرقهم في البلاد ، وخبر الماء المعروف بغَسَّان ، وقد ذكر أن
عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقبلاً على هذا الماء إلى أن أدركه
الموت ، وكان عمره ثمانمائة سنة : أربعائة سوقاً ، وأربعائة ملكاً .

وغابت غسان على من بالشام من العرب ، فلما الروم على العرب ، ملك غسان
فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام : الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة
ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن^(١) ، وهو غسان بن الأزد بن القوث .
ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة [بن جَفْنَةَ]^(٢) بن عمرو [بن عامر بن حارثة]
وأمه مارية ذات القُرْطَيْن بنت أرقم بن ثعلبة بن جَفْنَةَ بن عمرو ، وذكر أنها
مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور وهو كندة ، وهي التي
ذكرتها الشعراء في أشعارها ، وتنسب جماعة من ملوك غسان إليها .
وملك بعده النعمان بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جَفْنَةَ بن عمرو .
[ثم ملك بعده المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جَفْنَةَ بن عمرو .
ثم ملك بعده عوف بن أبي شمر .
ثم ملك بعده الحارث بن أبي شمر] فكان ملكه حين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وذكر عدة من الأخباريين أن حسان بن ثابت الأنصاري زار الحارث بن
أبي شمر الغساني بالشام - وكان النعمان بن المنذر اللخمي [ملك الحيرة]
يُسَامِيهِ - فقال له وهو عنده : يا بن القُرَيْعَةِ ، لقد نبئت أنك تفضل النعمان
عليّ ، فقال : وكيف أفضله عليك !! فوالله لققاك أحسن من وجهه^(٣) ،

(١) في ب « ماس بن غسان » محرفاً
(٢) سقط ما بين العنوين من ا
(٣) في ب « ثور بن كندة »
(٤) انظر ص ١٠٠ السابقة

ولأملك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أحوذ
من يمينه ، ولحرماتك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولتمادك
أمرع من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريريه ، ولجداؤك أغور من
بحره^(١) ، وليومك أطول من شهره ، ولشهرك أمث من حوله ، ولحولك
خير من حقه ، ولرندك أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك
من غسان وإنه من لخم ، فكيف أفضله عليك أو أعدله بك ؟؟ فقال :
يا بن الثريئة ، هذا لا يسمع إلا فى شعر ، فقال :

ونبت أن أبا منذر يساميك للحارث الأصغر
قماؤك أحسن من وجهه وأملك خير من النذر^(٢)
ويُسرى يديك على عسرها كيمنى يديه على المعسر
جبل بن الأهم ثم ملك بعده جبل بن الأيهم بن جبل بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن
عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن [مازن] ، وهو غسان بن
الأزد بن الغوث ، وهو الملك الذى امتدحه حسان بن ثابت الأنصارى ،
حيث يقول فى شعر طويل :

أشهرتها فإن ملكك بالشا م إلى الروم فخر كل يمانى
وفيه يقول أيضاً :

لمن الدار أفتت رتبعان بين أعلى اليرموك والصنمان
من قريات من ثلاثين عدت ناسكا منه بالصور الدوانى
قد دنا البصيح والولائد ينظمن سراعاً أكلة المرجان
ذاك معنى لآل جفنة فى الدهر ، وحقا تصرف الأزمان
صلوات المسيح فى ذلك الديار دعاء القيس والرهبان

(١) فى ١ « أغزر من بحوره »

(٢) فى ب « قفاك » ووزن البيت عليه لا يستقيم ، ومد المقصور يقع فى الشعر

الجزء الثاني : ذكر ملوك الشام من غسان وغيرهم ١٠٩

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق وأعمالها بين الجولان واليرموك .
وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرهما ، من غوطة دمشق منازل غسان
وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام .

وَجَبَلَةَ [بن الأيهم] هو الذى أسلم وارتدَّ عن دينه خوف العار والقَوَدِ من
الْأَطَمَةِ ، وخبره واصح مشهور ، فدأبنا على ذكره فيما ساف من كتبنا ،
وسأثر أخبار ملوك تَنُوخ وسليح [وغسان] وغيرهم ممن ملك الشام ، ودعاء
النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن أبى شمر الغسانى إلى الإسلام
وترغيبه فى الإيمان ، وفدأبنا على خبره وما كان من أمر إسلامه
وأخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم فى كتابنا « أخبار الزمان » ، وفى
أبيه يقول النابغة :

هذا غُلامٌ حسنٌ وَجْهُهُ مستقبل الخير سريع التَّامِّ
للحارث الأكبر والحارث الأصغر ، والحارث خير الأنام
ثم لهند ولهند ، وقد أسرع فى الخيرات منه أمام
وخمسبة آباؤهم ما هم أكرم من يشرب صَوْبَ القمام

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد شر ملوكا ، وقد كان بالشام
ملوك ببلاد مادب^(١) من أرض البقاء من بلاد دمشق ، وكذلك مدائن
قوم لوط من أرض الأردن وبلاد فلسطين ، وكانت خمس مدن ، وكانت
دار المملكة منها ، والمدينة العظمى مدينة سدوم ، وكانت سمة كل ملك
يملكها بارعا^(٢) ، وكذلك ذكر فى التوراة ، وذكرت أسماء هذه المدن ،
أعرضنا عنه ؛ إذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار .

(١) فى ب « مأرب » وليس بذلك

(٢) فى ب « قارعا »

وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعدّ ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها ؛ إذ كان لا أسماء لهم تعمهم وتشهرهم ، كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشي ، ولثلا يطول الكتاب بذكرهم .

وقد أتينا على سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك في بعض الممالك في سائر الأمم الخالية ، والممالك الباقية ، من البيضان والسودان ، ممن أمكن ذكره ونأتى لنا الإخبار عنه ، وإنما ذكرنا في هذا الكتاب من الملوك من اشتهر ملكه ، وعرفت مملكته ميلا إلى الاختصار ، وطلباً للإيجاز ، وننبها على ما سلف من أخبارهم في كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا ، والله الموفق .

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب ، وغيرها من الأمم ١١١

ذكر البوادي من العرب ، وغيرها من الأمم

وعلة سكنها اَبْدَوْ ، وجمل من أخبار العرب

وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

قد تقدم ذكرنا لولد قحطان ، وأن من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وطسم وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعييل ووبار ، وسائر من سميها ، وأن من بقي ممن ذكرنا دخلوا في العرب الباقية إلى هذا الوقت ، وهم قحطان . ومعد ، ولا نعلم أن قبيلة بقي ينسار إليه في الأرض من العرب الأولى غير معد وقحطان ، وذكرنا من طاف البلاد من [ملوكهم ، مثل] التبابعة والأذواء ، ومن شيد البنيان في الشرق والغرب ، ومصر الأمصار ، وبنى المدن الكبار ، كإفريقس بن أبرهة ، وما بني بالمغرب من المدن كمدينة إفريقية وصقلية ، وما كور من الكور هنالك ، وما اتخذ من العمار ، وكسير شمر إلى أرض المشرق ، وبنيانه سمرقند ، ومن خلف هنالك من حير بها ، وبلاد التبت والصين ، وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف .

وقد افتخر دُعيل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد فيها على الكُميت ،
وفخر دُعيل بن سلف من ملوكهم ومسيرهم في الأرض^(١) ، [وأن لهم من
الفضل ما ليس لمعد بن عدنان ، فقال في شعره :

هُمُوكْتَبُوا الْكِتَابَ بِيَابَ مَرَوْ وَبَابَ الصِّينِ دَانُوا الْكَاتِبِينَ
وَهُمْ جَمَعُوا الْجَمْعَ بِسَمَرْقَنْدٍ وَهُمْ غَرَسُوا هُنَاكَ التَّبْتِينَ^(٢)

(١) في ب « وسير في الأرض »

(٢) زيادة عن ب وحدها . ووقع في مكانه « وقد ذكرنا طرقاً من قوله ذلك

فما تقدم من هذا الكتاب »

وقد كان لليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم ، حتى ينقاد إلى ملكه أهل الشجر وحضر موت ، حينئذ يستحق أن يسمى تبعاً ، ومن تخلف عن ملكه من ذكرنا سمي ملكاً ، ولم يطاق عليه اسم تبع ، وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها : (أهم خير أم قوم تبع - الآية) حين دخل الحرم فبعث الله عليه الظلة ، وإنما سمي تبعاً بمن تبعه ، وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس .

بين تبع وقباد وقد كان تبع أبو كرب سار في الأرض ، ووطىء الممالك وذلها ، ووطىء ملك الطوائف أرض العراف في ملك الطوائف ، وعميد الطوائف حينئذ جوذر بن سابور ، فلقى أبو كرب ملكاً من الطوائف يقال له قباد ، وليس بقباد بن فيروز من الساسانية ، فانهزم قباد ، وآتى تبع أبو كرب على ملكه ، وملك العراق والشام والحجاز وكثيراً من الشرق .

وفي ذلك يقول نبع ويذكر ما صنع :

[وَرَدَ الْمَلِكُ تَبَعَ وَبَنُوهُ وَرَثُوهُمْ جُدُودَهُمُ وَالْجُدُودُ] ^(١)
إِذْ جَبَبْنَا جِيَادَنَا مِنْ ظَفَارٍ ثُمَّ سَرْنَا بِهَا مَسِيرًا بَعِيدًا ^(٢)
فَاسْتَبَحْنَا بِالْخَيْلِ مَلِكَ قَبَادٍ وَابْنَ أَقْلُودَ قَائِمًا مَصْفُودًا ^(٣)
فَكُسُونَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُقَصَّبًا وَبُرُودًا
وَأَقْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا ^(٤)
[ثُمَّ طَفْنَا بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَسَبْعًا وَسَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَجُودًا] ^(٥)
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

لَسْتُ بِالتَّبَعِ الْيَمَانِيِّ إِنْ لَمْ تَرْكُضِ الْخَيْلُ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ
وَتَوَدِّي رِبْعَةَ الْخَرْجِ قَسْرًا أَوْ تَعْنِي عَوَاقِقَ الْعَوَاقِ
وقد كانت لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة، واجتمعت عليه معد بن

(١) هذا البيت ساقط من (٢) في ب « إذ جبيناً جياناً من ظفار »

(٣) في أ « وابن أفلوذ جاءني مصفوداً » (٤) في ب « وجعلنا لنا به إقليداً »

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم ١١٣

ربيعة ومضر وإياد وأنمار ، وتباعت بجدها نزار ، وتواهبت ما كان بينها من الدماء والثأر^(١) ، فكانت لهم عليه ؛ ففي ذلك يقول أبو ذؤاد الإيادي :
ضَرَبْنَا عَلَى مُتَبِّعِ جَزِيَةِ جِيَادِ الْبُرودِ وَخَرَجَ الْذَهَبُ^(٢)
وَمِلَى أَبُو كَرْبٍ هَارِبًا . وَكَانَ جَبَانًا كَثِيرَ الرَّهَبِ^(٣)
[وَأَتْبَعَهُ فَهَوَى لِلْجَبِينِ وَكَانَ الْعَزِيزُ بِهِمَا مَنْ غَلَبَ]^(٤)

وقد ذكرنا في الكتاب الأوسط^(٥) بدء النسب من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وولد إسماعيل وتفرق النسب^(٦) إلى نزار بن معد [وتشعب الناس من نزار بن معد] بن عدنان ، فلنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الأربعة مع الأفعى بن الأفعى الجرهمي ، ثم نعقب ذلك بما إليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب ، من علة سكنى البوادي من العرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والأودية [وسائر البراري] والقفار .

ذكر عدة من [رواة] أخبار العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد : إياد ، وبه أولاد نزار
ابن معد
يكنى ، وأنمارا - وبجيلة وخفهم من ولده على ما قيل ، إذ كان فيما ذكرنا تنازع لأن من الناس من ألحقهم باليمن ، ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد أنمار بن نزار - وربيعة ، ومضر ، فله احضرت نزاراً الوفاة دعابنيها ودعابجارية له شَمَطَاء ، فقال لإياد : هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ، ثم أخذ بيد مَضر^(٧) فأدخله قبة له حمراء من أدم ، ثم قال : هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ، ثم أخذ بيد ربيعة وقال له : هذا الفرس الأدهم والخيل الأسود وما أشبههما من مالى فلك ، ثم أخذ بيد أنمار وقال له : هذه البدر والمجلس وما أشبههما من مالى فلك ، فإن أشكلك عليكم هذه القسمة فأتوا الأفعى بن الأفعى الجرهمي

(١) في ١ «من الدماء والطوائل» (٢) في ب «على تبع حربه جبال البرود

(٣) في ١ «كثير الكذب» (٤) لا يوجد هذا البيت في أ

(٥) في ب «وقد ذكرنا فيما بعد» (٦) في أ «وتفرق النسب»

(٧) تقدم بعض هذه العبارات وتأخر في بعض النسخ .

وكان ملك نجران - حتى يقسم بينكم وتراضوا بقسمته، فلم يابث نزار الإقليلا حتى هلك ، وأشككت القسمة على ولده، فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الأفعى، حتى إذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران ، وهم في مَقَاَزَة ، إذاهم بأثر بعير فقال إياد : إن هذا البعير الذي ترون أثره أعور، فقال أنمار: وإنه لأبتر، قال ربيعة : وإنه لأزور، قال مضر: وإنه لشروء، فلم يلبثوا أن رفع إليهم رابك توضعُ بهراحته ، فلما غشيهم قال لهم: هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم^(١)؟ قال إياد [أكان] بعيرك أعور؟ قال: فإنه لأعور، قال أنمار: [أكان] بعيرك أبتر؟ قال: فإنه لأبتر، قال ربيعة: [أكان] بعيرك أزور؟ قال: فإنه لأزور، قال مضر: أكان بعيرك شروءاً ، قال : إنه لشروء، ثم قال لهم : فأين بعيرى ؟ دُونِي عليه ، قالوا : والله ما أحسنا لك ببعير ولا رأيناه ، قال : أنتم أصحاب بعيرى وما أخطأتم من نعمته سديتاً، قالوا: مارأينا [لك] بعيراً، فنبعهم حتى قدموا نجران، فلما أناخوا بباب الأفعى استأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فدخلوا ، وصاح الرجل من وراء الباب: أيها الملك ، هؤلاء أخذوا بعيرى ثم حلفوا أنهم مارأوه، فدعابه الأفعى فقال: ماتقول؟ فقال: أيها الملك، هؤلاء ذهبوا ببعيرى وهم أصحابه ، فقال لهم الأفعى: ماتقولون ؟ قالوا: رأينا في سفرنا هذا إليك أثرَ بعير ، فقال إياد : إنه لأعور، قال: وما يدريك أنه أعور؟ قال: رأيته مجتهداً في رعى السكلا من شق قد لحسه والشق الآخر وافي كثير الالتفاف لم يمسه فقلت: إنه أعور^(٢)، وقال أنمار: رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب أصمَ به فعلت أنه أبتر ، وقال ربيعة: رأيته أثر إحدى يديه ثابتاً والآخر فاسداً فعلت أنه أزور ، وقال مضر: رأيته يرمى الشقة من الأرض ثم يتعدّها ها فيمر بالكلال المتلفّ الغض فلا ينهش منه^(٣) حتى يأتي ماهوارق منه، فيرمى فيه، فعلت أنه شروء، فقال الأفعى: صدقوا^(٤)، قدأصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه، التمس بعيرك

قصتهم مع الأفعى الجرمي

(١) في ١ « في وجهكم هذا » (٢) في ١ « فعلت أنه أعور »

(٣) في ب « فلا ينهش منه » (٤) في ب « صدقم » .

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم ١١٥

ثم قال الأفعى للقوم: من أنتم؟ فأخبروه بحالهم، وانتسبوا [إليه] فرحبَ بهم وحياهم
ثم قال: ما خطبكم؟ فقصوا عليه قصة أبيهم، قال الأفعى: وكيف تحتاجون إليَّ
وأنتم على ما أرى؟ قالوا: أمرنا بذلك أبونا، ثم أمرهم فأنزلوا، وأمر خادماً له
على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مَثْوَاهُمْ وإطافتهم^(١) بأفضل ما يقدر عليه
ثم أمر وصيفه من بعض خدمه ظريفاً أديباً، فقال [له]: انظر كل كلمة تخرج من
أفواههم فأنتني بها، فلما نزلوا بيت الضيافة أأهم القهرَ ما أن بقصر من شهد فأكلوا
وقالوا: مارأينا شهداً أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه، فقال إياهم: صدقتم
لولا أن نحله [ألقاه] في هامة جبار، فوعاها العلام، فلما حضر غداؤهم وحجى بالشواء
فإذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا: مارأينا شواء أجود [شيئاً] ولا أرخص لمحاولة
أسمن منه، فقال أنمار: صدقتم لولا أنه غذى بلبن كلبية. ثم جاءهم بالشراب
فلما شربوا قالوا: مارأينا خمرأ أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه،
فقال ربيعة: صدقتم لولا أن كرمها نبت على قبر. ثم قالوا: مارأينا منزلاً أكرم
قرى ولا أخصب رحلاً^(٢) من هذا الملك. قال مضر: صدقتم لولا أنه لغير أبيه.
فذهب الغلام إلى الأفعى فأخبره بما كان منهم، فدخل الأفعى على أمه، فقال:
أقسمت عليك إلا [ما] أخبرتني من أنا ومن أبي، فقالت: يا بني، ومادعائك إلى
هذا؟ أنت ابن الأفعى الملك الأكبر، قال: حقاً لتصدقني، فلما ألح عايبها قالت:
يا بني إن أباك الأفعى الذي تدعى له كان شيخاً قد أثقل، فخشيت أن يخرج
هذا الملك عنا أهل البيت، وقد كان قدم إلينا شاب من أبناء الملوك، فدعوته
إلى نفسي، فعلقت بك منه، ثم بعث إلى القهرمان، فقال: أخبرني عن الشهيد
الذي بعثت به إلى هؤلاء النفر^(٣) ما خطبه؟ قال: إنا أخبرنا بدبر في طف^(٤).

(١) في ١ « ويلطفهم بأكثر ما يقدر عليه ».

(٢) في ب « أخصب رجلاً » (٣) في ١ « قدمته إلى هؤلاء السفرة ».

(٤) الدبر — بفتح فسكون — جماعة النحل.

فبعنت إليه من يَشُورُهُ ، فأخبروني أنهم هجموا على عظام نخرة منكراً^(١) في ذلك الطف ، فإذا النحل قد عسلت في جمجمة من تلك العظام ، فأتوا بعسل لم أر مثله فقدمته إلى القوم لجودته ، ثم بعث إلى صاحب مائدته فقال : ماهذه الشاة التي شَوَّيتها لهؤلاء القوم ؟ قال : إني بعثت إلى الراعي أن ابعث إلى بأحسن شاة عندك ، فبعثَ بها إلى ، وما سألتها عنها ، فبعث إلى الراعي أن أعلني خبر هذه الشاة ، قال : إنها أول ما ولدت من غنمي عام أول ، فماتت أمها ، فبقيت ، وكانت كلبية لى قد وضعت فأنست السخلة يجراء الكلبة ، فكانت ترضع من الكلبة مع جِرائها ، فلم أجد في غنمي مثلاً ، فبعثت بها إليك ، ثم بعث إلى صاحب الشراب ، فقال : ما هذا الحمر الذي سقيت لهؤلاء القوم ؟ قال : من حبة كَرَم [نبتت] غرستها^(٢) على قبر أبيك ، فليس في العرب مثل شرابها ، فقال الأفعى : ما هؤلاء القوم ؟ إن هُم إلا شياطين ، ثم أحضرهم فقال : ما خطبكم ؟ قُصُّوا على قصتكم ، فقال إياد : إن أبي جعل لى خادماً شمطاء وما أشبهها من ماله ، فقال : إن أباك ترك غنماً برشاء^(٣) فهي لك ورعاؤها مع الخادم ، قال أنمار : إن أبي جعل لى بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله ، قال : فلك ماترك أبوك من الرقة^(٤) والحرث والأرض ، فقال ربيعة : إن أبي جعل لى فرساً أدهم وبيتاً أسود وما أشبههما من ماله ، قال : فإن أباك ترك خيلاً دُهماً وسلاحاً فهي لك وما فيها من عبيد ، فسمى ربيعة الفرس ، فقال مضر : إن أبي جعل لى فبة حمراء من أدهم وما أشبههما من

(١) في ١ « مكثرة في ذلك الطف » (٢) في ب « من جنة كرم » .

(٣) في ب « نقدا » والنقد - بالتحريك - جنس من الغنم ، وكان فدقضى لإياد بالخادم والماشية البلق فسمى إياد الشمطاء ، وانظر (مجمع الأمثال ١/ ١٤ بولاق) (المل ٣٢ في ١/ ١٥ بتحقيقا) وكان في ب « إن أباك ترك برسا فهي لك ورعولها مع الخادم » وهو كلام كاترى ... ليس له محصول من المعنى .

(٤) الرقة : الفضة .

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم ١١٧

ماله ، فقال : إن أباك ترك إبلا حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله، فصارت لمضر الإبل والقبة الحمراء ، والذهب ، فسمى مضر الحمراء ، وكانوا على ذلك مع أخوالهم جرم بمكة فأصابتهم سنة أهلكت الشاء وعامة الإبل، وبقيتها الخيل، وكان ربيعة يغزو عليها ويصل إخوانه^(١)، وذهب ما كان لأنمار من شاء في تلك السنين ، ثم عاود الناس الخصب والغيث ، فرجعت الإبل وثابت إليها أنفسها ومشت^(٢) ، فتناسلت وكثرت وفام مضر بأمر إخوانه، فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بإبائهم فتعشوا ليلا وعشوا رعاء هم مقام مصري وصى الرعاء وفي يد أنمار عظم بتعرقه فرمى به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فأوتد في عين مضر وفتأها [فتأوه مضر] وصاح: عيني، عيني، وتشاغل به إخوانه ، فركب أنمار بغير أمن كرائم إبله، فلحق بديار اليمن ، وكان بين إخوانه ما ذكرنا من التنازع .

فهؤلاء ولد نزار الأربعة : إليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا أن مضر الحمراء لما ذكرنا من أمر القبة ، وبذلك نفتخر مضر في كلامها من المنثور والمنظوم ، وربيعة الفرس وربيعة القشعم من الفروسية والشجاعة والنجدة والعز^(٣) وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس ، وإياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه ، وأنمار وقد بينا الخلاف في نزع نسله وما قاله النسابون في عقبه .

ولكل واحد من هؤلاء ومن أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ويتسع شرحها : من ذكر ما حلوا به من الديار، وتشعب أنسابهم وتسلسلها، قد أتى الناس على ذكرها ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها؛ فمنعنا ذلك من إعادته في هذا الكتاب .

فلنذكر الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجم ، وإليه نسب ، من

(١) في ١ « ويعيل إخوانه » (٢) في ١ « ونارت إليها أنفسها وسمت » .

(٣) في ١ « والغزو وشن الغارات » .

سكنى مَنْ حَلَّ الْبَدْوَ من العرب وغيرها من الأمم المتوحشة كالترك والكرد والبيجة والبربر ، ومن تقطن بالبرارى^(١) وقطن الجبال ، والعلة الموجبة لذلك من فعلهم .

علقة سكنى البدو تبين الناس في السبب الموجب لما وصفنا ، فذهب كثير من الناس إلى أن الجيل الأول ممن سكن الأرض مكثوا حيناً من الزمان لم يبنوا بناء ، ولا شيدوا مُدُنًا ، وكان سكنهم في شبه الأكواخ والمظال ، ثم إن نفراً منها أخذوا في ابتناء المساكن ، وخلف من بعدهم [خلف] فابتنوا الأبنية ، وثبتت فرقة منهم على سجيته الأولى في البيوت والأطلال ينتجعون الأماكن الرفهة الخصبية ، وينقلون عنها إذا أجذبت ، فمضت هذه الطائفة على نهج الأقدمين .

وذكرت طائفة أن أول ذلك أن الناس لما نَصَبَ عنهم الطوفان الذي أهلك الله به الأرض في زمن نوح على نينا وعليه السلام تفرق من نجافي طلب البقاء الخصبية المتخيرة ، وانفرد من انفرد بالتجاع الأرضين وحلول البیداء ، و[استوطن] آخرون بقاعاً تخيروها ، كن ابنتي إقليم بابل من النبط ، ومن حله^(٢) من ولد حام بر نوح عليه السلام مع نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود الأول بن كوش بن حا ابن نوح ، وذلك حين تملك على إقليم بابل من قبل الضحاك ، وهو بيوراسف^(٣) وكن حَلَّ بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخباره [في هذا الكتاب] وكن عمر الشام من الكنعانيين ، وكن حَلَّ بوادي البر ، وهم هواره وزناة وضريسة ومغيلة وورفجومة ونقرة^(٤) وكتامة ولواة

(١) في ١ « ومن تبطن البرارى » .

(٢) في ب « ومن سلم من ولد حام » .

(٣) في ب « وهو بنوراست » .

(٤) في هذه الأسماء اختلاف كثير ، واخترنا ما في ١ .

الجزء الثانى ، ذكر البوادرى من العرب وغيرها من الأمم ١١٩

ومزانية ونفوسة ولفظه وصدينقة ومصمودة وزنارة وغمارة وقالملة ووارقة وأتيتة وبابه
وبنو سبخون وأركنة وهى من زنانة وبنو كلان وبنو مصدران وبنو أقباس ووزبحن
وبنو منهوسا وضمهاجة ، ومن سكن من أنواع الأحايش وغيرهم الغابة المعروفة
بغابة العافريم سون ورعوين والعورفة ويكسوم ، ومنهم من سكن غير الغابة
واتسع فى هذه البلاد من المغرب .

وقد ذكرنا أن أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام ،
وأن ملكهم كان جالوت ، وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم ، إلى أن قتل داود عليه
الصلاة والسلام ملكهم جالوت ، فلم يملك عليهم بعده ملك ، وأنهم اتهموا إلى
ديار المغرب إلى موضع يعرف بلوبية [ومرافية] ، فانتشروا هنالك ، فترل منهم زنانة
ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وتبطنوا الأودية ، ونزلوا أرض برقة ، ونزلت
هؤارة بلاد إياس وهى بلاد طرابلس المغرب أى الثلاث المدن ، وقد كانت هذه الديار
للافرنجية والروم ، فأنجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم إلى جزائر البحر الرومى
فسكن الأكر منهم جزيرة صقلية ، وتفرقت البربر ببلاد إفريقية وأقصى بلاد
المغرب من نحو من مسافة ألفى ميل ، [واتهموا إلى موضع يعرف بقبوسة ، على
أكثر من ألفى ميل] من بلاد القيروان ، وتراجعت الروم والإفرنجية إلى مدنها .
[وعما أمرهم] وذلك على موادة وصلح من البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال
والأودية والرمال والدهاس وأطراف البرارى والقفار .

ومن بحر إفريقية وصقلية يخرج المرجان ، وهو المتصل ببحر الظلمات
المعروف ببحر أقيانس ، وغير هؤلاء ممن ذكرنا (من الأمم) ممن سكن قطع
الأرض وابتنى اللدائن شرقا وغربا .

ورأت العرب أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بأولى العز
وأليق بذوى الأنفة ، وقالوا : لنكون ^(١) محكمين فى الأرض [و] نسكن حيث
نشاء أصالح من غير ذلك ، فاختاروا سكنى البدو ، من أجل ذلك .

(١) كذا ، ولعل الأصل « لأن نكون » .

وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار^(١)، ونبل الهمم والأقدار، وشدة الأنفة، والحمية من المعرة، والهرب من العار، بدأت بالنفكير في المنازل، والتقدير للمواطن، فتأملوا شأن المدن والأبنية، فوجدوا فيها معرة ونقصا، وقال ذو المعرفة والتمييز [منهم]: إن الأرضين تمرض كتمرص الأجسام، وتلحقها الآفات. والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح. إذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه، وأحال أمرجة قطّانه، وقال ذوو الآراء منهم: إن الأبنية والتحويط حصّرعن التصرف في الأرض، ومقطعة عن الجولان، وتقييد للهمم، وحبس لما في الغرائز من المسابقة إلى الشرف، ولا خير في اللبث على هذه الحالة. وزعموا أيضاً أن الأبنية والأطلال^(٢) تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء^(٣)، وتسد سروحهم عن المرور وقذاه عن السلوك، فسكنوا البر الأقيح الذي لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضرر، هذا مع ارتفاع الأقدار، وسماحة الأهواء، واعتزال الوباء^(٤)، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن، ونقاء القرائح في التنقل في المساكن، مع صحة الأمزجة، وقوة الفطنة، وصفاء الألوان وصيانة الأجسام^(٥). فإن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء، وطبع الهواء البضاء [وفي هذا الأمن من العاهات والأسقام والعلل والآلام، فأثرت العرب سكنى البوادي والحلول في البيداء؛ فهم أقوى الناس همما، وأشدّهم أحلاما، وأصحهم أجساما، وأعزهم جارا، وأحماهم ذمارا، وأفضلهم جوارا]^(٦)، وأجودهم فطنا؛ لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء؛ لأن الأبدان تحتوى أجزاؤها على متكائف الأكدار [وعناء الأقدار] مما يرتفع إليه، ويتلاطم في عرصاته وأفقه من جميع المستحيلات، والمستنقعات من المياه، ففي أكنافه

(١) في ١ « على سمو الأخطار » (٢) في ١ « الأطلال والأبنية » .

(٣) في ١ « اتساع الهواء » (٤) في ١ « وعدم الوباء » .

(٥) في ١ « وصفاء الهواء ومثانة الأجسام » .

(٦) في ١ « وأفضلهم جودا » .

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم ١٢١

جميع ما يتصعد إليه ، ولذلك تراكبت الأقذاء والأدواء والعاهات في أهل المدن ، وتركبت في أجسامهم ، وتضاعفت في أشعارهم وأبصارهم ، ففضلت العرب على سائر مَنْ عداها من بوادي الأمم المتفرقة لما ذكرنا من تخيرها الأماكن وارتياها المواطن .

قال المسعودي : ولذلك جانبوا فظاظة الأكراد وسكان الجبال من الأجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم حُزُونُ الأرض ودهاسُها ، وذلك أن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلافها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها ؛ لعدم استقامة الاعتدال في أرضها ، فلذلك أخلاقُ قُطَّانها على ما هي عليه من [الجفاء و] الغلظ .

وذكر الهيثم بن عدى والشرقي بن القطامي وغيرها من الأخباريين أنه خطيب العرب وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب ، فسأله كسرى عن شأن . عند كسرى
يحل اختيار
قومه البدوة العرب وسكنائها [البر] واختيارها البدو ، فقال : أيها الملك ، ملكوا الأرض ولم تملكهم ، وأمنوا عن التحصن بالأسوار ، واعتمدوا على المرفعات الباترة ، والرماح الشارعة جُنُنًا وحصونًا^(١) ، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له ، يَرِدُون منها خيارها ، ويقصدون ألطافها ، قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت الفرقدين ورأس الحجر وسعد الجدي مشرقين في البر^(٢) بحسب ذلك ، قال : فما رياحها ؟ قال : أكثرها النَّكَبَاء بالليل والصَّبَاء عند انقلاب الشمس ، قال : فكم الرياح ؟ قال : أربع ، فإذا انحرفت واحدة منهن قيل : نَكَبَاء ، وما بين سُهَيْل إلى طرف بياض الفجر جَنُوب ، وما يَزَانُهُما يستقبلهما من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فهي دَبُور ، وما جاء من قبل ذلك فهي صَبَاء ، قال : فما أكثر

(١) في ب « والرماح السامرة حسا وحصناً » .

(٢) في ب « مشرقين على الأرض بحسب ذلك » .

غذاهم ؟ قال : اللحم واللبن والنبيد والتمر ، قال : فما خلائقهم ؟ قال : العز ، والشرف ، والمكارم ، وقرى الضيف ، وإذمام الجار ^(١) ، وإجارة الخائف ، وأداء الحلات ، وبذل المهج في المكرمات ، وهم سُراة الليل ، وليوث الغيل ، وعمار البر ، وأنس القفر ، ألقوا القناعة ، وَشَنَفُوا الضراعة ^(٢) ، لهم الأخذ بالثار ، والأنفة من العار ، والحماية للذمار ، قال كسرى : لقد وصفت [عن] هذا الجيل كرماء نبلا ؛ وما أولانا بإنجاح وفادتكم فيهم .

فخبرت العرب في البر أنزالا منها مَشَاتٍ ومنها مصايف ؛ ففهم أننجِد وأنتهم [فالنجِد منهم هم الذين سكنوا أرض نجد والتهم هم الذين سكنوا أرض تهامة ، ومنهم من] سكن أغوار الأرض كغور بيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من لحم وجُذام ، ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وملكية يعرجون إليها ، كالدهناء ^(٣) والسماء والتهائم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست تكاد ترى قبيلة من العرب توغل من الأماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم ، كماء ضارج وماء العقيق والهباة ^(٤) وما أشبه ذلك من المياه .

الأكراد
ونسبهم
ومساكنهم

وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم ؛ ففهم من رأى أنهم من ربيعة بن تزار بن معد بن عدنان ، انفردوا في قديم الزمان ، وانضافوا إلى الجبال والأودية ، دعته إلى ذلك الأنفة ، وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس ، فخالوا عن لسانهم ، وصارت لغتهم أعجمية ؛ ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية ، ومن الناس من رأى أنهم من مُضَرِّين تزار ، وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وأنهم انفردوا

(١) في ب « وإذمار الجار » (٢) شنفوا : كرهوا وأبغضوا ، وفي ب

(٣) في ب « كالرها » « وسبقوا الضراعة »

(٤) في ب « والسباط » وفي « والهباة » .

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم . ١٢٣

في قديم الزمان لوقائع [ودماء] كانت بينهم وبين غسان ، ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر ، وقد اعتصموا في الجبال طلبا للمياه والمراعى فخالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم .

ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على إمامته المناققات الشيطان المعروف بالجسد ، وعصم الله منه المؤمنين أن يقع عليهم ، فعلق منه المناققات ، فلما ردَّ الله على سليمان ملكه ووضع تلك الإماء الحوامل من الشيطان قال : أكردوهن إلى الجبال والأودية ، فربتتهن أمهاتهن ، وتناكحو ، وتناسلوا ، فذلك بدء نسب الأكراد .

ومن الناس من رأى أن الضحاك ذا الأقوا المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو ، أنه خرج بكتفيه حيتان فكاتتا لا تغدَّيان إلا بأدمغة الناس ، فأفنى خلقا كثيرا من فارس ، واجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم ^(١) وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان ^(٢) ، فأخذ أفريدون الضحاك وقيدته في جبل دناوند ^(٣) على ما ذكرناه ، وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشاً ورَجلاً ويخلط أدمغتهما ، ويطعم تينك الحيتين اللتين كانتا في كتفي الضحاك ، ويطرد من تخلص إلى الجبال ، فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الأكراد ، وهؤلاء من نسلهم ، وتشعبوا أنخاداً ، وما ذكرناه من خبر الضحاك فالفرس لا يتناكرونه ، ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة .

والفرس في أخبار الضحاك مع إبليس أخبار عجيبة ، وهي موجودة في كتبهم ، وتزعم الفرس أن طهمورث ^(٤) المقدم ذكره في ملوك الفرس الأولى هو نوح النبي عليه السلام ، وتفسير درفش بالفارسية الفهلوية وهي الأولى - الراية والمطرود والعلم . وأما الترك وأجناسها فقد قدمنا كثيراً من أخبارها ، وقد غلط قوم فرغوا

(١) في « وأناه أفريدون » (٢) في ب « درفش كاصان » .

(٣) في ب « نهاوند » (٤) في ب « وتزعم أن ظهور المقدم ذكره »

أن الترك من ولد طوح^(١) بن أفريدون، وهذا غلط [يُن] لأن طوح ولأه أفريدون [على الترك وسلم على الروم، وكيف توليه عليهم وهم ولده؟ وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوح بن أفريدون، بل لطوح في الترك عقب مشهور، والمعظم في أجناس الترك هم التبت، وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبا بقرتهم هناك^(٢) وما قلنا من الأكراد فالأشهر عند الناس؛ والأصح من أنسابهم؛ أنهم من ولد ربعة بن زار؛ فأما نوع من الأكراد - وهم الشوهجان ببلاد ما بين^(٣) الكوفة والبصرة، وهي أرض الدينور وهمدان - فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربعة بن زار بن معد، والماجردان - وهم من الكفكوري بلاد أذربيجان والهلانية والسراة وما حوى بلاد الجبال من الشادنجان والزرية والمادنجان والمزدنجان والبارسان والخالية والجابارقية والجاوانية والمستكان ومن حل بلاد الشام من الدبالة وغيرهم - فالشهور فيهم أنهم من مضر بن زار، ومنهم يعقوبية والجورقان وهم نصارى، وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي .

وفي الأكراد من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جمل من أخبار بوادي العالم، وقد أعرضنا عن ذكر الغوز والخرج وهم أنواع من الترك نحو بلاد غرش وبسظام وبُست مما يلي بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والبلوج والجت .

قال المسعودي: فأما أيام العرب وقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا، وما كان منها في الجاهلية والإسلام، كيوم الهبأة، وحروب ذبيان وغطقان، [وما كان بين عبس وسائر العرب من زار واليمن] وحرب داحس والقبراء، وحرب بكر بن وائل وتغلب، وهي حرب البسوس، ويوم الكلاب، ويوم بخزاز، ومقتل شاس بن زهير، ويوم ذى قار،

بعض أيام العرب

(١) في ب « طوح » .

(٢) في ا « رتهم هناك »

(٣) في ا « بلاد ما بين الكوفة والبصرة » .

الجزء الثاني : ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم ١٢٥

ويوم شِعْبِ جَبَلَةٍ ، وما كان من بنى عامر وغيرهم ، وحرب الأوس والخزرج ،
وما كان بين غَسَّان وَعَكَّ .

وسنورد بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها وتفرقها
في البلاد ، ونذكر جملا من آرائها ودياناتها في الجاهلية ، وما ذهبت إليه
في الغيلان وَالْهَوَاتِفِ وَالْقِيَاةِ وَالْكَهَّانَةِ والتفرس^(١) وَالصَّدَى والهام ،
وغير ذلك من شيمها ، وبالله التوفيق .

(١) في ب « والنفوس » ولعله أصح .

ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية

وتفرقها في البلاد ، وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب
وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

[قال المسعودي] :

ديانات العرب
في الجاهلية

كانت العرب في جاهليتها فرقا : منهم الموحد المقر بخالقه ، المصدق
بالبعث والنشور ، موقنا بأن الله يثيب المطيع ، ويعاقب العاصي ، وقد تقدم
ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا مَنْ دعا إلى الله عز وجل ونَبَّهَ
[أقوامه] على آياته في الفترة ، كقُسِّ بن ساعدة [الإيادي] ورثاب
التَّيَّي ، وَبَحِيرَا الراهب ، وكنا من عبد القيس .

وكان من العرب من أقر بالخالق ، وأثبت حدوث العالم [وأقر] بالبعث
والإعادة ، وأنكر الرسل ، وعكف على عبادة الأصنام ، وهم الذين حكى الله عز
وجل قولهم : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى - الآية) وهذا الصنف
[هم] الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها ، ونحروا [لها] البُذُنَ ، ونسكوا لها
النسائك ، وأحلوا لها وحرموا .

ومنهم من أقر بالخالق ، وكذَّبَ بالرسل والبعث ، ومال إلى قول أهل
الدهر ، وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادهم ، وخَبَّرَ عن كفرهم ، بقوله
تعالى ؛ (وَقَالُوا : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)
[فردَّ الله عليهم بقوله] : (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) .

ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية .

ومنهم المارء على عَنَجَهَيْتِهِ ، الرَّأَكِبُ لِهَجْمَتِهِ ^(١) .

وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ، ويزعمون أنها بنات الله ؛

(١) ربما كانت « لهجته » .

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٢٧

فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله^(١) ، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) وقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ؟ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ؟ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) .

فمن كان مقرراً بالتوحيد، مثبِتاً للوحد، تاركاً للتقليد : عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ، وقد كان حفر بئر زمزم ، وكانت مطوية ، وذلك في ملك كسرى^(٢) قباز ، فاستخرج منها غزالي ذهب عليهما الدر والجوهر ، وغير ذلك من الحلي ، وسبعة أسياف قلعية ، وسبعة أدرع سوانج^(٣) ؛ فضرب من الأسياف باباً للكعبة ، وجعل إحدى الفزالتين صفائح [ذهب في الباب] ، وجعل الأخرى في الكعبة ، وكان عبد المطلب أول من أقام الرقادة والسقاية للحاج ، وكان أول من سقى الماء [بمكة عذبا] ، وجعل باب الكعبة مذهباً ، وفي ذلك يقول عبد المطلب :
أعطى بلا شحٍ ولا مشاحٍ سقياً على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلي والصفائح حلياً لبيت الله ذي المسارح^(٤)
وكان قد نذر إن رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى [فكان أمره — حين رزقه الله إياهم — أن قرب] أحبهم إليه وهو عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، فضرب عليه بالقداح حتى اقتداه بمائة من الإبل ، في خبر طويل .

وقد كان أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم ، فنزل بالموضع المعروف أصحاب الفيل بحب الحصب^(٥) ، فأتى بعبد المطلب بن هاشم فأخبر أنه سيذمكة ، فعظمه وهابه لاستدارة نور النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه ، فقال له : سئني يا عبد المطلب

(١) في ١ « لتشفع بهم إلى الله » (٢) في ١ « كسرى بن قباز » .

(٣) في ١ « وخمسة أدرع سوانج » . (٤) هذان البيتان لا يوجدان في ١

(٥) في ١ « بحب الحصب » .

فأبى أن يسأله إلا إبلًا له ، فأمر بردها [عليه] وقال له : ألا تسألني الرجوع ؟
فقال : أنا رب هذه الإبل ، ولليت رب سيمنه [منك] وانصرف عبد الطالب
إلى مكة وهو يقول :

يا أهل مكة قد وافاكمُ ملكٌ مع الفيول على أنيابها الزرد^(١)
[هذا النجاشي قد سارت كئابه مع الليوث عليها البيضُ تتقد^(٢)]
[يريد كعبتكم ، والله مانعه كمنع تبع لما جاءها حرد]

وأمر قريشاً أن نلحق بيطون الأودية ورءوس الجبال من مَعَرَّة الحبشة ،
وقلَّد الإبل النعال وخلاها في الحرم [ووقف بباب الكعبة] وهو يقول :
[يارب لا أرجو لهم سواك يارب فامنع منهم حماكا^(٣)]
[إن عدوَّ البيت من عاداك فامنعهم أن يخربوا قراكا^(٤)]
[ويقول] :

يارب إن العبد يـمنع رَحْله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالمهم أبداً محالك

فأرسل الله عليهم الطير الأبايل ، أشباه اليعاسيب ، ترميهم بمجارة من
سجيل ، وهو طين خلط بمجارة خرجت من البحر ، مع كل طير ثلاثة أحجار
فأهلكهم الله عز وجل^(٥) .

وقد ذكرنا خبر أبي رُغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دهم [على
الطريق] ، وهلاكه في الطريق ، وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل بن
حبيب الخثعمي يدلها على الطريق^(٦) ، ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه
وقد رجع لما عمهم من البلاء ، وانفرد من جملتهم يؤمل الخلاص ، وقد تهاوا ،
فأنشأ يقول :

(١) في ١ « على أنيابها الربد » (٢) هذه الزيادة لا توجد في ١ .

(٣) في ١ « فأتلفهم الله عز وجل » (٤) في ١ « دليلها على الرجوع » .

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٢٩

أَلَا رُدِّي جِجَالِكَ يَارُدِّيْنَا نعمنا كم مع الإصباح عينا^(١)
فإيك لو رأيت ولن تريه لدى جنب الحصب مارأينا
حمدت الله إذ غابت طيراً وحصب حجارة نُلقي علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علىَّ للحبشان ديناً

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلك عميدهم فيما سلف من هذا الكتاب ،
فلما صدّهم الله عز وجل عن الكعبة أشأَّ عبد المطلب يقول :

أيها الداعي لقد أسمعني ثم ما بي عن نِدَاكم من صمم
إن للبيت لرثاً مانعاً من يُرْذه بأثام يُضْطَم
رامه تبع فيمن جَنَدَتْ خير والحي من آل قدم^(٢)
فأننى عنه وفي أوداجه جارح أسك منه بالكظم
قلت والأشرم تردى خيله : إن ذا الأشرم غر بالحرم^(٣)
نحن آل الله فيما قد مضى لم يزل ذاك على عهد أبرهم
نحن دمّرنا ثموداً عنوة ثم عاداً قبلها ذات الإرم
[نعبد الله وفيها سُنّة صلةً القربى وإفاء الذّم]
لم تزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم

قال المسعودي : وقد استدلل قوم من ذهب إلى الغلو في بعض المذاهب القول بتناسخ
والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعرو قول عبد المطلب
فيما كان منهم في قديم الزمان ، وأيدوا ذلك [الشعر] بشعر العباس [بن
عبد المطلب] في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم [وهو ما ذكره قريم بن أوس بن
حارثة بن لأم الطائي أنه هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقدم عليه
مُنْصَرَفَهُ من تبوك فأسلم ، قال : سمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول

(١) في ب « ألا ردى حمى لك » (٢) في ب « من آل قريم »

(٣) في ب « والأشرم يرمى حيلة »

الله ، إني أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لا يَفْضُضُ الله فاك [ياعمى] ، فَأَنْشَأَ يقول :

من قبلها طُبَّتَ في الظلال وفي مستودع حيث يُخَصَفُ الْوَرَقُ
ثم هبَّتْ البلاد ، لا بشر أنت ، ولا مضغة ، ولا عاق
بل حجة تركب السفين ، وقد أَلْجَمَ تَسْرَأَ وَأَهْلَهُ الْغَرْقُ^(١)
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طَبَقُ
وأنت لما وَلِدْتَ أشرقت الـ أرض ، وضأت بنورك الْأَفَقُ^(٢)
[حتى احتوى بيتك المهين من خندف علياء تحتها النطق]

فنحن في ذلك الضياء وفي الذور وسبل الرشاد نخترق
قالوا : وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السبر والأخبار والمغازي ، ونقلوا هذا
المديح من قول العباس ، وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
واستبشاره [به] فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعراء - شعير
عبد المطلب ، وشعر العباس - دلاله لم على مواطن ادعواها ، ونقلوا إلى شبيه
بعيدة استخرجوها ، يمنع منها ما تقدم من أوائل العقول ، وموجبات الفحص ،
ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذف مبرزهم ، من فرق الحمديّة
والعلبانية ، وغيرهم [من فرق الغلاة] : منهم إسحاق بن محمد النخعي المعروف
بالأحرر في كتابه المعروف بكتاب الصراط ، وقد ذكر ذلك الفياض بن علي
[ابن محمد بن الفياض في كتابه المعروف بالقسطاس] في نقضه لكتاب الصراط
وذكره المعروف بالنهيكيني^(٣) في نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط ، وهؤلاء
محمديّة نقضوا هذا الكتاب ، وهو على مذهب العلبانية ، وقد أتينا على ذكر

(١) يروى « بل نطفة تركب السفين - إلخ »

(٢) هكذا في ١ ، وهو الموافق لما في كتب السيرة وأدب الكاتب لابن قتيبة

(٣٣٣ بتحقيقنا) ، ووقع محرفا في ب هكذا :

أنت لها وارث وأشرقت الـ أرض وأورى بنورك الأفق

(٣) في ب « بالنهيكيني »

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٣١

هؤلاء الحمدية [والبليانية] والمغيرية والقدرية وسائر فرق النُفلة وأصحاب التفويض والوسائط، واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب إلى القول بتناسخ الأرواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الإسلام وغيرهم من سائر اليونانيين والهند والثنوية والحوس واليهود والنصارى، وذكرنا قول أحد ابن حائط وابن يافوس^(١) وجعفر القاضى^(٢)، إلى مَنْ نَجَمَ في وقتنا ممن تقدم وتأخر إلى هذا الوقت. - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ممن أحدث [قولاً] نغرباً على ماسلف من أصولهم، وأبدى شبهاً أيدها ما تقدم من مذاهبهم، مثل الحسين ابن منصور المعروف بالحلاج، وأصحاب أبي يعقوب المزائلي^(٣)، ثم أصحاب السوق^(٤) ومن تأخر عنهم وفارقهم في أصولهم، مثل أبي جعفر محمد بن علي الشلعاني^(٥) المعروف بابن أبي الفرائ^(٦) وغيرهم ممن أمم نهجهم، وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدور في هذا الوقت ممن يراعى وقت الظهور، وأصحاب حجج الليل والنهار؛ إذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ^(٧)، وأن الأرواح تنتقل في شيء من الأجسام الحيوانية، وأحالوا على القديم عز وجل أن يجوز عليه شيء مما تقدم، فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً، وما نفاخل بنا الكلام عنه من ذكر عبد المطلب.

تنازع الناس في عبد المطلب : فمنهم من رأى أنه كان مؤمناً موحداً، وأنه لم يشرك بالله عز وجل، ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قتل في الأصلاب الطاهرة، وأنه أخبر أنه ولد من نكاح لامرئ سفاح، ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركاً، وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم إلا من صح إيمانه، وهذا موضع فيه تنازع بين الإمامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة

الاختلاف
في إيمان
عبد المطلب

(١) في ب « وابن يالوس » (٢) في ا « وجعفر القصي »

(٣) في ب « المزائلي » (٤) في ا « ثم أصحاب الشريعيين »

(٥) في ب « اللقاني » (٦) في ب « أبي القرائ » وفي نسخة « العزافر »

(٧) في ا « قد أبوا القول بالتناسخ »

وغيرهم من الفرق في النص والاختيار ، وليس كتابنا هذا موسوماً للحجاج
فندكر حجاج كل فريق منهم .
وقد أيننا على قول كل فريق منهم وما أيد به قوله في كتابنا « المقالات
في أصول الديانات » وفي كتاب « الاستبصار » ووصف أقاويل الناس في
الإمامة وفي كتاب « الصفوة » أيضاً .

وكان عبد المطلب يوصى ولده بضلة الأرحام ، وإطعام الطعام ، ويرغبهم
[ويرهبهم] فعل من يراعى في المنعقب معاداً وبعثاً ونشوراً ، وجعل السقاية
والرفادة إلى ابنه عبدمناف - وهو أبو طالب - وأوصاه بالنبي صلى الله عليه وسلم .
وقد تنوزع في اسم أبي طالب : فمنهم من رأى أن اسمه عبدمناف ، على
ما وصفنا ، ومنهم من رأى أن كنيته اسمه ، وأن علي بن أبي طالب رضى الله
عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر يأملء النبي صلى الله
عليه وسلم « وكتب غلى بن أبي طالب » [بإسقاط الألف] وقد ذكر
عبد المطلب في شعر له وصية أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أوصيت مَنْ كنيته بطالب بابن الذي قد غاب ليس بأب

أبو طالب

وقد كان أكثر العرب ممن بقى ودَّ ترَّ يقرُّ بالصانع ، ويستدل على الخالق .
وقد كان في ملك [النمرود بن] كوش^(١) بن حام بن نوح هيجانُ الريح التي
نسفت صرح النمرود ببابل من أرض العراق ، فبات الناس ولسانهم سرياني ،
وأصبحوا [و] قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لساناً ، فسمى الموضع من ذلك
الوقت بابل ، فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لساناً [وفي ولد حام
ابن نوح ستة عشر لساناً] وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لساناً على حسب
ما ذكرنا في صدر هذا الكتاب ، وكان مَنْ تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد
وعبيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ، ووبار وعبد ضخم^(٢) ، فسار يعرب

اختلاط
الأسنة

مسير يعرب
وسكناه اليمن

(١) في ١ « في زمان كوش بن حام بن نوح »

(٢) في ١ « وعبد بن ضخم » وانظر ص ١٤٣ الآتية

الجزء الثاني: ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٣٣

ابن قحطان بن عابر بن شالح^(١) بن إرنخشد بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو بقول^(٢) :

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل [الأيمن المعرب ذى المهمل]
أقوم سيروا في الرعي الأول أنا الذي باللسان السهل
الأبين المنقح غير المشكل [حثوت والأمة في تبليل]
[يا قوم سيروا في الرعي الأول] نحو يمين الشمس في تمهل
فل باليمن على ما وصفتنا آتفاً من هذا الكتاب .

وسار بعده عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده [ومن تبعه مسير عاد إلى الأحقاف وهو يقول :

إني أنا عاد الطويل البادي وسام جدى ابن نوح الهادى
نقد رأيتم يعرب الزياى وسوقه الطارف والتلاد]
فل بالأحقاف [وأداني الرمل] بين عمان وحضرموت واليمن ، وتفرق هؤلاء
في الأرض ، فانتشر منهم ناس كثير : منهم جيرون بن سعد بن عاد حلّ بدمشق
فحصّر مصرها ، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها ، وشيد بنيانها ، وسماها إرم ذات
العماد ، وقد روى عن كعب الأخبار^(٣) في إرم ذات العماد غير هذا ، وهذا الموضع
بدمشق في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - سوق من أسواقها
عند باب المسجد الجامع ، يعرف بجيرون ، وجيرون : هو بنيان عظيم ، كان قصر
هذا الملك ، عايه أبواب من نحاس عجيبة : بعضها على ما كانت عايه ، والبعض
من مسجد الجامع ، وقد ذكرنا فيما سر خبر نبى الله هود^(٤) .

وسار بعد عاد بن عوص ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه [وهو يقول :

(١) في ١ « بن صالح بن سالم »

(٢) ما بين المعقوقين من هذا الرجز لا يوجد في ١

(٣) في ١ « وقد روى عن كتب الأخبار »

(٤) في ب « خبر بنى أسهود »

نزول ثمود
الحجر .

أنا الفتى الذى دعا ثمودا يا قوم سيروا ودعوا التريديدا
لعلنا أن ندرك الوفودا فنلحق البادى لنا العديدا
إنا أينما يعرب الحميدا وعاد ما عاد الفتى الجليدا

فنزله هؤلاء الحِجْرَ إلى فرع^(١) ، وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا
الكتاب ، وخبر نبيهم صالح عليه السلام ، وأنهم نحو وادى القرى ، بين
الشام والحجاز .

وسار بعد ثمود جديس بن عابر بن إرم^(٢) بن سام بن نوح بولده ، ومن
تبعه [وهو يقول :

أنا جديس والمسير المسلكا فدتك نفسى يا ثمود المهلكا
دعوننى فقد قصدت نحوكا إذسارت العيس وأبدت شخصا]
وقد قلنا فيما سلف : إن هؤلاء الذين نزلوا اليمامة .

وسار بعد جديس عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام^(٣) بن نوح [بولده] ومن
تبعه : وهو يقول :

لما رأيت الناس ذا تبليل وسار منا ذو اللسان الأول
[وحدثنا فى اللحاق الأول] فسرت حثا بالسوام المهمل
فنزله هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ، ومنهم من سار إلى بلاد مصر
والمغرب ، وقيل : إن هؤلاء بعض فراعنة مصر ، وقد ذكرنا قول من ألحق
العاليق وغيرهم ممن ذكرنا بعيص^(٣) بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وزعم
أنهم من ولد العيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم .

وقد كانت للعاليق ملوك كثيرة سلفت فى مواضع من الأرض بالشام

(١) فى ١ « إلى قرح »

(٢) فى ١ « جديس بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام »

(٣) فى ب « بقطور بن إسحاق بن إبراهيم الخليل »

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٣٥

وغيره ، وقد أيننا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم في كتابنا « أخبار الزمان » ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع بن نون مع ملك العماليق [بيلاد أيلة ، وهو السميدع بن هوير ، وقد كان من بقي من العماليق] انضافوا إلى ملوك الروم ؛ فلكتهم الروم على مشارق الشام ^(١) والغرب والجزيرة من ثغور الشام فيما بينهم وبين فارس .

فمن ملك الروم من العماليق : أذينة بن السميدع ، الذي ذكره الأعشى في قوله :

أذينة بن
السميدع
العماليق

أزال أذينة عن ملكه وأخرج عن ملكه ذايزن
وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة بن طرب [بن حسان] ويقال :
هو الذي يعرف بأمه [زباء] .

ثم ملك عمرو بن طرب ، ويقال : هو الذي كان يعرف بأمه [زباء] ،
وقد كان بينه وبين جذيمة الأبرش الأزدى أبي مالك ^(٢) حروب كثيرة ، فقتله
جذيمة علي ما ذكرنا ، وما كان من قتل الزباء لجذيمة [وقول الشاعر :

كأن عمرو بن زبأ لم يعيش ملكاً ولم يكن حوله الرايات تختفق
لاءم جذيمة من ضرساء مشعلة فيها خراشف بالنيوان ترتشق]

ثم سار طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ؛
ومن تبعه [وهو يقول :

مسير طسم
إلى البحرين

إني أنا طسم وجدّي سام سام بن نوح وهو الإمام
لما رأيت الأخ والأعلاما قلت لنفسى : الحق السواما
أخاك عملاقا وذا الإقدام يافث لا كان ولي حام]

فتزل هؤلاء البحرين .

(١) ربما كان أصل العبارة « مشارف الشام » وانظر ص ٩ السابقة من

(٢) في ب « بن مالك »

هذا الجزء

وقد كان جميع من ذكرنا [بَدَوْا] ، و [انتشروا في الأرض، على حسب ما ذكرنا من مساكنهم ، وكثرت جديس ، فلما سكت عليها الأسود بن غفار، وكثرت طسم ، فلما سكت عليها عملوق^(١) بن جديس ، وقد ذكر عبيد بن شَرِيَّة الجُرهمي حين وفد على معاوية [وأخبره] أن طسم بن لاوذ [بن إرم بن سام بن نوح ، وجديس بن عابر بن]^(٢) سام بن نوح ، هم العرب العاربة ، وقد كان منزلهم جميعا باليمامة ، واسمها إذ ذاك جَوْ .

عملوق الظالم ملك طسم وكان لطمس ملك يقال له عملوق، وكان ظلوما غشوما ، لا ينهأ شيء عن هواه ، مع إصراره وإقدامه على جديس ، وتعدّيه عليهم ، وقهره إياهم، فلبثوا في ذلك دهرأ ، وهم أهل مظالم^(٣) ، قد غمطوا النعمة ، واتهكوا الحرمه ، وبلادهم أفضل البلاد ، وأكثرها خيراً ، فيها صنوف الشجر والأعنان، وهي حدائق ملتفة ، وقصور مصطفة ، فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس ، يقال لها هُزَيْلَة بنت مازن ، وزوج لها قد فارقها ، يقال له ماشق ، فأراد قبض ولده منها^(٤) ، فأبى عليه ، فارتفعا إلى الملك عملوق ليحكم بينهما ، فقالت المرأة : أيها الملك ، هذا الذي حملته تسعا ، ووضعته دفعا ، وأرضعته شفعا ، ولم أنل منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوفت خصاله ، أراد أن يأخذه قسراً ، ويسلبني قهراً ، ويتركني منه صِفْراً ، قال زوجها : قد أخذت المهر كاملاً ، ولم أنل منه نائلاً ، إلا ولداً خاملاً^(٥) ، فافعل ما كنت فاعلاً . فأمر الملك أن يؤخذ الولد منهما ويجعل في غلمانة ، فقالت هُزَيْلَة في ذلك :

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمَ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَبْرَمَ حَكْمًا فِي هُزَيْلَةَ ظَالِمًا
لِعَمْرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَامْتَوْرَعًا وَلَا فَهْمًا عِنْدَ الْحُكُومَةِ عَالِمًا

(١) في ب « عملوق » (٢) ما بين المعقوفين ساقط من ب

(٣) في ا « وهم أهل بطالة قد غمطوا النعمة »

(٤) في ا « قبض ولدها منها »

(٥) في ا « ولم أنل منه طائلاً ، إلا ولداً جاهلاً »

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٣٧

ندمتُ فلم أقدر على متزحزح وأصبح زوجي حائر الرأي نادما
فبأنح الملك قول هزيلة ، فغضب ، وأمر أن لا تزوج امرأة من جدس
تتزوج إلى زوجها حتى تحمل إليه ، فيفترعها قبل زوجها ، فلقوا من ذلك ذلا
طويلا ، ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة ، وقيل : الشموس ، بنت
غفار الجديسي^(١) أخت الأسود بن غفار^(٢) ، فلما كانت ليلة هديها إلى زوجها
انطلق بها إلى عملاق الملك ليطأها على عادته ، ومعها القينات يغنين ويقنن
في غنائهن :

إبدى بعملاق وقومي فاركي وبأدري الصبح بأمر معجب
* فما ليكر بعدكم من مذهب *

فلما دخلت عفيرة على عملاق افترعها وخلي سبيلها ، فخرجت عفيرة على
قومها في دماها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها ، وهي تقول :
لا أحد أذل من جدس أهكذا يفعل بالعروس ؟
وقالت أيضا تحرض [قومها] جدس على طسم ، وأبت أن تمضي إلى
زوجها من كلمة :

أبضلح ما يؤتى إلى فتياتكم	وأتم رجال فيكم عدد الرمل ^(٣)
أبضلح تمشى في الدما فتياتكم	صبيحة زفت في النساء إلى البعل ^(٤)
فإن أتم لا تنضبوا بعد هذه	فكونوا نساء لا تنفروا من الكحل ^(٥)
ودونكم طيب العروس ؛ فإنما	خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فقبجاً وشيكاً للذي ليس دافعا	ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

(١) في ب « الطسمى »

(٢) هكذا ورد في تاريخ الطبري (٣٨:٢) ووقع في ب « الشموس بنت

عمار أخت الأسود بن غفار » بالخطأ في الموضعين ، وعدم الاتفاق حتى على الخطأ

(٣) في ا « عدد النمل » (٤) حفظي : « وتصبح تمشى في الدماء عفيرة »

(٥) في ا « عند هذه » وفيها « لا تعضوا من الكحل » وأحفظ « لم تعضوا »

فلو أننا كُنا الرجال وكُنتم نساء لَكنا لا نَقِر على الذل
فموتوا كراماً ، واصبروا لعدوكم بحرب تَلَطَّى في القرام من الجزل^(١)
ولا تجزعوا للحرب يا قوم ، إنما قوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكسٍ مواكل ويسلم فيها ذو النجابة والفضل
[وفي ذلك يقول أخوها :

جاءت نَمَشَى طَسَمٌ في خميس كالرَّيح في هَشْهَسَةِ اليبس
يا طَسَم ما لقيت من جديس حَقًّا لك الويل فهيسى هيسى]

التفكير
في الانتقام

قال : فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت غضباً لذلك ،
فقال لهم الأسود بن غفار - وكان فيهم سيداً مطاعاً - يا جديس ، أطيعوني
فيما أمركم به ، وأدعوكم إليه ، ففي ذلك عز الدهر ، وذهاب الذل ، قالوا :
وما ذلك ؟ قال : قد علمتم أن هؤلاء - يعني طسما - ليسوا بأعز منكم ، ولكن
مُلْكٌ صاحبهم عليكم وعليهم هو الذي يُذْعِنُنا إليه بالطاعة^(٢) ، ولو لا ذلك ما كان له
علينا من فضل ، ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف^(٣) ، فقالوا : قد قبانا قولك ،
ولكن القوم أقراننا ، وأكثر عدداً وَعُدداً مِنَّا ، فنخاف إن ظفروا بنا أن
لا يقولوا ، فقال : والله يا جديس لنطيعنني فيما أمركم به وأدعوكم إليه أولئك
على سيفي فأقتل [به] نفسي ، قالوا : فإننا نطيعك فيما قد عزمنا عليه ، قال : إني
صانع لعملوق وقومه من طسَم طعاماً وداعيتهم إليه ، فإذا جاءوا إليه متفضلين
في الحلال والنعال^(٤) نهضنا إليهم بأسياقنا ، فانفردت أنا بالملك ، وانفرد كل رجل
منكم برجل منهم ، قالوا له : فافعل ما بآبائك ، واجتمع رأيهم عليه ، فقالت عفيرة

(١) في ١ « واضرموا لعدوكم » وفيها « تلطَّى بالضرام »

(٢) في ١ « هو الذي ودعنا له بالطاعة »

(٣) في ١ « ولو امتنعنا منهم لكان لكم النصف »

(٤) في ب « منفصلين من الحيل والبغال » محرفاً

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٣٩

لأخيهما الأسود : لا نفعل هذا ؛ فإن الغدر فيه ذلة وعار ، ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراماً ، قال : لا ، ولكن نمكر بهم ، فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم ، وأبلغ في الانتقام منهم ، فقالت عفيرة في ذلك أشعاراً قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

ثم إن الأسود صنع طعاماً كثيراً ، وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ، ثم قال لهم : إذا أنا كم القوم يرفلون في حلهم^(١) فخذوا أسيافكم ثم شدوا^(٢) عليهم قبل أن يأخذوا بحالهم ، وابدؤا بالرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ، ولم تكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها ، قالوا : نفعل ما قلت .

ثم دعا الأسود بعمالق الطسمى ومن معه من رؤساء طسم باليامة ، فأسرعوا إجابة دعوة الأسود ، فلما توافوا إلى المدعاة وثبت جديس ، فاستثاروا سيوفهم من الرمل ، وشدوا على عمالق وأصحابه فقتلوه حتى أفنوه عن آخرهم ، ومضوا إلى ديارهم فاتهبوها ، وقال الأسود بن غفار في ذلك أشعاراً يرثى بها طسما ، ويذكر بغيها^(٣) وفعل عمالق بأخته ، يطول بذكرها الكتاب ، وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا .

قال : وهرب رجل من طسم ، وكان اسمه رباح بن مرة الطسمى ، فأتى رباح الطسمى إلى حسان بن تبع [الحيري ملك اليمن يومئذ] فاستغاث به ، وقد كان عمداً إلى يستجد حمير جريدة نخل رطبة فجعل عليها طيناً رطباً ، وحملها معه وأخرج معه كلبة ، فلما ورد على حسان كسر يد كلبته ، ونزع الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل إلى حسان واستعاذ به ، وأخبره بالذي صنعت جديس بقومه ، فقال له الملك : لله أبوك ، فمن أين مبدأك ؟ قال : جئتك ، أبيت اللعن من أرض

(٢) في ١ « ثم تقدموا عليهم »

(١) في ١ « يرفلون في حلهم »

(٣) في ٢ « ويذكر نعيمها »

قريبة وقوم اتهمك منهم ما لم ينتهك من أحد، أنا رباح بن مرة الطَّسْمِي، دعتنا جديس إلى مَدْعَاة لهم فأجبناهم متفضلين في الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جِفَانِهِمْ ، فما ذُقْنَا الطعام حتى صرنا حُطَامًا ، بلا طلب دم ولا تِرَّةٍ سلفت ، فدونك - أبيت اللعن ! - قومًا قطعوا أرحامنا ، وسفكوا دماءنا ، قال الملك حسان : أمتعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة ؟ قال : نعم ، فقال الملك : إن كنت صادقًا لقد خرجت من أرض قريبة ، ووَعَدَهُ ^(١) بالنصرة ، ثم نادى في حمير بالسير ، وأعلمهم بما فعل بطسم ، قالوا : مَنْ فعلَ هذا أبيت اللعن ؟ قال : عبيدهم ، قالوا : ما لنا في هذا من أَرْبٍ ، هم إخواننا فلا نعين بعضنا على بعض ، وهم عبيدك أيها الملك فدعهم ، فقال حسان : ما هذا بحسن ، أرايتم لو كان هذا فيكم أكان حسنًا لملككم ^(٢) أن يهدر دماءكم ؟ وما علينا في الحكم إلا أنا ننصف بعضنا من بعض ، فقام فرسانهم فقالوا : أبيت اللعن الأمر أمرك ، فرنا بما أحبيت ، فأمرهم بالسير ، فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى إذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان : أبيت اللعن ، إن لي أخًا متزوجة في جديس ليس في الأرض أبصر منها ، إنها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال ، وأنا أخاف أن تنذر القوم بك ، فتأمر كل واحد من أصحابك أن يقتلع شجرة من الأرض فيجعلها أمامه ثم يسير ، فأمروهم ^(٣) فأمروهم بذلك ، ففعلوا ثم ساروا ، وكان اسم أخت رباح « يمامة » [بنت مرة] فأشرفت من منظرها فقالت : يا جديس ، لقد سارت إليكم الشجر ، قالوا لها : وما ذاك ؟ قالت : أرى أشجاراً تسير [وإوراءها شيء] ، وإني لأرى رجلاً من ورائه شجرة ينهش كتفًا أو يخصف نعلًا ، فكذبوها ، وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ أهبة الحرب ، ففي ذلك تقول اليمامة لجديس [تحذره] :

إني أرى شجراً من خلفها بشر فكيف تجتمع الأشجار والبشر ؟
ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم فإن ذاك منكم فاعلموا ظفر

(١) في « ووعدته النصر » (٢) لعلها « لملكهم »

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٤١

وأقبل الملك حسان بحمير، حتى إذا كان من جَوْءٍ على مسيرة ليلة عَبَّأَ جيشه ثم صَبَّحَهُمْ فاستباح أهلها من جديس قنلا، فأفنا [هم وسبي] نساءهم وصبيانهم، وهرب الأسود بن غنار ملكها حتى نزل بدار طيء فأجاروه من الملك وغيره، من غير أن يعرفوه؛ فيذكر أن نسله اليوم في طيء مذكور.

فلما فرغ حسان من جديس دعا باليامة بنت مرة، وكانت امرأة زرقاء، فأمر فنزعت عيناها فإذا في داخلها عروق سود، فسألها عن ذلك، فقالت: حجر أسود يقال له الإمد كنت أكتحل به [فنشبت إلى بصرى] وكانت [هى] أول من اكتحل به، فاتخذوه بعد ذلك كحلا، وأمر الملك باليامة، فصلبت على باب جو، وقال: سموا جوا باليامة؛ فسميت بها إلى اليوم.

قال المسعودي: ثم سار — بعد طسم بن لاوذ — وَبَارُ بن أميم بن لاوذ مسير وبار
ابن أميم ابن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه، فنزل بأرض وَبَارٍ بالأرض المعروفة برمل عاج، فأصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الأرض، وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الأخباريون من العرب، وخروجهم بذلك عن حد المعقول والاعتدال^(١) من الأمر الممهور، بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الأمة العظيمة، المعروفة بوبار^(٢)، كما أهلك طسما وجديسا وداسما، وكانت ديار داسم بأرض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة، وداسم كانت ديارهم بالجولان وجازر^(٣) من أرض نوى من بلاد حوران والبثنية، وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام،

(١) في ب « عن حد العقول والعناد »

(٢) في مهلك « وبار » يقول الراجز:

ألم تروا إرما وعادا أودى بها الليل والنهار
ومر دهر على وبار فهلكت جهرة وبار

(٣) في ب « بالجولان والجيدور من أرض بوا وبلاد حوران والتبت »

وعملاق وعاد وثمود ، وأن الجن كانت تسكن في ديار وبار ، وحتمها من كل من أرادها وفصد إليها من الإنس ، وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً وعنباً ونخلاً وموزاً ، وإن دنا أحد من الناس إلى تلك البلاد غلطاً أو متعمداً حثت الجن في وجهه التراب ، وسفت عليه سواقي الرمل ، وأثارت عليه الزواجع ، فإن أراد الرجوع [عنها] خلوه وتيهوه ، وربما قتلوه ، وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل ، فإذا قيل لهم: دلونا على جهته ، وقفونا على حده ، زعموا أنها من أرادها ألقى على قلبه الصرفة ، حتى كأنهم بنو إسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه فصدتهم الله تعالى عن الخروج ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أن تم فيهم مراده ، وانتهى فيهم حكمه ، وقد قال في ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم في هذه الأرض المجهولة^(١).

دعا جحفلا لا يهتدى لمقله من اللؤم حتى يهتدى لوبار^(٢)
[وداع دعا والليل مرخ سدوله رجاء القرى يا مسلم بن جبار]^(٣)
وأقوالهم في مثل هذا كثيرة .

والعرب ممن ساف وخلف في الجاهلية والإسلام يخبرون عن هذه الأرض كإخبارهم عن وادي القرى والصنآن والدّهناء والرمل الذي يبيرن وغيرها من الأرضين التي نزلوا فيها ، ويخيمون عليها طلباً للماء والكلأ ، وزعموا أنه ليس بهذه الأرض اليوم أحد إلا الجن والإبل الوحشية ، وهي عندهم من الإبل التي قد ضربت فيها فحول الجن ، فالوحشية من نسل إبل الجن ، والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية ، وفي ذلك يقول أبو هرير^(٤) :
كأنى على وحشية أو نعامه لها نسب في الطير وهو ظليم^(٥)

(١) أعتقد أن ترتيب البيت أن يتقدم ثانيهما

(٢) في ب « دعا جحلا لا يهتدى لمقله » (٣) هذا البيت ساقط من ا

(٤) في ب « زهير بن أبي سلبى للزنى » (٥) في ا « وهى ظليم »

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٤٣

والأشعار في ذلك كثيرة .

وفي بسطنا لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها - مما أمكن كونه
وخرج عن حد الوجوب والجواز - خروج عن حد الإيجاز والاختصار ، وقد
أنينا على ذلك فيما سلف من كتبنا .

وسار بعدو بار بن أمية ضخم^(١) بن إرم بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا مسير عبد ضخم
الطائف ، فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر ، فذثروا وذ كرتهم الشعراء ، وفيهم
يقول الأزدي :

وعبد ضخم إذا نسبتهم ابيض أهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقاً يجمعهم فبين الخط قحة العرب [

وذكروا أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف انجم وهي بدء الكتابة
بالعربية حروف اب ت ث ، وهي التسعة والعشرون حرفاً^(٢) ، وقد قيل غير ذلك ،
على حسب تنازع [الناس في] بدء الكتابة .

وسار بعد عبد ضخم بن إرم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه ، وطافوا مسير جرهم
إلى مكة البلاد ، حتى أتوا مكة فنزلوها [وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي :

هذا سبيل كسبيل يعرب النباىء القول المبين للعرب
يا قوم سيروا عن فعال الأجنب جرهم جدى وقحطان أبى]^(٣)

وسار أمية بن لاوذ بن إرم بعد جرهم بن قحطان فحل بأرض فارس ؛ فالفرس مسير أمية
إلى فارس — على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، في باب تنازع الناس في
أنساب فارس — من ولد كيو مرث بن أمية بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ،
وفي ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس في الإسلام^(٤) :

(١) في « عبد بن صخم » وانظر ص ١٣٢ من هذا الجزء .

(٢) في « الثمانية والعشرون » (٣) في « بعد ظهور الإسلام »

(٤) جميع ما بين المعقوفين ساقط من أوحدها والشعر المروي هنا كله

غير مستقيم

أبونا أميم الخير من قبل فارس وفارس أرباب الملوك، بهم فخرى
[وما عد قوم من حديث وحادث من المجد إلا ذكرنا أفضل الذكرك^(١)

أول امرئ بني الليوت أميم بن لاوذ وقد ذكر جماعة من أهل السير والأخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدواً محنمين في مساكنهم من الأرض، وأن أميا أول من ابنتى البنيان، ورفع الحيطان، وقطع الأشجار، وسقف السقوف، واتخذ السطوح، وأن ولد حام [بن نوح حلوا ببلاد الجنوب، وأن ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة، على حسب ما قدمنا آنفاً في باب السودان من هذا الكتاب، وأن فخذنا من ولد كنعان بن حام]^(٢) ساروا نحو بلاد إفريقية وطنجة من أرض المغرب، فزولوها، وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام.

أنساب البربر وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر؛ فبهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن، وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العرم، ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان، ومنهم من رأى غير ذلك، وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا.

الشام بلاد كنعان ونزل ولد كنعان بن حام - وهم الأغلب من ولد كنعان - بلاد الشام، فهم الكنعانيون، وبهم تعرف تلك الديار، فقيل: بلاد كنعان.

مسير نوفير إلى الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ويصير والأنباط.

وسار نوفير [بن فوط]^(٣) بن حام بولده ومن تبعه إلى أرض الهند والسند، وبالسند

(١) كذا في ب، ولعله « من قديم وسحدث » والبيت برمته ساقط من ا

(٢) هذه الزيادة لا توجد في ا

(٣) هكذا في ا، وفي ب « بوقر بن لوط » وسقط الأب فيما يلي

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٤٥

أم لهم أجسام طوال ، وهم على بلاد المنصورة من أرض السند ؛ فعلى هذا القول أن الهند والسند من ولد نوفر [بن فوط] بن حام بن نوح ، فولد حام في الجنوب من الأرض الأكثر منهم ، وولديا في الشمال فيما بين الشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من الأمم زفرتها في الشرق وغيره مما يلي جبل القمخ والباب والأبواب.

وَبَعَثَ عاد في الأرض وملكها الخليلجان بن الوهم^(١) ؛ فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام ، وهي : صمود ، وصداء ، والهباء ، فبعث الله إليهم هوداً على حسب ما قدمنا ، فكذبوه ، وهو هود بن عبد الله بن رياح بن خالد بن الحلود بن عاد^(٢) ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل ، وقد تقدم ذكر أسمائهم ، فدعا عليهم هود ؛ ففنعوا المطر ثلاث سنين ، وأجذبت الأرض فلم يدر عليهم ضرع^(٣).

وقد كان من ذكرنا من الأمم لا يبحد الصانع جل وعز ، ويعلمون أن نوحاً أصل الشرك عليه السلام كان نبياً ، وأنه وفي لقومه بما وعدهم من العذاب ، إلا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ، ومالت نفوسهم إلى الدعة ، وماندعو إليه الطباع من الملائد والتقليد ، وكان في نفوسهم هيبة الصانع ، والتقرب إليه بالتمائيل وعبادتها ، لغنهم أنها مقربة لهم إليه ، وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة ، وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء ، فوفدت عاد إلى مكة يستسقون لهم ، وكان بمكة بومئذ العمايق ، فأتى الوفد مكة ، فأقبلوا على

وفود عاد
على مكة

(١) في ب « الخليلجان بن الوهم ».

(٢) كذا في ا وتاريخ الطبري (١ : ١١١) وفي ب « بن الحلود بن عياد » وسقط من الطبري ذكر خالد ، وفيه أن الذين نزلوا الهند بنو قين بن يقين (١٠٥ : ١) ..

(٣) في ا « فلم يدر لهم ضرع » .

الشرب واللهم ، حتى غَنَّتْهم^(١) الجرادتان قَيْنَتَا معاوية بن بكر بشعر فيه
هَتَّاهُمْ^(٢) على ما وردوا من أجله ، وهو :

أَلَا يَا قَيْلُ وَيُحْكُ قَمِ فَهَيْتُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يَمْطُرُنَا غَمَامَا
فَيْسِقِي أَرْضَ عَادٍ ، إِنْ عَادَا قَدْ أَمْسَوْا لَا يَبِينُونَ الْكَلَامَا
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ نَرْجُو بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْفَلَامَا^(٣)
وَأَنْ الْوَحْشَ نَأْتِي أَرْضَ عَادٍ فَلَا تَخْشَى لِرَامِيهِمْ سَهَامَا
وَأَنْتُمْ هَهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّمَامَا
فَقَبِّحْ وَفَدِّكُم مِّنْ وَفَدِّ قَوْمٍ وَلَا لُقُّوْا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا
^(٤) [ثم إن معاوية بن بكر دعا إحدى الجرادتين فغنت :

أَلَا يَا قَيْلُ مِّنْ عُوصٍ وَمِنْ عَادٍ بَنَ سَامٍ
وَعَادٍ كَالشَّامِرِيخِ مِّنَ الطُّولِ الْكِرَامِ
سَقَى اللَّهُ بَنِي عَادٍ مَّعًا صَوْبَ الْغَنَامِ^(٤)

فاستيقظ القوم من غفلتهم ، وبادروا إلى الاستسقاء لقومهم ؛ فكان من
أمرهم في مجيء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ماقداتضح ، وفيهم يقول
مرثد بن سعد من كلمة :

عَصَتْ عَادَ رُسُلَهُمْ فَأَمْسَوْا عِطَاشًا لَا تَبْلُغُ السَّمَاءَ
أَلَا قَبِّحَ إِلَهُ حُلُومَ عَادٍ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ قَفَرَتْ هَوَاءَ
^(٤) [لهم صنم يقال له صمود يقابله صدداء والهباء^(٤)
^(٤) [فبصّرنا النبي سبيل رشد فأبصرنا الهدى ونأى العماء^(٤)
^(٤) [وإني موقن فاستيقنوه بأن إله هود هو العلاء^(٤)

(١) في ب « جاءتهم الجرادتان » (٢) في ب « يشرحن لهم ماوردوا »

(٣) وقع في أ « فليس يرجي * حياة الشيخ الكبير » وليس بشيء وورد

فيها هذا البيت متأخرا عما بعده هنا .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من أ .

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٤٧

[وأن إله هود هو إلهي على الله التوكل والرجاء]

[وأنى لاحق بالأمس هوداً وإخوته إذا حق المساء]

فأرسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم ، [نخرجت الريح عليهم] من وادٍ مهلك عاد لهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : (هذا عارضٌ ممطرنا) وتباشروا بذلك ، فلما سمع هود ذلك من قولهم قال : (بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم — الآية) فأتهم الريح يوم الأربعاء ، فلم تأت الأربعاء الثانية ومنهم حتى ، فمن أجل ذلك كره الناس يوم الأربعاء^(١)

وقد بينا فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك ، وكيف وقوعه من أيام الشهر في باب [ذكر] الشهور ، فلما شاهد هود النبي صلى الله عليه وسلم ما نال قومه انفرده هو ومن معه من المؤمنين ، وفي ذلك يقول الهليل بن الخليل^(٢) :

لو أن عاداً سمعت من هود واتبعت طريقة الرشيد

وقد أتى بالوعد والوعيد عاداً وبالتقريب والتبعيد

ما أصبحت عائرة الجلود صرعى على الأناف والحدود

ساقطة الأجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوفود ؟

أحدوثه في الأبد الأبيد

^(٣) [وقال مهد بن سعد في شعر له :

دعاهم خيفة الله هود فما نفع النذير ولا أجابوا

فلما أن أبوا إلا عتوا أصابهم ببغيم العذاب^(٤)]

وقد كان الآخر من ملوكهم الخليلان^(٥) ، وقد تقدم ذكرنا في هذا الباب الملك عادوثمود وغيرهم ، وقيل : إن أول من ملك عاداً من الملوك عاد بن عوص

(١) في ١ « فمن أجل ذلك كره الأربعاء لا تدور » .

(٢) في ١ « التهليل بن الخليل » .

(٣) ما بين العقوقين ساقط من ١ (٤) في ب « الآخر من الملوك الخليلان » .

[ثلثائة سنة ، ثم ملك ابن عاد بن عوص]^(١)

قال : ولما دثرت هذه الأمم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها
غيرهم من الناس ، فنزل قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها ، وقد كانوا
نزلوا بلاد الجحفة بين مكة والمدينة^(٢) [وقطنوها ؛ فقال شاعرهم يرثي من كان
في تلك الديار :

إِنْ طَسَمًا وَجُرْهُمَا وَجَدِيسَا وَالْعَالِيقُ فِي السَّنِينِ الْخَوَالِي
عَمَرُوا الْبَيْتَ حَقَبَةً ثُمَّ وَلَّوْا وَاسْتَمَرَّتْ بِهِمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي
وَأَرَاكَ الزَّمَانُ مِنْهُمْ ، وَأَخَى غَيْرُهُمْ سَاكِنًا بِتِلْكَ الْخَوَالِي
وَرَمَاهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ فَأَمْسَوْا دُورُهُمْ بَلَقَعَ لِمَرًّا الشَّمَالُ]^(٣)

وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عييل^(٤) بن عوص بن إرم بن
سام بن نوح هو وولده [ومن تبعه] ، فهلكوا بالسيل ، فسمى ذلك الموضع
بالجحفة لإجفافها عليهم .

وكان يثرب بن قاتية^(٥) بن مهليل بن إرم بن عييل نزل بالمدينة هو وولده
ومن تبعه فسميت به يثرب ، فهلك هؤلاء أيضاً ببعض غوائل الدهر وآفاته ،
فقال شاعرهم :

عَيْنُ جُودَى عَلَى عَيْبِلٍ ، وَهَلْ يَرَى جَمْعَ مَا فَاتَ قَيْضُهَا بِالسَّجَامِ ؟
عَمَّرُوا يَثْرِبًا وَلَيْسَ بِهَا سَقَرٌ وَلَا صَارِخٌ وَلَا ذُو سَنَامِ
غَرَسُوا لِيْنَهَا بِمَجْرَى مَعِينٍ ثُمَّ حَفُّوا الْقَسِيلَ بِالْأَجَامِ^(٦)
وقد أخبر الله جلت قدرته عنهم ، فقال : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة ،
فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) .

وقد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن نويل بن رعويل^(٧) بن مر بن عتقاء

(١) هذه الريادة لا توجد في (٢) في ب « عيد بن عوص »

(٣) في ب « يثرب بن قاتية » (٤) في ب « ثم حفوا السيل بالأزحام »

(٥) في ب « شعيب بن نوفل بن رعييل بن مر بن عتقاء — إلخ » .

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٤٩

ابن مَدْيَن بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العزبية: ففهم من رأى أنهم من العرب الدائرة، والأمم البائدة، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية، ومنهم من رأى أنهم من ولد الحُص بن جندل بن يعصب بن مَدْيَن بن إبراهيم؛ وأن شعيياً أخوهم في النسب، وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة [ومنفصلة] فمنهم المسمى بأبي جاد^(١) وهوز وحطى وكلن وسعفس وقرشت، وهم على ما ذكرنا بنو الحُص بن جندل، وأحرف الجمل على أسماء هؤلاء الملوك، حروف الجمل وهي التسعة والعشرون^(٢) حرفاً التي [يدور] عليها حساب الجمل، وقد قيل في هذه الأحرف غير ما ذكرنا من الوجوه، على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب، وليس كتابنا هذا موضعاً لقاله الناس فيها، وتنازعوا في تأويلها والمراد بها، وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وَّجَّ، وهي أرض^(٣) الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد، وكلن وسعفس وقرشت ملوكاً بَمَدْيَن، وقيل: ببلاد مصر، وكان كلن على ملك [مدين، ومن الناس من رأى أنه كان ملكاً على] جميع من سمينا مشاعاً متصلاً على ما ذكرنا، وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم، وأن شعيياً دعاهم فكذبوه، فوعدهم بعذاب يوم الظلة، ففتح عليهم باب من السماء من نار، وأنحاز^(٤) شعيب بمن آمن معه إلى الموضع المعروف بالأيكة، وهي غيضة نحو مدين، فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طابوا شعيياً ومن آمن معه وقد أظلمت سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب، فأخرجوا شعيياً ومن آمن معه من موضعهم [وأزالوهم عن أماكنهم] وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم، فجعلها الله عليهم ناراً، فأتت عليهم [فرئت حارثة بنت كلن أباهما قتالت وكانت بالحجاز :

عذاب
يوم الظلة

(١) في ١ «أبجد» (٢) في ١ «وهي الأربعة والعشرون حرفاً»

(٣) في ١ «وعلى أرض الطائف — إلخ» (٤) في ب «ونجا شعيب»

كلن هَدَم ركني هُلْكُه وَسَطَ الحَلَّةِ
سيد القوم أَنَاهُ السَّحْتُ نَاراً تَحْتَ ظِلِّهِ
كُنت نَاراً، وَأُضْحَت دَار قَوْمِي مَضْحَلَةً^(١)

وفي ذلك يقول المنتصرين للنذر المديني^(٢) :

أَلَا يَا شَعِيبُ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةً أَتَيْتَ بِهَا عَمْرًا وَحَيَّ بْنَ عَمْرٍو
وَمَمْلُوكُوا أَرْضَ الْحِجَازِ وَأَوْجَهَا كَمَثَلِ شَعَاعِ الشَّمْسِ فِي صُورَةِ الْبَدْرِ
مَمْلُوكُ بْنُ حُطَّى وَسَعْفَصَ ذِي النُّدَى وَهَوَّزَ أَرْبَابَ الْبَنِيَّةِ وَالْحِجْرِ
وَمَقَطَنُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَرَتَبُوا خَطُورًا وَسَامُوا فِي الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ^(٣)

ولهؤلاء الملوك أخبار عجيبة من حروب وسير ، وكيفية تغلبهم على هذه
الممالك وتملكهم عليها ، وإبادتهم من كان فيها وعليها [قبلهم] من الأمم ،
قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا في هذا المعنى مما كتبنا هذا منبه عليها
وباعث على درسها .

حضورا
تنازع الناس
في أنسابهم
وأما بنو حضورا وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة ، فغلبت على كثير من
الأرض والممالك ، وقد تنازع الناس فيهم : فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من
العرب البائدة ممن سمينا ، ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث بن نوح ، وقيل
في أنسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه ، وقد كان الله عز وجل بعث إليهم شعيب
ابن مهدم بن حضورا بن عدى نبيًا ناهيا عما كانوا عليه ، وهذا غير شعيب
ابن نؤيل بن رعويل بن مري بن عتقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل صاحب مدين
المتزوج ابنته موسى بن عمران المقدم ذكره ، وبينهما مئون من السنين ، وقد

(١) لا توجد هذه الزيادة في أ

(٢) اختلف ترتيب هذه الأبيات في النسخ ، ولا يوجد أولها في أ

(٣) في أ « وزينوا * مطورا وسادوا بالمكارم والفخر * » .

الجزء الثاني : ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية ١٥١

كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف نبي^(١)، ولما بُعِثَ إلى حضورا، واشتد كفرهم جدَّ نبيهم شعيب بن مهدم^(٢) في دعائهم وخَوَقَهُم وتوَعَدَهُم، فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبت حجته على قومه، فلم يضيع الله دمه، ولم يكذب وعيده، فأوحى الله تعالى إلى نبي كان في عصره وهو برخيا بن أخيبا بن رزناثيل بن شالتان^(٣) - وكان من سبط يهوذا بن إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام - أن يأتي بمختصر وكان بالشام وقيل : غيره من الملوك، فيأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاقَ لبيوتهم، فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك : صدقت، لي سبع ليال أو مرُ في نومي بما ذكرت، وأنادى بمجيئك إلى، وأبشر بخطابك، ويقال لي ما أمرتني به، وأن أنتصر للنبي المقتول الفريد [الظالم] فسار إليهم في جنوده وغشي دارهم في عساكره، وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربه من حيث عمَّ الصوت جميعهم، وهو يقول :

سَيُغْلَبُ قَوْمُ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً . وَإِنْ كَايِدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مَرِيضًا وَمَنْ وَآلَى النِّفَاقَ وَالْخِلْدَا
فلما سمعوا ذلك علموا أن الأمر قد نزل بهم، فانقضت جنودهم، وتفرقت
جموعهم، وولَّتْ كتائبهم [يترا كضون]، وأخذهم السيف، فَحُصِدُوا أَجْمَعِينَ.
وقد ذكر أن في قصة هلكهم قال الله عز وجل من قائل : (فَلَمَّا أَحْسَوْا
بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) .

وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه : فمن الناس من رأى أنهم
كانوا بأرض السماوة، وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة، منازل حضروا

(١) في ب ه ألف سنة »

(٢) في ب « شعيب بن ذى مهدم »

(٣) في ب « برخيا بن أخيبا بن روباييل بن شاليال » .

وذلك بين العراق والشام إلى حد الحجاز ، وهي الآن ديار خراب برارى وقفار ،
ومنهم من رأى أن ديارهم كانت [بلاد جند قنسرین إلى تل ماسح إلى
خناصره]^(١) إلى بلاد سورية ، وهذه المدن في هذا الوقت مضافة إلى أعمال
حلب من بلاد قنسرین من أرض الشام .

قال المسعودي : وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية ،
وقد كان قبل ظهور الإسلام للباقي منهم مذاهب وآراء في النفوس وتقول
الغيلان والهواتف والجن ، وسنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه
شرط الاختصار في هذا الكتاب ، وعلى حسب ما نرى إلينا من أخبارهم ،
واتصل بنا من آثارهم ، وذكره الناس من آرائهم ، عن الفاني والباقي
[منهم] ، إن شاء الله تعالى .

(١) زيادة في اوحدها .

ذكر ماذهب إليه العرب في النفوس والهام والصفر

وغير ذلك [من مذاهب الجاهلية في النفوس والمرىء]

[كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس ، وآراء ينازعون في
كيفيةاتها] : فمنهم من زعم أن النفس هي الدم [لا غير] وأن الروح الهواء
الذى في باطن جسم المرء منه نفسه ، ولذلك سمو المرأة منه نفساً ، لما يخرج منها
من الدم ، ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الأمصار فيما له نفسٌ سائلةٌ إذا سقط في الماء :
هل ينجسه أم لا ؟ وقال تأبط شراً لخاله الشنفرى الأكبر [وقد سأله عن قتيل
قتله — كيف] كانت قصته ؟ فقال : أجمته عضبا فسالته نفسه سكبا ، وقالوا :
إن الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ، بدأ في حال الحياة ، وطبيعته [طبيعة
الحياة و] النماء مع الحرارة والرطوبة ؛ لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة ، فإذا
مات بقي اليبس والبرد ، ونفيت الحرارة ، وقال ابن براق من كلمة :

وكم لاقيت ذا نجب شديد تسيل به النفوس على الصدور
[إذا الحرب العوان به استهامت وحال ، فذاك يوم قطير]^(١)
وظائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينسبط في جسم الإنسان ، فإذا مات أو قتل
لم يزل مطيفا به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً ، وفي
ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل :

سلط الطير والمنون عليهم فلهم في صدَى المقابر هَامُ
لأن هذا الطائر يسمونه الهام ، والواحدة هامة ، وجاء الإسلام وهم على
ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا هَامَ ولا صَفَر » .
ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم

(١) هذا البيت لا يوجد في ١ ، وفيه مع ما قبله الإقواء .

وهي أبدأ تتوحش وتصدح ، وتوجد أبدأ في الديار المعطلة والنواويس ،
وحيث مصارع [القتلى وأجداث] الموتى .

ويزعمون أن الهامة لاتزال [على ذلك] عند ولد الميت في محلته بفنائهم ؛
تعلم ما يكون بعده فتخبره به ، حتى قال الصلت بن أمية لبيه :

هامي تخبرني بما تستشعروا فتجنبوا الشنعاء والكروها^(١)
وفي ذلك يقول في الإسلام توبة في ليلي الأخيلية :

ولو أن ليلي الأخيلية سلت عليّ ودوني جندل وصفائح^(٢)

لسلت تسليم البشاشة ، أو زقا إليها صدّي من جانب القبر صائح^(٣)

وهذا من قولهم يدل على أن الصدّي [قد] ينزل إلى قبورهم ويصعد [ومن
ذلك ما روى عن حاتم طي^٤ مما سنورد خبره في هذا الكتاب .

أتيت لصحبك تبغي القرى لدى حفر صدحت هامها^(٤)

وسنذكر هذا الشعر في أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلي الأخيلية من
هذا الكتاب ، وقد قيل : إن هذه الأبيات لغير توبة [في غير ليلي] ،
وهذا كثير في أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم ، وغير ذلك من
محاوراتهم .

تقل الأرواح وللعرب وغيرهم من أهل الملل من سلف وخلف كلام كثير في تنقل الأرواح
وقد أتينا على [مبسوط] ذلك في كتابنا المترجم بـ « سر الحياة » وكتاب
« دعاوى » وبالله التوفيق .

(١) في ١ ، ب « هامتي تخبرني » ولا يستقيم معه وزن البيت ، وفي « وتحيفوا
الشنعاء والكروها » وليس بشيء .

(٢) في ١ « وفوق تربة وصفائح » .

(٣) في ١ « أورقي إليها » وليس بذلك .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ١ ، والكلام الذي بعده مرتبط ببني توبة قبل
المعقوفين .

ذكر أقاويل العرب في الغيلان والينول

وما لحق بهذا الباب

للعرب في الغيلان وتقولها أخبار طريقة .

العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات ، ويظهر لمواصهم في أنواع
من الصور ، فيخاطبونها ، وربما ضيفوها^(١) ، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم :
فمنها قول تأبط شراً :

وأدهم قد جئت جلبابه كما أجتأت الكاعب الخيملا
[على إثر نارٍ ينود بها فبت لها مديراً مقبلاً]^(٢)
فأصبحت والغول لي جارة فياجرتني أنت ما أمولاً
وطالبتنا بضعها فالتوت بوجهه نغول استغولا
فن كان يسأل عن جارتي فإن لها باللوى منزلا
ويزعمون أن رجلها رجلا عنز^(٣) ، وكانوا إذا اعترضتهم الغول في القيا في
يرتجزون ويقولون :

يا رجل عنز أنتهقي نهيقاً لن نترك السبب والطريقا^(٤)
وذلك أنها كانت تترأى لهم في الليالي وأوقات الخلوات ، فيتوهمون أنها
إنسان قيتبعونها ، فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها ، وتتيهمهم . وكان
ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه ، فلم يكونوا يزولون عما كانوا
عليه من القصد فإذا صبح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية
ورءس الجبال .

وقد ذكر جماعة من الصحابة [ذلك] : منهم عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ! أنه

(١) في « ا » وربما بضعوها »

(٢) هذا البيت لا يوجد في ب

(٣) في « ا » رجلا غير . . .

(٤) في ب « لن تترلى السيل والطريقا » وفي « ا » يارجل غير .

شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام ، وأن الغول كانت تتغول له ، وأنه ضربها بسيفه ، وذلك قبل ظهور الإسلام ، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم . رأى الفلاسفة وقد حكى عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان [مُشَوَّه] لم تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج منفرداً في نفسه وهيئته توخَّشَ من مسكنه ، فطالب القفار ، وهو يناسب الإنسان والحيوان البهيبي في الشكل ، وقد ذهبت طائفة من الهند إلى أن ذلك إنما يظهر من فعل ما كان غائباً من الكواكب عند طلوعها ، مثل الكوكب المعروف بكلب الجبار^(١) ، وهي : الشَّعْرَى الْعُبُور ، وأن ذلك يحدث داء في الكلاب ، وسهيل في الحمل والذئب في الدب^(٢) وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر في الصحارى ، وغيرها من العاصر والخرائب ، قسميه عوام الناس غولا ، وهي ثمانية وأربعون كوكبا ، وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر ، وقد وصف ذلك أبو معشر في كتابه المعروف بـ « المدخل الكبير إلى علم النجوم » وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره في أنواع مختلفة .^(٣) [وزعمت طائفة من الناس أن الغول أسم لكل شيء يعرض للشُّفَار ، ويتمثل في ضروب من الصور ، ذكراً كان أو أنثى ، إلا أن أكثرهم كلامهم على أنه أنثى ، وقد قال أبو المطراب [عبيد بن أيوب العنبري] :

[وحالفني الوحوش على الوفاء وتحت عهودهن وبأ البعاد]
وغولا قفرة ذكراً وأنثى كأن عابهما قطع النجاد
وقال آخر [وهو كعب بن زهير الصحابي] :

[فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أنوابها الغول]^(٤)

(١) في بـ « بكتب الجبار » .

(٢) في « وسهيل في الجمال والذئب في الذئبة » ولا يتجه لي معنى ما في اول ما في بـ

(٣) ما بين هذين المعقولين متأخر في ا عن الذي بعده .

الجزء الثاني : ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول ١٥٧

وقد قدمنا [ذكر ذلك] فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى ، وأن كل كوكب [من هذه] يظهر في صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعاً من الأفعال [لم ينفرد بفعله غيره من الكواكب] .

(١) [وكانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتحيل ، واختلال السابلة ، قال أبو المطراب :

فله در الغول ، أى رفيقة لصاحب قفر حالف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالى نيرانا تلوح وتزهر (١)

قولهم
في السعلاة

وقد فرقوا بين السعلاة والغول ، قال عبيد [بن أيوب] :

وساخرة منى ، ولو أن عينها رأت ما رأت عيني من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أرنت
وقد وصفها بعضهم ، فقال :

وحافر العنز فى ساقٍ مُدْمَلجة (٢)

وجفن عين خِلافِ الإنسانِ بالطول

قولهم
في الشياطين
ونحوهم

والناس كلام كثير في الغيلان ، والشياطين ، والمردة ، والجن ، والقطرب ، والغدار (٣) ، وهو نوع من الأنواع المتيشطنة ، يعرف بهذا الاسم ، يظهر في أكناف اليمن والتهائم ، وأعلى صعيد مصر ، وأنه ربما يلحق الإنسان فينكحه فيتدود دبره فيموت ، وربما يتوارى للانسان فيذعره ، فإذا أصاب الإنسان

(١) لا يوجد ما بين المعقوفين فى (٢) فى ١ « وحافر العنز فى ساقٍ مُدْمَلجة »

(٣) فى ب « والقرب والغدار » .

ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي التي سمينا : أمنكوح هو أم مذعور ؟
فإن قالوا منكوح يُنس منه ، وإن كان مذعوراً أسكن روعه ، وشجع مما
ناله ، وذلك أن الإنسان إذا عاين ذلك سقط مغشياً عليه ، ومنهم من يظهر له
ذلك فلا يكثرث [به] لشهامة قلبه ، وشجاعه نفسه ، وما ذكرنا مشهور في
البلاد التي سمينا ، ويمكن جميع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من أهل هذه
البقاع أن يكون ضرباً من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة ، أو غير ذلك
من الآفات والأدواء المعترضة لجنس الحيوان من الناطقين [وغيرهم] ، والله
أعلم بكيفية ذلك .

ولم نذكر في هذا الكتاب ما ذكره أهل الشرائع ، وما ذكره أهل
التواريخ والمصنفون لكتب البلو ، كوهب بن منبه ، وابن إسحاق ، وغيرها
أن الله تعالى خلق الجن من نار السموم ، وخلق منه زوجته ، كما خلق حواء
من آدم ، وأن الجن غشيها ، فحملت منه ، وأنها باضت إحدى وثلاثين
بيضة ، وأن بيضة من تلك البيض تفلقت عن قطربة ، وهي : أم القطارب ،
وأن القطربة على صورة الهرة ، وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث
أبو صرة ، وأن مسكنهم [البحور ، وأن المردة من بيضة أخرى مسكنهم]
الجزائر ، وأن الفيلان من بيضة أخرى ، مسكنهم الخلوات والفلوات ، وأن
السعالى من بيضة أخرى ، سكنوا الحمامات والمزابيل ^(١) ، وأن الهوام من بيضة
أخرى ، سكنوا الهواغي صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك ، وأن من
بيضة أخرى [الدواسق ، وأن من بيضة أخرى] الحماميص — لأننا قد ذكرنا ذلك
فيما سلف من كتبنا ، وتقدم من تصنيفنا ، وأتينا على ذكر [ماتشعب] من أنسابهم
والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الأرض والبحار ، وإن كان ما ذكره أهل

الجزء الثاني : ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتفول ١٥٩

الشرع مما وصفنا ممكناً غير ممتنع ولا واجب ، وإن كان أهل النظر والبحث والمستعملون اقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرناه ، ويأبون ما وصفنا ، والمصنف حاطبٌ ليلٍ ، فأوردنا ما قاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم ؛ إذ كان الواجب على كل ذي تصنيف أن يورد جميع ما قاله أهل الفرق في معنى ما ذكرناه ، وأنينا أيضاً على سائر ما خبرنا من الأشخاص التي هي غير مرئية من الجن والشياطين وما قالوه في سلوك الجن [في الناس] في كتابنا المترجم بكتاب « المقالات ، في أصول الديانات » وبالله التوفيق .

ذكر قول العرب في الهواتف والجنان

[قال السعودى] :

فأما الهواتف فقد [كانت] كثرت في العرب ، واتصلت بديارهم ، وكان أكثرها أيام مولد النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم ، وفي أولية مبعثه ، ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى .

قولهم في
الهواتف
والجنان

قال السعودى : وقد تنازع الناس في الهواتف والجنان : فذكر فريق منهم أن ما تذكره العرب وتُنَبِّئ به من ذلك إما يعرض لها من قبل التوحد في القفار ، والتفرد في الأودية ، والسلوك في المهامة والمَرَوْرَاة ^(٢) الموحِشة ؛ لأن الإنسان إذا صار في مثل هذه الأماكن وتوحد تفكر ، وإذا هو تفكر وجِلَّ وجَبْنَ ، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام المؤذية ، والسوداوية [الفاسدة] ، فصورت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ، وأوهمته المحال ، بنحو ما يعرض لنوى الوسواس ، وقُطِبُ ذلك وأشهُسوء التفكير ، وخروجه على غير نظام قوى ، أو طريق [مستقيم] سليم ؛ لأن المتفرد في القفار والمتوحد في المَرَوْرَاة ^(٣) مستشعر للخاوف ، متوهم للفتائف ، متوقع للحتوف ؛ لقوة الظنون الفاسدة على فكره ، وانغراسها في نفسه ، فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجنان له .

وقد كانت العرب قبل ظهور الإسلام تقول : إن من الجن مَنْ هو على

(١) في « أُمَام مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

(٢) المرورة - بفتح اليم والراء وسكون الواو - الأرض لا شيء بها ، وجمعها مرورى ومروريات .

(٣) وقع في أ في هذا للوضع والذي قبله « الروت » وهو جمع مرت ، والمرت - بفتح اليم وسكون الراء - المفازة لا نبات فيها .

الجزء الثاني : ذكر قول العرب في الهواتف والجنان ١٦١

صورة نصف الإنسان ، وأنه كان يظهر لها في أسفارها وحين خلواتها وتسميه شقاً .
وذكر [وا] عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محارب السكنا في جد مروان بن الحكم
بين شق وعلقمة
لأنه أنه خرج في بعض الليالي يريد مالا له بمكة ، فانتهى إلى الموضع المعروف إلى ابن صفوان
هذا الوقت بمحاطة حرمان ؛ فإذا هو بشق قد ظهر له في أوصاف ذكرها فقال [شق] :

عاقم إني مقتول وإن لمي ما كول
أضربهم بالسلول ضرب غلام مشمول
رخب الذراع بهلول

فقال علقمة :

شق ، مالي ولك اغمد عني مُنْصَلَكُ
تقتل من لا يقتلك ؟

فقال شق :

عَلَمَ ، غنيت لك كما أبيح مقلك
فاصبر لما قد حُمَّ لك

فضرب كل منهما صاحبه ، فخراميتين ، وهذا مشهور عندهم ، وأن علقمة
ابن صفوان قتلته الجن .

وذكروا عن الجن يبتين من الشعر قاتلتهما في حرب بن أمية حين قتلته الجن تقتل
حرب بن أمية [الجن] وهما :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا [الشعر] من قول الجن بأن أحداً من الناس
لا يتأتى له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتبع^(١) في
إنشادها ؛ لأن الإنسان قد ينشد^(٢) العشرين بيتاً والأكثر والأقل أشد من
هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتبع فيه .

(١) في ١ «إلا ويتتبع في إنشادها» (٢) في ب «لأن الناس قد ينشدون»

ومن قتله الجن مرداس [بن أبي عامر] الشلبي ، وهو أبو عباس [بن مرداس] الشلبي ، ومنهم الغريض^(١) المغني ، بعد أن ظهر غناؤه [وحمل عنه] ، وقد كانت الجن نهته أن يغني بأبيات من الشعر ، فغناها^(٢) فقتلته .

قبر حاتم طيء يقرى الضيف
وحدث يحيى بن عقاب^(٣) ، عن علي بن حرب ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن يزيد الطائي [ثم الصامتي]^(٤) قال : رأيت قبر حاتم طيء بيقة^(٥) ، وهو [أعلى] جبل له واد يقال له الخابل^(٦) ، وإذا قَدِرْ عَظِيمَةً مِنْ بَقَايَا قَدُورٍ [حجر] مكفأة في ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس ، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة ، وعلى يساره أربع جوار من حجارة ، كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنأحات عليه ، لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوهن ، مثلهن الجن على قبره ، ولم يكن قبل ذلك ، والجواري بالنهار كما وصفنا ، فإذا هذأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ، ونحن في منازلنا نسمع ذلك ، إلى أن يطالع الفجر [فإذا طلع الفجر]^(٧) سكتن وهدأن ، وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجبا بهن ؛ فإذا دنا منهن وجدهن حجارة .

وحدث يحيى بن عقاب^(٣) الجوهري [قال : حدثنا علي]^(٨) قال : أنبأني عبد الرحمن بن يحيى المنذري ، عن أبي المنذر هشام الكلبي ، قال : حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد ، عن أبيه ، وكان مولى لأبي هريرة [قال : سمعت محمد بن أبي هريرة]^(٩) يحدث قال : كان رجل يكنى أبا البختری مر في نفر من قومه بقبر حاتم طيء ، فنزلوا قريبا منه ، فبات أبو البختری

(١) في « العريض » بالعين المهملة (٢) في « قفني بها »

(٣) في ب « يحيى بن عتاب » . (٤) في ب « منصور بن زيد الطائي »

(٥) في ب « بيقة » وما أثبتناه موافق لما في أ

(٦) في ب « الحامل » (٧) زيادة عن أ ، ولا بد منها

(٨) زيادة في ب وحدها . (٩) في أ « أبا البختری »

الجزء الثاني : ذكر قول العرب في المواتف والجنان ١٦٣

يناديه : يا أبا الجعد ، أقرنا ، فقال قومه له : مهلا ما تكلم رمةً بالية ؟ قال :
إن طينًا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط إلا قرأه ، وناموا ، فلما أن كان في آخر
الليل قام أبو البختری مذعوراً فزعاً ينادى [: وارا حلتاه ، فقال له أصحابه :
ما بدالك ؟ قال : خرج حاتم من قبره بالسيف ، وأنا أنظر ، حتى عقر ناقتي ،
قالوا له : كذبت ، ثم نظروا إلى ناقتة بين نوقهم مجذلة لا تنبث ، فقالوا له :
[قد] والله قرأك ، فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبخاً حتى أصبحوا ،
ثم أردفوه ، وانطلقوا سائرين ، فإذا راكبٌ بعيرٌ يقود آخر قد لحقهم فقال :
أيكم أبو البختری ؟ فقال أبو البختری : أنا ذلك ، قال : أنا عدى بن حاتم ، وإن
حاتما جاء في الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل ، فذكر شتمك إياه ،
وأنه قرى أصحابك براحتك ، وأنشد [نى يقول في شعره] :

أبا البختری ، لأنت امرؤ ظلومُ العشرة شتأماً
أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لى الذم عند المبيت . وحولك طى وأنعامها ؟
فإننا سنشبع أضيافنا ونأنى المطى فنعتامها
وقد أمرنى أن أحملك على بعير مكان راحلتك ، فدونكه .

وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفاني في مدحه عدى بن حاتم حيث يقول :
أبوك أبو سقانة الخير لم يزل لدن شب حتى مات في الخير راغباً^(١)
[به تضرب الأمثال في الشعر ميتا وكان له إذ ذاك حيا مصاحباً]^(٢)
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الدهر راكباً
وحدث أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم السجستاني ، عن
أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : سمعت شيخاً من العرب قد أناف على المائة^٤

(١) في ا ، ب «أبوك أبو سقانة الخير» والذي نعرفه من كنية حاتم «أبوسقانة»

(٢) هذا البيت لا يوجد في ا .

يقول: إنه خرج وافداً على بعض ملوك بني أمية ، قال : فسرت في ليلة ضها كية
حالكه كأن السماء قد برقت نجومها بطرائق السحاب ، وضلت الطريق ،
فتولجت وادياً لا أعرفه ، فأهمنى نفسي [بطرحتها حتى الصباح] ^(١) فلم آمن عريف
الجن ، فقلت : أعوذ برب هذا الوادي من شره ، وأستجيره في طريقى هذا ،
وأسترشه ، فسمعت قائلاً يقول من بطن الوادي :

تيا من تجاهك تاق الكلا تسير وتأمين في المسلك ^(٢)

قال : فتوجهت حيث أشار إلى وقد أمنت بعض الأمن فإذا أنا بأقباس نار
تلمع أمامي في ظلمها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة ، فسرت وأصبحت
بأوشال — وهو ماء لكلب — بقرب بركة دمشق .

وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم [في كتابه] فقال : (وَأَنَّهُ كَانَ
رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ، فزادوهم رهقاً)

(١) هذه الجملة لا توجد في ١ ، وغناؤها قليل .

(٢) في ١ « تلق الضياء منها » .

الجزء الثاني: ذكر ما ذهبت إليه العرب من القيافة والزجر ومحوها ١٦٥

ذكر ما ذهبت إليه العرب

من القيافة ، والزجر [والعيافة] والساح ، والبارح ، وغير ذلك

تنازع الناس في العيافة والقيافة وغيرها مما ذكر : فذهبت طائفة إلى تحقيق القيافة والأخذ بها ؛ لأن الأشباه ننزع ، وغير جائز أن يكون الولد غير مشبه لأبيه ، أو أحد من أهله من جهة من الجهات ، ومنهم من ذهب إلى أن في الولد مواضع تاحقها القيافة دون غيرها من الأعضاء مما لم يحلها الشبه^(١) ، ولا توافق بينهما بحد مشترك ، وأبي آخرون ما وصفنا ؛ إذ كان الناس قديقشابهون في حد الإنسانية [وغير ذلك] من الحدود ، ويفترقون في غيرها من الصور ، وليس وجود الأغلب من الأشباه مما يوجب إلحاق الشبه بشبهه ، دون أن يخالف من حيث أوجبت قضية [العقل] الاختلاف بالتباين .

وهذه المعاني من خواص ما للعرب ، وما تفردت به ، دون سائر الأمم في الأغاب منها ، وإن كانت الصكها قد وجدت في غيرها ، فإن القيافة^(٢) والزجر والتفاوت والتطير ليس لغيرها في الأغاب من الأمور ، وليس هو موجوداً في سائر العرب ، وإنما هو للخاص منها الفطن والمتدرب الظن^(٣) ، وإن وجد ذلك في بعض الأمم ، كوجود ذلك في الإفرنجية ، وما جانسها ممن هنالك من الأمم ، فيمكن أن يكون ذلك موروثاً عن العرب ، ومأخوذاً منها في سائر الدهر ، لأن العرب قد تنقلت في البلاد ، وتغيرت لغاتها^(٤) ، فنسب ذلك إلى الجنس الذي قطنت بينهم العرب ، ويمكن أن تكون الإفرنجية ، ومن وجد فيها

(١) في ١ « مما لم يلحقها الشبه ولا وافق بينهما حد مشترك »

(٢) في ١ « فإن العيافة » . (٣) في ب « والمتدرب التطير »

(٤) في ١ « وتفرقت لغاتها » .

ذلك من الأمم ، وأخذوه بعد ظهور الإسلام عن جاورهم من أمم العرب ، ممن سكن بلاد الأندلس من الأرض الكبيرة ، وإن كان ذلك قبل ظهور الإسلام فهو ما ذكرنا آتفاً ، ويمكن أن يكون الله عز وجل خص بذلك أمماً غير العرب كما خص العرب به ؛ إذ كان ذلك داخلاً في الإمكان ، خارجاً من باب الممتنع [والواجب] ، فيكون الزجر والفأل شاملاً لبعض العرب وغيرها من خواص الأمم كوجود النقط للبربر^(١) ، والنظر في الكتف ، وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس .

نشأ القيافة وقد ذهبت طائفة من سلف ، من أهل البحث [والتفتير] إلى أن القيافة : اسم مشتق من القفوة ، وهو معنى استدلالى ، وأصل ذلك : أن الأشكال انفصلت في صورة أنسابها بأشياء تخص الأنواع بالتشكيل وخواص وجدت لها^(٢) به ضربت الفواصل أضرابها في وحيادات الأشخاص ، وكان التناسل على وساعه وقدر^(٣) من الغير لما توجه الطبيعة من اتفاق كل شيء^(٤) في حوزته ، وصرفه إلى وجهه ، كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أباتيه من أغياره ، وفرت بينه وبين أشكاله ، فكذلك أيضاً خصت أوحاد الأشخاص المنفصلة في الهيئة ، بتغير الغير من أغياره . وكذلك لا تكاد^(٥) فنون الصور تتراعى في المرأى لغير من أغياره ؛ وكذلك لا تكاد وإن ضمها النوع وشماتها المادة^(٥) فالقائف يقارب بين الهيآت ، فيحكم للأقرب صورة ؛ لأن تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع . وكذلك تشبيه الشخص إلى النوع أقرب منه إلى الجنس ؛

(١) في ب « كوجود النقط للبربر » .

(٢) في أ « انفصلت في صور أنسابها بأشياء تخص الأنواع بالشكل بخواص وحيدة لها به ضربت الفواصل أجزاءها في وحيادات الأشخاص » والكلام كله قلق مضطرب
(٣) في أ « على تشابه وفرز » (٤) في أ « من اتفاق كل شكل في حوزته »
(٥) في أ « وكذلك لا يكاد يرى فنون الصور تتوازي في أحد وإن ضمها النوع وشماتها النسل » وهذه العبارات كلها قلقه غير واضحة .

الجزء الثاني : ذكر ما ذهبت إليه العرب من القيافة والزجر ونحوهما ١٦٧

لأن النوع والشخص ضمهما حدان مشتركان ، وإنما ضم [الجنس واحد فهو أصل القيافة عند هذه الطائفة ، وهو] ضرب من ضروب البحث ، وإلحاق النظر في الأغلب بنظيره ، ومن حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قضية العقل ، وهو القياس بعينه ، وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائلين ولا غيرهم من المسلمين ، وإنما هذا [الكلام] انتزعه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين ؛ فيجب أن يكون نظر القائل على قول هذه الطائفة إلى القَدَم ؛ لأنها نهاية الشكل وغاية الهيئة ، والولد لو خالف صورة أبيه في كنه أفعاله ، وباينه في سائر شكله في الأغلب يوافق في القَدَم ؛ لأن النسل لا بدله من تخصيص قوته بشيء يميزه من غيره ويؤينه من سواه ، ولذلك وجدوا الطول في أزدشنوأة ، ولذلك صار الجفاء والغلف في الروم ، وأصحاب الأبالج ، والأكثر من أهل الشام ^(١) وأوباش مصر ، واللؤم في الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر ^(٢) ، والشح بفارس ، واللؤم على الطعام بأصفهان ، وصار نرطح الرجاين وفطس الأنوف في السودان ، والطرب في الرنج خاصة .

وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة ، وخواص تأثير الأشخاص العلية ، والأجسام السماوية ، وقد تفصينا هذا الشأن على كماله [في كتابنا في الأسرار الطبيعية وخواص تأثير الأشخاص العلية والغرائب الفلسفية في كتابنا في الرؤوس السبعية] في أنواع السياسات المدنية [وملكها الطبيعية] وفي كتاب الاسترجاع في الكلام [على من زعم أن العالم متغير جوهره إلى الظلمة ، وأن النور فيه غريب مختار ، وأن ستة أنفس كانوا نوراً بلا أجساد : شيث بن آدم ، ووزرادشت ، والمسيح ، ويونس ، واثنان لا يمكن ذكرهما ، وأن النور والظلمة قديمان ، وأنهما لا يُرىان إلا غير متميزين ^(٣) وأن الأشياء لا تعمل إلا في جوهرها ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما ، من غير داخل عليهما ولا مكرهما] كرههما ، وهذا الخلف من الكلام والفاسد

(١) في ١ « من أعتام الشام » (٢) في ١ « من بلاد ديار مصر »

(٣) في ١ « وأنهما لم يزا لا متميزين » .

من المقال ،^(١) [وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس : إن القديم تعالى ذكره طالت وخذته فطالت فكرته ، فلما أن طالت فكرته ، واشتدت وحشته ، توأله الهمة منه ، وهو الشيطان ، من تلك الوحشة التي ولدتها تلك العكرة ، وتجتهد الوحدة ، وأن الله عز وجل لو كان قادراً على إفناء الهمة منه لما ضرب له أجلاً ، ولا أجل له أمراً يفوى عباده ، ويفسد بلاده . وهذا هو المحال بعينه ، والتناقض بنفسه ، وعجب آخر من الآراء من قول بولص : إن المسيح عليه السلام هو الذي أرسله ، وإن المسيح إنسان وإله ؛ لأنه إله صار إنساناً ، وإنسان صار إلهاً ، وقد أتينا على جمل من متناقضات أهل الآراء ، في أثناء ما تقدم من كتبنا ، وإنما تشعب بنا الكلام إلى هذا النوع ، وتغلغل بنا القول إلى هذا المعنى ، لأنه من جنس ما كنا فيه ، لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والإبانة عن غرض فيه^(٢) .

الزجر فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من هذا الكتاب :

وحدث المنقري عن العتيبي ، قال : وقف عبید الراعي ذات يوم مع ركب بقیفاء قفر^(٣) ، وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم ؛ إذ سبحت ظباء سود منكراً ، ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها^(٤) ، واقفة على شأنها ، فأنكر ذلك عبید الراعي ، ولم ينتبه له أصحابه ، فقال عبید :

ألم تدري ما قال الظباء السوانح ؟ أظن أمام الركب والركب رائج ؟ فكر الذي لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبه أنهم نوائح ثم شرفوا مقصدهم ، فألقوا الرئيس قد نهشته أفعى ، فأتت عليه .

(١) هذا الكلام الفاسد المحال لا يوجد في ١. واتصاله بالموضوع الأصلي بعيد

(٢) في ب « ركب من تقيف على نقر » .

(٣) في ١ « محصرة في حصرها واقفة على شأوها » .

الجزء الثاني : ذكر ماذهب إليه العرب من القيافة والزجر ونحوهما ١٦٩

قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى : وهذا من غريب الزجر ، وذلك أن السائح مَرَّ جَوْثًا عند العرب ، والبارح : هو الخوف ، وأظنَّ عُبَيْدًا إِنَّمَا زَجَرَ الظباء في حالة رجوعها ، ووصف الحال الأول في شعره ، كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الأسباب^(١) فيوضح عنها ، فهذا وجه زجر عبيد الراعي في شعره .

ويقال : إن الكهانة لليمن^(٢) ، والزجر لبني أسد ، والقيافة لبني مُدَلْج وأحياء مضر بن نزار بن مَعَدٍّ ، لما كان من فعل بني نزار الأربعة في مسيرهم نحو الأفقى الجرهمي ، ووصفهم الجمل الشارد ، على ما ذكرنا ، وذلك منهم قيافة ؛ فمن هنالك نفرقت القيافة من أحياء مضر على حسب ما تغفل في العروق ونزع ، وأهل المياه أَكْهَنُ ، وأهل البر الفائح أَقَوَفُ^(٣) ، وبأرض الجفار^(٤) — وهي بلاد الرمل بين بلاد مصر وأرض الشام — أناسٌ من العرب في تلك الجفار يتناول الإنسان من تمر نخلمهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه ، فإن رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ، ولا يكادون يخطئون وهذا من فعلهم مشهور ، ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أى الناس هم .

ورأيت بهذه الأرض أناساً قدرتهم وُلَاةَ المنازل يطوفون في هذا الرمل ، يعرفون بالقصاص ، يقصون آثار الناس وغيرهم ، فيخبرون وُلَاةَ المنازل أى الناس هم ممن طرق [تلك] البلاد ، وهم لم يروه ، بل رأوا آثار أقدامهم ، وهذا معنى لطيف وحس دقيق .

وقد قَفَّتْ القافّةُ بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا

(١) في ١ « يهودى الأسباب » (٢) في ١ « إن الكهانة لقيس » .

(٣) في ب « وأهل العروق أكهن ، وأهل الجمل أقوف » .

(٤) في ب « وبأرض الحفاء » .

اختصاص
بعض العرب
ببعض هدم
الأمر

القيافة

طين ولا تراب تتبين عليه الأقدام ، فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نَسَجِ العنكبوت ، وما سَقَتْ عليه الرياح ، ومالحق القائف من الحيرة ، وقوله : إلى هنا انتهت الأقدام ، ومعها الجماعة من قریش ، لا يرون على الصلدة ما يرى [ولا] على الصَّفْوَان ما يشاهد ، وأبصارهم سليمة ، والآفات عنها مرتفعة ، والموانع زائلة ، ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس في علمها ، ولا يتفقون بالأبصار إحصاء إدراكها ، لَمَّا استأثر بذلك طائفة دون أخرى ، وأهل الجبال والقفار والدَّهَاس ^(١) أَزْجَرُ وأَعْرَفُ .

الثقافة عند
أهل الشرع

وقد ذهب قوم من أهل الشريعة ، من فقهاء الأمصار وغيرهم عن سلف ، إلى الحكم بالقيافة ؛ استدلالاً على شرف القيافة ، وعظم خطرها ، وكبر غلظها ، وتحقيق فضلها ؛ لتعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها ، وتصديقه مُخْرِجاً للذُّلْجَى . وقد أنكر جماعة من فقهاء الأمصار ، ممن سلف وخلف ، الحكم بالقيافة ، والدليل على فساد الحكم بها إلحاق ^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم الولدَ بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه ، فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى وضعت غلاماً وإنه لأسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقرباً إلى فهمه وقصداً منه لفساد علته التي قصدها وشك [من أجلها في ولده] «فهل لك من إبل» ؟ قال : نعم ، قال : «فأألوأنها» ؟ قال : خمر ، قال «فهل فيها من أوزق» ؟ قال : نعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «فمن أين ذلك ؟ لعل عرقاً نزع» ^(٣) وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن سَحْمَاء ^(٤) «إن جاءت به على النعت المكروه ، فهو للذي رميت به » فلما جاءت به على النعت المكروه وَجَدَ التشابه بينه وبين من رميت به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) في ب « والرهاش » محرفاً .

(٢) في أ « للدلائل الدالة على فساد الحكم فيها ، وإلحاق النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) في أ « فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقاً نزع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

وسلم : فلعل عرقاً نزع » وهو كذلك في كتب الحديث .

(٤) في ب « شريك بن أسحمة » وفي أ « شريك بن سحمة » وكلاهما تحريف

ما أثبتناه ، وسحمة : أم شريك ، وأبوه عبدة بن مغيث .

الجزء الثاني : ذكر مذاهب إليه العرب من القيافة والزجر ونحوهما ١٧١

وسلم : « لولا حكم الله لكان لى ولك شأن » فألحق الولد مع عدم الشبه هنالك ، ولم يلحق بالشبه ههنا ، ولم يجعله حكما ، وقضى بوجود القراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه .

وهذا باب قَصْدْنَا فيه هذا الكلام ، وإنما ذكرنا هذا الفصل لندكر الحكم بضده من القيافة ، وهذا باب يطول فيه الخطب ، ويكثر في معانيه الشرح ؛ لعموضه ولُطْفِهِ^(١) ، وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت إليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بـ « كتاب الرؤوس السبعة في الإحاطة بسياسة العالم وأسراره » [وهو كتاب مشهور مستوعب]^(٢) .

(١) في ١ « لعموضه ولطف الكلام فيه » .

(٢) لا توجد هذه العبارة في ١ .

ذكر الكهانة ، وما قيل فى ذلك

وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس^(١)

وحدّ النفس الناطقة

أصل ادعاء
علم الغيب

تنازع الناس فى الكهانة : فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم إلى التكهن ، وكانوا يدعون العلوم من الغيوب ، فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صَفَتْ فهي مطلعة على أسرار الطبيعة ، وعلى ما تريد أن يكون منها ؛ لأن صور الأشياء عندهم فى النفس الكلية ، وصنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة — وهى الجن — تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صَفَتْ ، حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة^(٢) .

وذهب قوم من النصارى أن السيد المسيح إنما كان يعلم الغائبات من الأمور ، ويخبر عن الأشياء قبل كونها ؛ لأنه كانت فيه نفس عالمة بالغيب ، ولو كانت تلك النفس فى غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ، ولأمة خلت إلا [وقد] كان فيها كهانة ، ولم يكن الأوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات ، وشهرَ فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروباً من الوحي ؛ لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم^(٣) ، والصابئة تذهب إلى أن أوريبس الأول وأوريبس^(٤) الثانى — وهما هُرمُس ، وأغاثيمون — كانوا يعلمون

(١) فى ١ « مما يراه النائم » .

(٢) فى ١ « موافقة » .

(٣) فى ١ « من أدناس هذا العالم » .

(٤) فى ب « أرياسيس وأوايس وأويس الثانى » .

الجزء الثاني : ذكر الكهانة وما قيل في ذلك . ١٧٣

الغيب؛ ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ، ومنعوا أن تكون الجن أخبرت مَنْ ذكرنا بشيء من ضروب الغيب، لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم .

وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع ، وقوة النفس ، ولطافة الحس .

وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه ، وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون إلى الناس الأخبار ، بحسب ما يرد إليهم، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) إلى آخر القصة، وقوله تعالى : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وقوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك - الآية) والشياطين والجن لا تعلم الغيب ، وإنما ذلك لاستراقها السمع مما تسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل : (فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

وطائفة ذهبت إلى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي^(١)، وأن ذلك [يكون] في المولد عند ثبوت عطار على شرفه، وأما ما عدها من الكواكب المدبرّات من النيرين والخمس إذا كانت في عقد متساوية^(٢) وأرباع متكافئة ومناظر متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والإخبار بالكائنات قبل حدوثها؛ لإشراق هذه الأشرار الكوكبية ، ومن هؤلاء من أوجب كون ذلك في القرائات الكبار . وذهب كثير ممن تقدم [وتأخراً] أن علة ذلك علل نفسانية ، وأن النفس إذا قويت وزادت قهرت الطبيعة، وأبانت للانسان كل سر لطيف^(٣)، وخبرته بكل

(١) في ١ « من الوجه الفلكي » . (٢) في ١ « في عقود متساوية »

(٣) في ١ « وأباحت للانسان كل سر الطبيعة » .

معنى شريف ، وغاصت بلطاقتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة^(١) فاقتنصتها وأبرزتها على الكمال، وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا؛ فإنهم قالوا: رأينا الإنسان ينسب إلى قسمين، وهما النفس والجسد، ووجدنا الجسد مَوَاتًا لا حركة له ولا حس إلا بالنفس، وكان الميت لا يعلم شيئًا ولا يؤديه^(٢)؛ فوجب أن يكون العلم للنفس، والنفوس طبقات: منها الصافي وهي النفس الناطقة، ومنها الكدِرُ، وهي النفس الحسية والنفس النزاعية والنفس المتخيلة^(٣)، ومنها ما قوته في الإنسان أزيد [من قوة الجسم، ومنها ما قوة الجسم أزيد] منه، فلما كانت النسبة النورية للإنسان إلى النفس كانت تهدي الإنسان إلى استخراج الغيب وعلم الآتي، وكانت فطنته ووطنونه أبعد وأعم؛ فإذا كانت النفس في غاية البرور ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها في دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة، وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الأجسام وتشويه الخلق، كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هوماس^(٤) وطريقة الكاهنة وعمران أخى مزيقياء وحارثة وجهينة^(٥) وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان.

العراقة وبعض
العرافين وأما العراف — وهو دون الكاهن — فمثل الأبلق الأزدي، والأجلح^(٦) الدهري، وعروة بن زيد للأزدي، ورباح بن عجلة^(٧) عراف اليمامة الذي قال فيه عروة:

جعلتُ لِعِرافِ اليمامة حكمه وعِرافِ نجد إن هما شَفِيكَايَ
وكهند صاحب المسنبر، وكان في نهاية التقدم في العراقة.

- (١) في «و غاصت بلطاقتها في كثائف المعاني البعيدة فاقتنصتها وأبرزتها على الكمال»
(٢) في «ولا يوربه». (٣) في ب «البراعة والنفس المجلية»
(٤) في ب «وسديف بن هوماس». (٥) في ب «وحارثة بنت جهينة»
(٦) في «الأجلح». (٧) في ب «ورباح بن كحلة».

الجزء الثاني : ذكر الكهانة وما قيل في ذلك ١٧٥

والكهانة أصنافها نفس^(١)؛ لأنها الطيفة باقية ومقارنة لأعجاز باهرة، وهي تكون في العرب على الأكثر وفي غيرهم على وجه الندرة؛ لأنه تعالى يتولد على صفاء المزاج الطبيعي، وقوة مادة نور النفس، وإذا أنت اعتبرت أوطانها^(٢) رأيتها منعقة بصفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وإدمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الأنس بهم، وذلك أن النفس إذا هي تفردت فكرت، وإذا هي فكرت تعدت^(٣) [وإذا تعدت] هطل عليها سحُب العلم النفسى، فنظرت بالعين النورية، ولحظت بالنور الثاقب، ومضت على الشريعة المستوية، فأخبرت عن الأشياء على ما هي به [وعليه] ورعما قويت النفس في الإنسان فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية، ويقولون: إن النفس إذا هي زادت^(٤) وكانت أكبر جزء في الإنسان تهذبت^(٥) إلى استخراج البدائع والأخبار المستترات، واستدلوا على ذلك أن الإنسان إذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكره في الطارىء قبل وروده فعلم صورته فيكون وروده إلى حال على ما تصور به وهكذا النفس أيضاً إذا تهذبت كانت الرؤيا في النوم صادقة وفي الزمان موجودة

وقد تنازع الناس في الرؤيا، والسبب الموقع لها [وما هي بها] وكيفية وقوعها، فقال الرؤيا وأسبابها فريق: إن النوم هو اشتغال النفس عن الأمور الظاهرة بملاقة حوادث باطنة فيها، وذلك على وجهين: أحدهما معروف [بالعين] قائم بالصفة [في خواطر] تحدث في النفس معاني تعبرها وتفرق بينها، فتشغل به عن استعمال الظاهر، والباطن فيه يؤدي إليه الحواس الخمس فتبطل الحواس عن الإدراك إلى الحاس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها، وإذا وجب بطلانها سمى نوماً غرضياً، لأنه ليس النوم الكلى الذى يعم الأطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من موقع السرور أو مخافة الشر. وكذلك نوم الليل على ما وصفنا، والوجه الآخر هو النوم الكلى الذى يعم الأطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهي طبيعة توجبها الخلقة في

(١) في ١ « أقطابها » . (٢) في ب « بعدت » وسقط منها ما بين للعقوين

(٣) في ب « إذ هي أدت » . (٤) في ب « تهذبت » وهو تحريف.

وقته ضرورة كما يوجب الجوع في وقته ضرورة ؛ لأن الجوع عند أهل صناعة الطب علة ، وهى الموجبة لتحديد^(١) الكبد من الفراغ من الأنذية .

ومهم من رأى أن النفس تدرك صورة الأشياء على ضربين : أحدهما حس والآخر فكر ؛ فالصورة المحسوسة^(٢) لا يدركها إلا فى هيئتها ؛ فإذا تخلص علمها عندها كان إدراكها مفرداً . من طبعها ؛ فيكون فكر الإنسان ما لم يتم تابعا^(٣) للحس ، حتى إذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الأشياء فيها قائمة كأنها محسوسة ؛ لأن الحس بها فى أعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفا ، فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يُصوّر الأشياء كأنها محسوسة يخطر على بال النائم منها كما يخطر على باله إذا كان يَقْظَانِ الشئ الذى قد كان أنيسه ، وليس لذلك نظام ، وإنما هو ما اتفق ؛ فلذلك يرى الإنسان كأنه يطير وليس يطائر ، وإنما [يرى] صورة الطير ان مفردة كما يعلمها إذ غابت ؛ ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معانيته ، فأما ما يراه النائم من الأشياء التى تدل على ما يريد فإنما ذلك لأن النفس عالمة بالصور ، فإذا خلصت فى المنام من شوائب الأجسام أشرفت على ما [تريد أن] ينالها ، وهى عالمة أنها فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الأشياء التى تريد أن تكون ، حتى إذا [انتهت] تذكرت تلك الخيالات وتلك الأشياء ؛ فمن كانت نفسه صافية لم تَكْدرْ رؤياه تكذب [ومن كانت نفسه كدرة كانت تكذب] كثيرا ، ثم ما بين الكدرة والصفية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه .

وقال فريق آخر : إذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهراً لم يبطل استعمالها فى نفسها ، ولم يبطل استعمال قواها ؛ فتنتقل فى الأماكن ، وتشاهد الأشخاص

(١) فى ١ « لتحذير » . (٢) فى ب « المحبوسة » .

(٣) فى ب « مانعا للحس » .

الجزء الثانى : ذكر الكهانة وما قيل فى ذلك ١٧٧

بالقوة الروحانية التى ليست بجسم ، لا بالقوة الجسدية القليظة ، وذلك أن القوة الجسدية لا تدرك إلا بمشاركه وملابسة الأشياء^(١) : إما بانصال كاتصال اللون [من اللون] وإما بانفصال كاتصال الجسم من الأماكن ، والروح تدرك المنصل والمنفصل جميعاً ، لا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة إلى قرب المدرك .

ومنهم من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه إلى الكبد .
ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدهوء الروح
ومنهم من زعم أن ما يجده الإنسان فى نومه من الخواطر إنما هو [من] عمل الأغذية والأطعمة والطبائع .
ومنهم من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان ، واعتلّ هؤلاء بقوله تعالى : (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا)
ومنهم من رأى أنها جزء من إحدى وستين جزءاً من النبوة ، وتنازع هؤلاء فى كيفية [ذلك] الجزء وماهيته .

ومنهم من ذهب إلى أن الإنسان الحساس هو غير هذا الجسم [الرثى] وأنه يخرج عن البدن فى حال النوم فيشاهد العالم ويرى للكسوت ، على حسب صفاته ، واعتلّ هؤلاء وغيرهم — ممن ذهب إلى نحو هذا المعنى — بقوله عز وجل : (الله يتوفى الأنفس حين موتها ، التى لم تمت فى منامها) إلى قوله (إلى أجل مسمى) .

وذهب الجمهور من المتطبيين فى ذلك [إلى] أن الأحلام من الأخلاط ، وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته ، وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يَرَوْنَ فى منامهم النيران [والنواويس ودخاناً ومصاييح وبيوتاً تحترق ومدائن تلتهب بالنار] ونحو ذلك وما أشبهه ، والغالب على من كان مزاجه البلقم أن يرى بحوراً وأنهاراً وعيوناً وأحواضاً وغدراناً ومياهاً كثيرة وأموالاً ، ويرى

(١) فى ب « وملابسة الأشياء » .

كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه ، والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى في منامه أجداثاً وقيوراً وأمواتاً [مكفنين بسواد] وبكاء ونوحاً ورنيناً وصراخاً وأشياء مفزعة وأموراً مقطعة وفيلة وأسوداً ، والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خيراً أو نبذاً ورياحين ولعباً وقصفاً وعزاً وأنواع الملاحى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمره وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور .

ولا خلاف بين المتطبيين في أن الضحك واللعب — على ما ذكرناه — من أنواع السرور من الدم ، وأن كل حزن وخوف وإن اختلفت معانيه فإن ذلك من المرة السوداء ، واحتجوا بضروب من الاحتجاجات ؛ فنهذه جملتها ، وقد أوضناها هذا في كتابنا «الرؤيا والكمال»^(١) وفي كتاب «طب النفوس» فلا وجه لإطنا بنا في هذا الموضوع من كتابنا هذا ؛ إذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحثٍ ونظر . وإنما نغافل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم في إخبارنا عنهم ، ولم نعرض في هذا الكتاب لما ذهب إليه الناس في تحديد النفس ، وما قاله أفلاطون في تحديده للنفس إن النفس جوهر محرك^(٢) للبدن ، وما حدّه صاحب المنطق أن حد النفس كال الجسم الطبيعي ، وحدها من وجه آخر أنه حى بالقوة ، ولا للفرق بين النفس والروح ؛ لأن الفرق بينهما أن الروح جسم [والنفس لا جسم] ، وأن الروح يحويه البدن ، وأن النفس لا يحويها البدن ، وأن الروح إذا فارق البدن بطل [والنفس تبطل أفعالها في البدن ، ولا تبطل هي في ذاتها ، والنفس تحرك البدن وتنيله الحس ، وقد ذكر أفلاطون في كتاب السياسة المدنية [نهر البستان و] ما يلحق الإنسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة ، وذكر أفلاطون في كتابه إلى طيماوس^(٣) ، وفي كتاب فاردون^(٤) ، وكيفية مقتل سُقراط

(١) في ١ « في كتاب التهي والكمال » .

(٢) في ب « جوهر ليس بمحرك للبدن »

(٣) « طيماويس »

(٤) في ب « قارون » .

الحكيم وما نكلم فى ذلك فى النفس والصورة .

وقد تكلم الناس فى طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الانثين^(١) وغيرهم من الفلاسفة ، ثم نازع أهل الإسلام فى ماهية^(٢) الإنسان الحساس الدراك للمأمور المنهى ، وما قاله المنصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى فى طبقات النفوس من النفس المطمئنة ، والنفس اللوامة ، والنفس الأمارة بالسوء ، وغير ذلك مما ذهب إليه اليهود [والنصارى] والمجوس والصابئة ، وغير ذلك مما قد آتينا على إيضاحه فى كتاب « سر الحياة » وغيره من كتبنا .

وقد كان سَطِيحُ الكاهن — وهو ربع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن سَطِيح وش ذئب^(٣) بن عدى بن مازن بن غسان — يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه إلا ججمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها ، وكان شق بن [مصعب بن شكران بن أترك بين قيس بن] عنقر بن أنمار بن ربيعة ابن نزار معه^(٤) فى عصر واحد ، وكان فيهما جمة^(٥) الكهانة ، وكذلك سملقة^(٦) وزوبعة كانا فى عصر واحد ، والله أعلم .

(١) فى ب « من أصحاب الألسن وغيرهم »

(٢) فى ب « فى هيئة الإنسان الحساس » .

(٣) فى ا « دفير » مكان « ذئب » .

(٤) هكذا ورد فى أصول الكتاب نسب سَطِيح وشق الكاهنين مع سقوط

ما بين المعقوفين فى نسب شق من ا ، وفيها « عقبر » مكان « عنقر » والذى فى سيرة ابن هشام (ج ١ ص ١٠) أن اسم سَطِيح . ربع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن ، وأن شقا ابن صعب بن يشكر بن أفرك بن قسر ابن عبقر بن أنمار بن إراش ، بغير خلاف فى نسب سَطِيح ، ومع خلاف كثير فى أسماء آباء شق ، ولم نشأ أن نغير فى حروف الأصل بما يتوافق مع رواية السيرة لأننا نعلم أن العلماء لا يتفقون على ضبط هذه الأسماء وترتيبها .

(٥) فى ا « وكانت معها جمة الكهانة »

(٦) فى ب « سملقه »

ذكر جل من أخبار الكهان ، وسيل العرم

وتفرق الأزدي في البلدان

قال المسعودي : قد ذكرنا جل من الكهانة والقيافة والزَّجْر والبارح والسائم فلندكر الآن لعا من أخبار الكهان ، وتفرق ولد سبأ في البلدان . ولم يزل ولد قحطان في أطيب عيش إلى أن هلك سبأ ، وكان القوم بعد مضى سبأ تداولتهم الأعصار قرناً بعد قرن إلى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم إلى عمرو بن [عمرو^(١) مزيقياء—وهو عمرو بن] عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن أمريء القيس بن مازن بن الأزدي بن الفوث بن كهلان بن سبأ—وذلك يبلاد مازن من أرض اليمن^(٢) ، وهي بلاد سبأ التي ذكر الله في القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم ، وهو السد ، وكان فرسخاً في فرسخ ، بناه لقمان الأكبر العادي—وهو لقمان بن عاد بن عاد^(٣)— وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عُمر منهم عمر النصور ، وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر إذا حان أن يغشى أموالهم ، فزقهم الله كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم ، والناس في قصة هلكهم يختلفون ، وفي سياقة أخبارهم يتباينون .

السد وبانيه
ومكانه

وصف بلاد سبأ وذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن ، وأثرها ، وأغدقها ، وأكثرها جناناً وغيطاً^(٤) ، وأفسحها مروءة ، ومع بنيان حسن

(١) ما بين المعقوقين ساقط من ا ، ويؤيد أنه زيادة لامعنى لها ما سيأتي أن آخرهم هو عمرو بن عامر . وانظر أيضاً ص ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٠
(٢) في ا « وذلك يبلاد مأرب من أرض اليمن »
(٣) في ب « لقمان بن عاد بن عاديا » .
(٤) في ب « وأكثرها جناناً وغيطاً » .

الجزء الثاني : ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم ١٨١

وشجر مصفوف^(١) ، ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار [وأزهار] متفرقة ، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة ، وفي العرض مثل ذلك ، وأن الراكب والمار كان يسير في تلك الجنان^(٢) من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لآواجه الشمس ولا تعارضه ؛ لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية ، واستيلائها عايبها ، وإحاطتها بها ، وكان أهلها في أطيب عيش وأرفقها ، وأهنأ حال ، وأرغد قرى ، وفي نهاية الخصب ، وطيب الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ، ونهاية المملكة وكانت بلادهم في الأرض مثلاً ، وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شريف الأخلاق ، وطلاب الأفضال على القاصد والسفر^(٣) بحسب الإمكان وماتوجه القدرة من الحال ؛ فكثروا على ذلك ما شاء الله من الأعصار ، لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافيهم جبار في جيش إلا كسروه ، فذلت لهم البلاد ، وأذعن لطاعتهم العباد ، فصاروا ناج الأرض ، وكانت المياه التي هي أكثر ما يورد إلى أرض سبأ تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من [ذلك] السد والجبال ، طول المخراق فيما وصفنا فرسخ ، وكان وراء السد والجبال أنهار عظام ، وكان [في] هذا المخراق الآخذ من تلك الأنهار ثلاثون نقباً مستديرة في استدارة النراع طولاً وعرضاً مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير ، وكانت المياه تخرج من تلك الأنقاب في مجاريها حتى تأتي الجنان فترويها سقياً ، وتعم شرب القوم ، وقد كانت أرض سبأ قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه ، وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ، ويدينهم ، ويؤثرهم ، ويحسن إليهم ، فجمعهم من أقطار الأرض للالتجاء إلى رأيهم ، والآخذ من محض عقولهم ، فشاوهم في دفع ذلك السيل

(١) في ١ « بين بنيان وجسر مقيم وشجر موصوف » .

(٢) في ب « في تلك الجبال » . (٣) في ١ « على القاعد والسافر » .

وحصره، وذلك أنه كان ينحدر من أعلى الجبل هابطاً على رأسه [حتى] يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء^(١)، فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف [له] إلى براري تقذف به إلى البحر، وأخبرو الملك أن الماء إذا حفرت المصارف الهابطة طابها، وانحدر فيها، ولم يترأكم حتى يعلو الجبال؛ لأن في طباع الماء طلاب الخفض^(٢) ففقر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وبدافع إلى تلك الجهة واتخذوا السد^(٣) في لموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل إلى الجبل، وجعلوا فيه الخراق على ما وصفنا آنفاً، ثم اجتذبوا من تلك المياه نهراً مرسلاً [و] مقداراً معلوماً ينتهي في جريانه إلى الخراق، ثم ينبعث الماء منه إلى تلك الأتقاب، وهي الثلاثون خرقاً الصغار التي قدمنا ذكرها، وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا [آنفاً] .

ثم إن تلك الأمم بادت وصرت عايتها السنون، وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله، وعمل الماء في أصول ذلك الخراق، وأضعفه تمر السنين عليه وتدافع الماء حوله، وقد قيل في المثل : إذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع ؟ .

فلما سكنت أبناء قحطان ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القحطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والخراق [وضعه، فغلب الماء عندناهي السد والبنيان في الضعف عنه على السد والخراق] والبنيان، فقذف به في جريه ورمى به في تياره، وذلك إبان زيادة الماء، واستولى الماء على تلك الديار والجنان والعمائر والبنيان، حتى انقرض سكان تلك الأرض، وزالوا عن تلك المواطن، فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبأ .

ولا خلاف بين ذوي الدراية^(٤) منهم أن العرم هو المسناة التي قد أحكموا عملها لتكون حاجزاً بين ضياعهم وبين السيل، فقجرتة فارة، ليكون ذلك أظهر في

(١) في « ويسوق في جفائه البناء »

(٢) في « طلب الخفض »

(٣) في ب « وانحدر السيل » .

(٤) في « الرواية » .

الجزء الثاني : ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم ١٨٣

الأعجوبة ، كما أفاض الله تعالى [ماء] الطوفان من جوف نثور ليكون أثبت في العبرة وأون كد في الحجة ، ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار إلى هذا الوقت ما كان من العرم ؛ لاستفاضته فيهم ، وشهرته عندهم .

وقد ثر بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار ، وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد منصتون هيبه^(١) للسفاح ؛ لأن أخواله من قحطان ، فقال السفاح لخالد بن صفوان : ألا تنطق وقد غرتم قحطان بشر فها وعلت عليكم^(٢) بقديم مناقبها ؟ فقال خالد : ماذا أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغ جلد ، أو ناسج برد ، أو سائس فرد ، أو راكب عرد ، أغرقهم فأرة ، وملكهم امرأة ، ودل عليهم هدهد ، ثم مر في ذمهم إلى أن انتهى إلى ما كان من قصتهم وتملك الحبشة^(٣) وما كان من استنقاذ^(٤) الفرس إياهم على حسب ما قدمنا آنفا .

وقد ذكر وافي أشعارهم العرم ، وما كان لسبأ وأرض مأرب ، وأن مأرب سمة^٢ العرم في شعر العرب لل ملك الذي [كان] يملك على هذه البلدة ، وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له ، وقال الشاعر :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من ديون سيله القرم
وقد قيل : إن مأرب سمة لقصر هذا الملك في صدر الزمن ، قال أبو الطمجان في ذلك :

ألم تروا مأربا ما كان أحصنه وما حو اليه من سور وبنيان ؟
[ظل العبادى يسقى فوق قلته ولم يهب ريب دهر جدخوان]
[حتى تناوله من بعدما هجموا يرقى إليه على أسباب كتان]

(١) في ب « يسطون بأبهة السفاح » .

(٢) في ا « وغلبت عليكم » . (٣) في ب « في ملك الحبشة »

(٤) في ا « واستعبد الفرس إياهم » .

وقد ذكر الأعشى [في شعره] ما وصفنا [ه] حيث يقول في كلمته :
 ففي ذاك للموتى أسوة بمأرب عني عليها العرم
 رخام بناء لهم حير إذا جاء مأوهم لم يرم
 فأغنى الحروث وأغنمها على ساعة مأوهم قد قسم
 [فطار الفيول وفيأها بها في فيافي سراب يطم]
 وكانوا بذلك حقة فقال بهم جارف منهم
 فطاروا سراعا وما يقدمو ن منه لشرب صبي فطم

طول العمر وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » الملك الذي طال عمره وحسنت
 وعمر النسور سيرته، وأنه بنى هذا السد الذي هو المسناة، وأن عمره انتهى على عمر النسور، عند
 ذكرنا لطول الأعمار ، وقد كثرت العرب في صفة طول عمر النسور، وضربت
 به الأمثال ، وبلبد ، وبصحة بدن الغراب ؛ فن ذلك ما ذكره الخزرجي^(١)
 في شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن حكيم^(٢)
 من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه ، وهو :

إن معاذ بن مسلم رجل قد ضجّ من طول عمره الأبد^(٣)
 [قد شاب رأس الزمان واختضب الدهر وأثواب عمره جدّد]^(٤)
 يا نسر لقمان كم تعيش ؟ وم تلبس ثوب الحياة يا بُد ؟
 قد أصبحت دار حير خربت وأنت فيها كأنك الويد
 تسأل غربانها إذا حجات كيف يكون الصداع والرمد

(١) في ب « الخارجى » .

(٢) في ا « القعقاع بن حكيم » .

(٣) في الأصول « قد صح في طول عمره الأبد » وهو كما ترى

من التحريف .

(٤) سقط هذا البيت من ا .

الجزء الثاني : ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم ١٨٥

وقد قدمنا فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الأوائل في علة طول الأعمار وقصرها ، وعظم الأجسام في بدء الأمر^(١) ، وتناقصها على مرور [الأعمار ومضى] الدهور ، وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلةً للأجسام^(٢) في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال ، والطبيعة إذا كانت نامدة القوة كانت الأعمار أطول ، والأجسام أقوى ؛ لأن طرق الموت الطاريء يكون بإحلال قوى^(٣) الطبيعة ، فلما كانت القوة أتم كانت الأعمار أزيد ، وكان العالم في أولية شأنه تام العمر ، ثم لم يزل ينقص أولاً فأولاً لتقصان المادة [فتنقص الأجسام والأعمار مع نقصان المادة] حتى يكون آخر مائة الطبيعة في تنهاى النقص في الأجسام والأعمار .

وقد أبى^(٤) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر ، وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وماظهر في الأرض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم ، وأنها كانت كأجسامنا ، لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وعمراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن في سائر الأرض ، كديار تمودو تحتها المساكن في الجبال وخفرها في الصخر الصلد يوتأصغاراً وأبوأباً لطافاً ، وكذلك أرض عادومصر والشام وسائر بقاع الأرض في الشرق والغرب ، وهذا [باب] إن أكثرنا القول فيه طال ، وإن أطنبنا في صفته كثير ، فلنرجع الآن إلى ما عنه عدلنا ومن صفته خرجنا من ذكر سبأ ومأرب ، وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر .

وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أنخ كاهن عقيم ، يقال عود لذكر سبأ له عمران ، وكان لعمرو كاهنة من أهله من حمير^(٥) يقال [لها] طريقة الخير^(٦)

(١) في ١ « بدء الدهر » . (٢) في ب « للاسلام » محرفاً .

(٣) في ب « بإعلال قوى الطبيعة » . (٤) في ١ « وقد أنى على ما ذكرنا »

(٥) في ١ « وكان لعمرو زوجة كاهنة من أهل ردمان من حمير » .

(٦) كذا في معجم البلدان (١: ٢٥٥) ووقع في الأصول « طريقة الخير » وهو تحريف

فكان أول شيء وقع بمأرب وعرف من سيل العرم أن عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهنته أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعدون أسفارهم ، فذكر ذلك لأخيه عمرو ، وهو الملك مزيقاء الذي كانت محنة القوم في أيام ملكه ، والله أعلم بكيفية ذلك .

طريقة الكاهنة وبنينا طريقة الكاهنة ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضهم وأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرق ما وقعت عليه ، ووقعت إلى الأرض ، فلم تقع على شيء إلا أحرقت ، ففرغت طريقة لذلك ، وذعرت ذعراً شديداً ، وانتبهت^(١) وهي تقول : ما رأيت مثل اليوم ، قد أذهب عني النوم ، رأيت غيماً أبرق ، وأرعد طويلاً ثم أصعق ، فوقع على شيء إلا أحرق ، فما بعد هذا إلا الفرق ، فلما رأوا ما دخلها من الرعب خفضوها^(٢) وسكنوا من جأشها حتى سكنت ، ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جارتان له فبلغ ذلك طريقة ، فأسرعت نحوه ، وأمرت وصيفاً لها يقال له سنان أن يتبعها ، فلما برزت من [باب] بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، وهي دواب تشبه اليرابيع يكنّ بأرض اليمن ، فلما رأتهم طريقة وضعت يدها على عينها وقعدت ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجدة فاعلمني ، فلما ذهبت أعلامها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديفة التي فيها عمرو وثبت من الماء سلخفاة ، فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع ، فتستعين بذنبها وتحشو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول ، فلما رأتها طريقة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلخفاة إلى الماء مضت [طريقة] إلى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديدة حرها ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فنفذت^(٣) حتى دخلت على عمرو

(١) في ١ « وأتت الملك عمرا وهي تقول » .

(٢) في ١ « حفظوها » وليس بذلك .

(٣) في ب « فعدت حتى دخلت على عمر »

الجزء الثاني : ذكر جمل من أخبار السكهان وسيل العرم ١٨٧

ومعه جارتان [له] على الفراش ، فلما رآها استحيا منها ، وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ، ثم قال لها : هلمى يا طريفة إلى الفراش ، فتكهننت ، وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لتألف ^(١) ، وسيعود ^(٢) الماء لما كان في الدهر السالف ، قال عمرو : مَنْ خَبَرَ كَبْهَذَا ؟ قالت : أخبرني المناجد ، بستين شداً ، يقطع فيها الولد والوالد ^(٣) ، قال : ماتقولين ؟ قالت : أقول : قول النَّدْمَانْ لهفأ ، قد رأيت سُلْحَفًا ، تجرف التراب جَرَفًا ، وتغذف بالبول قَذَفًا ، فدخاتُ الحقيقة فإذا الشجر يتكفأ ، قال عمرو : وماترين ذلك ؟ قالت : هي داهية ركيمة ^(٤) ، ومصائب عظيمة ، لأُمور جسيمة ^(٥) ، قال : وما هي ؟ وبلك ! قالت : أجل إن لي الويل ، ومالك فيهما نيل ، فلي ولك الويل ، مما يحى به السيل ، فألقى عمرو نفسه على الفراش وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قاتيل ، والقليل خير من تركه ، قال عمرو : وما علامة ذلك ؟ قالت : تذهب إلى السد فإذا رأيت جُرْدًا يكثر [بيديه] في السد الحفر ، ويقلب برجليه من الجبل الصخر ؛ فاعلم أن القرع عقر ^(٦) ، وأنه وقع الأمر ، قال : وما هذا الأمر الذي يقع ؟ قالت : وعد من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نزل ، فبغيرك يا عمرو فليكن الشكل ، فانطلق عمرو إلى السد يحرسه ، فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول :

أبصرت أمراً عادنى منه ألم وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الأجم أو تيس مرم من أفريق الغنم
يسحب صخرأ من جلاميد العرم له مخالب وأنياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قضم كأنما يرعى حظيراً من سلم

(١) في ب « لهالك » ولا يتفق مع سجع الكهانة .

(٢) في ا « وليعودن الماء كما كان » .

(٣) في ب « الوالد الواحد » . (٤) في ب « داهية كبيرة » .

(٥) في ا « بأُمور جسيمة » . (٦) في ا « أن العفر حقر » .

فألت له طریفة : إن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس فی مجاسك بین الجنین ، ثم تأمر بزجاجة فتوضع بین یدیک ، فإنها تستملئ بین یدیک من تراب البطحاء من سهلة الوادی ورملة ، وقد علمت أن الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا ریح ، فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بین یدیه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء ، فذهب عمرو إلى طریفة فأخبرها بذلك ، وقال : متى ترين هلاك السد ؟ قالت : فيما بینك وبين السبع السنين ^(١) ، قال : ففی أيها يكون ؟ قالت : لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا يأتي عليك ليلة فيما بینك وبين السبع السنين ^(٢) إلا ظننت هلاكه فی غدها أو فی تلك الليلة .

عمرو بن عامر ورأى عمرو فی النوم سيل العرم ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد يتحیل للخروج من بلاده ظهرت فی سَفِّ النخل ، فذهب إلى ^(٣) كَرَب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فیها ، فعلم أن ذلك واقع بهم ، وأن بلادهم ستخرب ، فكم ذلك وأخفاه ، وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ، ويخرج منها هو وولده ، ثم خشي أن يستنكر [الناس] ذلك ، فصنع طعاماً وأمر يابل فنحرت ، وبغتم فذبحت ، وصنع طعاماً واسعاً ، ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمراً صنع يوم مجدوذٍ كَرٍ فاحضروا طعامه ، ثم دعا ابناً له يقال له مالك ، ويقال : بل كان يتيماً فی حجره ، فقال : إذا جلستُ أطمع الطعام الناس فاجلس عندي ونازعني الحديث ، واردد [ه] علي ، وافعل بي مثل ما أفعله بك ، وجاء أهل مأرب ، فلما جلسوا أطمع الناس وجلس عنده الذي أمره [بما أمره] به ، فجعل ينازعه الحديث ، ويردُّ عليه ، فضرب عمرو وجهه وشتمه ، فصنع الصبي بعمرو مثل ما صنع [به] فقام عمرو وصاح : واذا لاه !! يوم فجر عمرو ومجده يضرب وجهه صبي ^(٤) ، وحلف ليقولته ، فلم يزالوا بعمرو حتى تركه [ففي ذلك قال حاجر الأزدي :

(١) فی ب « السبعين سنة » (٢) فی ب « سرب النخل » .

(٣) فی ا « شتمه صبي وضرب وجهه » .

الجزء الثاني : ذكر جل من أخبار الكهان وسيل العرم ١٨٩

يارب لطمة غَدَرٍ قد سَخَفَتْ بها بكف عمرو التي بالغدر قد غرقت^(١)

ثم قال : والله لا أفيم ببلد صنع هذا بي فيه ، ولأبيعن عقارى فيه وأموالى ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتتموا غصبة عمرو ، واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه جميع ماله بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل الترم ، فخرج ناس من الأزدي وباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استنكر ذلك الناس ، فأمسكوا بأيديهم [عن الشراء] ، فلما اجتمعت إلى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، فقال أخوه عمران الكاهن : قد رأيت أنكم ستمزقون كل مُزَقٍّ ، ويباعدون أسفاركم ، وإنى أصف لكم البلادان فاختاروا أيها شئتم ، فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر إليها^(٢) ، من كان منكم ذاهمٌ بعيد وجمل شديد^(٣) [ومزاد جديد] فليلق بقصر عمان المشيد ، فكان الذين نزله أزد عمان قال : ومن كان منكم ذاهم غير بعيد ، وجمل غير شديد ومزاد غير جديد [فليلق بقصر] بالشعب من كرد^(٤) ، قال : وهى أرض همدان ، فليلق به وداعة^(٥) بن عمرو ، فانتسبوا فيهم ، وقال الكاهن ، ومن كان منكم ذاهم ووطر [وسياسة] ونظر ، وصبر على أزمت الدهر ، فليلق ببطن مرٍّ ، وكان الذين سكنوه خزاعة [سميت بذلك] لأنخزاعها فى ذلك الموضع عن كان معها من الناس ، وهم بنو عمرو بن لحي ، فتخزعت هنالك إلى هذه الغاية ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :
ولما هبَّ بطناً بطنَ مرٍّ تخزعتْ خزاعة منا فى ملوك كراكر^(٦)
[فى شعر له طويل] وأمالك وأسلم وملكان بنوقصى بن حارثة بن عمرو مزريقاء^(٧) ،

(١) لا يوجد هذا البيت فى ١ . (٢) فى ١ « فليصر إليه » .

(٣) سقط ما بين اللعوفين من ب ، وفيها « وحمل شديد » .

(٤) فى ١ « من كرد » . (٥) فى نسخة « وداعة » .

(٦) فى ١ « فى بطون كراكر » .

(٧) فى ب « بن عمرو بن مزريقاء » وليس بشيء .

وقال الكاهن: ومن كان يريد الراسيات في الرحل^(١)، المطاعم في المَحَل، فيلحق بيثرب ذات النخل، وهي المدينة، وكان الذين سكنوها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياء^(٢)، قال الكاهن: ومن كان يريد منكم الحمر والخمر، والدياج والحريز، والأمر والتدبير، فليلق ببعري وحفير، وهي أرض الشام [فكان الذين سكنوها غسان] قال الكاهن: ومن كان منكم يريد الثياب الرفاق [والحيول العتاق، والكنوز والأرزاق، فيلحق بالعراق، وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الأزدي وولده، ومن كان بالحيرة من غسان، على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب.

وقال هشام بن الكلبي: وأما أبي فكان يقول: إيمانزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان.

ثم خرج عمرو بن عامر مزقياء^(٣) موولده، من مأرب، وخرج من كان بمأرب من الأزديريدون أرضاً تجمعهم يقيمون بها، فقارقيهم وادعته بن عمرو بن عامر مزقياء فسكنوا همدان، وتخلف مالك بن اليمان بن فهم^(٤) بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزدي، وكان بعدهم بمأرب ملكاً إلى أن كان من أمرهم ما كان في الهلاك، ثم ساروا حتى إذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر مزقياء ودعبل^(٥) ابن كعب بن أبي حارثة فانتسبوا في مذحج، قال أبو المنذر: ويقال: إن أبا حارثة هو جد الحارث بن كعب بن أبي حذيفة الذي بنجران، والله أعلم.

ثم سار عمرو بن عامر حتى إذا كان بين السراة^(٥) ومكة أقام هنالك أناس من بني نصر من الأزدي، وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزقياء، وعدى بن حارثة بن عمرو مزقياء، وسار عمرو بن عامر وبني مازن حتى نزلوا بين بلاد الأشعريين وعكّ على ماء يقال له

(١) في ١ «الراسيات في الوحل، وهذا أثبت، وهو المواق للماق كثير من الأمهات

(٢) في بعض أصول الكتاب «بن عمرو بن مزقياء» هنا أيضاً، وليس بشيء

(٣) في ب «مالك بن اليمان بن فهم» . (٤) في ب «ورعيل»

(٥) في ب «حتى إذا كان بأدنى المسناة ومكة»

الجزء الثاني : ذكر جل من أخبار الكهان وسيل العرم ١٩١

غسان بين واديين ، يقال لهما زبيد ورمع ، وهما مما يلي صدورهما بين صعيد
يقال له : صعيد الحسك^(١) ، وبين الجبال التي تدفع به في زبيد ورمع ، فأقاموا
على غسان ، وشربوا منه ، فسموا غسان ، وغلب على أسمائهم ، فلا يعرفون
إلا به ، قال شاعرهم :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرُ نَجْبٍ الْأَزْدُ نَسَبْنَا وَالْمَاءُ غَسَانُ
والذين سموا غسان من بني مازن الأوس والخزرج ، ابنا^(٢) [حارثة بن
ثعلبة بن عمرو مزقياء ، وجفنة بن عمرو مزقياء ، والحارث وعوف وكعب
ومالك بنو عمرو مزقيا ، والنوم وعدى ابنا حارثة بن]^(٣) ثعلبة بن امرئ
القيس بن مازن بن الأزد .

وللقوم أخبار في تفرقهم ، ومن دخل منهم في معد بن عدنان وما كان بينهم
من الحروب إلى أن ظفرت بهم بنو معد ، فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة -
والسراة جبل الأزد الذي هم به يقال له السراة ، ويقال له : الحجاز ، وإتمامي
السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة ،
فأقاموا به وكانوا في سهله وجبله وما فاربه ، وهو جبل على تخوم الشام ، وفرزينه
وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين ويلاقي جبل موسى .

وقد كان أهل مأرب يعبدون الشمس ، فبعث الله إليهم رُسُلًا يدعونهم إلى
عبادة الله ، ويزجرونهم عما هم عليه ، ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم ، فاجتمعوا أهل مأرب
قولهم ، وردوا كلامهم ، وأنكروا أن [يكون] الله عليهم نعمة ، وقالوا لهم : إن
رسلهم مع كنتم رُسُلًا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ، ويذهب عنا ما أعطانا ، وفي
ذلك تقول امرأة منهم [كافرة] :

إِنْ كَانَ مَا نُصْبِحُ فِي ظِلَالِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَلْيَنْطَلِقْ بِمَالِهِ
* إِلَيْهِ عَنَا وَإِلَى عِيَالِهِ *

(١) في ١ صعيد الحيك . (٢) ما بين العقوفين ساقط من ب

[فأجابتها امرأة مؤمنة ، فقالت ^(١) :

لولا الإله لم يكن عيالنا ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذي يميننا سؤالنا ويكشف الغم إذا ما هالنا ^(١)]
[فدعت عليهم الرسل] فأرسل الله عليهم سيل العرم ، فهدم سدهم وغشى
الماء أرضهم ، فأهلك شجرهم وأباد خضرهم ، وأزال أموالهم وأنعامهم ،
فأتوا رسلهم فقالوا : ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ، ويخصب بلادنا ،
ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ، ونعطيك مواتنا أن لا نشرك بالله شيئاً ،
فسألت الرسل ربها ، فأجابهم إلى ذلك ، وأعطاهم ما سألوا ، فأخضبت
بلادهم ، واتسعت عمارهم إلى أرض فلسطين والشام : قرى ومنازل
وأسواقاً ، فأنتم رسلهم ، فقالوا : موعدهم أن يؤمنوا بالله ، فأبوا لإطغياها
وكفراً ، فزقههم الله كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم .

فال للمسعودي : وإذا قد ذكرنا جملاً من أخبار السد وبلاد مأرب ، وعمرؤ
ابن عامر ، وغير ذلك مما تقدم ذكره في هذا الباب ، فلنرجع الآن إلى
أخبار الكهان .

أول كهانة
سطيح الغساني
وكان أول مات كهن به سطيح الغساني أنه كان نائماً في ليلة صهاكية مظلمة
مع إخوته في لحاف ، والحى خلوف ، إذ زعق من بينهم ورناً وتأوه ، وقال :
والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنكم مطرق ، قالوا : ما طرق ياسطيح ؟
قال : ما طرق إلا الأجلح ، حين سرى الليل اليهم الأفلح ، وولاهم بسرحد ،
قالوا : وما علامة ذلك ياسطيح ؟ قال : أمر يسد النقرة ، ذو حبسة في الوجرة ،
وحرة بعد حرة ، في ليلة قرة ، فانصرفوا عن قوله ، واستهانوا بأمره ، وتعاصفت
مدود من أودية هناك ، ففاجأهم في ليلة باردة قرة كما ذكر ، فسأقت الأنعام
والمواشي ، وكادت أن تذهب بعامتهم .

(١) ما بين المعقوفين لا يوجد في ١ . (٢) هذه الجملة بإسقاطه من ب .

الجزء الثاني : ذكر جل من أخبار الكهان وسيل العرم ١٩٣

ولسطيح الكاهن ولشق بن صعب^(١) أخبار كثيرة [عجيبة] : منها رؤيا
تُبَّعَ الحِجْرِي في أن جَمْرَةَ^(٢) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض مَهْمَةٍ ، أكلت
منها كل ذات جمجمة ، وما فَسَّرَاهُ له في ذلك ، وكذلك خبر سطيح ،
[وعبد المسيح] في رؤيا الموبدان ، وارتجاج الإيوان ، وخبر سملقة وزوبعة ،
وما كان من أمرهما ، وخبر شأن الظالم والشجرة ، وما كان بين عك وغسان
من الحرب في رقة اللبن وحلاوته ونُجْنَه^(٣) ، ونزول غسان أعلى الوادي ، وعك
في أسفله ، وما كان في ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على
إبلهم ، وخبر السمؤال بن حسان^(٤) بن عاديء ، وما كان من أمره ، وأمر
خازن الكاهن^(٥) ، وما قاله حين طَرَفَه ليلًا ، وانقياده إلى ذمته ، وما كان
من العير الأقر^(٦) ، والظالم الأحمر ، والفرس الأشقر ، والجل الأزور^(٧) ، والشيخ
الأحقر^(٨) ، وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا ، في « أخبار الزمان »
والكتاب الأوسط ، والله أعلم .

- (١) في ب « بن مصعب » وقد ذكرنا سابقا أنه « شق بن صعب » .
(٢) في ب « في أن جمجمة » (٣) في ا « وخلاوته ونُجْنَه » تحريف
(٤) في ا « السمؤال بن حنا » (٥) في ا « مازن الكاهن »
(٦) في ا « العنز الأقر » (٧) في ب « الجل الأزور »
(٨) في ب « والشيخ الأسدي »
(١٣ — مروج الذهب ٢)

ذكر سني العرب والعجم وشهورها

وما اتفق^(١) منها ، وما اختلف

قال المسعودي : عدة الشهور^(٢) عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهراً .
فلنذكر الآن سني وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الأمم ، وهم العرب
والفرس والروم والسريانيون والقبط ؛ إذ كان قول اليونانيين في ذلك^(٣) [هو
ما ذهبت إليه الروم ، ولم نعرض لوصف قول الهند في السنين والشهور والأيام
وما ذهبوا إليه في ذلك]^(٤) من حسابهم ، ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين
وكثير من الممالك والأمم ؛ إذ كان في ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود
بين الناس ، ونجعل المبتدأ بذكر سني وشهور القبط ؛ لموافقها السريانيين
[ثم نعقب بعد ذلك بذكر شهور السريانيين] وموافقها لشهور الروم . ثم نبع
ذلك بذكر سني العرب وشهورها وأيامها ، [ثم نعقب بعد ذلك بذكر سني
الفرس وشهورها وأيامها]^(٥) ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها ،
وكل يوم ، وما قالته العرب في تسمية الليالي ، وجعل من ذكر أفعال الشمس
والقمر وتأثيرهما في هذا العالم في الجماد والنبات والحيوان ، وغير ذلك مما يقف
عليه المتأمل عند قراءته — إن شاء الله تعالى — على ما يريد ، والله تعالى
ولي التوفيق .

(١) في ١ « وما اتفق بها »

(٢) في ١ « عدد الشهور »

(٣) ما بين المعوقين ساقط من ب

ذكر شهور القبط والسريانيين

والخلاف في أسمائها [ونجل] من التاريخ

أول شهور القبط : توت، وهو أيلول، وبابه، وهو تشرين الأول، وهاتور شهر القبط وهو تشرين الثاني، وكيهك، وهو كانون الأول، وطوبه، وهو كانون الثاني، وأمشير، وهو شباط، وبرمهات، وهو آذار، وبرموده، وهو نيسان، وبشنس وهو أيار، ويثونه، وهو حزيران، وأيب، وهو تموز، ومسرى، وهو آب : . وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق، تدعى العمياء^(١)، تزيدها على ١٠ سميناً من شهورها، وهي ثلاثمائة يوم وستون يوماً؛ فتصير السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً .

وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من شهر آب، وعدة كل شهر منها ثلاثون يوماً، وكانت أيام السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً كعدة^(٢) أيام سنة الفرس [وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس]^(٣) فكان أول توت أول آذارماه، ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف إلى آخر سنة القبط آخر آذارماه، وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات في النجوم، وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت—وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة—يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمنا، وذلك أنهم زادوا في أيام السنة ربيع يوم على مذهب السريانيين^(٤) والروم [فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم] في عدد أيام السنة، [وتاريخ القبط في كتاب المجسطى من أول السنة] التي ملك فيها البخت نصر وكان أولها يوم الأربعاء .

(١) في ب « تدعى العمائر » (٢) في ب « بعد أيام سنة الفرس »

(٣) لا توجد هذه العبارة في ا

(٤) في ب « على مذهب اليونانيين والروم »

مبدأ التواريخ وأما تاريخ القبط في كتاب زيج بطليموس، فمن أول سنة ملك فيلقوس^(١) وكان أولها يوم الأحد، و[التباين] الذي بين تاريخ البخت نصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون^(٢) سنة فارسية وثلثة أشهر، والذي بين تاريخ فيلقوس^(١) وتاريخ يزدجرد [تسعمائة وخمس وخمسون سنة وثلثة أشهر، وبين تاريخ الإسكندر وتاريخ يزدجرد] تسعمائة واثنان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وتسعة وخمسون يوماً، وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الأيام ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وعشرون يوماً، فأول هذه التواريخ تاريخ البخت نصر، ثم تاريخ فيلقوس^(١)، [ثم تاريخ ابنه الإسكندر، ثم تاريخ الهجرة]، ثم تاريخ يزدجرد.

أوائل كل تاريخ وتاريخ العرب من أول السنة التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وكان أولها يوم الخميس .
وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، وكان أولها يوم الثلاثاء .
وتاريخ الروم والسرانيين من أول السنة [من] ملك الإسكندر، وكان أولها يوم الاثنين، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

(٢) في ١ «وتسع وسبعون سنة»

(١) في ب «فيلقوس»

الجزء الثاني : ذكر شهور السريانيين وموافقها لشهور العرب ١٩٧

ذكر شهور السريانيين

ووصف موافقتها لشهور العرب
وعسدة أيام السنة ومعرفة الأنواء

فأول أيام أن أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم ، وهي شهور وأيام مختلفة في العدد : فنيسان ثلاثون يوماً ، وأيار أحد وثلاثون يوماً ، وحزيران ثلاثون يوماً ، ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من الشمال^(١) [على ما أوجبه حساب الهند] وهو أطول يوم في السنة [وليلته] أقصر ليلة ، وتموز أحد وثلاثون يوماً ، وآب أحد وثلاثون يوماً ، فإذا انسلخ [آب] ذهب الحر ، قال محمد بن عبد الملك الزيات :

بَرَدَ الْمَاءَ وَطَلَبَ الْإِيلَ وَالْتَذَّ الشَّرَابَ
وَمَصَى عَنْكَ حَزِيرَانٌ وَتَمُوزُ وَآبُ

وأيلول ثلاثون يوماً ، وخمس منه عيد زكريا ، ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ، ولثلاث عشرة منه عيد الصليب ، وهو اليوم الرابع عشر منه ، وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ، ولتمام عشرين^(٢) منه ، يستوى الليل والنهار ، وقال أبو نؤاس :
مضى أيلول وارتفع الخسور وأخبت نارها الشعري العبور^(٣)

وتشرين الأول أحد وثلاثون يوماً ، وفيه يكون المهرجان ، وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوماً ، وعند الفرس في معنى المهرجان أنه كان لهم ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد عمّ ظلمه خواص الناس وعوامهم ، وكان يسمى مهر ، وكانت الشهور تسمى بأسماء الملوك ، فقبل مهرماه ، ومعنى ماه :

(١) في ب « من السماء » . (٢) في ا « وثمانى عشرة منه »

(٣) في ب « وأذكت نارها الشعري العبور »

هو الشهر، وأن ذلك الملك طال عمره واشتدت وطأته؛ فمات في النصف من هذا الشهر ، وهو مهرماه ، فسمى ذلك اليوم الذي مات فيه «مهرجان» وتفسيره نفس مهر ذهبت ؛ لأن الفرس تقدم في لغتها ما يؤخره العرب في كلامها، وهذه اللغة الفهلوية ، وهي الفارسية الأولى ، وأهل الروات بالعراق وغيرهما من مدن^(١) العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء ؛ فتغير فيه الفرش والآلات وكثيراً من الملابس ، ولحس منه — وهو تشرين الأول — عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس ، وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الأرض ، ونزل عليهم نار من السماء ، فيسرج هناك الشمع ، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر إلى العيد، ويقتلع فيه ورق الزيتون ، ويكون للنصارى فيه أفاصيص، ولهذه النار حيلة لطيفة وسرّ عظيم ، وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم: «كتاب القضايا والتجارب» وتشرين الثاني ثلاثون يوماً، وكانون الأول^(٢) ثلاثون يوماً ، ولتسع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات [ونصفاً] وربعاً ، وهو منتهى قصره ، والليل أربع عشرة ساعة وربعاً ، وهو منتهى طوله ، وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام ، وكانون الثاني أحد وثلاثون يوماً ، وأول يوم منه القلندس^(٣) ، فيكون فيه بالشام لأهله عيد يوقدون في ليلته النيران، ويظهرون الأفراح ، لاسيما بمدينة أنطاكية ، وما يكون في كنيسة القسيان بهما من القداس عندهم ، وكذلك بسائر الشام وبيت المقدس ومصر وأرض النصرانية كلها، وما يظهر أهل دين النصرانية بأنطاكية من الفرح والسرور وإيقاد النيران والمآكل والشارب، ويساعدون على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم، وذلك أن مدينة أنطاكية بها كرسي البطريرك المعظم عندهم في ديارتهم، وأن النصرانية تسمى أنطاكية

(١) في أ « من مدن الشام »

(٢) في ب « وكانون الأول أحد وثلاثون يوماً ، ول سبع عشرة منه — إلخ »

(٣) في ب « الغطاس »

مدينة الله ، ويسمون لها أيضاً مدينة الملك ، وأم المدن ، لأن بُدُو ظهور النصرانية كان فيها .

بطارقة
النصارى

والبطارقة عند النصرانية أربعة : أولهم صاحب مدينة رومية ، ثم الثانى وهو صاحب مدينة قسطنطينية ، وهى أفسس ^(١) ، واسمها القديم بوزنطيا ، ثم الثالث وهو صاحب الإسكندرية من أرض مصر ، ثم الرابع وهو صاحب أنطاكية ، ورومية وأنطاكية لبطرس ، فبدوا برومية لأنها لبطرس ، ثم ختموا بأنطاكية لأنها له ، وتعظيماً [لبولس] ، وقد أحدثوا كرسيا بيت المقدس ، ولم يكن هذا متقدماً ؛ وإنما هو محدث ، وكان لإيليا وهو بيت المقدس أسقف [ولكورة قلدن من أرض فلسطين] .

مشهور
كنائسهم

وبأنطاكية أيضاً كنيسة [بولس] ، وتعرف بأنطاكية بدير البراغيث وهى مما يلى باب فارس ، وبها أيضاً كنيسة أخرى تدعى أشمونيت [، وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك بها كنيسة [بربارا] ، وكنيسة مريم] وهى كنيسة مدورة ، وبنائها من إحدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمداً عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق [حلت فى البحر إلى ساحل دمشق] ، وبقي الأكثر من هذه الكنيسة إلى هذا الوقت . وقد كان ملك من ملوك الروم [مع اليهود] بأنطاكية خبر عجيب فى كنيسة أشمونيت ^(٢) وكانت خارج السور من أنطاكية ، وهى فى أيدي اليهود ، فعوضت اليهود دار الملك بأنطاكية [بدلاً من كنيسة أشمونيت] ، وهذه الدار التى كانت دار الملك [تعرف فى هذا الوقت بدار اليهود] ، ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقاً عظيماً من نشر خشب فيها وغير ذلك .

وقدمنا أخبار بطرس وبولس وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد ، وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة أنطاكية ، وهو المعروف بأنطيوخس ^(٣) ، وتفسير ذلك محووط الحوائط ، وكان اسم أنطاكية

(٢) فى ب « استوست » فى اللتين

(١) فى ا « وهى أحسن »

(٣) فى ب « بأنطنحس »

بالرومية على اسمه أنطيوخس ، فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الأحرف إلا الألف والنون والطاء .

وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — تسعمائة سنة وأربعون سنة ، وتكون سنو الإسكندر ألفاً ومائتين وخمسة وثمانين^(١) ، ويكون من الإسكندر إلى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون^(٢)

هذا ما وجد [ت] فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة أنطاكية ، وسندكر بعد هذا الموضع جملاً من التاريخ فى باب نفرد له لذلك ، إن شاء الله تعالى .

عود إلى
الشهور وأيامها
فلنرجع الآن إلى وصف حساب الشهور : شباط ثمانية وعشرون يوماً ورابع
ثلاث سنين متوالية ، والرابعة كيسة فيكون تسعاً وعشرين يوماً ، وتكون
السنة ثلثمائة وستة وستين يوماً ، ولسبعة منه تسقط الجرة الأولى ، وهى الجبهة
ولأربع عشرة منه تسقط الجرة الثانية ، وهى [الزبرة] ، ولأحدى وعشرين منه
تسقط الجرة الثالثة ، وهى [الصفرة] ، وينصرف البرد ، وثلاثة أيام من آخره
أيام العجوز ، وآذار أحد وثلاثون يوماً ، ولأربعة من أوله تتم أيام العجوز ،
والعرب تسمى هذه السبعة الأيام : صينا ، وصنبرا ، ووبراً ، وأمرا ، ومؤتمرا ،
أيام العجوز ومعللاً ، ومطفيء الجمر ، قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز :

كسع الشتاء يسبعة غُبرٍ صينٍ وصنبرٍ وبالوبر
[وبأمر وأخيه مؤتمر ومعلل ، وبمطفيء الجمر]
فإذا انقضت أيام شتوتنا أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء مؤلياً هرباً وأنتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من آذار يستوى الليل والنهار ، وتحل الشمس الحمل ، وهذا
اليوم تحويل سنة العالم ، قال أبو نواس^(٣) :

- (١) فى « وخمسا وخمسين »
(٢) فى « وتسع سنين »
(٣) فى ب « أبو فراس »

الجزء الثاني : ذكر شهور السريانيين ٢٠١

أما ترى الشمس حلتِ الحلا وطاب وَزُنُ الزمان واعتدلاً
وغنتِ الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كمالاً
واكتست الأرض من زخارفها وشئ نبات نخالها خللاً
فاشرب على جدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقبلاً
وليس بحول الشمس الحبل تستوفي الخمر سنة ، وإنما أراد بحولها قربها
من الحول والقوة .

قال المسعودي : وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين في العدد شهور الروم
وذلك أن أول شهور الروم يوار يوس^(١) ، وهو كانون الثاني ، وقد قدمنا أن
في أول يوم منه يكون القانديس^(٢) ، وشباط فبراير يوس^(٣) ، وآذار مارت يوس ،
ونيسان إبريل يوس^(٤) ، وأيار ماي يوس ، وحزيران يون يوس ، وتموز يوليوس ،
وآب أغسطس يوس ، وأيلول^(٥) سبطامبر ، وتشرين الأول أقطوبر^(٦) ، وتشرين
الثاني نوفمبر^(٧) ، وكانون الأول دسمبر^(٨) .

(٢) في ب « العطاس »
(٤) في ا « إيريلوس »
(٦) في ا « أفرط يوس »
(٨) في ا « دجونوس »

(١) في ا « بنوار خوس »
(٣) في ا « فراخاويس »
(٥) في ا « سطر يوس »
(٧) في ا « نوبوطس »

ذكر شهور الفرس

أسماء الشهور
وعدة أيامها

[شهور الفرس] كلها ثلاثون يوماً ، فأولها فروردينماه^(١) ، وأول يوم منه النيروز ، وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوماً^(٢) ، والثاني أريدهشتماه ، وخردادماه ، وتيرماه ، وتيمروز عيد المهرجان ، ومردادماه ، وشهريرماه ، ومهرماه ، ويوم السادس عشر منه المهرجان ، وأبانماه فيه أبان روز عيد أبان كاه ، وفي آخره خمسة أيام : القروذجان ، وأذرماه ، وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه راكباً بفاله بالعراق وأرض فارس ، ولا يعرف ما وصفنا إلا بالعراق وأرض العجم ، وأهل الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ، ويطعم مدة من الأيام الجوز واليوسم واللحم السمين ، وماعدا ذلك من الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة الدافعة للبرد ، فيظهر طارداً للبرد ، فيصب عليه الماء البارد ؛ فلا يجد لذلك شيئاً من ألمه ، ويصبح بالفارسية كرما كرماء ، [يعني الحر الحر] ، وهذا وقت عيد الأعاجم : يطربون فيه ، ويظهرون السرور ، وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة ودوران الأذرخش ، ودينماه ، وبهمناه ، وإسفندارمزماء ؛ فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوماً ، والله أعلم .

(١) في ب « فرودى »

(٢) في « مائة وأربعة وتسعون يوما » وفي ب « مائة وأربعة وسبعون يوماً »

وقد سبق أن بينهما « مائة وتسعة وستين يوما »

ذكر أيام الفرس

وهي ^(١) هرمز وبهمان وأردبیهشت ونهریر وإسفندارمز وخرداد ومرداد
ودیبادز وآذر وأبان وخوروماه وتیر وجوش ودبر ومهر ودمل وأسروش
وفروردین وبهرام ، وفيه يقول الشاعر :

باکر بنا لذة المدام فی يوم سبتٍ ویوم رام
شریطتی فیہ أن ترانی وَقْتَ الضحی فاطر الکلام
وباد وديادين وآذر وأشتاد وأسمان وداماد ومار وسفند وأنیران .
^(١) فأما أيامهم المعروفة بالفرو دجان فهي أهندکاه أسمىهاه مشرکاه
مشروکاه کاساه .

. وكانت العرب تسمى ^(٢) هذه الأيام الخمسة : الهريير ، والهبير ، وقالب
القهر ^(٣) ، وحافل الضرع ، ومدحرج البعر ^(٤)

وكانت الفرس تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهراً ، وإنما أخروا كبس الفرس
ذلك إلى مائة وعشرين سنة ، لأن أيامهم كانت سُعوداً ونحوساً—فكرهوا
أن يكبسوا في كل أربع سنين يوماً ، فتنقل بذلك أيام السعود إلى أيام
النحوس ، ولا يكون النيروز ^(٥) أول يوم من الشهر ، والله تعالى أعلم .

(١) في أسماء هذه الأيام اختلاف ليس باليسير ، وقد اخترنا ما في ١ ، ولم ننبه
كعادتنا على الاختلاف الواقع في كل اسم اكتفاء بهذه الإشارة إذ كنا نعتقد أن
بعضها محرف عن بعض

(٢) في ١ « وقالب القهر »

(٣) في ١ « وجافل الطعن ومزحج البعير »

(٤) في ١ « ولا يكون السرور أول يوم الشهر »

ذكر سنن العرب وشهورها

وتسمية أيامها ولياليها

أسماء الشهور
شهور الأهلّة : أولها الحرم ، وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، تنقص
عن السرياني أحد عشر يوماً وربع يوم ، فتفرق في كل ثلاث وثلاثين سنة
سنة ؛ فتسلك تلك السنة العربية ، ولا يكون فيها نيروز ، وقد كانت العرب في
الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء [وهو التأخير]
وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله : (إنما النسيء زيادة في الكفر) ورسمت
العرب الشهور فبدأت بالحرم ؛ لأنه أول السنة ، وإنما سمته الحرم لتحريمها
الحرب والغارات فيه ، وصفر بالأسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية ،
وكانوا يمتارون منها ، ومن تخلف عنها هلك جوعاً ، وقال نابغة ذبيان :
إني نهيت بني ذبيان عن أفق وعن ترفّهم في كل أصفار^(١)
وقيل : إنما سمي الصفر لأن المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم إلى
الحرب ، وهو مأخوذ من قولهم : صَفَرَتِ الدار منهم ، إذا خلت ، وربيعة ،
وربيع ؛ لارتباع الناس والدواب فيهما ، فإن قيل : قد توجد الدواب ترتبع^(٢)
في غير هذا الوقت ، قيل : قد يمكن أن يكون هذا الأسم لزمها في ذلك
الوقت فاستمر تعريفها بذلك مع انتقال الزمان واختلافه ، وجهادي ؛
وجهادي ؛ لجود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهور ؛ لأنهم لم
يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ، ورجب ؛ لخوفهم إياه ،
يقال : رَجَبْتُ الشيء ، إذا خفته ، وأنشد :

(١) في « عن أقر » وفيها « وعن ترجمهم »

(٢) في « ا » ترجم في غير هذا »

الجزء الثاني : ذكر سنى العرب وشهورها ٢٠٥

* فلا تَهَيَّبَهَا ولا ترجبها *

وشعبان ؛ لتشعبهم إلى مياهم وطلب الغارات ، ورمضان ؛ لشدة حر الرَّمْضاء فيه ذلك الوقت ، والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ، ولا يجوز أن يقال رمضان ، وإنما يقال : شهر رمضان ، وشوال ؛ لأن الإبل كانت تَسُولُ في ذلك الوقت يأذناها [من شَهْوَةِ الضَّرَبِ] ، تشاءمت به العرب ، ولذلك كرهت التزويج فيه ، وذو القعدة ؛ لعودهم فيه عن الحرب والغارات ، وذو الحجة ؛ لأن الحج فيه .

والأشهر الحرم هي : المحرم ، ورجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة . الأشهر الحر

وأشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، والأيام شهور الحج المعلومات العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق ، والتعجيلُ باتفاقٍ غيرُ جائزٍ إلا في اليوم الثالث من يوم النحر ، فدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام ، وهذا خلاف القرآن ؛ لإخبار الله تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات وإذا كانت المعدودات ماوصلنا صبح أن المعلومات منها ، والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونه منها .

ولا تمنع بين العرب أن يقول القائل « أتيتك في الشهر » ، والإتيان إنما كان في بعضه . و « جئتُك في اليوم » والحجى في بعض أوقاته ، ولا يُصَام يوم النحر ، ولا يوم الفطر ، ولا أيام منى ، لقرضٍ ولا تطوع ؛ لنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؛ ولم يخص فرضاً من تطوع بالنهى ، فالواجب الامتناع على وصفنا .

وقد ذكر عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن صيام ثلاثة أيام التشريق » وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام في

أيام التشريق خلاف بين الناس ، وأيام التشريق أولها ثاني النحر ، وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة [إلى العصر] .

تسمية أيام التشريق

قال السعودي : وقد اختلفت الناس في علة [تسميتها] أيام التشريق ، وهي أيام مَنَى ولياليها ، فقالت طائفة : إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يذبحون الذبائح [بمنى] ويُشَرِّقون اللحم في الشمس ، وقال آخرون : إنما سميت أيام التشريق ^(١) [لأن أهل مكة وغيرهم يتشربون منصرفين إلى أوطانهم ، وفيه قول آخر ، وهو أنها إنما سميت أيام التشريق] ^(٢) لأنهم كانوا يخرجون بمنى وغيرها كالمزدلفة إلى مصليات لهم في فضاء من الأرض فيسمونها المشارق ، واحدها مشراق ، يسبحون ويدعون ، فسميت بذلك أيام التشريق ، وفيه قول آخر ، وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم ، وهو التشريق ^(٣) ، وقالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالشرقة ، يعني المشقوقة الأذنين بالطول ، فهي أيام التشريق ، وللناس في التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وإنما ذكرنا ما أوردناه لتفغل الكلام بنا إليه واتصاله بما قدمناه ، وإن كان كلاماً يلحق بالفقه .

لأيام النحسات والأيام النحسات : كل أرباء يوافق أرباعاً من الشهر ، مثل أربع خلون [وأربع عشرة خلت ، وأربع عشرة بقيت] وأربع وعشرين ، وأربع بقين . وأما أسماء الأيام فأولها الأحد ، وإنما سمي بذلك لأنه أول يوم خلقه الله من الزمان ، وبذلك نطقت التوراة ، وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب ما في الأيام من بدء الخلق ، والاثنين ، ونسب لأنه ثان ، والثلاثاء ، ونسب لأنه ثالث ، والأربعاء لأنه رابع ، والخميس لأنه خامس ، والجمعة لأن الخلق اجتمعوا فيه ، والسبت لأن الخلق انقطع فيه [وخلق في آخره آدم] : وهو

سماه الأيام عند العرب قديماً

(١) ما بين المعقوقين ساقط من ا

(٢) في ا وهو الشرق

الجزء الثاني : ذكر سنى العرب وشهورها ٢٠٧

مأخوذ من قولهم : نعل سَبْتِيَّة ، إذا كانت مقطوعة الشعر ، ويقال : سَبَتَ شعره ، إذا قطعه ، وكانت العرب تسميها في الجاهلية : الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء ديار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار [قال شاعرهم :

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى ديار ، فإن أفته فؤنس أو عروبة أو شيار]

وكانوا يسمون الشهور : المحرم ناتق ، وصفر ثقیل ، ثم طليق ، ناجر ، أسماء الشهور
أسلخ^(١) أميح^(٢) ، أحلك ، كسع ، زاهر ، برك^(٣) ، حرف ، نفس ، عد العرب
وهو ذو الحجة .

وقد اختلف العرب في أسماء الأزمنة [الأربعة] : فرعمت طائفة منها أن الأزمنة الأربعة
أولها الوسمى ، وهو الخريف ، ثم الشتاء ، ثم الصيف ، ثم القَتْنُ . ، ومنهم
[من] يعدُّ الأول من فصول السنة الربيع ، وهو الأشهر والأثم ، والعرب
تقول : خَرَفْنَا في بلد كذا ، وشتَوْنَا في بلد كذا ، وتربَعْنَا في بلد كذا ،
وصِفْنَا في بلد كذا .

وشهور العرب ليست مرتبة على فصول السنة [ولا على حساب سنة شهور الروم
الشمس] بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع وتارة
فصول السنة
في غيره من فصول السنة .
دون شهور

وشهور الروم مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج
الفلك عن آخرها ، ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور
ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للأبصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين
وهي اثنا عشر شهراً على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين إلى أيلول ؛ فكل فصل
من السنة أربعة شهور معلومة^(٤) من هذه الأثنى عشر شهراً غير حائلة ولا منتقلة

(٢) في ب « أمنيح »

(١) في ب « سماح »

(٤) كذا ، ولعله « ثلاثة شهور »

(٣) في ب « برط »

انتقال الشهور العربية ، ولكل برج منها شهر ، فأيلول وتشرين وتشرين
 لسلطان السوداء ، وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم ، وأذار ونيسان وأيار
 لسلطان الدم ، وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء ، فأيلول لبرج السنبلة
 وتشرين الأول لبرج الميزان ، وتشرين الآخر لبرج العقرب ، وكانون الأول
 برج القوس ، وكانون الآخر برج الجدي ، وشباط برج الدلو ، وأذار برج
 الحوت ، ونيسان برج الحمل ، وأيار برج الثور ، وحزيران برج الجوزاء ،
 وتموز برج السرطان ، وآب برج الأسد .

قال المسعودي : وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام
 في الطبائع وفصول السنة ، وما يلائم ذلك من المآكل والمشرب وغير ذلك
 مما لحق بهذا الباب ، إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

الجزء الثاني : ذكر قول العرب في ليالى الشهور القمرية وغيرها ٢٠٩

ذكر قول العرب في ليالى الشهور القمرية وغيرها

كانت العرب تنجر عن القمر في كل ليلة [من الشهور] على حسب ماهو به من انضياؤه غيره على طريق المسألة والجواب ؛ فتقول : قيل للقمر : ما أنت ابن ليلة ؟ قال : رضاع سخيلة ، حل أهلها برميعة ، قيل : فما أنت ليلتين ؟ قال : حديث أمتين ، ذَوَاتِي إِفْكٌ وَمَيْنٌ^(١) ، قيل : فما أنت لثلاث ؟ قال : حديث فتيات ، يجتمعن من شبات وقيل : قليل الثبات^(٢) ، قيل فما أنت لأربع ؟ قال : غنمة رتع ، غير جائع ولا مرضع^(٣) قيل : فما أنت لخمس ؟ قال : حديث وأنس ، قيل : فما أنت است ؟ قال : سِرْوَت ، قيل : فما أنت لسبع ؟ قال : تصفر في الشفع ، وقيل : دلجة^(٤) الضبع قيس : فما أنت لثمان ؟ قال : قمر أصبحان ، وقيل : رغيف اقتسمه أخوان ، قيل فما أنت لتسع ؟ قال : تلتقط في الجرع ، قيل : فما أنت لعشر ؟ قال : محق للفجر ، قيل : فما أنت لإحدى عشرة ؟ قال : أَرَى مَسَاءً وَأَرَى بَكْرَةً ، قيل : فما أنت لاثنتي عشرة ؟ قال : موفق للسير في البدو والحضر ، قيل : فما أنت لثلاث عشرة ؟ قال : قمر باهر ، يُفَشِي عَيْنَ النَّاطِرِ ، قيل : فما أنت لأربع عشرة ؟ قال : مقتبل الشباب ، أضيء بين السحاب^(٥) ، قيل : فما أنت لخمس عشرة ؟ قال : تم التمام ونفدت الأيام ، قيل : فما أنت لست عشرة ؟ قال : ناقص الخلق ، في الغرب والشرق ، قيل : فما أنت لسبع عشرة ؟ قال : ركب الفقير الفقر ، قيل : فما أنت لثمان عشرة ؟ قال : قليل البقاء ، سريع الفناء ، قيل : فما أنت لتسع عشرة ؟ قال : بطيء الطلوع ، من الخشوع ، قيل : فما أنت لعشرين ؟ قال : أطاع سحرة ، وأرى بكرة ، قيل : فما أنت لإحدى وعشرين ؟ قال : لأطيل السرى ، إلا ريثما

(١) في ب « حديث مشيق ، ذو أفل ونيق » .

(٢) في ا « وقيل : قليل اللبث » (٣) في ا « غنمة ربيع غير رابع

ولا مرتع » (٤) في ب « قال : نصف في السبع ، وقيل : حلجة للضبع »

(٥) في ا « أضيء مثل السحاب »

أرى ، قيل : فما أنت لاثنتين وعشرين ؟ قال : مسفع خطب ، وليث حرب ،
 قيل : فما أنت لثلاث وعشرين ؟ قال : كالقبس ، أطلع في الغلس ، قيل :
 فما أنت لأربع وعشرين ؟ قال : أطلع في قسمة ، ولا أجلى ظلمة ، قيل :
 فما أنت لخمس وعشرين ؟ قال : أنا في تلك الليال ، لا قمر ولا هلال ، قيل :
 فما أنت لست وعشرين ؟ قال : دنا الأجل ، وانقطع الأمل ، قيل : فما أنت
 لسبع وعشرين ؟ قال : دنا مادنا ، فليس في من سنّا ، قيل : فما أنت لثمان
 وعشرين ؟ قال : أطلع بكراً ، ولا أرى ظهراً ، قيل : فما أنت لتسع وعشرين ؟
 قال : أسبق شعاع الشمس ، ولا أطيل المجلس ، قيل : فما أنت لثلاثين ؟
 قال : [هلال] مستقبل سريع الأفل .

وكانت العرب تسمى الثلاث الأولى من ليالى الشهر ، فتقول : ثلاث غرر ،
 والثلاث التى تليها ثلاث سمر ، والثلاث التى تليها ثلاث زهر ، والثلاث التى
 تليها ثلاث درر ، والثلاث التى تليها ثلاث قر ، وثلاث بيض ، وتقول في النصف
 الثانى من الشهر في الثلاث الأول : ثلاث درع ، وفي الثلاث التى تليها ثلاث ظم ،
 وفي الثلاث التى تليها ثلاث حناديس ، وفي الثلاث التى تليها ثلاث دوارى ،
 وفي الثلاث التى تليها ثلاث محاق ، وقيل في وجه آخر من الروايات : إنه
 يقال لليالى الشهر : ثلاث هلل ، وثلاث قر ، وست نقل [وثلاث بيض] ،
 وثلاث درع ، وثلاث بهم^(١) ، وست حناديس ، وليلتان داريتان^(٢) ،
 وليلة محاق .

تقسم الليالى
 ثلاثاً وثلاثاً
 واسم كل ثلاث

قال المسعودي : فأما ما ذهب إليه العرب في تسمية القمر فإنها تسميه في
 ليلة طلوعه هلالاً ، وما لم يستدر فهو هلال ، ثم تسميه قرّاً إذا ما استدار ،
 وإذا ما حجر وأضاء فهو قمر ، قال شاعرهم^(٣) :

أسماء الهلال
 والليالى

(١) فى ا هنا « وثلاث ظم » (٢) وفى ا « وليلتان دآديتان »

(٣) فى ا « قال عمرو بن أبى ربيعة » وصوابه عمر بن أبى ربيعة .

الجزء الثاني : ذكر قول العرب في ليالى الشهور القمرية وغيرها ٢١١

وقمير بدأ ابن خمس وعشري ن له قالت الفتانان قوما
ثم يستوى لثلاث عشرة منه ، وهى ليلة السواء ، ثم ليلة البدر لأربع
عشرة ، ويقال : غلام بدر ، إذا امتلأ شباباً قبل أن يحتمل ، ويقال : عين
حذرة بدر^(١) ، إذا كانت حديدة كعين الفرس ، والليالى البيض ليلة ثلاث
عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ، والليالى الدرع هى التى تسود صدورهما
وتبيض سائرهما ، والمحاق إذا ما طلعت عليه الشمس ، والسواد حين يستتر
فيكون خلف الشمس ، ويقال : قد حجر القمر ، إذا استدار بخط رقيق من
غير أن يغلظ ، ويقال : أفتق [القمر] إذا أصابته فرجة من السحاب فخرج
[وأفتق علينا فأبصرنا الطريق]^(٢) ، وكل سواد من الليل حنيس ، والليالى
الزهر الليالى البيض [والزهرة : النياض] والله الموفق للصواب .

(١) فى ب « عين حذرة قمر »

(٢) زيادة فى ب وحدها .

ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم

وَجُمِّلَ مما قيل في ذلك

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

[قال المسعودي] :

ذهب الحكماء جميعاً من اليونانيين وغيرهم إلى أن أفعال القمر في الجواهر التي قلنا^(١) عظيمة، إلا أنها أقصر من أفعال الشمس، وهو الثاني بعدها، وذلك أن الشهور به تكون، وعلى حسب حركته يجرى أمرها، وأفعاله ترى أعظم وأبين في حيوان البحر خاصة، وهو ينمى النبات وغيره، ويعظم البحار^(٢)، ويسمن الحيوان، ويلزم النساء الطمث أزماناً محدودة .

تصور الجنين
في الرحم

قال المسعودي رحمه الله : وقد تنازع الناس في كيفية تصور الجنين في الرحم . فذهب قوم من أهل القدم إلى أن في المني قوة تصور الجنين إما منه ، وإما من دم الطمث .

وذهب قوم إلى أن في الرحم قالباً يتصور فيه الجنين ، وقد ذكر جالينوس في كتابه عن بقراط أن مقام المني مقام الفاعل والمفعول في تصور الجنين . وقال صاحب المنطق : إن ذلك بمنزلة الفاعل ، وإن الجنين يتصور في دم الطمث من المني ، قال : والمني يعطى الدم مثل الحركة ، ثم يستحيل ريحاً فيخرج من الرحم ، وزعم جالينوس أن الجنين يكون من المني ، وقد يجذب^(٣) إليه الدم الذي هو الطمث ، والروح من العروق والشرينات فيكون من المني ، ومن ذلك الدم الذي يجذبه ، ومن الريح الذي تصير إليه من الشرينات . قال : وكون الجنين بمنزلة كون النبات ، والطبيعة تصوره من المني والدم ، وتعمل الطبيعة في الجنين ما تفعله في النبات .

(١) في أ « التي قلنا »

(٢) في أ « ويعظم البحار »

(٣) في ب « وقد يجذب »

الجزء الثاني : ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم ٢١٣

لأن بذر النبات يحتاج إلى أرض لينال منها ما يفتدى به ، فالجنين إلى الرحم ، والنبات يرسل عروقه من الأصول ليجذب بها [من الأرض غذاءه ، والجنين في المشيمة شريانات ، والعروق نظير لذلك]^(١) وهي أصول الجنين ، وبذر النبات ينبت منه سوق ، ومن السوق أغصان كبار ، ثم من هذه الأغصان أغصان أخرى تنفرع أولا حتى تنتهي إلى الأقاصى ، ونظير ذلك يوجد في الجنين ؛ فتجد السوق^(٢) في بدئه ثلاثة من كل واحد من الأغصان الأصول وهي : الشريان الأعظم ، والعرق الأجوف ، والنخاع ، ثم تجد كل واحد من هذه تنشعب منه شعب كالأغصان المنقسمة إلى أغصان آخر حتى ينتهي إلى الأطراف ، ثم قال بعد ذلك : إن المني هو المحرك لنفسه ، وإن الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث .

وحكى جالينوس عن أنبديلس^(٣) أن أجزاء الولد منقسمة في منى الذكر والأنثى وأن شهوة الجماع تسوق هذه الأجزاء إلى الالتئام^(٤) ، وهذا موجود في كتاب أنبديلس^(٣) الكبير وفيما ذكره من مذهبه في كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك .

وقد ذهب قوم من أهل القدم إلى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الإنسان لطيفة من جنس سائر أعضاء الإنسان ، فتنصب في الرحم ، فيفتدى منه وينمو ، فيكون من ذلك الجنين .

ومنهم من رأى أن هذه الأجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاربها مواد يشبه الولد أباه وأهل بيت أبيه من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعهما فيكون الجنين من ذلك ؛ فمن ذلك صار الولد يشبه أباه في الأغلب من سائر الأعضاء ويشاكله وأهل بيت أبيه ، ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء في الأغلب من تشابه الأعضاء ، ومن ههنا أدركت الثقافة إلحاق النسب عند الشبه والشك في النسب ، وذلك على قول من رأى

(١) زيادة في ب (٢) في ب « فتجد العرق »

(٣) في ب « عن أبيه بليس »

(٤) في ب « تسبق هذه الأجزاء إلى أن لا ينم »

إلحاق النسب بالقيافة من الفقهاء^(١)، وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما خلف من هذا الكتاب فى باب القيافة .

وللناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم وما بدؤه وما عنصره وكيفية تقلبه من النطفة إلى العلقه ومن العلقه إلى المضغة إلى استكمال شكله كلام كثير : منهم أصحاب الأئنين^(٢) وغيرهم ممن تقدم وتأخر ، أعرضنا عن ذكر ذلك ؛ إذ كان فيه خروج عما إليه قصدناه فى هذا الباب .

قال السعودى رحمه الله : والذى يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده ، وهو ما أخبر به البارى عز وجل فى كتابه بقوله : (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ولم يخبر عن كيفية [وقوع] ذلك وما سبب مواده ، بل استأثر [بعلمه ، وأبدى] الدلالة بظهور حكمته [دالة على توحيده وإتقانه لما أظهر لعباده من حكمته] ثم أخبر عن المبدأ الذى خلقهم منه فقال : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من أتى) وقال عز وجل : (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من عاتقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ؛ لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر — الآية) .

الاحتلاف فى تأثير النيرين : قال السعودى : وللناس ممن سلف من الأوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير فى كيفية أفعال النيرين وتأثيرهما فى هذا العالم ، وما قالوه فى ذلك ، وما خصوا به كل واحد منهما وأفراده ، وما ذهبوا إليه من فعل الثانى منهما وهو القمر وما يظهر من تأثيره فى الجزر والمد فى بحر الصين [والهند] والحبش واليمن على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب ، وكذلك فعلهم فى المعادن وأدمغة الحيوان [والبيض] وسائر

(٢) فى ب « منهم أصحاب الأئنين »

(١) فى ب « من القافة »

الجزء الثانى : ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم ٢١٥

النبات ، وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه ، والنقص عند نقصانه ، وما يكون من مجرانات المرضى فى اليوم السابع من العلة ، والرابع عشر والحادى والعشرين [والثامن والعشرين ^(١)] لأن للقمر أربعة أشكال هى أثبت صورته ، فيه شكل التنصيف ، وشكل التمام ، وشكل التنصيف عن ^(٢) التمام ، وشكل الحاق ، ولكل شكل من هذه سبعة أيام ؛ لأنه فى سبع ليالى يتنصف ، وفى الرابعة عشرة يتم ، وفى الحادية والعشرين يتنصف ، وفى الثامنة والعشرين يتمحق ، فكذلك البحرانات ، وعند هذه الطائفة يصح فى السابع والرابع عشر والحادى والعشرين [والثامن والعشرين] ويصح أيضاً فى تنصيفات هذه ؛ إذ كانت هذه الأشكال أثبت أشكال الشئ المنقسم ، وقد خالف هؤلاء خلق [كثير] ممن ذهب إلى غير هذا القول ، وأن ذلك من قبل الأخلاط ، وغير ذلك من الطبائع الأربع ، وغيرها مما قد أتينا على إيضاحه فى كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وفى كتاب « المبادئ والتراكيب » وغير ذلك فى كيفية تأثير الشمس والقمر .

وأما الدلائل على أن السماء على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من كروية السماء الكواكب كدورة الكرة ، وأن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر والأرض على مثال الكرة ، وأن كرة الأرض مثبتة فى وسط السماء كالمركز ^(٣) ، وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغراً ، ووصف الربع المسكون من الأرض ، وما يعرض فيه من دور الفلك ، واختلاف الليل والنهار [ووصف خواص هذا الربع المسكون من الأرض] ووصف المواضع التى تطلع الشمس فيها شهوراً لا تغرب ، وتغرب شهوراً لا تطلع ، فقد أتينا على وصف جميع ذلك ، وما اتضح عليه وانتصب من البراهين ، وما قاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب « أخبار الزمان » وما أوضحنا فيه من هيئة الأفلاك

(٢) فى ب « عند التمام »

(١) زيادة فى ب وحدها

(٣) فى ب « كالكرة »

والسكواكب ، وأن الأرض مع ما وصفنا تدويرها موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في البيضة ، والنسيم جاذب أيضاً لما في أبدان الخلق من الخفة ، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل ؛ إذ كانت الأرض بمنزلة حجر المغناطيس الذى يجذب بطبعه الحديد ، وأن الأرض مقسومة نصفين ، وبينهما خط الاستواء ، وهو [بين] المشرق إلى المغرب [وهذا عندهم هو طول الأرض ؛ لأنه أكبر خط في كرة الأرض] كما أن منطقة البروج أكبر خط في الفلك ، وعرض الأرض من القطب الجنوبي [إلى القطب الشمالى] الذى تدور حوله بنات نعش ، وأن استدارة الأرض في خط الاستواء ست وثلاثون درجة ، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً ، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع ، والذراع اثنان وأربعون أصبعاً ، والأصبع ست حبات [وتسعان]^(١) مصفوفة بعضها إلى بعض ، يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الأرض والبحار ومبادئ الأنهار مقدار الميل والذراع الأسود ، وإنما نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما يسنح لنا ونجده في كتب الناس ؛ فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم ، لا أنا نقطع على صحتهم ؛ إذ كان ما يذهب إليه في مقدار الميل من الأذرع ، والذراع من الأصابع ، هو ما بيناه آتفاً في باب ذكر الأرض والبحار .

وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة ، واستدارتها عرضاً مثل ذلك ، وزعم هؤلاء أن العمارة في الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة ، وأن الباقي قد عمه البحر^(٢) الكبير ، وأن الخلق على [الربع] الشمالى من الأرض ، والربع الجنوبى خراب لشدة الحر فيه ، والنصف الباقي من الأرض لا ساكن فيه ، وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم ، وقد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الأرض والأقاليم السبعة ، وأن عدد

(١) لا توجد هذه الكلمة في (٢) في « قد غمره البحر الكبير »

الجزء الثاني : ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم ٢١٧

المدن عند صاحب^(١) كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة ،
فأما قبلة [أهل] المشرق والمغرب واليمن والجنوبي^(٢) ، فقد ذكرنا جملاً
من ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » .
وقد حرر^(٣) ذلك في كتابه أبو حنيفة الدينوري ، وقد سلب ذلك
ابن قتيبة ونقله إلى كتبه بطلا ، وجعله عن نفسه ، وقد فعل ذلك في كثير
من كتب أبي حنيفة الدينوري . هذا ، وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من
العلم كبير ، ولبطايموس في كتاب المجسطي ، وغيره ممن تقدم ، ثم لمن طرأ
بعد ظهور الإسلام — مثل الكندي ، وابن المنجم^(٤) ، وأحمد بن الطيب ،
وما شاء الله ، وأبي معشر ، والخوارزمي^(٥) ، ومحمد بن كثير القرغاني ،
فيما ذكره في كتابه الفصول^(٦) الثلاثين ، وثابت بن قرّة ، والتبريزي^(٧) ،
ومحمد بن جابر البتاني ، وغير هؤلاء ممن قد عني بعلوم الهيئة — علوم كثيرة
في هذا المعنى ، وإنما ننقل من ذلك إلى هذا الكتاب لمعاً ؛ طلباً للاختصار
والإيجاز ، وبالله التوفيق .

(١) في ا « على عهد صاحب كتاب جغرافيا »

(٢) في ا « والجدى » (٣) في ا « وقد جرد ذلك » محرفاً

(٤) في ا « وبني المنجم » (٥) في ا « وأبي معشر الخوارزمي »

(٦) في ب « في كتابه في الأصول الثلاثين »

(٧) في ب « والسديدي »

ذكر أرباع العالم ، والطبائع

وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب واليمين والجنوبي^(١)
والأهوية ، وغير ذلك من سلطان الكواكب

وما لحق بهذا الباب [واتصل بهذا المعنى]

الطبائع الأربع [قال المسعودي] فأما الطبائع الأربعة : الأرض ، فالنار حارة يابسة [وهي الطبيعة الأولى] والطبيعة الثانية : باردة رطبة ، وهي الماء ، والطبيعة الثالثة : الهواء ، وهو حار رطب ، والطبيعة الرابعة : وهي باردة يابسة ؛ فائتنتان [منها] تذهبان الصَّعْدَاءُ ، وهما : النار ، والهواء ، وائتنتان ترسخان سُفْلًا ، وهما : الأرض ، والماء ، والعالم أربعة أجزاء ؛ فالشرق الربع الأول ، وجميع ما فيه حار رطب [مثل] الهواء والدم ، وهذا الربع^(٢) ريحه الجنوب ، وله من الساعات الأولى والثانية والثالثة ، وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة^(٣) ، ومن المذاقات حظه الحلاوة ، وله من الكواكب : القمر ، والزهرة ، وله من البروج : الحمل ، والثور ، والجوزاء . وللحكاء [في هذا] خطب طويل في وصف هذه الأرباع منها جُمْلَ^(٤) فيما مضى وما يأتي . والغرب : وهو الربع الثاني ، وجميع ما فيه بارد رطب [مثل] الماء والباغم^(٥) ، والشتاء ، ورياحه : الدَّبُورُ ، وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ، وله من المذاقات : المالح ، وما شابه ذلك ، وله من القوى : القوة الدافعة ، وله من الكواكب : المشتري ، وعُطَّارْد ، ومن البروج : الجدي ، والدلو ، والحوت . والجزء الثالث^(٦) : اليمين ، وجميع ما فيه حار يابس [مثل] المِرَّةِ الصفراء . والصيف ، وريحه : الصَّبَا ، وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار . وله من قوى البدن

(١) في ١ « والجدي » (٢) في ١ « والريبع ريحه الجنوب »

(٣) في ١ « وله من قوى البدن القوة الهاضمة »

(٤) في ب « هذه جمل منها ما مضى وما يأتي »

(٥) في ب « رطب الماء واللبن في الشتاء » (٦) في ١ « وهو الربع الثالث »

القوة النفسانية والحيوانية ، وله من المذاقات : المرارة ، وله من الكواكب : المريخ ،
والشمس ، ومن البروج : السرطان ، والسنبلة ، والميزان ^(١) ، والجزء الرابع هو
الجنوبي ، وجميع ما فيه بارد يابس ، مثل الأرض [والمرة السوداء ، والحريف]
[وريجه الشمال] وله من الساعات : السابعة والثامنة والتاسعة ، وله من قوى
البدن القوة الماسكة ، ومن [الطعوم و] المذاقات : العفص ، وله من
الكواكب : زُحل ، وله من البروج : الميزان ، والعقرب ، والقوس ، والأرض
بعد ما وصفناه [تنهاياً] في الهيئة ، وتختلف في التأثير على مقادير الخطوط ،
فإذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ما هو إذا قرب ؛ لموجبات متنافية متغايرة ،
وأفضل المواضع من المسكون ما طرح الشمس ضوء شعاعها إليه ، وإلى الإقليم
الرابع ينتهى عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره ؛ لأن شعاع
الشمس يهبط متساوياً إلى هذا الموضع وهو العراق .

قال المسعودى : والمواضع التي لا تسكن عند هذه الطائفة = مت السكنى علة عدم سكى
لعلتين : إحداهما إفراط الحر وإحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك بعض الأرض
الأرضين [حتى قد] جعلتها كُلسية ^(٢) وأغاضت مياهها لكثرة التنشيف ،
والعلة الأخرى بُعد الشمس عن الإقليم ، وارتفاعها عن حوزته ، فاكثف
تلك الأرضين البرد ، واستولى عليها القهر والجهد ^(٣) ، فزاد إفراط البرد في
الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشف ، فلم تلبث الحرارة في
الأجسام ، ولم تظهر الرطوبة في إنماء الحيوان هنالك ؛ فصارت تلك البلاد
قاعاً صفصفاً من الحيوان والنبات ، وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة
والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع .

ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقصه ^(٤) وعَوْدِهِ جديداً ، وذكروا
أن السلطان في هذا الوقت السنبلة [وهو سبعة آلاف سنة ، وذلك عمر هذا
العالم البشرى ، وقد ساعد السنبلة] المشتري في التدبير ، وأن نهاية العالم في كثرة

(١) في « السرطان والأسد والسنبلة والجدي »

(٢) في ب « جعلتها يابسة » (٣) في ب « والجهد »

(٤) في أ « ونقصه »

قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى ، فإذا استكمل قطع^(١) المسافة التي ذكرها [في الفلك] فهناك يقع النفاذ ويكون الدُّثُورُ بالعالم ، والكواكب إذا كانت ما لها من كَرٍّ ودَوَرٍ عاد التدبير إلى الأول منها ، وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حال^(٢) حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير إليه ، وهكذا عند هؤلاء يجري شأن العالم سرمداً .

مدة سلطان
الكوكب

وزعموا أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف سنة [و سلطان الثور إحدى عشرة ألف سنة ، و سلطان الجوزاء عشرة آلاف سنة ، و سلطان السرطان تسعة آلاف سنة ، و سلطان الأسد ثمانية آلاف سنة ، و سلطان السنبلة سبعة آلاف سنة ، و سلطان الميزان ستة آلاف سنة] و سلطان العقرب خمسة آلاف سنة [و سلطان القوس أربعة آلاف سنة] و سلطان الجدى ثلاثة آلاف سنة ، و سلطان الدلو ألفا سنة [و سلطان الحوت ألف سنة ، لجميع ذلك ثمانية وسبعون ألف سنة] وعند ذلك هو انتضاء العالم ونقض ما فيه ورجوعه إلى كونه .

و تكلم هؤلاء في الجن الذين كانوا في الأرض قبل خلق [الله] آدم واستخلافه في الأرض ، وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية . و تكلم كلا الفريقين في أوج الشمس عند انفصالها إلى البروج الجنوبية وما يحدث في العالم في كون الشمال جنوباً والجنوب شمالاً ، وتحول العامر غامراً والغامر عامراً ، على حسب ما ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » .

وقد ذهب [غير] هؤلاء ممن تقدم من الأوائل [إلى] أن التي وجدها سائر الموجودات كالأول والثواني والثالث على قدر مراتبها [في العقل] النفس والصورة والهيولى ، وأنها المبادئ على حسب ما رتبناه وقدمناه في كتاب « الزلف » فما عدا ما وصفنا فهي الأجسام ، وأجناسها ستة : الجسم السماوي [والجسم الأرضي] والحيوان الناطق ، والحيوان غير الناطق ، والنبات ، والأجسام الحجرية وهي المعدنية ، والأستقصات الأربعة وهي النار والهواء والماء والأرض .:

أجناس
الاجسام

(١) في ب « استكمل وبلغ المسافة » (٢) في ب في حد حركة تأثير الكوكب

وتكلم هؤلاء فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا ؛
إذ كان فيه خروج عن الغرض الميّم فيه ، وقد أتينا على بسط ذلك في .
كتاب « الرؤس السبعية » ، في باب السياسة المدنية ، وعدد أجزائها وعللها
الطبيعية «^(١) وهل ملك تلك المدينة جزء من أجزائها أو من غيرها ؟ وإليه
نهاية أجزائها على حسب ما ذكره فرفوروس^(٢) في كتابه في وصف منازعة
أفلاطون وأرسطاطاليس في ذلك .

فأما علة كون الشتاء بأرض الهند في الحالة التي يكون الصيف بها عندنا ، والحالة
التي يكون فيها عندنا [الشتاء يكون الصيف عندهم]^(٣) فقد ذكرنا علة ذلك ووجه
البرهان عليه ، وأن ذلك للشمس في قربها وبعدها ، وكذلك علة تكون السودان
في بعض البقاع من الأرض دون بعض [وتفائل شعورهم ، وغير ذلك من مشهور
أوصافهم ، وعلة تكون البيضان في بعض البقاع دون بعض] وتفطر ألوان الصقالبة
وشقرتهم وضهوية شعورهم ، وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج أسواقهم^(٤)
ولين عظامهم حتى إن أحدهم ليرى بالتشاب من خلف كرميه من قدام فيصير
وجهه قفاه وقفاه وجهه ؛ ومطاطعة فقارات الظهور لهم على ذلك ، وكون الحجرة
في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الأغلب من كونها وارتفاعها ؛ لغلبة
البرد على أجسامهم ، وقد أتينا بحمد الله على [شرح ذلك ؛ وما انتظم من الدلائل
الدالة على مصداق] ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها .
ولم نتعرض لذلك مالم يصح عندنا في العالم وجوده حساً ولا خبراً قطعاً للمعذول
دافعاً للرّيب ومزبلاً للشك كأخبار العامة في كون النسناس ، وأن وجوههم على
نصف وجوه الناس ؛ وأنهم ذوو أنياب^(٥) ، وقولهم في عنقاء مغرب . وقد زعم
كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس : ناس ، ونسناس ، ونسانس
وهذا محال من القول ؛ لأن النسناس إنما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرّذال

(١) في ب « وملتها الطبيعية » محرراً (٢) في ب « فرفوروس »
(٣) وقع في ب « وقد ذكرنا » والوجه في العربية أن يقول « وقد ذكرنا » وكذلك
وقع في أ (٤) في ب « سيقانهم » (٥) في ب « ذوو ألباب »

وقد قال الحسن : ذهب الناس وبقي النسناس ، وقال الشاعر :
ذهب الناس فاستقلوا ، وصرنا خلفاً في أراذل النسناس
أراد به ما وصفنا : أي ذهب الناس وبقي من لا خير فيه .
وقد ذهب كثير من الناس إلى أن الجن نوعان : أعلامهم وأشدهم الجن ،
[وأخفهم] وأضعفهم الجن ، وأنشد الراجز :
* مختلف نجرهم جن وحن * (١)

الجن
وأنواعها

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ، ولا صح به أثر ،
وإنما ذلك من توهم الأعراب على [حسب] ما بيناه آنفاً .

وقد غلب على كثير من العوام الأخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده
في العالم كالأخبار عن وجود [ه في] الصين وغيرها من الممالك النائية
والأمصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق ، وبعضهم في المغرب ،
فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب ، وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق ،
وكذلك كل صقع من البلاد يُشير سكانه (٢) إلى أن النسناس فيما بعد عنهم
من البلاد ونأى من الديار .

النسناس

وقد روي في ذلك خبر آخر جده من طريق الأحاد أن ذلك في بلاد حضر موت من
[أرض] الشَّحْر ، وهو ما ذكره (٣) عبد الله بن [سعيد بن] كثير بن عفير المصري ،
عن أبيه عن يعقوب بن الحارث بن نجيم (٤) ، عن شبيب بن شيبه بن الحارث
التميمي ، قال : قدمت الشَّحْر فنزلت على رأسها (٥) ، فتذاكرنا النسناس ، فقال :
صيدوا لنا منها ، فلما أن رجعت إليه [مع بعض أعوانه المتهربين] إذ أنا بنسناس
منها ، فقال لي النسناس : أنا بالله وبك ، فقلت لهم : خلوه ، فخلوه ، فلما حضر
الغداء قال : هل اصطدتم منها شيئاً ؟ قالوا : نعم ، ولكن خلاه ضيفك ، قال :

(١) في ب « مختلف سحرهم جن وحن » وليس بشيء أصلاً ، والنجر —

ومثله النجار : الأصل .

(٢) في ب « يسير سلطانه » (٣) في ب « ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير »

(٤) في ب « يعقوب بن محرز بن الحميم » (٥) في أ « على رئيسها »

استعدوا فإننا خارجون في قَنَصِهِ ، فلما خرجنا إلى ذلك في السَّحَرِ ^(١) خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الإنسان وشَعْرَات في ذقنه ، ومثل الثدي في صدره ، ومثل رجلى الإنسان رجلاه ، وقد أَلَطَّ به كلبان ، وهو يقول :

الويل لي مما به دهاني دهري من الهموم والأحزان
قفا قليلا أيها الكلبان واستمعا قولي وصدَّقاني ^(٢)
إنكما حين تجاربانِي أَلقيتاني حضرا عِناني ^(٣)
لولا سُباتِي ما ملكتاني حتى تموتا أو تفارقاني ^(٤)
لست بخوَّار ولا جبان ولا بنكس رَعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن يُذِلُّ ذا القوة والسلطان ^(٥)

قال : فالتقيا به فأخذه ، ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناساً ، فقال زَقَائِل منها : سبحان الله ، ما أشد حمرة دمه ! فذبحوه أيضاً ، فقال نسناس آخر من شجرة : كان يأكل السماق ، قال : فقالوا نسناس آخر خذوه ، فأخذوه وذبحوه ، فقالوا : لو سكت هذا لم يعلم بمكانه ، فقال نسناس من شجرة أخرى : أنا صميت ^(٦) [قالوا : نسناس ، خذوه] فأخذوه [فذبحوه] فقال نسناس من شجرة أخرى : يا لسان احفظ رأسك ، فقالوا : نسناس خذوه ، فأخذوه ، وزعم من روى هذا الخبر أن المهرّة تصطادها [في بلادها] وتأكلها .

قال المسعودي : ووجدت أهل الشَّحْر من بلاد حضرموت وساحلها — وهي الأحساء مدينة على الشاطئ من أرض الأحقاف ، وهي أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الدنيار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرّة — يستطرفون

-
- (١) في ب « فلما خرجنا إلى ذلك السرح » (٢) في ب « أيها الركبان »
(٣) في ا « حين تجاربانِي » وفي ب « حضرا يمانِي » .
(٤) في ا « لو في شباني ما ملكتاني »
(٥) في ا « القدرة والسلطان » (٦) في ا « أنا صميت » .

أخبار النسناس إذا ما حدثوها ، ويتعجبون من وصفه ، ويتوهمون أنه ببعض
 بقاع الأرض مما قد نأى عنهم وبعد ، كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم ،
 وهذا يدل على عدم كونه في العالم ، وإنما ذلك من هوس العامة واختلاطها^(١) ،
 كما وقع لهم في خبر عنقاء مُغْرِب [وهذا يدل على عدم كونه في العالم] ورووا فيه
 حديثاً عزَّوه إلى ابن عباس ، ونحن لم نحِلْ وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك
 مما اتصل به بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق العقل ؛
 فإن ذلك غير ممتنع في القدرة ، ولكن أحاناً ذلك لأن الخبر القاطع للعذر لم يرد
 بصحة وجود ذلك في العالم ، وهذا باب داخل في حيز الممكن الجائز خارج عن
 باب الممتنع والواجب ، ويحتمل هذه الأنواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس
 والعنقاء والعرابد وما اتصل بهذا المعنى أن نكون أنواعا من الحيوان آخر جتها
 الطبيعة من القوة إلى الفعل^(٢) ولم تحكهم ولم يتأت فيه الصُّنْع^(٣) كتأثيره في غيره
 من الحيوان ، فبقى شاذاً فريداً متوحشاً نادراً في العالم طالباً للبقاع النائية من
 البرمابنا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم ؛ للضدية التي فيه لغيره بما
 قد أحكمته الطبيعة ، وعدم المشاكلة والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس
 الحيوان وأنواعه ، على حسب ما قدمنا في باب الفيلان فيما ساف من هذا الكتاب ،
 وفي الإكثار من هذا خروج عن الغرض الذي إليه قصدنا في هذا الكتاب .
 وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الأخبار عمن زعم أن التوكل
 أمر حُتَيْنِ بن إسحاق^(٤) — أو غيره من أهل عصره ممن عني بهذا الشأن من
 الحكماء — أن يتأتى له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة ،
 وأن حُتَيْنًا^(٥) حمل له شيئاً من ذلك ، وقد أتينا على شرح هذا
 الخبر فيمن أرسل إلى اليمامة في حمل العربد وإلى بلاد الشَّحَر في حمل
 النسناس في كتابنا « أخبار الزمان » والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر ،

(١) في ١ « وأخلطها » (٢) في ب « من القدرة إلى الفعل »

(٣) في ب « ولم يتأت فيه الطبع » (٤) في ب « حسين بن إسحاق » محرفاً

وليس لنا في ذلك إلا النقل ، وأن نعزوه إلى راويه ، وهو المقلد بعم ذلك فيما حكاه ورواه ؛ فننظمه على حسب ما يتأتى لنا نظمه في الموضع المستحق له ، والله ولي التوفيق برحمته .

وأما ما ذكره عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسي ، وقد تباينا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي ، وأنه ذكر أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وذكرنا خبره مع النار وإطفائه لها .

فلنذكر الآن خبر العنقاء على حسب ما رووه ، فلا بد من إعادة خبر العنقاء خالد لذكر [نا] العنقاء واتصال^(١) الخبرين ، ونخرج هذه الأخبار كلها عن ابن عفير .

حدث الحسن بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن عبد الله المروزي ، قال : حدثنا أسد بن سعيد بن كثير بن عفير [عن أبيه عن جده كثير ، عن جد أبيه عفير^(٢) عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق طائراً في الزمان الأول من أحسن الطير ، وجعل فيه من كل حسن^(٣) قسطاً ، وخلق وجهه على مثال وجوه الناس ، وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش ، وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه ، وخلق له يدين فيهما مخالب ، وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الأصل ، وجعل له أثنى^(٤) على مثاله ، وسماها بالعنقاء ، وأوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران : إني خلقت طائراً مجيئاً خلقتك ذكر أو أنثى ، وجعلت رزقه في وحش بيت المقدس ، وآنتك بهما ؛ ليكونا مما فضلت به بني إسرائيل ، فلم يزالا يقتاسلان حتى كثر نسلهما ، وأدخل الله موسى وبني إسرائيل في التيه فكثروا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون في التيه وجميع من كان مع موسى من

(١) في ب « واتساع الخبرين » .

(٢) في ب « أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة » ووقع الإسناد

فيها فيما يأتي كما ذكرناه هنا موافقاً لما في أ .

(٣) في ب « من كل جنس » . (٤) في ب « أبناء على مثاله ، وسماها »

(١٥ — مروج الذهب ٢) .

بنى إسرائيل ، وكانوا ستمائة ألف ، وخلفهم نسلهم في التيه ، ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه ، فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز في بلاد قيس عيلان ، ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم إلى أن ظهر نبي من بني عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان ، فشكا إليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان ، فدعا الله عليها [أن يقطع نسلها فقطع الله نسلها]^(١) فبقيت صورتها تحكي في البُسْطِ وغير ذلك .

وقد ذهب جماعة من ذوى الروايات^(٢) إلى أن قول الناس في أمثالهم « عنقاء مُغْرِب » إنما هو للأمر العجيب النادر وقوعه ، وقولهم « جاء فلان بعنقاء مُغْرِب » يريدون أنه جاء بأمر عجيب ، قال شاعرهم :

* وَصَبَّحَهُم بِالْجَيْشِ عَنْقَاءُ مُغْرِب *
وَالْعَنَقَى : السرعة .

خالد بن سنان العيسى قال ابن عباس : وكان خالد بن سنان نبي بني عبس بشر^(٣) برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرته الوفاة قال لقومه : إذا أنا مت فادفوني في حَقْفٍ من هذه الأحقاف ، وهى تلؤلؤ عظام من الرمل ، واحرسوا قبري أياماً ، فإذا رأيتم حماراً أشهب أبتري يدور حول الحَقْف الذى فيه قبري أياماً فاجتمعوا ثم انبشوا قبري وأخرجوني إلى شفير القبر ، وأحضروا إلى كاتباً ومعه ما يكتب فيه حتى أملئ عليكم ما يكون وما يحدث إلى يوم القيامة ، قال : فرصدوا قبره [بعد وفاته ثلاثاً ثم ثلاثاً ثم ثلاثاً ، فإذا الحمار يرعى حول الحَقْف قريباً من قبره]^(١) واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم ، فحضر ولده وشهروا سيوفهم ، وقالوا : والله لا تركنا أحداً ينبشه ، أتريدون أن نغير بذلك غداً وتقول لنا العرب : هؤلاء ولد المنبوش ؟ فانصرفوا عنه وتركوه ، قال ابن عباس : ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت ، وقال لها :

(١) ما بين العقوقين لا يوجد في ب .
(٢) في ب « من ذى الدراية »
(٣) في أ « مبشراً برسول الله » .

« مرحباً بابتة نبي ضيعه أهله » قال شاعر بني عبس :

بني خالد لو أنكم إذ حضرتمُ نبشتم عن الميت المغيب في القبر
لأبقى عليكم آل عبسٍ ذخيرةً من العلم لاتبلى على سالف الدهر
وقد رويت عن ابن عفير أخبار كثيرة في هذا المعنى وأشباهه من فنون
الأخبار من أخبار بني إسرائيل وغيرها .

منها خبر خلق الخليل ، وهو ماحدث به الحسن بن إبراهيم الشعبي القاضي ، خلق الخليل
قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله المروزي قال : حدثنا أبو الحارث أسد
ابن سعيد بن كثير بن عفير ، عن أبيه ، عن جده كثير ، عن [جد] أبيه عفير
قال : قال عكرمة : أخبرني [مولاي] ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله لما أراد أن يخلق الخليل أوحى إلى الريح الجنوبي ^(١) : إني
خالق منك خلقاً [فاجتمع] فاجتمعت ، فأمر جبريل فأخذ منها [قبضة] ثم قال الله :
هذه قبضتي ، قال : ثم خلق الله منها فرساً كميّناً ، ثم قال الله : خلقتك فرساً ،
وجعلتك عربياً ، وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم
تقاد على ظهرك ، والخير معقود بناصيتك ، ثم أرسله ، فصهّل ، فقال الله :
باركت فيك ، بصميلك أروعب المشركين ، وأملاً مسامعهم ، وأزلزل أقدامهم ،
ثم وسمه بغرة وتحميل ، فله خلق الله آدم قال : يا آدم ، أخبرني أي الدابتين أحب
إليك الفرس أو البراق ؟ قال : وصورة البراق على صورة البغل ، لا ذكر
ولأنتي ، فقال آدم : يارب ، اخترت أحسنهما وجهاً . فاختر الفرس ، فقال الله :
يا آدم اخترت عرك وعز ولدك باقياً ما بقوا وخلصوا » قال ابن عباس : فذلك
الوسم فيه وفي ولده إلى يوم القيامة ، يعني الغرة والتحميل

قال السعودي رحمه الله : وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصري في كتابه
الترجم بكتاب « الخلائب والجلائب » وذكره لكل حلبة أجريت فيها الخليل

في الجاهلية والإسلام : أن سليمان بن داود زوّج أناساً من الأزد فرساً يصيدون عليه ، فسمى زاد الراكب ، وكذلك ذكر ابن فريد في كتاب الخيل وغيره .

وللناس في الخيل أخبار [عظيمة] كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف من كتبنا .

[ولولا أن المصنف حاطبٌ ليلٍ لذكره في تصنيفه من كل نوع لما ذكرنا هذه الأخبار ؛ إذ الناس من أهل العلم والدراية في قبول الأخبار على وجوه ^(١) .

[وقد] ذهبت طائفة إلى أن الأخبار التي تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هي أخبار الاستفاضة : مارواه الكافة عن الكافة ، وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله .

الكلام
على الأخبار

وذهب الجمهور من فقهاء الأمصار إلى قبول خبر الاستفاضة ، وهو خبر التواتر ، وأنه يوجب العلم والعمل ، وأوجبوا العمل بخبر الواحد ، وزعموا أنه موجب للعمل دون العلم بأوصاف ذكروها .

ومن الناس من ذهب إلى غير هذه الوجوه في قبول الأخبار من الضرورية وغيرها ^(٢) .

وما ذكرناه من حديث النسب والعتقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ، ولا بالأخبار المضطربة لسامعها إلى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مجيئها ، وهذا النوع من الأخبار قد قدمنا [أنها] في حيز الجائز الممكن الذي ليس بواجب ولا ممتنع ، وهي لإحقة بالإسرائيليات من الأخبار والأخبار عن عجائب البحار . ولولا ما قدمنا آفاقاً من اشترطنا على أنفسنا الاختصار والإيجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الأخبار

(١) وقعت هذه العبارة مختصرة في ب قبل خبر عيسى بن لمية

(٢) في ب « في فنون الأخبار من الضرورة وغيرها » .

مما رواه أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم حملة السنن وثقله الآثار ، مما لا يقنأ كرونه ، ويعرفونه ولا يدفعونه .

أمثلة
من الأخبار

مثل حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني إسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لأهل السفينة وَيَشُوبُ الخمر بالماء ، وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة ، وأن القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدقل ، وهو صارى المركب ويُدْعَى بالعراق الدقل ، فخل الكيس ولم يزل يرمى درهماً إلى الماء ودرهماً إلى السفينة ، حتى قسم ذلك نصفين .

ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة ، وهو خبر تميم الداري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة ، فأضلَّ بهم البحر ^(١) وألقاهم إلى جزيرة [فخرجوا من السفينة إلى الجزيرة] فنظروا إلى دابة عظيمة قد نشرت شعرها ، فقالوا لها : أيتها الدابة ، ما أنت ؟ فقالت : أنا الجَسَّاسة التي أخرج آخر الزمان ، وذكروا عنها كلاماً غير هذا ، وأنها قالت : عليكم بصاحب القصر ، فنظروا فإذا هم [بقصر من حاله ووصفه كذا ، وإذا هم] ^(٢) برجل بالحديد والقيود مُسَلَّس إلى عمود من حديد وصفة وجهه كذا ، وأنه خاطبهم وساء لهم ، وأنه الدجال ، وأنه أخبرهم بحمل من الملاحم ، وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الأخبار في معناه ، وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه .

ثم رجع بنا القول إلى ما كنا فيه آنفاً من ذكر أرباع العالم والطبائع ، عود إلى ذكر
أرباع العالم
والطبائع
وما اتصل بهذا المعنى ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الباب ومبسوطه ، وقد زعم جماعة

(١) في ١ « فاعتل بهم البحر » .

(٢) ما بين هذين المعقوفين ساقط من ١ .

للطعام
انهضامات
ثلاثة

من تقدم وتأخر من الأطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاثة انهضامات : أما الأول فهي المعدة [فإن المعدة] تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ، ثم تدفعه إلى الكبد [ثم يدفعه الكبد] في العروق إلى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر إلى السواق والمشارب ، فتعضه أعضاء الجسد التالية ، فتصيره إلى شبه اللحم لحما والشحم شحما ، وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك وأن أقتارها إذا استوت استوت أقدار القوى [وإذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح بإذن الله تعالى .

فصول السنة
وأثر كل منها

وأن الزمان أربعة فصول : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع ؛ فالصيف يقوى المرة الصفراء ويكثر احتياجها ، والخريف يقوى السوداء ، والشتاء يقوى الباغم ، والربيع يقوى الدم .

ثم ينقسم عمر الإنسان أربعة أقسام : الصبا وفيه يقوى الدم ، والشباب وفيه تقوى المرة الصفراء ، والكهولة وفيها تقوى السوداء ، والشيخوخة وفيها يقوى البلغم .

وأن البلدان أيضاً تنقسم على أربعة^(١) أقسام : للشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة ، وفيه يقوى الدم ، والجنوب^(٢) وطبيعته البرودة واليبس ، وفيه تقوى المرة [السوداء] ، والغرب وطبيعته البرودة والرطوبة وفيه يقوى البلغم ، واليمن وطبيعته الحرارة واليبس ، وفيه تقوى المرة [الصفراء] ، وأن بنية الأصول من الجسد ربما كانت مستوية معتدلة الأخلاط ، وربما كان أحد الأخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته بأعلامه حتى يكون مقوياً لذلك الخلط إذا حاج .

(١) ترك في ب ذكر المغرب فلم يعرض له ، وترك ذكر الشمال أيضاً . ثم ذكر تأثير ريح الجنوب والشمال مقعاً في تضاعيف الكلام ، مما يدعو إلى توهم أنه المتروك ، ويسمى المؤلف الشمال باليمن ، وقد أثبتنا ما في وهو تام .
(٢) في أ « والجدى » .

وقد قال أبقراط : ينبغي أن يكون كل شيء في هذا العالم مقدراً على سبعة أجزاء ، فالنجوم سبعة ، والأقاليم سبعة [والأيام سبعة] وأسنان الناس سبعة : أولها طفل ، ثم صبي إلى أربع عشرة سنة ، ثم غلام إلى إحدى وعشرين سنة ، ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنة ، ثم كهل إلى الأربعين^(١) ، ثم شيخ إلى سبع وأربعين سنة ، ثم هرم إلى آخر العمر .

وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فن الهواء يكون ذلك .
وقد قال الحكيم أبقراط : إن تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس : مرة إلى الغضب ، ومرة إلى السكون ، وإلى الهم والسرور وغير ذلك ، وإذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم .

الهواء وأثره
في الإنسان
والحيوان

وقال : إن قوى النفس تابعة لمزاجات الأبدان ، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرف الهواء : إذا برد مرة وسخن^(٢) أخرى خرج الزرع نضيجاً ومرة غير نضيج ، ومرة قليلاً ومرة كثيراً ، ومرة حاراً ومرة بارداً ، فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم ، وإذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلاً ، فاعتدل بذلك الصور والمزاجات .

فأما علة تشابه صور الترك فإنه لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهت ، وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ، ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ، ولانت أبدانهم ، وتشبهوا بالنساء . في كثير من أخلاقهم ، فضعفت شهوة الجماع فيهم ، وقلّ ولدهم ؛ لبرد مزاجهم ، وللرطوبة الغالبة عليهم ، وقد يكون ضعف الشهوة أيضاً لكثرة ركوب الخيل ، وكذلك نساؤهم : لما سمئت أبدانهم ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع إليها .

الاستدلال
بالأقاليم على
تأثير الهواء

(١) في أ « ثم كهل إلى تسع وأربعين سنة ، ثم شيخ ، ثم هرم » .

(٢) في ب « إذا برد مرة وسكن أخرى » وأثبتنا ما في أ .

وأما حمرة ألوانهم فللبرد كما ذكرنا ؛ لأن البياض إذا ألحبت عليه البرودة صار إلى الحمرة ، ويبان ذلك أن أطراف الأصابع والشفة والأنف إذا أصابها برد شديد احمرّت .

وذكر الحكيم أبقراط أن في بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الأمطار كثيرة النبات والعشب ، وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ، ومياهها عذبة ودوابها عظيمة ، وهي مخصبة ؛ لأن تلك البلاد لم يلحقها حر الشمس ، ولم يلحقها بيس البرد ، فأجسام أهلها عظيمة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ؛ فهم — في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم — يشبهون باعتدال زمان الربيع ، غير أنهم أصحاب دعة لا يحملون الشدائد والكد .

وقال أبقراط في معنى ما وصفنا وما إليه قصدنا ، من بيان الأهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات : إن الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء إلينا ، وإن الرياح تقلب الحيوان من حال إلى حال ، وتصرفه من حر إلى برد ، ومن بيس إلى رطوبة ، ومن سرور إلى حزن ، وكما تغير ما في البيوت من بزر أو غسل أو فضة أو شراب أو سمن فنسخها مرة وتبردها أخرى [وترطبها مرة وتيسها أخرى] ^(١) ، وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، وإذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شيء ، فن تقدم وعرف أحوال الأزمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الأعظم من أسباب العلم وتقدم في حفظ ^(٢) صحة الأبدان .

أثر الجنوب وقال أيضاً : إن الجنوب إذا هبت أذابت الهواء وبردته ، وسخنت البحار والأنهار ، وكل شيء في رطوبة ، وتغير لون كل شيء وحالاته ، وهي ترخي الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث تقلباً في السماع ، وغشاوة في البصر ؛ لأنها تحلل المرة ، وتنزل الرطوبة إلى أصل العصب الذي يكون فيه الحس .

(١) زيادة عن ١ .

(٢) في ب « من أسباب العالم وتقدم في صحة الأبدان » .

وأما الشمال فإنها تصلب^(١) الأبدان، وتصحح الأدمغة ، وتحسن اللون، وتصفى أثر الشمال الحواس ، وتقوى الشهوة والحركة ، غير أنها تمحرك السعال ووجع الصدر.

وقد زعم بعض من تأخر في الإسلام من الحكماء أن الجنوب إذا هبَّ بأرض العراق تغير الورد، وتناثر الورق [وتشقق القنبيط] وسخن الماء، واسترخت الأبدان ، وتكدر الهواء ، قال : وذلك شبه ما قاله أبقراط : إن الصيف أو بئاً من الشتاء ؛ لأنه بسخن الأبدان فيرخيها ويضعف قواها ، وإن أهل العراق يكون الرجل منهم نائمًا في فراشه فيحسُّ بهبوبها ، وإنه إذا هبت الشمال برَدَ الخاتم في إصبعه واتسع لانضمام البدن^(٢) بها ، وإذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق ، واسترخى البدن ، وحدث فيه الكسل ، وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس ، إذا صرف همهته إلى تأمل ذلك ، وكذلك يجده من تأمل ما وصفناه في سائر الأمصار في بقاع الأرض والبلدان ، وإن كان ذلك بالعراق أظهر لعموم الاعتدال .

ثم قال الحكيم أبقراط في معنى ما ذكرناه : إن الرياح العامة أربعة : إحداها الرياح الأربعة تهب من جهة المشرق ، وهى القبول ، والثانية تهب من المغرب ، وهى الدبور ، والثالثة من التيمن ، وهى الجنوب ، والرابعة من التيسر^(٣) ، وهى الشمال . [فأما الرياح التى تهب فى بلد دون بلد فإنها تسمى الرياح البلدية]^(٤).

قال المسعودى : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الأخبار [عن الأرض والبحار ، وكثير من الممالك والبلدان ، وذكرنا فى هذا الباب جوامع من الأخبار] عن الطبائع والأهوية والبلدان وأرباع الأرض من العامر والغامر ، وغير ذلك بما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه وآسقى بحمد الله إيرادها ؛ فرأينا أن نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك ، وما يهبها من البعد والقرب ، على حسب ما حكاها الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة فى هيئة النجوم والفلك :

(١) فى ١ « فإنها تطب الأبدان » . (٢) فى ١ « لأنه يضم البدن بها »

(٣) فى ١ « والرابعة من الجدى » . (٤) لا توجد هذه العبارة فى ب.

مساحات
الممالك وما بينها
من المسافة

زعم الفزاري أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان إلى طنجة
بالمغرب ثلاثة آلاف وسبع مائة فرسخ ، والعرض من باب الأبواب إلى جدة ست مائة
فرسخ ، ومن الباب إلى بغداد ثلثمائة فرسخ ، ومن مكة إلى جدة اثنان وثلاثون ميلاً .
عمل الصين من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ في أحد عشر ألف فرسخ .
عمل الهند في المشرق أحد عشر ألف فرسخ في سبعة آلاف فرسخ .
عمل التبت خمسمائة فرسخ في مائتين وثلاثين فرسخاً .
عمل كابلشاه^(١) أربع مائة فرسخ في ستين فرسخاً .
عمل التفرغز^(٢) بالترك ألف فرسخ في خمسمائة فرسخ .
عمل الترك لخاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ .
[عمل الخزر واللان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ]^(٣)
عمل برجان ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ .
عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربع مائة فرسخ^(٤) وعشرين فرسخاً
عمل الروم [بقسطنطينية خمسة آلاف فرسخ في أربع مائة وعشرين فرسخاً
عمل رومية الروم]^(٥) ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ .
عمل الأندلس لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ [في ثمانين فرسخاً]^(٦) .
عمل إدريس الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخاً .
عمل ساحل سجلماسة لبنى المنتصر أربع مائة فرسخ في ثمانين فرسخاً .
عمل أنبيه ألفان وخمسمائة فرسخ في ست مائة فرسخ .
عمل غانة بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخاً .
عمل ورام مائتا فرسخ في ثمانين فرسخاً .
عمل نخلة مائة فرسخ وعشرون فرسخاً في ستين فرسخاً .
عمل واح ستون فرسخاً في أربعين فرسخاً .

(١) في ب. « ما ينشاه » . (٢) في ب. « البغار » .

(٣) لا توجد هذه العبارة في ب. (٤) في أ. « سبعمائة فرسخ » .

عمل البجة مائتا فرسخ في ثمانين فرسخاً .
 عمل النجاشي ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ .
 عمل الزنج بالمشرق سبعة آلاف وستائة فرسخ في خمسمائة فرسخ .
 [عمل أسطولا لأحمد بن الفتصر أربعمائة فرسخ في مائتين وخمسين
 فرسخاً^(١) .

فذلك الطول اثنان وسبعون ألفاً وأربعمائة وثمانون فرسخاً، والعرض خمسة
 وعشرون ألفاً ومائتان وخمسون فرسخاً .

وأما الكلام في وصف أصول الطب، وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة أصول الطب
 والقياس أم من غيره، ووصف تنازع الناس في ذلك؛ فلم تتعرض لإبراده في هذا
 الباب، وإن كان متعلقاً ومتصلاً بالكلام في الطبائع وجمل المعاني، المذكورة في
 هذا الباب؛ لأن ما قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار الواقف على إيضاح
 جرى بحضرته، وقد حضر مجلسه حنين بن إسحاق وابن ماسويه [وبختيشوع
 وميخائيل]^(١) وغيرهم من الفلاسفة والمتطبيين، فأغنى ذلك عن إبراده في هذا
 الباب، ولولا أن الكتاب يرِدُ على أغراض مختلفة من الناس لما هم عليه من
 اختلاف الطبائع والنباتين في المراد لما ذكرنا بعض ما نورد فيه من أنواع العلوم
 وفنون الأخبار، وقد يالحق الإنسان الملل لقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه
 إلى غيره، فجمعنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوى المعرفة إلى علمه، ولما
 تغافل بنا الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره،
 وقد أتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والإيضاح في كتابنا
 « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط، والله تعالى أعلم.

(١) ما بين المحققين هنا ساقط من ب .

ذكر البيوت للعظمة ، والهيكل المشرفة

وبيوت النيران والأصنام

وذكر الكواكب ، وغير ذلك من عجائب العالم

[قال المسعودي] :

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم ، وأن الملائكة أجسام لها أقدار ، وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء ، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة الباري عز وجل ، وبعضها على صورة الملائكة : مختلفة القلود والأشكال ، ومنها على صورة الإنسان وعلى خلافها من الصور ، يعبدونها ، وقربوا لها القرابين ، ونذروا لها النذور ؛ لشبهها عندهم بالباري وقربها منه ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الأعصار . حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية باطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله ، وأن كل ما يحدث في هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب عن أمر الله ، فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم ، فكثروا على ذلك ذهراً ، فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجوف من السواثر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناماً [وتماثيل على صورها وأشكالها ، فجعلوا لها أصناماً وتماثيل^(١)] بعدد الكواكب الكبار المشهورة ، وكل صنف منهم يعظم كوكباً منها ، ويقرب لها نواع من القربان خلاف ما للآخر ، على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتاً وهيكل مفرداً ، وسماوا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب .

عبادة الهند
وأتخاذهم
الأصنام

عبادتهم
الكواكب
وأتخاذهم
أصناماً لها

(١) ما بين العنقوين شاقط من ا ..

وقد ذهب قوم إلى أن البيت الحرام [هو بيت زُحَلْ، وإنما طال عندهم بقاء هذا البيت] ^(١) على مرور الدهور معظماً في سائر الأعصار لأنه بيت زُحَلْ، وأن زحل تولاه، لأن زحل من شأنه البقاء والثبوت، فما كان له فغير زائل ولا دائر، وعن التعظيم غير حائل، وذكروا أموراً أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها. ولما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقربهم إلى الله، وألقوا عبادة ^(٢) الكواكب، فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بأرض الهند، وكان هندياً [وقد كان بوداسف] خرج من أرض الهند إلى السند، ثم سار إلى بلاد سجستان وبلاد زابلستان، وهي بلاد فيروز بن كبك، ثم دخل السند [ثم] إلى كرمان، فتنبأ وزعم أنه رسول الله، وأنه واسطة بين الله وبين خلقه، وأتى أرض فارس، وذلك في أوائل ملك طهمورث ^(٣) ملك فارس، وقيل: ذلك في ملك جَمٍّ، وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفاً فيما سلف من هذا الكتاب، وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم؛ إذ كان من هنالك بدء النفوس، وإليها يقع الصدر من هذا العالم.

وجد بوداسف عند الناس عبادة الأصنام، والسجود لها، أشبه ذكرها، وقرباً لعقولهم عبادتها بضروب من الخيل والخدم.

وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكهم أن جَمٍّ الملك أول من عظم النار، ودعا الناس إلى تعظيمها، وقال: إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب؛ لأن النور عنده أفضل من الظلمة، وجعل للنور مراتب.

ثم تنازع هؤلاء بعده، فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأسماء ^(٤) تقريباً إلى الله بذلك [ثم تنازعوا برهة من الزمان].

(١) ما بين العقوقين ساقط من ب.

(٢) في ١ « وألقوا عبادة الكواكب ».

(٣) في ب « طيموث » (٤) في ١ « من الأشياء ».

عمرو بن لحي ونشأ عمرو بن لحي فساد قومه بمكة^(١) واستولى على أمر البيت ، ثم سار
إلى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام ، فرأى قوماً يعبدون الأصنام ،
فسألم عنها ، فقالوا : هذه أرباب نتخذها : نستنصر بها فننصر ، ونستسقى بها
فنسقى ، وكل ما نسألم نعطي^(٢) ، فطلب منهم صنماً يدعونه هبل^(٣) ، فسار
به إلى مكة ، ونصبه على الكعبة ومعه إساف ونائلة ، ودعا الناس إلى تعظيمها
وعبادتها ، ففعلوا ذلك ، إلى أن أظهر الله الإسلام وبعث محمداً عليه الصلاة
والسلام ؛ فظهر البلاد ، وأخذ العباد . .

البيت الحرام وقد قال هؤلاء : إن البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على
أسماء الكواكب من النيرين والخمسة .

بيت للمجوس وأصنام بأصبهان وبيت ثان معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس ، وكانت فيه
أصنام ، إلى أن أخرجها منه يستأسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره ،
وذلك على ثلاثة فراسخ من أصبهان ، وهذا البيت معظم عند المجوس^(٤)
إلى هذه الغاية .

بيت بالهند والبيت الثالث يدعى مندوسان^(٥) ببلاد الهند [وهذا البيت تعظمه
الهند] وله قرابين تقرب ، وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والدافعة والمنفرة
من أوصاف لا يسعنا الإخبار عنها ؛ فمن أراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث ،
فإنه بيت مشهور ببلاد الهند .

بيت البرامكة وبلغ اسم القمر ، وكان من بلى ساداته تعظمه الملوك في ذلك الصقع ، وتنقاد إلى أمره
وترجع إلى حكمه ، وتحمل إليه الأموال ، وكانت عليه وقوف ، وكان الموكل ساداته
يدعى البرمك ، وهو سمة عامة لكل [من بلى] ساداته ، ومن أجل ذلك سميت

(١) في ب « فسار بقومه إلى مكة » . (٢) في ب « وكل من سأله يعطي »

(٣) في أ « فدفخوا إليه هبل » . (٤) في ب « عند اليهود » .

(٥) في ب « سندوساب » .

البرامكة ؛ لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت ، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً ، وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاف الحرير الأخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير ، فيقال والله أعلم : إن الريح خطفت يوماً بعض تلك الشقاق ورمته به ، فأصيب على مسافة خمسين فرسخاً ، وقيل : أكثر من تلك المسافة ، وهذا يدل على زيادته فى الجو وتشديد بنيانه ، وكان الحيز^(١) المحيط بهذا البنيان أميالاً لم نذكرها ؛ إذ كان أمر ذلك مشهوراً من وصف علو السور وعرضه .

قال المسعودى : وقد ذكر بعض أهل الرواية والتتقى^(٢) أنه قرأ على [باب] النوبهار يبلغ كتاباً بالفارسية ترجمته « قال بوداسف : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وضرب ، ومال » وإذا تحته بالعربية « كذب بوداسف ، الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من [هذه الثلاث] الخصال أن لا يلزم باب السلطان » .

والبيت الخامس بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء من بلاد اليمن ، وكان غمدان بصنعاء الضحاك بناء^(٣) على اسم الزهرة ، وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ فهو فى وقتنا هذا [— وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة —] خراب قد هدم فصار تلا عظيماً ، وقد كان الوزير على بن عيسى بن الجراح — حين نفى إلى اليمن وصار إلى صنعاء — بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً .

ورأيت غمدان ردماً ونلا عظيماً قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه

(١) فى ب « وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان » .

(٢) فى ا « الدراية والتتقى » .

(٣) فوله « وكان الضحاك بناء » قال المجد : وغمدان كعمان قصر باليمن بهاء ينسرخ بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر . وبني داخله قصرأ بسبعة سقوف بين كل سقوفين أربعون ذراعاً ، وفوله « ينسرخ » هو . لينسرخ بكسر اللام وفتح الياء وسكون الشين

لم يكن ، وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان النازل بها وصاحب مخالفين اليمن في هذا الوقت ، وهو المعظم في اليمن ، أراد أن يبنى غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشيء من ذلك ؛ إذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب يؤثر في صقع [من] هذا العالم تأثيراً عظيماً .

وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت [وقيل : هو أبو الصلت] أمية ، واسمه ربيعة^(١) في مدحه لسيف بن ذي يزن ، وقيل : إن المدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول :

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرتَفَعاً برأس غُمدانَ داراً منكِ مَحَلَّلاً
وكان أبو أمية جاهلياً ، وهو القائل في أصحاب الفيل :
[إن آيات رَبِّنا بيناتٌ ما يُمارى بهنَّ إلا كُفُورٌ]
غلب الفيل بالمُغمَّس حتى ظلَّ يحبُّ كأنه معقور^(٢)
حواله من شباب كِنْدَةَ فتيا ن ملأوا يث في الحروب صُقُور
[واضعاً خلفه الجرار كما قُطِرَ صخرٌ من جانب محدور^(٣)]

(١) هكذا في ١ ، وقد وقع في ب « وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية واسمه ربيعة » وهي عبارة في غاية الفساد ، والذي في سيرة ابن إسحاق « قال ابن إسحاق : قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي . قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت » اهـ ، ولعل أصل عبارة الأصل ههنا : وقد ذكر هذا البيت أمية بن أبي الصلت ، وقيل : أبو أمية بن أبي ربيعة » ولكن أصابها تحريف اللسان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) الغمَّس — كعظم ومحدث — موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم ، قاله المجداه ، ووقع في ١ ، ب « ظل يحبُّ »
(٣) سقط من ١ أول هذه الآيات ورابعها .

الجزء الثاني : ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة ٢٤١

و [قد] قيل : إن ملوك الصين كانوا إذا قعدوا في [أعلى] هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام ^(١) .

والبيت السادس كاوسان ، بناء كاوس ^(٢) الملك بناءً عجيباً على اسم المدبر الأعظم من الأجسام السماوية وهو الشمس ، بمدينة فرغانة من مدائن خراسان ، وخربه المعظم بالله ، ولهدمه هذا البيت خبرٌ طريف قد أتينا على ذكره في كتاب « أخبار الزمان » .

والبيت السابع بأعلى بلاد الصين ، بناء ولد عامور بن سوبل ^(٣) بن يافث بيت بالصين ابن نوح ، وأفرده لعله الأولى ؛ إذ كان منشأ هذا الملك ومبدأه وباعث الأنوار إليه ، وقيل : إنما بناء بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أليات في كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة [كوكب] من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة إلى تأثير تلك الكواكب ، من ياقوت [أو عقيق] أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ، ولهم في هذا الهيكل سِرٌّ يسرونه في بلاد الصين ، بما قد رُحِّفَ لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ، ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الأحسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه ، وما يحدث فيه من الحركات والأفعال عند تحرك الأجسام السماوية ؛ [وقد قرب ذلك إلى عقولهم : بأن جعل لهم مثالا من الشاهد يدل على ما غاب عنهم من فعل الأجسام السماوية] ^(٤) في هذا العالم ، وهو خشب الديباج الذي ينسج به ؛ فبضرب من حركات الصانع بذلك الخشب والخيوط الإبريسم تحدث ضروب من الحركات ، فإذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج

(١) في ١ « رُئِيَ ذلك على مسيرة أيام كثيرة » .

(٢) في ب « كارشان شاه ، بناء كارش الملك » .

(٣) في ب « عابور بن بعويل » .

(٤) ما بين العقوفين ساقط من ب . وفيها في مكانه « وهو على حسب الذي

نسج فيه ينصب من حركات الطبايع بتلك الخشب » .

للثوب الديباج تمت الصورة فيه ؛ فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر ،
وبآخر رأسه ، وبآخر رجلاه ؛ فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب
مراد الصانع لها ؛ فجعلوا هذا المثال وانصال الإبريسم بآلة النسيج وما يحدثه
الصانع في ذلك من الأفعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية ، وهي
الأجسام السماوية ، فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر [وبضرب آخر
بيضه] وبضرب آخر فرخ ، وكذلك سائر ما يحدث في العالم ، ويسكن ويتحرك
ويوجد ويعدم ، ويتصل وينفصل ، ويجتمع ويفترق ، ويزيد وينقص ، من جماد
أو نبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق ، فإنما يحدث عن حركات الكواكب
على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع ، وأهل صناعة النجوم
لا يتناكرون أن يقولوا : أعطته الزهرة كذا ، وأعطاه المرنج كذا ، كالشجرة
وصهوبة الشعر [وأعطاه زحل خفة العارضين وجحوظ العينين] وأعطاه
عطارد دقة الصنعة ، وأعطاه المشتري الحياء والعلم والدين ، وأعطته الشمس
كذا ، وأعطاه القمر كذا ، وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب
الناس فيه ، وما قالوه في بابه .

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين

البيوت المضاف بناؤها إلى مَنْ سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت :

فبيت سبأ كان بأنطاكية من أرض الشام ، على جبل بها داخل المدينة ، بيت أنطاكية والسور محيط بها^(١) ، وقد جعل المسلمون في موضعه مَرَقَبًا لِيُنْذِرَهُمْ مَنْ قَدَرْتُبَ فيه من الرجال بالروم إذا وردوا من البر والبحر ، وكانوا يعظمونه ، ويقربون فيه القرابين ؛ فخرّب عند مجيء الإسلام ، وقد قيل : إن قسطنطين الأكبر بن هيلاني^(٢) الملكة المظهرة لدين النصرانية هو الخرب لهذا البيت ، وكانت فيه الأصنام والتمائيل من الذهب [والفضة] وأنواع الجواهر ، وقد قيل : إن هذا البيت هو بيت بمدينة أنطاكية على يَسْرَةِ الجامع اليوم ، وكان هيكلاء عظيماً ، والصابئة تزعم أن الذي بناه سقلايوس^(٣) ، وهو في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — [سوق] يعرف بسوق الجزارين^(٤) ، وقد كان ثابت بن قرة بن كرائي^(٥) الصابئ الحرائي — حين وافى المعتضد بالله في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم — أتى هذا الهيكل وعَظَّمَهُ ، وأخبر من شأنه ما وصفنا .

والبيت الثاني من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الأهرام التي ببلاد الأهرام بمصر مصر وهو يرى من القُسطاط على أميال منها .

والبيت الثالث هو بيت المقدس ، على ما زعم القوم ، و [أهل] الشريعة بيت المقدس إنما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه ، والجوس تزعم

(١) في أ « والسور محيط به » . (٢) في ب « بن هيلانة » .

(٣) في ب « سقلايوس » .

(٤) في أ « يعرف بسوق الحرائين الزرادين » .

(٥) في ب « بن كرابا » .

أن الذي بناء الضحاك ، وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ،
ويقعد فيه ملك عظيم ، وذلك عند ظهور سوين^(١) على بقرة من صفتها كذا ،
ومعه من الناس كذا من العدد ، وأفاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى ،
واختلاط طويل نزه كتابتا عن ذكره ، والله تعالى ولي التوفيق .

ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم

بيت قرطاجنة [كانت] البيوت العظمة عند أوائل الروم قبل ظهور [دين] النصرانية
بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة — وهي تونس — من وراء بلاد
القيروان ، وهي من أرض الإفرنجية ، ونى على اسم الزهره بأنواع من الرخام .
بيت بإفرنجية والبيت الثانى بإفرنجية ، وهو بيت عظيم عندهم .
بيت مقدونية والبيت الثالث [عندهم] بمقدونية^(٢) ، [وأمر . مشهور في التنبيد ،
وما كان من خبره بمقدونية] ، وقد أنينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف
من كتبنا ، والله تعالى أعلم .

(١) في ب « عند ظهور موسى » . (٢) في ب « ب بمقدونية » وسقط منها
ما وضعناه بين المعقوفين بعد ذلك ، وهو ثابت في أ .

ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة

كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها : منها بيت كان لهم في^(١) الجبل البيت الأول الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالبة ، وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه ، وترتيب [أنواع] أحجاره ، واختلاف ألوانه^(٢) ، والخاريق المصنوعة له ، [فيه على أعلاه ، وما من مطلع الشمس في تلك الخاريق المصنوعة] وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبل ، وما تنذّر به تلك^(٣) الجواهر من الأحداث قبل كونها ، وظهور أصوات من أعاليه لهم ، وما كان بلحقهم عند سماع ذلك .

وبيت. اتخذ بعض ملوكهم على الجبل الأسود ، تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع ، وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد^(٤) انحنى على نفسه ، وهو شيخ بيده عصا يحرك به عظام الموتى من النواويس ، وتحت رجله اليمنى صور أنواع من الثمل ، وتحت الأخرى غرايب سود من صور الغداف^(٥) وغيرها ، وصور عجيبة لأنواع من الأحايش والزنج .

وبيت آخر على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بني بأحجار المرجان الأحمر ، وأحجار الزمرد الأخضر ، في وسطه قبة عظيمة ، تحتها صنم [عظيم] أعضاؤه من جواهر أربعة: زمرد أخضر^(٦) ، ويافوت أحمر ، وعقيق أصفر ،

(١) في ب « كان لهم في هذا الجبل » .

(٢) في ا « واختلاف ألوانها » (٣) في ب « وماتدل به تلك الجواهر »

(٤) في ا « رجل قد اتخذ على هيئة شيخ بيده عصا » .

(٥) الغداف — كغراب — غراب القيط . والنسر الكثير الريش ، جمعه

غدافان ، اه قاله المجد .

(٦) في ا « زبرجد أخضر » .

وبلور أبيض ، ورأسه من الذهب الأحمر ، وبإزائه صنم آخر على صورة جارية ، وكان يقرب له^(١) قرايين ودخن ، وكان ينسب هذا البيت إلى حكيم كان لهم في قديم الزمان ، وقد أتينا على خبره ، وما كان من أمره بأرض الصقالبة ، وما أحدث فيهم من الدكوك^(٢) والحيل والخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قُلُوبَهُمْ وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم ، فيما سلف من كتبنا ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) كذا ، ولعل الأصل « كأنها تقرب له القرايين » .

(٢) هكذا في ١ ، ووقع في ب « من الديول والحيل » .

ذكر البيوت المعظمة، والهياكل المشرفة^(١)

للصائبة وغيرها [وغير ذلك] مما لحق بهذا الباب
[واتصل بهذا المعنى] .

للصائبة من الحرانيين هياكل على أسماء الجواهر العقلية والكواكب؛ فمن هياكل العقل ذلك هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل ، وما أدرى أشاروا إلى العقل الأول أم الثاني ، وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الأول الفعّال ، والعقل الثاني، وذكر ذلك تامس طيس^(٢) في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق ، وقد ذكر العقل الأول والثاني الإسكندر الأفرودوسي^(٣) في مقالة أفرداها في ذلك قد ترجمها إسحاق بن حنين .

ومن هياكل الصائبة هيكل السلسلة^(٤) ، وهيكل الصورة ، وهيكل النفس ، وهذه مَدَوَّرَات الشكل ، وهيكل زُحَل سدس ، وهيكل المشتري مثلث ، وهيكل المريخ [مربع] مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل عطارد مثلث الشكل ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع مستطيل ، وهيكل القمر مئمن الشكل [وللصائبة فيما ذكرنا رموز وأسرار يخفونها] .

وقد حكى رجل من ملكية النصارى من أهل حرّان يعرف بالحارث بن سنباط^(٥) للصائبة الحرانيين أشياء ذكرها من قرايين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل والذي بقي من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — بيت لهم بمدينة حرّان في باب الرقة يعرف بمغليزيا^(٦) ، وهو هيكل آزر أبي إبراهيم الخليل عليه السلام عندهم ، وللقوم في آزر وابنه إبراهيم كلام كثير

(١) في ب « ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة » .

(٢) في ب « معيطوس » . (٣) في ب « والإفرودوس »

(٤) في ب « هيكل السنبلة » . (٥) في ب « بالحارث بن سنبساط »

(٦) في ب « يعرف بمصليتنا » .

ليس كتابنا هذا موضعاً له ، ولا بن عيشون^(١) الحراني القاضي — وكان ذا فهمٍ ومعرفة ، وتوفي بعد الثلاثمائة — قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرائين المعروفين بالصابئة ، ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراذيب الأربعة المتخذة لأنواع صور الأصنام التي جعلت مثالا للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الأشخاص العلوية ، وأسرار هذه الأصنام ، وكيفية إيرادهم لأطفالهم إلى هذه السراذيب وعرضهم لهم على هذه الأصنام ، وما يُحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة إلى الصفرة وغيرها لما يسمعون [من] ظهور أنواع الأصوات وفنون اللغات من تلك الأصنام والأشخاص ، يحيل قد اتخذت ومانايف قد عملت : تقف السدنة من وراء جذر فتكلم بأنواع من الكلام ، فنجري الأصوات في تلك المنايف والمحاريق والمنافذ إلى تلك الصور المحوفة. والأصنام المشخصة ، فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان ، فيصطادون به العقول ، وتسترق بها الرقاب ، ويقام بها الملك والمالك^(٢)] وما ذكر في هذه القصيدة قوله :

إن نفيس العجائب بيت لهم في سرادب
تعبد فيه الكواكب أصنامهم خلف غائب

ولهذه الطائفة المعروفة بالحرائين والصابئة فلاسفة ، إلا أنهم من حشوية الفلاسفة ، وعوامهم مبينون لخواص حكمائهم^(٣) [في مذاهبهم ، وإنما أضفناهم إلى الفلاسفة] إضافة سبب لا إضافة حكمة ، لأنهم يونانية ، وليس كل اليونانيين فلاسفة ، إنما الفلاسفة حكماءهم .

ورأيت على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوباً [على مدقة الباب] بالسريانية قولاً لأفلاطون فسرّه مالك بن عقوب^(٤) [وغيره] منهم وهو « من عرف ذاته تأله » وقد قال أفلاطون « الإنسان نبات سماوي ، والدليل على هذا

(١) في ب « ولا بن عيشون » (٢) لا يوجد هذا الكلام في ا

(٣) في ب « مضافون لخواص حكمائهم إضافة سبب » وسقط منها ما بين المعقوفين

(٤) في ب « مالك بن عقوب » .

الجزء الثانى : ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة للصابئة ٢٤٩

أنه شبيه بشجرة منكوسة أصلها إلى السماء وفروعها في الأرض «ولأفلاطون وغيره ممن سلك طريقه في النفس الناطقة [كلام كثير في هل النفس في البدن أو البدن في النفس ، كالشمس أهي في الدار أو الدار في الشمس ، وهذا قول يتغافل بنا الكلام فيه إلى الكلام في تنقل الأرواح في أنواع الصور .

القول في تنقل
الأرواح

وقد تنازع أهل هذه الآراء من قصد هذه المقالة في النقلة على وجهين ، فطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند — ممن لم يثبت كلاماً من زلا ولا نبياً مرسلانهم أفلاطون ومن يمم طريقهم — حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم ، وأنها حية عالة مميزة لأجل ذاتها وجوهرها ، وأنها هي المدبرة للأجسام المركبة من طبائع الأرض المتضادة ، وغرضها في ذلك أن تقيمها^(١) على العدل وماتم به السياسة المستقيمة والنظام المتسق^(٢) وتردّها من الحركة المضطربة إلى المنتظمة .

وزعموا أنها تلد وتأم وتموت ، وموتها عندها انتقالها من جسم إلى جسد بتدبير ، وبطلان ذلك الشخص الذي فسد ووصف بالموت ، لأن شخصها يفسد ، ولأن جوهرها ينتقل .

وزعموا أنها عالة بذاتها وجوهرها [عالة بالمعقولات من ذاتها وجوهرها] وفيها قبول علم الحسوسات من جهة الحس .

ولأفلاطون وغيره في هذه المعاني كلام يطول ذكره ، ويمجزعن وصفه وإظهاره لاعتياصه وغموضه ، وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر ، لأن الطالب لعلم هذه الأشياء والإحاطة بنهمها وبإغنائها لا يدرك ذلك إلا نصوباً من الكتب ، ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية إلى معرفة [علومهم وأغراضهم التي إليها قصدوا في كتبهم وهي معرفة] الألفاظ الخمس ، وهي :

(١) في ب « تقيمها مقام العدل » .

(٢) في ب « والنظام غير الفسد » .

المقولات الجنس ، والفصل ، والنوع ، والخاصة ، والعرض ، ثم معرفة المقولات ، وهي عشرة : الجوهر ، والكمية ، والكيفية ، والإضافة — وهي النسبة — وهذه أربع بسائط ، والست الآخر مركبات ، وهي : الزمان ، والمكان ، والجدّة — وهي الملك — والوضع ، والفاعل ، والمنفعل ، ثم ما بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب إلى أن ينتهي إلى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الأول والثاني .

عود إلى الكلام
عن الصابئة

ثم رجع بنا الإخبار عن مذاهب الصابئة من الحرانيين ، وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم .

فمن ذلك كتاب رأيته لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب كتاب « المنصوري » في الطب وغيره ، ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم ، دون من خالفهم من الصابئة ، وهم الكياريون ^(١) ، وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها ، أعرضنا عن حكايتها ، إذ كان في ذلك خروج عن حد الغرض من كتابنا إلى وصف الآراء والديانات .

وقد خاطبت مالك بن عقوب ^(٢) وغيره منهم بشيء مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا ، فمنهم من اعترف ببعضه ، وأنكر بعضاً من ذكر القرابين وغيره [من الآراء] ، مثل فعلهم بالثور الأسود ، فإنه يضرب وجهه بالملح إذا شدت عيناه ثم يذبح ، وبرأى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم ^(٣) وأحوال قراينهم .

قال للسعودي : وقد ذكر جماعة — ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن أخباره — أن بأقصى بلاد الصين هيكلاً مدوراً له سبعة أبواب ، في داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك ، في أعلى القبة شبه الجوهر [ة] يزيد

(١) في ب ٢ وهم الكياريون .

(٢) في ب « وقد خاطب مالك بن عقوب » .

(٣) في ١ « وعجبتهم » .

الجزء الثاني : ذكر البيوت المعظمة والهيكل المشرفة للصابئة ٢٥١

على رأس العجل تضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل ، وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يَدْنُ أحد منها على مقدار عشرة أذرع [إلّاخر] ميتاً وإن حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها واتهت إلى هذا المقدار من الذرع^(١) انعكست وعطلت ، وإن رميت بشيء كان كذلك ، فليس شيء من الحيل يؤدي إلى تناولها [بوجه] ولا بسبب ، وإن تعرض لشيء من هذه الهيكل مات من يروم ذلك [وهذا عند جماعة] من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت من أنواع الأحجار المغناطيسية ، وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الإنسان على رأس البئر إكباباً متمكناً تهوّر في البئر فصار في أسفلها^(٢) على أم رأسه ، وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم المسند^(٣) « هذه بئر تؤدي إلى مخزن الكنب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه ، وتؤدي هذه البئر أيضاً إلى خزان رغائب هذا العالم ، لا يعمل إلى الوصول إليها والاقتباس منها إلا من وازت قدرته قدرتنا ، واتصل علمه بعلمنا ، وصارت حكته حكمتنا ، فمن قدر على الوصول إلى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ، ومن عجز عن الوصول إلى ما وصفنا فليعلم أننا أشد منه بأساً ، وأقوى حكمة ، وأكثر علماً ، وأثقب^(٤) دراية ، وأتم عناية » ، والأرض التي عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الأرض كالجلبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتآنى نقب ماتحته ، فإذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرأي عند رؤيته ذلك جَزَعٌ وحزن واجتذاب للقلب إليه وحنين على إفساده وتأسف على إفساد شيء منه أو هدمه ، والله أعلم بذلك .

(١) في « من الأذرع » . (٢) في « وصار في قرارها » .

(٣) في ب « أراه بقلم الهند سند » .

(٤) في ب « وأنت دراية »

ذكر الأخبار عن بيوت النيران ، وغيرها

رأىهم في النار والنور
فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الأولى والثانية فأول ما يحكى ذلك عنه أفريدون الملك ، وذلك أنه وجد نارا أعظمها أهلها ، وهم معتكفون على عبادتها ، فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها ، فأخبروه [بأشياء اجتذبت نفسه إلى عبادتها ، و] أنها واسطة بين الله وبين خلقه ، وأنها من جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها^(١) ، وذلك أنهم جعلوا للنور مراتب ، وفرقوا بين طبع النار والنور ، وأن الحيوان يجذب فيحرق نفسه كالقراش الطائر بالليل ، فما لطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها ، وغير ذلك مما يقع في صيد الليالي من الغزلان والطيور والوحوش ، وكظهور الحيتان من الماء إذا قربت من السراج في الزوارق ، كما يصطاد ببلاد البصرة السمك في الليل يظهر من الماء طافياً حتى يقع في جوف المركب والشرج قد جعلت حواريه ، وأن النور صلاح هذا العالم ، وشرف النار على الظلمة ومضادته لها ، ومرتبة الماء وزيادته على النار بإطفائه ومضادته لها وأنه أصل لكل حي ومبدأ لكل نام

أما كن بيوت النيران
فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها إلى خراسان ، فاتخذ لها بيتاً بطوس [واتخذ بيتاً آخر بمدينة بخارا يقال له برد سورة] وبني آخر من بيوت النار بسجستان يقال له كراكر كان اتخذ به من بن إسفنديار بن يستأسف ، وبيت آخر ببلاد الشيز والران^(٢) ، وكان فيه أصنام فأخرجها أنوشروان ، وقيل : إن أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها إلى الموضع المعروف بالبركة ، وبيت آخر للنار يقال له كوسجة بناء كيخسر والملك ، وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدري من بناء يقال له جريش^(٣) ، ويقال : إن الإسكندر لما غلب عليها تركها ولم يقطعها .

(١) في ١ « لاعتماضها » .

(٢) في ١ « السيروان والرى »

(٣) في ب « حريس » .

الجزء الثاني : ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها ٢٥٣

ويقال : إنه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيب البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فأخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ، ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار ، وبيت آخر [يسمى كنجده] بناه سیاوخس ^(١) ابن كاوس الجبار ، وذلك في زمان لبته بمشرق الصين بمائلي البركند ^(٢) ، وبيت نار بمدينة أرجان من أرض فارس اتخذ في أيام بهراسف .

وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن أسبيان ^(٣) نبي المجوس ، ثم اتخذ زرادشت بن أسبيان بعد ذلك بيوت النيران ، وكان مما اتخذت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان ، وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس ، وقد كان زرادشت أمر يستأسف الملك أن يطلب ناراً كان يعظمها جم الملك ، فطابت فوجدت بمدينة خوارزم ، فنقلها بعد ذلك يستأسف إلى مدينة درابجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت ، وهذه النار تسمى في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — آزر جوى ^(٤) ، وتفسير ذلك نار النهر ، وذلك أن آزر أحد أسماء النار [وجوى أحد أسماء النهر] بالفارسية الأولى ، والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت .

وذكرت الفرس أن كين خسرو لما خرج غازيا إلى الترك سار إلى خوارزم ، فمر على تلك النار ، فلما وجدها عظمها وسجد لها ، ويقال : إن أنوشروان هو الذي نقلها إلى الكاريان ، فلما ظهر الإسلام تخوفت المجوس أن يطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكاريان ، ونقلوا بعضها إلى نسا والبيضاء من كورة فارس ؛ تبقى إحداها إن طفت الأخرى .

وللفرس بيت نار ياصطخر فارس تعظمه المجوس ، وكان في قديم الزمان فأخرجه حماية بنت بهمن بن اسفنديار وجعلنه بيت خمار ، ثم نقلت عنه النار

(١) في ب « بناء فارس بن كاوش الجبار » .

(٢) في ب « بمائلي البركة » (٣) في ب « زرادشت بن استيجان » .

(٤) في ب « آزر وحواء » .

بيت ياصطخر

المؤلف يصف بيتاً رآه بإصطخر
فتخرب ، والناس في وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود، وبه يعرف وقد دخلته، وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر، فرأيت بنياناً عجيباً، وهيكلًا عظيمًا، وأساطين صخر عجبية، على أعلاها صور من الصخر طريفة من الخيل وغيرها من الحيوان عظيمة القدر والأشكال، محيط بذلك حيز عظيم وسور منيع من الحجر، وفيه صور لأشخاص قد تشكلت وأتقنت صورها، يزعم من جاوز هذا الموضع أنها صور الأنبياء، وهو في سفح جبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل في ليل ولا نهار، ولها هبوب ودويٌّ، يذكر من هنالك [من المسلمين] أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح في ذلك الموضع، وأنه كان يتغذى ببعلبك من أرض الشام، ويتعشى في هذا المسجد، وينزل بينهما بمدينة ندمر وملعبها^(١) المنخذ فيها، ومدينة تدمر في البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها إلى الشام نحو خمسة أيام أو ستة، وهي بنيان عجيب من الحجر، وكذلك الملعب الذي فيها، وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان.

بيت بسابور وفي مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم، اتخذ دارا ابن دارا .

بيت بجور وفي مدينة جور من أرض فارس - وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري وإليه يضاف بيت للنار، بناه أردشير بن بابك، وقد رأيت، وهو على ساعة منها على عين هناك عجبية، وله عيد، وهو أحد منزهات فارس، وفي وسط مدينة جور بنيان كان تعظمه الفرس يقال له الطربال^(٢) أخربه المسلمون، وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ، وبها يعمل ماء الورد الكواري وإليها يضاف، وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل في العالم، لصحة التربة^(٣)

(١) في ب « وقلعتها المتخذة فيها » ويؤيد ما أثبتناه العبارة التي بعد ذلك بقيل

(٢) في ب « البرمال » .

(٣) في ب « لصحة البرية »

الجزء الثاني : ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها ٢٥٥

وصفاء الهواء ، وفي ألوان سكان هذه البلاد حمرة في بياض ليست لغيرهم من أهل الأمصار ، ومن كوار إلى مدينة شيراز — وهي قصبه فارس — عشرة فراسخ ، ولجور وكوار وشيراز وغيرها من كور فارس أخبار ، ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دوتها الفرس ، وكذلك ما كان بأرض فارس من الموضع المعروف بماء النار ، وقد بنى عليه هيكل .

وكان كورش الملك — حين ولد المسيح عليه السلام — بعث ثلاثة أنفس : دفعهم إلى أحدهم صرة من لبان ، وإلى آخر صرة من سر ، وإلى آخر صرة من تبر ، وسيرهم يهتدون بنجم وصنفهم ، فساروا حتى انتهوا إلى السيد المسيح وأمه [مريم] بأرض الشام ، والنصارى تغلو في قصة هؤلاء النفر ، وهذا الخبر موجود في الإنجيل ، وإن هذا الملك كورش نظر إلى نجم قد طلع بمولد المسيح عيسى ، فكانوا إذا ساروا سار معهم ذلك النجم ، وإذا وقفوا وقف بوقوفهم ، وقد أتينا في كتابنا «أخبار الزمان» على شرح هذا الخبر ، وما قالت فيه الجوس والنصارى ، وخبر الرغفان التي دفعتها إليهم مريم ، وما كان من الرسل وجعلهم الخبز تحت الصخرة وغوصها في الأرض ، وذلك بفارس ، وكيف حفر عليها إلى الماء^(١) وأنها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الأرض تتقدان ، وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر وقد كان أردشير بنى بيتا آخر يقال له بارنو^(٢) ، وفي اليوم الثاني من غلبته على بيوت أخرى

فارس^(٣) ، وبيت نار على خليج القسطنطينية [من بلاد الروم ، بناء سابور بن أردشير بن بابك — وهو سابور الجنود — حين نزل على هذا الخليج ، وحاصر القسطنطينية] في عساكره ، فلم يزل هذا البيت هنالك إلى خلافة المهدي ، فغرب وله خبر عجيب ، وكان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية ، وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الأمم ، فسمى سابور الجنود ؛ لكثرة من تبعه من الجنود .

(١) في « وكيف حصر عليها الماء » . (٢) في ب « يقال له باربو »

(٣) في ب « من غلبة فارس » .

وقد كان سابور لما سار إلى بلاد الجزيرة^(١) عدك عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر، وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسيطرون^(٢) ملك السريانيين في رستاق يقال له أياجر^(٣) من بلاد الموصل، وقد ذكرته الشعراء؛ لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه لهذا الحصن المعروف بالحضر، فمن ذكره منهم أبو دؤاد^(٤) جارية بن حجاج الإيادي بقوله :

حصن الحضر

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمناً للدواهي ذا ثراء وجوهر مكنون

وقد قيل: إن النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بن اسيطرون [يقال: هو النعمان ابن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن الساطرون بن اسيطرون] والساطرون واسيطرون هذه ألقاب، وهم ملوك ملكوا على السريانيين.

قوله في نسب
النعمان
ابن المنذر

ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفناهم الدهر الضيزن بن جبلة، وجبلة أمة^(٥) [وهو الضيزن بن معاوية ملكا على قومه من تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة] وهو الضيزن ابن معاوية بن العبيد^(٦) بن حرام بن سعد بن [سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة]، وكان كثير الجنود، مهادنا للروم، متحيزا إليهم، يغير رجالة على العراق والسواد، وكان في نفس سابور عليهم ذلك، فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن، فأقام سابور عليه شهراً لا يجد سبيلاً إلى فتحه، ولا يتأتى له حيلة في دخوله، فنظرت النصيرة بنت الضيزن يوماً وقد أشرفت من الحصن

(١) في ب « إلى بلاد الحيرة » (٢) في ب « للساطرون بن اسيطرون »
(٣) في ب « يقال له أياجر » (٤) في أ « أبو داود بن خزان بن حجاج الإيادي » وفي ب « أبو داود بن حارثة بن حجاج الإيادي » وكلاهما تحريف ما أثبتناه
مواقعاً لما في معجم الشعراء، والبيت الأول منسوب في البلدان إلى عدي بن زيد
(٥) كذا، والذي في معجم ياقوت (٣ : ٢٩٠) « الضيزن بن جلهم أحد الأحلاف » وفيه أنه الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الاحرام بن عمرو بن النخع ابن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة (٦) في أ « معاوية بن العتيك »

الجزء الثاني : ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها ٢٥٧

إلى سابور فهو يته وأعجبها جماله ، وكان من أجمل الناس وأمدّهم قامه ، فأرسلت إليه : إن أنت ضمنت لي أن تزوجني وتفضاني على نسائك دلتك على فتح هذا الحصن ، فضمن لها ذلك ، فأرسلت إليه : أنت الثرثار ^(١) — وهو نهر في أعلاه — فأنثر فيه تبناً ثم اتبعه فانظر أين يدخل فأدخل الرجال منه ، فإن ذلك المكان يُقَصَّى إلى الحصن . فعَل ذلك سابور ، فلم يشعر أهل الحصن إلا وأصحاب سابور معهم في الحصن ، وقد عمدت النضيرة فسقت أباهما [الخر] حتى أسكرته طمعاً في تزويج سابور بإياهما ، وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه ، وعركس [سابور] بالنضيرة بنت الضيزن فباتت مُسَهَّدة ، فقال لها سابور : مالك لاتنامين ؟ قالت : إن جنبي يتجافى عن فراشك ، قال : ولم فوالله ما نامت الملوك ^(٢) على ألبين منه وأوطأ وإن حشوه لمزغب النعام ؟!! فلما أصبح سابور نظر فإذا ورقة آسن بين عكفها ^(٣) ، فتناولها فكاد بطنها أن يدمى ، فقال لها : ويحك !! بم كان أبواك يغذيانك ؟ فقالت : بالزبد والمخ ^(٤) والثلج والشهد وصفوا الخمر ، فقال لها سابور : إني لجديران لا أستبقيك بعد إهلاك أبويك وقومك ، وكانت حالتك عندهم الحالة التي تصفين ، فأمر بها فربطت بغداً رها إلى فرسين جموحين ^(٥) ، ثم خلى سبيلهما فقطعاهما ؛ ففي هذا [الملك] المقتول ومن كان معه [في الحصن] يقول حرى ابن الدهماء ^(٦) العبسي :

ألم يحزنك والأنباء تنمى بما لاقت سراًه بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبني أبيه وأحلاف الكتائب من يزيد ^(٧)

(١) في ب « البربار » . (٢) في ا « ما باتت الملوك » .

(٣) في ا « بين كتفها » . (٤) في ب « والمخ والصح » .

(٥) في ا « فرسين حصانين » .

(٦) كذا في ا ، وفي ب « جدى بن الدهمى » وفي ياقوت « الجدى بن الدهمات » .

(٧) في ا « وأحلاف الكتائب من يزيد » .

أَتَاهُمْ بِالْفَيْوُولِ مَجَلَّاتٍ وَبِالْأَبْطَالِ سَابُورَ الْجُنُودِ
 [فَهْدَمَ مِنْ بَرْوَجِ الْحَصَنِ صَخْرًا كَانَ بِنَاءَهُ زُبْرُ الْحَدِيدِ] ^(١)
 وَفِي قَتْلِ سَابُورَ لِلنَّضِيرَةِ بِنْتِ الضَّيْزَنِ وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْغَدْرِ بِأَيِّهَا
 وَفَوْمَهَا وَإِرْشَادَ سَابُورَ إِلَى دُخُولِ الْحَصَنِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ :
 وَالْحَضَرَ صَبَّتْ عَلَيْهِ دَاهِيَةٌ مِنْ قَصْرِهِ قَدْ أَبَدَّ سَاكِنَهَا ^(٢)
 رَيْبَةً لَمْ تُوقِّ وَالِدَاهَا لَحِينَهَا إِذْ أَضَاعَ رَاقِبَهَا
 وَأَسْلَمَتْ أَهْلَهَا لِلَيْتِهَا تَنْظُرُ أَنَّ الرَّئِيسَ خَاطِبَهَا
 وَكَانَ حَظَّ الْعُرُوسِ إِذْ جَسَرَ الصَّبْحَ دِمَاءَ تَجْرَى سَبَائِبُهَا
 وَالشَّعْرُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ كَثِيرٌ .

جملة من بيوت
النار

وَبَارِضُ الْعِرَاقِ بَيْتَ النَّارِ بِالْقَرَبِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، بِنْتُهُ بَوْرَانُ بِنْتُ
 كَسْرَى أَبْرُوزِ الْمَلِكَةِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِأَسْتِنْيَا ^(٣) .
 وَبِوَيْتِ النِّيرَانِ كَثِيرَةٌ مِمَّا بَنَتْهُ الْمَجُوسُ بِالْعِرَاقِ وَأَرْضُ فَارَسَ وَكِرْمَانَ
 وَسَجِسْتَانَ وَخِرَاسَانَ وَطَبْرِسْتَانَ وَالْجِبَالَ وَأَذَرْبَيْجَانَ وَالرَّانَ ، وَفِي الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ
 وَالصِّينِ ، أَعْرَضْنَاعِنْ ذِكْرَهَا ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا مَا اشْتَهَرَ مِنْهَا .

بيت بعل

وَالْهِيَ كُلُّ الْمَعْظَمَةِ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرَةٌ : مِثْلُ بَيْتِ بَعْلٍ ، وَهُوَ
 الصُّنْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ؟)
 وَهُوَ بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكٍ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ مِنْ كُورَةِ سَنِيرَ ، وَقَدْ كَانَتِ الْيُونَانِيَّةُ اخْتَارَتْ
 لِهَذَا الْهَيْكَلِ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ جَبَلِ لُبْنَانَ وَجَبَلِ سَنِيرَ ^(٤) فَاتَّخَذَتْهُ مَوْضِعًا
 لِلْأَصْنَامِ ، وَهِيَ بَيْنَتَانِ عَظِيمَانِ أَحَدُهُمَا أَقْدَمُ مِنَ الْآخَرِ ، فَيَهْمَانِ مِنَ النُّقُوشِ الْعَجِيبَةِ الْمَحْفُورَةِ

(١) لا يوجد هذا البيت في ا

(٢) كذا في ب . وفي ا « من قعره آبدت منا كبها » وفي سيرة ابن إسحاق
 « من فوق أيد منا كبها » وفي ياقوت « شديدة أيد منا كبها » .

(٣) في ب « بأسييا » .

(٤) في ب « من حسان وجبل نست فأحدثنه » .

الجزء الثاني : ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها ٢٥٩

في الحجر الذي لا يتأتى حفر مثله في الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما، وطول أساطينهما، ووسع فتحهما، وعجيب بنيانهما، وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء .

وهيكل عظيم البنيان^(١) في مدينة دمشق، وهو المعروف بجيرون، وقد جيرون بدمشق ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن سعد^(٢) العادي، ونقل إليه عمد الرخام، وأنه إرم ذات العماد المذكورة في القرآن، إلا ما ذكر^(٣) عن كعب الأخبار حين دخل على معاوية بن أبي سفيان وسأله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يديه له جملان فيخرج في طلبهما فيقع إليهما، وذكر حلية الرجل، ثم التفت في مجاس معاوية فقال: هذا هو الرجل، وكان الأعرابي قد دخلها يطلب ما ندَّ من إبله؛ فأجاز معاوية كعباً، وتبين صدق مقالته وإيضاح برهانه، فإن كان هذا الخبر عن كعب حقاً في هذه المدينة فهو حسن، وهو خبر بدخله الفساد من جهات من النقل وغيره، وهو من صنعة القصاص .

وقد تنازع الناس في هذه المدينة، وأين هي؟ ولم يصح عند كثير من الأخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين [فيها، إلا خبر عبيد بن شريّة وإخباره بإياه عما ساف من الأيام]^(٤) وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الأنساب، وكتاب عبيد بن شريّة متداول في أيدي الناس مشهور .

ولهذا ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للولوك بروايتها، وصال على^(٥) أهل عصره

(١) في ١ « عظيم الشأن » (٢) في ب « أسعد العادي »

(٣) في ب « لا ما ذكر عن كعب » (٤) زيادة في ١ وحدها

(٥) في ١ « وحال على أهل عصره »

بحفظها والمذاكرة بها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من
الفارسية والهندية والرومية ، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة ،
وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية [ألف خرافة ، وخرافة بالفارسية] ^(٤) يقال لها
أفسانة ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف لياقولية ، وهو خبر الملك والوزير
وابنته وجاريتهما وهاشيزاد ^(٢) وديننا زاد ، ومثل كتاب فرزة وسياس ^(٣) وما فيه
من أخبار ملوك الهند والوزراء ، ومثل كتاب السندباد ، وغيرهما من الكتب
في هذا المعنى .

كتاب
ألف ليلية ويلية

وقد كان مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلاً عظيماً فيه التماثيل والأصنام
على رأس منارته تماثيل منصوبة ، وقد كان بنى على اسم المشتري وطالع سعد ، ثم ظهرت
النصرانية فجعلته كنيسة ، وظهر الإسلام [فجعل مسجداً] وأحكم بناءه الوليد بن
عبد الملك ، والصوامع منه لم تغير ، وهي متأثر الأذان إلى هذا الوقت .
وقد كان بدمشق أيضاً بناء عجيب يقال له البريص ^(٤) ، وهو مبقى إلى هذا
الوقت في وسطها ، وكان يجري فيه الخمر في قديم الزمان ، وقد ذكرته الشعراء في
مدحها لملوك غسان من مأرب وغيرهم .

أصل مسجد
دمشق

البريص
بدمشق

وهيكل أنطاكية يعرف بالديماس ، على يمين مسجد الجوامع ، مبنى بالآجر
العادى والحجر ، عظيم البناء ، وفي كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب
من أبوابه ومن أعاليه ^(٥) في بعض الأهلة الصيفية ، وقد ذكر أن هذا الديماس
من بناء الفرس حين ملكت أنطاكية ، وأنه بيت نار لها .

الديماس
بأنطاكية

قال المسعودي : وقد ذكر أبو معشر النجم في كتابه المترجم بـ « كتاب
الألوف » الهياكل والبنان العظيم الذى يحدث بناؤه في العالم في كل ألف عام ،
وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبي معشر في كتابه « المنتخب من كتاب

(١) زيادة عن واحدتها (٢) في ب « ودائتها شيرزاد ورما زاد »

(٣) في ب « وزره وشماش » (٤) في ب « البريص » محرفاً

(٥) في أ « أبوابه العالية في بعض الأهلة الصيفية » .

الجزء الثاني : ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها ٢٦١

الألوف» وقد ذكر غيرهما من تقدم عصرهما وعن باخر عنهما كثير آمن البنيان
والعجائب في الأرض، وقد أعرضنا عن ذكرها، وذكر السد الأعظم — وهو سد
بعض عجائب الدنيا
يأجوج ومأجوج — وقد تنازع الناس في كيفية بنائه كتنازعهم في إرم ذات العماد
على ما ذكرنا آنفاً، وكيفية بناء الأهرام الذي بأرض مصر وما عليهما من الكتابة
المرسومة ، وما بصعيد مصر من البرابي المصنوعة ، وبغير أرض الصعيد من بلاد
مصر ، وأخبار مدينة العقاب ، وما ذكر الناس فيها، وكونها في وها مصر وأنها
في جهة الواحات مما يلي المغرب والحبشة ، وخبر العمود الذي ينزل منه الماء في
فصل من السنة بأرض عاد ، وأخبار النمل الذي على قدر الذئاب والكلاب، وقصة
أرض الذهب التي حذاء سجلماسة من أرض المغرب ، ومن هنالك من وراء
النهر العظيم ، ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم ، وتركهم المتاع ،
وغدو الناس إلى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركت إلى جنب كل متاع
من تلك الأمتعة ، فإن شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع ، وإن شاء
أخذ متاعه وترك الذهب ، وإن أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع ، وهذا مشهور
بأرض المغرب بسجلماسة ، ومنها يحمل التجار الأمتعة إلى ساحل هذا النهر ، وهو
نهر عظيم واسع الماء ، وكذلك بأقاصى خراسان مما يلي بلاد الترك من أقاصى ديارهم
أمة تتبايع على [مثل] هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة ، وهم هنالك على
نهر عظيم أيضاً ، وخبر البئر المعلقة والقصر المشيد ، وذاك ببلاد الشجر من بلاد
الأحقاف بين اليمن وحضر موت ، والبئر وما فيها من الخرق^(١) واتصالها بالقرى
والقضاء من أعلاها [وأسفلها] وما قاله الناس في تأويل هذه الآية فيها ، وهل
المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أم غيره ؟ وأخبار مخاليف اليمن ، وهي
القلاع والحصون كقلعة نخل وغيرها ، وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوتها
من عجيب الهياكل والكنائس ، والعمود الذي عليه السودانية من النحاس

(١) في ب « وما فيها من الحرف »

وما يحنل إليهما من الزيتون في أيامه بالشام وغيره ، ويحمل ذلك الطائر^(١) المعروف بالسودانية في محالبه ومنقاره ؛ فيطرحونه في تلك^(٢) السودانية النحاس ، فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك ، على حسب ما ذكرنا في أخبار الطلسمات عن بلينوس^(٣) وغيره في كتابنا «أخبار الزمان» ثم أخبار البيوت السبعة التي ببلاد الأندلس وخبر مدينة الصُفْر وقبة الرصاص التي بمفاوز الأندلس، وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتبذر الوصول إليها ، ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان في نزوله عايبها ، وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها ، وإخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة ، وخبر المدينة التي أسوارها من البُفْر على ساحل البحر الحبشي في أطراف مفاوز الهند، وما كان من أخبار ملوك الهند وعدم وصولهم إليها ، وما يجري من وادي الرمل نحوها ، وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للأصنام التي على صورة البدرة المتقدم ظهورها في قديم الزمان بأرض الهند ، وخبر الهيكل المعظم الذي ببلاد الهند المعروف بالأدرى^(٤) ، وهذا عند الهند يُقصد من البلدان الشاسعة ، وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوارٍ لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند، وخبر الهيكل الذي فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند ، وخبر سندان كسرى ببلاد قماسين من أعمال الدينور من ماء الكوفة ، وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وبدائع ما فيه من الخلق [من الحيوان] وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ما خص به كل بلد [من أنواع الفواكه دون غيره من البلدان ، في الإسلام وغيره من الممالك ، وما بان به أهل كل بلد] من اللباس والأخلاق دون غيرهم ، وما انفردوا به من أنواع الأغذية والمأكول والمشرب والشيم ، ومجائب كل بلد ، وذكرنا

(١) في ب « ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير »

(٢) في ب « فيطرحه على السودانية النحاس » .

(٣) في ب « مالىعاس » (٤) في ب « المعروف ببلاد الرى »

الجزء الثاني : ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها ٢٦٣

أخبار البحار وما قيل في اتصال بعضها ببعض وتغاغل مياهها، وما يحدث في كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجواهر دون غيره من البحار، كتكون المرجان ببحر المغرب، وعدمه من غيره، ووجود اللؤلؤ في البحر الحبشي دون غيره.

وقد كان بعض من ملك من الروم^(١) حفر بين القلزم وبحر الروم طريقاً فلم يحاولات قديمة يتأت له ذلك؛ لارتفاع القلزم، وانخفاض بحر الروم، وأن الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزاً على حسب ما أخبر في كتابه، والموضع الذي حفره ببحر القلزم يعرف بذهب التمساح على ميل من مدينة القلزم، عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر، وأجرى خليجاً من هذا البحر إلى موضع يعرف بالهامة ضيعة لمحمد بن علي الماذراني^(٢) من أرض مصر في هذا الوقت—وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة—فلم يتأت له اتصال [ما] بين بحر الروم وبحر القلزم.

وحفر خليجاً آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما، ويعرف هذا الخليج بالبربر والخبية^(٣)، واستمر الماء في هذا الخليج من بحر الروم [وبحيرة تنيس إلى موضع يعرف بنعمان حتى اتصل بنحو بلاد الهامة، فكانت المراكب تدخل من بحر الروم] إلى نحو من هذه القرية، ومن بحر القلزم في خليج ذنب التمساح فيقتابع أرباب المراكب، ويقرب حمل ما في كل بحر إلى آخر، ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور، وملأته السواقي من الرمل وغيره.

وقد رام الرشيد أن يوصل بين هذين البحرين مما يلي النيل من أعلى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقصى صعيد مصر؛ فلم تتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلي بلاد القفرَ نحو بلاد تنيس، على أن يكون مصب بحر القلزم إلى البحر الرومي، فقال يحيى بن خالد: ينحطف^(٤) الروم الناس من

(١) في ١ « بعض من ملك من ملوك العالم » .

(٢) في ب « صنعه محمد بن علي الجرائي »

(٣) في ب « بالزبير والحسة »

(٤) في ١ « ينحطف الروم الناس »

لوصل بحر
الروم بالبحر
الأحمر

المسجد الحرام والطواف ، وذلك أن سراكبهم تنتهي من بحر الروم إلى بحر
الحجاز ، فتطرح سراياها مما يلي جدة ، فيخطف الناس من المسجد الحرام
ومكة والمدينة على ما ذكرنا ، فامتنع من ذلك .

وقد حكى عن عمرو بن العاص — حين كان بمصر — أنه رام ذلك ؛
فمنعه منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك لما وصفنا من فعل الروم
وسراياهم ، وذلك في حال ما افتتحها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ، وآثار الحفر بين هذين البحرين — فيما ذكرنا من
المواضع والخلاجان — [بينة] على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلباً
لعمارة الأرض ، وخصب البلاد ، وعيش الناس بالأقوات ، وأن يحمل إلى
كل بلد ما ليس فيه من الأقوات وغيرها من ضرور المنافع وضرور^(٢)
المرافق ، والله تعالى أعلم .

ذكر جامع التاريخ

من بدء العالم إلى [مولد] رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما لحق بهذا الباب

بعض قول
الطبيين

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس في بدء العالم ، ممن أثبت حدوثه ونفاه ، وما جرت الآراء بهم في جهات شتى ، وقد أخبرنا أنهم طوائف [الهند] وفرق من اليونانيين ، ومن وافقهم على القول بالقدم من الفلكيين والطبيين ، وما أورده الفلكية من قولها : إن الحركة الصانعة للأشخاص المحلّة فيها الأرواح متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدأت منها ، حتى تنتهي إليها راجعة ، ثم تنفصل عنها — أعادت كل ما بدأت به أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله ؛ إذ كانت العلة والسبب اللذان بوجودهما توجد الأشياء قد وجدّا عودا كالجدا بدءا ، فوجب ظهور الأشياء متى عادت إلى المبدأ الذي كان عنه الصّدر ، ثم ماتعقب هذا القول من قول الطبيعيين : إن علة كون الأشياء الجسمانية والفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها ؛ لأن الطبيعة عندهم تحركت في بدوها واختلطت فأظهر الحيوان والنبات وسائر الموجودات في العالم ، وجعلت لها أصلا من التناسل ، لما عجزت عن تبقية الأشخاص وعدلت إلى النسل ، وإن الطبائع تنتقل من مركب إلى بسيط ، ومن بسيط إلى مركب ، حتى إذا أدى المركب كنهه ما فيه عادت الأشياء إلى البسيط إلى ، وابتدأ الكون [مارا] على طريقه ؛ لأن الذي أوجبه أولا قد وجد ، فحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده ، فظهر ذلك الظهور ، كالنبات في الربيع ، وتحرك قوته تحت الثرى ، وذلك أن الشمس تبلغ في الربيع إلى رأس الحمل ، بإدئة في شرفها ،

آخذة في ممرها ، وهي العلة الكبرى في إحياء النبات ^(١) ويأخذ الثمر في الظهور ^(٢) من الشجر بادئاً كما كان ظاهراً بالمثل الأول الذي قد باد في الشتاء ويسه وبرده ؛ لأن علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس ، فإذا انتقلت الأشياء من الحرارة والرطوبة إلى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد ، فإذا انتهى بها الفساد إلى غايته وأوصلها إلى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس إلى رأس الحل ، فبدأ بها كعادته في إنشائها ، وأبرزها من خساسة الفساد إلى نفاسة الكون ، ولو كانت الحواس تضبط شأن الأجسام وتحيط بانتقالها من حال إلى حال لشاهدت ممرها في دائرة الزمان ، مبتدئة من رتبة ، راجعة إليها ، مشكلة في محيط الدائرة بأشكال توافق بعضها ، والشكول مختلفة باختلاف العلل ، متفرقة كاختلاف الأسباب ، وفي هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول بالقدم وأبان عنه .

دليل على حدوث العالم وقضية الفحص توجب أن الأشياء الموجودة غير خالية من إحدى المنزلتين : إما أن يكون بدء وانتهاء ، وإما أن يكون بلا بدء ولا انتهاء ، فإن [كان] بلا بدء ولا انتهاء فواجب أن تكون أجزاءها وأبعاضها غير متناهية ، وواجب أن يكون الزمان غير عاذاً لها ولا حاصر لجميعها ، وقد وجدنا التناهي والابتداء في أجزائها وأبعاضها على الدوام ، وأناني كل يوم جديد نعاين خلقاً جديداً ، وصوراً في العالم لم تكن وصوراً بادية قد كانت متائلة ، وفي هذا ما يدل على حصر الأشياء ووقوعها في غاية انتهاء صورها ، وواجب أن الأشياء بدءاً وانتهاء ، وبطل وهم المتوهم أن الأشياء بلا نهاية ؛ وأن ليس لها ابتداء ولا غاية ، وذلك باطل ومحال فاسد ، ولو وجب أن تكون الأشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ، ولا يتحول عن رتبته ، ولبطلت الاستحالة ، وسقطت المضادة ، وهذا

(١) في ب « في الإحياء »

(٢) في ب « وما حدث من الثمر والزهور في الشجر »

(٣) في ب « وإما أن يكون بدءاً ولا انتهاء »

مستحيل ، [ولو] وجب أن تكون الأشياء على غير نهاية ، لما كان لقولنا اليوم وأمس وغداً معنى ؛ لأن هذه الأزمان تعد ما هو بالنهاية ، ويوجد في حوزتها إيجاد مالم يكن وإدخالها في حوزتها ما هو كائن .

وفى ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعاني ، ودل على حدوث الأجسام ، وهذه الدلالة مأخوذة من الحس ، ومستظهرة^(١) للعقول والبحث .

وإذ قد وضع أن الأشياء مُحدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد لها من محدث الحدث للعالم هو بخلافها لاشكل له ولا مثل ؛ لأن العقل لا يقيم لشيء مثلاً حتى يعلم له قدرًا ووزناً ، ويعادله بمثله وشكله ، وتعالى جل وعز من لا تُعبّر عن ذاته اللغات ، وتعجز العقول أن تحصره بالصفات ، وتدركه بالإشارات ، أو يكون ذا غايات ونهايات . قال المبعودي : فلنرجع الآن إلى الكلام في حصر تاريخ العالم [ووصف أقاويل الطوائف في ذلك المعنى ؛ لأننا إنما ذكرنا الكلام في حديث العالم] لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته ، وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب .

وأما اليهود فإنهم زعموا أن عمر الدنيا ستة^(٢) آلاف سنة وأخذوا في ذلك عمر الدنيا مأخذاً شرعياً ، وذهبت النصارى إلى أن عمر العالم ما ذهبت إليه اليهود ، وأما الصابئة من الحارثيين والكمباريين^(٣) فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين ، وأما الجوس فإنهم ذهبوا في ذلك إلى حد غير^(٤) معلوم من نفاذ قوة الهرمند وكيده ، وهو الشيطان ، ومنهم من ذهب في ذلك إلى نحو ما ذهب إليه أصحاب الاثنين في المزاج والخلاص^(٥) ، وأن العالم سيعود بدءاً متخلصاً من الشرور والآفات .

وزعمت الجوس أن من وقت زرادشت بن أسبيان نبهم إلى الإسكندر مائتين وثمانين^(٦) سنة ، وملك الإسكندر ست سنين ، ومن ملك الإسكندر

(١) في « ومضطرة في العقل والبحث » (٢) في ب « سبعة آلاف سنة »

(٣) في ب « والكتابين » (٤) في ب « إلى حد معلوم »

(٥) في ب « أصحاب الأنيس والجلال » (٦) في « مائتان وثمانون وخمسون سنة »

إلى ملك أردشير خمسمائة [سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك أردشير إلى
الهجرة خمسمائة]^(١) سنة وأربع وستون سنة ؛ فذلك من هبوط آدم إلى هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة :
منها من هبوط آدم عليه السلام إلى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون
سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون
سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر
موسى بن عمران — وهو وقت خروجه ببني إسرائيل ، من مصر إلى
التيه — خمسمائة وخمس وستون سنة ، ومن خروجهم إلى سنة أربع من
ملك سليمان بن داود — عليه السلام ! — وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت
المقدس — ستائة وست وثلاثون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك
الإسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح
ثلاثمائة سنة وتسع وستون سنة ، ومن مولد المسيح إلى مولد النبي صلى الله
عليه وسلم خمسمائة سنة وإحدى وعشرون سنة ، وبين أن رفع الله المسيح ،
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة
[سنة]^(١) وست وأربعون سنة ، وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله
عليه وسلم خمسمائة سنة [وأربع وتسعون سنة ، وكانت وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم
في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من [سني] ذى القرنين ، ومن داود
إلى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وستان وستة أشهر وعشرة
أيام ، ومن إبراهيم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون
سنة وستة أشهر وعشرة أيام]^(٢) [ومن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة
آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام]^(٣) فعلى هذا القول جميع
جملة التاريخ من هبوط آدم إلى الأرض إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ما بين العقوفين ساقط من ب .

(٢) ما بين هذين العقوفين ساقط من أ .

أربعة آلاف سنة [وثمانمائة سنة]^(١) وإحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، فجعل التاريخ من هبوط آدم إلى الأرض إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مضر — خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة .

وقد ذكرنا جملاً من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم . وللجوس في النوارخ أقاصيص يطول ذكرها ، وعود الملوك إليهم وإلى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ، ومن قال منهم ببقائه ، وأن لا بدء له ولا نهاية ، ومن ذهب منهم إلى أن له انتهاء ولا بدء له^(٢) ، وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن الإعادة في هذا الكتاب ؛ لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب .

وقد ذهب جماعة من أهل البحث والنظر من أهل الإسلام [إلى] أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن ، وأن الحدث له الخلق الباري جل وعز ، أحدثه لا من شيء ، ويبعثه لا من شيء في الآخرة^(٣) ليصح بذلك وعده ووعيده ؛ إذ كان الصادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته ، وأن أول العالم من لدن آدم ، وقد غاب عنا حصر السنين وإحصاء أوها ، وتنازع الناس في بدء التاريخ ، والكتاب لم يخبر بمحصر أوفاته ولا بين عن كيفية ولا أعداد سنه فيما مضى ، وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ، ولا تحصره أقضية العقول وموجبات المحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحسوساتها ، فكيف توجب^(٤) أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة ، والله عز وجل يقول ، وقد ذكر الأجيال ومن ضمه الهلاك : (وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً) والله تعالى ذكره لا يقول

(١) لا توجد هذه الكلمة في ب

(٢) في ١ « ومن ذهب منهم إلى أن له بدء ولا انتهاء له »

(٣) في ١ « وفيه لما شاء من الآخرة » (٤) في ١ « فكيف يجوز أن يوقت الخ »

رأى أهل
النظر من
المسلمين

الكثير إلا في الشيء الحقيقي الكثير ، وأعلننا في كتابه خلقه آدم ، وما كان من أمره وأمر الأنبياء بعده ، وأخبر عن شأن بدء الخلق ، ولم يخبرنا بمقدار ذلك فننف عليه كوقوفنا عندما أخبرنا به ، ولا سيما مع علمنا أن للمدى^(١) بيننا وبينه متفاوت ، وأن الأرض كثرت بها المدن والملوك والعجائب ، فلا يحصر مالم يحصره الله عز وجل ، ولا نقبل من اليهود ما أوردته ؛ لنطق القرآن أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتُمون الحق وهم يعلمون ، ونفهم النبوات^(٢) وَجَحَدُهم ما أتوا به من الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدَي عيسى بن مريم من المعجزات ، وعلى يدَي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات ، والله عز وجل يخبرنا بما أهلك من الأمم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم ، قال الله عز وجل : (الحاقة وما الحاقة ؟ وما أدراك ما الحاقة ؟ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) إلى قوله : (فهل ترى لهم من باقية ؟) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كذب النسابون » وأمر أن ينسب إلى معد^(٣) ، ونهى أن يتجاوز بالنسب إلى ما فوق ذلك ؛ لعلمه بما مضى من الأعصار الخالية والأمم الفانية ، ولولا أن النفوس إلى الطارف أحسن ، وبالنواذر أشف ، وإلى قصار الأحاديث أميل وبها أكلف ، لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم نذكره في هذا الكتاب ، ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحاً بالقول دون الإيضاح والشرح ؛ إذ كان مُعَوَّلنا

(١) في ب « أن البدء »

(٢) في ا « ودفعهم النبوات »

(٣) المؤلف ذكر معداً ، وإنما هو عدنان ، نجا ذكر في كثير من مصنفات التاريخ والحديث ، والإجماع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوز

في جميع ذلك على ما سَأَفَ من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وإذا علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد^(١) أعان على السلامة من كل تحوُّفٍ .
وقد ذكرنا في هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب - على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والإيجاز - لمعاً سيعرفها^(٢) من تأمل ، وينبه بها مَنْ رآها .

وإذا قد ذكرنا جوامع ما يحتاج المبتدئ والمتنهي من علوم العالم وأخباره؛ فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده ، ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، وأيام الخلفاء والملوك : عصرراً فعصرراً ، إلى وقتنا هذا ، ولم نعرض في كتابنا هذا لكثير من الأخبار ، بل لَوَحْنَا بالقول بها تحوُّفاً من الإطالة ووقوع الملل ؛ إذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية^(٣) على ما ليس في طاقتها ، ويسوم النفس ما ليس في حيلتها^(٤) ، وإنما الألفاظ على قدر المعاني فكثيرها [كثيرها] ، وقليلها لقليلها ، وهذا باب كبير ، وبعضه ينوب عن بعض ، والجزء منه يوهك الكل ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) في أ « حقيقة القصد » .

(٢) في أ « يشعر فيها من تأملها وتنبيه عليها من رآها » .

(٣) في أ « أن يحمل لسانه ما ليس في طاقتها » محرفاً

(٤) في ب « ما ليس في حيلتها »

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

تقديم قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم^(١) وأخبار الأنبياء والملوك ، وعجائب البر والبحر ، وجوامع التاريخ لارس والروم والقبط ، وشهور الروم والقبط ، وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبعثه ، ومن آمن به قبل رسالته ، وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة ، فلنذكر الآن مولده ؛ إذ كان الطاهر المطهر الأغمر^(٢) الأزهر ، الذي اتسعت أعلام نبوته ، وتواترت دلائل رسالته ، ونطقت الشهادات^(٣) له قبل بعثته .

نسبه الشريف وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن ناخور بن سود بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح ، وهو آزر بن ناخور بن ساروخ بن أرعواء بن فالغ بن عابر بن شالح بن إرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام^(٤) .

هذا ما في نسخة ابن هشام في كتاب المغازي والسير عن ابن إسحاق ، والنسخ مختلفة الأسماء في النسب من نزار .

(١) في « في خلق العالم » - (٢) في « الأعز الأزهر »

(٣) في ب « ونطقت له السموات قبل بعثته »

(٤) الأسماء من بعد عدنان فيها اختلاف كثير في العدة والضبط ، وانظر سيرة

ابن هشام أول الجزء الأول

الجزء الثاني : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ٢٧٣

وفي نسخة أن نزارا ابنُ معد بن عدنان بن أدد بن سام بن يشجب بن
عرب بن الهميسع بن صانوع بن يامد بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح
ابن ناخور بن أرعواء بن أسروح بن فالغ بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح
ابن متوشلخ بن أخنوخ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

الخلاف في
نسب معد
ابن عدنان

وفي رواية ابن الأعرابي عن هشام بن محمد الكلبي : هو نزار بن معد
ابن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبت بن سلامان بن قيذر بن إسماعيل بن
إبراهيم الخليل بن تارح بن ناخور بن أرعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن
إرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل
ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .

وفي التوراة أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة ؛ فيجب
والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد ملك -- وهو أبو نوح النبي عليه
السلام -- ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة^(١) ، وشيث ابن سبعمائة وأربع
وأربعين سنة ؛ فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام
كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم — على حسب ما ذكرنا من نهيه —
أن يتجاوز عن معد ؛ فقد ثبت أن تتوقف في النسب على [معد ، وقد
اختلف أهل النسب على] ما ذكرنا ، فالواجب الوقف عند أمره عليه
السلام ونهيه .

قال المسعودي : وقد وجدت نسب [معد] بن عدنان في السُّفَرِ الذي أثبتته
باروخ بن ناريا^(٢) كاتب أرميا^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم أن معداً ابنُ عدنان

(١) في ١ « وأربع وسبعين سنة » (٢) في ب « تاروح بن باريا »

(٣) في ب « كاتب أمر النبي » تحريف

ابن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن برو بن متساويل بن أبي العوام
ابن ناسل بن حرا بن يلدارم بن بدلان بن كالح بن فاجم بن فاخور بن ماعى
ابن عسقى بن عفف بن عبيد بن الرعاء بن حمران بن يسن بن همرى بن بحرى
ابن يلخى بن أرعوا بن عنفاء بن حسان بن عيسى بن أقتاد بن إيهام بن معصر
ابن ناجب بن رزاح بن سمأى بن مر بن عوص بن عوام بن قيدير بن إسماعيل
ابن إبراهيم الخليل عليه السلام^(١)

وقد كان لأرمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها ، وما كان من
أمرها بالشام ، وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا ، وإنما ذكرنا هذا
النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس في ذلك .
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد ؛ لعله من تباعد الأنساب
وكثرة الآراء في طول هذه المدة والأعصار .

كنية الرسول وكنيته صلى الله عليه وسلم : أبو القاسم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لله مَنّ قد برّاً صفوةً وصفوة الخلق بنو هاشم^(٢)

وصفوة الصفوة من هاشم محمد النور أبو القاسم

أسماءه وهو محمد ، وأحمد ، والمأحى الذى يمحو الله به الذنوب ،
والعاقب ، والحاشر الذى يحشر [الله] الناس^(٣) على عقبه صلى الله
عليه وسلم .

مولده وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، و [كان] بين عام الفيل

(١) وكما اختلف اللسبون في عدد هذه الأسماء والفاظها اختلفت نسخ
هذا الكتاب اختلافاً كثيراً ؛ وقد أثبتنا ما فى ١ ، واعتمدنا لفظها وعددها .

(٢) برا : أصله برأ ، ومعناه خلق ، فسهل الهمزة بقلبها ألفاً

(٣) فى ١ « الذى يحشر الله الخلق على عقبه » .

الجزء الثاني : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ٢٧٥

وعام الفَجَارَ عشرون سنة ، والفَجَارَ^(١) حرب كانت بين قيس عَيْلَانَ حروب الفجار وبنى^(٢) كنانة ، استحلوا فيها القتال في الأشهر الحرم ، فسميت الفَجَارَ ، وكنانة : ابن خزيمة بن مدركة ، وهو عمرو ، بن إلياس بن مضر بن نزار ، كان ولد^(٣) إلياس عمراً وعامراً وعميراً^(٤) ، فعمرو هو مُدْرَكَة ، وعامر هو طابخة ، وعمر . قعة ، وكانت أمهم ليلي بنت حُلْوَان بن عمران بن إلخاف ابن قضاة وهي خَنْدِف ؛ فغلب على مَنْ ذكرنا الألقابُ ، ونسب ولد إلياس إلى أمهم خَنْدِف ، وفي ذلك يقول قُصَي بن كلاب بن مرة :

إني لدى الحرب وحى وأبى عند تناديهم بآل وهَبِ^(٥)
معترم الصَّوْلَة على النسبِ أُمِّي خَنْدِفُ وإلياس أبي^(٥)

وقريش خمسة وعشرون بطناً ، وهم : بنوهاشم بن عبد مناف [بنو المطلب بطون قريش ابن عبد مناف] ، بنو الحارث بن عبد المطلب ، [بنو أمية بن عبد شمس ،

(١) قال الجوهري : « الفجار : يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أفرجة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا ، فسميت فجارا » اهـ

(٢) في ب « بين قيس عيلان وبين كنانة »

(٣) قوله « وكان ولد إلياس » إلخ قال المجد : « وولد إلياس بن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعمريرا وهو قعة ؛ وأمهم خندف كزبرج وهي ليلي بنت حلوان بن عمران ، وكان إلياس خرج في نجعة ، فنفرت إليه من أرنب ؛ فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، واتممع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فقالت : ما زلت أخندف في أثركم ، فلقبوا مدركة وطابخة وقعة وخندف » اهـ

(٤) كذا في ا ، وفي ب « إني أرى الحرب لحي وأبى » محرفا

(٥) في ا « معترم الصولة » .

بنو نَوْفَل بن عبد مناف ، بنو الحارث بن فهر^(١) ، بنو أسد بن عبد العزى ،
بنو عبد الدار بن قصي - وهم حَجَبَة الكعبة - بنو زهرة بن كلاب ، بنو تيم
ابن مرة ، بنو مخزوم ، بنو بَقْلَة ، بنو مرة ، بنو عدي بن كعب ، بنو سهم ،
بنو جهم ، وإلى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمناه فيما سلف من
هذا الكتاب ، بنو مالك بن حنبل ، بنو مُعَيْط بن عامر بن لؤي [بنو نزار
ابن عامر] ، بنو سامة بن لؤي ، بنو الأدرم ، وهو تيم^(٢) بن غالب ،
بنو محارب بن فهر^(٣) ، بنو الحارث بن عبد الله بن كنانة ، بنو عائذة ، وهو
حزيمة بن لؤي ، بنو نبانة ، وهو سعد^(٤) بن لؤي ، ومن بني مالك إلى آخر
القبائل في قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب
عند ذكرنا للمطبيين وغيرهم من قريش .

حلف الفضول وكان من حرب الفجار ما ذكرنا للمتفخرين بالعشائر والتكاثُر ،
وانتهى الفجار في شوال ، وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار ،
فقال بعضهم :

نحن كُنَّا الْمُلُوكَ من آل نجد وحماة الزمان عند الدمار^(٥)
ومنعنا الحِجُونَ من كل حي ومنعنا الفجار يوم الفجار
وفي ذلك قال خِدَاشُ بن زهير العامري :

فلا نوعدني بالفجار فإنه أَحَلَّ ببطحاء الحِجُونَ المخازيا

وقد كان الحلف في ذى القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن ، وكان باع
سلعة له من العاص بن وائل السهمي ، فمطله باليمن حتى يئس ، فعلا جبل

سبب حلف
الفضول

(١) ما وضعناه بين العقوقين ساقط من ب ، ولا يتم العدد بدون

(٢) في ب « وهم عيم بن غالب » (٣) في ب « محارب بن فهم »

(٤) في ب « وهم سعيد بن لؤي » (٥) في ب « وحماة الدمار عند الدمار »

الجزء الثاني : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ٢٧٧

أبى قُبَيْس ، وقريش في مجالسها حول الكعبة ، فنادى بشعر يصف فيه ظلاً مته.
رافعاً صوته منادياً يقول :

يا للرجال لمظلوم بضاعته يبطن مكة نادى الحى والنفر^(١)

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر القدر^(٢)

فمشت قريش بعضها إلى بعض ، وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد ، وكان ممن اجتمع بهامن قريش بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، وبنو الحارث ابن فهر ، فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم ، فساروا إلى دار عبد الله ابن جُدعان ، فتحالفوا هنالك ؛ ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب :

[حلفت لعقدين حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار]^(٣)

[نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار]^(٤)

الفجارات

وقد قدمنا في كتابنا الأوسط أخبار الأحلاف والفجارات الأربعة : فجار الرجل ، أو فجار بدر^(٥) بن معشر ، وفجار القرد^(٦) ، وفجار المرأة ، والفجار الرابع هو

(١) في رواية « يبطن مكة نأى الحى والنفر » وهو الصواب

(٢) في « ولا حرام لثوى لابس القدر » وفي ب « ولا حرام كيوى لابس القدر »

(٣) سقط هذان البيتان من أ

(٤) في أ « ويعلم من حوى للبيت » وفيها « نمنع كل عار »

(٥) في ب « وفجار زيد بن معشر » والتصويب عن أ موافقاً لما في الأغاني

(١٩ / ٧٤ بولاق) .

(٦) في ب « وفجار ألف ود ، وفجار المرأة » ولا معنى له ؛ وأثبتنا ما في أ ،

وانظر الأغاني ؛ واعلم أن الفجارات التي ذكرها المؤلف أربعة وهى أيام الفجار الأول . وربما عد آخر ما ذكره هو من أيام الفجار الثانى . واطلب تفصيل ذلك

من الأغاني (١٩ / ٧٤ وما بعدها طبع بولاق)

فجار البراض ، وبين الفجار الرابع [الذي كان فيه القتال وبين بنيان الكعبة خمس عشرة سنة ، وكان من]^(١) حضور النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفِجَارَ الرابع إلى أن خرج إلى الشام في تجارة خديجة ، ونظر نسطور الراهب إليه وهو في صومعته ، والنبي صلى الله عليه وسلم مع ميسرة ، وقد أظلمت غمامة ، فقال : هذا بي ، وهذا آخر الأنبياء — أربع سنين ، وتسعة أشهر ، وستة أيام ، وإلى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران ، وأربعة وعشرون يوماً ، وإلى أن شهد بنيان الكعبة ، وحضر منازعة قريش في وضع الحجر الأسود عشر سنين .

وقد كان السيلُ هَدَمَ الكعبة فسرق^(٢) منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر ، فنقضتها قريش ، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع من الأصباغ عجبية : منها صورة إبراهيم الخليل في يده الأزام ، ويقابلها صورة إسماعيل ابنه على فرس يُحْيِزُ بالناس مُقْبِضاً^(٣) ، والفاروق قائم على وفد من الناس يقسم فيهم ، وبعد هذه الصور صور كثير من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيرهم ، في نحو من ستين صورة منع كل واحد من تلك الصور إله صاحبها ، وكيفية عبادته ، وما اشتهر من فعله .

قريش
تأني الكعبة

ولما بنت قريش الكعبة ورفعت ستمكها وتأني لها ما أرادت في بنيانها من الحجر الأسود الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحلهم التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة ، لتبني هنالك له كنيسة ، واتهموا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا تنازعوا أيهم يصعقه ، فاتفقوا أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبه ، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب ، وكانوا يعرفونه بالأمين ؛ لوقاره وهديه وصدق

وضع

(١) ما بين المعقوقين ساقط من ب . ولا يتم الكلام بدونه

(٢) في ب « فبرق منها » محرفاً

(٣) في ب « ينخر الناس مقبضا ؛ والعاروب قائم — إلخ »

الجزء الثاني : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ٢٧٩

اللهجة ، واجتنباه القاذورات والأدناس ، فحكوه فيما تنازعوا فيه ، واتقادوا إلى قضائه ، فبسط ما كان عليه من رداء ، وقيل : كساء [طاروني] ، وأخذ عليه الصلاة والسلام الحجرَ فوضعه في وسطه ، ثم قال لأربعة رجال من قريش ، — [وهم] أهل الرياسة فيهم ، والزعماء منهم ، وهم : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو حذيفة بن المغيرة ابن عمرو بن مخزوم ، وقيس بن عدى السهمي — ليأخذ كل واحد منهم بمجنب من جنباة هذا الرداء ، فشالوه حتى ارتفع عن الأرض ، وأذنوه من موضعه ، فأخذ عليه الصلاة والسلام الحجرَ ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور ، وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه .

فقال قائل ممن حضر من قريش متعجباً من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سناً : وأعجباً لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سناً ، وأقلهم مالا ، ففعلوه عليهم رئيساً وحاكماً !!! أما اللات والعزى ليفوقنهم سبباً ، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً^(١) وليكوننَّ له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم .

وقد تنوزع في هذا القائل : فمن الناس من رأى أنه إبليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات ، وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ، ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكائهم ومن كانت له فطنة .

فلما استتمت قريش^(٢) بناء الكعبة كسَّتها أردية الزعماء ، وهي الوصائل ، كنوة الكعبة وأعادوا الصور التي كانت مصورة في الكعبة ، وأتقنوا^(٣) شكل ذلك وإحكامه [وكان أبوطالب حاضراً فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل في النبي^(٤)

(١) في ١ « حظوظاً وحدوداً » (٢) في ١ « فلما آتت قريش »

(٣) في ب « وأبقوا شكل ذلك وأحكامه »

(٤) سقط ما بين هذين العقودين من ١

صلى الله عليه وسلم ، وما يكون من أمره في المستقبل ، أنشأ يقول :
إن لنا أوله وآخره في الحكم العدل الذي لا تنكره
وقد جهدنا جهدنا ليغمره وقد عهدنا أوله وآخره
فإن يكن حقاً فقينا أكثره [

وكان من بناء الكعبة إلى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين ،
ومن مولده إلى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم .

تحديد المولد

والذي صح من مولده عليه الصلاة والسلام أنه كان بعد قدوم أصحاب القيل
مكة بخمسين يوماً ، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من
الحرم سنة ثمانمائة واثنين وثمانين من عهد ذي القرنين ، وكان قدوم أبرهة مكة
لسبع عشرة خلت من الحرم ولست عشرة ومائتين من تاريخ العرب ، الذي
أوله حجة العدر^(١) ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان .

وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة
بمكة ، في دار ابن يوسف ، ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادي والرشيد مسجداً
وكان أبوه عبد الله غائباً بأرض الشام فأنصرف مريضاً ، فمات بالمدينة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم حَمَلٌ ، وقد تنوزع في ذلك : فمنهم من قال : إنه مات
بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بشهر ، ومنهم من قال : إنه مات في السنة
الثانية من مولده .

وأمة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
وفي السنة الأولى من مولده دُفِعَ إلى حليمة^(٢) بنت عبد الله بن
الحارث ثَرْضِعَهُ ، وفي السنة الثانية من كونه في بني سعد كان أبو
عبد^(٣) الله يقول :

نسب أمه
عليه السلام

(١) في ب « حجة العدة »

(٢) في ب « رفع إلى حليمة » (٣) أبو عبد الله : هو عبد المطلب بن هاشم

الجزء الثاني : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ٢٨١

الحمد لله الله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهدي على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الأركان
[وفي رواية أن عبد المطلب قال :

لاهم رب الراكب المسافر محمد قلب بخير طائر
تنح عن طريقه الفواجر وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر في درج الريح والأعاصير^(١)

وفي السنة الرابعة من مولده شقَّ للملكان بطنه ، واستخرجا قلبه ، فشقاها
وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلوا بطنه وقابه بالثلج ، وقال أحدهما لصاحبه :
زنته بعشرة من أمته ، فوزنه فرجَحَ ، ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف ، فقال
والله لو وزنته بأمته لوزنها .

وفي السنة الخامسة رَدَّته إلى أمه مرضعته حليلة ؛ وقيل : في سَهْل السادسة
وبين ذلك وبين عام القيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام .
وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أمه إلى أخواله تزورهم ، فتوفيت
بالأنواء ، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد خامسة من موت أمه .

وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده عبد المطلب ، وضمه عمه أبو طالب
إليه ، وكان في حجره ، وخرج مع عمه إلى الشام ، وله ثلاث عشرة سنة ، ثم
خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد إلى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس
وعشرين سنة .

قال السعودي : وقد أتينا على مبسوط هذا الباب ، في كتابينا : « أخبار
الزمان » والأوسط .

(١) سقطت هذه الأبيات من أوليست مستقيمة الوزن

(٢) في ب « وفي السنة الثالثة » وجعلت رد حليلة إياه في السنة الرابعة .

ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم

وما جاء في ذلك إلى هجرته

مجل ثم بعث الله رسوله وأكرم به بما اختصه به من نبوته ، بعد بيان الكعبة بخمس سنين على ما قدمنا آنفاً ، وهو ابن أربعين سنة كاملة ؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وأخفى أمره ثلاث سنين ، ونكح خديجة بنت خويلد [وله خمس وعشرون سنة] وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ، ونزل تمام بعضها بالمدينة ، وأول ما نزل عليه من القرآن (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، وأناه جبريل صلى الله عليه وسلم في ليلة السبت ، ثم في ليلة الأحد ، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين ، وذلك بحراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن ، وخاطبه بأول السورة إلى قوله تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) ونزل تمامها بعد ذلك ؛ وخطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ، ثم أمر بإتمامها بعد ذلك ، وأقرت ركعتين في السفر وزيد في صلاة الحضر .

تحديد المبعث وكان مبعثه صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز ، وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة ، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام ، وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب في صدر الإسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج منها ، وفي ذلك يقول في أرجوزة طويلة :

في رأس عشرة من السنين

إلى ثلاث حصلت يقين^(١)

(١) في ب « في رأس ألف من السنين » وأثبتنا ما في ا ، وعجز البيت في ا
« جعلت يقين »

الجزء الثاني : ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم ، إلى هجرته ٢٨٣

والمائة المعدودة التمام إلى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا وكان فينا هادى السبيل^(١)

وقد تنوزع في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإسلامه ، فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئا فيستأنف الإسلام ، بل كان تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتديا به ، وبلغ وهو على ذلك ، وأن الله عصمه وسدده ووقفه لتبعية^(٢) لنبيه عايمه السلام ؛ لأنهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارين قادرين ، فاختارا طاعة الرب ، وموافقة أمره ، واجتناب منهياته ، ومنهم من رأى أنه أول من آمن ، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، وكان بدؤه بعلي إذ كان أقرب الناس إليه وأنبعهم له ، ومنهم من رأى غير ما وصفنا ، وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة ، وقد احتج كل فريق لقوله فمن قال بالنص في الإمامة والاختيار ، وأرضى كل فريق كيفية إسلامه ومقدار سنيه ، وقد أنينا على الكلام في ذلك على الشرح والإيضاح في كتابنا المترجم بـ « كتاب الصفوة في الإمامة » وفي كتاب « الاستبصار » وفي كتاب « الزاهي » وغيره من كتبنا في هذا المعنى .

ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه ، ودعا قومه إلى الإسلام ، فأسلم على يديه إسلام أبي بكر
ومن أسلم
بإسلامه
عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطاححة بن عبيد الله^(٣) ؛ فجاء بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فهؤلاء نفر سبّحوا الناس بالإيمان ، وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الإسلام يذكرهم :

(١) كذا ؛ وهذه الآيات كلها ليست بشيء

(٢) في ١ « ووقفه كعصمته لنيه » وهو أدق وأظهر

(٣) في ب « وطلحة وعبيد الله » وليس بشيء .

فيا سائلي عن خيار العبا د، صَادَفَتْ ذَا الْعِلْمِ وَالْخَبْرَةِ
خِيَارُ الْعِبَادِ جَمِيعاً قَرِيشٌ وخير قريش ذوو الهجرة
وخير ذوى الهجرة السابقون ثمانية وحدهم نُصْرَةٌ
عَلِيٌّ وَعُمَانُ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ، وَائْتَنَانُ مِنْ زُهْرَةٍ
وَشَيْخَانُ قَدْ جَاوَرَا أَحَدَا وَجَاوَرَ قَبْرَاهُمَا قَبْرَهُ
فَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فَآخِراً فَلَا تَذْكُرُوا عِنْدَهُمْ فَخْرَهُ^(١)

الخلاف في أول وقد اختلف في أول من أسلم: فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول
من أسلم الناس إسلاماً، وأسبقهم إيماناً، ثم بلال بن حمارة، ثم عمرو بن عبسة،
ومنهم من ذهب إلى أن أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الرجال عَلِيٌّ،
ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة [حِبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]
ثم خديجة، ثم عليٌّ كرم الله وجهه، وقد ذكرنا ما اجتبتنا من القول في
ذلك فيما قدمنا ذكره [من كتبنا] في هذا المعنى، والله تعالى ولي التوفيق.

(١) في « فلا يذكرن عندهم فخره » بنون التوكيد الحقيقية

(٢) في « بلال بن حمارة بن عمرو بن عبسة » وفي ب « بلال بن حمارة ثم
عمر بن عبسة » وفي كليهما خطأ. وذكرنا مانص عليه ابن حجر في الإصابة
(٣) كان علي رضي الله عنه يوم أسلم صبياً يكفله رسول الله . وتام هذا القول.
أن أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي
ومن الموالى زيد، رضي الله عنهم أجمعين

ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه

صلى الله عليه وسلم

إلى وقت وفاته

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، وفرض عليه مقدمة الجهاد ، وذلك في سنة إحدى من [سنَى] الهجرة ، وهى السنة التى نزل فيها الأذان ، وكانت سنة أربع عشرة من المبعث .

وكان ابن عباس يقول : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر عشراً ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وكانت سنة إحدى من الهجرة ، وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى أبرويز ، وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية ، وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الإسكندر المقدونى .

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى الكتاب الأوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة [ودخوله الفار] واستنجار على^(١) له الإبل ، ونُؤمه على فراشه ؛ ففرج النبی صلى الله عليه وسلم من مكة ، ومعه أبو بكر ، وعامر بن قُهَيْرَة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أَرْقِط الدبلى^(٢) دليل لهم على الطريق ، ولم يكن مسلماً ، وكان مُقَام على بن أبى طالب بعده بمكة ثلاثة أيام إلى أن أدّى ما أمر بأدائه ، ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) كذا فى ب ، وفى ابن هشام وغيره أنه خرج على راحلة لأبي بكر ، وأنه اشتراها منه ، ووضع فى « واستخلاف على رضى الله عنه له » وهى التى تطابق ما فى كتب السيرة .

(٢) فى ب « الدبلى » محرفاً

دخول المدينة . وكان دخوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، فأقام بها عشرين يوماً ، وكان نزوله عليه الصلاة والسلام في حال موافاة المدينة بقباء على سعد بن خيثمة [وابنتي المسجد]^(١) وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار ، وأنته الأنصار حياً حياً يسأله كل فريق [منهم]^(٢) النزول عليه ، ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه^(٣) . فيقول عليه الصلاة والسلام : « خَلُّوا عَمَّا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » حتى أدركته الصلاة في بني سالم ، فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الإسلام ، وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي تتم بهم صلاة الجمعة : فذهب الشافعي في آخرين معه إلى أن الجمعة لا تجب إقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعداً ، وأقل من ذلك لا يجزى ، وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم ، وكانت صلاته في بطن الوادي المعروف بوادي رَأْنُوَاءَ^(٤) إلى هذه الغاية ، ثم استوى على ناقته ، فسارت لا تُعْرَجُ على شيء ، ولا يردّها رادٌّ ، حتى أتت إلى موضع مسجده عليه الصلاة والسلام ، والموضع بومئذ لعلامين يتيمن من بني النجار ، فبركت ، ثم سارت [فحضت]^(٥) غير بعيد ، ثم عادت إلى بركها فبركت واطمأنت ، والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي أحكام الباري فيه ، وتوفيقيه له ، فنزل عنها ، وسار إلى منزل أبي أيوب الأنصاري — وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن سحيم بن مالك بن النجار^(٦) — فأقام في منزله شهراً حتى ابنتي المسجد من بعد ابتياعه الموضع ، وأحدقت به الأنصار واشتد سرورهم به ، وأظهروا الناسف على ما فاتهم من نصرته ، وفي ذلك يقول

(١) لا توجد هذه الكلمة في ب (٢) في أ « وهو يجنبهم » (٣) في « ذنوباً »

(٤) هكذا في ب ، وفي أ « خالد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن عتبان

ابن مالك بن النجار » وفي الإصاغة « خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف ابن عثم بن مالك بن النجار »

الجزء الثاني : ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه ٢٨٧

صرمة بن [أبي] أس أحد بني عدى النجار من قصيدة :

تَوَى في قريش بضع عشرة حِجَّةً يَذْكُرُ لا يلقى صديقاً موانياً^(١)
 [وبعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يوفى ، ولم ير داعياً]^(٢)
 فلما أنا أنَا أَظْهَرَ الله دينه وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
 [وأصبح لا يخشى من الناس واحداً بعيداً ، ولا يخشى من الناس دانياً]
 [بذلنا له الأموال في كل ملكنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا]
 [ونعلم أن الله لا رب غيره وأن رسول الله للحق رائياً]
 فعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعاً ، وإن كان الحبيب المصافياً
 فافترض [صيام] شهر رمضان ، وحُوِّلت القبلة إلى الكعبة بعد قدومه
 بثمانية عشر شهراً ، وقد قيل : إنه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان
 وثلاثون سورة .

ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة عُلته ووفاته
 عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة ، في منزل عائشة رضى الله عنها ، وكانت
 عُلته اثني عشر يوماً^(٣)

وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستاً وعشرين غزوة ، ومنهم من
 رأى أنها سبع وعشرون ، الأولون جعلوا منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من
 خيبر إلى وادى القرى غزوة واحدة ، والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة
 خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه إليها غزوة أخرى غير خيبر ؛ فوقع التنازع في
 أعداد الغزوات من هذا الوجه ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح الله
 خيبر انصرف منها إلى وادى القرى من غير أن يأتي المدينة .

وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه إلى ودّان ، وهي ترتيبها

(١) في ١ « يذكر لويلقى صديقاً موانياً »

(٢) هذه الآيات التي وضعت بين المعقوفين لا توجد في ١

(٣) في ١ « ثلاثة عشر يوماً »

المعروفة بغزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى ناحية رَضوى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، وكان خروجه طلباً لكرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، وهي بدر الثانية التي قُتل فيها صناديد قريش وأشرفها وأسر من أسر من زعمائهم ، ثم غزوة بني سُلَيم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر^(١) ماء لبني سُلَيم ، ثم غزوة السويق طلباً لأبي سفيان بن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقة الكدر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أسر ، ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز^(٢) من فوق الفرع ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نجد^(٣) ، ثم غزوة بدر الأخيرة ، ثم غزوة دومة الجندل [ثم غزوة المريسيع]^(٤) [ثم غزوة الخندق] ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان ابن هذيل بن مدركة ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصَدَّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ، ثم فتح مكة ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وتبوك .

قول الواقدي في غزواته هذا قول محمد بن إسحاق ، فأما ما ذهب إليه الواقدي فإنه وافق ابن إسحاق في قتال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه التسع الغزوات ، وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في غزاة وادي القرى ، وذلك أن غلامه المعروف بمذغم^(٥) رمى بسهم فقتل ، وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر ، وقتل يومئذ محرز بن نضلة فني قول الواقدي أنه قاتل في إحدى عشرة غزوة ، وفي قول ابن إسحاق

(١) في « بالكديد » (٢) في « وهو معدن بالحجاز »

(٣) في « ثم غزوة ذات الرقاع من نخل » (٤) لا توجد هذه العبارة في ا

(٥) في « المعروف بمذغم »

الجزء الثاني : ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه ٢٨٩

في تسع ، فقتاله في التسع باتفاق منهما ، وزاد الواقدي على ما ذكرنا .
وقد قيل : إن أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشرة .
وقد تنازع مَنْ ساف من أهل السير والأخبار في عدة سراياه وبعوثه : فقال سراياه وبعوثه قوم^(١) : إن عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثاً وسرية ، وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال : حدثني الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدي : كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ثمانياً وأربعين سريةً ، وقيل . إن سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه كانت ستة وستين .

شاهير
الأحداث

وقبض صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا الباب من قول ابن عباس ، ولم يخاف من الولد إلا فاطمة عليها السلام ، وتوفيت بعده بأربعين يوماً ، وقيل : سبعين يوماً ، وقيل غير ذلك .. وكان تزوج على بن أبي طالب لفاطمة عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة ، وقيل أقل من ذلك .

وكانت أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين^(٢) . وأسرى به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً . وكانت وفاة عمه أبي طالب — واسمه عبد مناف [بن عبد المطلب] — بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام ، وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن أبا طالب اسم له .

وتزوج بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة^(٣) بن قيس بن عبدود بن نصر^(٤)

(١) في « فذكر محمد بن إسحاق »

(٢) كذا ، وربما كان الأصل « بتسع سنين » أو « بعشر سنين » مع ترك الشهور أو جبرها . وانظر ص ٢٩٤ الآتية (٣) في « بسودة بنت زمعة » محرفاً .

(٤) في ب « بن نصر » بالصاد المهملة .

ابن مالك [بن حِسل] .

وتزوج بعائشة رضي الله عنها [قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : تزوجها بعد وفاة خديجة ، ودخل بها] ^(١) بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام ، وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الأوسط ؛ فأغنى [ذلك] عن إعادته .

روى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين ^(٢) بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إن الله عز وجل أدب محمداً صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، فقال [خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين] فلما كان كذلك قال الله تعالى [وإنا لك لعلى خلق عظيم] فلما قبل من الله فوز إليه ^(٣) فقال [وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا] وكان يضمن على الله الجنة ، فأجيز له ذلك .

وكان عدة من تزوج من النساء خمس عشرة : دخل بإحدى عشرة منهن ، ولم يدخل بأربع ، وقبض عليه السلام عن تسع .

قال للمسعودي : وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام ، وقد قدمنا ما روى في ذلك عن ابن عباس ، وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس ، وقد روى عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس ، وذكر عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشرأ ، [وبالمدينة عشرأ] ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكذلك ذكر عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة ، وكذلك ذكر ابن هشام قال : حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ،

النزاع في عمره
عليه الصلاة
والسلام

(١) ما بين العقوقين ساقط من ب (٢) في ١ « علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب » (٣) في ١ « فلما قبل عن الله تعالى ما فرض إليه فقال » محرفاً .

الجزء الثاني : ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه ٢٩١

وذكر قتادة عن الحسن عن دغفل^(١) — يعني ابن حنظلة — أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين ، وقد قيل : إنه قبض وهو ابن ستين ، وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير ، وذكر حماد قال : أخبرنا عمرو بن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، ومات وهو ابن ستين ، وذكر شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال : حدثني عائشة رضي الله عنها عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة ، فلبث بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وقبض وهو ابن ستين ، صلى الله عليه وسلم .

وإنما حكينا هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أننا لم نغفل شيئاً مما قالوه ، ولا تركنا شيئاً ذكروه إلا ذكرنا منه ما تأتى لنا ذكره وأشارنا إليه ، ميلاً إلى الاختصار وطلباً للإيجاز ، والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة وفاته وتكفينه والسلام أنه قبض ابن ثلاث وستين سنة ، ولما غسل عليه الصلاة والسلام ودفته عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحراريين وثوب حبرة أدرج فيها إدراجاً ، ونزل في قبره على بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر في مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا ، والله أعلم بكيفية ذلك .

ولنرجع الآن إلى ذكر لمع من أموره وأخبار كانت من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرّف وعظّم .

(١) في « عن دغفل » وفي ب « عن دجيل » وأحسب أنه دغفل بن حنظلة الشيباني الذهلي ، أحد العلماء بالنسب ، يروى عنه الحسن وابن سيرين .

ذكر أمور وأحوال^(١) من مولده إلى وفاته

صلى الله عليه وسلم

تقدمة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفي بها العالم المستبصر ، ويتنبه بها الطالب المسترشد ، وذكرنا مجللاً من الكوائن والأحداث في تضاعيف ذلك ، وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب حمل من السنين من مولده إلى وفاته ، وجمل أحداث وكوائن كانت في أيامه ؛ ليقرب تناول ذلك على مريده ، ويسهل مأخذه على الطالب له ، وإن كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الأبواب إن شاء الله تعالى .

السنة الأولى من مولده ففي أول سنة من مولد، دفع إلى حليلة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة^(٢) بن جابر بن رزام^(٣) بن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٤) .

السنة الخامسة وفي السنة الخامسة من مولده ردت حليمة إلى أمه ، على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب .

السنة السادسة وفي السنة السادسة أخرجه أمه إلى أخواله زائرة فتوفيت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ونعى ذلك إلى أم أيمن ؛ فخرجت إليه ؛ وقدمت به إلى مكة ؛

(١) في ١ « ذكر أمور وأخبار — إلخ » .

(٢) في ب « بن سحنة » بالسين والحاء المهملتين ، وفي ا « بن سحنة » بسين مهمله وحاء معجمة ، ، فلما اختلفا أثبتنا مانص على ضبطه عن ابن إسحاق .

(٣) في ا « بن درام » .

(٤) وقع في ب « بن جابر بن نصر بن معد بن عدنان » وهو نقص ، ولا يخلو ما ذكر من خطأ ، ووقع ما أثبتناه في ا مع بعض خطأ ذكرنا صوابه ، وفي ابن إسحاق « بن رزام بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن » .

الجزء الثاني : ذكر أمور وأحوال من مولده إلى وفاته ٢٩٣

وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه .

خروجه
إلى الشام

وفي السنة التاسعة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام ، وقيل : إنه خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام وله ثلاث عشرة سنة ، وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه ؛ فذلك كعمل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه — وهم : العباس ، وحزرة ، والزيبر ، وحجل ، والمقوم ، وضرار ، والحارث ، وأبو لهب — وهم عشرة بنو عبد المطلب ، وكان لعبد المطلب ستة عشر ولداً : عشرة ذكور ، وهم من سميना ، وست إناث ، وهن : عاتكة ، وصفية ، وأميمة ، والبيضاء ، وبرّة^(١) ، وأروى ، ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بن العوام ، وقد ننوزع في أروى : فمنهم من قال : إنها أسلمت [ومنهم من خالف ذلك] .

وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر إليه بَحِيرَا الراهب ، وأوصاهم بمراعاته من اليهود فإنهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بَحِيرَا الراهب وما كان من إخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في باب أهل الفترة من كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام .

وقد قدمنا أنه عليه السلام شهد يوم حرب الفِجَارِ ، وذلك في سنة إحدى شهوده الفجار وعشرين ، وأنها حرب كانت بين قريش وفيس عيلان ، فيما سلف من هذا الكتاب وغيره ، وأنها إنما سميت بهذا الاسم الذي هو الفِجَارُ لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وكانت لقيس على قريش ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس ، وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جَدْعَانَ التيميُّ ، وكان نخاساً في الجاهلية^(٢) يباعاً للجوارى ، وكانت هذه إحدى الدلائل المنيرة بنبوه عليه السلام والتمين بحضوره .

(١) في ١ « وقرة »

(٢) في ب « نخاساً للجاهلية » .

ست وعشرين وفي سنة ست وعشرين كان تزويجه بخديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ بنت أربعين ، وقيل في سنها غير هذا .
ست وثلاثين وفي سنة ست وثلاثين بنت قريش الكعبة ، وتراضت به ، فوضع الحجر على حسب ما قدمنا .

إحدى وأربعين . وفي سنة إحدى وأربعين بعثه الله نبياً ورسولاً إلى كافة الناس ، وذلك [يوم الاثنين] لعشر خلون من ربيع الأول ، على حسب تنازع الناس في تاريخ مبعثه عليه السلام .

ست وأربعين وفي سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني عبد [المطلب في الشعب] .

سنة خمسين وفي سنة خمسين كان خروجه عاية السلام ومن تبعه من الشعب ^(١) .
وفي هذه السنة كانت وفاة خديجة زوجه [وفيها كان خروجه إلى الطائف] ^(٢) على حسب ما ذكرنا .

إحدى وخمسين وفي سنة إحدى وخمسين كان الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، على حسب ما نطق به التنزيل .

أربع وخمسين وفي سنة أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ، وفيها دخل بعائشة بنت أبي بكر رضى الله عنها وهي ابنة تسع ، وتزوج بها [قبل الهجرة وهي بنت سبع ، وقيل : إنه تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبني بها في المدينة] بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وقيل عن عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي بنت ثمان عشرة سنة ، وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، [بالمدينة ، وصلى عليها أبو هريرة في أيام معاوية بن أبي سفيان وقد قاربت السبعين] وفيها أسمر رسول

(١) في ب « كان خروجه عليه السلام ومن تبعه إلى الطائف » وهو نقل للكلام من موضع إلى موضع آخر ، وهذه إحدى صنائع النساخين .
(٢) هذه الزيادة لا توجد في ب ، وهي التي تبدل على ما قلناه .

الجزء الثاني : ذكر أمور وأحوال من مولده إلى وفاته ٢٩٥

الله صلى الله عليه وسلم بالأذان ، وأرى عبد الله بن زيد كيفية الأذان في منامه ، وفيها كان تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من التنازع في التاريخ .

اثنتین
من الهجرة

وفي سنة اثنتين من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان ، وفي هذه السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى الكعبة ، وفيها توفيت ابنته رُقِيَّة ، وفي آخر هذه السنة — وهي سنة اثنتين من الهجرة — كان دخول علي ابن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كانت وقعة بدر ، وذلك في يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

ثلاث
من الهجرة

وفي سنة ثلاث كان تزويجه بزینب بنت خُزَيمَة ، وكانت وفاتها بعد شهرين ، وفي هذه السنة كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وفيها كان تزويج عثمان بن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب على ما في ذلك من التنازع في التاريخ ، وفيها كانت غزوة أحد ، وفي هذه السنة^(١) استشهد حمزة بن عبد المطلب .

أربع
من الهجرة

وفي سنة أربع كانت غزوته المعروفة بذات الرِّقَاع ، وفي هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس ، على حسب ما ذكر في كيفية ذلك من التنازع ، وفيها كان تزويجه بأم سلمة بنت [أبي] أمية ، وفيها كانت غزوته إلى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بمحسونهم ، فقطعوا نخلمهم وشجرهم ، وأضرمو النار عليهم ، فلما رأى ذلك صالحهم^(٢) ، وفيها كانت غزوته إلى بني المصطلق ، وفيها — وهي سنة أربع — كان مولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وقد قيل : إن مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها [كان] قبل الهجرة بثمان سنين .

خمس
من الهجرة

وفي سنة خمس كانت غزوة الخندق وما كان [فيها] من حفر الخندق ، وفيها غزا

(١) في ١ « وفي هذه الغزوة استشهد حمزة — إلخ »

(٢) في ١ « قطع نخلمهم وشجرهم ، وأضرمو النار عليهم ، فلما رأوا ذلك صالحهم »

اليهود من بنى قُرَيْظَةَ، وكان من أمرهم ما قد شهر، وفيها كان تزويجه بزَيْنَب بنت جَحْش، وفيها كان تقولُ أهل الإفك على عائشة رضى الله تعالى عنها.

ست من الهجرة وفي سنة ست كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجذب، وفيها اعتمر عمرته المعروفة بعمره الحديبية^(١) وواعد المشركين، وفيها أخذ فدك، وفيها تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، ووجه بالرسول إلى كسرى وقيصر، وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحارث وتزويجه بها.

سبع من الهجرة وفي سنة سبع غزا خيبر فافتتحها، واصطفى صفية بنت حيي بن أخطب لنفسه، وفيها تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة عبد الله بن عباس في سفره حين اعتمر عمره القضاء، على ما ذكر من التنازع في نكاحه لها، أفي حال حله نكحها أم في حال إحرامه؟ وما قال الفقهاء في ذلك، وتنازع الناس في نكاح الحرم، وفيها كان قدوم حاطب بن أبي بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس إليه، وفيها كان قدوم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة [ومعه أولاده وزوجته وغيرهم من المسلمين ممن كان بأرض الحبشة] وفي سنة ثمان استشهد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق في وقتهم مع الروم، وفيها كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: غير ذلك من التاريخ.

فتح مكة وفي سنة ثمان كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وقد تنازع الناس في فتحها، أصلاً كان أم عموة^(٢)؟ وفيها كسرت الأصنام، وهدمت العزى^(٣) ثم

(١) في « المعروفة بغرة الحديبية وواعد المشركين »

(٢) في ب « أصلاً كان أم غيره »

(٣) في ب « وهدمت العزائم » محرفاً

الجزء الثاني : ذكر أمور وأحوال من مولده إلى وفاته ٢٩٧

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، وفيها غزاة غزوة حُنين ، وكان على هوازن مالك بن عوف النَّضْرِي^(١) ومعه دُرَيْد بن الصَّمَّة ، وفيها كانت غزوة الطائف ، وفيها كان إعطاؤه الوثيقة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية ، وفيها كان مولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية .

وفي سنة تسع حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ، وقرأ على بن أبي طالب عليهم سورة براءة ، وأمر أن لا يحج مشرك ، وأنه لا يطوف بالبيت عريان ، وفيها كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة عشر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وقال : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » ، وفيها كانت وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام ، وقيل غير ذلك ، وفيها كان بعثه عليه الصلاة والسلام بعلى إلى اليمن ، وأحرم كإحرام النبي صلى الله عليه وسلم .

[وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته صلى الله عليه وسلم] على حسب ما قدمنا في سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس في ذلك ، وفيها كانت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها ، ومن الذي صلى عليها : العباس بن عبد المطلب أم بعلها على ؟ ولما قبضت جزع عليها بعلها على جزعاً شديداً واشتد بكاءه وظهر أنينه وحنينه ، وقال في ذلك :

لكل اجتماع من خيلين فرقة وكل الذي دون المات قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

(١) في « التصريح » بالصاد للهمة

أولاده عليه السلام وكلُّ أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا إبراهيم : ولد له صلى الله عليه وسلم : القاسم ، وبه كان يكنى ، وكان أكبر بنيه سناً ، ورقية وأم كلثوم ، وكانت تحت عتبة وعنتبة ابني أبي لهب [عمه] فطلقاها لخبر يطول ذكره ، فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة ، وزينب ، وكانت تحت أبي العاص بن الربيع ، وفرق الإسلام بينهما ، ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الأول ، وهذا موضع خلاف بين أهل العلم في كيفية رده عليه الصلاة والسلام لزينب على أبي العاص ، وولدت من أبي العاص أمانة ، وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام .

وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبدُ الله وهو الطيب والظاهر ، الثلاثة الأسماء له ؛ لأنه ولد في الإسلام ، وفاطمة ، وإبراهيم .

وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط على ما كان في سنة سنة من مولده عليه الصلاة والسلام إلى مبعثه ، ومن مبعثه إلى هجرته ، ومن هجرته إلى وفاته ، ومن وفاته إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — وما كان في ذلك من المغازي [والفتوح] والسرايا والبعوث [والطرائق] والأحداث ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ، ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا ، وبالله التوفيق .

ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام

مما لم يحفظ قبله عن أحد من الأنام

قال أبو الحسن على بن الحسين [بن^(١) على] بن عبد الله المسعودى : بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ومبشراً للناس أجمعين ، وقرنه الله بالآيات^(٢) ، والبراهين النيرات ، وأتى بالقرآن المعجز ؛ فتحدى به قوماً^(٣) وهم الغاية فى الفصاحة ، والنهاية فى البلاغة ، وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقنن والمنثور والنظوم والأشعار فى المكارم وفى الحث والزجر والتحضيض والإغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين ، ففرع به أسماعهم ، وأعجز به أذهانهم^(٤) وقبّح به أفعالهم ، ووذم به آراءهم [وسقته به أحلامهم] وأزال به دياناتهم ، وأبطل [به] سنتهم ، ثم أخبر عن عجزهم مع نظاهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، مع كونه عربياً مبيناً .

وقد تنازع الناس فى نظم القرآن وإعجازه ، وليس الغرض من هذا [الكتاب] وصف أقاويل المختلفين ، والإخبار عن كلام المتنازعين ؛ إذ كان كتاب خبر ، لا كتاب بحث ونظر .

آتاه الله
الحكمة

ثبت عنه عليه الصلاة والسلام بالعلم الموروث ، ونقل إلينا الباقي عن الماضى من بعد قيام الأدلة على صدقه ، وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر [ها] الله على يديه ليؤدى رسالات ربه إلى خلقه — أنه قال : أوتيت جوامع الكلم ، وقال : اختصر لى الكلام ، مخبراً عما أوتيه من الحكمة [والبيان غير القرآن المعجز ، وهو ما أوتيه عليه الصلاة والسلام من الحكمة] والنطق اليسير ، والكلام القصير المفيد للمعاني الكثيرة والوجوه المتفرقة [مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة] .

(١) لا يوجد هذا الاسم فى ١ ، وهو ثابت فى ب ؛ وفى نسب المسعودى

(٢) فى ب « وقربه الله بالآيات »

(٣) فى ١ « وأتى بالقرآن المعجز ليتهدى به قومه وهم الغاية - إلخ »

(٤) فى ب « وأعجب به أذهانهم »

وكان كلامه صلى الله عليه وسلم أحسنَ المقال وأوجزَه ؛ لقلة ألفاظه ، وكثرة معانيه .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عند عَرَضِهِ لنفسه على القبائل بمكة ومعه أبو بكر وعلى ووقوفه على بكر بن وائل ، وتقدم أبي بكر إليهم ، وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام في النسب « البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق » وهذا مما سَبَقَ إليه من الكلام^(١) ولم يصف إلى غيره من الأنام .

من موجز
كلامه

ثم إخباره عن الحرب وقوله « الحرب خُذَّةٌ » فعمل بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكاييد الحرب القتال بالسيف ؛ إذ كان بدؤها خدعة ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا يعرفه كل ذى رأى صحيح وذى رئاسة وسياسة .

ثم قال : « العائد في هبته كالعائد في قَيْثِهِ » زاجراً بهذا القول للواهب أن يسترجع شيئاً وهبه ؛ إذ كان النىء لا يرجع فيه مَنْ قاءه .

وللناس في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل ، وإنا الغرض فيما نذكر إيراد كلامه صلى الله عليه وسلم ، ووصف قوله الذى لم يتقدم به أحد من الناس . وقوله « احْتُوا فى وجوه لَدَا حِينَ التراب » المراد من ذلك إذا كَذَبَ المباح ، ولم يُرَدَّ عليه السلام إذا شكر الإنسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يُحْتَى فى وجهه التراب ، ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا ما مدح أحد أحداً ؛ إذ كان هذا النهى عموماً للصادق والكاذب ، وأن يحتى فى وجه الجميع التراب ، وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبراً عن نبيه يوسف وقوله للملك : (أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ غَلِيمٌ) فقد مدح نفسه ووصف حاله .

وجميع ما يذكر فى هذا الباب مستفيض فى السير والأخبار متعارف عند العلماء ، متداول بين الحكماء ، يتمثل به كثير من الناس ، وتستعمل

(١) فى « وهذا مما لم يسبق إليه من الكلام »

الجزء الثاني : ذكر مابدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام ٣٠١

العوام كثيراً منه في ألفاظها ، وتورده في أمثالها وخطاباتها ، والأكثر منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أول من تكلم به ، وسبق إلى إirاده] .

وقال عليه الصلاة والسلام : مَطْلُ الْغَنِيِّ ظِلْمٌ ، ومن أَتْبَعَ عَلَى مَلَأٍ فَلْيَتَّبِعْ ، وقوله : الأرواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، رأس الحكمة معرفة الله . يا خَيْلَ اللَّهِ اركبوا بشرى بالجنة . الآن حَمَى الْوَطِيسُ . لا ينتطح فيها عَزَّانٍ . لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جِجَرٍ مَرَّتَيْنِ . لا يَجْنَى عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا يَدُهُ . ليس الخبر كالمعاينة . الشديد من غلب نفسه . بورك لأمتي في بُكُورِهَا . ساقى القوم آخرهم شرباً . المجالس بالأمانات . لو بَقِيَ جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي مِنْهُمَا [ابدأ بمن تعول] مات حَتَفَ أَنْفُهُ ، يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة [ولا حال أوجبت ولا سببٍ من أسباب الموت تقدمت] ^(١) ، لا زال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مَغْنَمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا . قيدوا العلم بالكتابة . ير المال عين ساهرة لعين نائمة . المسلم مِرَّةً آتٍ الْمُسْلِمُ . رحم الله من قال خيراً فغنى أو سكت [عن شر] فسلم . المرء كثير بأخيه . اليد العليا خير من اليد السفلى . ترك الشر صدقة . فضل العلم خير من فضل العباداة . الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . الأعمال بالنيات . أى داء أدوا من البخل ؟ الحياء خير كله . الخيل معقود بنواصبها الخير . السعيد من وُعِظَ بغيره . عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ كَأَخْذِ الْيَدِ . إن من الشعر لحكمة ومن البيان لسجراً . عفو الملوك بقاء للملك . اِرْحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مِنَ السَّمَاءِ . المكر والخديعة في النار . المرء مع من أحبَّ ، وله ما اكتسب . ليس منام من لم يرحم صغيره ولا يعرف حق كبيره . المستشار مؤتمن . مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث . الدال على الخير كفاعله . الندم توبة . الولد للفرش وللعاشر الحجر . كل معروف صدقة . لا يشكر الله من لا يشكر الناس . لا يؤوى الضالة

(١) زيادة عن i وحدها

إلا ضال ، حُبُّكَ الشيء يُعْمَى ويصم ، السَّقَر قطعة من العذاب ، وقوله
للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ، وقوله : المساهون
عند شروطهم إلا شرطاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً . الرجل أحقّ بصدر
مجلسه وصدر دابته . الناس معادن كمعادن الذهب [والفضة] . الظلم ظلمات
يوم القيامة . تمام التحية المصافحة . جُبِلَتِ النفوس ^(١) على حب من أحسن
إليها . أمنك من أعتبك . ما نقص مال من صدقة . التائب من الذنب كمن
لا ذنب له . الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . خذ حَقَّك في عَفَافٍ وواف أو
غير واف . أعطوا الأجير أجرته قبل أن يجفَّ عرقه . أهل المعروف في الدنيا
أهل المعروف يوم القيامة . الجنة تحت ظلال السيوف . ليس بمؤمن من خاف
جاره بَوَائِقَهُ . اتقوا النار ولو بشق تمرة . أغروا النساء يلزم الحجاب .
الكلمة الطيبة صدقة . لا خير لك في صحبة مَنْ لا يرى لك مثل ما يرى
لنفسه . الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . ما أَمَاتَ تاجر صدق . الدعاء
سلاح المؤمن . خير الأمور أوسطها . إذا أتاكم الزائر فأكرموه . اشفعوا
تحمداً أو توجروا . الإيمان الصبر والسماحة . أفضلكم أفضلكم معرفة .
ما هلك امرؤ عن مشورة . ما عَالَ امرؤ اقتصد . ما هلك امرؤ عرف قدره .
شر العمى عمى القلب . الكذب بجانب للإيمان . ما قَلَّ وكفى خير مما كثر
وألمى ^(٢) . [من أثنى فقد كفى] قلة الحياء كفر . المؤمنون هينئون كينون .
شر الندامة يوم القيامة . شر المعذرة عند الموت . أقبلوا عثرات الكرام .
اطلبوا الخير عند صباح الوجوه . الدنيا حُلوة خَصِيرة ، وإن الله مستعملكم
فيها ينظر كيف تعملون . انتظار الفرج عبادة . كادت الفاقة أن تكون كفراً .
لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة . في كل عام تزدلون . زُرْ غيباً تردد حباً .
الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، أو قال : جميع الناس ،

(١) في ١ « جيلت القلوب » وهي أحسن

(٢) في ١ « خير مما كثر وأذى » :

الجزء الثاني : ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام ٣٠٣

وقوله : لا يلقى الله أحد إلا نادماً . من عمل خيراً قال يا ليتني ازددت ، ومن عمل غير ذلك قال يا ليتني قصرت ، وهذا مثل قوله : إياكم والتسوية وطول الأمل ؛ فإنه كان سبباً لهلاك الأمم . وقوله : ليس منا من غشناً ، وهذا القول يحتمل معاني كثيرة : منها أن يكون إخباراً أن من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ، ويحتمل أن يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش ، وقد قيل غير ذلك ، والله أعلم ، مثل ما روى عنه أبو مسعود البدرى [أنه] قال : لا يبق على وجه الأرض بعد مائة أحد إلا مات ، فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج الأكثر ، فأفضى ذلك إلى على رضى الله عنه ، فقال : صدق أبو مسعود فيما قال ، وذهب عنه المراد بذلك ، وإنما مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يبق على وجه الأرض أحد بعد رأس مائة من رأى النبي صلى الله عليه وسلم إلا مات [وقوله : استعينوا على أموركم بالكتابان ، وعلى قضاء حوائجكم بالإسراء]^(١) .

قال المسعودى : وقد جمع كثير من تقدم ومن شاهدناه كثيراً من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم [فأوردوها في كتبهم ، وذكروها في تصنيفهم ، من جمع موجز أقوال الرسول عليه السلام وقد أفرد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد لذلك كتاباً ترجمه بكتاب « المجتبى » يذكر فيه جملاً من ألفاظه صلى الله عليه وسلم]^(٢) ، وكذلك ذكر أبو إسحاق الزجاجى النحوى صاحب أبي العباس المبرد ، وأبو عبد الله نبطويه ، وجعفر بن محمد بن جمدان الموصلى ، وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم ، أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل إيرادها وتأني لنا ذكره ، على حسب الحاجة إليه واستحقاق الموضوع له ، وإن كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج إليه في هذه المعاني فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فأغنى ذلك عن إعادتها ، والله تعالى ولى التوفيق .

(٢) سقط هذا الكلام من ب

(١) لا توجد هذه الجملة في ا

باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق

رضي الله تعالى عنه

جامع تاريخه

قال المسعودي : ثم بايعَ الناسُ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري ، في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، مستوفياً لعمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا ، وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين ، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، ودفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم [رأسه على كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(١) ، كذلك قالت عائشة ، وقد قيل : إن أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من أياضهم ومقادير ولايتهم ، وكذلك نورد فيما يرد^(٢) في هذا الكتاب - بعد ذكرنا لأيام بني أمية وبني العباس - باباً نذكر فيه جامع التاريخ الثاني من الهجرة إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في خلافة أبي إسحاق المتقي لله ، أو بعد ذلك من الأوقات إلى حيث ينتهي بنا التصنيف ، وما ذكره أصحاب الزيجات في النجوم ، وما أرخوه في مقادير السنين والشهور والأيام [واختلاف بينهم وبين] تاريخ أصحاب السير والأخبار [وكتب التاريخ من الأخباريين] وغيرهم ؛ إذ كان التفاوت بين الفريقين يديناً ، ومعمولنا في ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات .

(١) لا يوجد هذا الكلام في ب. ولعل الصواب « رأسه عند كتف - الخ »

(٢) في ب « وكذلك نورد بعد ما نوردته في هذا الكتاب » محرفاً عما أئتمناه

ذكر نسبه ، ولعم من أخباره وسيره

كان اسم أبي بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان - وهو أبو قُحَافَة ^(١) - بن نسبه عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ، وفي مرة يجتمع برسول ^(٢) الله صلى الله عليه وسلم ، ولقبه عتيق ؛ لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم [إياه] أنه عتيق الله من النار ، فسمى يومئذ عتيقاً [وهو الصحيح] وقيل : إنما سمي عتيقاً لعنق أمهاته ، واستخاف وأبوه في الحياة .

وكان أزهد الناس ، وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه ولباسه ومطعمه صفاته [ومشربه] وكان لبسه في خلافته الشملة والعباءة .

وقدِمَ إليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحُلل [والخبر] تواضعه وزهده ونسكه وبرود الوُشيِ الثقيل بالذهب والتيغان ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك ، وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبهم ونزعوا ما كان عليهم .

وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ، ومعه ألف عبد وفود العرب دون من كان [معه] من عشيرته ، وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحُلل ، إليه فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيّياً بزيه ، حتى إنه روى يوماً في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ، ففرغت عشيرته [لذلك] وقالوا له : [قد] فضحتنا بين المهاجرين والأنصار ، قال : أفأردتم [مني] أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام ، لاها الله ، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا ، وتواضعت للملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر ، وتذلّلوا بعد التجبر .

(١) سقط هذا الاسم من ب (٢) في ١ « وفي مرة يجتمع مع نسب رسول الله »

(٢٠ - مروج الذهب ٢)

بين أبي بكر وأبي سفيان وبلغ أبا بكر رضى الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمراً، فأخضره وأقبل يصيح عليه، وأبوسفيان يتملقه ويتذلل له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر، فقال لقائده: عَلَى مَنْ يَصِيح ابْنِي؟ فقال له: على أبي سفيان، فدنا من أبي بكر وقال له: أَعَلَى أَبِي سَفِيَانَ تَرْفَعُ صَوْتَكَ يَا عَتِيقُ [الله؟ وقد كان بالأمس سيد قريش في الجاهلية] ^(١) [لقد تعدّيت طورك وجزت مقدارك] ^(٢) فتبسّم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار، وقال له: يا أبت، إن الله قد رفع بالإسلام قومًا وأذلّ به آخرين.

ولم يتقلّد [أحد] الخلافة وأبوه باقٍ غير أبي بكر.

نسب أمه وأم أبي بكر سلمى - ونكحني: أم الخير - بنت صخر بن عمرو بن عامر ابن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .
وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام .

أولاده وكان له من الولد: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد؛ فأما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فلحقته جراحة وبقى إلى خلافة [أبيه] أبي بكر، ومات في خلافته، وخلف سبعة دنائير، فاستكثرها أبو بكر، ولا عقب لعبد الله؛ وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه شهد [يوم بدر] مع المشركين، ثم أسلم فحسن إسلامه، ولعبد الرحمن أخبار، وله عقب كثير بدؤ وحضر في ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفينيات والمسح، ومحمد بن أبي بكر؛ أمه أسماء بنت عُمَيْس الخثعمية، ومنها عقب جعفر بن أبي طالب، وخلف عليها حين استشهد عبد الله ^(٣) وعونا ومحمداً بنى جعفر، فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين بن علي، ولا عقب لهما، وعقب [جعفر عن عبد الله بن جعفر،

(١) هذه الزيادة في ١ وحدها . (٢) هذه الزيادة في ب وحدها

(٣) كذا والصواب «وخلف عليها» (أبو بكر) حين استشهد جعفر، وقد أولست لجعفر عبد الله وعونا ومحمداً أبناء جعفر، وانظر الإصابة في ترجمة أسماء بنت عُميس

الجزء الثاني : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٣٠٧

وَوُلِدَ لـ [١] مبد الله بن جعفر: على وإسماعيل وإسحاق ومعاوية ، وتزوجها بعده أبو بكر الصديق ، خلف منها محمدا ، ثم تزوجها على بن أبي طالب فأولدها أولاداً [دَرَجُوا] ، ولا عقب له منها ، وأم أسماء العجوز الحريشية كان لها أربع بنات ، وهذه العجوز أكثر الناس أصهاراً (٢) ، كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب ، وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب ، وخلف منها بنتاً ، وأسماء تحت من ذكرنا [من جعفر وأبي بكر وعلى ، والعقب من محمد بن أبي بكر قليل] (٣) ، وأم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر [الصديق] . وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده ، ورباه على بن أبي طالب ، وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في أخبار معاوية بن أبي سفيان (٤) .

ومات أبو قحافة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ! وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد قيل : إنه مات في سنة أربع عشرة .

ولما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة يوم السقيفة خرج على فقال : أفسدت (٥) علينا أمورنا ، ولم تستشر ، ولم ترع لنا حقاً ، فقال أبو بكر : بلى ، ولكنني خشيت الفتنة ، وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل ، ومجاذبة في الإمامة (٥) ، وخرج سعد بن عباد ولم يبايع ،

(١) زيادة عن واحدتها .

(٢) في « وهذه العجوز أكثر الناس أصهاراً » وهي أنسب بما بعده .

(٣) في ب « في أيام معاوية بن أبي سفيان » .

(٤) في ا « افنت علينا أمرنا » ووقع محرفاً فيها « افنت علينا أمرنا » .

(٥) في ب « محادثة في الإمامة » وما هنا أحسن .

فصار إلى الشام ، فقتل هناك في سنة خمس عشرة ، وليس كتابنا هذا موضعاً
لخبر مقتله ، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها .
ولما ارندت العرب إلا أهل المسجدين^(١) ، وَمَنْ يَنْهَمَا وَأُنَاسًا مِنَ الْعَرَبِ ؛
قدم عدى بن حاتم يابل الصدقة^(٢) إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ؛ ففي ذلك
يقول الحارث بن مالك الطائي :

غدي بن حاتم
الطائي

وَفِينَا وَفَاءَ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ وَسَرَّ بَلْنَا مَجْدًا عَدَىُّ بْنُ حَاتِمٍ
وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمّته اليهود في شيء من الطعام ، وأكل
معه الحارث بن كَلْدَةَ فعصى ، وكان السم لسنة ، ومرض أبو بكر قبل وفاته
بخمسة عشر يوماً .

علته

ولما اختُصِرَ قال : ما آسى^(٣) [على شيء] إلا على ثلاث فعلتها وددت
أني تركتها ، وثلاث تركتها وددت أني فعلتها ، وثلاث وددت أني سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ؛ فأما الثلاث التي فعلتها ، ووددت أني
تركتها فوددت أني لم أكن فقتلت بيت فاطمة ، وذكر في ذلك كلاماً
كثيراً ، ووددت أني لم أكن حرقت الفُجَاءَ وأطلقته نجيحاً أو قتلته
صريحاً ، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قَذَفْتُ^(٤) الأمر في عنق أحد
الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً ، والثلاث التي تركتها ووددت أني
فعلتها وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه ؛ فإنه قد
خيل لي أنه لا يرى شراً إلا أعانه ، ووددت أني كنت قد قذفت المشرق
بعمر بن الخطاب ، فكنت قد بسطت يميني وشمالى في سبيل الله ، ووددت
أنى يوم جَهَزْتُ جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فإن سلم المسلمون سلموا ،
وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً ، وكان أبو بكر قد بلغ مع

كلام له

(١) في ب « إلا أهل المستجدين ومن بينهما » محرفاً .

(٢) في ب « بأهل الصدقة » محرفاً .

(٣) في ب « ما آنا على شيء » محرفاً . (٤) في ب « رميت الأمر »

الجزء الثاني : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ٣٠٩

الجيش إلى مرحلة من المدينة ، وهو الموضع المعروف بذى القصة ، والثلاث التي وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها [وددت أنى كنت سألته فى من هذا الأمر ؛ فلا ينازع الأمر أهله ، و^(١) وددت أنى سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسى منهما حاجة ، ووددت أنى سألته هل للأنصار فى هذا [الأمر] نصيب فنعطيهم إياه .

وخلف من البنات : أسماء ذات النطاقين ، وهى أم عبد الله بن الزبير ، بناته وعمرت مائة سنة حتى عميت ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد تنوزع فى بيعة على بن أبى طالب إياه : فمنهم من قال : بايعه بعد بيعة على إياه موت فاطمة بنشرة أيام ، وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوماً ، وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : ستة ، وقيل غير ذلك .

ولما أنفذ أبو بكر الأمراء إلى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبى سفيان وصيته وهو مُشيع له ، فقال له : إذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده ، للأمراء جيشه وإذا وعدت فأنجز ، ولا تكثرن عليهم الكلام ، فإن بعضه ينسى بعضاً ، وأصالح نفسك يصلح الناس لك ، وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم^(٢) ، فإنه أول خيرك إليهم ، وأقل حبسهم^(٣) حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت الذى تلى كلامهم ، ولا تجعل شرك مع علانيتك^(٤) فيخرج عملك ، وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك ، وإذا بلغك عن العدو غورة فاكتمها حتى تعانها ، واستر فى عسكريك [الأخبار] وأذك حرسك ، وأكثر مفاجأتهم فى ليالك ونهارك ، وأصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك .

(١) زيادة ليست فى ب ولا تتم الثلاثة إلا بذكرها .

(٢) فى ١ « فأكرم مثواهم » . (٣) فى ب « وأقل جلوسهم » .

(٤) فى ١ « فيخرج أمرك » وفى ب « فيخرج عملك » وكلاهما تحريف .

التنبؤون

وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأخبار في هذا الكتاب طلباً للاختصار والإيجاز : منها خبر العنسي الكذاب^(١) المعروف بعيهله ، وما كان من خبره باليمن وصنعاء ، وتنبيئه ومقتله ، وما كان من فيروز ، وغيره من الأنبياء في أمرهم ، وخبر طليحة وتنبيئه ، وخبر سجاح بنت الحارث بن سويد ، وقيل : بنت غطفان وتكنى أم صادر^(٢) ، وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم :

أضحت نبيتنا أتى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكراً
وفيها يقول الشاعر :

أضل الله سعي بني تميم كما ضلت بخطبتها سجاح
وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلة الكذاب ، ثم آمنت بنبوته ، وكانت قبل ادعائها النبوة متكينة تزعم أن سبيلها سبيل سطح [وابن سلمة] والمأمون الحارثي ، وعمر بن لحي^(٣) ، وغيرهم من الكهان ، وصارت إلى مسيلة فنكحها ، وما كان من خبر مسيلة كذاب اليمامة ، وحربه لخالد بن الوليد ، وقتل وحشي له مع رجل من الأنصار ، وذلك في سنة إحدى عشرة ، وما كان من أمره مع الأنصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين ، وقول المنذر بن الحباب : أنا جذيلها المحكك وعُدَيْقُهَا المَرْجَب ، أما والله إن شتمت لنعيدنّها جَذَعَةً ، وقصة سعد بن عبادة ، وما كان من بشر بن سعد^(٤) ، وتخلي الأوس عن معاودة سعد خوفاً أن يفوز^(٥) بها الخزرج ، وأخبار من قعد عن البيعة ومن تابع ، وما قالت بنو هاشم ، وما كان من قصة فدك ، وما قاله

(١) في ب « لعيسى الكذاب المعروف بأهيلة » محرفاً .

(٢) في ب « وتكنى أم صادرة » . (٣) في ب « وعمر بن يحيى » .

(٤) في أ « بشير بن سعد » .

(٥) في ب « أن يغور » بغين معجمة وآخره راء مهلهلة - محرفاً .

الجزء الثاني : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ٣١١

أصحاب النص والاختيار في الإمامة ، وَمَنْ قَالَ بإمامة المفضول وغيره ، وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر أبيها عليه السلام من قول^(١) صفية بنت عبد المطلب :

قَدْ كَانَ بِعَدِّكَ أَنْبَاءَ وَهَيْئَةٍ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الْخُطْبُ^(٢)
إِلَى آخِرِ ! ! شع ، إلى غير ذلك مما تركنا ذكره من الأخبار في هذا
الكتاب ؛ إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتاب « أخبار الزمان »
والكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن ذكره ها هنا ، والله أعلم .

(١) في ب « من قبر صفية بنت عبد المطلب » .

(٢) في ب « قد كان عندك أنباء وهيئة » محرفا .

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

موجز
وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين
خرج حاجا ، فأقام الحج في تلك السنة ، ثم أقبل حتى دخل المدينة ، فقتله
فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة
[تمام] ^(١) سنة ثلاث وعشرين ؛ فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر
وأربع ليالٍ ، وقتل في صلاة الصبح ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن مع
النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، عند رجل النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقيل : إن قبورهم مسطرة : أبو بكر إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ،
وعمر إلى جنب أبي بكر ، وحج في خلافته تسع حجج ، وبعد أن قُتل صلى
بالناس عبد الرحمن بن عوف ، وجعلها سُورَى إلى ستة ، وهم : عليّ ،
وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وصلى عليه
صُهَيْبُ الرومي ، وكانت الشورى بعد [هـ] ثلاثة أيام .

ذكر نسبه ولع من أخباره وسيره

هو عمر بن الخطاب بن نُقَيْل بن عبد العزى بن قُرْط ^(١) بن رِيَّاح بن عبد الله . نسبه
ابن رَزَّاح ^(٢) بن عدى بن كعب ، وفي كعب يجتمع نسبه مع [نسب] النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأمه حَنْتَمَةُ بنت هشام ^(٣) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
وكانت سوداء ، وإِنَّمَا سُمِّيَ الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ، وكنيته
أبو حفص ، وهو أول من سُمِّيَ بأمير المؤمنين ، سماه عدى بن حاتم ، وقيل غيره ،
والله أعلم ، وكان أول من سَلَّمَ عليه بها المغيرة بن شعبة ، وأول من دعا له بهذا
الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري [وأبو موسى أول من كتب إليه : لعبد الله
عمر أمير المؤمنين ، من أبي موسى الأشعري] فلما قرئ ذلك على عمر قال :
إني لعبد الله [وإني لعمر] ^(٤) وإني لأمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان متواضعاً ، خشن اللبس ، شديداً في ذات الله ، واتبعه عماله في سائر
أفعاله وشيمه وأخلاقه ، كلٌّ يَنْشَبُهُ به من غاب أو حضر ، وكان يلبس الجبة
الصوف المرقمة بالأديم [وغيره] ^(٥) ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القرية على كتفه
مع هيبة قد رُزِقَهَا ، وكان أكثر ركابه الإبل ، وَرَحَلَهُ مشدودة بالليف ،
وكذلك عُمَّالَهُ ، مع ما فتح الله عليهم من البلاد وأوسعهم من الأموال .
وكان من عماله سعيد ^(٥) بن عامر [بن خريم] فشكاه أهل حصص إليه وسأله

صفاته
عماله

(١) هكذا ورد في أصول الكتاب ، والذي في الإصابة أنه عمر بن الخطاب بن
نقيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، وفي
أصول هذا الكتاب أن اسم أمه « خيممة » وهو تصحيف ، والتصويب عن
الإصابة (٤ : ٢٧٩) .
(٢) في ١ « رزام » بالميم .
(٣) ويقال : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة . (٤) زيادة في اوحدها
(٥) في ب « سعد بن عامر » ولم يذكر في ١ « بن خريم » .

عَزَّ لَهُ ، فقال عمر : اللهم لَا تُثْقِلْ فراستي فيه ^(١) اليوم [وفال لهم] : ماذا نشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب أحداً بليل ، وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا ، فقال عمر : على به ، فلما [جاء] جمع بينهم وبينه ، فقال : ماتنعمون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، فقال : ماتقول ياسعيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس لأهلي خادم ، فأبجني عيبي ، ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ وأخرج إليهم ، قال : وماذا تنعمون منه ؟ قالوا : لا يجيب بليل ، قال : قد كنت أكره أن أذكر هذا ، إني جعلت الليل كله لربي ، وجعلت النهار لهم ، قال : وماذا تنعمون منه ؟ قالوا : له يوم في الشهر لا يخرج إلينا فيه ، قال : نعم ، ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسى ؛ فقال عمر : الحمد لله الذي لم يُثْقِلْ فراستي فيك ، يا أهل حمص ، استوصوا بواليكم خيراً ، قال : ثم بعث إليه عمر بالفدينار ، وقال : استعن بها ، فقالت له امرأته : قد أغنانا الله عن خدمتك ، فقال لها : ألا ندفعها إلى من يأتينا بها أخوجَ ما كنا إليه ؟ قالت : بلى ، فَصَرَّها صرراً ثم دفعها إلى من يثق به ، وقال : انطلق بهذه [الصرة] إلى فلان ، وبهذه إلى يقيم بنى فلان ، وهذه إلى مسكين بنى فلان ، حتى بقي منها شيء يسير ، فدفعه إلى امرأته ، وقال : أنفق هذا ، ثم عاد إلى خدمته ، فقالت له امرأته : ألا تبعث إلى بذلك المال فنشتري لنا منه خادماً ؟ فقال : سيأتيك أخوجَ ما تكونين إليه .

سلمان الفارسي ومن عماله على المدائن سلمان الفارسي ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار ببردعته بغير إكاف ، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكاً زاهداً ، فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن وقاص : [أوصني] يا أبا عبد الله [قال : نعم] قال : اذكر الله عندهمك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت ، ففعل

(١) في ب « اللهم لا ثقل فراستي فيهم » .

سلمان يبكي ، فقال له : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا الخائفون » وأرى هذه الأسودة حولى ، فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا إداوة^(١) وركوة ومطهرة .

وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه أبو عبيدة الصوف الجافى ، فعذل على ذلك ، وقيل له : إنك بالشام و [والى] أمير المؤمنين^(٢) وحولنا الأعداء ، فغير من زيك ، وأصلح من شارئك^(٣) ، فقال : ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر الواقدي فى كتابه فى فتوح الأمصار أن عمر قام فى المسجد ، فحمد الله وعمر يحرض وأثنى عليه ، ثم دعاهم إلى الجهاد وخشمهم عليه^(٤) وقال : إنكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز ، وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) فتح بلاد كسرى وقيصر ؛ فسيروا إلى أرض فارس ، فقام أبو عبيد^(٦) فقال : يا أمير المؤمنين أأول من انتدب من الناس ، فلما انتدب أبو عبيد انتدب الناس ، وقيل لعمر : أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الأنصار ، فقال : لا أؤمر عليهم إلا أول من انتدب فأمر أبا عبيد ، وفى حديث آخر أنه قيل له : أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والأنصار ؟ فقال : كان أول من انتدب فوليته ، وقد أمرته أن لا يقطع أمر أدون مسألة بن أسلم بن حريش^(٧) وسليط بن قيس ، وأعلمته أنهما من أهل بدر ، وخرج فلقي جميعاً من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس ، فأنهزم ، وسار أبو عبيد حتى عبر الفرات ، وعقده بعض الدهاقين جسراً ، فلما خلف الفرات

(١) فى ب « إلا دواة » (٢) فى ا « وأمير الجيش » (٣) فى ا « وأصلح من آلتك »

(٤) فى ا « وخشمهم عليه » . (٥) فى ا « وقد وعدكم الله » .

(٦) فى ا « فقام أبو عبيد بن مسعود » ووقع فى ب « أبو عبيدة » هنا وفى كل ما يأتى ، والصواب ما فى ا .

(٧) فى ب « بن حويس » وهو خطأ ، والتصويب عن سيرة ابن إسحاق ،

وفى ا « بن جريش » .

وراءه أمر بقطع الجسر ، فقال له مسلمة بن أسلم : أيها الرجل ، إنه ليس لك علم بما نرى ، وأنت تخالفنا ، وسوف يهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك ، تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ما جأ من هذه الصحارى والبرارى [فلا تريد إلا أن تهلكهم في هذه القطعة] فقال : أيها الرجل ، نقدم ققائل فقد حُمَّ ما ترى ، وقال سليط : إن العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ، ولا كان لهم بقتالهم عادة ، فاجعل لهم ملجأ ومرجعاً من هزيمة إن كانت ، فقال : والله لا فعلت جُبْنْتُ يا سليط ، فقال سليط : والله ما جُبْنْتُ ، وأنا أجزأ منك نفساً وقيلاً ، ولكن والله أشرتُ بالرأى ؛ فله أقطع أبو عبيد الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب إلى الفيلة عليها التجفاف فرأوا شيئاً لم يروا مثله قط ، فانهزم الناس جميعاً ، ثم مات في الفرات أكثر ممن قتل بالسيف ، وخالف أبو عبيد سليطاً ، وقد كان عمر أوصاه أن يستشير ولا يخالفه ، وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا إليه ^(١) ، ولا يقطع الجسر ، فخالفه ، وقال سليط في بعض قوله : لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزرت بالناس ، ولكنى أسمع وأطيع ، وإن كنت قد أخطأت وأشركتى عمر معك ، فقال له أبو عبيد : تقدم أيها الرجل ، فقال : افعل ، فتقدما فقتلا جميعاً ، وقد كان أبو عبيد في هذا اليوم ترجل ، وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف ، فدنا من الفيل ورمحه في يده فطعنه في عينه ، فحبط الفيل أبا عبيد ^(٢) بيده ؛ وجال الناس ، وتراجعت رجال فارس ^(٣) ، فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيد ، وبادر رجل من بكر بن وائل [والمثنى بن حارثة] ^(٤) فحصى الناس حتى عقدوا

(١) وقع في ب « ألا يغير حتى يغيروا عليه » .

(٢) في ب « قتل الفيل أبا عبيد بيده » .

(٣) في أ « وجال المسلمون وتراجعت فلال فارس » .

(٤) لا يوجد هذا الاسم في أ .

الجسر فعبروا ومعهم المئتي حارثة ، وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقاً وقتلاً ، وكان على جيش فارس في هذا اليوم جاذويه ، ومعه راية فارس التي كانت لأفريدون ، حتى ثار الناس من الوهاد^(١) ، وهي المعروفة بدرفش كاويان^(٢) وكانت من جلود النمر طولها اثنا عشر ذراعاً في عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل ، وكانت فارس نقيم بها وتظهرها في الأمر الشديد ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الارية في أحبار الفرس الأولى فيما سلف من هذا الكتاب .

ولما قتل أبو عبيد الثقفي بالجسر شق ذلك على عمرو على المسلمين ، فطَبَّ عمر الناس وحشمهم على الجهاد ، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق ، وعسكر عمر [بصرار] وهو يريد الشخصوس ، وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله ، وعلى يمينته الزبير بن العوام ، وعلى يسرته عبد الرحمن بن عوف ، ودعا الناس ، فاستشارهم فأشاروا عليه بالسير ، ثم قال لعلى : ما ترى يا أبا الحسن ، أسير أم أوث ؟ قال : سر بنفسك فإنه أهيب العدو وأرهب له ، فخرج من عنده ، فدعا الناس في جلة من مشيخة قريش وشاورهم ، فقالوا : أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فئة ، وخرجوا ، فدخل إليه عبد الرحمن بن عوف ، فاستشاره ، فقال عبد الرحمن : فديت بأبى وأمى ، أقم وابعث ؛ فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهمزيمتك ، وإنك إن تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً ، قال : أشر على من أبعث ؟ قال : قلت : سعد بن أبى وقاص ، قال عمر : أعلم أن سعداً رجل شجاع ، ولكنى أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ، قال عبد الرحمن : هو على ما تصف من الشجاعة ، وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرأ فاعهد إليه وشاورنا فيما أردت أن تحدث إليه ؛ فإنه لن يخالف أمرك ، ثم خرج فدخل عثمان عليه ، فقال له : يا أبا عبد الله

(١) في ١ « حتى ثار الناس بالدهاك »

(٢) في ب « وهي المعروفة بدرفش كاسان » .

أشعر على أسير أم أقيم؟ فقال عثمان: أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيش، فإنه لا آمن إن أتى عليك أت أن ترجع العرب عن الإسلام، ولكن ابعث الجيش وداركها بعضها على بعض، وأبعث رجلاً له تجربة بالحرب ويصبر بها، قال عمر: ومن هو؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: فآلقه وكلمه وذاكره ذلك، فهل تراه مسرعاً إليه أو لا، فخرج عثمان فأتى علياً فذاكره ذلك، فأبى على ذلك وكرهه، فعاد عثمان [إلى عمر] فأخبره، فقال له عمر: ومن ترى؟ قال: سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل: قال: ليس بصاحب ذلك، قال عثمان: طلحة بن عبيد الله، قال له عمر: أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل، ولكنني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب؟ قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سعد ابن أبي وقاص، فقال عثمان: هو صاحب ذاك؛ ولكنه رجل غائب [وما معنى من ذكره إلا أني قلت: رجل غائب] في عمل، فقال عمر: أرى أن أوجهه، وأكتب إليه أن يسير من وجهه ذلك، فقال عثمان: ومُرّه فليشاور قومًا من أهل التجربة والبصر بالحرب، ولا يقطع الأمور حتى يشاورهم، ففعل عمر ذلك وكتب إلى سعد بالتوجه نحو العراق.

وقد كان جرير بن عبد الله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت إليه بحيلة فسرّهم نحو العراق، وجعل لهم ربع ما ظهروا^(١) عليه من السواد، وسأهم مع المسلمين، وخرج عمر فشيّعهم، ولحق جرير بناحية الأبلّة ثم صاعد إلى ناحية المدائن^(٢)، ونمى قدوم جرير إلى مَرْزُبَان المدائن وكان في عشرة آلاف [من فارس] من الأساورة، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيد وسليط، فقال بحيلة لجرير: اغتبر الدجلة إلى المدائن، فقال جرير: ليس ذلك بالرأي، وقدمضى لكم في ذلك عبرة بمن قتل من أخوانكم يوم الجسر، ولكن أمهلوا القوم؛ فإن جمعهم كثير حتى يعبروا إليكم، فإن فعلوا فهو الظفر إن شاء الله تعالى، فأقامت

(١) في ب « وجعل لهم ربعاً فآظروا عليه » . (٢) في أ « ناحية للزوار »

الفرس أياماً بالمدائن ، ثم أخذوا في العبور ، فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمين تسرع معه من بحيلة ، فثبتوا ساعة ، فقتل المَرْزُبان ، وأخذهم السيف ، وغرق أكثرهم في دجلة ، وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم ، وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالبحيلة^(١) ، فأقبل إليهما مهران في جيوشه ، فامتنع المسلمون من العبور إليهم ، فعبر مهران [وبغى على المسلمين] فالتقوا وصبر الفريقان جميعاً حتى قتل مهران [قتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ، ضربه البجلي ، وطعنه الضبي ، وفاز جرير بمنطقته وسكبه ونزاع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران ، وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ، ولحسان في ذلك أبيات :

ألم ترني خالستُ مهران نفسه بائتمَرَ فيه كالخلخال طير
[نخر صريعاً والتقتاني برجله] وبادر في رأس الهمام جرير^(٢)
فقال : قتيل ، والحوادث جمة ، وكاد جرير للسرور يطير
[فقال أبو عمرو : وقتلي قتله] ومثلي قليل والرجال كثير
[فأرسل يميناً أن ربحك ناله] وأكرم أن تحلف وأنت أمير
وقد تنازع أهل الأخبار والسير في جرير والمثنى : فمن الناس من ذهب إلى أن جريراً كان [هو] المولَّى على الجيش ، ومنهم من رأى أن جريراً على قومه والمثنى على قومه .

ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك ، وسار شيرازاد في جمع فارس الأعظم وكنيته بوران ؛ وقد كانت جمهرة الأساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم ، ففتحى المسلمون لما بلغهم مسيره ، فلحق جرير بكاطمة فزها ، وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف ، وبها آبار كثيرة بين الكوفة^(٣) وزباله على ثلاثة

(١) في ١ « بالبحيلة » . (٢) لا توجد هذه الأبيات في أوليست بذلك

(٣) في ب « وبها آثار كثيرة وهي من الكوفة على ثلاثة » .

أُميال من المنزل المعروف بواقصة ، وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه يوم الجسر وغيره فمات بسيراف ، رحمه الله تعالى ! ،

سعد بن أبي وقاص

ولما ورد كتاب عمر على سعد بن أبي وقاص نزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ، ثم أتى سيراف ، وأناه الناس من الشام وغيرها ، ثم سار فزل العذيب وهو على قم البر وطرف السواد مما يلي القادسية ، فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم ، والمسلمون يومئذ في ثمانية وثمانين ^(١) ألفاً [وقيل : إن من أسهم له ثلاثون ألفاً] ^(٢) والمشركون في ستين ألفاً ، أمام جيوشهم الفيلة عليها الرجال ، وحرّض الناس بعضهم بعضاً ، وبرز أهل النجدات ، فأشبهوا القتال ، وخرج إليهم أقرانهم من صناديد فارس ، فاعتوروا الضرب والطعن ، وخرج غالب بن عبد الله الأسد في [من خرج] ذلك اليوم وهو يقول :

قد علمت واردة المسالـح ذات البنان واللبان الواضح ^(٣)

أنى سمامُ البطل المشايـح وفارج الأمر المهم الفادح ^(٤)

فخرج إليه هرمز — وكان من ملوك الباب والأبواب ، وكان متوجاً — فأمره غالب [أسراً] ، فأتى به سعداً ، وكر راجعاً إلى المطاردة ، وحي الوطيس ، وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين يتغشاه الذهب

أنى امرؤ لا من يعنيه السبب [مثلى على مثلك يغربه العتب] ^(٥)

فبرز إليه عظيم من أساورتهم ، فجلا ، ثم إن الفارسي ولى ، واتبعه عاصم حتى لجأ إلى صفوفهم ، وعمّوه ، وغاص عاصم بينهم حتى أيس الناس منه ، ثم خرج في مجنّبات القاب ، وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة ،

(١) في ١ « في ثمانية وثلاثين ألفاً » . (٢) ١٠ بين المعقوفين سافط من ا

(٣) في ب « ذات البيان واللسان الواضح » محرفاً

(٤) في ب « أنى سنام البطل » وفيها « وفادح الأمر » وفيه وفارج الأمر

(٥) في ا « لا من يعينه النسب » وسقط منها ما بين المعقوفين .

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٢١

فأتى به سعد [بن مالك]^(١) وعلى البغل رجل عايه مَقَطَّات ديباج وقانسوة مُدَهَّبة ، وإذا هو خبار الملك ، وفي الصناديق اطائف الملك من الأَخِيصَة والعسل المعقود ، فلما نظر إليه سعد قال : انطالقوا [به] إلى أهل مَوْفِيهِ ، وقولوا : إن الأمير قد نَفَلَكم^(٢) هذا فكلوه [ففعلوا] .

وكانت وقعة القادسية في الحرم سنة أربع عشرة ، ومال [من الفيلة] سبعة أيام القادسية عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا ، وعلى الفيلة تجافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحريز نحو بحيلة ، وحول الفيلة الرجال والخيول ، فبعث [سعد] إلى بنى أسد لما نظر إلى المراكب والفيول قد مالت إلى بحيلة ، فأمرهم بمَعْوَتهم ، ومالت عشرون فيلا نحو القلب ، فخرج طلحة بن خويلد الأسدي مع فرسان بنى أسد [قتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم]^(٣) فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها ، واشتد الجِلَاد على بنى أسد في هذا اليوم من سائر الناس ، وهذا اليوم يعرف بيوم أغواث .

فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام ، والأمداد سائرة قد غطت بأبنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ، ومعهم القَعَقَاع بن عمرو ، وذلك بعد فتح دمشق بشهر ، وقد كان عمر رضى الله عنه كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد إلى العراق ، ولم يذكر في كتابه خالداً ، فشح أبو عبيدة^(٤) بتخليفة خالد عن يده ، وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا ، وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أنى بكر في قصة مالك بن نويرة ، وغير ذلك ، وكان خالد بن الوليد

(١) زيادة في ب « ومالك اسم والد سعد بن أبي وقاص » .

(٢) في ا « إن الأمير قد أرسل لكم هذا » .

(٣) هذه الزيادة عن ب وحدها . (٤) في ا « فسنح أبو عبيدة »

خال^(١) عمر ، فتقدم القعقاع في أوائل المدد ، فأيقن أهل القادسية بالذعر على فارس ، وزال عنهم ملحقهم بالأمس من القتل والجراح ، وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه عظيم منهم ، فقال له القعقاع : من أنت ؟ قال : أنا بهمن بن جاذويه ، وهو المعروف بذي الحجاب ، فنادى القعقاع : يا لثارات أبي عبيدوسليط وأصحابهم يوم الجسر !! وقد كان ذو الحجاب مبارزاً لهم على ما ذكرنا من قتله إياهم ، فجألاً ، فقتله القعقاع ، ويقال : إن القعقاع قتل في ذلك اليوم ثلاثين رجلاً في ثلاثين حملة ، كل حملة يقتل فيها [رجلاً] ، وكان آخر من قتل عظيماً من عظمائهم يقال له بزرجمهر ، ففيه يقول القعقاع :

حَبَوَتْهُ جَيَّاشَةٌ بِالنَّفْسِ هَذَّارَةٌ مِثْلُ شَعَاعِ الشَّمْسِ^(٢)
فِي يَوْمِ أَغَوَاثِ قَتِيلِ الْعَرَسِ أَنَحْسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ نَحْسِ^(٣)
حتى يفيض معشري ونفسي

وبارز في ذلك اليوم الأعور بن قطبة شهريار سجستان قتل كل واحد منهما صاحبه [فقال أخو الأعور في ذلك :

لم أر يوماً كان أحلى وأمر من يوم أغواث إذا افتَرَ الثُّغْرُ
من غير ضحك كان أسوا وأبر^(٤)

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب ، وجلس في أعلاه يشرف على

(١) في ب « وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر » وهو لا أصل له فأصلحناه كما ترى ؛ لأن خالداً هو ابن الوليد بن المغيرة ، وأم عمر هي حتمة بنت هشام (أو هاشم) بن المغيرة ؛ فخالد ابن عم أم عمر ؛ فهو خال عمر بنوع من التجوز ووقع في ا « ابن خالة عمر » .

(٢) في ا « حبوته حياشة » وفي ب « جاشة » وفي نسخة عند ا « هذارة » .

(٣) في ا « في يوم أغواث قتل العرس * أنحنس . . . النحس » .

(٤) سقط هذا من ا ، وهو في ب موافقاً لما في تاريخ الطبري .

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٢٣

الناس ، وقد تواقف الفريقان جميعاً ، وأمسى الناس يفتمون ، فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده فى أعلى القصر : إن تم^(١) الناس على الالتئاء فلا توقظونى فإنهم أفوياء على عدوهم ، وإن سكتوا فأيقظونى فإن ذلك نذر ، واشتد القتال فى الليل .

وكان أبو حنن الثقفى محبوساً فى أسفل القصر ، فسمع اتئاء الناس إلى آبائهم وعشائهم ، ووقع الحديد وشدة البأس ، فأنسف على ما يفوته من تلك المواقف ، فحبا حتى^(٢) صعد إلى سعد يستشفعه ويستقبله ، ويسأله أن يخلى عنه ليخرج ، فزجره سعد وردّه ، فأنحدر راجعاً ، فنظر إلى سلى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى ، وقد كان سعد تزوجها بعده ، فقال : يا بنت حفصة ، هل لك فى خير ؟ فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخالين عنى وتعيرينى البقاء والله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى القيد ، فقالت : وما أنا وذلك ؟ فرجع يرسف فى قيده وهو يقول :

كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقتنا وأترك مشدوداً على وثاقها^(٣)
إذا قت عنائى الحديد فأغلقت مصارع من دونى تُصمُّ للناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة فقد تركونى واحداً لا أخاليا
فله عهد لا أخيسُ بهده لئن فرجت أن لأزور الخوانيا

ف قالت سلى : إني استخرت الله ورضيت بعهدك ، فأطلقتها ، وقالت : شأنك وما أردت ، فاقتاد بقاء سعد ، وأخرجها من باب القصر الذى بلى الخندق ، فركبها ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمح وسلاحه بين الصفين ، فأوقف ميسرتهم وقتل رجالاً كثيراً من قَتَاَهم ، ونكس آخرين ، والفريقان يرمقونه بأبصارهم ، وقد تنوزع فى البقاء

(١) فى ١ « إن تمادى الناس » . (٢) فى ١ « فجثا حتى صعد » .

(٣) فى ١ « كفى حزناً أنى أرى الخيل » وفى الطبرى « أن تردى الخيل »

وفى ديوان أبى محجن « أن تطعن الخيل بالقتنا » .

فمنهم من قال : إنه ركبها عُرْيًا ، ومنهم من قال : بل ركبها بسَرْجٍ ، ثم غاص في المسلمين ، فخرج في ميسرتهم ، وحمل على ميمنة القوم فأوقفهم ، وجعل ياهب برمح وسلاحه لا يبدوله^(١) فارس إلهتك ، فأوقفهم ، وهابته الرجال ، ثم رجع فغاص في قلب المسلمين ، ثم برز أمامهم ووقف بإزاء قلب المشركين ، ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة ، وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه ، وحمل عن المسلمين الحرب ، فتعجب الناس منه ، وقالوا : من هذا الفارس الذي لم نَرَهُ في يومنا^(٢) ؟ فقال بعضهم : هو من قدم علينا من إخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة المِرِّ قال ، وقال بعضهم : إن [كان] الخضر عليه السلام يشهد الحرب فهذا هو الخضر قد منَّ الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا ، وقال قائل منهم : لولا أن الملائكة لا تبشر الحروب لقلنا إنه ملك ، وأبو محجن كالليث الضَّرَّ عام قدهتك الفرسان كالعقاب يحول عايهم ، ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معدي كرب وطاحنة بن خُوَيْلِد والقعقاع [بن عمرو] وهاشم بن عتبة المِرِّ قال وسأُرفُتُك العرب وأبطالها ينظرون إليه ، وقد حاروا في أمره ، وجعل سعد يفكرو ويقول وهو مُشْرِف على الناس من فوق القصر : والله لو لا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، فلما انتصف الليل تهاجز الناس ، وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون إلى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ، وَرَدَّ البلقاء إلى مربطها [وعاد في محبسه] ووضع رجله في القيد ، ورفع عقيرته وهو يقول :

لقد علمت ثَقِيفٌ غير نحر بأنا نحن أكرمهم سيوفًا
وأكرمهم دُرُوعًا سايغاتٍ وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفًا^(٣)

(١) في ١ « لا يبرز له فارس » .

(٢) في ١ « لم نره في قومنا هذا » محرفا .

(٣) في ١ « وأكرمهم دروعا سايغات » وكذلك في تاريخ الطبري . وهذه الأبيات في الديوان (٧٠ ليدن) ببعض اختلاف .

الجزء الثانى : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٢٥

وليلة قاص لم يشعروا بى ولم أشعر بمخرجى الزحوظا^(١)
 وأنا رفسدتم فى كل يوم فإن عتبوا فسل بهم عريفا
 فإن أحبس فذلكم بلائى وإن أترك أذيقهم الحتوظا
 فقالت له سلمى : يا أباحجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ تعنى سعدا ،
 قال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى
 الجاهلية ، وأنا أمرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فأصف القهوة وتداخلى أريحية
 فالتذ بمدهى إياها ، فذلك حبسنى لأنى قلت فيها :
 إذا مت فادفنى إلى جنت كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
 ولا تدفنى بالفسلة فإننى أخاف إذا مامت أن لا أذوقها
 وهى أبيات .

وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها ، لذكرها المثنى عند
 مختلف القنا ، فأقامت مضاضة له عشية أغواث وليلة ألهرى و ليلة السواد ، حتى إذا
 أصبحت أتته فترضته وصالحته ، ثم أخبره خبرها مع أبى محجن ، فدعا به ، فأطامه
 وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرّم والله
 لا أجب لسانى إلى صفة قبيح أبداً .

وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم ، وهو يوم عماس ، وأصبحت
 الأعاجم على مواقفها ، وأصبح بين الفريقين كالرجلة الحمراء — يعنى الحرة —^(٢) فى
 عرض ما بين الصفيين ، وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة ما بين ريث وميت ،
 وقتل من الأعاجم ما لا يحصى ، فقال سعد : أيها الناس ، من شاء غسل الشهيد الميت
 والرثيث ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحزروهم

(١) فى ب « ليلة فارس » وفى ا « و فارس ليلة لم يشعروا بى » وقد
 أثبتنا ما فى تاريخ الطبرى ، وهذا البث ليس فى الديوان .
 (٢) وقع فى ب « كالرجلة الغوراء والفرات » وفى ب « كالرجلة الغوراء »
 وأصل العبارة عن الطبرى فأثبتنا ما فيه .

وجعلوهم وراء ظهورهم ، وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرِّثيث إلى النساء ويعالجونهن من كلِّ مَهم ، وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة ، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر إلى تلك النخلة — ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها ، واليوم بها نخل كثير — قال لِحامله : قد قربت من السوداء ، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة ، فإراح تحتها ساعة ، فسمع رجل من الجرحى [يقال له بجير من طي* ، وهو يوجد بنفسه و] يقول :

ألا يا اسلمى يا نخلة بين فادس وبين العذيب ، لا يجاورك النخل^(١)

وسمع آخر من بنى تيم الله — وقد أريج تحتها وحشوته خارجة من جوفه — وهو يقول :

أيا نخلة الجرعاء ، ويا نخلة العدا سقتك الغواذى والغيوثُ الموائل^(٢)

[وأنحن الأعور بن قطبة^(٣) ، فحمل من المعركة ، فسأل حاله أن يريحه تحتها حتى إذا بلغ إليها قال :

أيا نخلة بين العذيب فتاعة سقتك الغواذى الداجناتُ من النخل]^(٤)

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية ، وهي صبيحة ليلة الحرير ، وهي :

(١) فى الأصول « بين فارس » والتصويب عن الطبرى (٤ : ١٢٥) .

(٢) فى بعض الأصول « أيا نخلة الجرحى » وفى الطبرى :

* أيا نخلة الجرعاء يا جرعة العدى *

(٣) فى ب « بن قطنة » وسقط هذا الكلام من أ .

(٤) فى الطبرى (٤ : ١٢٥) يروى البيت هكذا :

أيا نخلة دون العذيب بتلعة سقيت الغواذى للدجنات من النخل

والذى فى الطبرى أن هذا البيت يقوله عوف بن مالك التيمى ، تيم الرباب

وأن بيت الأعور هو قوله :

أيا نخلة الركبان لا زلت فانصرى ولازال فى أكتاف جربائك النخل

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٢٧

تسمى ليلة القادسية من تلك الأيام ، والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها ، وحرّض رؤساء القبائل عداّهم ، واشتد الجلال إلى أن جاء وقت الزوال ، فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان [والنيرمران]^(١) ، فتأخرا ، وثبتنا حيث اتبنا ، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة ، وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريريه ، فهوت في نهر العتيق والريح دبور ، فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله ، وضرب هلال بن علقمة الحبل الذي رستم في ظله فقطع حباله ، ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به ، فأزال من ظهره مقفارة [وضربه هلال ضربة فنفتحت مسكا]^(٢) ، ومضى رستم إلى نحو نهر العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحم هلال عليه فتناول به برجله ، ثم خرج به إلى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به يحمله حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى : قتلت رستم ورب الكعبة ، إلى إلى ، فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه ، وتنادوا ، وتجنبت قلوب المشركين عندها وانهمزوا وأخذهم السيف ، فمن غريق وقتل ، وقد كان ثلاثون [ألفاً] منهم قرّنوا أنفسهم بعضهم إلى بعض بالسلاسل والخيال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا^(٣) ، فجنّوا على الركب ، وقرع بين أيديهم فناديل الشباب ، فقتل القوم جميعاً .

وقد تنوزع فيمن قتل رستم : فذهب الأكثر إلى أن قاتله هلال بن علقمة من تميم الرباب على ما قدمنا ، ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بني أسد ، ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم — وهو عمرو بن شاس الأسدي — من أبيات :

(١) ما بين المعلقين ساقط من ب .

(٢) في ١ « حتى يقتحموا أو يقتلوا »

جلبنا الخليل من أكناف نيق إلى كسرى فواقفها رعالاً^(١)
 [تركن بهم على الأقسام شجواً وبالخقوين أياماً طوالاً]^(٢)
 قتلنا رستا وبنيه قسراً تثير الخبل فوقهم الهبالاً^(٣)
 تركنا منهم حيث التقينا قياماً لا يريدون ارتحالاً

وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمر المعروفة بدرفش كاويان ، وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر ، فموض منها بثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألفي ألف ومائتي ألف^(٤) ، وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية — غير ما ذكرنا من القرنين^(٥) وغيرهم — عشرة آلاف .

وقد تنازع الناس ممن سلف وخلف في عام القادسية والعذيب ؛ فذهب كثير من الناس إلى أن ذلك [كان في سنة ست عشرة ، وهذا قول الواقدي عن آخرين من الناس ، ومنهم من ذهب إلى أن ذلك] كان في سنة خمس عشرة ، ومنهم من رأى أنه كان في سنة أربع عشرة ، والذي قطع عليه محمد بن إسحاق أنها كانت في سنة خمس عشرة ، وقال : في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح [والذين ذهبوا إلى أن وقعة القادسية كانت في سنة أربع عشرة احتجوا بهذه الرواية ، وكتب عمر إلى الأمصار بإقامة صلاة التراويح] ، وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة إلى البصرة فنزلها ومصرها ، وذهب كثير من الناس أنها مضرت في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتكريت ،

محدد
تاريخ القادسية

تصير البصرة

- (١) في « من أكناف نيق » وفي ب في أكناف هيق .
 (٢) سقط هذا البيت من أ ، ووقع في ب « تركن لهم على الأضنام سحرا » بحرفا
 (٣) في ب « فوقهم الهبالا » . (٤) في أ « ألف ألف ومائتي ألف » .
 (٥) في ب « القرنين » وأثبتنا ما في أوهم الذين قروا أنفسهم بالسلاسل كما تقدم

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٢٩

وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخُرَيْبَةِ^(١)، ومَصَّر سعد بن أبي وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ، ودلهم تمصير الكوفة على موضعها [ابن] ثعلبة الغساني، وقال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة ، فدلّه على موضع الكوفة اليوم .

قال المسعودى : وكان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة ، فكتب إليه المغيرة بن شعبة : إن عندى غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعات ، فأذن له ، وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين ، وكان يدعى أبا لؤلؤة ، وكان مجوسياً من أهل نهاوند ، فلبث ما شاء الله ، ثم أتى عمر يشكو إليه نقل خراجيه ، فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟ قال : نقاش نجار حداد ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير فى كنه ما تحسن من الأعمال ، فضى عنه وهو يتذمر^(٢) ، قال : ثم مر بعمراً ما آخرو هو قاعد ، فقال له عمر : ألم أحدث عنك أنك تقول : لو شئت أن أصح رَحاً تطحن بالريح لفعلت ، فقال أبو لؤلؤة : لأصنعن لك رَحاً يتحدث الناس بها ، ومضى أبو لؤلؤة ، فقال عمر : أما العليج فقد توعّدني^(٣) آتفاً ، فلما أزمع بالذي أوعد^(٤) به أخذ خنجرأ فاشتعل عليه ثم قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس ، وكان عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس [للصلاة] ، فمر به ، فثار إليه فطعن ثلاث طعنات إحداهن تحت سترته وهى التى قتلتته ، وطعن اثني عشر رجلاً من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقى ستة ، ونحر نفسه بخنجره فمات ، فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يحود بنفسه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، استخلف على أمة محمد ؛ فإنه لو جاءك راعى إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعى لها لمتته وقلت له : كيف تركت أمانتك ضائعة ؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد ؟ فاستخلف

(١) فى ب ، الحرية « محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى والطبرى (٤ / ١٤)

(٢) فى ب ، وهو مدبر « محرفاً (٣) فى ا « أما العبد فقد توعّدني »

(٤) فى ا « فلما أزمع على الذى أزمع عليه » .

عليهم ، فقال: إن استخلف عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر ، وإن أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه. وكان إسلام عمر قبل الهجرة بأربع سنين [وكان يخضب بالحناء والكتم]^(١)

أولاد عمر
وكان له من الولد: عبد الله ، وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاصم ، وعبيد الله ، وزيد ، من أم ، وعبد الرحمن ، وفاطمة ، وبنات أخر ، وعبد الرحمن الأصغر — وهو المحدث في الشراب ، وهو المعروف بأبي شحمة — من أم .

عمر
وابن عباس
وذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا ابن عباس ، إن عامل حمض هلك ، وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شيء لم أره منك ، وأعياني ذلك^(٢) ، فما رأيك في العمل؟ قال : لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك ، قال : وما تريد إلى ذلك؟ قال: أريده ، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيتُ منه عليها الذي خشيتُ ، وإن كنتُ بريئاً من مثله علمتُ أني لست من أهله ، فقبلتُ عملك هنالك ، فإني قد رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته ، فقال: يا ابن عباس ، إني خشيتُ أن يأتي عليّ الذي هو آتٍ وأنت في عملك فتقول: هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم ، قال: والله قد رأيت من ذلك ، فلم تراه فعل ذلك^(٣)؟ قال: والله ما أدرى أضمن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ، ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك ، فما رأيك؟ قال: قلت : أرى أن لا أعمل لك ، قال : ولم؟ قلت : إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذّي في عينك ، قال : فأشر عليّ ، قلت : إني أرى أن تستعمل صحيباً منك صحيباً لك.

(١) زيادة في ب وحدها . (٢) في ا بدل هذه العبارة « وأخشاه عليك »

(٣) في ا « قال : قد قلت والله رأيت من ذلك ما رأيت فلم تره فعل غير

ذلك » وهي عبارة قلقة .

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣٣١

وذكر علقمة بن عبد الله المزني^(١) ، عن معقل بن يسار ، أن عمر بن الخطاب عمر يستعمل شاور الهرمزان في فارس وإصبهان وأذربيجان ، فقال له : أصبهان الرأس ، النعمان بن مقرن غازيا لهاوند وفارس وأذربيجان الجناحان ، فإن قطعت أحد الجناحين ناء الرأس بالجناح الآخر ، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان ، فابدأ بالرأس ، فدخل المسجد فإذا هو بالنعمان ابن مقرن يصلي ، فقفد إلى جنبه ، فلما قضى صلاته قال : ما أراي إلا مستعلك ، قال : أما جايافلا ، ولكن غازيا ، قال : فإنك غازٍ ، فوجهه وكتب إلى أهل الكوفة أن يمددوه ، وبعث معه الزبير بن العوام ، وعمر بن معديكرب ، وحذيفة ، وابن عمرو ، والأشعث بن قيس ، فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم ، وهو يقال له ذو الجناحين ، فقطع إليهم نهرهم ، فقبل لذي الجناحين : إن رسول العرب ها هنا ، وشاور أصحابه ، فقال : ما ترون ؟ فقالوا : أقعد له في بهجة الملك [أو أقعد له في هيئة الحرب ، فقال : بل أقعد له في بهجة الملك] ، فصعد على سريرته ووضع التاج على رأسه وأقعداً بناء الملوك سماطين عليهم الأقراط وأسورة الذهب والديباج ، وأذن للخيرة ، فأخذ بضبعيه رجلا ن ومعه سيفه ورمحه قال : فجعل المغيرة يطعن برمحه في بسطهم يخرقها لينظر وافيغضبهم بذلك^(٢) حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما . فقال : إنكم معشر العرب أصابكم جهد ، فإن شئتم مرناكم ورجعتم ، فتكلم المغيرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنا معشر العرب كنا ذلة يطؤونا الناس ولا نطؤونهم ، وناكل الكلاب والجيف ، ثم إن الله تعالى بعث منا نبيا في شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم يبعثه ، وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا ، وإنه وعدنا فيما وعدنا به أناسنا ملك ما ها هنا ونقلب عليه ، وإنني أرى ها هنا هيئة وبزة مامن

(١) في ب « علقمة بن عبد الله المزني » .

(٢) في ا « فيغضبهم بذلك » .

خَلْفِي بَتَارِكِيهَا [حَتَّى] بِصِيْبُوهَا أَوْ يَمُونُوا ، فَقَالَتْ لِي نَفْسِي : لَوْ جَمَعْتَ جَرَامِي زَكَةً
وَوَثَّيْتُ قَفْعَدْتَ مَعَ الْعِلْجِ عَلَى سَرِيرِهِ حَتَّى يَتَطَيَّرَ ، قَالَ : فَوَثَّيْتُ وَثْبَةً فَإِذَا أَنَا مَعَهُ
عَلَى سَرِيرِهِ ، فَجَعَلُوا يَلْكُزُونَنِي بِأَرْجَائِهِمْ وَيَجْذِبُونَنِي بِأَيْدِيهِمْ . فَقَالَتْ لَهُمْ : إِنَّا
لَا نَفْعَلُ بِرُسُلِكُمْ هَكَذَا ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ فَجَرْتَ وَاسْتَخَفَفْتَ فَلَا تُؤَاخِذُونِي ^(١) ، فَإِنْ
الرَّسُلُ لَا يَصْنَعُ بِهَا هَكَذَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنْ شِئْتُمْ قَطَعْنَا إِلَيْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ قَطَعْتُمْ
إِلَيْنَا ، قَالَتْ : بَلْ نَقْطَعُ إِلَيْكُمْ ، فَقَطَعْنَا إِلَيْهِمْ ، قَالَ : فَتَسْلُلُوا كُلُّ خَمْسَةٍ وَسِتَّةٍ حَتَّى لَا يَفِرُوا .
فَدَنُونَا إِلَيْهِمْ ^(٢) فَضَايِقْنَاهُمْ ، فَرَشَقُونَا حَتَّى أَشْرَعُوا ^(٣) ، فِينَا ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لِلنِّعْمَانِ :
إِنَّهُ قَدْ أَشْرَعَ فِي النَّاسِ وَقَدْ جَرَحُوا ، فَلَوْ حَمَلْتَ ، فَقَالَ النِّعْمَانُ : إِنَّكَ لَتَدُو مَنَاقِبَ ،
وَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ إِذَا لَمْ يَقَاتِلْ أَوَّلَ
النَّهَارِ انْتِظَرَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ وَتَهْبِ الرِّيَّاحُ وَيَنْزِلَ النَّصْرُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي هَازٍ
لَوْ أُنِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَأَمَّا أَوَّلُ هَزَّةٍ فَلْيَقْضِ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَلْيَتَوَضَّأْ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ
فَلْيَنْظُرِ الرَّجُلُ إِلَى شِسْعِهِ وَلْيَلْزِمِ سِلَاحَهُ ^(٤) ، فَإِذَا هَزَزْتَ الثَّالِثَةَ فَاحْمِلُوا وَلَا
يَلْوِيَنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَإِنْ قَتَلَ النِّعْمَانُ ، وَإِنِّي دَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِدَعْوَةٍ ، وَأَقْسَمْتُ
عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَنَعْتُمْ لِمَا أَمَّنَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقِ النِّعْمَانَ الْيَوْمَ شَهَادَةً
فِي بَصَرٍ وَفَتْحَ عَلَيْهِمْ . فَأَمَّنَ الْقَوْمُ . فَهَزَّ [لَوَاءَهُ] ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَدْنَى دَرْعَهُ ^(٥) وَحَمَلَ
ثُمَّ حَمَلَ النَّاسَ فَكَانَ أَوَّلَ صَرِيحٍ ، قَالَ مَعْقِلٌ : فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَذَكَرْتُ عَزِيمَتَهُ أَلَا
أَقْفُ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمْتُ غُلَمَانَهُ لِأَعْرِفَ مَكَانَهُ ، وَأَمْعَنَّا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَوَقَعَ ذُو الْجَنَاحَيْنِ
عَنْ بَغْلَةٍ لَهُ شَهْبَاءٌ فَانْشَقَّ بَطْنُهُ ، وَفَتْحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَتَيْتُ إِلَى مَكَانِ النِّعْمَانِ
فَصَادَفْتُهُ وَبِهِ رَمَتِي ، فَأَتَيْتُهُ بِإِدَاوَةٍ فَغَسَلْتُ وَجْهَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : مَعْقِلٌ
ابْنُ يَسَّارٍ ، قَالَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِالنَّاسِ ؟ قُلْتُ : فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا

(١) فِي ١ « وَإِنْ كُنْتَ عَجَزْتَ وَاسْتَخَفَفْتَ فَلَا تُؤَاخِذُونِي » .

(٢) فِي ١ « فَعَبَرْنَا إِلَيْهِمْ » .

(٣) فِي ١ « وَشَقُّونَا » .

(٤) فِي ١ « وَيَلْزِمُ سِلَاحَهُ » .

(٥) فِي ١ « ثُمَّ ثَنَى دَرْعَهُ » .

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٣٣

اكتبوا بذلك إلى عمر ، وفاضت نفسه ، واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وأرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان عهداً له أم عندك كتاب؟ قالت: بل سمط فيه كتاب ، فأخرجوه فإذا فيه : [إذا قتل النعمان فقلان] وإن قتل فلان فقلان ، وإن قتل فلان فقلان ، فامتلوا ، وفتح الله على المسلمين فتحاً عظيماً.

قال المسعودي رحمه الله : وهذه وقعة نهاوند، وقد كان للأعاجم فيها جمع كثير شهداء نهاوند وقتل هنالك خلق كثير : منهم النعمان بن مقرن، وعمر بن معد يكرب ، وغيرهما، وقبورهم إلى هذا الوقت بينة معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الديبورية وقد أيننا على وصف هذه الواقعة فيما سلف من كتبنا.

وذكر أبو مخنف لوطن يحيى قال : لما قدم عمرو بن معد يكرب من الكوفة على عمر سألته عن سعد بن أبي وقاص، فقال فيه ما قال من الثناء ، ثم سألته عن السلاح، فأخبره بما علم ، ثم سألته عن قومه ، فقال له : أخبرني عن قومك منذ حج [ودع طيناً] قال : سألني عن أيهم شئت ، قال : أخبرني عن علة بن جلد ، قال : هم فرسان أعراضنا^(١) ، وشفاة أمراضنا ، وهم أعتقنا ، وأنجبنا ، وأسر عنا طلباء ، وأقلنا هرباً ، وهم أهل السلاح^(٢) والسلاح والرمح ، قال عمر : فما أبقيت لسعد العشيرة؟ قال : هم أعظمنا خميساً^(٣) ، وأسخانا نفوساً ، وخيرنا رئيساً ، قال : فما أبقيت لمراد؟ قال : هم أوسعناداراً ، وخيرنا جاراً ، وأبعدنا آثاراً ، وهم الأتقياء البررة ، والساعون المخرة ، قال : فأخبرني عن بني زبيد ، قال : أنا عليهم ضنين ، ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الأذناب ، قال : فأخبرني عن طيء ، قال : خصوا بالجلود ، وهم جرة العرب ، قال : فما تقول في عبس؟ قال : حجم عظيم ، وزين^(٥) أثير ، قال : أخبرني عن حمير ، قال : رَعَوْا العفو ، وشرَبُوا الصَّفْو ،

(١) في ب « وقبورهم إلى هذا الوقت مبنية » .

(٢) في ا « فرسان أعراضنا » . (٣) في ب « أهل الصباح » .

(٤) في ا « وهم أعظمنا جسماً » . (٥) في ا « وذنوب أثير » .

قال : فأخبرني عن كِنْدَةَ ، قال : ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد^(١) . قال :
فأخبرني عن هَمْدَانَ ، قال : أبناء الليل ، وأهل النيل ، يمنعون الجار ، ويوفون
الذَّمار^(٢) [ويطلبون الثَّار]^(٣) قال : فأخبرني عن الأزْد . قال : هم أقدمنا ميلاداً .
وأوسعنا بلاداً ، قال : فأخبرني عن الحارث بن كعب ، قال : هم الحسكة المسكة ، باقي
المنيا على أطراف رماحهم . قال : فأخبرني عن الخُم . قال : آخر نائمكاً ، وأولنا هلكاً ،
قال : فأخبرني عن جُدَام . قال : أولئك كالعجوز العبراء^(٤) ، وهم أهل مقال وفعال ،
قال : فأخبرني عن غسان . قال : أرباب في الجاهلية نجوم في الإسلام ، قال : فأخبرني
عن الأوس والخزرج قال [هم الأنصار و]^(٥) هم أغر ناداراً ، وأمنعنا ذماراً ، وقد
كفانا الله مدحهم إذ يقول : (والذين تبوءوا الدار والإيمان الآية) قال : فأخبرني
عن خُرَاعة . قال : أولئك مع كنانة لنا نسبهم ، وبهم نصرنا^(٦) . قال : فأى العرب
أبغض إليك أن تلقاه ؟ قال : أمان من قومي فوادة من هَمْدَانَ ، وغطف من مراد ،
وبَلَحْرَث من مَذْحِج ، وأمان من سعد فعدى من فزارة ، ومرة من ذبيان ، وكلاب
من عامر ، وشيبان من بكر بن وائل . ثم لَوَجَلْتُ بفرسى على مياه معدما خفت هيج
أحد مالم يَلْقَني خُرَّاهَا وعَبْدَاهَا . قال : ومن خُرَّاهَا ومن عَبْدَاهَا ؟ قال : أما حراها
فعامر بن الطُّفَيْل وعُيَيْنَةُ بن الحارث بن شهاب التميمي ، وأما عبداها فعنزة
العبيسي وسُلَيْك المقانِب .

ويسأله ثم سأله عن الحرب فقال : سألت عنها خيراً ، هي والله يا أمير المؤمنين مرة
عن الحرب المذاق ، إذا شَمَّرت عن ساق ، من صبر فيها ظفر ، ومن ضعف فيها هلك^(٧) ،
ولقد أحسن واصفها فأجاد :

الحرب أول ما تكون فتية تبدو بزيتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشبَّ ضرامها عادت مجوزاً غير ذات حليل

(١) في ١ « تمكنوا في البلاد » (٢) في ١ « ويوفون بالذمار »

(٣) زيادة عن ١ (٤) في ب « كالعجوز العبراء »

(٥) في ١ « ولهم نصرهم »

(٦) في ١ « من صبر فيها عرف ، ومن ضعف فيها تلف » وهي أوفق

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٣٥

شمطاء جُزَّتْ رأسها وتنكرت مكروهة للثم والتقييل^(١)
ثم سأله عن السلاح ، فأخبره [بما عرف] حتى بلغ السيف ، قال : هنالك قارعتك
أهلك عن ثكلها^(٢) ، فعلاًه عمر بالدره ، وقال : بل أملك قارعتك [عن ثكلها] ،
والله إني لأهم أن أقطع اسنانك ، فقال عمرو : الحُمى أضرتنى [لك] اليوم ، وخرج
من عنده وهو يقول :

أتوعدنى كأنك ذو رُعَيْن بأنعم عيشة أو ذو نُؤاسٍ ؟
فكم قد كان قبلك من مايك عظيم ظاهِر الجبروت قاس
فأصبح أهله بادوا ، وأمسى ينقلُ من أناس فى أناس
فلا يفررك ملكك ، كلُّ ملك يصير مذلة بعد الشَّماس

قال : فاعتذر عمر إليه ، وقال : ما فعلت ما فعلته إلا لتعلم أن الإسلام أفضل
وأعز من الجاهلية ، وفضله على الوفد .

وقد كان عمر آنس عمرًا بعد ذلك ، وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها عمرو يحدث
فى الجاهلية ، فقال له عمر : يا عمرو ، هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيئته ؟
قال : نعم ، والله ما كنت أستحلُّ الكذب فى الجاهلية فكيف أستحلُّه فى
الإسلام ؟ لأحدثنك حديثاً لم أحدث به أحداً قبلك ، خرجت فى جريدة خيل
لبنى زبيد أريد الغارة^(٣) ، فأتيناً قوماً سراً ، فقال عمر : وكيف عرفت أنهم سراً ؟
قال : رأيت مزاداً وقدوراً مكفأةً وقباب آدم حراً ونعماً كثيراً وشاء ، قال عمرو :
فأهويت إلى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي ، وكان متبدداً من البيوت ، وإذا امرأة
بادية الجمال على فرش لها ، فلما نظرت إلى وإلى الخيل استعبرت ، فقلت :
ما يبكيك ؟ قالت : والله ما أبكى على نفسى ، ولكن أبكى حسداً لبنات عمى

(١) فى ١ « للثم والتقييل »

(٢) فى ١ « عن الثكل » .

(٣) فى ١ « أريد بنى كنانة » .

يَسْلَمْنَ وَأَبْتَلَى أَنَا مِنْ بَيْنِهِنَّ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا صَادِقَةٌ ، فَقُلْتُ لَهَا : وَأَيْنَ هُنَّ ؟
قَالَتْ : فِي هَذَا الْوَادِي ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : لَا تَحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى آتِيَكُمْ ، ثُمَّ هَمَزْتُ
فَرَسِي حَتَّى عَلَوْتُ كَثِيبًا ، فَإِذَا أَنَا بِغَلَامٍ أَصْهَبَ الشَّعْرَ أَهْذَبَ [أَقْبَى أَقْبَى] بِخَصْفِ
نَعَالِهِ وَسَيْفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفَرَسِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى رَمِيِّ النَعْلِ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَحْضَرْتُ (١) غَيْرَ
مَكْتَرِثٍ ، فَأَخَذَ سِلَاحَهُ وَأَشْرَفَ عَلَى ثَنِيَّةٍ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْخَيْلِ مُحِيطَةً بِبَيْتِهِ [رَكِبَ
ثُمَّ] أَقْبَلَ نَحْوِي وَهُوَ يَقُولُ :

أَقُولُ لِمَا مَنَحْتَنِي فَاهَا وَأَلْبَسْتَنِي بِكَرَةِ رِذَاهَا
إِنِّي سَأُحْوِي الْيَوْمَ مِنْ حَوَاهَا فَلَيْتَ شَعْرِي الْيَوْمَ مِنْ دَهَاهَا
فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا أَقُولُ :

عَمْرُو عَلَى طَوْلِ الرَّدَى دَهَاهَا بِالْخَيْلِ يَبْقِيهَا عَلَى وَجَاهَا (٢)
[حَتَّى إِذَا حَلَّ بِهَا حَوَاهَا]

ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْفَرَسِ [فَإِذَا هُوَ أَرُوغٌ مِنْ هَرٍّ ، فَرَاغٌ عَنِّي ، ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى
فَضْرِبَتِي بِسَيْفِهِ ضَرْبَةً جَرَحْتَنِي ، فَلَمَّا أَقْبَلْتُ [مَنْ ضَرَبْتَهُ] حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَرَاغٌ وَاللَّهِ ،
ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى ، ثُمَّ صَرَعَنِي ، ثُمَّ اسْتَأَقَ مَا فِي أَيْدِينَا ، ثُمَّ اسْتَوَيْتُ عَلَى فَرَسِي ،
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَقْبَلَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا عَبِيدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الشَّيْمِ وَخَيْرُ مَنْ يَمِشِي بِسَاقٍ وَقَدَمٍ
* عَدُوُّهُ يَفْدِيهِ مِنْ كُلِّ السَّقَمِ *

فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا أَقُولُ :

أَنَا ابْنُ ذِي التَّقْلِيدِ فِي الشَّهْرِ الْأَصَمِ أَنَا ابْنُ ذِي الْإِكْلِيلِ قَتَّالُ الْبُهَمِ
مَنْ يَلْقَنِي يُوْدِي كَمَا أُوْدَتْ إِرْمِ أَتْرَكُهُ لِمَا عَلَى ظَهْرِهِ وَضَمَّ

(١) فِي ١ « ثُمَّ قَامَ غَيْرُ مَكْتَرِثٍ » .

(٢) فِي ب « تَبَعَهَا عَلَى هَوَاهَا » مُحْرَفًا .

الجزء الثاني: ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٣٧

فراغ والله عنى ، ثم حمل على فضر بنى ضربة أخرى ، ثم صرخ صرخة ، ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء ، وخِفْتُه خوفا لم أخف [قط] أحدا مثله ، وقلت له : من أنت ثكلتك أمك ؟؟ فوالله ما اجتراً على أحد قط إماماً . بن الطفيل لإعجابه بنفسه ، وعمر بن كلثوم لسنه وتجربته [من أنت؟] قال : بل من أب ؟ خبرنى . وإلا قتلتك ، قلت : أنا عمرو بن معد يكرب ، قال : وأنا ربيعة بن مُكَدَّم ، قلت : اختر منى إحدى ثلاث خصال : إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأَعْجَزُ منا ، وإن شئت اصطرعنا ، وإن شئت السلم ، وأنت يا ابن أخى جَدَّثْ [وبقومك إليك حاجة ، قال : بل هى إليك ، فاختر لنفسك ، واخترت السلم ، ثم قال : انزل عن فرسك ، قلت : يا ابن أخى] قد جرحتنى جراحتين ولا نزول لى^(١) ، فوالله ما كَفَّ عنى حتى نزلت عن فرسى ، فأخذ بعنانه ، ثم أخذ بيدي فى يده وانصرفنا إلى الحى وأنا أجر رجل ، حتى طلعت علينا الخيل ، فلما رأونى همزوا^(٢) خيولهم إلى فناديتهم : إليكم ، وأرادوا ربيعة ، فضى والله كأنه ليث حتى شَقَّهم ، ثم أقبل على فقال : يا عمرو ، لعل أصحابك يريدون غير الذى تريد ، فصمَتَ والله القومُ ما فيهم أحد ينطق ، وأعظموا ما رأوا منه ، فقلت : يا ربيعة بن مُكَدَّم لا يريدون إلا خيرا ، وإنما سميت له يعرفه القوم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا : وما تريد ؟ قد جرحت فارسَ العربِ ، وأخذت سيفه وفرسه ، ومضى ومضينا معه ، حتى نزل ، فقامت إليه صاحبتة وهى ضاحكة تمسح وجهه ، ثم أمر يابل فنحرت ، وضربت علينا قباب ، فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس [لربيعة] لم أر مثلها قط [فلما رأى نظرى إليها قال : كيف ترى هذه الخيول ؟ قلت : لم أر

(١) فى ب « ولا يزالان بى » وسقط منها ما بين للعوفين قبلها .

(٢) فى ب « غمزوا خيولهم إلى » .

مثله قط [قال : أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا إلا قليلا ، فضحكتُ وما ينطق أحد من أصحابي ، فأقنا عنده يومين ثم انصرفنا .

قال : وقد كان عمرو بن معد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه ، فأخذ غنائمهم ، وأخذ امرأة ربيعة بن مُكَدَّم ، فبلغ ذلك ربيعة — وكان غير بعيد — فركب في الطلب على فرس عُرمي ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه ، فلما نظر إليه قال : يا عمرو ، خَلَّ عن الظئينة [وماء معلق] فلم يلتفت إليه ، ثم أعاد عليه ، فلم يلتفت إليه ، فقال : يا عمرو ، إما أن نقف [لي وإما أن أفك لك] فوقف عمرو ، وقال : لقد أنصف القارة من رامها ، قف لي يا ابن أخي ، فوقف له ربيعة ، فحمل عليه عمرو وهو يقول :

عمرو بن
معد يكرب
يغير على بني
كنانة

أنا أبو ثَوْرٍ ووقاف الزلق لست بمأفون ولا في خرق^(١)
وأسد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال عَصَّهم نابُ الفرق^(٢)
* وجدتني بالسيف هتاكَ الحلق *

حتى إذا ظنَّ أنه خالطه السنان إذا هو لَبَّبَ لفرسه ، ومَرَّ السنان على ظهر الفرس ، ثم وقف له عمرو ، فحمل عليه ربيعة وهو يقول :
أنا الغلام ابن الكنانى لا يذخ كم من هزبرٍ قد رآني فانشدخ^(٣)
فقرع بالرمح رأسه ، ثم قال : خذها إليك يا عمرو ، ولولا أنني أكره قتل مثلك لتقتلتك ، فقال عمرو : لا ينصرف إلا أحدنا ، فقف لي ، فحمل عليه حتى إذا ظن أنه قد خالطه السنان إذا هو حَزَّام لفرسه [ومَرَّ السنان على ظهر الفرس] ثم حل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضاً ، وقال : خذها إليك يا عمرو ثانية ،

(١) في ب « أنا أبو ثوار » وفيها « لست بمأفون ولا في خرق » .

(٢) وقع هذا البيت في هكذا :

أشد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال غصهم خوف الفرق

(٣) في ١ * أنا الكنانى الغلام لا يذخ *

الجزء الثاني : ذكر الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٣٣٩

وإنما العفو مرتان ، وصاحت به امرأته : السنان لله درك ، فأخرج سناناً من
سِنخٍ إزاره كأنه شعلة نارٍ ، فركبه على رحبه ، فلما نظر إليه عمرو ، وذكر طعنته
بلسان قال له عمرو : [يا ربيعة] خذ الغنيمة ، قال : دَعَهَا وانجُ ، فقالت
بنو زبيد : أترك غنيمتنا لهذا الغلام ؟ فقال لهم عمرو : يا بني زبيد ، والله لقد
رأيت الموت الأحمر في سنانهِ ، وسمعت صريره في تركيبهِ ، فقالت بنو زبيد :
لا يتحدث العربُ أن قوماً من بني زبيد فيهم عمرو بن معد يكرب تركوا غنيمتهم
لمثل هذا الغلام ، قال عمرو : [إنه]^(١) لاطاقة لكم به ، وما رأيت مثله قط ،
فانصرفوا عنه ، وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد إلى قومه .

قال المسعودي رحمه الله تعالى : ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
أخبار كثيرة في أسفاره في الجاهلية إلى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب
والعجم ، وسير في الإسلام ، وأخبار وسياسات حسان ، وما كان في أيامه من
الكوأن والأحداث وفتوح مصر [والشام والعراق وغيرها من الأمصار]^(١) ،
قد أتيننا على مبسوطها في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وإنما
نذكر في هذا الكتاب لمعاً مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا ، وبالله التوفيق .

ذكر خلافة عثمان بن عفان

رضى الله تعالى عنه !

موجز

بويح [عثمان] يوم الجمعة غرة الحرم [الليلة بقيت من ذى الحجة] سنة ثلاث وعشرين [وقتل لأنثى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين]^(١) ، وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع [إلا أنه في ذى الحجة]^(٢) ؛ فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين^(٣) سنة ، ودفن بالمدينة بموضع يعرف بمش كوكب [وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة إلا ثمانية أيام]^(٣) .

(١) هذه الزيادة في ب وحدها ، ووقع فيها « وفيل لاثنى عشرة » محرفا

(٢) في ب « وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة » وليس بذلك .

(٣) ثبتت هذه العبارة في ب ، وهي مكررة مع ما ذكر قبلها بسطر واحد

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٤١

ذكر نسبه ، ولمع من أخباره وسيره

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، نسبه ، وأولاده
ويكنى بأبى عبد الله [وأبى عمرو ، والأغلب منهما أبو عبد الله] ، وأمه أروى
بنت كرز^(١) بن جابر بن حبيب بن عبد شمس ، وكان له من الولد : عبد الله
الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأبان ، وخالد ، وسعيد ، والوليد ، والمغيرة ، وعبد الملك ، وأم أبان ، وأم سعيد ،
وأم عمرو^(٢) ، وعائشة ، وكان عبد الله الأكبر يلقب بالمطرف^(٣) لجماله وحسنه .
وكان كثير الزوج ، كثير الطلاق ، وكان أبان أترص أجول ، قد حمل عنه
أصحاب الحديث عدة من السنن . وولى لبني مروان مكة وغيرها . [وكان سعيد
أجول بخيلا . وقتل في زمن معاوية] وكان الوليد صاحب شراب وفتوة وُجُنُون .
وقتل أبوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مُصَبَّغَات واسعة . وبلغ عبد الله
[الأصغر] من السن ستا وسبعين عاما . فنقره ديك في عينه ، فكان ذلك
سبب موته ، وعبد الملك مات صغيراً ولا عقب له .

وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والساحة والبذل في القريب والبعيد . صفاته
فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته ، وتأسوا [به] في فعله . وبني داره
في المدينة ، وشيدها بالحجر والكس ، وجعل أبوابها من الساج والعزعر
واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة .

وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان [له] عتد خازنه من المال خمسون ثروته

(١) في ب « أروى بنت بكر » .

(٢) في ب « عمر » ولم يذكر عمر ولا عمرآ في الذين ذكرهم من أولاده .

(٣) في ب « بالمطرف » .

ومائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القُرى وحُنين وغيرها
مائة ألف دينار ، وخلف خَيْلاً كثيراً وإبلًا .

ثروة الزبير ابن العوام وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور : منهم الزبير بن العوام ، بنى داره بالبصرة ، وهي المعروفة في هذا الوقت -- وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة -- تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين^(١) وغيرهم ، وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والإسكندرية ، وما ذكرنا من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية .

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير ألف فرس ، وألف [عبدو] أمة ، وخططاً بحيث ذكرنا من الأمصار .

ثروة طلحة ابن عبيد الله وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي : ابتنى داره بالكوفة المشهورة بهذا الوقت ، المعروفة بالكُناسة^(٢) بدار الطلحين ، وكان غلته من العراق كل يوم ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ، وبناحية الشراة^(٣) أكثر مما ذكرنا ، وشيد داره بالمدينة وبنها بالآجر والجص والساج .

ثروة عبد الرحمن ابن عوف وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري : ابتنى داره ووسعها ، وكان على مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف [شاة] من الغنم ، وبلغ بعد وفاته رُبُعُ ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً .

ثروة قوم من الصحابة وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ، فرقع سمكها ، ووسع فضاءها ، وجعل أعلاها شُرُفَاتٍ .

وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس ، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار .

(١) في ب « وأصحاب الجهات من البحرين — إلخ » .

(٢) في ب « بالكُناس » . (٣) في ب « وبناحية سراة »

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٤٣

وابتنى القنطرة داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، وجعلها محصنة الظاهر والباطن ومات يعلى بن منية^(١) ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وديوناً على الناس ، وعقارات ، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار^(٢) .

وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصمه ، فيمن تملك من الأموال في أيامه ، ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة يينة .

وحج عمر فأنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر ديناراً ، وقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا .

ولقد شك الناس أميرهم [بالكوفة] سعد بن أبي وقاص — وذلك في سنة إحدى وعشرين — فبعث عمر محمد بن مسلمة الأنصاري حليف بني عبد الأشهل ، فخرق عليه باب قصر الكوفة ، وعرضه في مساجد الكوفة يسألهم عنه ؛ فحمده بعضهم ، وشكاه بعض ، فمزله وبعث إلى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر ، وعثمان بن حنيف على الخراج ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وفرض لهم في كل يوم شاة ؛ فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر ، والشرط الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف ، فأين عمر من ذكرنا ؟ وأين هو عما وصفنا ؟

وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بنى أمية — والحكم^(٣) هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غرّبه عن المدينة ، ونفاه عن جواره — وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ،

(١) في ب « يعلى بن أمية »

(٢) في ب « مائة ألف دينار »

(٣) في ب « ومروان هو طريد رسول الله » .

وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار ، وعبد الله بن أبي سرح على مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة ، وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة ، وولاه سعيد بن العاص .

الوليد بن عقبة وكان السبب في صرف الوليد [بن عقبة] وولاية سعيد — على ما روى — أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه وهنفيه من أول الليل إلى الصباح ، فلما أذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله ، فتقدم إلى الحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم أربعاً ، وقال : أتريدن أن أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطال : اشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول : ماتريد لأزادك الله من الخير^(١) . والله لأعجب إلا من بعثك إلينا واليا وعلينا أميراً ، وكان هذا القائل عتاب بن غيلان النخعي .

وخطب الناس الوليد فخصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يتزحزح ، ويتمثل بأبيات لتأبط شرراً :

ولست بعيداً عن مدام وقينة ولا بصفا صلد عن الخير معزل^(٢)
ولكنني أروى من الخمر هامتي وأمشي اللأ بالساحب المتسلسل
وفي ذلك يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة يوم يلتقي ربه أن الوليد أحق بالعدر
نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ؟ ! تملاً وما يدرى
ليزيدهم أخرى ، ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك في الصلاة ، ولو خلوا عنانك لم تزل تجري^(٣)

(١) في ١ ، ب « مزيد الخير » .

(٢) في ١ « ولست بعيداً غير خمر وقينة » .

(٣) في ١ « حبسوا عنانك إذ جريت ولو »

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٤٥

وأشاعوا بالكوفة فعله، وظهر فسقه ومداومته [على] شرب الخمر، فهاجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي وجندب^(١) بن زهير الأزدي وغيرهما، فوجدوه سكران مضطجعا على سريريه لا يعقل، فأيقظوه من رقدته، فلم يستيقظ، ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من قورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر، فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمرًا؟ فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية، وأخرجنا خاتمه فدفعاه إليه، فزجرهما^(٢) ودفع في صدورهما، وقال: تنحيا عني، فخرجا [من عنده] وأتيا علي بن أبي طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود، وأبطلت الحدود، فقال له عثمان: فماترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك [فتحضره] فإن أقاما للشهادة عليه في وجهه ولم يدرا عن نفسه^(٣) بحجة أقمت عليه الحد، فلما حضر الوليد دعاها عثمان: فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة فأتى عثمان السوط إلى علي، فقال علي لابنه الحسن: قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه، فقال: يكفينيه بعض من ترى، فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه توقيا غضب عثمان لقرابته منه أخذ على السوط ودنا منه، فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال: يا صاحب مكس، فقال عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر: إنك لتسكلم يا ابن أبي معيط كأنك لاتدرى من أنت، وأنت عليج من أهل صفورية — وهي قرية بين عكا واللجون، من أعمال الأردن، من بلاد طبرية، وكان ذكر أن أباه كان يهوديا منها — فأقبل الوليد يرؤغ من علي، فاجتذبه على ف ضرب به الأرض، وعلاه بالسوط، فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا، قال: بل وشرأ من هذا إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه.

(١) في ب « وأبو جندب بن زهير » . (٢) في ب « فرزأها »

(٣) في ب « ولم يدل بحجة » .

سعيد بن العاص وولى الكوفة بعده سعيد بن العاص ، فلما دخل سعيد الكوفة والياً أبى أن يصعد المنبر حتى يُغسل ، وأمر بفسله ، وقال : إن الوليد كان نجساً رجساً ، فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة ، فاستبد^(١) بالأموال ، وقال في بعض الأيام أو كتب به عثمان : إنما هذا السواد^(٢) قطين لقريش ، فقال له الأشتر ، وهو مالك بن الحارث النخعي : أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا وصرار كثر ما حنا بستاناً لك ولقومك ؟ ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد [بن العاص] ، وسألوا عزه له عنهم ، فكث الأشترو أصحابه أياماً لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء ، وامتدت أيامهم بالمدينة ، وقدم على عثمان أمراؤه من الأمصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة ، فأقاموا بالمدينة أياماً لا يردهم إلى أمصارهم ، وكره أن يرد سعيداً إلى الكوفة ، وكره أن يعزله ، حتى كتب إليه من أمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور ، فجمعهم عثمان وقال : ماترون ؟ فقال معاوية : أما أنا فراض بى جندى ، وقال عبد الله بن عامر بن كريز : لي كفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبله ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره ، وقال سعيد بن العاص : إنك إن فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون ، وقد صاروا حاققاً في المسجد ليس لهم غير الأحاديث والخوض ، فجهزهم في البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت^(٣) على ظهر دابته ، قال : فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد ، فإذا طلحة والزبير جالسان في ناحية منه ، فقالا له : [تعال] إلينا ، فصار إليهما ، فقالا : ما وراءك ؟ قال : الشر ،

(١) في ب « واشتبه بالأموال » .

(٢) في ب « فطير لقريش » .

(٣) في ا « أن يحرب على ظهر دابته » .

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٤٧

ما ترك شيئاً من المنكر إلا أتى به وأمره به ، وجاء الأشر فقلاً له : إن عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قدرّد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وبكذا ، فقال الأشر : والله لقد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا فيه خطباء ، فكيف وقد قمنا ؟ ! وإيّم الله على ذلك لولا أنى أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى أمنعه دخولها ، فقلاً له : فعندنا حاجتك التى تقوم بك^(١) فى سفرك قال : فأسلفانى إذاً مائة ألف درهم ، قال : فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم ، فقسمها بين أصحابه ، وخرج إلى الكوفة فسبق سعيداً ، وصعد المنبر وسبّغه فى عنقه ما وضعه بعد ، ثم قال : أما بعد ، فإن عاملكم الذى أنكرتم تعدّيه وسوء سيرته قدرّد عليكم ، وأمر بتجهيزكم فى البعوث ، فبايعونى على أن لا يدخلها ، فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكباً متخفياً^(٢) يريد المدينة أومكة ، فلقى سعيداً بواقصة فأخبره بالخبر ، فأنصرف إلى^(٣) -بنة، وكتب الأشر إلى عثمان : إنا والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك ، [ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه ، فابعث إلى عاملك] مَنْ أحببت . فكتب إليهم : انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه ، فنظروا فإذا هو أبو موسى الأشعرى ، فولّوه .

بدء الطعن
على عثمان
وسببه

وفى سنة خمس وثلاثين كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه ، وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله :

منها ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود ، وانحراف هذيل عن عثمان من أجله .

ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من القتن^(٤) والضرب ، وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله .

(١) فى ب « حاجتك التى تقوتك » .

(٢) فى ا « وخرج راكباً فى ثيف » .

(٣) فى ا « ما قال عمار بن ياسر من العنف » .

الوليد بن عقبة ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة ، وذلك أنه بلغه عن
ويهودي مشعوذ رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال لها
زرارة^(١) يعمل أنواعاً من الشعبة والسحر يعرف بمطروني^(٢) فأحضره [هـ] فأراه
في المسجد ضرباً من التخيل ، وهو أن أظهر له في الليل قبلاً عظيماً على فرس
[يركض] في صحن المسجد ، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ، ثم أراه
صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين
جسده ورأسه ، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل ، وكان جماعة من أهل الكوفة
حُضُوراً منهم جندب بن كعب الأزدي ، فجعل يستعيز بالله من فعل الشيطان ،
ومن عمل يبعد من الرحمن ، وعلم أن ذلك [هو] ضرب من التخيل والسحر ،
فاختلط سيفه وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه ، وقال :
(جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) ، وقد قيل : إن ذلك كان
نهاراً ، وإن جندباً خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفاً ودخل
فضرب به عنق اليهودي ، وقال : إن كنت صادقاً فأحي نفسك ، فأناكر عليه
الوليد ذلك ، وأراد أن يقيد به ، فمنعته الأزدي ، فحبسه ، وأراد قتله غيلة^(٣) ،
ونظر السجان إلى قيامه ليلة إلى الصبح ، فقال له : أُنِجْ نفسك ، فقال له جندب :
تُقْتَلُ بي ، قال : ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله
فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعدَّ لقتله فلم يجده ، فسأل السجان ، فأخبره
بهربه ، فضرب عنق السجان ، وصلبه بالكناسة .

بين عثمان
وأبي ذر ومن ذلك ما فعل بأبي ذر ، وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان :
أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره ؟ فقال كعب : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع

(١) عن ب عبارة « يقال له زرارة » .

(٢) في ب « يعرف بمطروني » .

(٣) في ا « وأراد قتله بحيلة » .

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٤٩

أبو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودى ، ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب — الآية) فقال عثمان : أترون بأساً أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكوه؟ فقال كعب : لا بأس بذلك ، فرفع أبو ذر العصافدفع بها في صدر كعب وقال : يا ابن اليهودى ^(١) ما أجراك على القول في ديننا ! فقال له عثمان : ما أكثر أذاك لى ! غيَّب وجهك عنى فقد آذيتنا ، فخرج أبو ذر إلى الشام ، فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فإن كان لك في القوم حاجة فأحمله إليك ، فكتب إليه عثمان بحمله ، فحمله على بعير عليه قَتَبٌ يابس معه خمسة من الصقالبة بطيرون به ^(٢) ، حتى أتوا به المدينة وقد تسَلَّخت بواطن أخفاده وكاد أن يتلف ، فقيل له : إنك تموت من ذلك ، فقال : هيهات لن أموت حتى أنفى ، وذكر جوامع ما ينزل به بعد ، ومن يتولى دفنه ، فأحسن إليه [عثمان] في داره أياما ، ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء ، وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا باغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ، ومَرَّ في الخبر بطوله ، وتكلم بكلام كثير ، وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف [ازهرى] من المال ، فنثرت البِدَر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال عثمان : إني لأرجو لعبد الرحمن خيرا ؛ لأنه كان يتصدق ، ويقرى الضيف ، وترك ماترون ، فقال كعب الأحبار : صدقت يا أمير المؤمنين ، فشال أبو ذر العصا ، فضرب بها رأس كعب ، ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال : يا ابن اليهودى تقول لرجل مات وترك هذا المال : إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على الله بذلك ، وأنا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ما يسرنى أن

(١) في ا هنا « يابن السوداء » .

(٢) في ا « يطردون به » .

أموت وأدع مايزن قيراطا « فقال له عثمان : وارِ عني وجهك، فقال : أسير إلى مكة ، قال : لا والله ، قال : فتمنعني من بيت ربي أعبد فيه حتى أموت ؟ قال : إني والله ، قال : فإلى الشام ، قال : لا والله [قال : البصرة ؟ قال : لا والله] ^(١) ، فاختر غير هذه البلدان ، قال : لا والله ماأختار غير ما ذكرت لك ، ولو تركني في دار هجرتي ما أردت شيئا من البلدان ، فسيرني حيث شئت من البلاد، قال : فإني مسيرك إلى الربدّة ، قال : الله أكبر، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرني بكل ما أنا لاق ، قال عثمان : وما قال لك ؟ قال : أخبرني بأني أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربدّة ، ويتولى مواردني نفر ممن يرّدون من العراق نحو الحجاز ، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل : ابنته وأمر عثمان أن يتجافاه الناس ^(٢) حتى يسير إلى الربدّة ، فلما طلع عن المدينة ومروان يسير عنها طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه ابنه [الحسن والحسين] وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ، فاعترض مروان فقال : يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه ، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط [وضرب] بين أذني راحلته ^(٣) ، وقال : تنحّ نجاك الله إلى النار ، ومضى مع أبي ذر فسعيه ثم ودّعه وانصرف ، فلما أراد على الانصراف بكى أبو ذر ، وقال : رحمكم الله أهل البيت ، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدتك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب ، فقال عثمان : يا معشر المسلمين من يعذرن من علي ؟ ردّ رسولنا عما وجهته له ، وفعل كذا ، والله لنعطينه حقه ، فلما رجع على استقباله الناس ، فقالوا له : إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر ، فقال علي : غَضَبَ الخليل على اللّجُم .

(١) زيادة في ب

(٢) في ١ « أن يتجافاه الناس » .

(٣) في ١ « بين أذني ناقة مروان » .

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٥١

فلما كان بالعشى جاء إلى عثمان ، فقال له : ما حملك على ما صنعت بمروان ولم تختبرأت على ورددت رسولى وأمرى ؟ ! قال : أما مروان فإنه أستقبلنى بردى^(١) فرددته عن ردى ، وأما أمرى فلم أردّه ، قال عثمان : ألم يبلغك أنى قد نهيت الناس عن أبى ذر وعن تشييعه ؟ فقال على : أوكل ما أمرتاه من شيء نرى طاعة الله والحق فى خلافه اتبعنا فيه أمرى ؟ بالله لا نفعل ، قال عثمان : أقيد مروان ، قال : ومم أقيده ؟ قال : ضربت بين أذنى راحلته [وشمته ، فهو شاتمك وضارب بين أذنى راحلتك] قال على : أما راحلتى فهى تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته ليفعل . وأما أنا فوالله لئن شتمنى لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقا . قال عثمان : ولم لا يشتمك إذا شتمته ، فوالله ما أنت عندى بأفضل منه ؟ ! فغضب على بن أبى طالب وقال : ألى تقول هذا القول ؟ ومروان تعدلنى ؟ فأنا والله أفضل منك ، وأبى أفضل من أبيك ، وأمى أفضل من أمك ، وهذه تبلى قد ثلثتها ، وهم فائتل بنبلك ، فغضب عثمان وأحمر وجهه ، فقام ودخل داره ، وانصرف على ، فاجتمع إليه أهل بيته ، ورجال من المهاجرين والأنصار

فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكوا إليهم عليا وقال : إنه يعينى ويظهر من يعينى^(٢) ، يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما ، فدخل الناس بينهما [حتى اصطلحا] وقال له على : والله ما أردت بتشجيع أبى ذر إلا الله تعالى .

وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبى سفيان صخر بن حرب فى دار عمار بن ياسر عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان : أفيكم أحد من غيركم ؟ وقد كان عمى ، قالوا : لا ، قال يابنى أمية ، تلقفوها

(١) فى ١ « استقبلنى بردى » .

(٢) فى ١ « إنه يغشئ ويظهر من يغشئ » وما نظنه صحيح الرواية وإن

كان له معنى لا يمتنع

تلقف الكرة، فالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلى صبيانكم ووراثه، فانتهره عثمان، وساءه ما قال، ونهى هذا القول إلى المهاجرين والأنصار [وغير ذلك الكلام] فقام عمار في المسجد فقال : يا معشر قريش، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمنٍ من أن ينزع الله [منكم] فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله وفام المدة قال : ما رأيت مثل ما أودى به أهل هذا البيت بعد نبيهم، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد [بن عمرو] ؟ فقال : إني والله لأحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من قريش وإنما تطوؤ لهم على الناس بفضل أهل هذا البيت - قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد [هـ] من أيديهم أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر، وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابنا « أخبار الزمان » في أخبار الشورى والدار .

الثورة على
عثمان

ولما كان سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة في مائتي رجل، وحكيم بن جبلة العبدى في مائة رجل من أهل البصرة، ومن أهل مصر ستائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البَلَوِيُّ^(١)، وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة، إلى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحق الخزاعي وسعد بن حُمران التَّحِيبي^(٢)، ومعهم محمد أبي بكر الصديق، وقد كان تكلم بمصر، وحرَّضَ الناس على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم، فنزلوا في الموضع المعروف بذي الخشب^(٣) فلما علم

(١) في ب « الشلوى » .

(٢) في ب « عمرو بن الجموع الخزاعي وسودان بن أحمد التحيبي، ومنهم محمد بن أبي بكر » .

(٣) في ب « المعروف بخشب »

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٥٣

عثمان بنزولهم بعث إلى علي بن أبي طالب فأخضره^(١) ، وسأله أن يخرج إليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العذل وحسن السيرة ، فسار على إليهم ، فكان بينهم خطب طويل ، فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا ، فلما صاروا إلى الموصل المعروف بمسمى^(٢) إذا هم بعلام على بعير وهو مقبل من المدينة ، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان ، فقرروه ، فأقره وأظهر كتاباً إلى ابن أبي سرح صاحب مصر [وفيه] « إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلاناً ، وافعل بفلان كذا ، وأحصى أكثر من في الجيش ، وأسرفهم بما أمر » وعلم القوم أن الكتاب بخط مروان ، فرجعوا إلى المدينة ، واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ، ونزلوا المسجد وتكلموا ، وذكروا ما نزل بهم من عملهم ، ورجعوا إلى عثمان فحاصروه في داره ، ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس وقال : ألا أحد يسقينا ، وقال : بيم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » ؟ والله ما فعلت ذلك في جاهلية أو إسلام ، فبلغ علياً طلبه للماء ، فبعث إليه بثلاث قرب ماء ، فواصل إليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم وبنى أمية ، وارتفع الصوت ، وكثر الضجيج ، وأخذوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان ، فأبى أن يخلى عنه ، وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها ، وهذيل لأنه [كان] منها ، وبنو نخزوم وأحلافها لعمار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممن لا يحمل كتابنا ذكره ، فلما بلغ علياً أنهم^(٣) يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرتهم ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمداً ، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم

(٢) في ب « بمس » .

(١) في ا « فأخضره »

(٣) في ا « فلما رأى على أنهم - إلخ »

آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا ، فصدّوهم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالسهم ، واشتبك^(١) القوم ، وجرح الحسن ، وشُجَّ قنبر ، وجرح محمد بن طلحة ، فخشي القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية ، فتركوا القوم في القتال على الباب ، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوّروا عليها ، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران ، وعند عثمان زوجته ، وأهله ومواليه مشاغل بالقتال ، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته ، فقال : يا محمد ، والله لوراك أبوك لساء^(٢) مكانك فتراخت يده ، وخرج عنه إلى الدار ، ودخل رجلان فوجداه قتيلا^(٣) ، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه ، فصعدت امرأته فصرخت [وقالت : قد قتل أمير المؤمنين ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية ، فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه ، فبكوا ، فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير [وسعداً] وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، فاسترجع القوم ، ودخل على الدار ، وهو كالواله الحزين ، وقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب^(٤)؟ ولطم الحسن وضرب [صدر] الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، فقال له طلحة : لا تضرب يا أبا الحسن ، ولا تشتم ، ولا تلعن ، لودفع [إليهم] مروان ما قتل ، وهرب مروان وغيره من بني أمية ، وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة : من قتلته وأنت كنت معه ؟ قالت : دخل إليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبي بكر ، فلم ينكر ما قالت ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله^(٥) ، فلما خاطبني بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجلين غنى ، والله ما كان لي في قتله [من] سبب ، ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله .

(١) في ١ « واشتد القوم » (٢) في ١ « لساء ذلك » .

(٣) في ١ « فوجئاه قتيلا » ووقع فيها « فرجئاه » بالراء - محرفا

(٤) في ١ « وأنتما على الباب »

(٥) في ١ « وإنى أريد قتله »

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٥٥

وكانت مدة محاصر عثمان في داره تسعاً وأربعين يوماً ، وقيل : أكثر من ذلك .

وقتل في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة ، وذكر^(١) أن أحد مقتله ، وقتلته الرجلين كنفانة بن بشر التيجي ، ضربه بعمود على جبهته ، والآخر منها سعد بن حمرة المرادي^(٢) ، ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله .
وقد قيل : إن عمرو بن الحنق طعنه بسهم تسع طعنات ، وكان فيمن مال عليه^(٣) عمير بن ضبابي [البرجي] التميمي ، وخضض سيفه في بطنه

ودفن على ما وصفنا في الموضع المعروف بحش كوكب ، وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ، ويعرف أيضاً بحلة^(٤) ، وصلى عليه جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهنم بن حذيفة .

ولما حاصر عثمان كان أبو أيوب الأنصاري رضى الله عنه يصلي بالناس ، ثم امتنع ، فصلى بهم سهل بن حنيف ، فلما كان يوم النحر صلى بهم على ، وقيل : إن عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلاً منهم مروان بن الحكم . وفي مقتله تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتل التيجي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبوا عن فضول أبي عمرو
وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الأنصار وغيرهم ، وأعان [عليه و] على قتله ، والله أعلم بما قاله ، من أبيات :
خذلت الأنصار إذ خضر المو ت وكانت ولاية الأنصار

ما قيل فيه
من الرثاء

(١) في ١ « وقيل : إن أحد الرجلين هو كنفانة بن بشير التيجي »

(٢) في ب « سودان بن حمرة المرادي » وانظر ص ٣٥٢

(٣) في ١ « وكان فيمن مال إلى قتله »

(٤) في ب « بحل »

مَنْ عَذِرِي مِنَ الزَّيْرِ وَمِنْ طَلْحَةٍ إِذَا جَا أَمْرٌ لَهُ مَقْدَارُ
 فتولى محمد بن أبي بكر عياناً ، وخلفه عمار^(١)
 في شعره طويل يذكر فيه غير من ذكرنا ، وينسبهم إلى التماؤل على قتله ،
 والرضا بما فعل به ، والله أعلم ، وكان حسان عثمانياً منحرفاً عن غيره ، وكان
 عثمان إليه محسناً ، وهو المتوعد لئلا نصار في قوله في شعره :
 [يَأْتِيَتْ شَعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَانَا]^(٢)
 لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكَا فِي دِيَارِهِمْ اللهُ أَكْبَرُ ، يَأْتَارَاتُ عُثْمَانَا
 وكان عثمان رضي الله عنه كثيراً ما ينشد أبياناً فالهاو يطيّل ذكرها لا تُعْرَفُ
 لغيره ، منها :

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
 يَلْقَى عَوَاقِبَ سُوءٍ مِنْ مَغْبِتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ^(٣)
 وكان الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ أخا عثمان لأمه ، فسمع في الليلة الثانية
 من مقتل عثمان يندبه ، وهو يقول :
 بَنِي هَاشِمٍ ، إِنَا وَمَا كَانَ بَيْنَنَا كَصَدْعِ الصَّفَا مَا يَوْمِضُ الدُّهْرُ شَاعِبُهُ
 بَنِي هَاشِمٍ ، كَيْفَ الْهَوَادَةِ بَيْنَنَا وَسَيْفُ ابْنِ أَرْوَى عِنْدَكُمْ وَحَرَائِبُهُ
 بَنِي هَاشِمٍ ، رَدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتِكُمْ وَلَا تَهْبُوهَ ، لَا تَحُلْ مِنْهَا بَهُ
 غَدَرْتُمْ بِهِ كَيْمَا تَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرِي مَرَّازِبُهُ
 وهي أبيات :

فأجابه عن هذا الشعر ، وفيما رَمَى به بنى هاشم ونسبه إليهم ، الفضل بن
 العباس [بن عتبة] بن أبي لهب فقال :
 فَلَا تَسْأَلُونَا سَيْفَكُمْ ؛ إِنْ سَيْفَكُمْ أَضْيَعُ ، وَأَلْقَاهُ لَدَى الرَّوْعِ صَاحِبُهُ

(١) هذه الأبيات لا توجد في نسخ ديوان حسان بن ثابت .

(٢) سقط هذا البيت من أ (٣) في « تبقى عواقب سوء من مغبتها »

الجزء الثاني : ذكر ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ٣٥٧

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا - فهم سلبوه سيفه وحرائبه
 وكان وليّ الأمر بعد محمد علي ، وفي كل الموطن صاحبه^(١)
 عليّ ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقيين فيما تحارب^(٢)
 وأنت امرؤ من أهل صفواء نازح فمالك فينا من حميم تعاتب^(٣)
 وقد أنزل الرحمن أنك فاسق فمالك في الإسلام سهم تطالبه
 قال المسعودي رحمه الله : ولعثمان أخبار وسير ومآثر حسان ، قد أتينا على
 ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وكذلك ما كان
 في أيامه من الكوائن والأحداث والفتوح والحروب من الروم وغيرهم [والله
 ولي التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]^(٤).

(١) في ب « وكان ولي العهد بعد محمد »

(٢) في ا « على إلى أن أظهر الله دينه »

(٣) في ب « وأنت امرؤ من أهل صفور مارخ » .

(٤) لا توجد هذه العبارات في ا .

ذكر خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه !

موجز

بويح علي^(١) بن أبي طالب في اليوم الذي قُتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً ، وكانت الفرقة بينه وبين معاوية [ابن أبي سفيان] على ما ذكرنا في خلافته^(٢) ، وكان مولده في الكعبة ، وقيل : إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال ، واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا ، وقد تنوزع في موضع قبره ؛ فمنهم من قال : إنه دفن في مسجد الكوفة ، ومنهم من قال : إنه حمل إلى المدينة فدفن عند [قبر] فاطمة ، ومنهم من قال : [إنه] حمل في تابوت على جمل ، وإن الجمل تاه ووقع إلى وادي طيء ، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط .

(١) في ١ « وبائع الناس علي بن أبي طالب »

(٢) في ١ « فيما ذكرنا من خلافته » .

ذكر نسبه ، ولع من أخباره وسيره

هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويكنى
أبا الحسن ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، ولم يكن من عهد
النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا من خلافة المتقي [ممن ولي الخلافة] من
اسمه على غيره ، و [غير] المكنتي بالله على بن المعتضد ، وكان أول من ولده
هاشميان من الخلفاء ، وقد قيل : إنه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة
أيام ، وقد ذكرنا البيعة الأولى فيما سلف من هذا الكتاب ، وتنازع الناس
في اسم أبي طالب أبيه ، وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان
فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاخنة وجمانة^(١) لأب وأم ، أمهم فاطمة بنت
أسد بن هاشم ، وبين كل واحد من البنين عشر سنين : [فطالب الأكبر
وبينه وبين عقيل عشر سنين ، وبين عقيل وجعفر سنتان ، و]^(٢) بين جعفر
وعلى عشر سنين ، وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر
إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهاً ، ومضى ولم يعرف له خبر ،
وحُفظ من قوله في هذا اليوم :

إخوته
وأخواته

يارب إما خرجوا بطالب في مقنب من تلکم المَقَانِبِ
فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هيرة بن عمرو بن عائذ^(٣) بن
عمرو بن مخزوم ، وخلف عليها ابناً وبناتاً ، وهاجرت ، ومات زوجها بنجران
مشركاً ، وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة :

(١) في « وجمانة » بالحاء المهملة (٢) في ب يقع هذا الكلام متأخراً .

(٣) في ب « بن عابد » .

أشأقتك هند أم شاك سؤلها؟ كذاك النوى أسبابها وانتقالها^(١)
 وأرقني في رأس حصن، ردي بنجران يسرى بعد نوم خيالها
 فإن تك قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبالها
 وهي طويلة، وكانت تكنى أم هانيء، وقد استعمل على — حين أفضت
 الخلافة إليه — ابنها جعدة بن هبيرة، وجعدة هو القائل :

أبي من بني مخزوم أن كنت سائلا ومن هاشم أمي خير قبيل
 فمن ذا الذي يباي على بخاله وخالي على ذو الندى ويعقل^(٢)
 وجهانة بنت أبي طالب كان بعلمها سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهي
 أول هاشمية ولدت لهاشمي^(٣)، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب
 قريش وأخبارها، وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم.
 وكان مسير على إلى البصرة في سنة ست وثلاثين، وفيها كانت وقعة الجمل،
 وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى منها، وقتل فيها من أصحاب
 الجمل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا، وقتل من أصحاب على خمسة آلاف،
 وقد تنازع الناس في مقدار من قتل من الفريقين : فمن مقل ومكثر؛ فالقليل يقول :
 قتل منهم سبعة آلاف [والمكثر يقول : عشرة آلاف] على حسب ميل الناس
 وأهوائهم إلى كل فريق منهم، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد.

مسيره
إلى البصرة

وقيل : إنه كان بين خلافة على إلى وقعة الجمل [خمسة أشهر وأحد وعشرون
 يوما، وبين وقعة الجمل] وأول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام،
 وبين ذلك وبين دخول على إلى الكوفة [شهر، وبين ذلك وبين أول الهجرة
 خمس وثلاثون سنة وستة أشهر وعشرة أيام، وبين دخول على و [التقائه مع
 معاوية للقتال بصيفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما، وبين ذلك وأول الهجرة
 ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما.

(١) في « فأك سؤلها » وفي ب « نأك سؤلها ». (٢) يباي : يفخر

(٣) في ب « وهي أول هاشمية ولدت بهاشمي ».

الجزء الثاني : ذكر أبي السبطين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٣٦١

وقتل بصفين سبعون ألفاً : من أهل الشام [خمس وأربعون ألفاً] ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، وكان المقاتل بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلاً : منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سُمَيَّة وهو ابن ثلاث وسبعين ^(١) سنة .

وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة ^(٢)

وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكيم - وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري - بأرض البلقاء من أرض دمشق ، وقيل : بدومة الجندل ، وهي على [نحو] عشرة أميال من دمشق ، وكان من أمرهما ما قد شهر ، وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا . وفي هذه السنة حكمت الخوارج [وتحكمت] ، وهم الشُّرَاعة .

وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً : منهم سبعة عشر من المهاجرين ، وسبعون من الأنصار ، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة ، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة .

وفي سنة ثمان وثلاثين كان حربه مع أهل النهرَوانِ من الخوارج ، وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر : منهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ، ومنهم قدامة بن مظعون ، وأهبان بن صيفي ^(٣) ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة الثقفي ، ومن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وكانا شاعرين ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل ،

(١) في « ثلاث وتسعين سنة » (٢) في « تسعون وقعة » .

(٣) في ب « وهبان بن صيفي » .

[وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، ونعمان بن بشير ^(١)] وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة [ومسلمة بن خالد ، في آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الأنصار] وغيرهم من بنى أمية وسواهم .

وانتزع على أملا كما كان عثمان أقطعها جماعة من المسلمين ^(٢) ، وقسم ما في بيت المال على الناس ، ولم يُفَضَّلْ أحداً على أحد ، وبعثت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضباً بدمائه مع النعمان بن بشير الأنصاري ، واتصلت ببيعة على بالكوفة وغيرها من الأنصار ، وكان أهل الكوفة أسرع [إجابة] ^(٣) إلى بيعته ، وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري ، حتى تكاثر الناس عليه ، وكان عليها عاملاً لعثمان .

بنو أمية
عند على

وأثناء جماعة ممن تخلف عن بيعته من بنى أمية : منهم سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، فجري بينه وبينهم خطب طويل ، وقال له الوليد : إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك ^(٤) ، ولكننا قوم وَتَرْنَا الناس ، وخفنا على نفوسنا ، فعدرنا فيما نقول واضح ، أما أنا فقتلت أبي صبراً ، وضربتني حداً ، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً ، وقال له الوليد : أما سعيد فقتلت أباه ، وأهنت مَثْوَاهُ ، وأما مروان فإنك شمت أباه ، وعبت عثمان في ضمة إياه ^(٥) .

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير — قبل نفوذه بالتميص — أتوا علياً في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ، ليس مسيئاً مَنْ عتب ، وخير كفر ما محاه عذر ، في كلام كثير ، ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعاً .

(١) زيادة في ا (٢) في ا « جماعة من الناس » .

(٣) في ا « لم تخلف عن بيعتك رغبة عنك » .

(٤) في ب « وكبت عثمان في ضمة إياه » .

الجزء الثاني : ذكر أبي السبطين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٣٦٣

وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لأنحرافه [عنه] وتوليته مصر غيره، عمرو
ابن العاص قنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي، كتب إلى معاوية
يهزئه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيما كتب به إليه : ما كنت
صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه
معاوية، فسار إليه، فقال له معاوية : يا معني، قال : لا، والله لا أعطيك
من ديني حتى أنال من دنياك، قال : سل، قال : مصر طُعمَة، فأجابه إلى
ذلك، وكتب له به كتاباً، وقال عمرو بن العاص في ذلك :

مُعَاوِي لَا أُعْطِيكَ دِينِي وَلَمْ أَنْلْ بِهِ مِنْكَ دُنْيَا، فَانْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ
فَإِنْ تَعْطَى مِصْرًا فَأَرْبِحْ بِصَفْقَةٍ أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(١)

وأتى المغيرة بن شعبه علياً، فقال له : إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن المغيرة بن شعبه
الرأي اليوم تحوز به مافي غد، وإن المضاع^(٢) اليوم تضع به مافي غد، أقرر معاوية
ينصح علياً
م يرجع على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتت
طاعتهم وطاعة الجنود^(٣) استبدلت أو تركت، قال : حتى أنظر، فخرج من عنده
وعاد إليه من الغد، فقال : إني أشرت عليك بالأمر برأي وتعبته برأي، وإنما
الرأي أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره وتستقبل أمرك، ثم خرج [من
عنده] فتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل؛ فلما انتهى إلى علي قال : رأيت المغيرة خارجاً
من عندك ففيم جاءك؟ قال : جاءني أمر بكيت وكيت؛ وجاءني اليوم بذيت وذيت؛
فقال : أما أمس فقد نصحتك؛ وأما اليوم فقد غشيتك؛ قال : فما الرأي؟ قال :
كان الرأي أن تخرج حين قتل عثمان، أو قبل ذلك، فتأتي مكة فتدخل دارك
فتتلق عليك بابك؛ فإن كانت العرب ماثلة مضطرة في أثرك لا تجد غيرك؛ فأما

(١) في ب « فأربح صفقة » (٢) في ب « وإن التصارع اليوم » .

(٣) في أ « وبيعة الجنود » .

اليوم فإن بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شُعبة من هذا الأمر، ويشبهون فيك على الناس، وقال المغيرة : نصحته فلم يقبل، فغششته، وذكر أنه قال : والله ما نصحته قبلها، ولا أنصحه بعدها.

قال السعودي : ووجدت في وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال : قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال، فجننت عالياً أدخل عليه، فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة، فسلم عليّ، وقال : متى قدمت؟ قلت : الساعة، ودخلت عليّ عليّ وسلمت عليه، فقال : أين لقيت الزبير وطلحة؟ قلت : بالنواصف، قال : ومنَ معهما؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فتية^(١) من قریش، فقال علي : أما إنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنهم قتلة عثمان، فقلت : أخبرني عن شأن المغيرة، ولم خلا بك؟ قال : جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال : أخليني^(٢)، ففعلت، فقال : إن النصح رخيص وأنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن لاترد عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقلت له : والله لأأداهن في ديني، ولأعطي الرياء في أمرى، قال : فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه، ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولأه الشام كلها، فقلت له : لا والله لأستعمل معاوية يومين أبداً، فخرج من عندي على ما أشار به، ثم عاد، فقال : إني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي، فنظرت في الأمر، وإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بمخدعة، ولا يكون فيه دلسة^(٣)، قال ابن عباس : فقلت له : أما أول ما أشار [به] عليك فقد نصحتك، وأما الآخر فقد غشّك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية

(٢) يريد كني في خلوة .

(١) في ب « بن فتية »

(٣) في ب « دنسة » .

الجزء الثانى : ذكر أبى السبطين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٣٦٥

فإن بايع لك^(١) فعلى أن أقلمه من منزله ، قال : لا ، والله لأعطيه إلا السيف ،
ثم تمثل :

فما مِيتَةٌ إنْ مُتَّهَا غير عاجزٍ بَعَارٍ ، إذا ما غالت النَّفْسَ غَوْلُهَا
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت رجل شجاع ، أما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « الحرب خُذْعَةٌ » ؟ فقال على : بلى ، قلت :
أما والله لئن أطعنى لأصدرن بهم بعد ورود ، ولأتركهم ينفارون فى أدبار
الأمر ، ولا يدرون ما كان وجهها ، من غير نقص لك ، ولا إثم عليك ،
فقال لى : يا ابن عباس ، لست من هنياتك ولا هنيات معاوية فى شيء تشير به
على برأى ، فإذا عصيتك فأطعني ، فقلت أنا : أفعل ، فإنَّ أيسرَ مالك عندي
الطاعة ، والله ولى التوفيق .

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه

وما كان فيه من الحرب ، وغير ذلك

تدبير الخروج
على على

ودخل طلحة والزبير مكة ، وقد كانا استأذنا علياً في العمرة ، فقال لها :
لعلكما تريدان البصرة أو الشام ، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة ، وقد كانت
عائشة رضي الله عنها بمكة ، وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة
هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها على الناس حارثة بن قدامة السعدي ،
ومسير عثمان بن حنيف الأنصاري إليها على خراجها من قبل على رضي الله
عنه ! وانصرف عن اليمن عامل عثمان [وهو يعلى بن منية] ، فأتى مكة وصادف
بها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم في آخرين من بني أمية ، فكان
من حرّض على الطلب بدم عثمان^(١) ، وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة
[ألف] درهم ، وكُرِّعاً وسلاحاً ، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكرياً ،
وكان شراؤه عليه باليمن مائتي دينار ، فأرادوا الشام ، فصدّهم ابن عامر ،
وقال : إن به معاوية ، ولا ينقاد إليكم ولا يطيعكم^(٢) ؛ لكن هذه البصرة
لى بها صنائع وعدّد ، فجهزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك .
وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب ، فاتهبوا في الليل إلى ماء لبني كلاب
يعرف بالحوّاب ، عليه ناس من بني كلاب ، فعوّت كلابهم على الركب ،
فقاتل عائشة : ما اسم هذا الموضع ؟ فقال لها السائق لجلها : الحوّاب ،
فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك^(٣) ، فقالت : رُدُّوني إلى حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا حاجة لي في المسير ، فقال الزبير : بالله ما هذ
الحوّاب ، ولقد غلط فيما أخبرك به ، وكان طلحة في ساقّة الناس ، فلحقها فأقسم

المسير
إلى البصرة

(١) زيادة في (٢) في (٢) « ولا يعطيك من نفسه النصفه » .

(٣) يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسانه « كَأَنِّي بِإِحْدَاكُنْ وَقَدْ
نَبَحْتَهَا كِلَابَ الْحَوَّابِ » ثم قال لعائشة « إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِهَا » .

أن ذلك ليس بالحوآب ، وشهد معهم خمسون رجلا من كان معهم ، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام ، فأتوا البصرة فخرج إليهم عثمان ابن حنيف فمأَنَهُمْ ، وجرى بينهم قتال ، ثم إنهم اصطَلَحُوا بعد ذلك على كَفِّ الحرب إلى قدوم علي ، فلما كان في بعض الليالي يَبْتَؤُا عثمان بن حنيف فأُسرَوه وضربوه وנתفوا لحيته ، ثم إن القوم استرجعوا وخافوا على مَخْلَفِهِم بالمدينة من أخيه سهل بن حنيف وغيره من الأنصار ، فخلَّوْا عنه ، وأرادوا بيت المال فأنهزم الخَزَّانُ والموكلون به وهم السابِجَةُ^(١) ، فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح ، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبِرا [من] بعد الأسر ، وهؤلاء أول من قُتِلَ ظُلَمًا في الإسلام وصبرا ، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي ، وكان من سادات عبد القيس وزُهَّاد ربيعة ونسَّا كها ، وتشاحَّ طلحة والزبير في الصلاة بالناس ، ثم انفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله ابن الزبير يوما ، ومحمد بن طلحة يوما ، في خطب طويل كان بين طلحة والزبير إلى أن انفقا على ما وصفنا .

وسار على من المدينة بعد أربعة أشهر ، وقيل غير ذلك ، في سبعمائة راكب منهم أربعائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بَدْرِيًّا وباقيهم من الصحابة ، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصارى ، فأنهى إلى الرَّبْدَةِ بين الكوفة ومكة من طريق الجادة ، وفاته طلحة وأصحابه^(٢) ، وقد كان على أرادهم ، فأنصرف حين فاتوه إلى العراق في طلبهم ، ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خُزَيْمَةُ بن ثابت ذو الشهادتين ، وأناه من طيء ستمائة راكب ، وكاتبَ على من الرَّبْدَةِ أبا موسى الأشعري ليستنفر الناس ، فثبَّطَهم

(١) في ب « وهم السابِجون » وفي ا « وهم السابِجَةُ » .

(٢) في ب « وفاته طلحة والزبير » .

أبو موسى ، وقال : إنما هي فتنة ، فتمى ذلك إلى علي ، فولى على الكوفة قرطه^(١) ابن كعب الأنصاري ، وكتب إلى أبي موسى : اعتزل عملنا يا ابن الحائك^(٢) مذموماً مدحوراً ، فاهذا أول يومنا منك ، وإن لك فينا لهنات وهنيات . وسار على بمن معه حتى نزل بذي قار ، وبعث بابنه الحسن وعمار [بن ياسر] إلى الكوفة يستنفران الناس ، فساراعنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف ، وقيل : ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً [منهم الأشتر] فاتتهى [على] إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله ، فأبوا إلا قتاله .

قدوم على
البصرة

وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة^(٣) الفضل بن الحباب الجحى عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلي الطف ، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه ، فورد موكب في نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قانسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ومعه راية ، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم ، ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا خزيم بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين ، ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميث معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض [مصقول] متقلد سيفاً متنكب قوساً في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية ، فقلت : من هذا ؟ فقيل لي : أبو قتادة بن ربعي ، ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سد لها من بين يديه ومن خلفه

(١) في « قرطه » بالطاء مهملة ، وهو تحريف .

(٢) في ب « يا ابن الحائك » (٣) في ب « أبو حنيفة » محرفاً

شديد الأدمة عليه سكينه^(١) ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلداً سيفاً متنكب قوساً معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي النيجان حوله مشيخة وكهول وشباب^(٢) كأنما قد أوقفوا للحساب ، أتر السجود [قد أتر] في جباههم ، ققلت : من هذا ؟ قيل : عمار بن ياسر في عِدَّة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ، ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوساً متقلداً سيفاً تخط رجلاه [في] الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء ، قلت : من هذا ؟ قيل : هذا [قيس بن]^(٣) سعد بن عبادَةَ في [عدة من] الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان ، ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه ، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدَّ لها من بين يديه بلواء ، قلت : من هذا ؟ قيل : هو عبد الله بن العباس في [وفده و] عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بال أولين ، قلت : من هذا ؟ قيل : عبيد الله بن العباس ، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بال أولين ، قلت : من هذا ؟^(٤) قيل : قثم بن العباس ، أو معبد بن العباس^(٥) ثم أقبلت للمواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً ، واشتبكت الرماح ، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسير وجبر [قال ابن عائشة : وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق ، وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر] كأنما على رؤسهم الطير ، وعن [يمينه شاب حسن الوجه ، وعن] يساره شاب حسن الوجه [وبين يديه شاب مثلها] قلت : من هؤلاء ؟ قيل : هذا علي بن أبي طالب : وهذاان الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية

(١) في أ « قد علته سكينه » (٢) في أ « وكهول وشبان »

(٣) في أ « هذا سعد بن عبادَةَ » (٤) سقط هذا من ب .

(٥) في ب « أو سعيد بن العاص » وسعيد كان عثمانياً .

الْعُظْمَى، وهذا الذي خَلَقَهُ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهؤلاء ولد عَقِيل وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وهؤلاء المشايخ [هم] أهل بدر من المهاجرين والأنصار ،

فساروا حتى نزلوا^(١) الموضع المعروف بالزاوية ، فصلى أربع ركعات ، وعفر خديه على التراب ، وقد خالط ذلك دموعه ، ثم رفع يديه يدعو : اللهم رب السموات وما أظلت ، والأرضين وما أقلت ، ورب العرش العظيم ، هذه البصرة أسألك من خيرها ، وأعوذ بك من شرها ، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين ، اللهم [إن] هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي ، وبَقَوْا على ونكثوا بيعتي ، اللهم احقن دماء المسلمين .

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء ، وقال : عَلَامَ تَقَاتِلُونِي ؟ فَأَبَوْا إلا الحرب ، فبعث [إليهم] رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم [إلى الله] ، فرموه بسهم فقتلوه ، فحمل إلى على وقالت أمه : يارب إن مسلماً أتاهم يتلو كتاب الله لا ينخسأهم فخصبوا من دمه لحام وأمه قائمة تراهم

وأمر على رضي الله عنه أن يصفقهم ، ولا ييدهوهم بقتال ، ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم [بسيف] ولا يطعنوهم برمح ، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من اليمنة بأخ له مقتول ، وجاء قوم من الميسرة برجل قدرى بسهم فقتل ، فقال على : اللهم اشهد ، وأعذروا إلى القوم .

ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال : أيها الناس ، ما أنصفتم نبيكم حين كفتهم عقائلكم في الحدور^(٢) وأبرزتم عقيلته للسيوف ، وعائشة على جبل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر ، وجعلوا دونه اللبود ، وقد غشى على ذلك بالدروع ، فدنا عمار من موضعها ، فنادى : إلى ماذا تدعين ؟ قالت :

(١) في « فسار حتى نزل - إلخ » .

(٢) في ب « حيث كفتهم عقائل تلك الحدور » .

إلى الطلب بدم عثمان ، فقال : قَاتَلَ اللهُ في هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لتعلمون أينما المالىء في قتل عثمان ؟ ثم أنشأ يقول وقد رَشَّقُوهُ بالنبل :

هُنَاكَ الْبُكَاءُ ، وَمِنْكَ الْعَوِيلُ وَمِنْكَ الرِّيحُ ، وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَأَنْتَ أَمَرْتَ بِقَتْلِ الْإِمَامِ وَقَاتَلَهُ عِنْدَنَا مَنْ أَمَرَ
وَتَوَاتَرَ عَلَيْهِ الرَّمْيُ وَاتَّصَلَ ، فَخَرَّكَ فَرَسُهُ ، وَزَالَ عَنْ مَوْضِعِهِ [وَأَتَى عَلِيًّا]
فَقَالَ : مَاذَا تَنْتَظِرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ لَكَ عِنْدَ الْقَوْمِ إِلَّا الْحَرْبُ !؟

خطبة لعل
قبل الالتحام
فَقَامَ عَلَى رُضَى اللَّهِ عَنْهُ [فِي النَّاسِ خُطْبِيًّا رَافِعًا صَوْتَهُ] فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ
إِذَا هَزَمْتُمُوهُمْ فَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا ، وَلَا تَتَّبِعُوا مَوْلِيًّا ،
وَلَا تَطْلُبُوا مَدْبَرًا ، وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةَ ، وَلَا تَمَثَلُوا بِقَتِيلٍ ، وَلَا تَهْتَكُوا سِتْرَهُ ،
وَلَا تَقْرَبُوا [شَيْئًا] مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا تَجِدُونَهُ فِي عَسْكَرِهِمْ مِنْ سِلَاحٍ أَوْ كِرَاعٍ
أَوْ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ مِيرَاثٌ لَوَرَثْتُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ .

بين علي
والزبير
وَخَرَجَ عَلَى بِنَفْسِهِ حَاسِرًا عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَاسِلَاحًا عَلَيْهِ
فَنَادَى : يَا زَبِيرُ ، أَخْرِجْ إِلَيَّ ، فَخَرَجَ [إِلَيْهِ الزَّبِيرُ] شَاكِفًا سِلَاحَهُ ، فَقِيلَ [ذَلِكَ]
لِعَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : وَائِثُكَ لَكَ يَا أَسْمَاءُ ^(١) ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّ عَلِيًّا حَاسِرٌ ، فَاطْمَأْنَنْتِ ، وَاعْتَنَقَ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَيْحَكَ يَا زَبِيرُ أَمَا الَّذِي أَخْرَجَكَ ؟ قَالَ :
دَمَ عُثْمَانَ ، قَالَ : قَتَلَ اللَّهُ أَوْلَانَا بِدَمِ عُثْمَانَ ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ لَقِيتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَنِي بِيْضَةَ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارَهُ ، فَضَحَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَضَحَكَتِ
[إِلَيْهِ] ، وَأَنْتَ مَعَهُ ، فَقُلْتَ أَنْتَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَدْعُ عَلَى زَهْوٍ ، فَقَالَ لَكَ
« لَيْسَ بِهِ زَهْوٌ : أُنْجِبُهُ يَا زَبِيرُ » فَقُلْتَ : إِنِّي وَاللَّهِ لِأُحِبَّهُ ، فَقَالَ لَكَ « إِنَّكَ وَاللَّهِ
سَتَقَاتِلُهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ » فَقَالَ الزَّبِيرُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ لَوْ ذَكَرْتَهَا مَا خَرَجْتُ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا زَبِيرُ ارْجِعْ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ أَرْجِعُ الْآنَ وَقَدْ تَلَقَّيْتُ حَلَقَتَا الْبَطْنَانِ ؟ هَذَا

(١) فِي ب « وَاحْرِبَاهُ بِأَسْمَاءَ » .

والله العار الذي لا يُغسل ، فقال : يا زير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار
فرجع الزير وهو يقول :

اخترت عاراً على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين^(١)
نادى على بامر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت : حسبك من عدل أباحسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

فقال ابنه عبد الله : أين [تذهب و] تدعنا؟ فقال : يا بني أذكرني أبو الحسن بامر
كنت قد أنسيته . فقال : لا والله ، ولكنك فررت من سيف بني عبد المطلب ؛
فإنها طوال حداد ، تحملها فتية أنحاص ، قال : لا والله ، ولكني ذكرت ما أنسانيه
الدهر ، فاحترت العار على النار ، أبا لبن تعيرني لأبالك ؟ ثم مال سناناه وشد في
الميمنة^(٢) فقال على : أفرجوا له فقد هاجوه ، ثم رجع فشد في الميسرة ، ثم رجع
فشد في القلب ، ثم عاد إلى ابنه ، فقال : أيفعل هذا جبان ؟ ثم مضى منصرفاً ،
حتى أتى وادي السباع والأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم ، فأتاه آتٍ
فقال له : هذا الزير ماراً ، فقال : ما أصنع بالزير وقد جمع بين فئتين عظيمتين
من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى منزله سالماً ؟! فلحقه نفر من بني تميم
فسبقهم إليه عمرو بن جرموز ، وقد نزل الزير إلى الصلاة [فقال : أتؤمنني أو
أؤمك ؟ فأماه الزير] فقتله عمرو في الصلاة ، وقتل الزير رضي الله عنه وله خمس
ورثاؤه
وسبعون سنة ، وقد قيل : إن الأحنف بن قيس قتلته بإرساله من أرسل من قومه
وقدر رثته الشعراء وذكروا [عمرو] بن جرموز به ، ومن رثاه زوجته عاتكة
بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد ، فقالت :

(١) في « أ » أنى يقوم لها خلق من الطين ؟ .
(٢) في « ا » ثم قلع سناناه من قناته وشد في ميمنة على .

غَدَرَ ابن جرموز بفارس بُهْمَهُ يوم اللقاء ، وكان غير مسدِّدٍ^(١)
يا عمرو ، لو نَبَّهْتَهُ لوجدته لاطأشاً رعرش الجنان ولا اليد
[هَبَلْتِكَ إِن قُلْتَ كَهْسِهِمَا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ]^(٢)
[مَا إِن رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ فِيمَنْ مَضَى مِنْ يَرْوَحُ وَيَغْتَدِي]^(٣)
وَأَتَى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه ، وقيل : إنه لم يأت برأسه ،
فقال علي : سيف طالما جلا الكرب عن [وجه] رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ولكنه الحَيْنُ^(٤) ومصارع السوء ، وقاتلُ ابن صفيّة في النار ؛ ففي ذلك
يقول عمرو بن جرموز التميمي [في أبيات] :

أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزَّبِيرِ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوهُ الزَّلْفَةَ
فَبَشَّرَ بِالنَّارِ قَبْلَ الْعِيَانِ وَبُئْسَ بَشَارَةٌ ذِي التَّحْفَةِ^(٥)
لَسِيَّانَ عِنْدِي قَتْلُ الزَّبِيرِ وَضَرْطَةُ عَزْزِ بَذَى الْجَحْفَةِ^(٥)

ثم نادى على رضى الله عنه طاححة حين رجع الزبير : يا أبا محمد ، ما الذى بين على وطلحة
أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال علي : قتل الله أولانا بدم عثمان ،
أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم وال من والاه ،
وعاد من عاداه » وأنت أول من بايعني ثم نبكث ، وقد قال الله عز وجل
(ومن نكث فإنما ينكث على نفسه) فقال : أستغفر الله ، ثم رجع ، فقال
مروان بن الحكم : رجع الزبير ويرجع طلحة ، ما أبالي رَمَيْتُ ههنا أم ههنا ،
فرماه في أ كَحْلِهِ فقتله ، فر به على بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قره ،
فوقف عليه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد كنت كارها لهذا ،
أنت والله كما قال القائل :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

(١) في أ « وكان غير معدد » (٢) سقط هذان البيتان من أ

(٣) في ب « ولكنه الجبن » .

(٤) في أ « وليست بشارة ذي التحفة » (٥) « وضربة غير » .

كَانَ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي يَمِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى، وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ^(١)
وَذَكَرَ أَنَّ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَلَّى سَمِعَ وَهُوَ يَقُولُ :
نَدَامَةٌ مَا نَدِمْتُ وَضَلَّ حُلْمِي وَلَهْفِي ثُمَّ لَهْفَ أَبِي وَأُمِّي
نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا طَلَبْتُ رِضَا بَنِي جَرَّمِ بَزْعُمِي

وَهُوَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ الْغُبَّارَ وَيَقُولُ : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)
وَقِيلَ : إِنَّهُ سَمِعَ وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ وَقَدْ جَرَّحَهُ فِي جَبْهَتِهِ [عَبْدُ الْمَلِكِ] وَرَمَاهُ
مُرْوَانُ فِي أَعْيُنِهِ وَقَدْ وَقَعَ صَرِيحًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ .

ترجمة طلحة وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم بن مرة ، وهو ابن عم أبي بكر الصديق ، ويكنى أبا محمد ، وأمه الصعبة ، وكانت
تحت أبي سفيان صخر بن حرب ، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب
قريش ، وقتل وهو ابن أربع وستين سنة ، وقيل غير ذلك ، ودفن بالبصرة ،
وقبره ومسجده [فيها مشهور] إلى هذه الغاية ، وقبر الزبير بوادي السباع .

مقتل محمد ابن طلحة وقتل محمد بن طلحة مع أبيه في ذلك اليوم ، ومَرَّ بِهِ عَلَى قَعَالٍ هَذَا رَجُلٌ
قَتَلَهُ بِهِ بِأَبِيهِ وَطَاعَتَهُ [لَهُ] وَكَانَ يَدْعِي بِالسَّجَّادِ ، وَقَدْ تَنَوَّزَعَ فِي كُنْيَتِهِ ،
فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَ يَكْنَى بِأَبِي سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ بْنُ عَدَى : كَانَ يَكْنَى
بِأَبِي الْقَاسِمِ ، وَفِيهِ يَقُولُ قَاتِلُهُ :

وَأَشْعَثُ سَجَّادَ بَآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلَ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مَسْلَمَ^(٢)
شَكَكَتْ لَهُ بِالْمَحْجِيبِ قَيْصَهُ نَخْرًا صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا ، وَمَنْ لَا يَتَّبِعَ الْحَقَّ يَنْتَدِمُ

(١) في « عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ » وَهِيَ أَفْضَلُ مِمَّا أُتِّبَتْ عَنْهُ ب ، وَهِيَ الْمَحْفُوظُ

(٢) في « وَأَشْعَثُ قَوَامَ بَآيَاتِ رَبِّهِ » .

يذكرني حاميم والرمح شارح^(١) فهلا تَلَا حاميم قبل التقدم^(٢)
وقد كان أصحاب الجبل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها ، فأتاه
بعض ولد عقيل وعلى^(٣) يَحْفَقِ نَعاساً على قَرَبُوسِ سرجه ، فقال له : يا عم ، قد
بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى ، وأنت تحفّق نَعاساً ؟ قال : اسكت يا ابن
أخي ، فإن لعمرك يوماً لا يعدوه ، والله ما يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت
عليه ، ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية ، وكان صاحب رأيته : احمل على القوم
فأبطأ محمد بحملته^(٤) ، وكان يازأه قوم من الرماة ينتظر نفاذ سهامهم ، فأتاه على
فقال : هلا حملت ، فقال : لأجد متقدماً إلا على سهم أو سنان ، وإني منتظر
نفاذ سهامهم وأحمل ، فقال [له] : احمل بين الأسنة ؛ فإن للموت عليك جنة ،
فحمل محمد ، فشك بين الرماح والنشاب فوقف ، فأتاه على^(٥) فضر به بقائم سيفه
وقال : أدركك عِرْق من أمك ، وأخذ الراية وحمل ، وحمل الناس معه ، فما
كان القوم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، وأطافت بنو ضبة^(٦)
بالجبل وأقبلوا يرتجزون ويقولون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجبل [ننازل الموت إذا الموت نزل]^(٧)
رُدُّوا علينا شيخنا ثم بَجَلْ نَنْعَى ابْنَ عَفانٍ بأطراف الأسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجبل سبعون يداً ، من بني ضبة منهم سعد بن سود^(٨)
القاضي متقلداً مصحفاً ، كلما قطعت يد واحد منهم [فصرع] قام آخر فأخذ
الخطام وقال : أنا الغلام الضبي ، ورُمي الهودج بالنشاب والتبل حتى صار كأنه

(١) في ١ * يذكرني حاميم والرمح شاجر * وهو المحفوظ .

(٢) في ب « فأبطأ محمد عليه » (٣) في ب « وأطافت بنو أمية » محرفاً .

(٤) سقط ما بين المعقوفين من ١ .

(٥) في ب « معهم كعب بن سوار القاضي » .

قنفذ ، وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ، ويقال : إن عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل ، فصرخت عائشة — وكانت خالته — : « وأكُلْ أسماء ، خلّ الخطام ، وناشدته ، فخلى عنه ، ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر ، فأدخل يده فقالت : من أنت ؟ قال : أقرب الناس [منك] قرابة ، وأبغضهم إليك ، أنا محمد أخوك ، يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أصابني إلا سهم لم يضرني ، فجاء علي حتى وقف عليها ، فضرب الهودج بقضيب ، وقال : يا حميراء ، رسول الله أمرك ^(١) بهذا ؟ ألم يأمرك أن تقرأ في بيتك ؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم ^(٢) وأبرزوك ، وأسرأخاها محمد فأنزلهما في دار صفية بنت الحارث بن طلحة العبدى ^(٣) [وهي أم طلحة الطلحات] ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون ، والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتراك وسقطا على الأرض عن فرسيهما [وطال اعتراكهما على وجه الأرض ، فعلاه الأشتر ولم يجدسيلا إلى قتله لشدة اضطرابه من تحته] والناس حولهما يحولون ، وابن الزبير ينادى :

أقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فلا يسمعه أحد لشدة الجلال ووقع الحديد [على الحديد] ولا يراهما راء لظلمة النقع ، وترادف التجاج ، وجاء ذو الشهادتين خزيمه بن ثابت إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنكس اليوم رأس محمد ، واردد إليه الراية ، فدعا به ، ورد عليه الراية ، وقال :

أطعنهم طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسرد ^(٤)

(١) كذا في ب ، ا ، ولعله « يا حميراء رسول الله ، آله أمرك بهذا ؟ » .

(٢) في ب « إذا صانوا حلائلهم وأبرزوك » .

(٣) في ب « بن أبي طلحة العبدى » .

(٤) في ا « والقنا المسدد » وما هنا عن ب أحسن .

ثم استسقى ، فأتى بعسل وماء ، فحسامنه حُسوة ، وقال : هذا الطائفي ، وهو غريب [بهذا] البلد ، فقال له عبد الله بن جعفر : أما شغلَكَ ما نحن فيه عن علم هذا ؟ قال : إنه والله يا بني ما ملأ صدر عمك ^(١) شيء قط من أمر الدنيا .

ثم دخل البصرة ، وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة [وذلك] يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، على حسب ما قدمنا دخول على البصرة
آنفًا من التاريخ ، وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها : يا أهل السبحة ^(٢) يا أهل المؤفكة اثنتفكت بأهلك من الدهر ثلاثًا ، وعلى الله تمام الرابعة ، يا جند المرأة ، يا أتباع البهيمة ، رغا فأجتم ، وعقر فانهزمن ^(٣) ، أخلاقكم رفاق ، وأعمالكم ثفاق ، ودينكم زيغ وشقاق ، وماؤكم أجاج [و] وزعاق ، وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مزاراً كثيرة .

وبعث بعبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى مدينة ، فدخل بين ابن عباس عليها بغير إذنها ، واجتذب وسادة فجلس عليها ، فقالت [له] : يا ابن عباس وأعائشة
أخطأت السنة المأمورها ، دخلت إلينا بغير إذنا ، وجلست على رحلتنا بغير أمرنا فقال لها : لو كنت في البيت الذي خلقت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا إلا بإذنك ، وما جلسنا على رحلك إلا بأمرك ، وإن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة ، فقالت : أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت ، فمضى إلى علي ، فخبّره بامتناعها ، فردّه إليها ، وقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي ، فأنعمت وأجابت إلى الخروج ، وجهازها على وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان ، فلما بصرت به النسوان صحن

(١) في ب « ما حلا بصدر عمك »

(٢) في ب « يا أهل المسجد » وفي ا « السنحة » .

(٣) في ا « رغا ما جتم » ، وعقوقا تبهرجتم فانهزمت وهو تحريف .

في وجهه وقال : يا قاتل الأُحبة ، فقال : لو كنت قاتل الأُحبة لقتلت مَنْ في هذا البيت ، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم ، فضرب مَنْ كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا مَنْ في البيت مخافة أن يخرجوا منه فيقتلوه ، فقالت له عائشة بعد خطب طويل كان بينهما : إني أحب أن أقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك ، فقال : بل ارجعي إلى البيت الذي تركت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يؤمِّن ابن أختها عبد الله بن الزبير ، فأمنه ، وتكلم الحسن والحسين في مروان ، فأمنه ، وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية ، وأمَّن الناس جميعاً ، وقد كان نادى يوم الواقعة : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن .

حزن على
على القتلى
واشتد حزن عليّ على من قتل من ربيعة قبل وروده البصرة ، وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة ، وجدّد حزنه قتل زيد بن صوحان [العبدى] قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة^(١) ، ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضاً ، وكان على يكثر من قوله :
يا كُفَّ نفسى على ربيعه ربيعة السامعة الطيعة

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف [في] القتلى ، فوجدت ابنين لها قد قُتلا ، وقد كان [قُتِلَ] زوجها وأخوانها فيمن قتل قبل مجيء على البصرة ، فأنشأت تقول :

شهدت الحروب فشيئني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أُضرَّ على مؤمنٍ فتنةً وأقتله لشجاع بطل
فليت الطعينة في يديها وليتك عسكر لم ترتحل

(١) في « عمرو بن شري » .

وقد ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأذن ، فسأله عن قصته ، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى ، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول :

لقد أوردتنا حومة الموت أمناً فلم تنصرف إلا ونحن رَوَاهُ
أطعنا بني تميم لشقوة جدنا وماتيم إلا أعبد وإماء^(١)

فقلت : سبحان الله ! أتقول هذا عند الموت ؟ قل لا إله إلا الله ، فقال :
يا ابن اللخناء ، إياي تأمر بالجزع عند الموت ؟ فوَلَّيْتُ عَنْهُ متعجباً منه ، فصاح بي
أذنُ مني [و] لقني الشهادة ، فصرت إليه ، فلما قربت منه استدناي ، ثم التقم
أذني فذهب بها ، فجعلت ألعنه وأدعو عليه ، فقال : إذا صرت إلى أمك فقالت
مَنْ فعل هذا بك ؟ فقل عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون
أمير المؤمنين .

وخرجت عائشة من البصرة ، وقد بعث معها على أخاها عبد الرحمن [بن خروج عائشة
من البصرة]
أبي بكر [وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس] وهمدان
وغيرهما [، ألبسهن البماهم وقلدهن السيوف ، وقال لهن : لا تملين عائشة أن تكن نسوة
[وتكسبن] كأنكن رجال ، وكُنَّ اللاتي تلين خدمتها وحملها ، فلما أتت المدينة
قيل لها : كيف رأيت مسيرك ؟ قالت : كنت بخير والله ، لقد أعطى على بن
أبي طالب فأكثر ، ولكنه بعث معي رجالاً [أنكرتهم] فعرفها النسوة أمرهن ،
فسجدت وقالت : ما زددتني والله يا ابن أبي طالب إلا كراماً ، ووددت أني لم أخرج
وإن أصابني كيت وكيت^(٢) من أمور ذكرتها [شاقة] ، وإنما قيل لي : تخرجين
فتصلحين بين الناس ، فكان ما كان ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن

(١) في « وما التيم إلا أعبد وإماء » .

(٢) في « وإني أصابني كيت وكيت » .

الذي قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف [نفس] ومن أصحاب الجبل [وغيرهم] من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً ، وقيل غير ذلك .
 ووقف علي^١ على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وهو قاتل يوم الجمل فقال : لهفي عليك يعسوب قريش ، قتلت القطاريف من بني عبد مناف ، شفيت نفسي وجذعت أنفي ، فقال له الأشر^(١) : ما أشدَّ جزعَكَ عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم ! فقال : إنه قامت غنى وعنهم نسوة لم يقمن عنك [وقد كان قتله في ذلك اليوم الأشر النخعي] وأصيب كف ابن عتاب بمنى [وقيل باليمامة] ألقته أعقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام .

ودخل علي^٢ بيت مال البصرة^(٢) في جماعة من المهاجرين والأنصار ، فنظر إلى ما فيه من العين والورق فجعل يقول : يا صفراء ، غرّيتي غيري [ويا بيضاء ، غري غيري] وأدام النظر إلى المال مفكراً ، ثم قال : أقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ، ففعلوا فما نقص درهم واحد ، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً .
 وقبض ما كان في معسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه ، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله [وولده] خمسمائة درهم ، فأتاه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين إني لم آخذ شيئاً ، وخلفني عن الحضور كذا ، وأذلي بعذر ، فأعطاه الخمسمائة التي كانت له .

وقيل لأبي لبيد الجهضمي من الأزدي : أتعجب علياً؟ قال : وكيف أحبر رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة ، وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحداً ، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم ؟

(١) في ١ « قال له رجل من أصحابه » .

(٢) في ب « بيت مال الكوفة » محرفاً .

الجزء الثاني : ذكر موقفه الجمل ٣٨١ .

وولّى على البصرة عبد الله بن عباس، وسار إلى الكوفة، فكان مسيره
دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب ؛ وبعث إلى الأشعث بن قيس إلى الكوفة
يعزله عن أذر بيجان وأرمينية، وكان عاملاً لعثمان [عليها، وصرف عن همدان
جرير بن عبد الله البجلي، وكان عاملاً لعثمان]، فكان في نفس الأشعث
على عليّ ما ذكرنا من العزل، وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك
من الأموال .

ووجهه بجرير بن عبد الله إلى معاوية [وقد كان الأشعث حذره من ذلك ،
وعوفه من جرير] ، وقد كان جرير قال لعليّ : ابغضني إليه ، فإنه لم يزل [إلى]
مستنصحا واداً ، فأتيه وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر ، وأدعوا أهل الشام
إلى طاعتك ، فقال الأشعث : لا نبغضه ولا تصدقه ، فوالله إني لأظن هواه هوام
ونيته نيتهم ، فقال عليّ : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا ، فبعث به وكتب إلى
معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والأنصار إياه واجتماعهم عليه ، ونكث
الزبير وطلحة ، وما أوقع الله بهما ، ويأمره بالدخول في طاعته ، ويعلم أنه من
الطلاق الذين لا تحل لهم الخلافة ، فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله أن ينتظره
وكتب إلى عمرو بن العاص على ما قدمنا [فقدم عليه فأعطاه مصر طعمة على
ما قدمنا] في صدر هذا الباب ، فأشار إليه عمرو بالبعث إلى وجوه الشام وأن يلزم
عليّاً دم عثمان ، ويقال له بهم ؛ فقدم جرير على عليّ فأخبره خبرهم واجتماع أهل
الشام مع معاوية على قتاله ، وأنهم سيكونون على عثمان ويقولون : إن عليّاً قتله ،
وآوى قتلته ومنع منهم ، وإنهم لا بدّ لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم ، فقال
الأشعث : قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوتة وغشه ، ولو بعثتني لكنت
خيراً من هذا الذي أرحى خنقه وأقام حتى لم يدع باباً نرجو روحه إلا فتحه ،
ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه ، فقال جرير : لو كنت ثم لقتلوك ، والله لقد ذكروا
أنك من قتلة عثمان ، قال الأشعث : لو أتيتهم والله يا جرير لم يُعَيِّنِي جوابهم ،

ولا ثقل على خطابهم ، ولحلت معاوية على خطة أبحاثها عن الفكر ، ولو أطاعني أمير المؤمنين فيك لحبسك وأشباهك في محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الأمر .

فخرج جرير عند ذلك إلى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات ، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به ، وأنه أحب مجاورته والمقام في داره ، فكتب إليه معاوية يأمره بالسير إليه .

وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة الثقفي — عند مُنْصَرَفٍ على من الجمل ، وقبل مسيره إلى صِفِّينَ — بكتاب يقول فيه : لقد ظهر من رأي ابن أبي طالب ما كان تقدم من وعده لك في طلحة والزبير ، فما الذي بقي من رأيه فينا ؟ وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وباع الناسُ عليا دخل عليه المغيرة فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك عندى نصيحة ، فقال : وما هي ؟ قال : إن أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة ، والزبير بن العوام على البصرة ، وابعث إلى معاوية بعهد علي الشام حتى تلزمه طاعتك ، فإذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك ، قال : أما طلحة والزبير سأري رأيي فيهما ، وأما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به مادام على حاله أبداً ، ولكني أدعوه إلى مآمرته ، فإن أجاب وإلا حاكمته إلى الله ، فانصرف المغيرة [مغضباً] وقال :

بين المعيرة
ومعاوية

نصحت علياً في ابن هند مقالةً فردت ، فلا يسمع لها الدهر ثانية
وقلت له : أرسل إليه بعهد علي الشام ، حتى يستقر معاوية
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته وأم ابن هند عند ذلك هاوية
فلم يقبل النصيحة الذي جئته به وكانت له تلك النصيحة كافيها

قال السعدي رحمه الله : وقد قدمنا^(١) فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع علي ، وما أشار به ، وهذا أحد الوجوه المروية في ذلك .

فهذه جوامع ما يحتاج إليه من أخبار يوم الجبل وما كان فيه ، دون الإكثار والتطويل وتكرار الأسانيد [في ذلك] والله ولي التوفيق .

ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق^(١)

وأهل الشام بصفين

قال المسعودي رحمه الله : قد ذكرنا جملا وجوامع من أخبار على رضى الله عنه بالبصرة ، وما كان يوم الجمل ؛ فلنذكر الآن جوامع من سيره^(٢) إلى صفين ، وما كان فيها من الحروب ، ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهرَوان ، ومقتله عليه السلام .

مسيره
إلى صفين
وكان سير^(٣) على من الكوفة إلى صفين لخمس خَلَوْنَ من شوال سنة ست وثلاثين ، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عُقْبَةَ بن عامر الأنصاري^(٤) فاجتاز في مسيره بالمدائن ، ثم أتى الأنبار ، وسار حتى نزل الرقة ، فعقد له هنالك جسر ، فعبر إلى جانب الشام .

عدد جيشه
وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش ، فكثر ومقل ، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً ، وقال رجل من أصحاب على لما استقروا بما على الشام من أبيات كتب بها إلى معاوية [حيث يقول] :

اثْبُتْ معاوى قد أذاك الخافِلُ تَسْعُونَ ألفاً كلهم مُقاتِلُ
* عَمَّا قَلِيلٍ يَضْمَحِلُّ الباطِلُ *^(٥)

جيش معاوية
وسار معاوية من الشام ، وقد تنوزع في مقدار من كان معه [أيضاً] فكثر ومقل ، والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً ، فسبق علياً إلى صفين ،

(١) في ١ « ذكر جوامع ما كان بين أهل العراق - إلخ » .

(٢) في ١ « مسيره » (٣) في ١ « عقبة بن عمرو الأنصاري » .

(٤) في ١ « أسرع ما يقشع عنك الباطل » .

الجزء الثاني : ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق والشام بصفين ٢٨٥

وعسكر في موضع سهل أفتيح اختاره قبل قلوبهم على ، على شريعة لم يكن على
الفرات [في ذلك الموضع] أسهل منها للوارد إلى الماء ، وما عداها أخراق
عالية^(١) ، ومواضع إلى الماء وعرة ، ووكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين
ألفاً ، وكان على مقدمته ، وبات على وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين
الورود [إلى الماء] هائل عمرو بن العاص لمعاوية : إن علياً لا يموت عطشاً هو
وتسعون ألفاً من أهل العراق وسبوفهم على عوانقهم ، واسكن دعتهم يشربون
ونشرب ، فقال معاوية : لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان ، و [خرج]
على يدور في عسكره بالليل ، فسمع فائلاً [وهو] يقول :

[أئمننا القوم ماء الفرات وفينا على وفينا الهدى ؟
وفينا الصلاة ، وفينا الصيام ، وفينا المناجون تحت الدجى
ثم مرّ بأخر عند راية ربيعة ، وهو يقول :

أئمننا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الحجف ؟
[وفينا على له صولة إذا خوفوه الردى لم يخف]
ونحن غداة لقينا الزبير وطلحة خضنا غمار التلغ
فما بالنا أمس أسد العرين وما بالنا اليوم شاء النجف^(٢)
وألقى في فسطاط الأشعث بن قيس رقة فيها :

لئن لم يجلّ الأشعث اليوم كربة من الموت فيها للنفوس تفلت
فنشرب من ماء الفرات بسيفه فمبنا أناساً قبل كانوا فوثوا
فلما قرأها حمي وأتى علياً رضي الله عنه ، فقال له : أخرج في أربعة آلاف
من الخيل حتى تهجم بهم في وسط عسكر معاوية فنشرب وتستقي لأصحابك
أو تموتوا عن آخركم ، وأنا مسير الأشر في خيل ورجالة وراءك ، فسار
الأشعث [في أربعة آلاف من الخيل] وهو يقول مرتجزاً :

(١) في « فأجواف علي » (٢) في « شاء عجب » وليس بشيء .

لأُورِدَنَّ خَيْلَ الْفَرَاتِ شُعْتَ النَّوَاضِي أَوْ يُقَالُ مَا تَا
 ثُمَّ دَعَا عَلَى الْأَشْتَرِ فَسَرَّحَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّجَالِ ، فَصَارَ يَوْمَ
 الْأَشْعَثِ [و] سَابِحَ رَابِتِهِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ النَّخَعِ [وَهُوَ] يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :
 يَا أَشْتَرُ الْخَيْرَاتِ يَا خَيْرَ النَّخَعِ وَصَاحِبَ النَّصْرِ إِذَا عَمَّ الْفَزَعُ
 قَدْ جَزَعَ الْقَوْمُ وَغُمُوا بِالْفَزَعِ إِنْ تَسْقِنَا الْيَوْمَ فَمَا هُوَ بِالْبَدْعِ^(١)
 ثُمَّ سَارَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ وَرَاءَ الْأَشْتَرِ بِنَاقِي الْجَيْشِ ، وَمَضَى الْأَشْعَثُ فَمَارِدَ
 وَجْهَهُ [أَحَدٌ] حَتَّى هَجَمَ عَلَى عَسْكَرِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَزَالَ أَبَا الْأَعُورِ عَنِ الشَّرِيعَةِ ،
 وَغَرَّقَ مِنْهُمْ بَشَرًا وَخَيْلًا ، وَأُورِدَ خَيْلُهُ الْفَرَاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْعَثَ دَاخَلَتْهُ الْحِمْيَةُ
 فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَكَانَ يَقْدُمُ رِمْحَهُ ثُمَّ يَحْتَصِلُ أَصْحَابَهُ فَيَقُولُ : ازْجَوْهُمْ^(٢) مَقْدَارُ هَذَا
 الرِّمْحِ ، فَيَزِيلُوهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَيُبْلَغُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْأَشْعَثِ عَلِيًّا ، فَقَالَ :
 هَذَا الْيَوْمَ نَصَرْنَا فِيهِ الْحِمْيَةَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ :

كَشَفَ الْأَشْعَثُ عَنَا كُرْبَةَ الْمَوْتِ عِيَانًا
 بَعْدَ مَا طَارَتْ طَلَافَا طَيْرَةً مَسَتْ لَهَا نَا
 فَلَهُ الْمُنَى عَلَيْنَا وَبِهِ دَارَتْ رَحَانَا

وَارْتَحَلَ مَعَاوِيَةُ عَنِ الْمَوْضِعِ ، وَوُورِدَ الْأَشْتَرُ ، وَقَدْ كَشَفَ الْأَشْعَثُ الْقَوْمَ عَنِ
 الْمَاءِ ، وَأَزَالَهُمْ عَنِ مَوَاضِعِهِمْ ، وَوُورِدَ عَلَى فَنَزَلَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَاوِيَةُ
 فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا ظَنُّكَ بِالرَّجُلِ أَتَرَاهُ يَمْنَعُنَا الْمَاءَ
 لَمَنْعَنَا إِيَّاهُ^(٣) ؟ وَقَدْ [كَانَ] انْحَاذَ بِأَهْلِ الشَّامِ إِلَى نَاحِيَةِ فِي الْبَرِّ نَائِيَةً عَنِ الْمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ
 عَمْرُو : لَا ، إِنْ الرَّجُلُ جَاءَ لِنَغِيرِ هَذَا ، وَإِنِّهِ لَا يَرْضَى حَتَّى تَدْخُلَ فِي طَاعَتِهِ أَوْ يَقْطَعَ
 حَبْلَ عَاتِقِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي وَرُودِهِ مَشْرِعَتَهُ وَاسْتِقَاءِ النَّاسِ^(٤)
 مِنْ طَرِيقِهِ وَدُخُولِ رِسْلِهِ فِي عَسْكَرِهِ ، فَأَبَاحَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَأَلَ وَطَلَبَ مِنْهُ

(١) فِي أ ، ب « قَدْ خَرَجَ الْقَوْمُ وَعَالُوا بِالْفَزَعِ » .

(٢) فِي ب « اَرْجَوْهُمْ » (٣) فِي أ « كَمَنْعُنَا إِيَّاهُ » .

(٤) فِي أ « وَإِسْقَاءِ الْمَاءِ » .

الجزء الثاني : ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق والشام بصنين ٣٨٧

ولما كان أول يوم من ذى الحجة — بعد نزول عليّ على هذا الموضع بيومين — بعث إلى معاوية يدعوهُ إلى اتحاد الكلمة^(١) والدخول في جماعة المسلمين ، وطالت المراسلة بينهما ، فانفقوا على المودعة إلى آخر الحرم من سنة سبع وثلاثين ، وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلم بالحروب ، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مالٍ يحمله إليه لشغله بعلی ، ولم يتم بين علي ومعاوية صالح على غير ما ادنا [عليه من المودعة في الحرم ، وعزّم القوم على الحرب بعد انقضاء الحرم] ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية :

فما دون المنايا غيرُ سبع بقين من الحرم أو ثمان
ولما كان في اليوم الآخر من الحرم قبل غروب الشمس بعث [عليّ] إلى أهل الشام : إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، وإني قد نبذت إليكم على سَوَاء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، فلم يردوا عليه جواباً إلا « السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا » .

مبدأ الحرب

وأصبح على يوم الأربعاء — وكان أول يوم من صفر — فعبأ الجيش ، وأخرج الأشرأمام الناس ، وأخرج إليه معاوية — وقد تصافَّ أهل الشام وأهل العراق — حبيب بن مسلمة الفهري ، وكان بينهم قتال شديد [سائر يومهم] ، وأسفرت عن قتلى من الفريقين^(٢) جميعاً ، وانصرفوا .

فلما كان يوم الخميس — وهو اليوم الثاني — أخرج على هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري لليرقَالَ ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وإبناسى المِرْقَالَ لأنه كان يرقل في الحرب ، وكان أعور ذهب عينه يوم اليرموك ، وكان من شيعة علي ، وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهب فيه عينه ، وحسن بلائه في ذلك

(١) في ١ « إلى اجتماع الكلمة » .

(٢) في ١ « وأسفرت عن قتلى » في كل المواضع هذا وما بعده .

اليوم ، في الكتاب الأوسط في فتوح الشام ، فأخرج إليه معاوية أبا الأعور السكّلي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي ، فكانت بينهم [الحرب] سجالاً ، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير .

وأخرج علي في اليوم الثالث — وهو يوم الجمعة — أبا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار فيمن تسرع معهم ^(١) من الناس ، وأخرج إليه معاوية عمرو بن العاص في تنوخ وبهراء ^(٢) وغيرهما من أهل الشام ، فكانت بينهم سجالاً إلى الظهر ، ثم حل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا ، فأزال عمراً عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية ، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق .

وأخرج علي في اليوم الرابع — وهو يوم السبت — ابنه محمد بن الحنفية في همدان وغيرها ممن خفّ معه من الناس ، فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر ابن الخطاب في حمير ونخلم وجذام ، وقد كان عبيد الله [بن عمر] لحق بمعاوية خوفاً من علي أن يقيده بالهرمزان — وذلك أن أبا لؤلؤة [غلام الغيرة بن شعبة] قاتل عمر ، وكان في أرض العجم غلاماً للهرمزان ، فلما قُتل عمر شدّ عبيد الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسياً ولا في غيرها إلا قتلت به أبي ، وكان الهرمزان عليلاً في الوقت الذي قتل فيه عمر — فلما ضارت الخلافة إلى علي أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان انتله إياه ظالماً من غير سبب استحقه فاجأ إلى معاوية ، فاقتتلوا في ذلك اليوم ، وكانت على أهل الشام ، ونجا ابن عمر في آخر النهار هرباً .

وأخرج علي في اليوم الخامس — وهو يوم الأحد — عبد الله بن العباس فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، فاقتتلوا ، وأكثر الوليد من

(١) في ب « فيمن شرع معهم » .

(٢) في ب « في تنوخ ونهد » .

سَبَّ بنى عبد المطلب بن هاشم ، فقاتله ابن عباس قتالا شديداً ، وناداه : ابرز إلى يا صفوان ، وكان لَقَبَ الوليد ، وكانت القَلْبَة لابن عباس ، وكان يوماً صعباً

وأخرج على في اليوم السادس — وهو يوم الاثنين — سعيد ابن قيس الهمداني ، وهو سيد همدان يومئذ ، فأخرج إليه معاوية ذا الكَلَاع ، وكانت بينهما إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى ، وانصرف الفريقان جميعاً .

وأخرج على في اليوم السابع — وهو يوم الثلاثاء — الأشتر في النَّخَع وغيرهم ، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، فكانت [الحرب] بينهم سجالاتاً ، وصبر كلا الفريقين وتكافؤا وتواقفوا^(١) للهوت [ثم انصرف الفريقان] وأسفرت عن قتلى منهما ، والجراح في أهل الشام أعم .

وخرج في اليوم الثامن — وهو يوم الأربعاء — على رضى الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار وربيعة وهدان .

قال ابن عباس : رأيت في هذا اليوم علياً وعليه عمامة بيضاء ، وكان عينيه سراجاً سَكِيطاً ، وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم^(٢) ، حتى انتهى إلى وأنا في كثيف من الناس ، فقال : يا معشر المسلمين ، عموا الأصوات ، وأكْمَلُوا الأُمة ، واستشعروا الخشية ، وأقلقوا السيوف في الأجفان قبل السَّلَّة ، والحظوا الشَّرْزَ ، واطعنوا الهبر ، وناخوا بالظبا^(٣) ، وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح ، وطبئوا عن أنفسكم أنفساً ، فإنكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله ، عاودوا الكرّة ، واستقبحوا الفرّة ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار يوم الحساب

(١) في ب « وتكاثروا وتواقفوا للحرب » .

(٢) في ا « ومحضهم » .

(٣) في ب « وناخوا الصبا » .

ودونكم هذا السواد الأعظم ، والرواق المطنّب ، فاضربوا نهجَه^(١) ، فإن
الشيطان راكب صعبده ، مفترش^(٢) ذراعيه ، قد قدّم للوثبة يداً وأخّرَ
للكوص رجلاً ، فصبراً جميلاً حتى تنجلي عن وجه الحق ، وأنتم الأعلون
والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

وتقدم على الحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ، وخرج
معاوية في عدد أهل الشام ، فانصرفوا عند المساء وكلٌّ غير ظافر

وخرج في اليوم التاسع — وهو يوم الخميس — على ، وخرج معاوية ،
فاقتتلوا إلى ضحوة من النهار ، وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب
في أربعة آلاف من الخضرية معممين بشقاق الحرير الأخضر متقدمين الموت
يطلبون بدم عثمان ، وابن عمر يقدمهم وهو يقول :

أنا عبيد الله ينميني عمرُ خير قريس من مضى ومن غبرُ
غير نبي الله والشيخ الأغر قد أبطأت في نصر عثمان مضرُ
والربيعيون ، فلا أسقوا المطر

فناداه على : ويحك يا ابن عمر ، علام تقاتلني ؟ والله لو كان أبوك حياً
ماقاتلني ، قال : أطالب بدم عثمان ، قال : أنت تطلب بدم عثمان ، والله يطلبك
بدم الهرمران ، وأمر على الأشتر [النخعي] بالخروج إليه ، فخرج الأشتر
إليه وهو يقول :

إني أنا الأشتر معروف السير إني أنا الأفعى العراقي الذكّرُ
لست من الحى ربيع أو مضر لكنني من مذحج البيض الفرز
فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه ، وكثرت القتلى يومئذ .

(١) في ١ « فاضربوا نهجَه » .

(٢) في ب « مفترش ذراعيه » .

وقال عمار بن ياسر : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقانون حتى يرتاب عمار بن ياسر المبطون ، والله لو هزمونا حتى يباغوا بنا سَعَمَاتٌ هَجَرَ^(١) لكننا على الحق وكانوا على الباطل .

وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضعه فاستسقى ، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بُعْسٌ فيه لبن ، فدفعته إليه ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، اليوم ألقى الأعبة تحت الأسنة ، صدق الصادق ، وبذلك أخبرني الناطق ، وهو اليوم الذي وعدت فيه ، ثم قال : أيها الناس ، هل من رآح إلى الله تحت العوالى ؟ والذي نفسى بيده لثقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقدم وهو يقول : نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله ضرباً يزيل الهام عن مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخليل عن خليله أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسط القوم ، واشتبكت عليه الأسنة ، فقتله أبو العادية العاملى^(٢) وابن جَوْن السكسكى ، واختلفا في سَلْبِهِ ؛ فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال لهما : اخرجا عني ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وولعت قريش بعمار^(٣) « ما لهم ولعمار ؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة ، وقبره بصفين وصلى عليه على عليه السلام ولم يغسله ، وكان يغير شيبه . وقد تنوزع في نسبه فمن الناس من ألحقه ببني مخزوم ، ومنهم من رأى أنه من حُلَفَائِهِمْ ، ومنهم من رأى غير ذلك ، وقد أتينا على خبره في كتاب « مزار الأخبار وطرائف الآثار »

(١) في « شعبات هجر » محرفاً في الطبرى (٦ / ٢١) مثل ما أثبتنا عن ب.

(٢) في « أبو العادية العاملى وابن حوین السكسكى » وفي ب « أبو الهادية

العاملى وأبو حواء السكسكى » وفي شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة (٢ /

٢٧٤) « ابن حوى السكسكى » وأحسب الأصل « ابن جون السكونى » .

(٣) في ب « وبغت قريش بعمار » .

عند ذكرنا الأشراف الخمسين الذين بايعوا علياً على الموت ، وفي قتله يقول
الحجاج ابن عزيّة^(١) الأنصاري أحياناً رثاه بها :

يَا لَرَجَالٍ لَعِينٍ دَمْعُهَا جَارِي فَذَا هَاجَ حُزْنِي أَبُو الْيَقْظَانِ عَمَّارُ
أَهْوَى إِلَيْهِ أَبُو حَوْا فَوَارِسَهُ يَدْعُو السَّكُونُ وَلِلْجَيْشِينَ إِعْصَارُ^(٢)
فَاخْتَلَّ صَدْرُ أَبِي الْيَقْظَانِ مَعْتَرِضًا لِلرَّمْحِ ، قَدْ وَجَبَتْ فِينَالَهُ النَّارُ
اللَّهُ عَنْ جَمْعِهِمْ لِأَشْكَ كَانَ عَفَاً أَتَتْ بِذَلِكَ آيَاتُ وَأَثَارُ
مَنْ يَنْزِعُ اللَّهُ غَلًّا مِنْ صُدُورِهِمْ عَلَى الْأَسْرَةِ لَمْ تَمْسَسْهُمْ النَّارُ
فَالِ النَّبِيِّ لَهُ تَقْتَلُكَ شَرْدَمَةٌ سَيَّطَتْ لِحُومِهِمْ بِالْبَغْيِ ، فُجَّارُ
فَالْيَوْمِ يَعْرِفُ أَهْلُ الشَّامِ أَنَّهُمْ أَحْبَابُ تِلْكَ وَفِيهَا النَّارُ وَالْعَارُ

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان ، وتقدم [قيس
ابن] سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار وربيعة ، وعدى بن حاتم في طييء
وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس ، فخلطوا الجمع بالجمع ، واشتد القتال
وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية ، وقد كان معاوية صمداً
فيمين كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان ، وأمر على الأشرار أن
يتقدم باللواء إلى أهل حصص وغيرهم من أهل قنسرين ، فأكثر القتل في
أهل حصص وقنسرين بمن معه من القراء ، وأبلى المِرْقَالُ^(٣) يومئذ بمن معه
فلا يقوم له شيء ، وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده ، وعلى وراءه يقول
له : يا أعور ، لا تكن جباناً ، تقدم ، والمِرْقَالُ يقول :

قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْمُ وَمَا أَقْلًا أَعُورُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحْلًا^(٤)

(١) في ب « الحجاج بن عزيّة الأنصاري » ولم يذكر في أمن الشعر غير
البيتين الآخرين ، وفي أول الأبيات المذكورة هنا عيب الإيطاء .

(٢) كذا في ب ، وأحسب الأضل « أهوى إليه ابن جون في فوارسه » .

(٣) في ب « وأنى المِرْقَال » (٤) في أ « قد أكثر القول » .

قد عالج الحياة حتى ملاً لا بُدَّ أنْ يُقِلَّ أوْ يُفَلِّأَ
أَسْلُهُمْ بِذِي الْكُعُوبِ شَلًّا^(١)

ثم صمدها شمس بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو في حمير، فحمل عليه صاحب
لواء ذي الكلاع، وكان رجلاً من عذرة وهو يقول :

أثبتت فإني لست من فرعى مضر نحن اليمانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر ينعي ابن عفان ويلجئ من غدر
[يا أعور العين رمى فيها العور] سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين، فطعنه هاشم المرقال فقتله، وقتل بعده تسعة عشر رجلاً،
وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن
لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا، فاجتلد الناس، فقتل هاشم المرقال، وقتل
ذو الكلاع جميعاً، فتناول ابن المرقال اللواء حين قبل أبوه في وسط المعركة
وكرر في العجاج وهو يقول :

يا هاشم بن عتبة بن مالك أعزّز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلات بالسنانك أبشر بحور العين في الأرائك

والرّوح والريحان عند ذلك

ووقف على رضى الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من المسلمين
وغيرهم، فدعا لهم وترحم عليهم، وقال من أبيات :

جزى الله خيراً عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعو حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد وسفيان وابنا هاشم ذى المكارم^(٢)
وعروة لا ينفد ثناء وذكره إذا اخترط يوماً خفاف الصوارم^(٣)

(١) في ب « أسلمهم بذى الكعوب سلا » وما أثبتناه عن أدق، ومعنى أسلمهم:
أطردهم وأسوقهم كما تطرد الأنعام وتساق. وفي الطبري (٢٤/٦) « يتلهم بذى الكعوب
تلا » ومعنى يتلهم يصرعهم. (٢) في وقعة صفين « يزيد وعبد الله بشر ومعبد » .
(٣) هذا البيت والذي قبله لا يوجدان في أ، ووقع عجز هذا البيت. في ب
« إذا سل بالبيض الخفاف الصوارم » محرراً عما أثبتناه عن وقعة صفين :

حذيفة بن اليمان ، وابناه حذيفة بن اليمان ، وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست وثلاثين ، فبأه قتل عثمان وببيعة الناس لعلى فقال : أخرجنوني وادعوا الصلاة جامعة » فوضع على المنبر ، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال : أيها الناس ، إن الناس قد بايعوا علياً فاعلموا بكم بتقوى الله وانصروا علياً وازروه ؛ فوالله إنه لعلى الحق آخرأ وأولاً^(١) ، وإنه خير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال : اللهم اشهد ، إني قد بايعت علياً ، وقال : الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم ، وقال لا بنيه صفوان وسعد : احملاني وكوناً معه ، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهداً^(٢) أن تستشهدامعه ، فإنه والله على الحق ، ومن خالفه على الباطل ، ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل : بأربعين يوماً [واستشهد عبد الله بن الحارث النخعي أخو الأشتر] واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة ، وكان عبد الله في ميسرة على وهو يرتجز ويقول :

لم يبق إلا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسبف مصقل
ثم التمشي في الرعيل الأول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده ، فيمن ذكرنا من خزاعة .
ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكتب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان ابن جبلة التنوخي -- وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء^(٣) -- وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدماً ، وأنصح منك^(٤) ديناً ، فقال له النعمان : إننا لو كنا ندعو قومنا إلى جيش مجموع لكان في كسع الرجال بعض الأناة

(١) في «أولا وآخرأ» (٢) في «أ» فاجهدا .

(٣) في ب «تنوخ ونهد» (٤) في «أ» وأنصح جيا .

فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف فاطمة، ورُدِّيْنا شجرة^(١)، وقوم ذوى بصرائر نافذة، والله لقد نصحتك على نفسى، وآثرتُ ملكك على دينى، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه، وحدثُ عن الحق وأنا أبصره، وما وُقِّتُ لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه، ولو أعطينا ما أعطينا لك أن أراف بالرية، وأجزل فى العطية، ولكن قد بذلنا لك الأمر ولا بد من إتمامه كان غيا أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمنا أعمار الجنة وأنهارها، وخرج إلى قومه، وصمد إلى الحرب^(٢).

وكان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال فام إليه نساؤه فشدن عليه . مقتل عبيد الله
ابن عمر
سلاحه، ما خلا الشيبانية بنت هانىء بن قبيصة، فخرج فى هذا اليوم، وأقبل على الشيبانية، وقال لها: إني قد عشت اليوم لقومك، وإيم الله إني لأجوان أربط بكل طنب من أطنا بفسطاطى سيداً منهم، فقالت له: ما أبغض إلا أن تقاتلهم قال: ولم؟ قالت: لأنه لم يتوجه إليهم صنيدياً [فى جاهلية ولا إسلام وفى رأسه صعر] إلا أبادوه، وأخاف أن يقتلوك، وكأني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألم أن يهبوا إلى جيفتك، فرماها بقوس فشجها وقال لها: ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك، ثم توجه فحمل عليه حريش بن جابر الجعفى فطعنه فقتله، وقيل: إن الأشتر النخعي هو الذى قتله، وقيل: إن علياً ضربه [ضربة] فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه، وإن علياً قال حين هرب فطابه ليقيد منه بالهرمزان: لئن فاتني فى هذا اليوم لا يفوتني فى غيره، وكلم نساؤه معاوية فى جيفته، فأمر أن تأتين ربيعة فبذلن فى جيفته عشرة آلاف، ففعلن ذلك، فاستأمرت ربيعة علياً، فقال لهم: إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها، ولكن

(١) فى ١ « وردنية شارة » .

(٢) فى ١ « وصمد للحرب » .

قد أحببتهم^(١) إلى ذلك ؛ فاجعلوا جيفته لبنت هانيء بن قبيصة الشيباني زوجته ، فقالوا النسوة عبيد الله : إن شئت شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية ، فصرخن وقلن : هذا أشد علينا ، وأخبرن معاوية بذلك ، فقال لمن : اتوا الشيبانية فسأوها أن تكلمهم في جيفته ، ففعلن ، وأتت القوم وقالت : أنا بنت هانيء بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم وقد حذرت ما صار إليه فنبؤوا إلى جيفته ، ففعلوا ، وألقت إليهم بمطرف خرفأدر جوه فيه ودفعوه إليها [فضت به ، وكان] قد شد في رجله إلى طناب فسطاط من فساطيطهم .

ولما قتل عمار ومن ذكر نافي هذا اليوم حرص على عليه السلام الناس وقال لربيعة : أنتم درعي ورعي ، فانتدب له مابين عشرة آلاف إلى أكثر من ذلك من زبيعة وغيرهم ، قد جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وعلى أمامهم على البغلة الشهباء ، وهو يقول :

من أي يومتي من الموت أفر أيوم لم يُقدر أم يوم قدير^(٢)

وحمل وحلوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ، وأحمدوا كل ما أتوا عليه ، حتى أتوا إلى قبة معاوية ، وعلى لايمر بفارس إلا قدّه وهو يقول :

أضربهم ولا أرى معاوية الأخزر العين العظيم الحاوية^(٣)
* تهوى به في النار أم هاوية *

وقيل : إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء ، قاله في ذلك اليوم .
ثم نادى على : يا معاوية ، علام يقتل الناس بيني وبينك ؟ هلم أحاكمك إلى

(١) في ١ « ولكن إذا أحببت فاجعلوا جيفته - إلخ » .

(٢) في ١ « أيوم لايقدر أم يوم قدر » وفي صفين « أيوم ما قدر - إلخ »

(٣) في ب « العظيم الهاوية » محرفا .

الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال له عمرو : قد أنصفك الرجل ، فقال له معاوية : ما أنصفت ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره ، فقال له عمرو : وما يحمل بك إلا مبارزته ، فقال له معاوية : طمعت فيها بعدى ، وحقدتها عليه .

وقد قيل في بعض الروايات : إن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى على ، فلم يجد عمرو من ذلك بداً ، فبرز ، فلما التقيا عرفه علىٌ وسأل السيف ليضربه به ، فكشف عمرو عن عورته ، وقال : مُكْرَهُ أَخَوْكَ لا بطل^(١) فحول على وجهه [عنه] ، وقال : قبحت ! ورجع عمرو إلى مصافه .

وقد ذكر هشام بن محمد الكلبي عن الشرق بن القطامي أن معاوية قال لعمره بعد انقضاء الحرب : هل غشستني منذ نصحتني؟ قال : لا ، قال : بلى والله يوم أشرت على مبارزة على وأنت تعلم ما هو ، قال : دعاك إلى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين : إما أن تقتله فتكون قد قتلته قاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك ، وإما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فقال معاوية : يا عمرو ، الثانية أشد^(٢) من الأولى .

وكان في هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ، ووجدت في بعض النسخ من أخبار صفين أن هاشماً المرقأ لما وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر مطروحاً^(٣) إلى قربه جريحاً ، فحبأ^(٤) حتى دنا منه ، فلم يزل بعض على تديبه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة ؛ لأنه أصيب فوقه ميتاً هو ورجل من بكر بن وائل ، قلزحفاً إلى عبيد الله [جميعاً] فمشاه^(٥) ، وانصرف القوم إلى مواضعهم ، وخرج كل فريق منهم يحملون ما أمكن من قتلاهم .

(١) يروى النجاة هذا المثل « مكره أخاك لا بطل » على اللغة غير المشهورة

من لغات العرب .

(٣) في ب « مطروح »

(٢) في ب « أشرت من الأولى »

(٥) في ب « فمشاه »

(٤) في ب « فجتا حتى دنا منه »

ومر معاوية في حواصل من أصحابه في الموضع الذي كانت ميمنته فيه ، فنظر إلى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي مُعَفَّرًا بدمائه ، وقد كان على ميسرة على ، فحمل على ميمنة معاوية فأصيب على ما قدمنا آتفا ، فأراد معاوية أن يمثل به ، فقال له عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل : والله لا تركتك وإياه ، فوهبه له ، فغطاه بعمامته [وحمله] فواراه ، فقال له معاوية : قد والله وارت كباش من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع ، والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا ، ولو أنا من جندل ، دون هذا الكباش ، وأنشأ يقول متمثلا :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت يوما به الحرب شمرا
كليث هزبرٍ كان يحمي ذِمَّاره رمت المنى أيا قصدها فنقطرا

ونظر على إلى غسان في مصافهم لا يزولون^(١) ، فحرض أصحابه عليهم ، وقال : إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم ، وضرب يفلق الهام ويصبع العظام^(٢) ، وتسقط منه المعاصم والأكف ، وحتى تشدخ جباههم بعُمد الحديد^(٣) ، وتنتثر لمهم^(٤) على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر وطلاب الأجر ؟ فثاب إليه عصابة من المسلمين من سائر الناس ، فدعا ابنه محمداً ، فدفع إليه الراية وقال : امش بها نحو هذه الراية مشيا رويداً ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح ، فأمسك حتى يأتيك أمرى ، ففعل ، وأباه على^٥ ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة ، وقد كَرَّدَسَ الخيل ، فحملوا على غسان ومن يليها ، فقتلوا منها بشراً كثيراً ، وعادت الحرب في آخر النهار كالحال في أوله ، وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفاً مقتنعون في الحديد على ميسرة على ، فاقنطعوا ألف فارس ، فاندب من أصحاب علي عبد العزيز بن الحارث الجعفي ، وقال لعلي^٦ : مرني بأمرك ، فقال : شدَّ

(١) في « لا يزولون » (٢) في ب « ويطنح الطعام »

(٣) في ب « بعدد الحديد » (٤) في ب « وتنتثر حواجمهم »

٥

الله ركنك^(١) ! سِرَ حتى تنتهي إلى إخواننا المحاط بهم ، وقل لهم : يقول ليلة الهريز لكم على : كبروا ثم احموا ونحمل حتى نلتقي ، فحمل الجعني ، فطعن في عرضهم حتى انتهى إليهم ، فأخبرهم بمقالة على ، فكبروا ، ثم شدوا حتى التَقُوا^(٢) بعلی ، وشَدَّخُوا سبعمائة من أهل الشام ، وقتل حوشب ذو ظليم ، وهو كبش من كباش اليمن من أهل الشام ، وكان على راية ذُهل بن شيبان^(٣) وغيرها من ربيعة الحُصَيْن^(٤) بن المنذر بن الحارث بن ولة الذهلي ، وفيه يقول على في هذا اليوم :

لن راية سَوْدَاءٍ يَحْفَقُ ظِلُّهَا إِذَا قُلْتُ قَدْ مَيَّأَ حُصَيْنٌ تَقْدَمَا

فأمره بالتقدم ، واختلط الناس ، وبطل النبل ، واستعملت السيوف ، وجَنَّ الليل ، وتنادوا بالشعار ، ونقصت الرماح ، ونكادم القوم^(٥) ، وكان يعتنق الفارسُ الفارسَ ويقعان جميعاً إلى الأرض عن فرسيها ، وكانت ليلة الجمعة — وهي ليلة الهريز — فكان جملة من قَتَلَ على بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً كثرهم في اليوم ، وذلك أنه كان إذا قتل رجلاً كبر إذا ضرب ، ولم يكن يضرب إلا قتل ، ذكر ذلك عنه مَنْ كان يليه في حربه ، ولا يفارقه من ولده وغيرهم .

وأصبح القوم على قتالهم ، وكسفت الشمس^(٦) ، وارتفع الغمام ، وتقطعت الألوية [والرايات] ولم يعرفوا مواقيت الصلاة ، وغدا الأشرير تجز وهو يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا حَوْشَبَا لَمَّا غَدَا قَدْ أَعْلَمَا
وَذَا الْكَلَّاعَ قَبْلَهُ وَمَعْبِدَا إِذْ أَوْدَمَا

(١) في ب « شد الله ركبك » (٢) في ا « حتى لحقوا بعلی » .

(٣) في ب « هذيل بن سنان » محرفاً .

(٤) في ا ، ب « حصين » بالصاد ، مهمل ، محرفاً .

(٥) في ب « وتصادم القوم » (٦) في ا « وكسفت الشمس » تحريف .

إن تقنلوا منا أبا السيقظان شيخا مُسلماً
فقد قتلنا منكم سبعين رأساً مجرماً
[أَسْجَوْا بِصَفِينٍ وَقَدْ لَاقُوا نَكَالاً مُؤْلًا] (١)

خدعة رفع
المصاحف

وكان الأشتر في هذا اليوم — وهو يوم الجمعة — على ميمنة على، وقد أشرف على الفتح، ونادت مشيخة أهل الشام : [يا معشر العرب] الله الله في الحرمات والنساء والبنات، وقال معاوية : هلم نجبا نك يا ابن العاص فقد هلكنا، وتذكر ولاية مصر، فقال عمرو : أيها الناس، مَنْ كان معه مصحف فليرفعه على رُفْجِه، فكثُر في الجيش رفع للمصاحف، وارتفعت الضجة ونادوا : كتاب الله بيننا وبينكم، مَنْ لثغور الشام بعد أهل الشام؟ وَمَنْ لثغور العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفار؟ ورفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف، وفي ذلك بنول النجاشي بن الحارث :

فأصبح أهل الشام قد رفعوا أَلْقَنَّا عليها كتاب الله خير قرآن
ونادوا عابا : يا ابن عم محمد أما نتقى أن يهلك الثقلان؟

فدارأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا : نجيب إلى كتاب الله ونُذِيب (٢) إليه، وأحب القوم الموادة، وقيل لعلّ: قد أعطاك معاوية الحق، ودعاك إلى كتاب الله فأقبل منه، وكان أشدهم في ذلك [اليوم] الأشعث بن قيس، فقال على : أيها الناس، إنه لم يزل (٣) من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وإني كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحبيتكم البقاء، فقال الأشتر : إن معاوية لا خَلَفَ له من رجاله،

(١) هذا البيت لا يوجد في أ، وفي ص « نكالا مؤلّا »

(٢) في ب « وتوب إليه »

(٣) في ب « إنه لم يكن من أمركم - إلخ »

ولك بحمد الله الخلف ، ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك ، فاقرع الحديد^(١) [بالحديد] واسمعن بالله^(٢) ، وسكلم رؤساء أصحاب علي بن الحنفية من كلام الأشعث ، فقال الأشعث [بن قيس] : إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولستنا ندرى ما يكون غداً ، وقد والله فلّ الحديد ، وكلت البصائر^(٣) ، وتكلم معه غيره بكلام كثير ، فقال علي : ويحكم [إنهم] ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعملون بها^(٤) ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهاء ومكيدة ، فقالوا له : إنا ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال : ويحكم إنما قالنهم ليدنوا بحكم الكتاب ، فقد عصوا الله فيما أمرهم به ، ونبذوا كتابه ، فاهضوا على حكمهم وقصدكم ، وخذوا في قتال^(٥) عدوكم ؛ فإن معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدداً غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرفُ بهم منكم ؛ صحبتهم أطفالا [ورجالاً] ، فهم شر أطفال ورجال ، وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه ، وتهددوه أن يُصنع به ما صنع عثمان ، وقال الأشعث : إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ، قال : ذلك إليك فاتيه إن شئت ، فاتاه الأشعث فسأله ، فقال له معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى كتاب [الله ، و] إلى ما أمر به في كتابه : تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ، وتبعث برجل ، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملوا بما في كتاب الله ولا يخرجاه عنه ، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله ، فصوّب الأشعث قوله ، وانصرف إلى علي ، فأخبره ذلك ، فقال أ كثر الناس : رضينا وقبلنا وسمعنا

(١) في ب « فاقرع الحديد »

(٢) في ب « واستعد بالله » (٣) في ا « كل الحديد وقلت البصائر »

(٤) في ا « لأنهم يعلمونها ولا يعملون بها »

(٥) في ا « وجدوا في قتال عدوكم »

وأطعنا ، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج : رضنا نحن بأبي موسى الأشعري ، فقال علي : قد عصيتوني في أول [هذا] الأمر فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أوليها أبا موسى الأشعري ، فقال الأشعث ومن معه : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري ، قال : ويحكم ! هو ليس بثقة : قد فارقني وخذّل الناس [مني] وفعل كذا وكذا ، وذكر أشياء فعلمها أبو موسى ، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنتته ، لكن هذا عبد الله بن عباس أوليّه ذلك ، فقال الأشعث وأصحابه : والله لا يحكم فينا مُضَرِيان ^(١) ، قال علي : فالأشتر ، قالوا : وهل هاج هذا ^(٢) الأمر إلا الأشتر ، قال : فاصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه ، فبعثوا إلى أبي موسى وكتبوا له القصة ^(٣) ، وقيل لأبي موسى : إن الناس قد اصطلحوا ، فقال : الحمد لله ، قيل : وقد جعلوك حكماً ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) في ب « مضرى » وما هنا عن أدق ، فإن عمرو بن العاص الذى اختاره معاوية مضرى ، فإذا انضم إليه ابن العباس ، وهو مضرى أيضاً ، كانت الحكومة لمضريين ، وأكثر المتكلمين من أصحاب على قحطانيون .

(٢) في ا « وهل أشعل ما نحن فيه إلا الأشتر » .

(٣) في ب « وكتبوا له القضية » .

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

كان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول : إن الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمون بحكم لا يرضى به من ابيعهما [وإن هذه الأمة لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمون بما لا يرضى به من اتبعهما] ^(١) ، فقال [له] سويد بن غفلة ^(٢) : إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين ، قال : أنا ؟ قال : نعم أنت ، قال : فكان يخلع قيصره ويقول : لا جعل الله لي إذا في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مقعداً ، فلقبه سويد بن غفلة بعد ذلك فقال : يا أبا موسى ، أذكرك مقاتلتك ؟ قال : سَلَّ رَبِّكَ العافية .

وكان فيما كتب في الصحيفة أن يُجَيَّ الحكمان ما أحيا القرآن [ويميتا ما شروط الحكم أُمات القرآن] ، ولا يتبعان الهوى ، ولا يُدَاهنان في شيء [من ذلك] فإن فعلا وموعدا
الاجتماع
فلا حكم لهما ، والمسلمون من حكمهما برآء ، وقال على للحكمين حين أكره على أمرهما ورد الأشر وكان قد أشرف في ذلك اليوم على الفتح فأخبره مخبر بما قالوا في على وأنه إن لم يرْ دَهْ سُلْم إلى معاوية يفعل به ما فعل ببن عفان ، فانصرف الأشر خوفاً على على [فقال لهما على] : على أن تحكما بما في كتاب الله ، وكتاب الله كله لي ، فإن لم تحكما بما في كتاب فلا حكم لكما ، وصَيَّرُوا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع بين الكوفة والشام ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين ، وقيل : بعد هذا الشهر منها ، ومَرَّ الأشعث بالصحيفة يقرأها على الناس فرحاً مسروراً ، حتى انتهى إلى مجلس لبني تميم ، فيه جماعة من زعمائهم ، منهم عروة بن أدية ^(٣) التميمي ، وهو أخو بلال الخارجي ، فقرأها عليهم ، فجزى بين الأشعث وبين

(١) ما بين المقوفين ساقط من ب (٢) في ب « سويد بن علفة » .

(٣) في أ « عروة بن أدية » بالذال معجمة .

أناس منهم خطب طويل ، وإن الأشعث كان بدء هذا الأمر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيثوا إلى أمر الله ، وقال له عروة بن أدية : أتحكمون في دين الله وأمره ووجهه الرجال ؟ لا حكم إلا لله ، فكان أول من قالها وحكم بها ، وقد تنوزع في ذلك ، وشدد بسمعه على الأشعث فضم فرسه عن الضربة ^(١) فوقعت في عجز الفرس ونجا الأشعث ، وكادت العصبية أن تقع بين النزارية والجمانية ، لولا اختلاف كلمتهم في الديانة والتحكيم .

وفي فعل عروة بن أدية بالأشعث يقول رجل من بني تميم في أبيات :
 [عُرُو يا عرو كل فتنة قوم سَأَفَتْ إِنَّمَا تَكُون فَتِيَّةٌ] ^(٢)
 [ثُمَّ تَنْبِي وَيَعْظُم الْخَطْبُ فِيهَا فَاحْذَرْنَ غِبًّا مَا أُنِيتْ عُرِيَّةٌ]
 [أَعْلَى الْأَشْعَثُ لِلْعَصْبِ بِالنَّجَا جَ حَمَلَتْ السَّلَاحَ يَا ابْنَ أَدِيَّةِ ؟]
 [إِنَّمَا فَتْنَةٌ كَفَتْنَةُ ذِي الْعَجَلِ لَ ، أَيَا عُرْوَةَ الْعَصَا وَالْعَصِيَّةِ]
 فانظر اليوم ما يقول عليّ وأنسعه ، فذاك خير البرية .

وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين : فذكر أحد ابن الدورق عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس : من أهل الشام تسعون ألفاً ، ومن أهل العراق عشرون [ألفاً] ، ونحن نذهب إلى أن عدداً من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب ، وهو خمسون ومائة ألف مقاتل ، سوى الخدم والأتباع ، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة ألف ، بل أكثر من ذلك ؛ لأن أقل من فيهم معه واحد يخدمه ، وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والأتباع وأكثر من ذلك ، وأهل العراق كانوا في عشرين ومائة ألف مقاتل دون الأتباع والخدم

عدة قتلى
صفين

(١) في « فعر فرسه عن الضربة » .

(٢) هذه الأبيات لا توجد في ١ .

الجزء الثاني : ذكر الحكمين وبدء التحكيم ٤٠٥

وأما الهيثم بن عدى [الطائي] وغيره مثل الشرقى بن القطامى وأبى مخنف لوط ابن يحيى فذكروا ما قدمنا ، وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعون ألفاً : من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، فيهم خمسة وعشرون بدرية ، وأن العدد كان يقع بالتقصى ^(١) والإحصاء للقتلى فى كل مرة ، وتحصيل هذا بتفاوت ؛ لأن فى قتلى الفريقين من يُعرف ومن لا يعرف ، وفيهم من غرق ، وفيهم من قتل فى البر ؛ فأكلته السباع فلم يدر كمهم الإحصاء ، وغير ذلك مما يعتور ^(٢) ما وصفنا ، وسمعت امرأة بصفين [من أهل العراق] وقد قتل لها ثلاثة أولاد وهى تقول :

أعنيّ جُوداً بدمع سربٍ على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حنّ النفوس بأى امرئ من قریش غاب

ولما وقع التحكيم نباغض القوم جميعاً ^(٣) [وأقول: بعضهم يتبرأ من بعض] : بعد الحكمين يتبرأ الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، وأمر على بالرحيل ، لعله باختلاف الكلمة ، وتفاوت الرأى ، وعدم النظام لأورهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثر التحكيم فى جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابوا ، ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه ، وسار على يؤم الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام ، وفرّق عساكره فالحق كل جند منهم ببلده . ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء — قرية من قرى الكوفة — وجعلوا عليهم شبيب بن ريعى التميمى ، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء الديشكرى من بكر بن وائل ، فخرج على إليهم وكانت لهم معهم مناظرات ، فدخلوا جميعاً الكوفة : وإتاسموا الحورية لاجتماعهم فى هذه القرية ، والمحارزم إليها.

الخوارج
الحورية

(١) فى ب « بالتضيب والإحصاء » محرفاً .

(٢) فى ب « مما يعسر ما وصفنا » .

(٣) فى ا « تباين القوم جميعاً » .

وقد ذكر يحيى بن معين قال : حدثنا وهب بن جابر بن حازم ، عن الصلتِ ابن بهرام ، قال : لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر : جزعت من البلية ، ورضيت بالقضية ، وقبلت الدنية ، لا حكم إلا لله ، فيقول : حُكِّمَ اللهُ أَنْتَظِرْ فَيْكُمْ ، فيقولون (واقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فيقول على : (فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك الذين لا يوقنون) .

التقاء
الحكمين

وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل ، وقيل : بغيرها ، على ما قدمنا من وصف التنازع في ذلك ، وبعث على عبد الله بن العباس وشریح ابن هانيّ الحمداني في أربعمائة رحل فيهم أبو موسى الأشعري ، وبعث معاوية بعمر بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط^(١) في أربعمائة ، فلما تدانى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لأبي موسى : إن علياً لم يرض بك حكماً لفضل عندك^(٢) والمنفدمون عليك كثير ، وإن الناس أبوا غيرك ، وإنّي لأظن ذلك لشرير أراهم ، وقد ضم داهية العرب معك ، إن نسيت فلا تنس أن علياً يباعه الذين يبيعوا أبابكر وعمر وعثمان ، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تقره من الخلافة ، ووصى معاوية عمرأ حين فارقه وهو يريد الاجتماع بأبي موسى ، فقال : يا أبا عبد الله ، إن أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم إليك زجل طويل اللسان قصير الرأي ، فأخّر الحز^(٣) ، وطبق المفضل ، ولا تلقه برأيك كله ، ووافاهم سعد بن أبي وفاض وعبد الله بن عمرو [وعبد الرحمن بن عوف الزهري] والمغيرة ابن شعبة الثقفي وغيرهم ، وهؤلاء ممن قعد عن بيعة علي ، في آخرين من الناس ،

(١) في ب « شرحبيل بن السمط » .

(٢) في ا « لفضل ما عندك » وفي ب « لفضل غيرك »

(٣) في ب « فأخذ الجدل » .

الجزء الثاني : ذكر الحكمين وبدء التحكيم ٤٠٧

وذلك في شهر رمضان [من سنة ثمان وثلاثين] ، فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لأبي موسى: تكلم وقل خيراً ، فقال أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة لسنتك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ضيف ، فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الحدث الذي حل^(١) بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو : هلم إلى أمر يجمع الله به الألفة ، ويلم الشقاق ، ويصلح ذات البين ؟ فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن لك كلاماً أولاً وآخرأً ، ومتى تنازعنا الكلام خطباً لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا ، قال : فاكتب ، فدعا عمرو بصحيفة وكاتب ، وكان الكاتب غلاماً لعمرو ، فتقدم إليه ليبدأ به أولاً دون أبي موسى ؛ لما أراد من المكربه ، ثم قال له بحضرة الجماعة : اكتب فإنك شاهد علينا ، ولا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا حتى تستأمر الآخر فيه ، فإذا أمرك فاكتب ، وإذا نهاك فاتمه حتى يجتمع رأينا ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب ، وبدأ بعمرو ، فقال له عمرو : لا أم لك ! أتقدمني قبله كأنك جاهل بحقه ؟ فبدأ باسم عبد الله بن قيس ، وكتب : تقاضياً على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم قال عمرو : ونشهد أن أباً بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله إليه ، وقد أذى الحق الذي عليه ، قال أبو موسى : اكتب ، ثم قال في عمر مثل ذلك ، [فقال أبو موسى : اكتب] ثم قال عمرو : واكتب « وأن عثمان ولي هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله

(١) في « الذي أدخل بالإسلام » .

صلى الله عليه وسلم ورضاً منهم ، وأنه كان مؤمناً ، فقال أبو موسى الأشعري : ليس هذا مما قعدنا له ، قال عمرو : والله لا بد من أن يكون مؤمناً أو كافراً [فقال أبو موسى : كان مؤمناً ، قال عمرو : فمُرّه يكتب] : قال أبو موسى : أكتب ، قال عمرو : فظالم قتل عثمان أو مظلوماً ، قال أبو موسى : بل قتل مظلوماً ، قال عمرو : أفليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطاناً يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى : نعم ، قال عمرو : فهل نعلم لعثمان ولياً أولى من معاوية ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أفليس لمعاوية أن يطالب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز [عنه] ؟ قال أبو موسى : بلى ، قال عمرو : لا يكتب ، وأمره أبو موسى فكتب ، قال عمرو : فإنما نقيم البينة أن عاياً قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد حَدَّثَ في الإسلام ، وإنما اجتمعنا لغيره ، فهلم إلى أمر يصلح الله به [أمر] أمة محمد ، قال عمرو : وما هو ؟ قال أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وأن أهل الشام لا يحبون عاياً أبداً ؛ فهلم نخلعهما جميعاً ونستخلف عبد الله بن عمر ؟ وكان عبد الله بن عمر على بنت أبي موسى ، قال عمرو : أي فعل ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال أبو موسى : نعم إذا حَمَلَهُ الناس على ذلك فعل ، فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصَوَّبَهُ ، وقال له : هل لك في سعد ؟ قال له أبو موسى : لا ، فعَدَّدَ له عمرو جماعة وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر ، فأخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختمها جميعاً ، وقال عمرو : أرايت إن رضى أهل العراق بعبد الله بن عمر وأباه أهل الشام أتقابل أهل الشام ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : فإن رضى أهل الشام وأبى أهل العراق أتقابل أهل العراق ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير للمسلمين فقم فَاخْطُبِ الناس ، واخلع صاحبينا [معا] وتكلم باسم هذا الرجل الذي يستخلفه ، فقال أبو موسى : بل أنت قم فَاخْطُبِ فأنْتَ أحق بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أقدمك ، وما قولى وتوَلَّك للناس إلا قول واحد ، فقم راشداً .

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، تمام الحدة
ثم قال : أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمرنا ، فرأينا أقرب ما يحضرنا من
الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة خالعا عليا و معاوية ،
وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه ، ثم أهوى إلى عمامته فخلعها ،
واستخلفنا رجلا فد صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبو
النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر ، وأطراه ،
ورغب الناس فيه ، ثم نزل .

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال : أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليا وأخرجه
من هذا الأمر الذي يطالب ، وهو أعلم به ، ألا وإني قد خلعت عليا معه ،
وأثبت معاوية على وعاليكم ، وإن أبا موسى قد كتب في الصحيفة أن عثمان
قد قتل مظلوماً شهيداً وأن لوليه [ساطانا] أن يطلب بدمه حيث كان ،
وقد صبح معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبو النبي
صلى الله عليه وسلم ، [وأطراه ، ورغب الناس فيه ، وقال] : هو الخليفة
علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطالب بدم عثمان ، فقال أبو موسى : كذب
عمرو ، لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلياً معا ، فقال عمرو : بل
كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع علياً ولم أخلع معاوية .

قال المسعودي رحمه الله : ووجدت في وجه آخر من الروايات أنهما اتفقا على
خلع علي ومعاوية ، وأن يحل الأمر بعد ذلك شورى : يختار الناس رجلا يصلح
لهم ، فقدّم عمرو أبا موسى ، فقال أبو موسى : إني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا
أمرهم ، وتنحى ، وقام عمرو مكانه فقال : إن هذا قد خلع صاحبه وأنا
أخلع صاحبه كما خاعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فقال أبو موسى : مالك

لا وقتك الله غدرتَ وفجرتَ ؟ إنما منلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ،
فقال له عمرو : بل إياك يأس الله ، كذبت وغدرت ، إنما منلك مثل الكلب
إن تحمل عليه ياهث أو نتركه ياهث ، ثم وكر أبو موسى^(١) فألقاه لجنبه ،
فلم رأى ذلك شريح بن هانئ فَنَعَّ عمرأ بالسوط ، وانخزل أبو موسى^(٢) ،
فاستوى على راحلته ولحق بككة ، ولم يعد إلى الكوفة ، وقد كانت خطته
وأهله وولده بها ، وآلى أن لا ينظر إلى وجهه على ما بقي ، ومضى ابن عمر
وسعد إلى بيت المقدس [فأحرما] .

وفي فعل الحكيم يقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

ما قيل من
الشعر في
التحكيم

لو كانَ للقوم رأى يعصمون به عند الخطوب رمؤكم بآبن عباس
لكن رموكم بوغدٍ من ذوى يمن لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس

وفي اختلاف الحكيم والحكمة يقول بعض من حضر ذلك :

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وبالله رباً والنبي وبالذكر
وبالأصلح الهادي على إمامنا رضينا بذلك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حياً وميتاً ؛ فإنه إمام الهدى في موقف النهي والأمر
ولأبي موسى يقول ابن أعين^(٣) :

أبا موسى ، بليت وأنت شيخ قرب العفو محزون اللسان
وما عمرو صفأئك يا ابن قيس فيا الله من شيخ يماني^(٤)
فأمسيت العشية ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب الجنان
تعض الكف من ندم ، وماذا يرد عليك عصك للبنان ؟

(١) في ١ « ثم ركل أبو موسى » . (٢) في ب « وتحول أبو موسى »

(٣) في ب « يقول ابن عباس » .

(٤) في ١ او ما عمرو صفابك » .

الجزء الثاني : ذكر الحكيم وبدء التحكيم ٤١١

وقيل : إنه لم يكن بينهما غير ما كتباه في الصحيفة وإقرار أبي موسى بأن عثمان قتل مظلوماً وغير ذلك مما قدمنا ، وإنهما لم يخطبا ، وذلك أن عمرأ قال لأبي موسى : سم من شئت حتى أنظر معك ، فسمى أبو موسى ابن عمر [وغيره] ثم قال لعمر : قد سميت أنا قسم أنت ، قال : نعم ، أسمى لك أقوى هذه الأمة عايبها ، وأسدها رأياً ، وأعلمها بالسياسة ، معاوية بن أبي سفيان ، قال : لا والله ما هو لذلك بأهل ، قال : فأتيك بأخر ليس هو بدونه ، قال : من هو ؟ قال : أبو عبد الله عمرو بن العاص ، فلما قالها علم أبو موسى أنه يلاعب به ، فقال : فعلتها لعنك الله ، فتساباً ، فلحق أبو موسى بمكة .

فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص إلى منزله ، ولم يأت إلى معاوية ، فأرسل إليه معاوية يدعوه ، فقال : إنما كنت أحييتك إذ كانت لي إليك حاجة ، فأما إذا كانت الحاجة إلينا فأنت أحق أن تأتينا ، فلم معاوية ما قد دفع^(١) إليه ، فحمر الرأي وأعمل الخيلة ، وأسر معاوية طعام كثير فصنع ، ثم دعا بخاصنه ومواليه وأهله ، فقال : إني سأغدو إلى عمرو ، فإذا دعوت بالطعام فدعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم ، فإذا شبع رجل [منهم] وقام فليجلس رجل منكم مكانه ، فإذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد منهم فأغلقوا باب البيت ، واحذروا أن يدخل أحد منهم إلا أن آمرهم .

وغدا إليه معاوية وعمرو جالس على فراشه ، فلم يقم له عنها ، ولا دعاه فجاء معاوية وجلس على الأرض ، واتكأ على [ناحية] الفراش ، وذلك أن عمرأ كان يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر وإليه العقد ، يضعها فيمن يرى ، ويندب للخلافة من يشاء ، فخرى بينهما كلام كثير ، وكان مما قال له عمرو : هذا الكتاب الذي

خدعة معاوية
لعمر بن
العاص

(١) في ب « ما قد وقع إليه ، فخذ الرأي »

بينى وبينه عليه خاتمي وخاتمه ، وقد أقرَّ بأن عثمان قتل مظلوماً ، وأخرج علياً من هذا الأمر ، وعرض على رجالا لم أرهم أهلاً لها ، وهذا الأمر إلى أن استخاف من سئنه ، وقد أعطاني أهل الشام عهدهم ووانيقهم ، فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه ، وضاحكه وداعبه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من غداء ؟ قال : أمّا شيء يشبع من ترى فلا والله ، فقال معاوية : هلم يا غلامى غداءك ، فجىء بالطعام المسنعد ، فوضع ، فقال : يا أبا عبد الله ، ادع مواليك وأهلك ، فدعاهم ، ثم قال له عمرو : وادع أنت أصحابك ، قال : نعمياً كل أصحابك [أولاً] ثم يجلس هؤلاء بعد ، فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية ، حتى خرج أصحاب عمرو وبقي أصحاب معاوية ، فقام الذى وكله بغلق الباب ، فأغلق الباب ، فقال له عمرو : فعلتها ، فقال : إى والله بينى وبينك أمران فاختر أيهما شئت : البيعة لى ، أو أقتلك ، ليس والله غيرهما ، قال عمره : فأذّن للغلامى وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه ، قال : لا تراه والله ولا يراك إلا قتيلاً أو على ما قلت لك ، قال : فالوفاء إذن بطعمة مصر^(١) ، قال : هى لك ما عشت ، فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه ، وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ، ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو ، فقال لهم عمرو : قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم أر أحداً أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشام ، وانصرف [معاوية] إلى منزله^(٢) خليفة .

ولما باع علياً ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال : إني كنت تقدمت إليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها ، فأبيتكم إلا عصياني ، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذا بئتم علي ؟ والله إني لأعرف من حملكم على خلافى والترك لأمرى ، ولو أشاء أخذته لفعات ، واسكن الله من ورائه ، يريد بذلك الأشعث بن قيس

بين على
وأصحابه

(١) فى ب « قال : فأوتى إذا مصر » .

(٢) فى ا « وانصرف معاوية إلى أهله خليفة » .

الجزء الثاني : ذكر الحكمين وبداية التحكيم ٤١٣

والله أعلم ، وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خنعم^(١) :

أمرنهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

من دعا إلى هذه الحكومة فافتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه ،
ألا إن هذين الرجاين الخاطئين اللذين اخترتموها حكيمين قد تركا حكم الله ،
وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف ، فأما ما أحيا القرآن ،
وأحييا ما أماته ، واختلف في حكمهما كلامهما ، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما ،
فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، فتأهبوا للجهاد^(٢) واستعدوا للهسير ،
وأصبحوا في عساكرهم^(٣) إن شاء الله تعالى .

قال المسعودى : وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا في الحكمين ، وقالوا
في ذلك أقاويل كثيرة ، وقد أتينا على ما ذهبوا إليه في ذلك وما قاله كل فريق
منهم ، ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الأمة
في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وذكرنا في كتاب « أخبار الزمان »
قول على في مواقفه وخطبه ، وما قاله في ذلك ، وما أكره عليه ، وتأنيبه^(٤) لهم
بعد الحكومة ، وما تقدم الحكومة من تحذيره إياهم منها حين ألحوا في تحكيم
أبي موسى الأشعري وعمره ، حيث قال : ألا إن القوم قد اختاروا لأنفسهم
أقرب الناس مما يحبون ، واخترتم لأنفسكم أقرب الناس مما تكرهون ،
إنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس وهو يقول ألا إنها فتنة ، فقطعوا فيها
أوتاركم وكسروا قسيكم ، فإن يك صادقا فقد أخطأ في مسيره غير مستكره عليه ،
وإن يك كاذبا فقد لزمته التهمة ، وهذا كلام أبي موسى في تحذيله الناس ،

(١) في « كما قال أبو هيثم » .

(٢) في « قهشوا للقتال » . (٣) في ب « وأصبحوا في عساكرهم » .

(٤) في ب « وما بينه لهم بعد الحكومة » .

وتحريضهم على الجلوس [وتثبيطهم] عن أمير المؤمنين عليّ في حروبه ومسيره إلى الجبل وغيره ، ثم ما قاله في بعض مقاماته في معابته لقريش ، وقد باغى عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق في خلافته كلام كثير ، فقال : وقد زعمت قريش أن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب ، تربت أيديهم ! وهل فيهم أشد مراً لها مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين^(١) ، وها أنا ذا قد أريت^(٢) على نيف وستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

قال للمسعودي : وإذ قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفيين والحكيين ؛ فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ، ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا في هذا الكتاب وما تأخر ، فيما سلف من كتبنا ، والله أعلم .

(١) في ب « وما بلغت الثلاثين » وليس بدقيق ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى ربه وعلى رضى الله عنه ابن ثلاثين سنة تقريبا ، وقد حارب رسول الله قبل انتقاله للرفيق الأعلى عشر سنين أو يزيد .

(٢) في ا « وقد أتيت على نيف وستين » .

ذكر حروبه^(١) رضى الله عنه مع أهل النهروان

وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والأشتر النخعى ، وغير ذلك

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف ، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسي ، اجتمع الخوارج ولحقوا بالمدائن ، وقتلوا عبد الله بن حباب عامل على عليها : ذبحوه ذبحاً ، ومسير على إليهم وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً ، وقتلوا غيرها من النساء ، وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين^(٢) ألفاً ، وأناه من البصرة ، من قبل ابن عباس — وكان عامله عليها — عشرة آلاف^(٣) فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدى ، وذلك فى سنة ثمان وثلاثين ، فنزل على الأنبار ، والتأمت إليه العساكر ، فخطب الناس وحرّضهم على الجهاد ، وتل : سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قُدماً ، فإنهم طلبوا سَعَوْا فى إمارة نور الله ، وحرّضوا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ألا إن رسول الله أمرنى بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم ، والنّاكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم ، والمارقين ولم نلقهم بعد ، فسيروا إلى القاسطين ، فهم أم علينا من الخوارج ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أرباباً ، ويتخذون عباد الله خولاً ومالهم دُولاً ، فأبوا إلا أن يبدؤوا بالخوارج ، فسار على إليهم ، حتى أتى النهروان ، فبعث إليهم بالحارث بن مرة العبدي رسولا يدعوهم إلى الرجوع ، فقتلوه ، وبعثوا إلى على : إن تُبَتَّ من حكومتك وشهدت على نفسك [بالكفر] بايعناك ، وإن أبيت فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إماماً فإنّا منك برّاء ، فبعث إليهم على : أن ابعثوا إلى^(٤)

(١) فى ١ « ذكر حربه » (٢) فى ١ « خمسة وستين ألفاً » .

(٣) فى ١ « ثلاثة آلاف » .

(٤) فى ١ « أن ادفعوا إلى قتلة إخواني فأقتلهم » .

بقتلة إخواني فأقاسهم ثم أثاركم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب ، ولعل الله يُقَلِّبُ قلوبكم ، فبعثوا إليه : كننا قلة أصحابك ، وكلنا مستحلُّ لدمائهم ، مشتركون في قتلهم ، وأحبره الرسول — وكان من يهود السواد — أن القوم قد عبروا سهر طبرستان^(١) ، وهذا المهر عايه قنطرة ، تعرف بقنطرة طبرستان ، بين حلوان وبغداد ، من بلاد^(٢) خراسان ، فقال علي : والله ما عبروه ولا يقطعونه ، حتى نقاتلهم بالرميلة دونه ، ثم تواترت عايه الأخبار بقطعهم لهذا النهر ، وعبورهم هذا الجسر ، وهو يأبى ذلك ، ويحلف أنهم لم يعبروه ، وأن مصارعهم دونه . ثم قال : سيروا إلى القوم ، فوالله لا يفلت منهم إلا عشرة ، ولا يقتل منكم إلا عشرة ، فسار علي ، فأثرف عليهم ، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على [حسب] ما قال لأصحابه . فلما أثرف عليهم قال : الله أكبر ، صدق [الله و] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصافَّ القوم ، ووقف عليهم بنفسه ، فدعاهم إلى الرجوع والنوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له : قد رمونا ، فقال : كفوا ، فكرروا القول عايه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكف ، حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه ، فقال علي : الله أكبر ، الآن حلَّ قتالهم ، احموا على القوم ، فحمل رجل من الخوارج على أصحاب علي ، فخرج^(٣) فيهم ، وجعل يغشى كل ناحية ، ويقول :

أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيض مشرفياً

نخرج إليه على رضى الله عنه ، وهو يقول :

يا أيُّهَذَا المبتغى عليّاً إني أراك جاهلاً شقيّاً
قد كنت عن كفاحه غنياً هلم فابرز هاهنا إليّاً^(٤)

(١) في ١ « نهر طارستان » (٢) في ١ « من جادة خراسان » .

(٣) في ب « فخرج فيهم » (٤) في ١ « قد كنت عن لقاءه غنياً » .

وحمل عليه عليٌّ ، فقتله .

ثم خرج منهم آخر ، فحمل على الناس ، فقتك فيهم^(١) ، وجعل يكر عليهم ، وهو يقول :

أضربهم ولو أرى أبا حسنٍ ألبسته بصارمي ثوب غبن^(٢)
فخرج إليه عليٌّ وهو يقول :

يا أيهذا المبتغي أبا حسنٍ إليك فانظر أيننا ياقى الفبن
وحمل عليه عليٌّ وشكّه بالرمح ، وترك الرمح فيه ، فانصرف على وهو يقول : لقد رأيت أبا حسنٍ فرأيت ما نكره .

وحمل أبو أيوب الأنصاري على زيد بن حصن فقتله ، وقتل عبد الله بن وهب الراسبي ، قتله^(٣) هانيء بن حاطب الأزدي ، وزباد بن حفصة ، وقتل حرقوص بن زهير السعدي ، وكان جملة من قتل من أصحاب علي تسعة ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة ، وأتى عليٌّ على القوم ، وهم أربعة آلاف ، فيهم الخدج [ذو الثدية] إلا من ذكرنا من هؤلاء العشرة ، وأمر على بطاب الخدج ، فطلبوه ، فلم يقدروا عليه ، فقام عليٌّ وعليه أثر الحزن لفقد الخدج ، فاتتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ، فقال : أفرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه ، فقال على رضى الله عنه : الله أكبر ، ما كذبتُ على محمد ، وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم ، طرفها حلة مثل ندى المرأة ، عليها خمس شعرات أو سبع ، رؤوسها معققة ، ثم قال : اثبتوني به ، فنظر إلى عضده ، فإذا اللحم مجتمع على منكبه كندى للمرأة عليه شعرات سود إذا مدت اللاحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الأخرى ، ثم تترك فتعود إلى منكبه ، فشكى رجليه ونزل ، وخر لله ساجداً .

(١) في « قتل فهم » . (٢) في إروى هذان البيان هكذا :

أضربهم ولو أرى أبا حسنٍ ذلك الذى لهذه الدنيا ركن

(٣) في ب « وقتل عبد الله بن وهب الذى قتل هانيء بن حاطب »

(٢٧ - مروج الذهب ٢)

ثم ركب ومَرَّ بهم وهم صَرَخَ، فقال: لقد صر عكم من غركم، قيل: ومن غركم؟
قال: الشيطان وأَنْفُسُ السوء، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال:
كلا والذي بي يده، وإنهم إن أصاب الرجال وأراحام النساء، لا تخرج خارجة
إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له
الأشمط^(١) يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله^(٢)، ولا تخرج بعدها خارجة إلى
يوم القيامة .

وجمع على ما كان في عسكر الخوارج، فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ،
ورَدَّ التاع والعبيد والإماء إلى أهلهم، ثم خطب الناس، فقال: إن الله قد أحسن إليكم
وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين قد كَلَّتْ
سيوفنا، ونفدت نبالنا، ونصلت أسنة رماحنا، فدعنا نستعد بأحسن عدتنا،
وكان الذي كلمه بهذا الأشعث بن قيس، فعسكر على بالأنخيلة .

تفرق أصحابه يسلمون ويلحقون بأوطانهم، فلم يبق معه إلا نفر يسير، ومضى
على وردتهم الحارث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية، وهم من
ولد سامة بن لؤي [بن غالب، من ولد إسماعيل] عند أنفسهم، وقد أبى ذلك كثير من
الناس، وذكروا أن سامة بن لؤي ما أعقب، وقد حكى عن علي فيهم ما قد ذكرناه
في كتابنا في «أخبار الزمان» .

ولد سامة ابن لؤي وعلي الشاعر السامي من النصب^(٣) والانحراف، وقد أتينا على لمع من شعره وأخباره
في الكتاب الأوسط، ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام أنه

(١) في ب « الأشمط » يالسين المهمة، نحرير (٢) في ب « فيقتلهم »

(٣) في ب « من التعصب والانحراف » والنصب: كراهية آل بيت رسول

الله، ويسمى معتقو ذلك ناصية .

كان يلعن أباه ، فسئل عن ذلك ، وبم استحق اللعن منه ؟ فقال : بتسميته إياي عليا .

فَسَرَّحَ إِلَيْهِمْ^(١) عَلَى مُعْقِلَ بْنِ قَيْسٍ الرِّيَّاحِي ، فَقَتَلَ الْحَارِثَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ . سَفَّ الْبَحْرَ ، وَسَبَّ عِيَالَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ ، وَذَلِكَ بِسَاحِلِ الْبَحْرَيْنِ ، فَتَزَلَّ مُعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ بَعْضَ كَوَرِ الْأَهْوَازِ بِسَبِّ الْقَوْمِ ، وَكَانَ هُنَالِكَ مَصْقَلَةُ بْنُ هَبِيرَةَ الشَّيْبَانِي عَامِلًا لَعَلَى ، فَصَاحَ بِهِ النِّسْوَةُ : ائْمِنْ عَلَيْنَا ، فَاشْتَرَاهُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ [دِرْهَمٍ] وَأَعْتَقَهُمْ ، وَأَدَّى مِنَ الْمَالِ مِائَتِي أَلْفٍ وَهَرَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ عَلَى : قَبِّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ ، فَعَلَ فَعَلَ السَّيِّدَ وَفَرَّ فَرَارَ الْعَبْدِ ، لَوْ أَقَامَ أَخَذْنَا مَا قَدَرْنَا عَلَى أَخْذِهِ ، فَإِنْ أَعْسَرَ أَنْظَرْنَاهُ ، وَإِنْ عَجَزَ لَمْ نَأْخُذْهُ^(٢) بِشَيْءٍ ، وَأَنْفَذَ الْعَتَقَ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَصْقَلَةُ بْنُ هَبِيرَةَ ، مِنْ أَيْيَاتِ :

تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ بِكَرِّ بْنِ وَائِلٍ وَأَعْتَقْتُ سَبْيًا مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
وَفَارَقْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ لِمَالٍ قَلِيلٍ لَا مُحَالَةَ ذَاهِبٍ
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْآخَرُ :

وَمَصْقَلَةُ الَّذِي قَدْ بَاعَ بَيْعًا رَيْبِيًّا بَوْمَ نَاجِيَةِ بْنِ سَامَةَ
وَلَمَصْقَلَةُ أَفْعَالُ أَتَاهَا ، وَحِيلَ عَمَلُهَا قَدْ ذَكَرْنَاهَا وَمَا قَالَ فِي ذَلِكَ مِنَ الشَّعْرِ
فِي الْكِتَابِ الْأَوْسَطِ .

وَقَالَ عَلَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جَعْفَرٍ [الْعَلَوِي] فِيمَنْ انْتَمَى إِلَى سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ
ابْنُ غَالِبٍ^(٣) .

وَسَامَةُ مَنًّا ، فَأَمَّا بَنُوهُ فَأَصْرُهُمْ عِنْدَنَا مُظْلَمٌ

(١) فِي ب « فَسَرَّحَ عَلَيْهِمْ » (٢) فِي ب « لَمْ نَأْخُذْهُ بِشَيْءٍ »
(٣) فِي ب « سَامَةُ بْنُ لُؤَيٍّ » ابْنُ غَالِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ « وَكَلِمَةُ « بْنُ مُحَمَّدٍ» خَطَأٌ ،
فَلَمْ نَذْكُرْهَا ، وَكَلِمَةُ « بْنُ غَالِبٍ» سَاقِطَةٌ مِنْ أ

أُناس أتونا بأنسابهم خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصي وكلُّ أقاويله مُحكم
إذا ما سئلت فلم تدر ما تقول ، فقل : ربنا أعلم

عمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر في مصر
وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في أربعة آلاف ، ومعه معاوية بن خديج^(١) ، وأبو الأعور السلمي ، واستعمل عمرًا عليها حيانه ، ووفى له بما تقدم من ضمانه ، فالتقواهم ومحمد بن أبي بكر — وكان عامل على عليها — بالموضع المعروف بالسنة^(٢) ، فاقتتلوا ، فانهزم محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له ، وصار إلى موضع بدمر ، فاخفى فيه ، فأحيط بالدار ، فخرج إليهم محمّد من معه من أصحابه ، فقاتلهم حتى قتل ، فأخذ معاوية بن خديج^(١) وعمرو بن العاص وغيرهما ، فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار ، وذلك بموضع في مصر ، يقال له : كوم شريك ، وقيل : إنه فعل به ذلك ، وبه شيء من الحياة ، وبلغ معاوية قتل محمّد وأصحابه ، فأظهر الفرح والسرور . وبلغ عليا قتل محمّد وسرور معاوية ، فقال : جزعنا عليه على قدر سرورهم ، فما جزعتُ على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزعاً عي عليه ، كان لي ريباً ، وكنت أعدّه ولداً ، وكان بي براً ، وكان ابن أخي ، فعلى مثل هذا نحزن^(٣) ، وعند الله نحسبه .

ولاية الأشر ومقتله بالعريش مسموما
وولّى على الأشرية مصر وأنفذه إليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال : أترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للأشر بالسم في طعامه ، فلما نزل الأشر العريش سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحبُّ إليه ؟ قيل له : العسل ، فأهدى له عسلاً ، وقال :

(١) في « معاوية بن خديج » بالحاء المهملة .

(٢) في ب « المعروف بالمشاة » .

(٣) في ا « قتل مثل هذا الحزن ، وعند الله حسبه » .

إن من أمره وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشتر ، وكان الأشتر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ، وقيل : كان ذلك بالقلم ، والأول أثبت ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : لليدين والفم ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إن الله جنداً من العسل .

وقبض أصحابه عن علي في هذه السنة ثلاثة أرزاق على ^(١) حسب ما كان يحمل إليه من المال من أعماله ، ثم ورد عاياه مال من أصحابه ، فخطب الناس ، وقال : اغدوا إلى عطاء رابع ، فوالله ما أنا لكم بخازن ، وكان في عطائه [أسوة للناس] يأخذ كما يأخذ الواحد منهم .

ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب إلا ما وصفنا بصفين ، وكان معاوية في بقية أيام ^(٢) على يبعث سرايا تُعِيرُ ، وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس ، وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا .

قال السعدي رحمه الله : وقد تكلم طوائف من الناس من سلف وخلف فرق المعاملة بين الجمل وصفين وسره من أهل الآراء من الخوارج وغيرهم في فعل علي يوم الجمل ، وصفين ، وتباين حكمه فيهما ، من قتله من أهل صفين ، مقبلين ومدبرين ، وإجهازه على جرّحاهم ، ويوم الجمل لم يتبع مؤكلاً ، ولا أجهز على جريح ، ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمناً ، وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما ، وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإنما رجع القوم إلى منازلهم ، غير محاربين ولا منافذين ، ولا لأمره مخالفين ^(٣) ، فرضوا بالكف عنهم ، وكان الحكم فيهم رفع السيف

(١) في ١ « وقبض على أصحابه في هذه السنة ثلث رزق علي » .

(٢) في ب « بقية أعمال علي »

(٣) في ١ « ولا لإمامته ، مخالفين »

إذ لم يطلبوا عليه أعواناً ، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة ، وإمام
منتصب ، يجمع لهم السلاح ، ويُسني لهم الأعطية ، ويقسم لهم الأموال ^(١) ،
ويجبر كسيرهم ^(٢) ، ويحمل راجلهم ، ويردهم ، فيرجعون إلى الحرب ، وهم
إلى إمامته منقادون ، ولرأيه متبعون ، ولغيره مخالفون ، ولإمامته تاركون ،
ولحقه جاحدون ، وبأنه يطلب ما ليس له قائلون ^(٣) ، فاختلف الحكم لما
وصفنا ^(٤) ، وتباين حكماهما ذكرنا ، ولكل فريق من السائل والمجيب
كلام يطول ذكره ويتسع شرحه ، وقد أتينا على استيعابه ^(٥) ، وما ذكره
كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن إعادته ، والله أعلم .

(١) في « ويقسم لهم الأتزال » . (٢) في « ويجبر كسيرهم »
(٣) في « ما ليس له قابلون » (٤) في « فاختلف حكم اليومين لما وصقنا »
(٥) في « أتينا على استيعابه » .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضى الله عنه !

المؤامرة

وفي سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج ، فتذاكروا الناس ، ومام فيه من الحرب والفتنة ، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ، ومعاوية ، وعمر بن العاص ، وتواعدوا ، واتفقوا [علي] أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ، حتى يقتله أو يُقتلَ دونه ، وهم : عبد الرحمن ابن ملجم ، لعنه الله ! وكان من تَجِيب ، وكان عداهم في مراد ، فنسب إليهم ، وحجاج بن عبد الله الصريمي ، ولقبه : البركُ ، وزادويه : مولى بني العنبر ، فقال ابن ملجم — لعنه الله ! — : أنا أقتل علياً ، وقال البرك : أنا أقتل معاوية ، وقال زادويه : أنا أقتل عمرو بن العاص ، واتعدوا أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، وقيل : ليلة إحدى وعشرين .

ابن ملجم
وقطام

فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى علي ، فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه ، وكان [علي] قد قتل أباه وأخاه يوم النهروان ، وكانت أجمل أهل زمانها ، فخطبها ، فقالت : لا أتزوج حتى ^(١) تسمى لي ، قال : لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك ، فقالت : ثلاثة آلاف وعبداً وقينة ، وقتل علي ، فقال : ما سألت هو لك مهر إلا قتل علي ، فلا أراك تدرकिनه ، قالت : فالتمس غيرته ، فإن أصبته شفيت نفسي وَتَفَعَّلَ العيشُ معي ، وإن هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا ، فقال : والله ما جاء بي إلى هذا المصير ، وقد كنت هارباً منه إلا ذلك ، وقد أعطيتك ما سألت ، وخرج من عندها وهو يقول :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وقتلُ علي بالحسام المصمم

(١) « تسمى لي » أي : تذكر مقدار المهر . وفي « حتى تسمى لي » .

فلا مَهْرَ أَغْلَى من على وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن مُلْجَم^(١)
 فلقبه رجل من أشجع يقال له شبيب بن نجدة^(٢) من الخوارج ، فقال له :
 هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : تساعدني على قتل
 عليّ ، قال : ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إداً ، قد عرفت غناؤه^(٣)
 في الإسلام ، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن مُلْجَم : ويحك !
 أما تعلم أنه قد حَكَّم الرجال في كتاب الله ، وقتل إخواننا المصلين ؟ فنقله
 ببعض إخواننا ، فأقبل معه حتى دخل على قَتَّام ، وهي في المسجد الأعظم ،
 وقد ضربت كَلَّةً لها^(٤) وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من
 شهر رمضان ، فأعلمتهما أن مجاشع بن وردان [بن علقمة] قد انتدب لقتله
 معهما ، فدعت لهما بحريز فعصبتها وأخذوا أسياقهم وقعدوا مقابلين لباب
 السدة التي يخرج منها على للمسجد ، وكان على يخرج كل غداة أول الأذان
 [يوقظ الناس] للصلاة ، وقد كان ابن مُلْجَم مرّاً بالأشعث وهو في المسجد ،
 فقال له : فَضَحَكَ الصبح^(٥) ، فسمعها حُجْر بن عدى ، فقال : قتلته يا أعور
 قتلك الله ، وخرج على رضى الله عنه ينادى : أيها الناس ، الصلاة ، فشد عليه
 ابن مُلْجَم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله ، لا لك ، وضربه ابن مُلْجَم على
 رأسه بالسيف في قرّنه ، وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب ، وأما
 [مجاشع] بن وردان فهرب ، وقال على : لا يفوتكم الرجل ، وشدّ الناس على
 ابن مُلْجَم يرمونه بالحصاء ، ويتناولونه ويصيحون ، ف ضرب ساقه رجل من
 همدان برجله ، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه
 فصرعه ، وأقبل به إلى الحسن ، ودخل ابن وردان بين الناس ، فنجّا
 بنفسه ، وهرب شبيب حتى أتى رحله ، فدخل إليه عبد الله بن نجدة — وهو

(١) في ب « أعلى من على وإن علا » . (٢) في ب « شبيب بن بحيرة »

محرراً . (٣) في أ « لقد عرفت بلاءه في الإسلام » .

(٤) في ب « وقد ضربت كلة به » (٥) في ب « فضحك الله »

الجزء الثاني : ذكر مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٤٢٥

أحد بني أبيه — فرآه ينزع الحرير عن صدره ، فسأله عن ذلك ، فغبره [خبره] فانصرف عبد الله إلى رحله ، وأقبل إليه يستيفه فضربه حتى قتله .

وقيل : إن علياً لم يَمِ تلك الليلة ، وإنه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة ، وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، وإنها الليلة التي وعدت [فيها] فلما [خرج] ^(١) صاح بط كان للصبيان ، فصاح بهن بعض من في الدار ، فقال علي : ويحك ! دعهن فإنهن نواضح .

وقد ذكرت طائفة من الناس أن علياً رضى الله عنه أوصى [إلى] ابنه الحسن والحسين ؛ لأنهما شريكاه في آية التطهير ، وهذا قول كثير من ذهب إلى القول بالنص .

ودخل عليه الناس يسألونه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أرايت إن فقدناك ، ولا نفقدك ، أنبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم ولا أنهاكم ، وأتم أنتم ، ثم دعا الحسن والحسين ، فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وحده ، ولا تبغيا الدنيا وإن بفتكما ، ولا تأسفا على شيء منها ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضعيف ، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ؛ ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتقوى أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطعن أمراً دونهما ، ثم قال لهما : أوصيكما به ، فإنه سيفكما وابن أبييكما ^(٢) ، فأكرماه وأغرفا حقه .

فقال له رجل من القوم : ألا تعهد يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكني أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماذا تقول لربك إذا أتيتك ؟ قال : أقول : اللهم [إنك] أبهتني فيهم ماشئت أن تبقيني ، ثم قبضتني وتركك فيهم فإن شئت أفسدتهم ، وإن شئت أصلحتهم ، ثم قال : أما والله إنها الليلة التي

(١) في ب « فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن — إلخ » .

(٢) في ا « فإنه صغيركما وابن أبييكما » .

وصية علي
لأولاده

ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة ، وقبض ليلة إحدى وعشرين .
ويبقى على الجمعة والسبت ، وقبض ليلة الأحد ، ودفن بالرحبة عند مسجد
الكوفة^(١) .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخباره تنازع للناس في موضع
قبره ، وما قيل في ذلك .

سنه وفضله وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة^(٢) ، وقيل : اثنتان وستون ، وقد
قدمنا تنازع الناس في مقدار سنه ، وكان كما قال الحسن : والله لقد قبض فيكم
الليلة رجل ماسبقه الأولون إلا بفضل النبوة ، ولا يدركه الآخرون ، وإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه .

وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه ، وكبر عليه سبعاً^(٣) ، وقيل غير ذلك .
تركنه ولم يترك صفراء ولا بيضاء ، إلا سبعة دراهم بقيت من عطائه ، أراد أن
يشترى بها خادماً لأهله ، وقال بعضهم : ترك لأهله مائتين وخمسين درهماً
ومصحفه وسيفه .

فعلهم وباب ملجم ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر : دعوني حتى أشفي نفسي
منه ، فقطع يديه ورجليه وأحصى له مسماراً حتى إذا صار جرة كحله به ، فقال : سبحان
الذي خلق الإنسان ، إنك لتكحل عمك^(٤) بملء الرصاص ، ثم إن الناس أخذوه
وأدرجوه في بوارى ثم طلوا بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق ، وفيه يقول عمران
ابن حِطَّان الرقاشي يمدحه في ضربته من شعره طويل :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليتلخ من ذي العرش رضوانا

(١) في ١ « عند المسجد بالكوفة » .

(٢) في ١ « اثنتان وستون سنة » ولم يذكر القول الأول فيها .

(٣) في ١ « وكبر تسعاً » . (٤) في ١ « إنك لتكحل عينك — إلخ »

الجزء الثاني : ذكر مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٤٢٧

إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
[فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي :^(١)

إني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركاناً
إني لأذكره يوماً فالعنسه دنيا ، وألن عمراناً وحطاناً
عليه ثم عليه الدهر متصل لا نائن الله إسراراً وإعلاناً
فأتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبياناً
وزاد بعضهم على هذه الأبيات بيتاً آخر ، وهو :

عليك لعنة الجبار ما طلعت شمس ، وما أوقدوا في الكون نيراناً
معارضة لبيتي اللعين ابن حطان لعنه الله في ابن ملجم أخزاه الله :
قل لابن ملجم ، والأقدار غالبية ، هدمت وبك للإسلام أركاناً
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاماً وإيماناً
وأعلم الناس بالقرآن ، ثم بما سنَّ الرسول لنا شرعا وتبياناً
زهر النبي ، ومولانا ، وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغم الحسودله مكان هارون من موسى بن عمران
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكرأ لينا إذا ما لقي الأقران أقرانا
ذكَرْتُ قاتله والدمع منحدر فقلت : سبحان رب الناس سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى المَعَادَ ولكن كان شيطاناً
أشقى مراد إذا عُدَّت قبائلها وأخسر الناس عند الله ميزانا
كما قرأنا في الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها قبل النية أزماناً فأزماناً
فلا عفاً الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطابا

(١) من هنا إلى آخر الشعر الوارد في ص ٤٢٨ ساقط من ١ ، وهو الصواب ولا يكون ذلك مما كتبه السعدي ، والغالب أنه زيادة كتبها بعض النساخ .

لقوله في شقى ظل مجترماً ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
 (ياضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا)
 بل ضربة من غوى أورثته لظى مخلداً قد أتى الرحمن غضباناً
 كأنه لم يرد قصداً بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيراناً^(١)
 ولعمران بن حطان ولأبيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا
 «أخبار الزمان» في باب أخبار الخوارج من الأزارقة والأباضية والحرية والصفرية
 والنجدية^(٢) وغيرهم من فرق الخوارج إلى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .
 وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفيرون^(٣)، فأدخل على المقتدر
 بالله ، بعث به ابن حمدان من كفرتوتا^(٤)، وقد كان خرج في أيامه أيضاً
 المعروف بأبى شعيب .

وقدرتني الناس أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه في ذلك الوقت وإلى هذه
 الغاية ، وذكروا مقتله ، ومن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلى من أبيات .

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ فلا قرّت عيونُ الشامتينا^(٥)
 أفى شهر الصيام فجمتمونا بخير الناس طراً أجمعينا ؟
 قتلتم خير من ركب المطايا وذللها ومن ركب السفينا
 ومن لبس النعال ومن حدّاها ومن قرأ المثاني والميना
 إذا استقبلت وجه أبى حسين رأيت النور فوق الناظرينا
 لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسباً ودينا

لبرك ومعاوية وانطلق البرك الصريمى إلى معاوية فطعنه بخنجر في أليته وهو يصلى فأخذ
 وأوقف بين يديه ، فقال له : ويلك ! وما أنت ؟ وما خبرك ؟ قال : لا تقتلنى
 وأخبره ، قال : إنا تبايعنا في هذه الليلة عليك وعلى على عمرو ؛ فإن أردت

-
- (١) إلى هنا ينتهى الساقط من ا
 (٢) في ب « والمهجرية » مكان
 « النجدية » محرفاً
 (٣) في ب « للعروف بفروان »
 (٤) في ب « من هرموناء »
 (٥) في ا « معاوية بن صخر »

الجزء الثاني : ذكر مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٤٢٩

فاحبسني عندك ، فإن كانا قتلا وإلا خليت سبيلي فطلبت قتل عليّ ، ولك علي أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدي في يدك ، فقال بعض الناس : قتله يومئذ ، وقال بعضهم : حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فأطلقه .

وانطلق زادويه — [وقيل : إنه] عمرو بن بكر التميمي — إلى عمرو بن العاص ، زادويه وعمرو ابن العاص فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو ، وقيل : بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم ، وتحاف عمرو عن الصلاة لعارض ، فضره بالسيف ، فدخل عليه عمرو وبه رمق ، فقال له خارجة : والله ما أريد غيرك ، فقال عمرو : ولكن الله أراد خارجة ، وأوقف الرجل بين يدي عمرو ، فسأله عن خبره ؛ فقص عليه القصة وأخبره أن عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة ، فقال : إن قتلا أو لم يقتلا فلا بد من قتلك ، فبكى ، فقيل له : أجزعاً من الموت مع هذا الإقدام ؟ قال : لا والله ، ولكن غما أن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو ، فضربت عنقه وصلب .

وكان علي رضي الله عنه كثيراً ما يتمثل :

تِلْكَم قَرِيشٌ تَمَنَّانِي لَتَقْتُلَنِي فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَرَّوْا وَمَا ظَفَرُوا
فَإِنْ هَلَكْتَ فَرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمْ بَذَاتٍ وَدَقَيْنٍ لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ^(١)
وكان يكثر من ذكر هذين البيتين :

أَشَدُّ حِيازِمِكَ الْمَوْتُ فَإِنْ الْمَوْتُ لَا قِيَا
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتُ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ
وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه ، فإنه قد خرج إلى المسجد ، وقد عسر عليه فتح باب داره ، وكان من جذوع النخل ، فاقتله وجعله ناحية ، وأنخل إزاره ، فشدّه وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين .
وقد كان معاوية دسّ أناساً [من أصحابه] إلى الكوفة يشيعون موته ،

(١) في ١ « بَذَاتٍ رَدَفَيْنِ لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ » .

وأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا ، فقال في مجلسه : قدأكثرتم من نعي معاوية ، والله مات ولا يموت حتى يملك ماتحت قدمي ، وإنما أراد ابن آكلة الأكباد^(١) أن يعلم ذلك مني ، فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي فيه ، وما يكون من أمره في المستقبل من الزمان ، ومر في كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاد من يزيد و مروان و بنييه و ذكر الحجاج و مايسوهم من العذاب ، فارتفع الضجيج ، وكثر البكاء والشهيق ، فقام قائم من الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، ولقد وصفت أمورا عظيمة ، الله إن ذلك كأن ؟ قال علي : والله إن ذلك لكأن ، ما كذبت ولا كذبت ، فقال آخرون : متى [يكون] ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا خُصِبَتْ هذه من هذه ، ووضع إحدى يديه على لحيته والأخرى على رأسه ، فأكثر الناس من البكاء ، فقال : لا تبكوا في وقتكم هذا فستكون بعدى طويلا ، فكتاب أكثر أهل الكوفة معاوية سيرا في أمورهم ، واتخذوا عنده الأيادي ، فوالله ما مضت إلا أيام قلائل حتى كان ذلك ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب — بعد ذكرنا لهذه واعم من كلامه — جملا من أخباره أيضا في أيام معاوية بن أبي سفيان^(٢) ، والله ولي التوفيق .

(١) في ١ « آكلة الكبود » .

(٢) في ب « وجل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبي سفيان » وليس

... ذلك مستقيم .

ذكر لمع من كلامه ، وأخباره ، وزهده

رضوان الله عليه !

لم يابس عليه السلام في أيامه ثوباً جديداً ، ولا اقتنى ضيعة ولا رِبْعاً^(١) ،
إلا شيئاً كان له ينبع^(٢) مما تصدق به وحبه .
والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعائة خطبة ونيف
وثمانون خطبة يوردها على البديهة ؛ وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً .
وقيل له : مَنْ خيار العباد ؟ قال : الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا
أسأوا استغفروا [وإذا أعطوا شكروا] وإذا ابتلوا صبروا ، وإذا أغضبوا غفروا .
وكان يقول : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار
غنى لمن تزود منها ، الدنيا مسجد أحباء الله^(٣) ، ومصلى ملائكة الله ، ومهبط
وحيه ، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، ومن ذا يذمها
وقد آذنت بينها ، ونادت بفراقها ، وكفّت نفسها وأهلها ، ومثلت لهم بيلاتها
البلاء ، وشوقت بسرورها إلى السرور ، وراحت بفتيجها ، وابتكرت بعافيتها ؛
تحذيراً وترغيباً وتخويفاً ، فذمها رجال غبّ الندامة^(٤) ، وحمدها آخرون عبّ
المكافأة ، ذكروهم فذكروا تصاريها ، وصدقهم فصدقوا حديثها^(٥) ، فأيّها
الذامّ للدنيا المغتر بفرورها ، متى استدامت لك الدنيا ؟ بل متى غرتك من نفسها ؟
أبعضاج آباتك من البلى ؟ أم بمصارع أمهاتك من الثرى ؟ كم قد عللت بكفك
ومرّضت بيدك من تبني له الشفاء وتستوصف له [الدواء من] الأطباء ! لم تنفعه
بشفائك ، ولم تسعف له بطلبك^(٦) ، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك ، وبمصرعه

(١) في ب « ولا ريباً » (٢) في ب « بسرف »

(٣) في أ « مسجد أنبياء الله » (٤) في أ « غداة الندامة »

(٥) في أ « فصدقوا خدمتها » . (٦) في أ « ولم تستشف بطلبك »

مصرعك : غداً لا ينفعك بكاؤك ، ولا بغنى عنك أجباؤك — ولا تسمع في مدح الدنيا^(١) أحسن من هذا .

ومما حفظ من كلامه في بعض مقاماته في صفة الدنيا أنه قال : ألا إن الدنيا قد ارتحلت مُدْبِرَةً ، وإن الآخرة قد دنت مُقْبِلَةً^(٢) ، ولهذه أبناء . ولهذه أبناء ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا ، والراغبين في الآخرة ، إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً ، وقوّضوا الدنيا تقويضاً ، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سَلَاحَ عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن راقب الآخرة سارع في الخيرات ، ألا وإن لله عبداً [كأنهم] يرون أهل الجنة في الجنة منعمين مخلصين ، [ويرون أهل النار في النار معذبين] قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، أنفسهم غفيفة ، وحاجتهم خفيفة صبروا أياماً قليلة فصارت لهم العقبى ، راحة طويلة ، أما الليل فصافوا أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يجسّأرون إلى ربهم ، ويسعون في فلك رقابهم ، وأما النهار فعلماء حكماء بَرَّةً أتقياء ، كأنهم القداح^(٣) بَرَّاهم الخوف والعبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، إن خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها .

وقال لابنه الحسن : يا بني ، استغنِ عن شئت تكن نظيره ، وسل من شئت تكن حقيره^(٤) ، وأعط من شئت تكن أميره .

ودخل عليه رجل من أصحابه فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحت ضعيفاً مُدْبِئاً ، آكل رزقي ، وأنتظر أجلى ، قال : وما تقول في الدنيا ؟

(١) في ١ « ولم يسمع في مدح الدنيا — إلخ » .

(٢) في ١ « قد ارتحلت مقبلة » (٣) في ١ « كأنهم الفراخ ، محرفاً

(٤) في ١ « تكن أسره » وهو المحفوظ

الجزء الثاني : ذكر لمع من كلام علي ، وأخباره ، وزهده ٤٣٣

قال : وما أقول في دار أولها غم ، وآخرها موت ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، خلأ لها حساب ، وحرامها عقاب ، قال : فأى الخلق أنعم ؟ قال : أجساد تحت التراب ، قد أمنت [من] العقاب ، وهي تنتظر الثواب . ودخل ضرار بن ضميرة ^(١) — وكان من خواص علي — على معاوية وافداً ، فقال له : صف لي عايًا ، قال : أعفني يا أمير المؤمنين ، قال معاوية : لا بد من ذلك ، فقال : أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول قصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوابه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خشن ، ومن اللباس ما قصر [وكان والله] يحينا إذا دعوانه ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنا والله — على تربيته لنا وقربه منا — لانكاهه هيبته له ، ولا نبتدئه لعظمته في نفوسنا ^(٢) ، يتبسّم عن نعر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويعطى في السقبة يتما إذا مقربة أو مسكيناً ذا مقربة ، يكسو العريان ، وينصر اللثمفان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، وكأني به وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو في محرابه قابض على لحيته يتعامل تملل السليم ، ويكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرّيتي غيري ، إلى تعرضت أم إلى تشوفت ؟ هيها هيهات ! لا حان حينك ، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، عمرك قصير ، وعيشك حقير ^(٣) ، وخطر كسير ، آه من قلة الزاد [وبعد السفر] ووخشة الطريق .

فقال له معاوية : زدني شيئاً من كلامه ، فقال ضرار : كان يقول : أعجب من كلامه ما في الإنسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافتها ، فإن سَنَحَ له الرجاء أَمَالَهُ الطمع ، وإن مال به الطمع أهلكه الجرص ، وإن ملكه القنوط

(١) في ب « ضرار بن حمزة » محرفاً

(٢) في ا « ولا تبدبه لعظمته في نفوسنا » وليس بشيء

(٣) في ا « وغنيك حقير » وهي أحسن مما هنا عن ب.

(٢٨ — مروج الذهب ٢)

قتله الأسف ، وإن عَرَضَ له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ^(١) ، وإن ناله^(٢) الخوف فضحه الجزع ، وإن أفاد مالا أطفاه الغنى ، وإن عضته فاقة فضحه الفقر ، وإن أجهدته الجوع أقعده الضعف ، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له مفسد .

فقال له معاوية : زدني كلما وعيته من كلامه ، قال : هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ، ثم قال : سمعته يوصي كيل بن زياد [ذات يوم فقال له] : يا كيل ذُبَّ عن المؤمن فإن ظهره حمى الله ، ونفسه كريمة على الله ، وظالمه خصم الله ، وأحذركم من ليس له ناصر إلا الله .

قال : وسمعتة يقول ذات يوم : إن هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت عنهم سكتهم محاسن أنفسهم .

قال : وسمعتة يقول : بَطَرُ الغنى يمنع من عز الصبر .

قال : وسمعتة يقول : ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبدة ، وسكوته فكرة ، وكلامه حكمة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام — لا يبعث بعلى في وجه من الوجوه إلا يقول : (رب لا تذرنني فرداً ، وأنت خير الوارثين) .

وحمل على يوم أحد على كردوس من المشركين [خشن] فكشفهم ، فقال جبريل : يا محمد ، إن هذه هي المواساة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل إن علياً مني » قال جبريل : وأنا منكم ، كذلك ذكره إسحاق عن ابن إسرائيل^(٣) وغيره .

ووقف على عليّ سائل ، فقال للحسن : قل لأمك تدفع إليدرهما ، فقال : إنما

(١) في ١ « نسي الحفظ » (٢) في ب « وإن أماله الخوف »

(٣) في ب « ذكره إسحاق بن إبراهيم »

الجزء الثاني : ذكر لعل من كلام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ٤٣٥

عندنا ستة دراهم للدقيق ، فقال على : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون بما يقيد الله أو تَقَ منه بما يقيد ، ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلها ، فما برح على رضى الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيراً ؛ فاشتراه منه بمائة وأربعين درهماً ، وأنساً أَجَلَهُ ثمانية^(١) أيام ، فلم يحلَّ أَجَلَهُ^(٢) حتى مر به رجل والبعير معقول فقال : بكم هذا؟ فقال : بمائتي درهم ، فقال : قد أخذته ، فوزن له الثمن ، فدفع على منه مائة وأربعين درهماً للذى ابتاعه منه ، ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام ، فسألته : من أين هي ؟ فقال : هذه تصديق لما جاء به أبو بكر صلى الله عليه وسلم : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

ومرَّ ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونونه ، فقال لقائده : أَدْنِي مِنِّي معهم ، فأدناه ، فقال : أيكم الساب الله ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نسب الله ، فقال : أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم الساب على بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه فنعم ، قال : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سبني فقد سب الله ، ومن سب علياً فقد سبني » فأطرقوا ، فلما ولي قال لقائده : كيف رأيتمهم ؟ فقال : نظروا إليك بأعين مُزَوَّرَةٍ نظر التيوس إلى شفار الجازر^(٣) فقال : زدني فذاك أبي وأمي ، فقال : خُزِرَ العيون مُنْكَسِي أَذْقَانِهِمْ نظر الذليل إلى العزيز القاهر^(٤) قال : زدني فذاك أبي وأمي ، قال : ما عندي مزيد ، [قال] : ولكن عندي :

أحيائهم تجنى على أمواتهم والميتون فضيحة للفاير

(١) في ١ « واستأجله ثمانية أيام » (٢) في ١ « فلم يحل حبله »

(٣) في ١ « بأعين عمرة »

(٤) في ١ « خزر العيون نواكسى أجسامهم »

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد
ابن علي بن الحسين بن علي أن علياً قال في صبيحة الليلة التي ضرب فيها عبد الرحمن
ابن ملجم : بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم : كل
امرئ ملافيه ما يفر منه ، والأجل نُساق النفس إليه ، والحرب منه موافاته ، كم
اُطردت الأيام أتجنّبها عن^(١) مكنون هذا الأمر فأبى الله عز وجل إلا إخفاءه ،
هيات علم مكنون ، أما وصيتي فالله لا تشر كوابه شيئاً ، ومحمداً لا تضعوا سنته ،
أقيموا هذين العمودين ، حل كل امرئ منكم مجهوده ، وخفف عن الحلة رب
رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم ، كناني إعصار ذي رياح تحت ظل غمامة اضمحل
راكدها فحطها من الأرض حيا ، وبقي من بعدى جنة جأواء ، ساكنة بعد
حركة ، كاظمة بعد نطق ، ليعظكم هدوئي وخفوت أطرافي ، إنه أو عظلكم من
نطق البليغ ، ودعتكم وداع امرئ مرصد لتلاق ، وغدا ترون ويكشف عن
ساق ، عليكم السلام إلى يوم المرام ، كنت بالأمس صاحبكم واليوم عظة لكم
وغداً أفارقكم ، إن أفق فأنا ولي دمي ، وإن أمت فالقيامة ميعادي ، والعفو
أقرب للتقوى ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم .

وصيته
يوم موته

هيدم في الدنيا ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته وخطبه :
إن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أشرقت وأقبلت باطلاع ،
وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا إنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن
أخلص في أيام أملة قبل حضور أجله فقد حسن عمله^(٢) ، [وما قَصَرَ أجله ،
ومن قَصَرَ في أيام أحله خسر أجله ، ألا] فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون
في الرهبة ، ألا وإني لم أرا كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه
من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم له الهدى يخرجه^(٣) الضلال

(١) في ١ « أبجتها عن مكنون هذا الأمر »

(٢) في ١ « فقد ربح عمله »

(٣) في ١ « يحويه الضلال »

الجزء الثاني : ذكر لمع من كلام على وأخباره وزهده ٤٣٧

وقد أمرتم بالظعن ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم انبعاث الهوى وطول الأمل .

وفضائل على ومقاماته ومناقبه و[وصف] زهده ونسكه أكثر من أن يأتي عليه نسباً هذا أو غيره من الكتب ، أو يبالغ إسهاب مسهب ، أو إطناب مُطنب ، وقد أتينا على جمل من أخباره وزهده وسيره ، وأنواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب « حقائق الأذهان ، في أخبار آل محمد عليه السلام » وفي كتاب « مظاهر الأخبار ، وطرائف الآثار ، للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة » .

قال السعودي : والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي : السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقربى منه [والقناعة] وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب والتزويل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، والقضاء ، والحكم ، والقامة^(١) والعلم وكل ذلك لملي عليه السلام منه النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، إلى ما ينقرده من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه « أنت أخي » وهو صلى الله عليه وسلم لا ضده ، ولا ند ، وقوله صلوات الله عليه : « أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » وقوله عليه الصلاة والسلام : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم الي من والاه ، وعاد من عاداه » ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم إليه أنس الطائر : اللهم أدخلني أحب خلقك إليك يا كل معي من هذا الطائر ، فدخل عليه على ، إلى آخر الحديث ، فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما فرق في غيره^(٢) ، ولكل فضائل بمن تقدم

(١) في ب « وانعة والعلم »

(٢) في ا « بما لم يوجد في غيره » وما هنا عن ب أحسن

وتأخر ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راضٍ عنهم ، مُخْبِرٌ^(١) عن بواطنهم بموافقتهما لظواهرهم بالإيمان ، وبذلك نزل التنزيل ، وتولى بعضهم بعضاً ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي حدثت أمور تنازع الناس في صحتها [منهم ، وذلك غير يقين]^(٢) ، ولا يُقَطَّع عليهم بها ، واليقين من أمورهم ما تقدم ، وما روى مما كان في أحداثهم بعد نبئهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن ، بل هو ممكن ، ونحن نعتقد فيهم ما تقدم ، والله أعلم بما حدث ، والله ولي التوفيق .

قد تم — بحمد الله تعالى وحسن توفيقه — تحقيق الجزء الثاني من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر » للعلامة المسعودي ، ويليهِ — إن شاء الله — الجزء الثالث منه ، مفتتحاً بخلافة الحسن بن علي بن أبي طالب ، نسأل الله القدير أن يمن علينا بإكمالهِ ، ويوفقنا ويعيننا على ضبطهِ وتجويده ، إنه ولي ذلك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فهرس الموضوعات الواردة فى الجزء الثانى

من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر »
لأبى الحسن على بن الحسين بن على السعوى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٤	ذكر الإفرنجية ، والجلالة وملوكها	٤	ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم ، وأنواعهم ، وتباينهم فى ديارهم ، وأخبار ملوكهم
٣٩	ذكر التوكرد وملوكها	٤	الرافة ، وأكنة وجودها
٤٠	ذكر عاد وملوكها	٦	وقليعى ملك الزنج
٤٢	ذكر ثمود وملوكها	٦	صيد الفيلة
٤٣	صالح نبى الله إلى ثمود	٧	لعب الشطرنج ، ومقامة الهند به
٤٦	ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ، وذكر من تداوله	٨	الفيل ببلاد الهند
٤٧	زيارة إبراهيم خليل الله لمكة	٨	الزبرقان حيوان عجيب
٤٧	تزوج إسماعيل من جرم	١١	عود إلى الفيلة ووصفها
٤٨	زيارة إبراهيم لمكة ثانية	١٥	بعض عادات الزنج فى لباسهم وحلهم
٤٨	سبب تسمية إسماعيل	١٨	البجة وملوكهم
٤٩	أبناء إسماعيل	١٨	الحبش
٤٩	بناء الكعبة	١٩	جزيرة سقوطرة
٤٩	ولاية البيت من جرم ، ومن أبناء إسماعيل	٢٣	الزمرد ، وأنواعه
٥٠	إساف ونائلة صنان	٢٦	قوص وقفت من بلاد مصر
٥١	رواية أخرى فى ولاية مكة	٢٦	الواحات
٥٢	العاليق	٢٧	أنواع الطعوم
٥٢	طسم وجديس	٣٢	ذكر الصقالبة ، ومساكنها ، وأخبار ملوكها ، وأجناسها
٥٢	أصحاب الرس	٣٢	أجناس الصقالبة
٥٣	دعوى الشعوبية ، والرد عليهم		

فهرس الجزء الثانى من كتاب
مروج الذهب ،ومعادن الجواهر

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٤	أرض الهند والصين وبلاد الروم	٥٦	خراعة تلى أمر البيت
٦٤	سؤال عمر بن الخطاب لنكعب	٥٦	عمرو بن لحي أول من عبد الأصنام
	الأخبار عن العراق ، وجواب		بمكة
	كعب له	٥٧	أنواع ولاية البيت ثلاثة
٦٥	المؤلف يصف موطنه إقليم بابل	٥٧	النساء
٦٦	الحنين إلى الأوطان	٥٩	قريش البطاح
٦٧	منزلة علم الأخبار ، وكلمة عن فوائد	٥٩	قريش الظواهر
	الكتب	٥٩	الأحلاف
٦٩	ذكر تنازع الناس في المعى الذي من	٥٩	للطيون
	أجله سمى اليمن ، والعراق عراقا	٥٩	الإيلاف والتقرين
	والشام شاما ، والحجاز حجازا	٦٠	رحلتا قريش
٧٠	ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله	٦١	ذكر جوامع الأخبار ، ووصف الأرض
	الناس في ذلك		والبلدان ، وحنين النفس إلى الأوطان
٧١	لغة إسماعيل بن إبراهيم الخليل	٦١	كتاب عمر بن الخطاب يستوصف البلاد
٧٢	جرهم هو قحطان عند الهيم بن عدى	٦١	الجواب على كتاب عمر بن الخطاب
٧٣	نسب أنما ، واختلاف الناس فيه	٦١	وصف بلاد الشام
٧٤	ذكر اليمن ، وملوكها ، ومقدار	٦٢	وصف بلاد مصر
	منها	٦٢	وصف بلاد اليمن
٧٤	أولهم سبأ بن يشجب بن يعرب	٦٢	وصف بلاد الحجاز
	ابن قحطان	٦٢	وصف بلاد المغرب
٧٤	ملك حمير بن سبأ	٦٣	وصف بلاد العراق
٧٤	ملك أبي مالك عمرو بن سبأ	٦٣	وصف سكنى الجبال
٧٤	ملك جبار بن غالب	٦٣	تأثير البيئة الطبيعية
٧٤	ملك أبرهة ذى النار	٦٣	وصف بلاد خراسان
٧٥	ذكر بقية ملوك اليمن	٦٣	بلاد فارس
٧٥	أبرهة	٦٤	خوزسان
٧٥	تبع الأول	٦٤	أرض الجزيرة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٥	مقتل معديكرب	٧٥	بلقيس وسليمان بن داود
٨٥	رواية أخرى في ترتيب ملوك اليمن	٧٦	ناشر النعم بن عمرو بن يعفر
٨٧	ملوك اليمن من الفرس	٧٦	كليكرب بن تبع
٨٨	ملوك اليمن من أبناء إبراهيم الخليل	٧٦	حسان بن تبع
٨٨	ظفار عاصمة بلاد اليمن	٧٦	عمرو بن تبع
٨٩	حدود اليمن	٧٦	تبع بن حسان بن كليكرب
٩٠	ذكر ملوك الحيرة من بني نصر	٧٧	مزند بن كلال
	وغيرهم	٧٧	أبرهة بن الصباح
٩٠	جذيمة الوضاح صاحب الزباء	٧٧	ملك ذي شنار
٩٠	ملك عمرو بن عدى ابن أخت	٧٧	يوسف ذو نواس ، وذكر أصحاب
	جذيمة الوضاح		الأخدود
٩١	قصة زواج عدى بن نصر برقاش	٧٨	قصة أبي رغال الذي يرمي قبره
	أخت جذيمة الوضاح		بالخميس بين الطائف ومكة
٩٣	الزباء تستدعي جذيمة الوضاح	٧٩	قبر العبادى
٩٥	مقتل جذيمة الوضاح	٨٠	ملك يكسوم بن أبرهة
٩٨	ملك عمرو بن امرئ القيس	٨٠	ملك مسروق بن أبرهة
	الملقب بمحرق	٨١	حرب الفرس مع الحبشة باليمن
٩٨	ملك المنذر بن النعمان ، وابنه	٨٢	ملك معديكرب
	النعمان فارس حليلة	٨٣	وفود العرب إلى معديكرب ،
٩٩	ملك عمرو بن المنذر		وفيه عبد المطلب بن هاشم ،
٩٩	ملك قابوس بن المنذر		جد النبي صلى الله عليه وسلم
٩٩	ملك النعمان بن المنذر	٨٣	أشهر أسماء وفد العرب إلى
٩٩	الناعبة الدياني والنعمان بن المنذر		معديكرب
١٠٠	تسكيل كسرى بالنعمان بن المنذر	٨٣	خطبة عبد المطلب بين يدي
	بسعاية عدى بن زيد		معديكرب
		٨٤	أبو زمعة الثقفي (جد أمية بن أبي
			الصلت) بين يدي معديكرب

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١٣٣ مسير عاد إلى الأحقاف		١٠٢ وفاء هانيء بن مسعود الشيباني	
١٣٣ إرم ذات العماد بدمشق		١٠٢ حرقه بنت النعمان بن المنذر وسعد	
١٣٣ نزول ثمود الحجر		ابن أبي وقاص	
١٣٤ مسير جديس إلى اليمامة		١٠٤ إحصاء ملوك الحيرة ومدتهم	
١٣٤ مسير عملاق ، وتفرق بنيه في		١٠٦ ذكر ملوك الشام من غسان	
جهات مختلفة		وغيرها	
١٣٥ مسير طسم نحو البحرين		١١١ ذكر البوادي من العرب وغيرها	
١٣٦ خبر عملاق ملاك طسم الظالم ومقتله		من الأمم ، وعلة سكنها البدو	
ومقتل قومه		١١٣ قصة أولاد نزار بن معد مع الأفعى	
١٣٩ رباح بن مرة الطسمى يفر من القتل		الجهرمي ، وصاحب البعير الشارد	
فيستنجد بحمير على جديس		١١٨ تفرق الناس بعد الطوفان	
١٤٠ خبر زرقاء اليمامة		١١٩ علة سكنى العرب الحيام	
١٤١ مسير وبار بن أميم إلى رمل عالج		١٢١ كسرى يسأل عن اختيار العرب	
١٤١ أرض وبار مسكن الجن في زعم		سكنى البدو	
العرب		١٢٢ الأكراد ، وأصلهم ، وسكنهم	
١٤٣ مسير عبد ضخم بن إرم إلى الطائف		١٢٣ الترك	
١٤٣ بدء الكتابة		١٢٤ رأى آخر في أصل الأكراد	
١٤٣ مسير جرم إلى مكة		١٢٤ بعض أيام العرب	
١٤٣ مسير أميم بن لاوذ بن إرم إلى		١٢٦ ذكر ديانات العرب ، وآرائها في	
بلاد فارس		الجاهلية ، وتفرقها في البلاد	
١٤٤ أول من بنى البيوت أميم بن لاوذ		١٢٦ تعدد دياناتهم	
١٤٤ تنازع الناس في نسب البربر		١٢٧ سير أبرهة بالليل إلى مكة	
١٤٤ الشام بلاد كنعان		١٣١ اختلاف الناس في تدين عبدالمطلب	
١٤٤ مسير نوفير بن فوط إلى الهند		١٣٢ اختلاط الألسنة	
١٤٥ بنى عاد ، وذكر أصنامها ، وبشة		١٣٢ مسير يعرب وسكنه اليمن	
هود إليهم ، وهلاكهم ، وبعض			
ما قيل في ذلك			

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٤٨	الجحفة ، وسبب تسميتها بذلك	١٦٥	الخلاف في القيافة ، وجواز الاستدلال بها
١٤٨	يثر ، وسبب تسميتها بذلك	١٦٥	اختصاص العرب بذلك
١٤٨	تنازع الناس في شعيب ونسبه	١٦٦	منشأ القيافة ، وذكر علل طبعية لها
١٥٠	بنو حضورا ، وتنازع الناس في أنسابهم	١٦٨	الزجر وبعض أخباره
١٥١	تنازع الناس في ديارهم	١٦٩	اختصاص بعض العرب ببعض هذه الأمور
١٥٣	ذكر ماذهب إليه العرب في النفوس - والهام والصفر	١٦٩	القيافة
١٥٣	الاختلاف في النفس ماهي	١٧٠	القيافة عند أهل النرع ، وهل يجوز الاستدلال بها ؟
١٥٣	الهام ، وما قيل فيه	١٧٢	ذكر الكهانة ، وما قيل في ذلك وما اصل به ، وحد النفس الناطقة
١٥٥	آراء العرب في الغيلان ، والتغول ، وما ورد من الأخبار في ذلك	٢٧٢	أصل ادعاء علم الغيب ، وتنازع الأدم في الكهانة ماهي وما سببها
١٥٥	يرون أن الغول تلون وتضل	١٧٣	استراق السمع سبب الكهانة عند بعضهم
١٥٥	عمر بن الخطاب والتغول قبل الإسلام	١٧٣	سبب الكهانة عند بعضهم علل فلكية
١٥٦	الغول عند الفلاسفة والنجمين	١٧٤	وعند آخرين علل نفسية
١٥٦	تلون الغول أيضاً	١٧٤	العرافة ، وبعض العرافين
١٥٧	السعلاة	١٧٥	الكهانة في العرب
١٥٧	بعض إيذاء الغيلان والشياطين للناس	١٧٥	الرؤا ، وأسبابها ، واختلاف الناس فيها
١٦٠	ذكر قول العرب في الهواتف والجان	١٧٨	تحديد النفس ، واختلاف الفلاسفة فيه
١٦٠	الهاتف ، واختلاف أقوالهم فيه	١٨٠	ذكر جل من أخبار الكهان ، وسيل العرم
١٦١	علقمة بن صفوان والهاتف		
١٦١	بعض الذين قتلهم الجن		
١٦٢	زعموا أن قبر - اتم الطائي يقرى الضيف		
١٦٥	ذكر ماذهب إليه العرب من القيافة والزجر والساح والبارح		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨	ملوك سبأ وذكر بعض عاداتهم	١٩٧	ذكر شهر السريان ووصف
١٨	وصف بلاد سبأ		مواقفها لشهور العرب
١٨	العزم	١٩٧	زمن المهرحان ، ومعناه ، وأصله
١٨	مفاخرة بين القحطانيين والزاريين	١٩٨	ليلة القلندس ، وما يحدث فيها بمصر
	في مجلس السفاح العباسي		والشام
١٨	العزم في شعر العرب	١٩٩	بطارقة النصرانية ، وأماكنهم
١٨	طول العمر ، وعمر النسور ، وما	١٩٩	كنائس أنطاكية ، وعجائبها
	قيل في ذلك من الشعر	٢٠٠	زمن إيام برد العجوز ، وأسمائها
١٨	اختلاف الناس في علة طول العمر	٢٠٠	استواء الليل والنهار ومنزلة الشمس
١٨	طريقة الحير الكاهنة تنذر بسيل		حيث
	العزم	٢٠١	ذكر شهر الفرس وأسمائها
١٨	عمرو بن عامر يتحيل للخروج من	٢٠٢	ذكر أيام الفرس وأسمائها
	بلاده بعده أنذرته طريقة بالسيل	٢٠٤	ذكر سني العرب وشهورها وتسمية
١٨	تقبرق أهل سبأ في البلاد		أيامها ولياليها
١٨	خزاعة تنزل بطن مر	٢٠٤	تعليل تسمية الشهور عند العرب
١٩	غسان تنزل بالعراق	٢٠٥	اختصاص بعض الشهور ببعض الأسماء
١٩	ديانة أهل مأرب	٢٠٦	اختصاص بعض الأيام ببعض الأسماء
١٩	عود إلى حديث الكهانة ، وذكر	٢٠٦	تسميه أيام التشريق والاختلاف في
	سطيح الكاهن ، ويان أول		سببها
	كهنته	٢٠٦	الأيام النحسات
١٩	ذكر سني العرب والعجم وشهورها	٢٠٦	أسماء أيام الأسبوع ، وعلتها
	وما اتفق منها واختلف	٢٠٦	أسماء الأيام عند العرب قديما
١٩	ذكر شهور القبط ، وما يقابلها عند	٢٠٧	أسماء الشهور عند العرب قديما
	السريان	٢٠٧	الأزمنة الأربعة
١٩	أيام لواحق للأقباط (النسيء)	٢٠٧	شهور الروم مرتبة على الفصول
١٩	مبدأ التاريخ عند الأقباط	٢٠٩	ذكر قول العرب في ليالي الشهور
			القمريّة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١٠	تقسيم ليالى الشهر ثلاثا وثلاثا وتسمية كل ثلاث منها باسم	٢٢٩	عود إلى ذكر أرباع ، العالم والطابع
٢١٠	أسماء الهلال والليالى عند العرب بحسبه	٢٣٠	الكلام على عمور الإنسان وما يظهر عنده من الطابع في كل عمر منها
٢١٢	ذكر القول في تأثير النيرين في العالم	٢٣٠	رأى أبقرط في أعمار الإنسان
٢١٢	رأى اليونانيين الحكماء في ذلك	٢٣١	الهواء وأثره في الإنسان
٢١٢	تصور الجنين في رحم أمه ، وسببه	٢٣٢	الاستدلال بتغير أهل الأقاليم على تأثير الهواء في الإنسان
٢١٣	يشبه الولد أباه وأهل بيت أبيه	٢٣٢	اختلاف الحكماء في ذلك
٢١٤	الاختلاف في تأثير النيرين	٢٣٣	الرياح الأربعة
٢١٥	كروية الأرض وجميع أجزائها	٢٣٤	مساحة الممالك وما بينها من المسافات
٢١٨	ذكر أرباع العالم والطابع	٢٣٥	اعتذار للمؤلف عن استطراداته
٢١٨	الطابع الأربع	٢٣٦	ذكر البيوت المعظمة والهياكل
٢١٨	أرباع العالم ، وما خص به كل ربع منها		وبيوت النيران والأصنام
٢١٩	علة عدم سكنى بعض الأرض	٢٣٦	الهند والصين تتخذ أصناما تمثل الملائكة
٢٢٠	مدة سلطان الكوكب	٢٣٦	اتخاذ الكواكب آلهة
٢٢٠	أجناس الأجسام وخاصة كل نوع منها	٢٣٦	اتخاذ أصناما تمثل الكواكب
٢٢٣	أنواع الجن	٢٣٧	عقيدة العالم في البيت الحرام
٢٢٣	السناس ، والاختلاف في وجوده ، وذكر شبهه بالآدميين	٢٣٧	يوداسف ، تنبى الهند يدعو إلى مذهب الصابئة
٢٢٥	العنقاء	٢٣٧	دعوته إلى عبادة النار
٢٢٦	خالد بن سنان نبي بني عبس	٢٣٨	عمرو بن لحي أول من نصب الأصنام بمكة
٢٢٧	خبر خلق الخيل	٢٣٨	البيوت السبعة المعظمة
٢٢٨	بحث في بيان ما يجوز أن يؤخذ به من الأخبار ، وما لا يجوز	٢٣٨	البرمك سادن النوبهار ، وهو بيت النار بخراسان ، ومنهم جد البرامكة
٢٢٩	بعض الإسرائيليات التي لا يؤخذ بمثلها	٢٣٩	قصر غمدان وما قيل فيه

الموضوع	ص	الموضوع	ص
اليوت المعظمة عند اليونانيين	٢٤٣	اليوت المعظمة عند اليونانيين	٢٤٣
البيت الأول بأنطاكية	٢٤٣	البيت الأول بأنطاكية	٢٤٣
الثاني بمصر	٢٤٣	الثاني بمصر	٢٤٣
الثالث بيت المقدس في زعمهم	٢٤٣	الثالث بيت المقدس في زعمهم	٢٤٣
اليوت المعظمة عند أوائل الروم	٢٤٤	اليوت المعظمة عند أوائل الروم	٢٤٤
اليوت المعظمة عند الصقالبة	٢٤٥	اليوت المعظمة عند الصقالبة	٢٤٥
اليوت المعظمة عند الصابئة	٢٤٧	اليوت المعظمة عند الصابئة	٢٤٧
هاكل العقول	٢٤٧	هاكل العقول	٢٤٧
هاكل الكواكب	٢٤٧	هاكل الكواكب	٢٤٧
قراينهم	٢٤٧	قراينهم	٢٤٧
الباقى من هاكلهم إلى عصر المؤلف	٢٤٧	الباقى من هاكلهم إلى عصر المؤلف	٢٤٧
بحث في النفس	٢٤٩	بحث في النفس	٢٤٩
استطراد بذكر الكليات الخمس	٢٤٩	استطراد بذكر الكليات الخمس	٢٤٩
والمقولات العشر	٢٥٠	والمقولات العشر	٢٥٠
عود إلى الكلام عن الصابئة	٢٥٠	عود إلى الكلام عن الصابئة	٢٥٠
وصف هيكل بأقصى بلاد الصين	٢٥٠	وصف هيكل بأقصى بلاد الصين	٢٥٠
ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها	٢٥٢	ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها	٢٥٢
رأى الفرس الأولى في النار والنور	٢٥٢	رأى الفرس الأولى في النار والنور	٢٥٢
أماكن بيوت النيران	٢٥٢	أماكن بيوت النيران	٢٥٢
المؤلف يصف بيتا من بيوت النيران	٢٥٤	المؤلف يصف بيتا من بيوت النيران	٢٥٤
المؤلف يصف بيتا آخر آراه بحور من بلاد فارس ، ويتعرض لبعض وصف جور	٢٥٤	المؤلف يصف بيتا آخر آراه بحور من بلاد فارس ، ويتعرض لبعض وصف جور	٢٥٤
حصن الحضرة واستيلاء سابور عليه وقتله الساطرون ملك الحضرة وابنته	٢٥٦	حصن الحضرة واستيلاء سابور عليه وقتله الساطرون ملك الحضرة وابنته	٢٥٦
المهاكل المعظمة عند اليونانيين	٢٥٨	المهاكل المعظمة عند اليونانيين	٢٥٨
بيت بعل	٢٥٨	بيت بعل	٢٥٨
جيرون ، ووصف هاكلها	٢٥٩	جيرون ، ووصف هاكلها	٢٥٩
مسجد دمشق ، وأصله	٢٦٠	مسجد دمشق ، وأصله	٢٦٠
البريص بناء بدمشق	٢٦٠	البريص بناء بدمشق	٢٦٠
الديماس هيكل بأنطاكية	٢٦٠	الديماس هيكل بأنطاكية	٢٦٠
مجل بذكر بعض البنايات العجيبة في العالم	٢٦٠	مجل بذكر بعض البنايات العجيبة في العالم	٢٦٠
ذكر محاولات قديمة لوصول البحر الأحمر بالبحر الأبيض	٢٦٣	ذكر محاولات قديمة لوصول البحر الأحمر بالبحر الأبيض	٢٦٣
ذكر جامع التاريخ من بدء العالم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٦٥	ذكر جامع التاريخ من بدء العالم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٦٥
اختلاف الناس في حدوث العالم	٢٦٥	اختلاف الناس في حدوث العالم	٢٦٥
اختلاف الناس في مدة العالم منذ نشأته	٢٦٧	اختلاف الناس في مدة العالم منذ نشأته	٢٦٧
رأى أهل الآثار من المسلمين في مبدأ العالم ، وفي المدة التي مضت منه إلى التاريخ المعلوم لهم على سبيل الجزم	٢٦٩	رأى أهل الآثار من المسلمين في مبدأ العالم ، وفي المدة التي مضت منه إلى التاريخ المعلوم لهم على سبيل الجزم	٢٦٩
ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب	٢٧٢	ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب	٢٧٢
نسبه صلى الله عليه وسلم ، واختلاف الروايات فيه	٢٧٢	نسبه صلى الله عليه وسلم ، واختلاف الروايات فيه	٢٧٢
نهي رسول الله أن يتجاوز النساء عدنان	٢٧٣	نهي رسول الله أن يتجاوز النساء عدنان	٢٧٣
كنيته صلى الله عليه وسلم	٢٧٤	كنيته صلى الله عليه وسلم	٢٧٤
أسماءه صلى الله عليه وسلم	٢٧٤	أسماءه صلى الله عليه وسلم	٢٧٤

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٧٤	زمن مولده عليه الصلاة والسلام	٢٨٧	عدة غزواته
٢٧٥	حرب الفجار	٢٨٧	ترتيب مغازيه
٢٧٦	بطون قريش	٢٨٨	بيان المغازي التي قاتل فيها ، واختلاف الرواة فيها
٢٧٦	عود لحروب الفجار ، وحلف الفضول وسببه ، وما قيل في ذلك وتاريخه .	٢٨٩	السرايا والبعوث
٢٧٨	بناء قريش الكعبة واختلافهم في وضع الحجر الأسود ، وحكم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم	٢٨٩	أشهر الحوادث التي تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٧٩	نزار أبي طالب بحكم النبي	٢٩٠	اختلاف العلماء في مقدار سنه صلى الله عليه وسلم
٢٨٠	تحديد يوم مولده صلى الله عليه وسلم	٢٩١	وفاته ، وتكفينه ، ودفنه
٢٨٠	جماع الحوادث من مبدأ مولده عليه الصلاة والسلام	٢٩٢	أشهر الأمور التي حدثت من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم
٢٨٢	ذكر بعثته صلى الله عليه وسلم ، وما جاء في ذلك إلى هجرته	٢٩٢	ما حدث في السنة الأولى من مولده
٢٨٣	إسلام علي بن أبي طالب	٢٩٢	ما حدث في السنة الخامسة
٢٨٣	إسلام أبي بكر ومن أسلم من الصحابة بإسلامه	٢٩٢	ما حدث في السنة السادسة
٢٨٥	ذكر هجرته وجوامع ما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم إلى انتقاله إلى الرقيق الأعلى	٢٩٣	ما حدث في السنة التاسعة
٢٨٥	فرض الجهاد	٢٩٣	أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته
٢٨٥	تاريخ الهجرة	٢٩٤	ما حدث في سنة ست وعشرين من مولده
٢٨٦	تحديد يوم قنومه المدينة ، ولقاء أهل المدينة له	٢٩٤	ما حدث في سنة ست وثلاثين
٢٨٧	زمن وفاته صلى الله عليه وسلم	٢٩٤	» » » إحدى وأربعين
		٢٩٤	» » » ست وأربعين
		٢٩٤	» » » خمسين
		٢٩٤	» » » إحدى وخمسين
		٢٩٤	» » » أربع وخمسين
			وهي سنة الهجرة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٣٠٨ عدى بن حاتم		٢٩٥ ماحداث فى سنة اثنين من الهجره	
٣٠٨ مرض أبى بكر ، وذكره لواءه		٢٩٥ » » » ثلاث » » »	
أسفه على أمور فاتته		٢٩٥ » » » أربع » » »	
٣٠٩ بنات أبى بكر		٢٩٥ » » » خمس » » »	
٣٠٩ يعة على لأبى بكر		٢٩٦ » » » ست » » »	
٣٠٩ وصية أبى بكر ليزيد بن أبى		٢٩٦ » » » سبع » » »	
سفيان		٢٩٦ » » » ثمان » » »	
٣٠٩ ثبت بجماع الحوادث فى عهد		٢٩٧ » » » تسع » » »	
أبى بكر		٢٩٧ » » » عشر » » »	
٣١٢ ذكر خلافة عمر بن الخطاب		٢٩٨ ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم	
رضى الله عنه !		٢٩٩ ذكر ما بدأ به عليه الصلاة	
٣١٢ مجمل تاريخه		والسلام من الكلام مما لم يحفظ	
٣١٣ ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره		قبله عن أحد من الناس	
٣١٣ نسبه من جهة أبيه، ومن جهة أمه		٣٠٤ باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق	
٣١٣ أخلاقه وتواضعه		رضى الله عنه !	
٣١٣ ورع سعد بن عامر بن خريم		٣٠٤ مجمل تاريخه من خلافته إلى وفاته	
أحد عمال عمر ، وكان عامله		٣٠٥ ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره	
على حمص		٣٠٥ اسمه ونسبه	
٣١٤ سلمان الفارسي عامل عمر		٣٠٥ تواضعه ولباسه	
على المدائن		٣٠٥ ومود ذى الكلاع الحميرى على	
٣١٥ أبو عبيدة بن الجراح عامل عمر		أبى بكر رضى الله عنه ، وتأسيه	
على الشام		به فى لباسه	
٣١٥ عمر يحرض على الجهاد ، ويؤمر		٣٠٦ أبو بكر وأبو سفيان بن حرب	
أبا عبيد على جيوشه		٣٠٦ نسب أبى بكر من جهة أمه	
٣١٥ مسير أبى عبيدة لقتال الفرس		٣٠٦ أولاد أبى بكر ، وبيان أمهاتهم ،	
٣١٧ شأن جرير بن عبد الله البجلي		ومن أعقب منهم	
والثنى بن حارثة		٣٠٨ مات أبو قحافة والد أبى بكر فى	
٣٢٠ وفاة للثنى بن حارثة بسيراف		خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم	
٣٢٠ شأن سعد بن أبى وقاص			
(٢٩ — مروج الذهب ٢)			

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٤٢	زيد بن ثابت، وثرته	٣٢٠	شأن عاصم بن عمر في حروب
٣٤٣	المقداد يبنى دارا بالمدينة ذات	الفرس	
	شرفات	٣٢١	يوم أغوات
٣٤٣	يعلى بن منية ، وثرته	٣٢٣	شأن أبي حنبل الثقفي ، وبلاؤه
٣٤٣	شدة عمر بن الخطاب فيما هو		وشجاعته ، وتوبته
	مصلحة للرعية	٣٢٥	يوم عماس
٣٤٣	ذكر بعض عمال عثمان على الأمصار	٣٢٨	نصير البصرة والكوفة
٣٤٤	الوليد بن عقبة بن أبي معيط	٣٢٩	أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة
	والى الكوفة وصرفه عنها، وتولية		ابن شعبة ، وهو قاتل عمر رضى
	سعيد بن العاص		رضى الله عنه
٣٤٦	أمر سعيد بن العاص في ولايته	٣٣٠	أولاد عمر بن الخطاب
	الكوفة	٣٣٠	عمر وعبد الله بن العباس
٣٤٧	مبدأ إنكار الناس على عثمان	٣٣١	خبر وقعة نهاوند
	وأسابه	٣٣٣	عمرو بن معديكرب يصف قومه
٣٤٨	أبو ذر وعثمان ، ونفى أبي ذر		لعمر بن الخطاب بطنا فطنا
	إلى الشام ثم إلى الربرة	٣٣٥	عمرو بن معديكرب يصف لعمر
٣٤٥	خروج أبي ذر ، وتوديع على بن		لقاءه مع ربيعة بن مكرم
	أبي طالب إياه ، ونلاحى على مع	٣٤٠	ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى
	مروان بن الحكم بسبب ذلك		الله عنه
٣٥١	بين على وعثمان	٣٤٠	مجل تاريخه
٣٥٢	عمار بن ياسر والمقداد بن عمرو	٣٤١	ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره
	يظاهران على بنى أمية ، ويعلمنان	٣٤١	نسبه من جهة أبيه وأمه ، وذكر
	حب آل الرسول		أولاده
٣٥٢	قدوم التأثرين على عثمان من الأمصار	٣٤١	أخلافه رضى الله عنه
٣٥٣	حصار دار عثمان	٣٤١	ثرته
٣٥٤	وصول محمد بن أبي بكر إلى عثمان	٣٤٢	الزبير بن العوام ، وثرته
	أمام الثوار	٣٤٢	طلحة بن عبيد الله ، وثرته
٣٥٤	وصول الثوار إلى عثمان بعد تسلقهم إليه	٣٤٢	عبد الرحمن بن عوف ، وثرته
٣٥٥	مقتل عثمان وتاريخه ، ومدة	٣٤٢	سعد بن أبي وقاص ، وثرته
	حصاره		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٥٥	قتلة عثمان	٣٧٠	دعاء على ربه قبل القتال
٣٥٥	مدفن عثمان وذكر الذين صلوا عليه	٣٧٠	على يرسل إلى الخارئين عليه من
٣٥٥	بيان الذين صلوا بالباس أيام حصار		يدعوهم إلى السلم ، فيأبرن
	الحليفة	٣٧٠	عمار بن ياسر يدعو إلى
٣٥٥	بعض ما قيل من الشعر في		حقن الدماء
	مقتل عثمان	٣٧١	وصبة على لأصحابه قبل القتال
٣٥٦	حسان بن ثابت وموقفه	٣٧١	على يدعو الزبير إلى قتاله ، فإذا
٣٥٨	ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي		القيما ذكره بما قاله النبي صلى الله
	الله عنه !		عليه وسلم له في شأنه ، فيعزم على
٣٥٨	مجل تاريخه ، وبيان موضع قبره		ترك القتال ، ويأخذه الندم
٣٥٩	نسبه من جهة أبيه ، ومن جهة أمه	٣٧٢	الزبير ينصرف عن القتال ،
٣٥٩	إخوته ، وأمهاتهم		فيقوم ابنه عبد الله في وجهه
٣٦٠	أوان مصيره إلى البصرة.		يحجزه ، فيأبى
٣٦١	ثبت الحوادث في أيامه ، وتواريخها	٣٧٢	مقتل الزبير ، وما فيها فيه
٣٦١	شهود وقائمه من الصحابة	٣٧٣	على يدعو طلحة إلى القتال ، فإذا
٣٦١	القاعدون عن بيعته من الصحابة		التقيا عاتبه على خروجه وذكره بما قال
	وبعض ما جرى بينهم	٣٧٣	رسول الله فيه ، فيعزم على الرجوع
٣٦٣	عمرو بن العاص يعاهد معاوية على		مقتل طلحة
	الانتصار له في مقابل توليته مصر	٣٧٤	مقتل محمد بن طلحة وترجمته
٣٦٣	نصيحة المغيرة بن شعبة لعلي رضي الله عنه	٣٧٥	بنو ضبة يحيطون بالجل ، فيموت
٣٦٤	رواية أخرى في شأن نصيحة المغيرة		منهم عدد حوله
٣٦٦	ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه	٣٧٦	عبد الله بن الزبير والأشتر النخعي
	وما كان فيه من الحرب وغيره	٣٧٧	خطبة طويلة للأمير المؤمنين علي بن
٣٦٦	سير طلحة والزبير وعائشة		أبي طالب بالبصرة
٣٦٧	مسير علي من المدينة	٣٧٧	ابن عباس وعائشة أم المؤمنين
٣٦٨	دخول علي البصرة ، وذكر أنصاره	٣٧٨	امراة من عبد القيس تجد ولديها
	وقواد جيشه من الصحابة		مقتولين
		٣٧٩	عمير بن الأهلب الضبي وشجاعته

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧٩	عودة عائشة رضى الله عنها عن مشهود القتال ، وإكرام على إياها	٣٨٧	مبدأ القتال، وذكر ما كان في اليوم الأول
٣٨٠	عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، يعسوب قریش	٣٨٧	ذكر ما كان في اليوم الثاني
٣٨٠	استيلاء على رضى الله عنه على أموال البصرة	٣٨٨	ذكر ما كان في اليوم الثالث
٣٨١	على رضى الله عنه يولى عبد الله بن عباس على البصرة	٣٨٨	ذكر ما كان في اليوم الرابع
٣٨١	على رضى الله عنه يبعث جرير بن عبد الله إلى معاوية	٣٨٨	شأن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، والسبب في خروجه على على رضى الله عنه
٣٨٢	معاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة	٣٨٨	ما كان في اليوم الخامس من أيام الحرب
٣٨٤	ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام	٣٨٩	ما كان في اليوم السادس
٣٨٤	سير على رضى الله عنه إلى صفين ، ووقته	٣٨٩	ما كان في اليوم السابع
٣٨٤	عدة جيشه	٣٨٩	ما كان في اليوم الثامن
٣٨٤	عدة جيش معاوية بن أبى سفيان ومنزله للقتال	٣٩٠	ما كان في اليوم التاسع
٣٨٥	معاوية يمنع جيش على من ورود الماء ، فيأمر على أصحابه أن يقتحموا إلى الماء وينزلوا عنده	٣٩١	مقتل عمار بن ياسر ، وترجمته
٣٨٦	ويطردوا عنه جيش معاوية	٣٩٤	موقف حذيفة بن اليمان من على ومقتل ولديه صفوان بن حذيفة وسعد بن حذيفة
٣٨٦	جيش على يرد الماء ويطرد عنه جيش معاوية	٣٩٤	معاوية بن أبى سفيان والنعمان بن جيلة التوخي أحد فواده
٣٨٧	اتفاق الفريقين على ترك القتال شهر المحرم	٣٩٥	مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب
		٣٩٦	على رضى الله عنه يحرض أصحابه
		٣٩٦	على رضى الله عنه يدعو معاوية إلى القتال ، فيخرج له عمرو بن العاص ، فيرد عليا بكشف سوائته

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٩٨	معاوية يحاول أن يمتل بعبد الله	٥١١	مكر معاوية بعمر بن العاص
٣٩٨	ابن بديل بن ورقاء الخزاعي	٤١٢	تأنيب على لأهل العراق ،
٣٩٨	فيمنعه عبد الله بن عامر		ومحريضهم على الاستعداد للحرب
٣٩٨	على رضي الله عنه يحرض أصحابه	٤١٥	ذكر حروب على مع أهل التبروان
٣٩٩	على غسان	٤١٥	الحوارج وفعلهم بالمدائن
٣٩٩	ليلة الهدير	٤١٥	مسير على إلى التبروان، والتقاؤه
٤٠٠	خديعة رفع المصاحف		بالحوارج
٤٠٠	أهل العراق يخذعون فينورون	٤١٦	دوقة الرملة
	على على رضي الله عنه	٤١٧	ذو الثدية الخدج
٤٠١	الاختلاف في اختيار الحكم عن	٤١٨	غنائم على ، ودعوته أصحابه إلى
	أهل العراق		الاستمرار على الحرب
٤٠٣	ذكر الحكمين ، وبدء التحكيم	٤١٨	بعض جيش على يرتلون عن
٤٠٣	اتفق القوم على المبدأ الذي		الإسلام
	يحكمان بمقتضاه ، وكتبوا	٤١٩	على يرسل من يحارب المرتدين
	بذلك صحيفة	٤٢٠	عمر بن العاص يسير إلى مصر
٤٠٤	عدة القتلى أيام صفين	٤٢٠	مقتل محمد بن أبي بكر
٤٠٥	اختلاف أهل العراق في التحكيم	٤٢٠	على يولي الأشرم فهدس له السم
٤٠٥	الحرورية (الحوارج)		رجل بالعريش بإيعاز معاوية
٤٠٦	أول التقاء الحكمين	٤٢١	بعض الفروق بين واقعي صفين
٤٠٦	وصية ابن عباس لأبي موسى		والجمل
٤٠٧	الحكمان يكتبان كتابا - التحكيم	٤٢٣	ذكر مقتل على بن أبي طالب رضي
٤٠٩	عمر بن عبد الله بن موسى للكلام		الله عنه !
٤٠٩	أبو موسى يتقدم فيخاطب عليا	٤٢٣	تعاهد ثلاثة من الحوارج على
	ومعاوية ويرشح عبد الله بن عمر		قتل على ، ومعاوية ، وعمر بن
٤٠٩	عمر بن الخطاب فيخاطب عليا ويثبت		العاص
	معاوية	٤٢٣	مسير عبد الرحمن بن ملجم إلى
٤٠٩	رواية أخرى في هذا الشأن		الكوفة لقتل على ونزوله على ابنة
			عمر قطام وخطبته بإياها

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣١	وصف الدينامن كلامعلى، رضى الله تعالى عنه	٤٢٥	طالب أصحاب على منه أن يعهد بالخلافة ، فأبى
٤٣٣	ضرار بن ضمرة بعض خلصان على بصفه معاوية، ويذكر له من روائع كلامه	٤٢٦	وفاة على رضى الله تعالى عنه
٤٣٤	ثقة على رضى الله عنه بما عد الله	٤٢٦	تركة على
٤٣٥	دفاع ابن عباس عن على، وقد سمع قوما ينالون منه	٤٢٦	قتل ابن ملجمو بعض ما قيل في شأنه
٤٣٦	مقالة على صبيحة مقتله	٤٢٨	رثاء أبى الأسود على رضى الله عنه
٤٣٦	خطبة له في التزهيد فى الدنيا	٤٢٨	مسير البرك التميمى لقتل معاوية
٤٣٧	جماع فضائله	٤٢٩	مسير زادويه بن عمرو. بن بكر التميمى لقتل عمرو
٤٣٨	خاتمة الجزء الثانى .	٤٣٠	معاوية يأمر بعض أنصاره أن يذيعوا فى الناس أنه قتل ليبلغ ذلك عليا
		٤٣٥	ذكر لع من كلام على رضى الله عنه ، وأخباره ، وزهده

قد تمت - بحمد الله تعالى - فهرس الجزء الثانى
من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للسعودى
والحمد لله أولا وآخرا ، وصلاته على سيدنا محمد وآله

